

ديوان الرضائي

أتم شرحه وصححه

مصطفى السقا

الأستاذ المساعد بكلية الآداب
بجامعة قنّاد الأول

الطبعة الرابعة

بها قصائد لم تنشر من قبل

١٣٧٣ — ١٩٥٣

مكتبة الطباعة والنشر
دار الفكر العربي

مطبعة لإعتاد بصر

ديوان الرضائي

أتم شرحه وصححه

مصطفى السقا

الأستاذ المساعد بكلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول

الطبعة الرابعة

بها قصائد لم تنشر من قبل

١٣٧٣ — ١٩٥٣

مكتبة الطباعة والنشر
دار الفكر العربي

مطبعة لإعتاد بمصر



الشاعر معروف الرصافي في أخريات حياته

١٨٧٥ - ١٩٤٥

رهن البيت في عيش كفاف

بعْدُ مات معروف الرصافي

١١٦ ٤٤١ ٣٩٦ ٤١٢

أمثل الشاعر « المعروف » يبق

فقم واندب مآثره وارخ

١٣٦٥ هـ

عبد الكريم العلاف

الجزء الأول

مقدمة الطبعة الثالثة

لديوان الرصافي

ظهرت الطبعة الأولى من ديوان شاعر العراق الأكبر، الأستاذ « معروف الرصافي البغدادي » سنة ١٩١٠ م ، نشرتها « المكتبة الأهلية ببيروت » في جزء متوسط ، صفحاته ٢٣٢ ، وقد عني بترتيبه وتبويبه ، وتصحيحه وتقديمه ، الأستاذ « محي الدين الخياط » ، وشرح بعض قصائده الشيخ « مصطفى الغلاييني » صاحب مجلة « النبراس » البيروتية ، لكن المنية عاجلته قبل إتمام طبع الديوان ، فجاء بعض قصائده غفلا لم يشرح .

وقد رُتبت أشعار الطبعة الأولى في أربعة أبواب ، هي : الكونيات ، والاجتماعيات ، والتاريخيات ، والوصفيات . وألحق بآخر الديوان فهرس لموضوعات القصائد ، ومطلع كل قصيدة .

وفي سنة ١٩٣٢ ، أي بعد اثنتين وعشرين سنة ، ظهرت الطبعة الثانية لديوان « الرصافي » ، أخرجتها « مطبعة دار المعرض ببيروت » في مجلد واحد تبلغ صفحاته ٥٢٤ ، فهي تزيد على ضعف الطبعة الأولى عدد صفحات . وتمتاز بأنها أحسن من الطبعة الأولى تقسيما للأشعار ، فقد صارت أبواب الديوان فيها أحد عشر بابا ، هي : الكونيات ، والاجتماعيات ، والفلسفيات ، والوصفيات ، والحريقيات ، والمراثي ، والنسائيات ، والتاريخيات ، والسياسيات والحريات ، والمقطعات .

وتمتاز كذلك بمقدمة تحليلية ونقدية لشعر الرصافي ، كتبها الأستاذ الكبير « الشيخ عبد القادر المغربي » عضو الجمع العلمي العربي بدمشق ، وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية الآن . هذا إلى مزايا أخرى في الورق والطبع والتصحيح ، وكثير من الصور الفنية .

وقد ظهرت هاتان الطبعتان في حياة الشاعر ، ولكننا لا ندرى مقدار مشاركته في الإشراف على ترتيب ديوانه وتبويبه واعتماد أصوله ، ثم تصحيحه وطبعه .

وبعد نحو عشرين سنة أخرى ، تظهر هذه الطبعة الثالثة من ديوان «الرصافي» ولكنها تظهر بعد أن ودع الشاعر الحياة في سنة ١٩٤٥ م ، وترك من شعره ثروة ضخمة لأبناء هذا الجيل والأجيال المقبلة ، من أبناء العروبة ومحبيها والدارسين لها ، وهي ، كما يراها القارئ ، جزءان في مجلد واحد ، تبلغ صفحاتهما نحو ٥٨٨ صفحة ، تنشرها « المكتبة العصرية ببغداد » ، وتطبعها مطبعة « دار الكتاب العربي بالقاهرة » .

وقد رغب إلى حضرة الناشر « محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية ببغداد » وحضرة صديق الأستاذ سعيد جودة السحار ، صاحب مطبعة « دار الكتاب العربي » أن أقوم بتصحيح هذه الطبعة ، وأن أشرح بعض الغريب من الألفاظ ، فأجبت رغبتهما ، وأخرجنا هذه الطبعة الثالثة ، التي يسرنا أن نهدّيها إلى قراء العربية .

تتماز هذه الطبعة عن الطبعتين السابقتين بمزايا :

أولها : غزارة مادة الشعر الذي تحويه ، فقد اشتملت على طائفة من الأشعار والمقطوعات التي لم تنشر قبل في كلتا الطبعتين ، وقد اجتهد الناشر في الحصول عليها فأضاف إلى الديوان حسنة جديدة ، وأثخف قراء العربية بطرائف لم تكن مجتمعة في موضع واحد من شعر «الرصافي» ، وقد نشرت المجلات والجرائد بعض أشعار الرصافي ومقطوعاته هذه ، ولكن طائفة كبيرة منها بقيت مخبوءة ، وقد ظفر بها الناشر مكتوبة بخط الشاعر نفسه ، وتحتها إمضاءه «الرصافي» .

وقد أوصينا حضرة الناشر بأن يحتفظ بهذه القصائد والمقطوعات التي عليها خط

الشاعر نفسه ، لما لها من قيمة أدبية وتاريخية، فهي وثائق شاهدة بالمعتمد من نصوص أشعاره ، قبل أن تمتد إليها أيدي التحريف والمسخ والتشويه . ذلك إلى أن فيها مجالاً لدراسة خط الشاعر ، وتطور إنشائه القصيدة ، ومبدأ تقييده للخواطر الأولى عند سئولها بعقله ، ثم تصرفه فى المعانى بعد نقدها وتمحيصها وترتيبها . ومن حسن الحظ أن بعض هذه القصائد التى بخط الشاعر مسودات لم تبيض ، ولا توجد منها نسخة أخرى غير التى كتبها الشاعر كتابة غير منظمة ، بل غير واضحة أحياناً ؛ ولكنه على الرغم من ذلك اعتمدها ، ووضع اسمه «الرصافى» تحتها ، فلم يبق شك فى نسبتها إليه .

وقد التزمنا أن نلحق هذه الزيادات ، من القصائد والمقطوعات فى أواخر الأبواب ، ما عدا المقطوعات التى لا فن ولا غرض يجمعها ، فلم نلتزم فيها أواخر الأبواب ، بل وزعت فى مواضع متفرقة ، لأغراض مطبعية فنية .

وأشرنا فى فهرس الموضوعات إلى هذه الزيادات بهذه العلامة (*)

وتمتاز هذه الطبعة كذلك بشرح كثير من القصائد التى لم تشرح فى الطبعتين السابقتين . ولم نشأ أن نتوسع فى هذا الشرح ، بل قاربنا بينه وبين الشرح الذى وجدناه فى الطبعتين السابقتين : نشرح اللفظ الغريب المستغلق بإيجاز ، حتى ينكشف المعنى ، فإذا لم ينكشف بشرح الغريب ، أوضحناه بالعبارة المطولة ، حتى يظهر مقصد الشاعر .

وفى شعر «الرصافى» قصائد كثيرة لا تحتاج إلى شرح ، لقربها من أفهام السداة ، وهم متوسطو الثقافة من قراء العربية ، ولذلك لم نتكلف شرح هذا النوع . على أن ذبوع المعاجم فى عصرنا ، لا يجعل للقارىء عذراً فى ترك البحث عما يهمه من الألفاظ . بل إن القارىء لا يتقدم فى دراسته ومعرفته ، إلا إذا استقل بنفسه فى البحث عما يعنيه من الألفاظ والمعانى ، ولم يتكل على هذه الشروح والتعليقات الخفيفة ، التى يمد بها أصحاب الشروح ، ولعل كثيراً منها لا يشبع نهمة ، ولا يحقق غرضه .

ومن مزايا هذه الطبعة ضبط الشكل المبهم من الألفاظ ، ولا أعنى الضبط الكامل ، فإنه غير ضرورى لأمثال قراء هذا الديوان . إنما الضبط الكامل لصغار تلاميذ المدارس ، ليحفظوا صيغ الكلمات صحيحة ، حين يكونون أكثر استعداداً للحفظ ، وأقبل لما يرد عليهم من صور الأشياء . وقد كادت الطبعتان السابقتان من هذا الديوان تكونان عاريتين عن الضبط ، إلا فى الأقل النادر ، أما هذه الطبعة فقد سلكنا فيها مسلكاً وسطاً بين الإفراط والتفريط .

وقد ألحقنا بالديوان فهرسين : أحدهما لموضوعات الأشعار ، والثانى للقوافى ، لتسهيل المراجعة والبحث فى الديوان .

* * *

هذا . وإن ما قرأناه من أشعار « الرصافى » فى هذه الطبعة ليدل دلالة واضحة على أنه كان من كبار شعراء هذا العصر ، ذوى الافتنان فى الشعر ؛ وقد ظهر فى شعره الكونى والفلسفى نزعات قوية دالة على عمق تفكيره . كما أبان شعره الوصفى عن دقة وقوة فى تصوير الأشياء ، لعلها لم تتح لكثير ممن زاولوا الوصف فى الشعر العربى . أما شعره الاجتماعى والسياسى ، فهما غنيان بالعواطف القوية الجياشة ، التى تدل على أنه كان سياسياً ووطنياً ، بل كان إنساناً من الطراز الأول فى جيله ، يتمنى الخير لبلائده ولقومه ، بل للعرب جميعاً ، وللشرق كله ، وتذوب نفسه حسرات عند ما يرى البؤس والضعف فى شتى مظاهره .

على أن للرصافى مزايا أخرى فى أسلوبه وتعبيره ، فالقارىء لشعره يحس كأن تياراً من التعبير الفخم الجزل ، واللفظ المونق العذب ، ينساب رنينه فى روحه ، فيملأ النفس قوة ونشوة ، لا يزال يتردد صداها فى أعماق قلبه ، وكل ذلك من صميم العربية ولبابها ، ومعدنها ونجارها .

ما أجدر شباب العربية باستيعاب ديوان « الرصافى » قراءة ، والتوفر عليه

مبحثاً ودراسة ، فقد أتيحت لهم المواد الأولى من شعر الشاعر مطبوعة قريبة من عقولهم وأيديهم .

لقد عالج بعض الكتاب دراسة شعر « الرصافي » ؛ ولكننا لا نقنع بكتاب أو كتابين عن شاعر كبير مثله ، أشقى نفسه نحو نصف قرن في خدمة الأمة بعقله وشعره ، حتى خرج من هذه الدنيا لم يشيد داراً ، ولا بنى أسرة . فهو حقيق أن يشغل جيلاً من الباحثين والدارسين ، يكتبون سيرته مفصلة ، ويحللون شعره . وإن في كل باب من أبواب ديوانه لمجالاً لبحث واسع ، تكتب فيه الرسائل القصيرة ، بل الأسفار المطولة ، وتمنح عليه الجوائز ، بل الإجازات الدراسية العالية ؟

مصطفى السقا

المقاهرة في ٦ من ذي القعدة سنة ١٣٦٨
٣٠ من أغسطس سنة ١٩٤٩

مقدمة الطبعة الثانية

بقلم العلامة الأستاذ عبد القادر المغربي

أهديّ إلى الجزء الأول من ديوان شاعرنا الرصافي سنة ١٩١٠ م ، فكان مما قلته في تقييده :

« إنا إذا التمسنا لشعراء العصر المناضي عذراً في وقوف شعرهم عند الحد الذي رسمه لهم من سبقهم من الشعراء ، وانتحلنا من سنن العمران أسباباً لهذا الوقوف ، فلا ينبغي أن نعذر شعراءنا اليوم وقد تمهدت أمامهم العقاب ، وتيسرت الأسباب ، لرحضة الشعر العربي عن موقفه القديم ، والسير به في الطرق الجديدة التي سلكها شعراء الغرب ؛ فإن اللغة العربية نشطت من عقالها لهذه الآونة ، وألقت عنها أغلال الركافة ، وأثقال الصنعة ، التي بهظتها قروناً طويلة ، فأصبحت تساعد أدباءنا على ما يبتغونه منها ، من حسن التعبير ، وجمال الأسلوب ، والافتنان في الوصف .

هذا من جهة اللفظ . أما من جهة مقاصد الشعر التي تتطلبها حضارتنا الحديثة ، فإنها أيضاً تيسرت لنا ، بسبب اختلاطنا بأرباب هذه الحضارة ، ووقوفنا على شأنها ومقوماتها ، وتصفحنا أقوال كتابها وشعرائها ، فلا ينتظر منا بعد هذا إلا احتذاء مثالهم ، والنسج في الشعر العصري على منوالهم . وقد كان حظ الشعر العربي في مختلف الأقطار العربية ، على قدر حظ هذه الأقطار ، من اقتباس تلك الحضارة ، وارتقاء ملكة اللغة العربية في نفوس أهلها ، فكانت مصر في طليعة تلك الأقطار ؛ ومن ثم نبغ فيها شعراء أدركوا أن الشعر أرفع من أن يخدم كيس الغنى ، وحسن الثغر ؛ وأن الشعراء في الشعب بمنزلة الحداة في الركب : فهم يوجهون إلى الرقي تيار عزمته ، ويذكون في حب الإصلاح الاجتماعي نار حميته .

ولكن لم يكن يخطر ببالنا أن يقوم في بلاد العراق على تأخرها ، بالنسبة إلى

مصر ، شاعر يبدِّ النابغين ، ويتلقى رواية الشعر الاجتماعي باليمين ، أريد به السيد معروفًا الرصافي ؛ فقد تصفحت ديوانه تصفحاً يليق به ، وبمكانة صاحبه ، ثم ما أتيت على آخره ، لم أجد وصفاً ينطبق عليه ، أحسن مما قاله صاحبه فيه :

طابقتُ لفظي بالمعنى فطابقه خلوا من الخشو مملوءا من الدرر

إني لأنتزع المعنى الصحيح على عُمرى فأكسوه لفظاً قد من دُررٍ

هذا ما يقال في الديوان من حيث لفظه ومعانيه الجزئية ؛ أما مطالبه أو أغراضه الشعرية العليا ، فهي من أشرف الأغراض وأنبهها ، وأعلقها بمصلحة الأمة التي نشر هذا الديوان بين أبنائها ؛ فهو يصف الكائنات وأسرار الخليقة وصف العارف بها ، الملم بما قاله علماء الطبيعة من أمرها ؛ وإذا تكلم عن مساوينا الاجتماعية ، نحاف القول منحي المصلحين ، المتفطين لموضع الداء الدفين ؛ وهكذا إذا تكلم في نقد السياسة والأخلاق والآداب والعادات والتقاليد . وربما لم يقم إلى اليوم في بلادنا شاعر مثله ، أبدع القول في وصف حياتنا الحاضرة ومطالبها العليا إبداعه ، حتى صدق عليه ما قاله هو عن شعره :

وأجود الشعر ما يكسوه قائله بوشى ذا العصر لا الخالي من العصر

على أنه إذا شاركه في هذه الأغراض الشعرية الاجتماعية مشارك ، فإنه في وصف البؤس والبؤساء منقطع القرين ، وفي إثارة الشفقة عليهم لم يشبهه أحد من الشعراء المعروفين . ا هـ

هذا ما قلته في وصف شاعرنا الرصافي وشعره منذ أكثر من عشرين سنة ، وأنا اليوم بعد ما اطلعت على ديوانه هذا ، ما زلت على رأيي أمس ، وإذا كان هناك شيء أقوله من جديد ، فهو أن ملكة الشعر في الرصافي أراها قد بلغت حدّها من النمو والنضج ، فلم يعد الشعر بالنسبة إليه صنعة يتكلف لها ، ويجهد قريحته سعياً وراء استرضائها ، بل أصبحت صناعة النظم طبعاً طبعاً ، لا يلبث إذا استوحى أن يتفجر بالبيان ، وينثر على سامعيه النياقوت والمرجان ، على حد قوله :

وأرسلته عفواً فكان كما ترى قوافي تجتنب البلاد سراً
ويشبه أن يكون شاعرنا ملّ الحياة الشعرية وتكاليفها المنصبة . وسئم ممارسة
النظم ، وأن يأبه لقول الشعر ؛ فلماذا التكلف له وهذه ملكته مؤاتية : إذا هتف
بها لبت بما يراد منها ، وأوحت بمعجز من آياتها .

وليس هذا بدعا من حال الرصافي ؛ فإنه دأب الأفاذ من عباقره أهل الفن
والأدب ، والمقدمين في صناعات النظم والنثر ، فإنهم إذا امتد بهم الزمن في ممارسة
فنهم أو أدبهم ، سئموا التكلف له ، والتأنق فيه ، فإذا قالوا قولاً ، أو نظموا شعراً ،
أرسلوا طبعهم على سجيته ، فجاء النثر أو الشعر عفواً لا عناء معه ، وسيلا لا وعورة
فيه ، وجلياً لا غموض عليه .

ومما رواه صديقنا الأمير شكيب أرسلان عن أناتول فرانس ، أنه قال : « إني
في أول نشأتي كنت أنضح عرقاً حتى أبلغ الأسلوب العالي الفخم ؛ وأما الآن فإني
أفر منه فراراً » .

وهذا القول يذكرنا بالأمير شكيب نفسه ، إذ قد أصبح في نفرته من التكلف
للأسلوب الفخم ، وفراره منه ، كأننا طول فرانس ، ولم يعد يعباً من تزاين النثر
إلا بالبيان ؛ وهكذا شاعرنا « الرصافي » فإنه لم يعد يعباً من تزاين الشعر إلا بالبيان
أيضاً . فمن ثمّ وجب أن يُلقب بأمير البيان في الشعر ، كما لقب الأمير شكيب بأمير
البيان في النثر ؛ وكأنهما كليهما تواردا على العمل بوصية إمام نهضتنا الأدبية
« الشيخ محمد عبده » رحمه الله ، فقد قال :

« إن الكتاب والشعراء هم حملة مصابيح الهداية بين يدي أممهم ، فإذا بعدوا
عنها ، فلا حاجة لها بهم ولا بمصابيحهم » . وأراد بقوله : « بعدوا عنها » أن يكلموها
بأسلوب غامض ، مثقل بأوقار الصنعة ، وبعيد الاستعارات والكنائيات .

وكان رحمه الله يتأسف لكونه لا يقدر أن يكتب كتابة تتناولها جميع أفهام
القرّاء ، وكان يعد ذلك عجزاً ، ويقول : إنه يشعر من نفسه بالقدرة على النفع بالتعليم ،
أكثر من قدرته على النفع بالتأليف .

ولعل الذى حُب الرُّصافى وشعره إلى النشء العربى الجديد ، أنه يمشى بمصباح يئانه بين أيديهم ؛ فهو يقول ما يفهمون ، ويعبر بما يقول عما يحسون ويشعرون .

ونحن فى حالتنا الحاضرة المملوءة حيرة واضطراباً ، من الوجهتين السياسية والاجتماعية ، فى حاجة إلى زعماء يعرفون كيف يحدثون يقظة فى نفوس الجمهور ، ويتركون فيها من الاقتناع أثراً ينعماً . فالزعماء إذا لم يكونوا أدباء فى بيانهم ، وبلغ خطابهم ، لا يمكنهم أن ينقدوا أممهم من حيرتها ، ولا أن يستوقدوا نار الحمية فى نفوس ناشئتها ، إذ لم يعد الأدب اليوم كما كان قديماً : أدباً فياضاً بالصنعة ، براقاً بتزايين البديع ، مما لا يعجب إلا قائله ، ولا يطرب إلا صاحبه ، وإنما الأدب أصبح عاملاً من عوامل تكوين الأمم ، وإبلاغها رشدتها ، وإنالتها استقلالها .

والطريق الموصّل إلى هذا الاستقلال — يقولون — هو السياسة . نعم ، ولكن هناك سياسة هى أتم وأكمل فى هذا الإيصال ، أعنى بها سياسة الأدب والثقافة ، وهى « السياسة العليا » كما سماها الأستاذ « مكرم عبيد » فى خطابه فى القدس . وهذه السياسة « سياسة الأدب » لا تقي بالعرض ، ولا تنقذ الأمة من رتبة الجهل والاستعباد ، ما لم تكن ذات لغة تجمع بين الصحة فى اللفظ والأسلوب ، وبين الوضوح فى المعنى والمقصود ، بحيث يتأثر بها جمهور أبناء الأمة ، فتجمع كلمتهم ، وتوحد ميولهم ، وتوجه إلى المثل الأعلى عزائمهم .

وهذا ما نكاد نلمسه لمساً فى كل جانب من شعر الرصافى ؛ ولا يحتاج القارىء إلا أن يتصفح ديوانه ، فيرى الشواهد الكثيرة عليه .

هذه مزية البيان فى شعر الرصافى ، من الوجهة القومية . أما مزيته من الوجهة التعليمية ، فهى أيضاً من أكبر المزايا التى تجعل شعره مدرسة ممتازة بطابعها ، يتخرج عليها طلابنا فى صناعة الشعر والأدب ، وتحصيل ملكتها . فشعر الرصافى صالح للحفظ والاستظهار ، وذلك لسهولة ، وحسن ديباجته ، وصفاء عبارته ؛ فإن الطالب لا يلبث إذا تلا شعره أن يستشف معانيه من وراء ألفاظه ، كما تستشف درر الحصاء

من خلال صفاء الماء ؛ ومثل هذا الشعر هو الذى يغرى الشداة بحفظه ، وتكرير تلاوته ، واحتذاء مثاله ؛ فلا تغم ملكة الشعر أن تستحكم فى نفوسهم ، وتنبوا المكان الأرفع من سلاتهم . وأن حذائق الأساتذة والمعلمين يعلمون ذلك ، فلا يروون تلاميذهم إلا ما كان من هذا القبيل ؛ أما حملهم على كد أذهانهم فى حفظ المعقد من الشعر ، والغث من القول ، فهو مفسد للملكة ، مشوه للسليقة ، مضعف للاستعداد والقابلية .

والرصافى فى مزيتى السهولة ومنمة الديباجة ، شبيه بالبحترى ، فالكلمات فى أبياتها مختارة متقاة ، رُتبت بحسب ترتيب المعنى ، وفصلت على قدره ، فلا تقديم ولا تأخير ، ولا حشو ولا تعقيد ، ولا استعارات بعيدة ، ولا كنيات غامضة ؛ ولو عمدت إلى كثير من قصائدها ، وحاولت تحويلها إلى مقال من النثر ، لأمكنك ، وانقادات طائفة مختارة . وقد تتلى عليك القصيدة من شعر الرصافى ، فلا تدرى — وأنت تسمعها — إن كنت تسمع نظماً منشوراً ، أو نثراً موزوناً ، كما قال هو نفسه يصف شعره :

وأرسلته نظماً يروق أنسجامه فيحسبه المصغى لإنشاده نثراً

ومثله قوله :

فإني ما أطلعتُ شمسَ حقيقةٍ لمستمع إلا لتغرُب في السمع
ولست أبالي بعد إفهام سامعي أكان بخفض اللفظ ما قلت أم رافع

خذ مثلاً على ذلك قصائده : « من أين من أين يا ابتدأى ؟ » ، و « الحياة الاجتماعية والتعاون » ، « والمدارس ونهجها » ، وغيرها . وكما أشبه الرصافى بالبحترى فى هذا ، فكانا شاعرى ألفاظ ، وناشرى ديباج ، أشبه أبا الطيب المتنبي ، فكان معه شاعر معان ، وحكيم حجة وبرهان ؛ فهو فى كثير فى مواقفه يستخرج المعانى لدقيقة ، ويعبر عنها بألفاظ جزلة ، وأسلوب فخم ، ويضم من شعره الأمثال والحكم ،

والتلاميذ إلى قضايا العلم والفلسفة والتاريخ . وكثيراً ما سلك طريق التهويل والغلو في الوصف ، حتى ليخيل إليك أنه المتنبي ، لولا كلمات أو تعابير تجدها أحياناً في شعره ، تنبهك إلى أنك إنما تقرأ شعراً للمعاصرين ؛ وهذا كقوله :

لعمرك إن الحرَّ لا يتقيَّدُ	ألا قليقل ما شاء فيَّ المَفنَّدُ
إذا أنا قصدت القصيد فليس لي	به غير تبيان الحقيقة مقصدُ
نشدت بشعري مطلباً عزَّ نيله	وإن هان عند الشعر ما كنت أنشدُ
فلنجم بعدُ دون ما أنا ناشد	ولدرَّ قدر دون ما أنا منشد
وكم جنبنتي عزة النفس منهلًا	يطيب به لكن مع الذُّل مَوردُ
وما أنا إلا شاعرٌ ذو لبانة	أنوح بها حيناً وحيناً أغرَّدُ
ولي بين شذقي الهريتين صارمٌ	يسل على الأيام طوراً ويُغمدُ
ولا عجب أن عابني الشاعر الذي	يقول سخيف الشعر وهو مقلدُ
فإن ابن بُرد وهو أكبر شاعر	تنقصه في الشعر حمادٌ عَجَرْدُ
تعودتُ تصرُّحي بكل حقيقة	والمرء من دنياه ما يتعودُ

فقوله « تبيان الحقيقة » و « تصرُّحي بكل حقيقة » و « وهو مقلد » : تعابير لولاها لحسبنا قائل الشعر منبئ القرن الرابع ، لا الرابع عشر .

وقد نظم الرصافي في أغراض الشعر المختلفة : كالمَدح ، والفخر ، والغزل ، والثناء ، والمجاء ، والعتاب ؛ لكنه في نظامه فيها كن مجرى على مثال سابق ، وبرنامج متكرر ، فلم يكن له فيها الفضل الذي له في أغراض أخرى من الشعر لم يعرفها الأقدمون ، ولم يجوِّد أو لم يكثُر منها المعاصرون ؛ وهذا بشعره الذي ضمنه إشارات إلى ما تقرر في العلوم الاجتماعية ، والعلوم العصرية ، والاختراعات الحديثة ، فقصائده « تجاه الالهامية » ، و « من أين من أين » ، و « نحن على منطاد » ، و « الأرض » ، و « ألكنى يا ضياء » ، و « معترك الحياة » ، وغيرها ، ولو حولت إلى نثر لكانت من خير المقالات التي وصفت بها الكائنات وصفاً منطبقاً على آخر نظريات العلم

الحديث ؛ ففيها بيان أو شرح لوحدة المادة ، والجاذبية . والأثير ، والكهربية ، وأشعة رنتجن ، وآراء « دارون » في النشوء ، ومذهب « ديكارت » في التوصل إلى اليقين بالشك ، ومبادئ الاشتراكيين ؛ في أن تكون للعامل حصة من إنتاجه .

تركوا السعى والتكسب في الدنيا وعاشوا على الرعية عالة
ياكلون اللباب من كد قوم أعوزتهم سخينة من نخاله
يتجلى النعيم فيهم فتبكي أعين السعى من نعيم البطالة
ليس هذا في مذهب الاشتراكية إلا من الأمور المحالة

وقصيدة « المطلقة » ليست سوى مقال في الإصلاح الإسلامي ، فهو بعد أن وصفها وصفا حزينا ، عاد فاستبشع الطلاق عن غير قصد إيقاعه ، أو إيقاعه ثلاثاً بلفظ واحد ، وعاب الجمود في الفقه ، وترجم على ابن القيم وشيخه ابن تيمية المصلحين العظمين .

والشواهد على شعره الاجتماعي لا تكاد تحصر ، فمنها قوله :

لئن وادوا البنات فقد قبرنا جميع نساءنا قبل الممات
وقوله : ولم يصلح فساد الناس إلا بمال من مكاسبهم مشاع
وقوله : فنحن أناس لم نزل في بطلاة كأننا يهود ، كل أيامنا سبت
وقوله في الشرقيين ونسائهم :

ألم ترهم أمسوا عبيداً لأنهم على النمل شبوا في حجور إماء
وهان عليهم حين هانت نساؤهم تحمل جور الساسة الغرباء

ويصعب تتبع الشواهد لكثرتها ، وإنما نحيل القارئ على « الاجتماعيات والنسائيات » من الديوان ، ففيها بلاغ . في كل هذه الفنون العصرية والاجتماعية نظم وأكثر وأبدع ، وقد وفق أحسن توفيق في جمعه بين الأسلوبين ، وإجادته في التعبيرين : التعبير اللغوي الفصيح ، والتعبير العامي الصريح .

ومما امتاز به وصفه لما يقع تحت نظره من مشاهد الوجود ، على اختلاف أنواعها ،

فهو يتتبع جزئياتها ، ويستقصى دقائقها ، حتى تكاد تلهسها لمسا ، وتحسبها ماثلة أمامك عيانا وحسا ؛ من ذلك قصائده في وصف « غروب الشمس » ، و « راقصة للنهي » ، و « القاطرة والقطار » ، و « كرة القدم » و « حرائق الآستانة » . أما قصيدته في الأتوموبيل — وقد وضع له لفظ « تومبيل » — فلم تدلّ على دقة الوصف فقط ، بل تدل أيضا على تمكنه من اللغة العربية ، وحذقه في استعمال فصها وشواردها ، مما يذكرنا بأبي العلاء المعريّ وحذقه في ذلك ، على أن لقصيدة « التومبيل » دلالة ثانية على اتساع لغة العرب ، وصلاحيه أساليبها وكلماتها لوصف المخترعات الحديثة ، وطواعيتها في تقرير مسائل الفنون العصرية ، إذا أجيد استعمالها بإجادة الأستاذ الرصافي لها .

ولم نذكر في مزايا الرصافي متانة قوافيه ، لظهور ذلك واشتহার أمره ، وأشد ما تتجلى براعته حينما تبني القوافي على نواذر الصيغ والحروف ، أمثال « جلوازه ، وعكازة » و « الفراديسا ، والطواويسا » ، و « المذملك ، والمترهوك » ، و « متلصص ، ويتبصبص » ، و « أبواز ، وهزهاز » ، و « ثلطوا ، ويسترط » ، و « مأزوزا ، وتهويزا » .

وقد استباح لنفسه أن يرى من الآراء ، ويصف في شعره من الشئون والمنازع ؛ مالا تهواه السياسة ؛ أو لا يرضى رجال الدين عنه ؛ أو لم يعتد الناس سماع مثله ؛ ولم ينشر من هذا في ديوانه شيء ؛ أو نشر النزر القليل منه ؛ وكان هو بمعنى لو ينشر كله ؛ ويحتجّ لنفسه في نظمه ؛ ولزوم نشره ، بأنه أمر واقع ؛ وحقيقة ثابتة ، وهل السكوت عنه ؛ والاستحياء من ذكره ؛ إلا وهن في النفس ؛ ونخادة للجمهور ، وطمس للحقيقة ؟ وهذا ما عناه في قصيدته التي عنوانها « حرية الفكر » :

وَجَرَدْتُ شَعْرِي مِنْ ثِيَابِ رِيَايَةٍ فَلَمْ أَكْسِه إِلَّا مَعَانِيهِ انْعَرَا
أَضْمَنَهُ مَعْنَى الْحَقِيقَةِ عَارِيَا فَيَحْسِبُهُ جِهَالَهَا مَنْطَقِيَا هَجَرَا
وَيَحْمِلُهُ الْغَاوِي عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ فَيُوسَعُنِي شَتَا ؛ وَيَنْظُرُنِي شَرَا

رؤيدك ؛ إن الكفر ما أنت قائل وإن صريح العرف ما خلته نكرا
 هل الكفر إلا أن ترى الحق ظاهراً فتضرب للأنظار من دونه سترا
 إذا كان في عري الجسوم قباحة فأحسن شيء في الحقيقة أن تعري
 غير أن له في الصفحة (١٨٧) قولاً جريئاً لا نواقه عليه ؛ وكنا نتمنى لو جرد
 ديوانه منه . وكما وجد مؤرخو الآداب العربية في شعر « أبي نواس » و « المعري »
 و « الخيام » ما يدعو إلى حسن الظن بهم ؛ فإنني كذلك وجدت في شعر الرُّصافي
 ما يثلج له القلب ؛ ويخفف من حدة العتب ؛ من ذلك قوله في تنزيه الباري :

وغاية جهدي أنني قد علمته حكيماً تعالى عن ركوب المظالم
 وقوله : لعمرك ما هذى الحياة وما الذي يراد بنا فيها من الخير والشر ؟
 على أننا نمضي إلى أمر ربنا كما أننا آتون من ذلك الأمر
 وقوله : اقرأ كتاب الكون تلق بمنته آيات ربك فصلت تفصيلاً
 سبحان من جعل العوالم أنجماً يسبحن عَرْضاً في الأثير وطولاً !
 وقوله : رماني القوم بالإلحاد جهلاً وقالوا عنده شك مريب
 فمن ذا منكم قد شق قلبي وهل كشفت لكم في الغيوب
 فعند الله لي معكم وقوف إذا بلغت حناجرها القلوب
 يقيني شر فريتكم يقيني بأن الله مطلع رقيب

وفي قصيدة « حرية الفكر » و « سياسة لا حماس » و « تنبيه النيام » و « إلى
 الأمة العربية » وغيرها نبرات حادة . ونعرات صاخبة . أثار فيها حفاظ شبان الوطن ،
 وشدّد من عزائمهم في سبيل الذود عن حرية أوطانهم . وألا ينخدعوا بأحاييل
 السياسة التي تلقى أمامهم . ولا يبذروا المواعيد التي تنشر حوالهم . وفي قصيدة
 « ما هكذا » وفي « ليلة نابغية » نقد لاذع لمن اعتقد أنهم أساءوا إلى وطنهم . وقد
 قال في قصيدته التي جعل عنوانها « تنبيه النيام » :

عجبتُ لقوم يخضعون لدولة يسوسهم بالموبقات عميـدا

وأعجب من ذا أنهم يرهّبونها وأموالها منهم ومنهم جنودها
ومعنى هذين البيتين مأخوذ من بيتين للسيد توفيق البكري .
والرصافي عدة أبيات توارد فيها أو أخذ معانيها من غيره من الشعراء . والتوارد
والأخذ فيها ظاهر ، حتى كأنه اقتباس لا أخذ ؛ من ذلك قوله :

فمتاع الحياة أصغر من أن يستقرّ القلوب بالأقداد
وهذا من قول المتنبي :

ومراد النفوس أصغر من أن تتعادي فيه وأن تتفاني
ومثله قوله .

وهل أنا إلا من أولئك إن مشوا كمشيت وإن يقعد أولئك أقعد
وهو من قول دريد بن الصمة .

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

ويشبه أن يكون شاعرنا « الرصافي » أحب أن يقتبس بيتي المتنبي ودريد ،
ويدخلهما في شعره ، فاقتبسهما على هذا الوجه ، وهو ضرب من الاقتباس طريف .

ومن لطيف قول « معروف » ما خاطب به « صلاح الدين الأيوبي » يستنهضه
من قبره ، ليرى ما فعله الجنرال اللنبي في بيت المقدس :

حنانك يا قبر ابن أيوب فانصدع لينهض ثاوي مطاويك مفضال
إليك صلاح الدين نشكو مصيبة أصيب بها قلب العلي فهو مغتال

ويشبه هذا ما قال أديب الترك « نامق كمال » في بيتيه اللذين خاطب بهما قبر
السلطان عثمان في « بروسه » ، ثم نفى من أجلهما ، وهما :

أويان أوتق أويان أي حضرت عثمان ذي همت

أوياندر كورنه حاله كيردى تأسيس اتديكك دولت

يتش إمدادينه بي كس قالان أرباب إيمانك

يتش كه سرنكون أويدي لراي نصرت ملت

ومهما تجنب الرصافي الصنعة البديعية ومحسناتها في شعره ، فقد وقع له منها الكثير المستملح ، الذي جاء عفواً في غير تكلف ، وطوعاً من دون استكراه .

من ذلك قوله :

ليوثٌ إذا ما عبست في ملمة تبسمت الدنيا تبسمَ ناصرٍ
وقوله : ولم تأخذوا للأمر يوماً عتاده فجاءت أمور ساء فيكم عتيدها
وقوله في فتك الأيام بالناس :

ولو لم تنو حرباً ما تبدى بها شكل الأهلة خنجرياً
وقوله : أيها المولون في مصر مهلاً إنَّ إيلاكم لنا إيلام
وقوله : يقينى شر فريتكم يقينى بأن الله مطلع رقيب

وقوله من قصيدة في الحضر على التبرع المصابين بإحدى حرائق الآستانة مقتبساً :
ياقومُ هذى سبيل العرف واضحةً فليمضِ فيها بكم وخدٌ وإرقال
ومن تلك الحال فيها لا تساعدهُ «فليسعد النطق إن لم تسعد الحال»
أما رأيه الخاص فهو تجنب أنواع البديع ما أمكن ، والعناية بأن يكون الشعر سلساً مفهوماً ، ولذا تسمعه يقول :

لست بالشاعر الذى يرسل اللفظ جزافاً لكي يصيب جناسه
أنا لا أبتغي من اللفظ إلا ما جرى في سهولة وسلاسه
إنما غايى من الشعر معنى واضحٌ يأمن اللبيب التباسه
وله في خلال أبياته نكت مثورة : وملح مأثورة ؛ من ذلك قوله :

أما والله لو كنا قروداً لما رضى بحالنا القروء
وقوله : حتى رجال الصين تحترمُ النساء أفنحن ننقص عن رجال الصين
وقوله : كم نشربُ الظن فلا نرتوى ونأكل الخدس فلا نشبع
وقوله يخاطب الكائنات العاوية :

وقالوا الأرض بنتك غير ممين فهل أبناء بنتك يصدّقونا

وقوله : وكم مدعٍ فضل التمدن ما له من الفضل إلا أكله بالملاعق
وقوله : وتكره نفسي كل عبدٍ مذلل فقد كرهت حتى الطريق المعبدا
وقوله في أن شربه لتبغ ضارٌ كسرب الآخرين للخمر :

إني لأمتصُّ جمرًا نفَّ في ورقٍ إذ يشربون لهيبا ملء كاساتٍ
وقوله : أمرٌ فتَنظرُ الأبصارُ شُررا إلى كأنما قد مرَّ ذيب
وقونه : وأتركُ ما قد تشبهى النفسُ نيله لما تشبهه قلةٌ في دراھى
وقونه في الذين ارتقوا في الحضارة ، وتركوا في الحضيض :

وعلوا بحيثُ إذا شَخَصنا نحوهم من تحتهم ضحكوا علينا من علٍ
وقوله في رهبة الناس من السلطة القاهرة :

تنحو بنا طرُق البوار تحيفا وتسومنا سوء العذاب الأهول
هذا ونحن مجدِّلون تجاهها كالنَّار مرتعدا تجاه الخيطل
وقوله : دَعِ الأناسيَّ وانسبني لغيرهم إن شئتَ للنَّاء أو إن شئتَ للبقرِ
فإن في البشر الراقى بخلقته من قد أرقت به أنى من البشر
وقوله في وصف أهل هذا الزمان :

لا يغضبون لأمرٍ عم باطله كأنهم غير مخلوقين من عصبٍ
وليس تندى من النكراء أوجهم كأنما القوم منجورون من خشبٍ
وقوله : فأكثرُ القوم من ذلٍّ ومسكنة تلقى الذبابَ على آناهم يسم
وقوله في خوف اليونانيين من مصطفى كمال :

إذا ذكروا سمالك ولو مناما تحاموا ذكره بسوى التهجى
وسمالك : أى اسمك :

أما استخراجُه للمعاني الدقيقة ، والمعاني المبتكرة ، فقد فاز منها بسهم وافٍ ،
وخرج من ميدانها بجدٍ عاثر ، وقد أشار إلى ذلك بقوله :

لا يحسن الشعر إلا وهو مبتكر وأى حسن لشعر غير مبتكر ؟
وبقوله يصف شاعريته :

على أن لي طبعاً لبيقاً يوشيه نزوعاً إلى أبكاره دون عونهِ
ويوشك أن تكون قصيدته «العالم شعر» بجمالتها من قبيل الإبداع والابتكار ،
لما تضمنته من جمال الأسلوب ، وحسن التنسيق ، والتفنن في إيراد الأغراض .

ومعظم معانيه المبتكرة تجدها في وصفه الحياة الكونية ، وكرورها عوداً على
بده : انتهاء ثم ابتداء ، اندثار ثم بناء ، وفي وصفه العوالم العلوية ، وهدوء الليل ،
وراحة الموت ، والفرور والكبر ، والبؤس والشقاء ؛ واقراً إذا شئت « المطلقة »
و «أم اليتيم» ، و «اليتيم في العيد» وغيرها ، تجد أمثلة لما ذكرنا . ويشبه أن يكون
من معانيه المبتكرة ، قوله في أن الموت شفاء من آلام الحياة :

إنما هذه الحياة جروح^ه أئخنتنا والموت مثل الضماد
وقوله : تنظمنا الأيام شعراً وإنما تردُّ المنايا ما نظمنا إلى شر
وقوله : إن يكن أحمد الردى منه في القبر حساماً فذكره مسلول
وقوله : والليب الذي تعلم إتياناً ن المعالي من خسة الأوغاد
وقوله : حدود^ه جرى ماء الشبية فوقها ففيه عقول الناظرين من الغرقى
وقوله : قد يحسب الإنسان آماله والموت مصغ نحوه يسمع

وهذا يذكر بقول الحماسي : « والموت خزيان ينظر » .

وقوله . ونحن كالماء جرى نابعا لـكن علينا خفي المنبع^ه
وهذا يذكر بقول أحد شعراء الفرس : «العالم ككتاب مخروم الأول والآخر» .

وقوله : لعمرك إن الدهر تغلى خطوبه^ه وإن عويل الصارخين نشيش
وقوله : كم كذب الدهر في فعائله وسؤدد الجاهلين من كذبه
وقوله في مخادعة الدهر :

كان^ه ليالى الدهر غضبي على الورى فتنظر^ه شزراً بالنجوم الشوارى

ولو لم يجئنا كل يوم مواربا لما كان فجره كاذباً قبل صادق
وقوله : وهو من ملحه :

يا قومُ قد هـرَمَ الزمانُ من التمدادِ في انقلابه
فلذلك عند الهاجرا تيسيل شيء من لعبه
وقوله : وحب الذي عاداك إن رمت قتله فإني رأيت الحب أقتل للعدا

وقوله في الفنون الجميلة وإسعادها الحياة :

إن الذي جعل الحياة رواعداً جعل « الفنون » من الحياة بروقا
وقوله في إسعاد العلم للبشر :
ألغز الدهر في الحقائق لكن أفهم العلم أهله ألغازه
وقوله في رثاء شيخه الألوسي :

أما العراق فأمسى الرفدان به سطرين للدمع في خديه قد سالا
وقوله في أنين « أم اليتيم » :
أرى فحمة الظلماء عند أنينها فاعجب منها كيف لم تتضرم
وقوله في وصف سجن بغداد :

وقد عميت منه النوافذ والكوى
وقوله : أرى أنف الحوادث مشمخراً
ويوشك أن يمزق منخريه
وقوله : وإن فتى الدهر من يدعى
وقوله : وإني لأبصر في بيروت قاتبة
وقوله يصف تراكم الكروب عليه :

يقل كروباً بعضها فوق بعضها إذا ما رعى كراباً رأى تحته كراباً
وليس هذا في الحسن بأدنى من قول أبي الطيب :
« فصرت إذا أصابتنى سهام تكسرت النصال على النصال »

وقال في وصف الظلام وشدة :
تمضى على الآكام منه بغيه
تكاثف حتى خلته قد تحجرا
وكاد دُجَاهُ يمكنُ الكف منه
فلو سار سار في دُجَاهُ تعثرا
وقوله في من يخالف قوله عمله ، يقول الحق ويفعل الباطل :
رجلٌ قد تنكب الحق قوساً
ومن البُطل ظلٌّ يرمى سهاماً

وقوله في المتعلم الذي لا يخصص به ، لـ يشارك في كل علم :

هبهُ أبدى من العلوم نجوماً
في ليالٍ من المشا كل دُهم
أو ليس البدر التمام وإن كا
ن وحيداً يربو على ألف نجم
وقوله في امرأة مجلبة بالسواد حزناً :

«فكانت لها سود الجلايب حلية»
ولا عجب أن الدُّجَى من حلي البدر
كأن تلاميح الأسي في جبينها
بقايا ظلام الليل في غرة الفجر

والرصافي طائفة من القصائد ضمنها قصصاً ، يخيل إلى سامعها أنها واقعية
لاخيالية ، كقصيدة « النمر والسقام » ، و « المطلقة » ، و « اليتيم في العيد » ، وغيرها .
وأدباؤنا المواعون بالتجديد يترقبون إحداث « القصة » في النثر ، وهذا الرصافي
قد سبق ، فأحدثها في الشعر منذ أكثر من عشرين سنة .

على أن قصص « الرصافي » هذه ليست مما ينطبق عليه اسم « الشعر القصصي » ،
كإلياذة هوميروس ، وشاهنامة الفردوسي ، إذ أنهم اشترطوا فيه أن يكون قصيدة
مقصدة ، لا تقل أبياتها عن بضعة آلاف بيت ؛ وأن يستقن فيها بسرد أساطير الأئمة
في فجر حياتها ، ووصف حروبها ، وبطولة أبطالها ، ممزوجا كل ذلك بأخبار ألفتها .
ويقال بالاختصار : إنهم اشترطوا أن يكون « الشعر القصصي » مضروباً على غرار
إلياذة « هوميروس » المشهورة .

فاذا كان هذا الشرط صحيحاً ، فليس في شعر الرصافي ولا في شعر غيره من
شعرائنا الأقدمين والحديثين ، إلياذة ، أو « ملحمة » من هذا النوع .

وإذا كان شاعر مصر الكبير « أحمد شوقي بك » عمل على سدّ ثُلمة في أدبه القوميّ ، بوضعه الروايات الشعرية المسرحية ، فجدير بشاعر العراق الكبير « معروف الرصافي » أن يسد ثُلمةً أخرى ، فيضع ملحمةً عربية في عشرة آلاف بيت أو أكثر : يصف لنا فيها أساطير العرب ، وحروبهم ، وشجاعة أبطالهم ، وأخبار آلهتهم ، كالثلاث والعزّي ، ومناة الثالثة الأخرى ، من أقدم تاريخهم الخرافي في الجاهلية ، إلى صدر تاريخهم في الإسلام .

وإن للرصافيّ من قصة « عنتره » ، و « بني هلال » ، وفتوح الشام المنسوبة للواقديّ ، وغيرها من القصص ، مادة غزيرة ، تساعد على عمله : إذ أن فيها أخيلة واسعة ، ومفاجآت مذهشة ، ومبالغات عجيبة . وإذا أراد جلاله « فيصل الأول » ملك العراق ، أن يجعل الرصافيّ يفرغ لهذا العمل ، ويكون لجلالته الفضل الأكبر فيه — إذا أراد لجلالته ذلك فعل ، إن شاء الله .

ومما يساعد الرصافيّ على الإجادة في إلياذة العرب الجديدة ، ما أوتي من سهولة شعر ، وانقياد طبع ، وسعة خيال ، ومواتاة قريحة في نظم القصص ، وسلامة ذوق في اختيار كلمات اللغة ، والتأليف بين ما كان منها متلائم الجرس ، متناسب « الموسيقى » . وسهولة الألفاظ وموسيقيتها ، ينبغي أن تكونا أول ما يشترط في « الملحمة » ، لأنها يتغنى بها ، وينشد لها للاطراب أبناء الشعب ، على اختلاف طبقاتهم . ملحمة مثل هذه تكون من أكبر العوامل في إنعاش ما خُل من ذكر العرب ، وخذ من نار حميتهم ، ووهن من منة عزيمتهم ، وإن قصيدة « أبو دلّامة والمستقبل » ربما كانت نموذجاً حسناً لإجادة شاعرنا « معروف » في ما ينبغي منه ، ومن نظم إلياذة عربية . فليراجعها القارئ ص (٣٦٨) من هذا الديوان .

وقد رأينا للرصافيّ تعابير لم نسمعها لغيره ، من ذلك قوله . « وغى العيش » ، والغوى . جلبة الحرب ، فجعل للعيش والزحام على الحياة وغى ، يكثر فيها الصخب

والجليلة . وقوله « خنا الطبع » وأصل الخنا : الفحش في القول ، وخنا الدهر : نوائبه ، وذلك مذ قال :

وكم رام إسكاني أناس أبي لهم خنا الطبع إلا أن يروا إلى حسدا
وقوله : (هزّة سرورية) وقوله (بقظة نهوضية) سببه إلى النهوض ، مذ قال :
أرى - بعد نوم طال في الشرق يقظة نهوضية فيها طموح إلى المجد
وله غير ذلك من التعابير الحديثة المقبولة . كما أن له تعابير أخرى فيها لين ،
ومسحة من ابتذال ، بسبب ترددها على الأفواه ، ودورانها في لغة التخاطب ، وإن
كانت في أصلها فصيحة لفظاً ومعنى . من ذلك قوله :

إلى كم نطل لأغراضنا نعارض من دون أدنى سبب
وقوله في أبيات أخرى « يستوجبون احتراماً » و « استوجب العطف » « ناخفين
في الشبابة » « عيش بسيط » « جهولا يتعففص » « ولو من أجلها ضربت عنقي » .

وقوله : لم أدر والآثار منه كثيرة في الغرب لم نزلت وقلت عندنا ؟
وقوله : أنا أبكى عليه من جهة العالم وأغضى عن خوضه في السياسة
قد أبت هذه السياسة إلا أن تكون الغشاشة الدساسة
ما تعاطى غير الخداع « غلادستون » فيها كلا ولا « دلکاسه »
لو أردنا إفاضة في هجائها لكتبنا لكم به كراسه
وقوله : قد يكنه مدارس عامرات هو فيها المدرس المسئول
نما قد ذكرت بعض مزايا ه وإلا فشرحهم يطول
وقوله : إذا ما دَمَمنا الدهر يوماً وأهله فإنك من تلك المذمات مستثنى

ويوشك أن تكون قصيدة « يا محب الشرق » التي خاطب بها المستر (كراين)
كلها من هذا القبيل ، في النعومة ولين الأسلوب .

أما مواضع المؤاخنة في شعر شاعرنا فقليلة جداً . ولقد كدت ذهني لأجمع
منها شيئاً ، فلم يقع لي إلا التليل .

فَالْغَامِضُ مِنْ أَيْبَاتِ شَعْرِهِ قَدْ يَكُونُ بِقَدْرِ الْوَاضِحِ فِي شَعْرٍ كَثِيرٍ مِنْ شَعْرَانَا
الْمَشْهُورِينَ .

وَقَدْ يَكُونُ الْغَمُوضُ فِي شَعْرِهِ نَاشِئًا مِنْ كَلِمَةٍ اسْتَعْمَلَهَا فِي غَيْرِ الْمَأْلُوفِ مِنْ مَعْنَاهَا
مِثْلَ قَوْلِهِ :

وَقَدْ يَفْتَرِي الْمَالُ الْفَضَائِلَ لِلوَرَى وَلَيْسَ لَهُمْ مِمَّا افْتَرَاهُ نَصِيبٌ
أَيُّ أَنْ الْمَالُ يَحْدُثُ لِبَعْضِ النَّاسِ فَضَائِلَ وَمَنَاقِبَ ، مَعَ أَنَّهُمْ عَرَاةٌ مِنْهَا ، فَأَرَادَ
بِيفْتَرَى : يَحْدُثُ وَيُوجِدُ . وَالْمَشْهُورُ فِيهِ اسْتِعْمَالُهُ بِمَعْنَى الْاِخْتِلَاقِ وَالْكَذِبِ فِي الْقَوْلِ .
وَمِثْلُ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ « فَتَاةٌ رَاعٌ نَضَرَتْهَا الشُّحُوبُ » أَوَادٌ بَرَاعٌ . شَوْهٌ ،
وَالْمَشْهُورُ الْمُتَبَادَرُ مِنْ مَعْنَى (رَاعَ) غَيْرُ هَذَا .

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ .

جَلَّتِ الطَّبِيعَةُ فِي رَبَاهُ بِدَائِعَا تَكْسُو الْكِبُولَ غَضَاضَةَ الشَّبَانِ
أَرَادَ بِالْغَضَاضَةِ . النُّضَارَةَ وَالطَّرَاوَةَ ، يُقَالُ . نَبَاتٌ غَضٌّ ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ
بِمَا تَسْتَعْمَلُ كَلِمَةُ « الْغَضَاضَةِ » فِي مَعْنَى الذَّلَّةِ وَالْمُنْقِضَةِ ، لِحَقَّتِهِ غَضَاضَةٌ ، وَهَذَا الْأَمْرُ
عَلَيْهِ فِيهِ غَضَاضَةٌ .

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ .

أَيُّهَا الْأَرْضُ سِرَّتْ سِيرُكَ مَشْنَى ذَا نِتَاجِينَ فِي زَمَانٍ أَحَادٍ
إِنَّمَا يَكْثُرُ فِي اسْتِعْمَالِ « مَشْنَى ، وَأَحَادٍ » وَأَخَوَاتُهَا ، أَنْ يُقَالُ . جَاءُوا مَشْنَى ،
وَأَحَادٌ أَيْ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ ، وَوَاحِدًا وَاحِدًا ، وَيُظْهِرُ أَنَّ كَلِمَةَ « أَحَادٍ » غَيْرُ مُوَفِّقَةٍ فِي شَعْرِ
كِبَارِ شَعْرَانَا ، أَلَيْسَ الْمُتَنَبِّيُّ يَقُولُ .

« أَحَادٌ أَمْ سِدَاسٌ فِي أَحَادٍ لِيَلْتَمِزَا الْمَنْوُطَةُ بِالتَّنَادِ »

وَمِنْ مَوَاضِعِ الْمَرَاجِعَةِ فِي شَعْرِ الرَّصَافِيِّ قَوْلُهُ عَلَى لِسَانِ (فَاطِمَةُ) لِمَنْ يَحْنَزُّ أَخَاهَا
الْفَقِيرَ ، فِي قَصِيدَةِ (الْفَقْرِ وَالسَّقَامِ) .

أيها الواقفون لا تَهْمَلُوهُ دُونَكُمْ أَدْمَعِي بِهَا غَسْلُوهُ
ثُمَّ بِالثُّوبِ ضَافِيًا كَفْنُوهُ وَادْفِنُوهُ لَكِنْ بَقَلْبِي ادْفِنُوهُ
لَا تَوَارَوْا جَبِينَهُ بِالتُّرَابِ

فقوله «ثُمَّ بِالثُّوبِ» أليس صوابه «بِالشَّعْرِ» ، ونعني به شعرها .
وقوله في قصيدة «تنبيه النيام» :

إِذَا جَاهِلٌ مِنْكُمْ مَشَى نَحْوَ سُحْبَةٍ مَشَى غَيْرُكُمْ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ يُرِيدُهَا
كَأَنَّكُمْ الْمَعْرَى تَهَاوِينَ عِنْدَ مَا نَزَا فَنَزَتْ فَوْقَ الْجِبَالِ عَتُودُهَا

أليست «الجبال» سبق قلم ، وصوابه «الدَّحَال» جمع «دَحَل» وهو كما قال
الأصمعيّ . «هُوَ تَكُونُ فِي الْأَرْضِ ، وَفِي أَسْفَلِ الْأُودِيَةِ فِيهَا ضَيْقٌ ثُمَّ يَتَسَعُ» .
فالعُتُودُ . أي الجدى إذا في الدَّحَل تَهَاوَتْ ورائه المعزى ، فهلكت . ويضرب
الفرنسيون المثل بخروف «بانورج Panurge» ، وهو بطل إحدى روايات الكاتب
الفرنسي «رابله» (Rabelais) ، فإن «بانورج» هذا كان في سفينة مع راعي غنم ،
فلم يبعه خروفاً إلا بثمن عظيم ، فاشتراه بعد مساومة عنيفة ، وأراد الانتقام منه ،
فقذف خروفه الذى اشتراه من الراعى في البحر ، فتهافت ورائه خرفان الراعى
المسكين ، فهلكت كلها .

وهذه الكلمات وأمثالها في ديوان الرصافى من تحريف الطبع في غالب الظن ،
كمثل قواه «نقاب الحسن» وهو يصف المطلقة الحزينة :

وَقَدْ خَلَبَ الْعُقُولَ لَهَا جَبِينٌ تَلُوحُ عَلَى أَسْرَتِهِ الذُّكُوبُ
أَلَا إِنْ الْجَمَالَ إِذَا عَلَاهُ «نَقَابُ الْحَسَنِ» مَنْظَرُهُ عَجِيبٌ

فإنها محرفة عن «نقاب الحزن» كما هي كذلك في الطبعة الأولى من الديوان .
ومع أن الرصافى لا يتخرج من استعمال الكلمات المولدة والمعربة ، فإنك تراها
مليلة جداً في شعره ، من ذلك كلمة «احتار ، يختار» فإنه استعملها ، وهى غير قاموسية
ى لم تذكر في القواميس .

ومثلها كلمة « الفنان » بمعنى البارِع في أحد الفنون ، كالنحت والتصوير
والتمثيل ؛ وهى فى اللغة بمعنى حمار الوحش ، الذى يعدو فنونا ، أى ضرو بامن العدو،
واستعملها إخواننا المصريون فى معنى البارِع فى الفن . وإن من يتسامح فى استعمال
أمثال هذه الكلمات . يعيبه (المحافظون) . ويتهمون به بإفساد اللغة . وإحياء التقييد .
وإماتة الفصيح .

ولا يصح أن يُستعمل الرصافى بمثل هذه التهمة . فإن الدخيل فى شعره قليل جداً
كما ذكرنا . بينا الفصيح أو الغريب كثير .

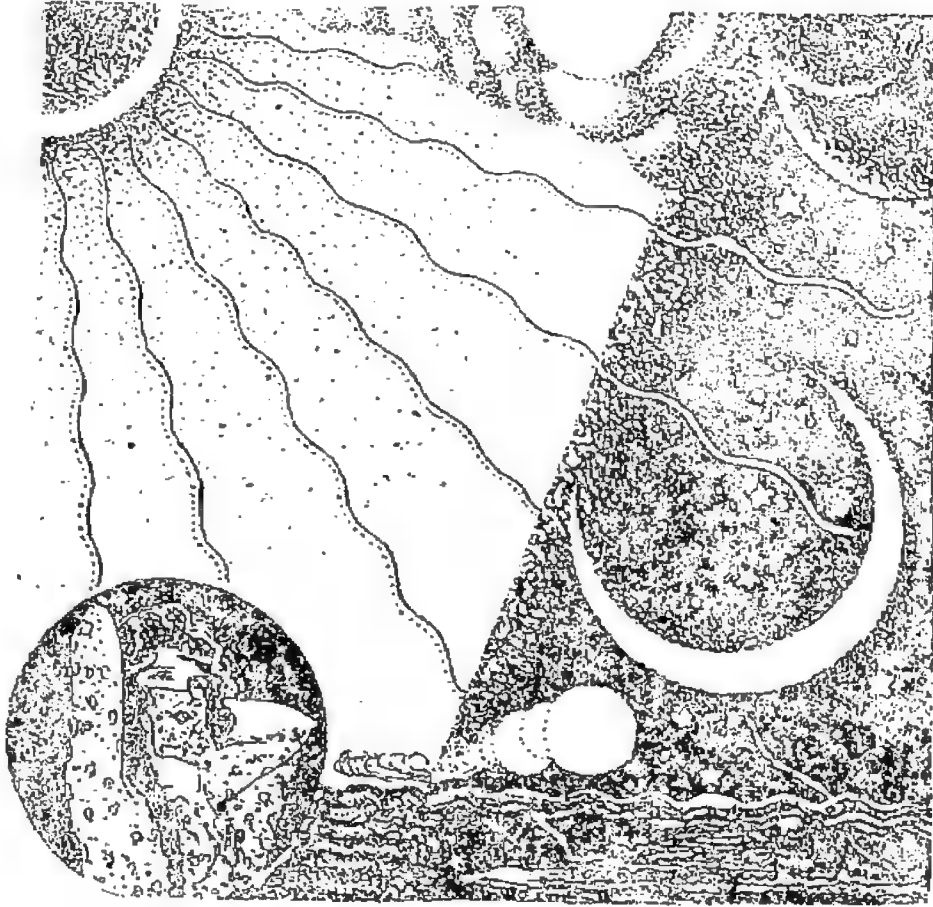
من ذلك كلمات (مكوثد) أى (أرْعَش) من الكبير . (الخشام) الألف
(آزمتا الذئب) . ناباه (تمزَع) . تسرع . (عجار) . المصارع الذى لا يُطاق .
(شحا بفمه) . فتحه أشد فتح (الألال) . الباطل . (السعار) . شدة الجوع .
(مخلبة الشرب) . ماء فيه حمأة . وغير ذلك من فصيح اللغة . الذى تجد منه فى
القصيدة الواحدة من قصائده كلمات قليلة . لا تتجاوز البضع . وقد لا تجد شيئاً منه
أصلاً . وفى استعمالها مع توطئة السياق لفهمها . نشرته اللغة . وإحياء لغريبتها . وهو
طريق من طرق تنميتها . وتوسيع دائرة التخاطب بها .



هذه كلمة فى الرصافى وشعره . أسوقها بين يدي ديوانه . وأنا خجل من تفاهتها .
وقلة فائدتها .



في مشهد الكائنات



جمالك يا وجه الفضاء عجيب . . .

جمالُكَ يا وجهَ الفضاءِ عجيبٌ وصدرُكَ يا بَني الانتهاءِ رحيبٌ
وعينُكَ في أمِّ النجومِ كبيرة تضيءُ على أنِّ الضياءِ لهيبٌ^(١)
وما زلتَ تُغضِّيها فنُحْطِىءُ قِصْدَنَا وتفتحُها برّاقَةٌ فنُصِيبُ^(٢)
فيحمرُّ منها في الغدِيةِ مَطْلَعٌ ويصفرُّ منها في العشيِّ مَغِيبٌ
ويخلفُها البدرُ المنيرُ حفيدُها وعنِها إذا جَنَّ الظلامُ ينوبُ^(٣)

(١) لما أنبت للفضاء وجها وصدره في البيت الأول ، ناسب أن يعبر عن الشمس التي في الفضاء بقوله : وعينك . العين لفظ مشترك بين الشمس والباصرة . أم النجوم : المجرة ، و«على» في البيت للمصاحبة بمعنى مع .

(٢) يقال أغضى الرجل عينه : أى طبق جفنيها . والضمير من تغضيها عائد إلى العين التي هي بمعنى الشمس في البيت المتقدم ، وأراد بإغضائها إخفاءها عند الغروب .

(٣) الحفيد : ولد الولد . وجعل البدر حفيدا للشمس ، لأنه منفصل من الأرض المنفصلة من الشمس ، فهو منها بمنزلة ولد الولد .

وليل كَأَنَّ البدر فيه مَلِيحَةٌ أَغَارَهَا والنَّـيِّرَاتُ رَقِيبٌ
سَرِيتُ بِهِ وَالبَحْرُ رَهْوٌ بِجَانِبِي وَرَدْنُ النَّسِيمِ الْغَضُّ رَطِيبٌ^(١)
فشاهدت فيه الحسن أَزْهَرَ مَشْرِقًا لَهُ فِي الْعُلَى وَجْهٌ أَغْرَ مَهِيبٌ
ورحت وأهل الحَيِّ فِي قَبْضَةِ الْكَرَى وَفِي اللَّيْلِ صَمْتُ بِالسَّكُونِ مَشُوبٌ^(٢)
فكنت كَأَنِّي أَسْمَعُ الصَّمْتَ سَارِيًّا لَهُ بَيْنَ أَحْشَاءِ انْقِضَاءِ دَيْبٍ^(٣)
ولو أَنَّ صَمْتَ اللَّيْلِ لَمْ يَكْ مُطْرَبًا لَمَّا هَزَّ أَعْطَافَ النَّسِيمِ هُبُوبٌ

* * *

أَلَا إِنَّ وَجْهَ الْبَحْرِ بِالنُّورِ ضَاكٌ طَلِيقٌ وَثَغْرُ الْمَاءِ فِيهِ شَنِيبٌ^(٤)
تَرْقُقُ مَنْسَابًا بِهِ الْمَاءُ وَالسَّنَى فَلَمْ أَدْرِ أَيَّ اللَّامَعِينَ يَسِيبُ^(٥)
وَلِلْبَدْرِ نُورٌ يَمْنَحُ الْبَحْرَ رَوْنًا غَمِيدُو كَأَنَّ الْمَاءَ فِيهِ ضَرْيَبٌ^(٦)
إِذَا جَشَّ الْبَحْرُ النَّسِيمُ تَهَلَّلَتْ أَسَارِيرُ فِيهَا لِلضِّيَاءِ وَثُوبٌ^(٧)
وَقَفْتُ وَلِلْأَلَاءِ السَّنَى يَسْتَخْفَنِي فَتَطْرِبُ نَفْسِي وَالكَرِيمُ طُرُوبٌ

* * *

أُرَدِّدُ بَيْنَ الْبَدْرِ وَالْبَحْرِ نَاطِرِي فَيَصْعَدُ طَرْفِي مَرَّةً وَيَصُوبُ

(١) سریت به : أى فيه . رهو : أى ساكن .
(٢) معنى أنهم في قبضة الكرى : هو أن النوم مستول عليهم أى هم نائمون . وأراد بالصمت عدم الصوت ، وبالسكون عدم الحركة . ومعنى كون الصمت مشوبا ، أى مخطوطا بالسكون ، أنه ليس هناك صوت ولا حركة .
(٣) أراد بقوله أسمع الصمت أى أدركه بواسطة السمع . وذلك أن المرء إذا أصاح في الليل فلم يسمع صوتا ولا حركة ، أدرك أن في الليل صمتا ، ولا غرابة في ذلك ، لأن الصمت ليس بعدم محض ، وإنما هو عدم الصوت أو الكلام ، فهنا تبين لك معنى قوله أسمع الصمت .
(٤) يقال : ثغر شنيب ، أى فيه شنب ، وهو ماء ورقة في الأسنان .
(٥) ترقق . أى جرى جريا سهلا ، ومنسابا أى متدافعا في جريه ، والسنى : النور . ويسيب : يجرى ذاهبا كل مذهب .
(٦) يمنح : يعطى . وروثنا أى حسنا وإشراقا . والضرب : انجيليد والصقيع .
(٧) التجميش الملاعبة ، يقال جش الجارية إذا لاعبها وداعبها بالقرص ونحوه . وتهللت : تلالأت . والأسارير : الخطوط التى تكون في جبهة الانسان ، شبه خطوط الأمواج الصغيرة بخطوط الوجه ، أى بالأسارير ، وقال إنها تلالأت . بب ملاعبة النسيم للبحر . فتلوح أشعة النور متواتبة بين تلك الأسارير .

تأملت في حسن العوالم مؤهنا
كأنى وعلاوى العوالم عاشق
فقم امام له مستشرفا ويمينه
ولما رأيت الكون في الأصل واحدا
ألا إن بطننا واحدا أنتج الورى
وإن فضاء شاسعا قد تضاربت
وإن اختلاف الأدميين سيرة
وإن ما في الكائنات ابن آدم
يذمم فكل سوء وهو حليفه

فجاش بصدري الشعر وهو نسيب^(١)
أطل من الأطل عليه حبيب
تشد ضلوعا تحتين وجيب^(٢)
عجبت لأن الخلق فيه ضروب
كثيرين في أخلاقهم لرغب^(٣)
بأبعاده أيدى القوى لرهب
وهم قد تساوا صورة لهجيب
فما غيره في الكائنات مريب
ويحمد قول الصدق وهو كذوب

* * *

رأيت الورى كئلا يراقب غيره
ومن أجل هذا قد ترى كل فاعل
فكم حيل في جمع القوم يتقى
ولو باح كل بالذى هو كاتم
وليس يجد المرء إلا تكلفا
ويجنب المرء العيوب لأنهم
رياء قديم في الورى شقيت به

فكل عليه من سواء رقيب
إلى الناس في كل الفعان يئيب^(٤)
به ثعلب عنده أخلاء وذيب^(٥)
لما كان في هذا الأنام أديب
وذلك لأن الطبع فيه لعوب
لدى عائبه لا لديه عيوب
قبائل منهم جنة وشعوب

- (١) الوهن : وقت الوهن من الليل ، ويكون نحو نصف الليل ، وهو في البيت منصوب على الضرفية . وجاش : بمعنى حاج . والنسيب : هو الشعر الرقيق في النساء .
- (٢) مستشرفا : أى منتصبا رافعا بصره باسطا كفه فوق حاجبه كالمنظال ، وكذلك يفعل الناظر إذا نظر إلى شيء مرتفع أو بعيد . والوجيب : خفان القلب واضطرابه .
- (٣) رغب : أى واسع ، يقال هو رغب البطن أى واسع الجوف .
- (٤) يئيب : يرجع أى لما كان كل من الناس رقبيا عن غيره مترصدا لسواه ، صار كل واحد منهم يئيب في أفعاله إلى الناس ، ليدفع عنه يذلت سوء ظنهم به ، ومن هنا نشأ فيهم الرياء والتمويه ، كما قسر ذلك في البيت الذى يليه .
- (٥) الباء في قوله يتقى به : للسببية أو للتجريد ، مثلها في قولك : لقيت بزيد أسدا .

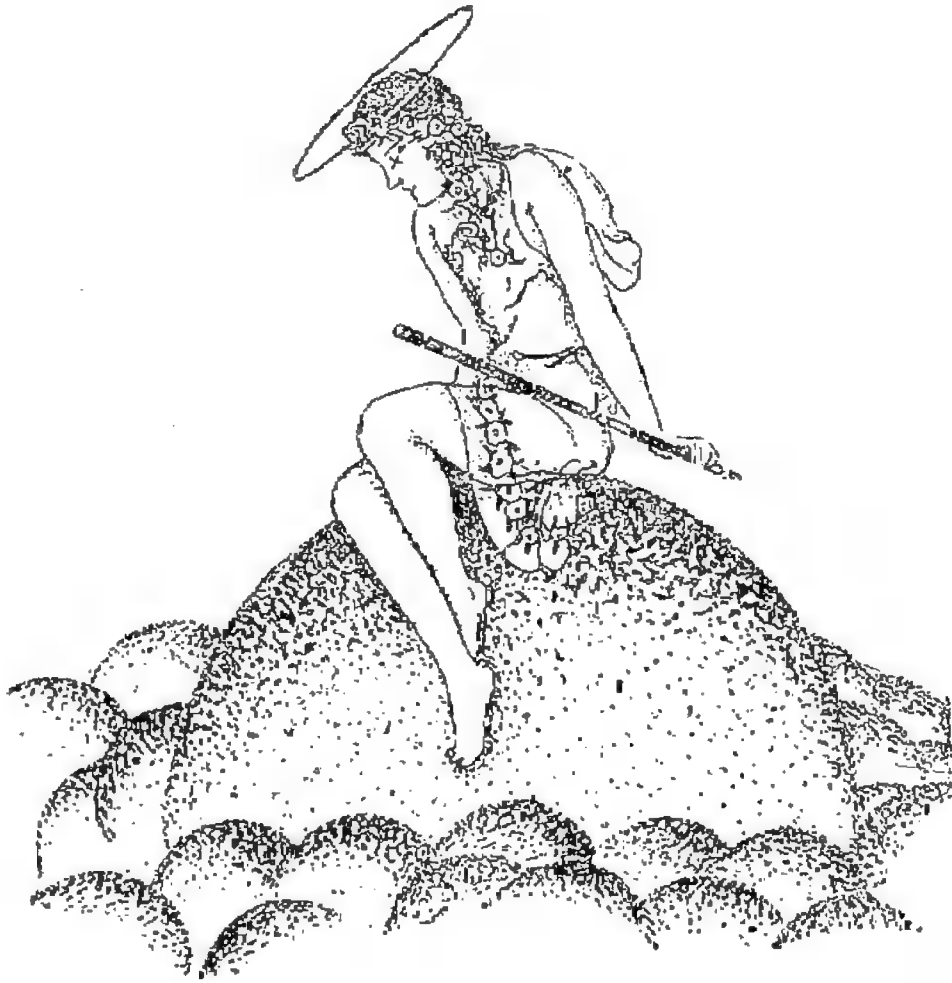
ورُبَّهٖ أَخْلَاقٍ يَرَاهَا خَبِيثَةً أَنَاسٌ وَعِنْدَ الْآخَرِينَ تَطْيِبُ
وَحِلْمَ الْفَتَى عِنْدَ الضَّعِيفِ فَضِيلَةٌ وَلِئِنَّهُ عِنْدَ الْقَوِيِّ مَعْيِبُ

• • •

وقد يفتري المالُ الفضائلَ للورى وليس لهم ممَّا افتراه نصيب^(١)
وللفقر بين الناس وجهٌ تبيّنتُ به حسنات المرء وهى ذنوب
لقد أحجم المثرى فسمّوه حازماً وأحجم ذو فقرٍ فقيل هَيُوب
وإن يتواضع معدم فهو صاغر وإن يتواضع ذو الغنى فنجيب
وذو العدم ثَرثارٌ بكثرت كلامه وذو الوُجد مِنطيق به ولبيب
ولناس عادات كثيرة تقودهم فكل امرئ منهم لهنَّ جنيب
وهنَّ إذا ما يأكلون أَكْلُهُمْ وهنَّ إذا ما يشربون شَرِيب
أبوا أن يحيدوا ضَلَّةً عن طريقها وإن مسَّهم من أجلمنَّ لُغُوب
هى الداء أعيى الأولين فهل له على عُنُقِهِ فى الآخرين طيب ؟

(١) يفتري المالُ الفضائل : أى يختلقها ، فكأنه جعل فضائل الأغنياء كذباً محضاً تفتريه أموالهم . ومعنى قوله « وليس له ممَّا افتراه نصيب » : أنهم براء من هذا الافتراء ، إذ ليس لهم نصيب من الفضائل .

العالم شعر*



وما المرء إلا بيت شعر . . .

قُرأتُ وما غير الطبيعة من سِفرٍ صحائف تحوى كل فن من الشعر^(١)
أرى غرر الأشعار تبدو نضيدةً على صفحات الكون سطرًا على سطر^(٢)
وما حادثات الدهر إلا قصائد يفوه بهــــا للسامعين فم الدهر
وما المرء إلا بيت شعر عروضة مصائب لكن ضربه حُفرة القبر^(٣)
تنظمنا الأيام شعراً وإنما تردُّ المنايا ما نظمن إلى النثر^(٤)

(*) من الديوان الأول . (١) السفر : الكتاب . (٢) نضيدة : منسقة .

(٣) العروض في علم الشعر . الجزء الأخير من الشطر الأول من البيت ؛ والضرب . الجزء الأخير من الشطر الثاني . ومعنى البيت أن الإنسان أوله المصائب وآخره الموت .

(٤) النثر : التفريق .

فَنَّا طَوِيلٌ مَسْهَبٌ بِحَرِّ عَمْرِهِ وَمَنَا قَصِيرٌ الْبَحْرُ مُحْتَصِرُ الْعَمْرِ ^(١)
وَهَذَا مَدِيحٌ صَيِّغٌ مِنْ أَطْيَبِ الثَّنَا وَذَلِكَ هِجَاءٌ صَيِّغٌ مِنْ مَنْطِقِ هُجْرِ ^(٢)

• • •

وَرَبِّ نِيَامٍ فِي الْمَقَابِرِ زَرْتَهُمْ بِمَنْهَلٍ دَمْعٍ لَا يَنْهِنُهُ بِالزَّجْرِ ^(٣)
وَقَفْتُ عَلَى الْأَجْدَاثِ وَقْفَةً عَاشِقٍ عَلَى الدَّارِ يَدْعُو دُرُوسَ الطَّلَلِ الْقَفْرِ ^(٤)
فَمَا سَالَ فِيضُ الدَّمْعِ حَتَّى قَرْنَتْهُ إِلَى زَفَرَاتٍ قَدْ تَصَاعَدْنَ مِنْ صَدْرِي
أَسْكَانَ بَطْنِ الْأَرْضِ هَلَّا ذَكَرْتُمْ عَيُودًا مَضَتْ مِنْكُمْ وَأُتِمَّ عَلَى الظُّهْرِ
رَضَيْتُمْ بِأَكْفَانِ الْبَلَى حُلًّا لَكُمْ وَكُنْتُمْ أَوْلَى الدِّيَابِجِ وَالْحُلَلِ الْحُمْرِ
وَقَدْ كُنْتُمْ تُؤْذِي الْحَشَايَا جَنُوبَكُمْ فَكَيْفَ رَقَدْتُمْ وَالْجَنُوبُ عَلَى الْعَفْرِ ^(٥)
إِلَّا يَا قُبُورًا زَرْتَهَا غَيْرُ عَارِفٍ بِهَا سَاكِنَ الصَّحْرَاءِ مِنْ سَاكِنِ الْقَصْرِ ^(٦)
لَقَدْ حَارَ فِكْرِي فِي ذَوِيكَ وَإِنِّهِ لِيَحْتَارَ فِي مَثْوَى ذَوِيكَ أَوْلُو الْفِكْرِ ^(٧)
فَقُلْتُ وَلِلْأَجْدَاثِ كَفِّي مَشِيرَةً أَلَا إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ مِنْ أَفْجَعِ الشَّعْرِ ^(٨)

• • •

وَلَيْلٍ غَمْدًا فِي الْجَنَاحِينَ بَيْتُهُ أَسَامِرٌ فِي ظِلْمَائِهِ مِنْ وَاقِعِ النَّسْرِ ^(٩)
وَأَقْلَعَ مِنْ سَفَنِ الْخَيْسَالِ مَرَاسِيًّا فَتَجَرَّى مِنَ الظَّالِمَاءِ لُجْجُ خُضْرِ ^(١٠)

(١) مسهب : طويل . (٢) الهجر : القبيح من الكلام .

(٣) انهل الدمع : سَالَ . لا ينهنه : لا يكف .

(٤) الأجداث : القبور . درس المسكان : انمحي . والطلال : ما بقى من آثار الديار .

(٥) الحشايا : جمع حشية وهي الفراش المحشو . العفر : التراب .

(٦) الصحراء : الأرض الفضاء لاشئ فيها .

(٧) المثوى : المقام . (٨) أجمع : أوجع .

(٩) غدا في الجناحين : أسودها . نسبة إلى الغداف وهو الغراب . النسر : اسم لنجمين ، يقال له النسر الواقع ، والآخر يقال له النسر الطائر . وفي البيت تورية لأنحنى .

(١٠) لجج : جمع لجة ؛ وهي في الأصل معظم الماء . خضر : سود ، يقال أخضر بمعنى أسود ، والخضرة والسواد يستعمل كل منهما مكان الآخر .

أرى القبة الزرقاء فوق كأنها (١)
ولولا خروق في الدجى من نجومه
خليلٍ ما أبهى وأبهج في الرؤى
إذا ما نجوم الغرب ليلاً تغوّرت
تحوّلت من حسن الكواكب في الدجى
إلى أن رأيت الليل ولت جنوده
فيالك من ليل قرأت بوجهه
قلت وطرفي شاخصٌ لنجومه

رؤاف من الديباج رُصّع بالدر (٢)
قبضت على الظلماء بالأمل العشر (٣)
نجوماً بأجواز الدجى لم تزل تسرى (٤)
بدت أنجم في الشرق أخرى على الإثر (٥)
وقبح ظلام الليل في العرف والنكر (٦)
على الدّم يقفوا إثرها الصبح بالشقر (٧)
نظيم البها في نثر أنجمه الزهر
ألا إن هذا الشعر من أحسن الشعر

• • •

ويوم به استيقظت من هجعة الكرى (٨)
فأطربني والديك مشجٍ صياحه
ومما ازدهى نفسي وزاد ارتياحها
فقتت وقام الناس كلُّ لشانه
وقد طلعت شمس النهار كأنها

وقد قدّ درع الليل صمصامة الفجر (٩)
ترنمُ عصفور يزقزق في وكر (١٠)
هبوب نسيم سجّسج طيب النشر (١١)
كأنا حجيج البيت في ساعة النفر (١٢)
ملك من الأضواء في عسكر مجر (١٣)

(١) القبة الزرقاء : السماء . الرواف : سقف في مقدم البيت . أو هو الحيمة .

(٢) الدجى : الليل . وأراد بالأمل الأصابع ؛ وهي في الأصل رءوسها .

(٣) الرؤى : المنظر . أجواز الدجى أوساط الليل . (٤) تغوّرت : غابت .

(٥) تجوّرت : كذا بالجم ; كما في الأصل ؛ ولم أجده هذه الصيغة في مادة (جال) . ولو روى بالحاء المهملة لكان أحسن وأوفى بالمراد .

(٦) الدّم : جمع أدهم ؛ وهو الأسود من الخيل . يقفوا إثرها : يتبعها . الشقر : جمع أشقر . والشقرة في الخيل : حرة صافية يحمر معها العرف والذنب ؛ وأراد بالدهم : الظلمات ، وبالشقر : أشعة الشمس بجازا .

(٧) الهجعة : من الهجوع وهو النوم . الكرى : النعاس . قد : شق . والمراد بدرج الليل ظلمته . الصمصامة : السيف ، والمراد بصمصامة الفجر : شعاعة . (٨) مشج : مطرب .

(٩) ازدهى نفسي : استفرها . ريح سجّسج : لينة الهواء . معتدلة النشر : الرائحة .

(١٠) الحجيج : الحجاج . والمراد بالبيت النبى الحرام في مكة . النفر : مصدر نفر الحجيج إذا اندفعوا من منى إلى مكة .

(١١) المجر : الجيش العظيم .

بدت من وراء الأفق ترفل للعلی
غدت ترسل الأنوار حتى كأنها
إلى أن جلت في نورها رونق الضحی
وأهدت حياة في الشعاع جديدة
فقلت مشيراً نحوها بحفاوة
ألا إن هذا الشعر من أبداع الشعر^(٤)
رويداً رويداً في غلائلها الحر^(١)
تسيل على وجه الثرى ذائب التبر^(٢)
صقيلا وفو، بحر الفضاء غدت تجري^(٣)
إلى حيوان الأرض والنبت والزهر
إلى حيوان الأرض والنبت والزهر

وبيضة خدر إن دعت نازح الهوى
من اللاء يملكن القلوب بكلمة
تهادت تريني البدر محدة بها
فله ما قد هجن لي من صباة
تصافح إحداهن في المشى ترهبها
مررن وقد أقصرت خطوى تأدباً
فطأطأت للتسليم منهن أروؤساً
فألقيت كفي فوق صدرى مسأماً
وأرسلت قلبي خلفهن مشيعاً
وقلت وكفى نحوهن مشيرة
أجاب ألا ليك يا بيضة الخدر^(٥)
ويحيين ميّت الوجد بالنظر الشرر^(٦)
أوانس إحداق الكواكب بالبدر^(٧)
ألفت بها طي الضلوع على الحر^(٨)
فنحرت إلى نحر وخصر إلى خصر^(٩)
وأجمعت أمرى في محافظة الصبر
عليها أكاليل ضفرن من الشعر
وأطرقت نحو الأرض منحني الظاهر
فراح ولم يرجع إلى حيث لا أدرى
ألا إن هذا الشعر من أجمل الشعر

(١) ترفل : تجر ذيلها وتبختر . غلائلها : أراد بها ثيابها ، وفردتها غلالة ، وهي شعار .
يلبس تحت الثوب وتحت الدرع .

(٢) الثرى : الأرض والتراب والندى .

(٣) رونق الضحى : إشراقه وحسنه . صقيلا : مجلوا .

(٤) الحفاوة : التلطف والمبالغة بالأكرام .

(٥) أراد بيضة الخدر : الجارية الحسناء ، لأنها مكنونة في خدرها . نازح الهوى : نائية وذاهبة .

(٦) اللاء : اللاتي . الوجد : الحب . النظر الشرر : هو نظر فيه لعراض أو نظر الغضب .
عؤخر العين ، أو النظر عن عين وشمال ، وهذا التفسير أقرب لمعنى البيت .

(٧) أحداق بالشئ : أحاط به . (٨) هجن : الطي : مصدر طوى .

(٩) يقال هذا ترب فلان ، وهذه ترب فلانة ، إذا كانت على سنمها ، وأكثر ما يستعمل
في المؤنث . النحر : موضع القلادة من العنق .

- ومائدة نسج الدَّمَقْس غطاؤها
رَقِي من أعاليها الفَنَراف منبرا
وفي وَسَط النِّدادى سراج منور
فراح ياذن العلم يُنطق بقولا
فطورًا خطيبًا يحزن القلب وعظه
يقوه فصيحًا بالألفاء وهو أَبْصَر
أمين أبى التدليس فى القول حاكيا
تراه إذا لقتته القول حافظًا
فيالك من صنع به كل عاقل
فقلت وقد تمت شقائق هدره
- بمجلس شبان هم أنجب العصر (١)
محاطًا بأعصاب غطارفة غر (٢)
فتحسبه بدرًا وهم هالة البدر (٣)
عرفنا به أن البيان من البحر
وطورًا يسرُّ السمع بالعزف والزم (٤)
ويسمع ألحان الغنا وهو ذو وقْر (٥)
فتسمعه يروى الحديث كما يحوى (٦)
تمر الليالى وهو منه على ذكر (٧)
أقر لأديسون بالفضل والفخر (٨)
ألا إن هذا الشعر من أعجب الشعر (٩)

• • •

- وأصيد مأثور المكارم فى الورى
يروح ويغدو فى طيالة الغنى
تخونه ريب الزمان فأولعت
- يريك إذا يلقاك وجه فتى حر (١٠)
ويقضى حقوق الجد من ماله الوفّر (١١)
ياخلاقها ديباجتيه يدُ انقَر (١٢)

- (١) الدَّمَقْس : الديباج والحبر الأبيض . (٢) الغطارفة : السادة .
(٣) الهالة : دائرة القمر ، كاطفاوة لنارة الشمس .
(٤) العزف : الضرب بالمعازف ، وعى آلات الطرب .
(٥) الألفاء : اللغات ، وهى جمع ألفة . الوقْر : الصبر ، وهو ذهاب السمع .
(٦) التدليس فى الحديث : هو أن لا يذكر الحديث فى حديثه من سمعه منه ، ويذكر من هو
أعلى من حديثه ، يومئ أنه سمعه منه . والمدلس لا يقبل حديثه .
(٧) الذكر ، بضم الدال : التذكر . (٨) أديسون : هو مخترع الصدى « الفَنَراف »
(٩) تمت شقائق هدره : سكت . والشقيقة فى الأصل : لغة البعير ، وثيل شئ ، كالرثة
بخرجه من فيه إذا حاج ، وبنان القصيح : حشرت شقيقته .
(١٠) الأصيد : الرجل الذى لا يلفظ من زهوه وخيلانه .
(١١) طيالة : جمع طيلسان ، وهو نوع من الثياب يلبسه الخواص . الوفّر : الكثير .
(١٢) أولع به بالبناء المجهول : علق به شديداً . الإخلاق : مصدر . أخلق الثوب : أبلاه .
ديباجتيه : خديه . ومعنى البيت : خانه الزمان ، وعلقت به يد الفخر ، فوضعت من شرفه ، وذلت
خديه بهد أن كانا مصرعين .

فأصبح في طُرُق التّصعلك حائرًا يحول من الإملاق في سَمَلٍ طِمْرٌ^(١)
 كأنّ لم يَرُحْ في موكب العز راكبًا عِتاق المذاكي مالك النهى والأمر^(٢)
 ولم تزدحم صَيْدُ الرجال ببابه ولم يَغْمُرِ العافين بالنائل الغمر^(٣)
 فظل كئيب النفس ينظر للغنى بعين مُقِلٍّ كان في عيشة المُثْرِ^(٤)
 إلى أن قضى في علة العدم نَحْبَه فجَهَزَهُ من ماله طابو الأجر^(٥)
 فرُحْتُ ولم يُحْفَلْ بتشييع نعشه أشيعه في حامله إلى القبر
 وقلت وأيدى الناس تحثو ترابه ألا إن هذا الشعر من أفجع الشعر^(٦)

ونأمة تبكي الغداة وحيدها بشجو وقد نالته ظلمًا يد القهر^(٧)
 عزاه إلى إحدى الجنايات حاكم عليه قضى بطلًا بها وهو لا يدري^(٨)
 فويل له من حاكم صُبَّ قلبه من الجور مطبوعًا على قالب الغدر
 من الروم أما وجهه فمشوه وقاح وأما قلبه فمن الصخر^(٩)
 أضرَّ بعفّ الذيل حتى أمضه ولم يلتفت منه إلى واضح العذر^(١٠)
 تخطفه في مخالب الجور غيلةً فنجَّ به من مظلم السجن في القعر
 تنوء به الأقياد إن رام نهضة فيشكو الأذى والدمع من عينه يجرى^(١١)

(١) التّصعلك : الافتقار . الإملاق : الفقر . سمل طمر : ثوب بال .

(٢) المذاكي : الخيل التي تم سنّها وكملت قوتها .

(٣) صيد : جمع أصيد وقد تقدم معناه . يغمر : يبالغ في الاحسان . العافين : الفقراء . النائل

الغمر : العطاء الكثير

(٤) المقل : ضيق ذات اليد . والمثري : الغنى ، (٥) العدم : الفقر .

(٦) تحثو ترابه : تصبه . (٧) الشجو : الحزن .

(٨) عزاه : نسبته . (٩) وقاح بفتح الواو : ذو وقاحة ، يطلق على المذكرات والمؤنث ،

(١٠) عف : عفيف .

(١١) الخلب : هو في الأصل ظفر كل سبع من الماشى والطائر . غيلة : يقال قتله غيلة : أي

خدعة فذهب به إلى موضع فقتله . زج به : طرحه .

(١٢) تنوء به : ثقله . الأقياد : جمع قيد .

تفاديه والسجان يكسر زجرها عجوز له من خلف عالية الجذر^(١)
 بُنِيَ أَظُنُّ السَّجْنَ مَسَّتْ ضَرْهُ بُنِيَ بِنَفْسِي حَلَّ مَا أَصَابَكَ مِنْ ضَرْ
 بُنِيَ اسْتَعْنِ بِالصَّبْرِ مَا أَنْتَ جَانِبًا وهل يَخْذُلُ اللَّهُ الْبَرِيءَ مِنَ الْوِزْرِ^(٢)
 فَبَجْتُ أَعَاطِيهَا الْعِزَاءَ وَأَدْمَعِي كَأَدْمَعِيَا تَهْلِي مَنِي عَلَى النَّحْرِ
 وَقَدْ جَاشَتْ غَوَارِبُ عَيْرِي أَلَا إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ مِنْ أَقْتَلِ الشَّعْرِ^(٣)

تجاه اللانهاية

أَبْعَدَ الدَّهْرِ فِي الْفَضَاءِ مَكْرَهُ عَالِقًا فِي مَكْرَهُ بِالْجَرَّةِ
 إِنْ أُمَّ النُّجُومِ بِنْتُ زَمَانٍ لَمْ تَزَلْ حَادِثَاتِهِ مُسْتَمِرَّةِ
 فِي فُضَاءٍ لَوْ سَافَرَ انْبَرَقَ فِيهِ أَلْفَ قَرْنٍ لَمَّا أَتَى مُسْتَقَرَّةِ
 وَلَوْ الشَّمْسُ ضَوْعَتْ أَلْفَ ضِعْفٍ لَمْ تَكُنْ فِي أَثَرِهِ غَيْرَ ذَرَّةِ
 وَلَوْ الْفَكْرُ غَاصَ فِيهِ مُغْدًا لَمْ يَكُنْ بِالْفَأْ يَدَ الدَّهْرِ قَعْرَةَ
 سَاعَةٍ تَحْسِبُ الْجَرَّةَ فِيهَا حَلَاةً أَثْقَيْتَ بِصَحْرَاءَ قَفْرَةَ
 يَقِفُ الْفَكْرُ دُونَهَا مُكْوِنْدًا مَقْشَعْرًا وَتَأْخُذُ الْعَقْلَ حَيْرَةَ
 لَوْ أَضْفَيْنَا إِلَى الْفَضَاءِ فُضَاءَ مِثْلَهُ لَمْ تَزِدْ وَلَا قِيدَ شَعْرَةَ
 إِنْ تَكُنْ هَذِهِ الْجَرَّةُ نَهْرًا مُسْتَفِيضًا فَشَمْسُنَا مِنْهُ قَطْرَةَ
 أَوْ تَكُنْ أَرْضُنَا مِنَ الشَّمْسِ جَزَاءَ فَهِيَ سِقْطٌ مِنْ جَمْرَةٍ مُسْتَحَرَّةِ
 إِنْ تَسْأَلُ عَنَّا فَتَنْحَنُّ هَبَاءَ ذَرَّةً مِنْ صَنْعَةِ اتَّقْوَى بِمَذَرَّةِ
 صَادَفْتَنَا أَشْعَةً مِنْ حَيَاةٍ فَظَهَرْنَا وَهَلْ لِأَوَّلِ مَرَّةِ
 كُلِّ مَنْ جَاوَزَ الْأَشْعَةَ مَنَّا فَهُوَ هَاوٍ فِي ظِلْمَةِ مَكْفَهَرَةِ
 فَعَلَامُ الْخُفُودِ يَضُمُّ حَتْدًا وَعَلَامُ الْجَهُولِ يَظْهَرُ كَبْرَةَ

(٢) الوزر : الذاب .

(١) الجذر : جمع جذار .

(٣) جاشت : فاضت . غوارب الماء : أعلى موجه . العبرة : الدمعة .

من أين وإلى أين ؟

من أين من أين يا ابتدائي	ثم إلى أين يا انتباهي ؟
أمن فناء إلى وجود	ومن وجود إلى فناء ؟
أم من وجود له اختفاء	إلى وجود بلا اختفاء ؟
خرجت من ظلمة لأخرى	فما أمانى وما نورانى ؟
ما زلت من حيرة بأمرى	معانق اليأس والرجاء
إن طريق النجاة وعر	يكبر به الطرف ذو النجاء ^(١)
يا قوم هل فى الزمان نطس	يهدى إلى ناجع الدواء ^(٢)
لأى أمر ذه اللىالى	تأتى وتمضى على الولاء ؟ ^(٣)
فتطلع الشمس فى صباح	وتقرب الشمس فى مساء
أرى ضياء يروق عيني	ولست أدري كنه الضياء ^(٤)
وما اهتزاز الأثير إلا	علالة نزرة الجلاء ^(٥)
نحن على رغم ما علمنا	نعيش فى غيبب السماء ^(٦)
نشرب ماء الظنون عباً	فلم نعد منه بارقواء ^(٧)
تأتى علينا مشاهدات	نروح منهين فى مرآ ^(٨)

(١) الطرف : الكريم من الخيل . النجاء : الاسراع والسبق .

(٢) النطس : الطبيب الحاذق .

(٣) ذه : اسم إشارة بمعنى هذه . على الولاء : متتابعة دون فصل .

(٤) كنهه : حقيقته . الشطر الثانى من البيت فيه استعانة فاعل على وزن مفعول وقد درج على ذلك بعض الشعراء فى مخالم البسيط ، غير أن علماء الفن لم يذكروا ذلك ، وفى هذه القصيدة عدة أبيات كذلك .

(٥) الأثير فى اصطلاح العلم : شىء ألطف من الهواء ، مملوء به الفضاء . العلالة : هى ما يتعلل به ويتلجج . نزرة الجلاء : قليلة الوضوح . يقولون إن الضياء حاصل من اهتزاز الأثير ، والشاعر يقول إن قولهم هذا قليل الوضوح ، فهم يتلهون بهذا التفسير . لأنهم لم يدركوا الحقيقة .

(٦) الغيبب : الظلمة .

(٧) عب الماء عباً : شربه بلا تنفس .

(٨) المرآ : الخلاف والجدل .

وكم نرى فعل فاعلات من القوى وهي في الخفاء^(١)
يا ويلة الحس إنه عن حقيقة الأمر في غطاء
فإن أجزاء كل جسم مبتعدات بلا التقاء
وفي دقاق الجماد عرك يتهم الحس بالخطأ^(٢)

يا قوة الجذب أطلتيني من ثقلة أوجبت عنائي
لولاك لولاك يا شكالي نطرت كالنور في الفضاء^(٣)
أنت عماد السماء لكن خفيت عن عين كل راء
ربطت كل النجوم فيها بعضا ببعض اعتناء
فدورن في الجوّ جاريات كأنها السفن فوق ماء
نحن بنى الأرض قد علمنا بأننا من بنى السماء
لو كنت في المشتري لبانت أرضي سماء بلا امتراء^(٤)
فليس فوق وليس تحت ولا اعتلاء لدى اعتلاء
وإنما نحن فوق نجم نحيا محاطين بالهواء
فليت شعري أي ارتقاء للروح يبقى أي ارتقاء
وأنت يا كهرباء سرّ بدا وما زال في غشاء^(٥)
عجائب الكون وهي شتى فيك انطوت أيما انطواء^(٦)
أضأت إن شئت كل داج لنا وأدريت كل فاء^(٧)
فأنت للكائنات روح إن كانت الروح للبقاء

(١) القوى : جمع قوة . وأراد بها القوى الطبيعية .

(٢) أراد بدقاق الجماد : ذراته ، وذرات كل شيء . على ما حققه العلم ، في حراك مستمر ، مع أن الحس في الظاهر يدركها ساكنة ، وهذا معنى قوله يتهم الحس بالخطأ .

(٣) الشكال : الوفاق يقيد به . (٤) المشتري : أحد النجوم السيارة .

(٥) غشاء : غطاء . (٦) شتى : متفرقة .

(٧) داج : مظلم . أدريت : قربت . فاء : بعيد .

وكم تقاضاك فيلسوف حقيقةً صحيحةً الأداء^(١)
فقال والقول منه ظن ما تكون إلا بالكهرباء

• • •

وليلةً بثَّها أنادى نجومها أبعد النداء
أخذ منهن بالتداني فبكراً ويأخذن بالتناي
فأثنى باكياً بشعري ويطرب الليل من بكائي
وربما كرت بعد وهن فكري فألني بعض الشفاء^(٢)
فأرجع القهقري أغنى وما سوى الشعر من غناء
أقول والنسر فوق رأسي وطالع النجم في إزائي^(٣)
يأيها الأنجم الزواهي لله ما فيك من بهاء
أما كفائك السني جبالاً حتى تجلت بالسناء^(٤)
يا أنجم النعش فاصدقني أمات ذو النعش بانطفاء^(٥)
إني إذا كنت في حداد إليك أهدي حسن العزاء
وأنت يا نسر من كلال وقعت أم طلبة الغذاء^(٦)
أخوك هل طائر لوكر أم قاصد مقتبى القضاء^(٧)
كان أم النجوم سيف سلَّ على الليل ذو مضاء^(٨)
رُصِّع متناه بالدراري فراق في الحسن والرواء^(٩)
كان نجم السها أديب في أرض بغداد ذو ثواء^(١٠)

(١) تقاضاك : طلبك . (٢) الوهن : الضعف .

(٣) النسر : اسم كوكب . النجم : الثريا . إزائي : مقابلي .

(٤) السني : الفضة . السناء : الرنعة .

(٥) أنجم النعش : هي الأنجم التي تسمى بنات نعش : ذو النعش : هو البيت .

(٦) أراد بالنسر : الواقع ، وهو اسم نجم . الكلال : التعب .

(٧) أخوك : خطاب النسر الواقع ، وأخوه هو النجم المعروف بالنسر الطائر .

(٨) ذو مضاء : حاد قاطع . (٩) متناه : جانيباه . الرواء : حسن المنظر .

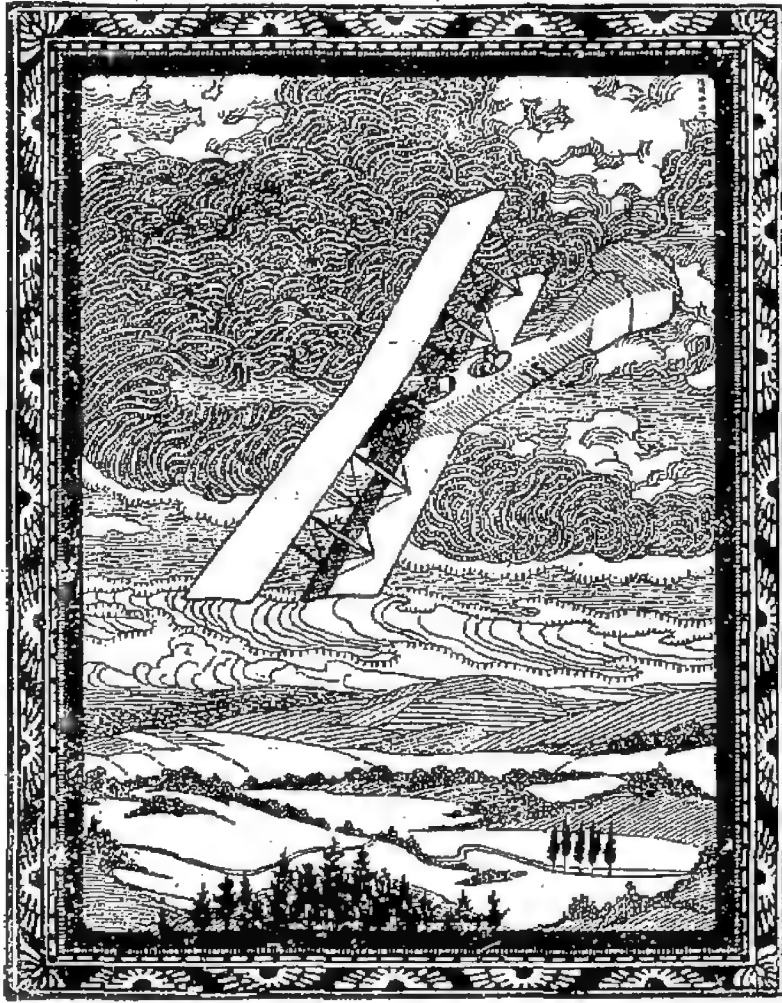
(١٠) السها : نجم خفي تفتح الأبصار برؤيته . الثواء : الإقامة .

كأن خط الشهاب مُدِلِّ لأسفل البئر بالرشاء^(١)
 كأنما أنجم الثريا في شكلها الباهر الضياء
 قفاز كف به فصوص من حجر الماس ذى الصفاء^(٢)

برئت للموت من حياة ما نكبت مهيع الشقاء^(٣)
 لم يكفها أنها احتياج حتى غدت حومة البلاء
 يأيها المترف المهنأ يمرح في ثوب كبرياء^(٤)
 مهلاً أخوا الكبر بعض كبر ألسن تقنى بعض الحياء
 أنت ابن فقر إلى أمور بهن تدعى يا ابن الثراء^(٥)

(١) مدل : من أدلى الدلو أو الحبل إذا أرسله في البئر . الرشاء : الحبل .
 (٢) القفاز : لباس اليد . وهما قفازان . الفصوص : جمع ، فص بفتح الفاء وضمها وكسرهما .
 وهو ما يركب في الخاتم من المعادن كالياقوت والماس ونحوها .
 (٣) نكبت : مجهول نكبه الطريق ، بمعنى نجاه وأبعده عنها . المهيع : الطريق .
 (٤) المترف : المنعم .
 (٥) الثراء : الغنى .

نحن على منطاد



نحن من أرضنا على منطاد . . .

نحن من أرضنا على منطاد جائل في شواسع الأبعاد^(١)
 طائر في الفضاء عرضاً وطولاً بجناح من القوى غير باد^(٢)
 أيها الأرض سرت سيرك مثنى ذا نتائج في زمان أحاد^(٣)
 فتقلبت في نهار وليل ذا مضلّ وذاك للناس هاد

(١) المنطاد : هو ما يصار به في الفضاء ، وهو ما يسمونه « البالون » . جائل : اسم فاعل من الجولان . الشواسع : البعينة ، من شسع المكان بمعنى بعد . الأبعاد : جمع بعد .

(٢) غير باد : غير ظاهر .

(٣) إنما كان سير الأرض مثنى ، لأن لها في الزمان الواحد دورتين ، نتيجان نتائجين ، دورة ينتج عنها اختلاف الليل والنهار ، وهذه تنمها بأربع وعشرين ساعة ، ودورة ينتج عنها اختلاف الفصول ، وهذه تنمها في سنة كاملة .

في بلادٍ يكون سيرك تأويلاً من أنه سرى في بلاد^(١)
 فيك دفعٌ وفيك بأرض جذب لك ذا سائق وذا لك حادى؟^(٢)
 فلك دائر على الشمس طوراً في اقتراب وتارةً في ابتعاد
 ليت شعري وما حصلت من الآراء إلا على خلاف السداد
 لبقاء ثقلنا الأرض في تسليارها أم ثقلنا لنفاد؟^(٣)
 نحن في عالمٍ تقصّف فيه عارض النائبات بالإرعاد^(٤)
 شأنا العجز فيه نوجد أنى قدفتنا يد الخطوب الشداد
 ضاع جذر الحياة عنا فخلنا أنها كالأصم في الأعداد^(٥)
 شغلنا الدنيا بلهو ولعب فغفلنا والموت بالمِرصاد
 ضلّ من رام راحةً في حياة نحن منها في معرك وجلاد^(٦)
 إنما هذه الحياة جروحٌ أئخنتنا والموت مثل الضّاد^(٧)
 كلُّ أمر يهون إن أطلقت أر واحداً المؤثقات بالأجساد
 لا تلمنى إذا جَزَعَت فإنى ما ملكت الخيار في إيجادى
 طال عتبى على عِدات الليالى مشما طال مَظَلها بمرادى^(٨)
 كدّرت عيشى الحوادث حتى لا أرى الصفو غير وقت الرقاد^(٩)

(١) التأويط : السير جميع النهار . السرى : السير فى الليل . يقول : أبها الأرض إن سيرك النهارى فى بلاد هو فى الوقت نفسه سير ليلي فى بلاد أخرى ، وذلك لأن الكرة يكون نصفها مضئاً وهو ما يقابل نور الشمس ، والنصف الآخر يكون مظلماً وهو مالا يقابلها . ويتنفس ما تنبسط الشمس من الأرض ترسل الظلام على قسم آخر .

(٢) حادى : من حدا الدابة إذا غنى لها لتجود فى السير . (٣) ثقلنا : ثقلنا .

(٤) العارض فى الأصل : السحاب الذى يتعرض فى الأفق . النائبات : المصائب .

(٥) خلنا : ظننا . الأصم فى اصطلاح احصائيين : هو العدد الذى لا يؤخذ جذره ، معنى أنه لا يكون حاصلًا من ضربه بنفسه كالخمسة والثلاثة والأحد عشر وغيرها . معنى البيت : أننا جعلنا أصل الحياة ، فقلنا لا أصل لها ، كالعدد الأصم الذى لا جدره .

(٦) الجلاد : مصدر جالداً ، بمعنى تضاربوا بالسيوف .

(٧) أئخنتنا : أوهنتنا وأضعفتنا ، الضّاد : العصابة التى يربط بها موضع الجروح .

(٨) عِدات : جمع عِدَة ، بمعنى الوعد . (٩) الرقاد : بمعنى النوم .

صاح ما دلّ في الأمور على الأشكال — كالأشكال — إلا تفحص الأضداد
فاعتبر بالسفيه كمن حليماً وتعرف بالغى طرق الرشاد
والليب الذي تعلم إتيا ن المعالي في خسة الأوغاد^(١)
أيها الغر لا تغرك دنيا ك يكون مصيره لفساد
خف من غاص في الغرور كما في لجة الماء خف ثقل الجماد^(٢)
يا خليلي والخليل المومسي منكما من يقوم في إسعادي^(٣)
خاب قوم أتوا وغى العيش عزلاً من سلاحى تعاون واتحاد^(٤)
قد جفتنا الدنيا فهلاً اعتصمنا من جفاء الدنيا بجمل وداد
لو عقلنا لما اختشى قط محسو دون وقع الأداة من حساد
فتناع الحياة أحقر من أن يستفز القلوب بالأحقاد
أنا والله لا أريد بأن أو قع شرّاً ولو على من يعادى
إنّ لى إن سمعت أنه محزو ن أنيناً مرجعاً في فؤادى
إن نفسى عن همها ذات شغل بهوم العباد كل العباد
لا أحب التسميم إلا إذا هب على كل حاضر أو باد

* * *

أيها الناس إن ذا العصر عصر العلم والجهد في العلى والجهاد
عصر حكم البخار والكهربائيّة و « الماكينات » والمنطاد
بنيت فيه للعلوم المباني وأقيمت للبحث فيها النوادي
قاص فيض العلوم بالرغم ممن ضربوا دونهم بالأسداد^(٥)
إن للعلم في الممالك سيرا مثل سير الضياء في الأبعاد

(٢) خف : من خفة العقل

(١) الأوغاد : جمع وغد ، وهو اللئيم .

(٣) المومسي : المعين .

(٤) وغى العيش : شدته ، والغوى في الأصل : أصوات الحارين في الحرب . عزلاً : جمع أعزل ،

(٥) الأسداد : جمع سد .

وهو الذى لا سلاح معه .

أطلع الغربُ شمسَه فحبا الشر قَ اقتباسًا من نورها الوقاد
 إن للعلم دولةً خضعت دو نَ علاها عوالم الأضداد
 ما استفاد الفتى وإن ملك الأر ضَ بأعلى من علمه المستفاد
 لا تسابق في حلبة العزِّ ذا العلم — هم فما للمهجين شأؤُ الجواد^(١)
 إن أموات أمة العلم أحياء حياة الأرواح والأجساد
 وكأين في الناس من ذي خول صار بالعلم كعبة القصاد

ربَّ يوم وردت دجلة فيه موردًا خاليًا عن الوراد
 حيث ينصب في سكوت عميق ماؤها لاثمًا ضفاف الوادى
 وهبوب النسيم يكتب في الما ء سطورًا متهزَّة في أطراد
 يَمَجِّي بعضها ويظهر بعض فهي تنساب بين خاف وباد^(٢)
 وتنَّ المياه لى بخير كأنين السقيم للعواد^(٣)
 قمت في وجهها أردد طرفى ساكتًا والضمير مئى ينادى
 واقفاً تحت سَرَحَةٍ ناح فيها طائر فوق غصنها المياد^(٤)
 منشداً فى النواح شعراً غريزيً — حزينا كأنه إنشادى
 جاوبته أفنانهم — بأنين من حفيف الأوراق والأعواد^(٥)
 أيها الطائر المرجع فوق الـ غُصْن هل أنت نائح أم شاد
 بين ماء جار ولحنٍ شجوى منك يا طائرُ استطار فؤادى
 يا مياها جرت بدجلة تجتا ز مرورًا بجانبى بغداد
 إن نفسى إلى الحقيقة عطشى أفتشفين غلة من صاد^(٦)

(١) المهجين من الخيل : هو الذى ولدته برذونة من حصان عربى .

(٢) تنساب : تسرع . (٣) العواد : الزوار .

(٤) السرحة : الشجرة العظيمة . المياد : الميائل .

(٥) أفنانها : أغصانها . الحفيف : صوت أوراق الشجر .

(٦) الغلة : العطش ، العادى : العطشان .

كنت تجرين والرُصافة والكر نخ خلاً من رائجٍ أو غاد
أيها الماء أين تجرى ضياءً وحواليك قاحلات البوادي؟^(١)
فمتى تظن النفوس فيحيا بك سقياً موات هذى البلاد
لو زرعنا بك البقاع خبواً لحصدنا النضار يوم الحصاد^(٢)
أفيدري خليج فارسَ ماذا فـهـ منك بالـع بازدراد
أنت والله عسجد ولجين لو أتينا الأمور باستعداد^(٣)
فاجر يا ماء إن جرّيت رويداً بأناةٍ ومُهـلةٍ واتآد^(٤)
علمنا نستفيق من رقدة الفقـر فنغنى بفيضك المزداد
سلكتك السما ينابيع في الأر ض أمدتك أيماً إمداد
فتفجرت في السفوح عيوناً نبعت من مخازن الأطواد^(٥)
وإذا ما انتهيت في جريانٍ عدت للبدء في متون الغوادي^(٦)
هكذا دار دائر الكون من حيـ ث انتهى عاد راجعاً للمبادي

كلمة معتبر

أقوى مصيفُ القوم والمربعُ فالدار قفر بعدهم بلقع^(٧)
سارت بنا الأرض إلى غاية لنا وللأرض هي المرجع
ونحن كالماء جرى نابعاً لكن علينا خفي المنبع

(١) أرض قاحلة : لآبات فيها .

(٢) النضار : الذهب .

(٣) العسجد : الذهب . اللجين : الفضة .

(٤) الأناة والمهلة والأتآد : ألفاظ مترادفة بمعنى التآنى .

(٥) السفوح : جمع سفح ، وهو أسفل الجبل . الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل .

(٦) التون : جمع متن ، وهو جانب الشيء . الغوادي : السحاب الذي يكون فيه المطر . يقول ، إن الماء بعد ما ينتهى جريانه يرجع كما كان في باديء الأمر سحاباً بواسطة التبخر ، ثم ينزل مطراً ، وهكذا قال أبو العلاء :

فيأجسد المرء ماذا دهاك وقد كنت من عنصر طيب

ثمود طهوراً إذا ما رجعت إلى الأصل كالمطر الصيب

(٧) المصيف : مكان الإقامة صيفاً ، والمربع : مكانها ربيعاً . البلقع : الأرض الخالية من السكان .

يخون فيها القول منطقته كما تخون البطل الأدرع^(١)
 ما أقدر الموت فمن هوله لم ينبج لا كسرى ولا تبّع^(٢)
 يارافع البنيان كم للردى من سلم يدرك ما ترفع
 ويا طبيب القوم لا تؤذهم إن دواء الموت لا ينبج^(٣)
 لا بدّ للغرور من مندم بالعض تدعى عنده الأصبع
 وما عسى تغني وقد حشرجت ندامة ليست إذن تنفع^(٤)
 يا برقع الخلقة وأها لما فيك وآها منك يا برقع
 قد زاعت الأبصار فيما ترى إذ فات عنها شرك المودع
 ونيس في الإمكان عند النهى أبدع مما خلق المبدع

ألكنى يا ضياء

أجذك يا كواكب لا ثرينا بياناً منك يُخبرنا اليقيناً^(٥)
 كأنّ العالم العلويّ سفراً نطالعه ولسنا مفصحين
 نحاول منه إعراب المعاني بتأويل فنرجع معجمين^(٦)
 كواكب في الحجر عائمات حكّت في بحر فسحتها السفيناً^(٧)
 سرت زهر النجوم وما دراها فلاسفة مضت ومنجمونا

(١) المنطق : البليغ .

(٢) كسرى : اسم كل ملك كان يحكم القرس . ونبي : اسم كل ملك كان يحكم اليمن ، كقيصر للروم . وخاقان للترك ، والنجاشي الحبشة ، وفرعون للقبط ، والعزير لمصر .

(٣) لا ينبج : لا يؤثر .

(٤) حشرجت . الضمير راجع لأروح . والحشرجة : الفرغة عند الموت .

(٥) أجد : بفتح الجيم وكسر ها ، والمهمزة للاستفهام . وهذه من الكلمات التي لا تستعمل إلا مضافة . ومعناها أجيد منك هذا العمل . وقيل معناها بفتح الجيم استخلاف بالجد ، أي البخت والخط ، وبكسر ها معناها استخلاف بالجد . أي الحقيقة والاجتهاد . والجد الذي هو ضد الهزل .

(٦) الإعراب : الإظهار . معجمين : غير مفصحين .

(٧) الحجر : مجموعة نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر . وإنما ينظر ضوءها كأنه بقعة يضاء . حكّت : أشبهت . السفين : السفين : جمع سفينة .

شموس في السماء عَلتَ وجلَّتْ فظنوا في حقيقتها الظنونا
سوابج في الفضاء لها شئون ولما يعلموا تلك الشئونا
وما ارتجفت بجَنح الليل إلّا لتضحك فيه مما يزعمونا
لعلّ لها بهذا الجوّ شأنًا سوى ما نحن فيه مرجحونا^(١)
تلوح على الدجى متالئثات فتبهج في تلالئها العيونا
وأنى يدرك الرأى مداها وإن ألقى لها نظراً شفوننا^(٢)
تودّ الغانيات إذا رأتهنَّ لو انتظمت لها عقدًا ثمينا
تقلّده على اللّيات منها وتطرّح الدمالج والبرينا^(٣)

• • •

ألكنى يا ضياء إلى الدرارى رسالة مُسِيرٍ فيها الجفونا^(٤)
لعلك راجع منها جوابًا يزيل عمايةً التحيرينا
فقل ، إني تحير فيك فكري كذاك تحير المتفكروننا
فيا أمّ النجوم وأنتِ أمّ أيولد فيك كالأرض البنونا^(٥)
وهل فيك الحياة لها وجود فيمكن للردى بك أن يكونا
وهل بك مثل هذى الأرض أرض

وفيها مثلنا متخالفونا
وهل هم مثلنا خلقًا وخلقًا هنالك فيأكلون ويشربونا
وهل هم في الديانة من خلاف نصارى أو يهود ومسلمونا

(١) مرجون : قائلون بما لا نعلم .

(٢) مداها : غايتها . شفن شفوننا : رفع طرفه ناظرًا لشيء . كالنجم أو كالسكاره . فهو شافن وشفون . بفتح الشين .

(٣) تقلده : أى تقلده بمعنى تلبسه كالقلادة . اللابات : جمع لبة وهي النجر . الذى هو موضع القلادة من العنق . الدمالج : جمع دملج ، وهو حلى يلبس في المعصم . البرين : نوع من الحلى ، وهو جمع برة (يضم الباء وفتح الراء) على غير قياس .

(٤) ألكنى إلى فلان : أى كن رسولاً إليه ، وتحمل رسالتى إليه . الدرارى : أراد بها النجوم الزواهر .

(٥) أمّ النجوم : هى المجرة .

وهل طابت حياة بنيك عيشاً
وهل حَسِيت بك الأيام حتى
وهل بُلُوت نحن إذا خرجنا
فتبقى عندك الأرواح منّا
فأحبب بالمتون إذن وأحبب
بها إن كان سَمَّك المتونا^(١)

• • •

أينى ما وراءك يا درارى
قد اتسع الفضاء لك اتساعاً
وصغرَك ابتعادك فيه حتى
فهل كان ابتعادك من دلال
خوالد في قضاءك أنت ؟ أم قد
وقالوا ما لعدَّتكَ انتهاء
وقالوا الأرض بنتك غير مَيِّن
وقالوا إن والدك المفدى
ترصدك الأنعام وما أتانَا
(فهرشل) ما شفى منّا غليلاً
و (كبر) قد هدى أو كاد لّا
فنحن نخاله بعداً شطونا^(٢)
فهل أبعاده بك يثبينا
إليك استشرف المتشرفونا^(٣)
علينا أم بعدت لتخضعينا
يحل بك الفناء فتذهبنَا
فهل صدقوا أو ارتكبوا المجونا^(٤)
فهل أبناء بنتك يصدقونا^(٥)
أثير في القضاء أبى السكونا^(٦)
بعلم كيانك المتصدون^(٧)
ولا (غاليل) أنبأنا اليقيننا^(٨)
أبانك يا نجوم تجمذبينا^(٩)

- (١) مرتقون : مرتفعون .
(٢) تصان : تحفظ . جنفا : ظلم .
(٣) يقول : آيتهم المعجزة ، هل نحن نرتفع إليك إذا منّا ؟ فإن كان كذلك فما أحلى الموت إن كان سلعاً للوصول إليك .
(٤) بئر شطون : بعيدة القمر . وغزوة ونية شطون : بعيدة .
(٥) استشرف الشيء : رفع بصره ينظر إليه . اشوف إلى الشيء : تطلع إليه .
(٦) المجون : إرسال القول أو الفعل من غير مبالاة كالهزل .
(٧) المين : الكذب .
(٨) الأثير : مادة منتشرة في كل خلاء أعطف من الهواء .
(٩) الكيان : الطبيعة .
(١٠) هرشل وغاليل وكبر : علماء فلكيون .
(١١) أبانك ؟ أظورك .

إلى كم نحن نلبس فيك لبساً ومن جرّك ندرع الضنونا^(١)
 اعل النجم في إحدى الليالي سيعث للورى نوراً مينا
 تقوم له المواتف قائلات خذوا عني النهى ودعوا الجنونا

الأرض

خبّر في الأرض أوحته السما لأولى العلم برسل الفكر
 أنّ هذى الأرض كانت أولاً ما ترى بجراً بها أو جبلاً
 أوسهولاً أو ربّاً أو سبلاً أو رياضاً زهرها الغضّ نما^(٢)
 من سحاب جادها بالمطر
 إنما كانت كتلك الأخوات من نجوم سائرات دائرات
 حول شمس هي إحدى النيرات كنّ من قبل عليها سدماً^(٣)
 كتلة واحدة في النظر
 ثم بعد انفصلت من ذا السديم قطع منها صغير وجسيم
 ضمن أفلاكها الدّور تدبّر فاستقر الكل فيها أنجماً
 حول غير الشمس لم تستدر^(٤)
 أولاً « نبتون » منه انفصلا ثم « أورانس » يهدى زحلاً^(٥)

- (١) من جرّك : من أجلك . (٢) الغض : الطرى .
 (٣) السدم : جمع سديم ، وهو الضباب ، أى كانت النجوم التى هى فى العالم الشمسى حول الشمس بمنزلة الغيوم .
 (٤) الأرض وأخواتها من النجوم السابحة التى يتألف منها النظام الشمسى ، كانت جميعها مع الشمس كتلة واحدة ، ثم انفصلت وصار كل نجم على حدة ، مرتبطاً مع أخواته بنظام واحد . وإلى ذلك الإشارة فى قوله تعالى فى القرآن الكريم :
 « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما » .
 (٥) نبتون : هو النجم السيار الذى لم يعرف فى القديم . أورانس : هو نجم سيار لم يسكن معروفاً من قبل ، وإنما عرف أخيراً ، ويسمى أيضاً هرشيل باسم مكتشفه . وهذه النجوم التى ذكرها بعد أورانس هى السبعة السيارة الأصلية ، التى تخطر حول الشمس ، ولم يذكر القمر ، لأنه قد ثبت أنه يدور حول الأرض . وهى تدور حول الشمس .

ثم للمشــــــــــــــتري مريـــــــــخ تـــــــــلا ثم هذى الأرض فالزهرة ما

بعدها غير أخيهـــــــــا الأشهر^(١)

وأخو الزهرة بالشمس اقتدى ولها أقرب ســـــــــيـــــــــار غدا

وهى سارت خلفه طول المدى فأمام الأرض ذان انتظما

خلفها المريـــــــــخ ثم المشــــــــــــــتري

أرضنا كانت لظى مشتعلة مذ من الشمس غدت منفصلة

لم تزل فى دورها منتقلة كثرة فيها اللهب احتدما

وهى ترمى فى انفضــــــــــــا بالشرر

كان فيح النار منها مصعدا وهجا فى الجو عنها مبعدا

حيث لا يمكن أن ينعقدا فوقها منه بخار ديمـــــــــا^(٢)

هاطلات بالحياــــــــــــا المنهمر^(٣)

بقيت حيناً وهذا أمرها وهى بالإشعاع يخبو حرها^(٤)

وانثنى يبرد من ذا ظهرها فاكتست قشراً يحاكي الأدمـــــــــا^(٥)

واستمرت بطنها فى سُــــــــــــعر^(٦)

ثم قد صار على مر الزمان قشرها يغلظ آناً بعد آناً

بيد أن النار عند الهيجان قد أعادت قشرها منخرماً

بصــــــــــــدوع مُدهـــــــــشات البصر^(٧)

(١) أراد بأخيها الأشهر : عطارد ، وهو أقرب سيار إلى الأرض ، وليس بين الزهرة والأرض سيار سواه .

(٢) الديم : جمع ديمة ، وهى مطريدوم فى سكون بلا رعد ولا برق ، والمراد به هنا المطر مطلقاً .

(٣) الحيا : المطر . النهر : السائل ، أى أن شدة الحرارة المتصاعدة من الأرض كانت تمنع البخار من أن ينعقد سحاباً مائطراً .

(٤) يخبو : يخبو : يخبو ويسكن .

(٥) يحاكي : يشابه . الأدم : البشرة وهى ظاهر الجلد .

(٦) البطن : مذكر ، وتانيته لفة . وعليها مشى الشاعر ، ويجوز أن يكون الضمير فى استمرت عائداً إلى الأرض . فتسكون جملة بطنها فى سحر . فى موضع الحال من الضمير . السحر : الحر . وأراد به الاشتعال والهيجان . والسحر فى الأصل بتسكين العين ، وضم هنا للضرورة .

(٧) صدوع : شقوق .

شَخَصَتْ أَطْرَافَ هَاتِيكَ الصَّدُوعَ بِجِبَالٍ شَمَخَتْ مِنْهَا الْقُرُوعُ
وَهَا فِي الْعَيْنِ أَشْكَالُ تَرُوعٍ تَقْدِفُ الْأَفْوَاحَ مِنْهَا جُمُاعاً^(١)

صَارَ مِنْهُنَّ رُكُومَ الْحَجَرِ^(٢)

خَصَلَتْ مِنْ قَدْفِ هَاتِيكَ الْمَوَادِّ حَيْثُ يَحْمِلُنَّ جِبَالٌ وَوَهَادٌ^(٣)
وَرِكَازٌ وَصَخُورٌ وَجَمَادٌ بَعْضُهَا دَقٌّ وَبَعْضٌ عَظَامٌ^(٤)

وَهُوَ صَلْبُ الْجِسْمِ صَعْبُ الْمَكْسِرِ

وَهَنَّاكَ انْعَقَدَتْ فِيهَا الْغَيُومُ مِنْ بَحَارٍ كَانَتْ فِي الْجَوِّ يَهِيمُ
رَدَّهُ الْبَرْدُ مِيَاهًا فِي التَّنْخُومِ فَجَرَى السَّيْلُ عَلَيْهَا مَقْعِمًا^(٥)

كُلَّ غُورٍ فَوْقَهَا مَنَحْدِرٌ^(٦)

عَمَّهَا السَّيْلُ فَغَطَّى حِينَ سَالَ سَطْحَهَا بِحِجْرَتٍ مِنْهَا الرَّمَالُ
فَطَمَ الْمَاءُ وَاسْكَنَ الْجِبَالُ شَخَصَتْ فِي الْمَاءِ لَمَّا أَنْ طَمَ^(٧)

وَعَلَتْ كَالشَّفْنِ فَوْقَ الْأَمْجَرِ

غَمَرَ الْمَاءُ بِهَا مَا غَمَرَا ثُمَّ خَلَّى بَعْضُهَا مَنَحْسِرًا^(٨)
مَحْدَثًا فِي السَّطْحِ مِنْهَا جُزُرًا أَنْزَلَ الْمَاءُ بِهَا مَا حَطَمَ^(٩)

مِنْ طُفَالٍ وَحُتَاتٍ الْمَدَرِ^(١٠)

(١) تَرُوع : تخفيف . الحُم : جمع حمة . وهي ما تقذفه أنبراكين عند ثوراتها .

(٢) الرُّكُوم : الشيء المتراكم بفضه فوق بعض . (٣) الوَهَاد : الأماكن المنخفضة .

(٤) الرِّكَاز : المعدن . دَق : صغر . (٥) التَّنْخُوم : الفواصل بين الأرضين . مَقْعِمًا : مائلاً .

(٦) الْغُور : هو ما انحدر من الأرض ، متى تساطعت حرارة الشمس على الأرض امتصت رطوبتها ، فتتصاعد تلك الرطوبة بخاراً في الجو ، وبتى بلغ الطبقة الباردة من الهواء يتجلل ويتساقط مطراً . وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى في القرآن الكريم : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَجَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ . ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكُومًا ، فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ » . الْوَدْق : المطر .

(٧) طَمَ : ارتفع . (٨) مَنَحْسِرًا : منكشفاً .

(٩) الْجُزُر : جمع جزيرة . على غير قياس ، والقياس : جزائر .

(١٠) الطُّفَال : بفتح الطاء وضمةها هو الطين اليابس . الحُتَات : بضم الحاء : هو ما تنثر من كل

شيء . الْمَدَر : التراب المتبلد .

بسيول الماء كم فيها ارتكم^(١) من رمال رسبت فيها أكم^(١)
ولكم خدّت أخاديد وكم^(٢) قد بئت من طبقات علما^(٢)
نضدت فيه صفيح المرمر^(٣)
ثم صارت وهى من قبل موات^(٤) تصلح الأقطار منها للحياة^(٤)
فانبرت تذبّت في البدء النبات ثم أبدت من قواها النسا^(٥)
وارتقت فيها لنوع البشر^(٦)
فغدت إذ ذاك تزهو بالرياض وبها الأدواح تنمو في الغياض^(٧)
ثم ترميها أكف الانقراض بانحطام حيث تسمي فخا
حجريا بممرور الأعصر
من حطام الخلق في الأرض هضاب^(٨) كوتهن أكف الانقلاب^(٨)
ما تراب الأرض والله تراب^(٩) إنما ذاك حطام قداما
من جسوم باليات الكسر
كم على الأرض رفات باليات من جسوم طحنتها الدائرات^(٩)

(١) ارتكم الشيء : اجتمع مع ازدحام وكثرة . رسب الشيء في الماء : وصل إلى أسفله .
أكم : جمع أكمة . وهى التل .

(٢) خدت : شقت . الأخاديد : جمع أخدود ، وهو شق مستطيل في الأرض . العلم : الجبل .

(٣) نضدت الشيء : بمعنى جعلت بعضه فوق بعض مسقا أو مركوما . صفيح المرمر : أراد به حجارته .

(٤) الأرض الموات : هى الجراب . أوالى لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد . الأقطار : النواحي

والجهات ، مفردا قطر .

(٥) النسيم : جمع نسمة وهى نفس الروح ، وأراد بالنسيم الأرواح أنفسها .

(٦) يظهر أن الشاعر يميل إلى مذهب النشوء والارتقاء كما يفهم من هذا المقطع . وقد

اضطربت الآراء في أن هذا المذهب يعارض نصوص الدين ؛ وعندى أنه لا يعارضها ، ولم يزل علماء

الكون في حيرة من تحقيق هذا المذهب .

(٧) الأدواح : الأشجار العظيمة .

(٨) الحطام : ماتكسر وتفتت من الأشياء اليابسة وحطام الخلق : ماتكسر من عظامها

وتحطم . الهضاب : جمع هضبة ، وهى الجبل المنبسط على وجه الأرض .

(٩) الرفات : الحطام . وهو مفرد مذكر ، أراد به الشاعر معنى الجمع ، فجمع صفته وأثراها .

فاحتفِر في الأرض تلك الطبقات تجد الأفاض فيها رما^(١)
 هي للأحياء أو للشجر
 كل وجه الأرض للخلق قبور خفف الوطاء على تلك الصدور
 والعيون النجل منهم والثغور إنما أنت ستفنى مثمما^(٢)
 قد فنوا والموت دامي الظفر
 ضلت الأرض على كرا الدهور تبهر الأجل فيها والبحور^(٣)
 فوقها تجبل والماء يغور وعلى ذاك استدل الحكم
 بحال السمك المستحجر
 علماء الأرض لم تبح ترى حيوان البر لما دثرا^(٤)
 منه في الأبحر أبقى أثرا وكذا في البر ألقى العلماء
 أثرا من حيوان الأبحر
 كل ما في الأرض من فقر وبيد وجبال شهقت فوق الصعيد^(٥)
 عن زهاء الربع منها لا يزيد وسوى ذلك منها انكنا
 تحت ماء البحر لم ينحسر
 في صعيد الأبحر المنعمين مثل ما يوجد فوق اليابس
 من جبال ناتئات الأروس ووهاد تستنزل القدما^(٦)
 ورثا مختلفات القدر^(٧)

(١) الأفاض : الأبنية المنهدمة . الرسم : ما بلى من العظم ، مفردا رمة . وأراد بها الشاعر ما هو أعظم .
 (٢) النجل : العيون الواسعة الحسنة .
 (٣) تبهر الأجل : أي تصيرها بحرا . والأجل : جمع جبل . تجبل : تصير جبلا — يعرض للأرض بسبب ما في جوفها من القوى والفواعل المختلفة اضطرابات وانقلابات ، وقد تسبب هذه الفواعل تغوير الجبال الشاهقة ، فيغمرها الماء ، فتصير بحرا ، وقد تسبب ظهور جبال وجزائر في البحر . وقد استدل علماء الكون على ذلك بما شاهدوه من الأسماك المتحجرة في رؤوس الجبال ، ومن آثار الحيوانات البرية في أغوار البحار .

(٤) دثرا : بلى وإحى .

(٥) البيد : جمع يبداء ، وهي الفلاة لأماء فيها ولا أنيس . الصعيد : وجه الأرض .

(٦) ناتئات : مرتفعات . تستنزل : تزلق . (٧) ربا : جمع ربوة ، وهي المرتفع من الأرض .

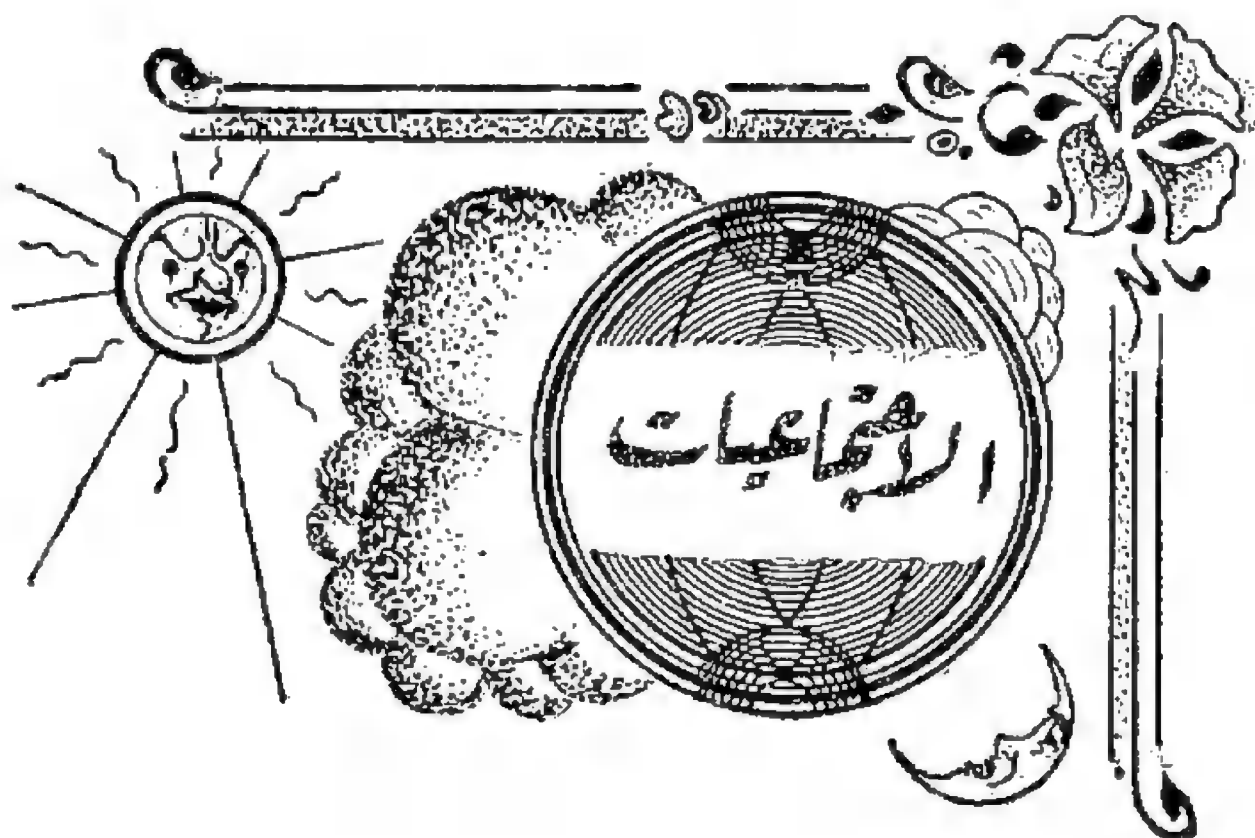
ما نرى اليوم من الماء الحميم والبراكين التي تحكي الجحيم^(١)
ومن الزلزال ذى الهول العظيم دلّ أن الأرض فيما قدّما
ذات جرم ذاتب مستعر^(٢)
كل ما كان بحال السيلان فهو يغدو كرة بالدوران
وكذاك الأرض فى ماضى الزمان كروياً قد غدا ملتباً
جرمها من سيلان العنصر
ثم إن الأرض من قبل الجمود ولدت منها وليست بالولود^(٣)
قراً دار عليها بسعود وجلال فى الليل عنها الظام
فهى بنت الشمس أم القمر^(٤)

(١) الحميم : الساخن الحار . البراكين : جبال تقذف ناراً ودخاناً وماءً ووحلاً ومواد ذائبة ، فيبدو منها إذ ذاك بمجموع حوادث تظهر فيها النار أعمالها الغريبة . وأسباب تلك الحوادث غير معروفة . وربما بقيت على الدوام إذ لا وسيلة إلى معرفتها . ومفرد ما بركان ، وهو لفظ قد اصطلح عليه ، ولفظه العربى الصحيح فلقان : جمع فلق . بفتح الفاء واللام ومعناه جهنم ، ثم استعمل لجبل النار .

(٢) مستعر : ملتهب .

(٣) الولود بفتح الواو : الكثيرة الأولاد . الأرض قبل أن تجمد بعد انفصالها عن الشمس انفصل عنها القمر .

(٤) هى ، أى الأرض بنت الشمس ، لأنها متفصلة عنها ، وهى أم القمر ، لأنه منفصل عنها .



نحن والماضي

عهدتك شاعر العرب المجيدا فما لك لا تطارحنا النشيدا^(١)
 فنحن إليك بالأسماع نصغي فهل لك أن تفيد قنستفيدا
 بشعر لا تزال تنوط منه بمجيد بدائع الدنيا عقودا^(٢)
 إذا أنشدته الحسناء تاهت كأن قرطتها ذرا فريدا^(٣)
 وأنت إذا قرعت به عبيدا رددت إلى الحرار به العبيدا^(٤)
 ولو تستهض الجبناء يوما به لتفحموا الهيجا أسودا
 ولو كررته للقوم ألفا لأقسم سامعوه بأن تعيدا
 وكم تهتز أعطاف المعالي إذا ما قلت قافية شرودا
 فلو أنشدتنا في الفخر شعرا تذكرنا به العهد البعيدا
 تذكرنا الأوائل كيف سادوا وكيف تبوعوا الشرف المديدا^(٥)

* * *

فقلت له وقد أبدى ارتياحا إليّ إذ ارتحلت له القصيدا
 أجل إن القبائل في معدٍ علوا فتسمنوا المجد المجيدا^(٦)
 وإن لهاشم في الدهر مجدا بناه لها الذي هشم الثريدا

(١) قوله « لا تطارحنا النشيد » : أي لا نتجاوبنا منشدا ، يقال طارحه الكلام والشعر والغناء : إذا نظره وجاوبه .

(٢) تنوط : تعلق . والجيد : العنق أو مقلده أو مقدمه .

(٣) تاهت : : كبرت . وقرطتها : أي ألبستها قرطا ، والقرط بالضم : هو الذي يعلق فيه شحمة الأذن ، : ذرة أو نحوها .

(٤) قرعت : ضربت . والحرار بالفتح : العتق والحرية .

(٥) تبوعوا الشرف : امتدوا فيه وأدركوا غايته . والشرف المديد : أي الممدود الطويل .

(٦) أجل : حرف جواب بمعنى نعم . وتسمنوا المجد : أي علوه . ومعد : هو معد بن عدنان .

وَمُنْذَرٌ قَامَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِيهِمْ
وَأَنْهَضَهُمْ إِلَى الشَّرَفِ الْمُعَلَّى
فَأَصْبَحَ وَارِيًّا زَنْدَ الْمَعَالَى
فَهُمْ فَتَحُوا الْبِلَادَ وَدَوَّخُوهَا
وَهُمْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ بَأْسًا
وَأَرْجَحَهُمْ لَدَى الْجُلَى حُلُومًا
وَلَكِنْ أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ إِنِّي
وَمَا يُجْدِيُ افْتِخَارَكَ بِالْأَوَالَى

• • •

أَرَى مُسْتَقْبِلَ الْأَيَّامِ أُولَى
فَمَا بَلَغَ الْمَقَاصِدَ غَيْرَ سَاعٍ
فَوَجَّهْ وَجْهَ عَزْمِكَ نَحْوَ آتٍ
وَهَلْ إِنْ كَانَ حَاضِرْنَا شَقِيًّا
تَقَدَّمَ أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ شَوْطًا
وَأَسَّسَ فِي بَنَائِكَ كُلَّ مُجْدٍ
فَشَرَّ الْعَالَمِينَ ذُووِ خُمُولٍ
وَخَيْرَ النَّاسِ ذُو حَسَبٍ قَدِيمٍ
تَرَاهُ إِذَا ادَّعَى فِي النَّاسِ فَخْرًا
فَدَعْنِي وَالْفَخَارَ بِمَجْدِ قَوْمٍ
قَدْ ابْتَسَمَتْ وَجْوهُ الدَّهْرِ بِيضًا
لَهُمْ وَرَأَيْنَا فَعْبَسْنَ سَوْدًا

(١) ابن عبد الله : يعنى محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) دُوخُوهَا : أى قهروها واستولوا على أهلها .

(٣) الحُلَى : الخطب العظيم ، والأمر الشديد ، وهى مؤنث الأجل .

(٤) الشَّوْط : الجرى مرة إلى القاية .

(٥) المجد الطريف : الحديث المكتسب . والتليد : القديم الموروث .

وقد عهدوا لنا بتراث مُلك أضعنا في رعايته العهودا^(١)
وعاشوا سادة في كل أرض وعشنا في مواطننا عبيدا
إذا ما الجبل خيم في بلاد رأيت أسودها مسخت قُرودا

مَعترك الحياة

هو الدهر لم يترك مَشَنَّ غَوَارِهِ على سابق من ليله أَوْنِهَارِهِ^(٢)
يشير غبارَ الحادثات بِكُرِّهِ وهل نحن إِلَّا من مُتَارِ غِبَارِهِ
وكم عِبَرٍ مطوية في صروفه فهل من مُجِيلٍ فيه طرف اعتباره
خَلِيلِي إِنَّ الأرضَ غَرِبَالٍ قَدْرَةَ نَجَمَّتِ الأحياءُ بين إِطَارِهِ^(٣)
تميد به كف الزمان تحركًا لحو ضعيفٍ أو لإثبات قَارِهِ^(٤)
فيمتد به الأقوى قرين ارتقائه كما يسقط الأوهى رهين اندثارِهِ^(٥)
فلا عيش في الدنيا لمن لم يكن بها قديرًا صلى دفع الأذى والمكاره

لعمرك ما هذى الدنيا بملبسٍ لمن حيك من عجز نسيج شعاره
ولكن لمن أمسى بأيدٍ وقوة يجرّ على الأيام فضل إزارِهِ^(٦)

- (١) قوله بتراث ملك ، التراث : ما يخلفه الرجل لورثته ، أى بتراث هو ملك ، فلاضافة بيانية .
(٢) الغوار : كالآغارة ، مصدر غاور العدو إذا أغار عليهم . ومشن : مصدر ميمى بمعنى الشن . وشن الغارة تفريقها وصحبها من كل جهة . يقول : إن الدهر لا يقعد عن شن الآغارة بحوادثه المتتالية . وهو على جوارى سابقين ، هما الليل والنهار .
(٣) يشير بهذا والذي بعده إلى قانون الاصطفاء الطبيعي ، وهو قانون بقاء الأنسب ، فهو يعمل عمله في الأرض الدائرة حول الشمس ، فبضمحل في أثناء دوراتها الضعيف من المخلوقات ، ويبقى بها القوى القادر على دفع كل ما يقاوم حياته فيها ، فهى في ذلك بمنزلة الغربال ، الذى يسقط عند تحريكه كل دقيق صغير ، ويبقى فيه ما هو كبير . وإطار الغربال : اللوح المحيط به
(٤) تميد به : أى تدور به وتحرك . والقاره : المديح النشط ، والمراد به هنا : ما يقابل الضعيف ، وهو القوى .
(٥) الأوهى : الأضعف ، وهو مقابل الأقوى في الشطر الأول .
(٦) بأيد : أى بقوة ، فمطبت القوة عليه من قبيل عطف التفسير . والباء هنا للمصاحبة . =

أرى الشمس تُخفى ضوءها كلَّ نازقٍ وإن كان ينبو الطرف عن مُستناره
وما ذاك إلا أنها في تلهّبٍ يهوج بنور ساطع وقد ناره
فلم يستطع نجم طلوعاً تجاهها إذا لم يُعذ بالليل غب اعتكاره
كذلك ضعيف القوم إن كان جاره قوياً يكن شلواً أكيلاً لجاره^(١)
وما الليث لولا بأسه في عرينه بأشرف من صبّ الفلا في وجاره
ومن غاور الأيام غير مدججٍ فلا يطمعن في مغنم من مغاره^(٢)
ومن لم يهن صرّف الزمان برحلةٍ شهته صروف الدهر في عثر داره^(٣)
وما شرف الدرّ الثمين فريده إذا هو لم يبرح بطون نحاره^(٤)

أرى كل ذي فقر لدى كل ذي غنى أجيراً له مستخدماً في عقاره^(٥)
ولم يعطه إلا اليسير وإنما على كده قامت صروح يساره
ويلبس من تذليله العزّ ضافياً وينظره شزراً بعين احتقاره
يَشُدُّ الغنى أزرَ الفتى في حياته وما الفقر إلا مكسّر في فمّاره
وليس الغنى إلا غنى العلم إنه لنور الفتى يحلو ظلام افتقاره^(٦)
ولا تحسبن العلم في الناس منجياً إذا نكبت أخلاقهم عن مناره

== وقوله يجر على الأيام فضل إزاره : كناية عن القوة والقدرة ، لأن جر فضل الأزار إنما هو فعل الجبايرة والأغنياء ، فكأنه يقول لمن أسمى قرياً ذا قدرة وعظمة .

(١) ضرب في الآيات المتقدمة مثلاً لتغلب القوى على الضعيف ، بما ذكر من الشمس التي لا تستطيع النجوم طلوعاً تجاهها ، فلا تطلع إلا إذا غابت الشمس واعتكر الظلام . ثم قال : وكذلك ضعيف القوم إن جاور القوى كان مغلوباً له . والشلو : المصو من المحجم .

(٢) المدجج : اللابس السلاح .

(٣) عثر الدار : وسطها . أي من لم يرحل لدفع نوائب الدهر عنه ، فاقته تلك النوائب وهو في وسط داره .

(٤) المحار : الصدف الذي يكون فيه الطؤل ، واحده محارة .

(٥) يقتصر بهذه البيت وما بعدهم لذهب الاشتراكية ، حيث ذكر منزلة الفقير تجاه الغني ، وعيسى الثاني من كند الأول .

(٦) يشير بهذه الآيات إلى أن الغنى الحقيقي هو غنى العلم لا المال ، وأن العلم لا يجدي نفعاً إذا لم يقترن بالأخلاق العادلة .

وما العلم إلا النور يجلو دُجى العمى ولكن تزيغ العين عند انكساره^(١)
فما فاسد الأخلاق بالعلم مفلحاً وإن كان مجراً زاحراً من بحاره

سل الفلك الدوار عن حر كانه فهل هو فيها دائر باختياره
وهل هو في هذا الفضاء مسافر له غاية مقصودة من سفاره
وهيئنا جهلنا بدأه من تقادم فهل يدرك العقل انتهاء مداره
متى ينجلي ليل الشكوك عن النهى وترفع كف العلم مَرخى ستاره
ألا ورى في زند الزمان فتهتدى بسقط ضئيل من سقيط شراره
أرى الدهر ليلاً كله غير مبصر وإن كان في راد الضحى من نهاره
وأهليه ساروا خابطين ظلامه وإن ركبوا في السير متن بحاره

لعمرك إن الدهر يجرى لغاية فإن شئت أن تحيا سعيداً فخاره
وها هو ذا يعدو فيبتدر المدى وينهب أعمار الورى في ابتداره
لقد فاز من بارى جديديه جدّة وخاب الذى فى جدّة لم يباريه
وليست حياة الناس إلا تجددًا مع الدهر فى إيباسه واخضراره
وما الناس إلا الماء يُحييه جرّيه ويرديه مكث دائم فى قراره

لك الخير هل للشرق يقظة ناهض فقد طال نوم القوم بين دياره
ألم تر أن الغرب أصلت سيفه عليهم وهم لاهون تحت غراره
وبادرهم كالسيل عند انحداره وهم فى مهاوى غفلة عن بداره

(١) العلم : يشبه بالنور من جهة أنه يجلو ظلام العمى ، أى الجهل . كما أن النور يجلو ظلام الليل ، وكذلك يشبه النور من جهة أنه إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة يؤدي بصاحبه إلى الزيغ عن الهدى . كما أن النور إذا انعكس شعاعه عند نفوذه فى الأجسام الشفافة كالماء والماء . تزوغ عين الرائي . أى تنحرف بسبب انعكساره عن رؤية المرئى كما هو فى نفس الأمر . وتحرير المعنى أن العلم إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة يكون كالنور المنعكس . الذى يزوغ به البصر عن إدراك حقيقة المرئى كما هى .

أما آن للساھین أن یأبہوا له وقد أصبحوا فی قبضة من إسارہ^(١)
تراهم جمیعاً بین حیران واجم وآخر یطری ماضیاً من فخارہ^(٢)

أم الیتیم (*)

رمت مسمعی لیلاً بأنة مؤلم وباتت توالی فی الظلام أنینها^(٣)
وبت لها مرئی بنهشة أرقم^(٤) خیفو بقلبی صوتها مثلما هفت
إذا بعثت لی أنة عن توجع تقطع فی اللیل الأنین كأنها^(٥)
بقلب فقیر القوم رنة درهم یهز نیاط القلب بالحزن صوتها^(٦)
بعثت إلیها أنة عن ترحم إذا اهتز فی جوف الظلام الحیم^(٧)
تقطع أحشائی بسیف مثل^(٨) ترددہ والصمت فی اللیل سائد
بلحن ضئیل فی الدجنة مبهم^(٩) كأن نجوم اللیل عند ارتجافها
تصیح إلی ذاك الأنین المجمع^(١٠) فما خفقان النجم إلا لأجلها
وما الشهب إلا أدمع النجم ترتی لقد تركتني موجع القلب ساهرا^(١١)
أخا مدمع جارٍ ورأسٍ مہوم^(١٢) أری فمة الظماء عند أنینها
فأعجب منها کیف لم تنضم^(١٣) فأصبحت ظمان الجفون إلی الکری

وإن كنت ریان الحشا من تألی^(١٤)

وأصبح قلبي وهو كالشعر لم تدع له شعراء القوم من مترد^(١٥)

(١) أن یأبہوا له : أي أن یفطنوا له . (٢) واجم : أي ساکت لشدة حزن أو غم .

(*) من الديوان الأول .

(٢) الضیغ : الأسد . (٤) الأرقم : أخبت الحیات وأطلبها للناس .

(٥) یهفو : ینفق . (٦) مثل : مقلل مکسر الحد .

(٧) النیاط : عرق غلیظ یطابه القلب إلی الوتین . والنیاط فی الأصل : ما یعلق علیه أي شیء .

(٨) الدجنة : الظلمة . (٩) تصیح : تستمع . حجم السکلام : أي أم یبینه .

(١٠) هوم الرجل تهویما وتهوم تهوما : أي هز رأسه من النعاس .

(١١) تنضم : تشغل . (١٢) الکری : النعاس . (١٣) المترد : المرقع الذی یرقع

وبيت بكت فيه الحياة نحوسة
به ألفت الأيام أثقال بؤسها
كأنى أرى البنيان فيه مهدماً
ولكن زلزال الخطوب هوى به
دخلت به عند الصباح على التى
فألفيت وجهاً خدد الدمع خده
وجسماً نحيفاً أنهكتهم همومه
لقد جثمت فوق التراب وحوها
تراه وما إن جاوز الخمس عمره
بكى حوها جوعاً فغذته بالبكا
وأكبر ما يدعو القلوب إلى الأسى

ولاحت بوجه العابس المتجهم^(١)
فهاجت به الأحران فاغرة الفم^(٢)
وما هو بالخاوى ولا المتمسدم
إلى قعر مهوأة الشقاء الجسم
سقانى بكاه فى الدجى كأس علقم^(٣)
ومحمر جفن بالبكا متورم^(٤)
فكادت تراه العين بعض توهم
صغير يرنو لها بعيني ميم^(٥)
يدير لحاظ اليافع المتفهم^(٦)
وليس البكا إلا تعلقة معدم^(٧)
بكاء يقيم جائع حول أيم^(٨)

وقفت وقد شاهدت ذلك منهما
وقفت لديها والأسى فى عيونها
وساءلتها عنها وعنه فأجهشت
ولما تنافست فى البكاء تضاحكت
ولكن دموع العين أثناء ضحكها
فقد جمعت ثعراً من الضحك مفعماً
فتذرى دموعاً كالجمان تناثرت

لريم أبكى رحمة وابن مريم
يكلمنى عنها ولم تتكلم
بكاء وقالت أيها الدمع ترجم^(٩)
من اليأس ضحك الهزء المتهم
هو اطل مهما يسجم الضحك تسجم^(١٠)
إلى يحجر بك من الدمع مفعم^(١١)
وتضحك عن مثل الجمان المنظم^(١٢)

- (١) المتجهم : هو الذى يستقبلك بوجه كره .
(٢) فاغرة : فاتحة .
(٣) الدجى : الليل . الملقم : الحنظل وكل شئ مر .
(٤) خدد : شق .
(٥) يرنو : يديم النظر .
(٦) اليافع : الذى ترعرع وناهز البلوغ .
(٧) التعلقة : هو الشرب بعد الشرب تباعاً . والمراد هنا : أنه كان يبكى مرة بعد مرة . ليعمل نفسه . ويشغلها بذلك . المعدم : الفقير .
(٨) الأيم التى فغدت زوجها .
(٩) أجهشت بالبكاء : أى همت به وتهيات له .
(١٠) يسجم الدمع : يسال .
(١١) مفعماً : مملووا . الحجر : ما دار بالعين وبداء من البرقع .
(١٢) الجمان : الأولو .

فلم أرَ عيناً قبلها سال دمعها بكاءً وفيها نظرة المتبسم
فقلت وفي قلبي من الوجد رعدة أجنونة يا ربَّ فارحم وسلم

✽ ✽ ✽

ومذ عرضت للإبن منها التفاتة أشارت إليه بالمدامع أن قم^(١)
فقام إليها خائر الجسم فأنثت عليه فضمته بكف ومِعصم^(٢)
وظلت له ترنو بعين تجوده بفدَّ من الدمع الغزير وتوعم^(٣)
فقال لها لما رآني واقفاً أرددُ فيه نظرة المتوسِّم^(٤)
سلى ذا الفتى يا أمَّ أين مضى أبي وهل هو يأتينا مساءً بمَطَم^(٥)
فقال له والعين تجرى غروبها وأنفاسها يقذفن شُعلةً مُضرم^(٦)
أبوك ترامت فيه سفرة راحل إلى الموت لا يرجى له يوم مُقَدَّم^(٧)
مشى أرمنيًا في المعاهد فارتمت به في مهاوى الموت ضربة مسلم^(٨)
على حين ثارت للنواب ثورة أتت عن حرازاتٍ إلى الدين تنتمى^(٩)
فقامت بها بين الديار مذابح^(١٠) تخوض منها الأرمنيون بالدم
ولولاك لاخترت الحمام تخلصاً بنفسى من أتعاب عيش مُدَمِّم^(١١)
فأنت الذي أخرت أمك مرَّيماً عن الموت أن يودى بأملك مرَّيم^(١٢)
أمرئيم مهلاً بعض ما تذكرينه فإنك ترمين القواد بأسهم
أمرئيم إن الله لا شك ناقم^(١٣) من القوم في قتل النفوس الحرم
أمرئيم فيما تحكين تبصرى فإن أنت أدركت الحقيقة فاحكمى
فليس بدين كل ما يفعلونه ولكنه جهلٌ وسوء تفهم
لئن ملئوا الأرض الفضاء جراً^(١٤) ففهم أجزموا والدين ليس بمجرم

(١) المصمم : موضع السوار من الساعد . (٢) الفد : الفرد . التوعم : الولود مع غيره .
في يطن : من الاثنين فصاعداً . (٣) المتوسم : المتفرس . (٤) غروبها : دموعها .
(٥) ترامت به : أبعدته . (٦) يشير بذلك إلى فتنة أظنة التي ثارت بسبب حق الأرمن .
وجاهلاء المسلمين . (٧) الحمام : الموت . (٨) أودى به : أهلكه .

ولكنهم في جنح ليل من العمى
وقد سلكوا تيهاء من أمر دينهم
ولما رأيت اللوم لثوماً تجاهها
وأطرقت نحو الأرض أطلب عفوها
وظلت لها أبكى بعين قريحة
بكيت وما أدرى أبكى تضجراً
تمشوا بمطموس العلامة مبهم^(١)
فكم منجد في المخزيات ومُتهم^(٢)
سكت فلم أنبس ولم أنبرم^(٣)
ولا أنا بالجاني ولا بالمتيم^(٤)
جرت من أفاقها عصارة عندم^(٥)
من القوم أم أبكى لشقوة مرهم^(٦)

السجن في بغداد (*)

سكناً ولم بسكن حراك التبذر
عفارسم مغنى العز منها كما عفت
بلاد أناخ الذل فيها بكل كل
معاهد عنها ضل سابق عزها
أحاطت بها الأرزاء من كل جانب
مواطن فيها اليوم أيمن من غد^(١)
« نخوة أطلال بركة همد »^(٢)
على كل مفتول السبيلين أصيد^(٣)
فهل هو من بعد الضلالة مهتد
إلى أن محتها معهدا بعد معهد^(٤)

(١) جنح الليل : طائفة منه . بمطموس : أى بطريق مطموس . والعلامة : جمع علامة ، وهى شئ منصوب فى الطريق يهتدى به .

(٢) التيهاء : الأرض التى يتوه بها الإنسان . المنجد : قاصد النجدة ، أى المكان المرتفع . والمتهم : قاصد تهامة أى المكان المنخفض .

(٣) لم أنبس : لم أتكلم . أنبرم : أنضجر .

(٤) الجاني : المجرم . المتيم : الذى تيمه العشق أى ذلّه وعبيده .

(٥) الأماقي : جمع مؤنث ، وهو طرف الدين مما إلى الأنف . العندم : البقم ، وهو شجر له ساق أحمر يصعب بطيخه .

(٦) أنبدر : التفرق . أيمن : أسعد .

(*) من الديوان الأول .
(٧) عفا : انحى . الرسم : ما كان لاحقاً بالأرض من آثار الديار . المغنى : المنزل الذى أقام به أهله ثم رحلوا . نخوة : اسم امرأة . الأطلال : جمع طلل ، وهو الباقى من آثار الديار . بركة : همد : اسم موضع .

(٨) أناخ بالمكان : أقام به . السكل : الصدر . (٩) السبيلين : ثنية سبل ، والسبيل : جمع سبل ، وهى شجر الشارين . الأصيد : الذى يرنح رأسه زهراً ونجياً .

(٩) الأرزاء : المصائب .

وَحَلَقَ فِي آفَاقِهَا الْجُورَ بَازِيًا مُطَالًا عَلَيْهِمَا صَائِنًا بِالْتِهَادِ^(١)
وَيَنْقُضُ أَحْيَانًا عَلَيْهِمَا فِتَارَةً يَرُوحُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ يَغْتَدِي
فِيخَطَفُ أَشْلَاءَ مِنَ الْقَوْمِ حَيَّةً وَلَمْ يَقْدِرْ الْمَقْتُولَ مِنْهَا وَلَمْ يَدِ^(٢)
وَيَرْمِي بِهَا فِي قَعْرِ أَظْلَمِ مُوحَشٍ بِهِ أَيْنَ تَسْقُطُ جَذْوَةُ الرُّوحِ مُحَمَّدِ^(٣)
هُوَ السِّجْنُ مَا أَدْرَاكَ مَا السِّجْنُ إِنَّهُ جِلَادُ الْبَلَايَا فِي مَضِيقِ التَّجَلَدِ
بِنَاءٌ مُحِيطٌ بِالنَّعَاسَةِ وَالشَّقَا لَظْمٌ بَرِيءٌ أَوْ عَقُوبَةٌ مُعْتَدِ

زُرَّ السِّجْنُ فِي بَغْدَادَ زُورَةً رَاحِمَ لِتَشْهَدَ لِلْأَنْكَادِ أَجْعَ مَشْهَدِ^(٤)
مَحَلٌّ بِهِ تَهْفُو الْقُلُوبُ مِنَ الْأَمَى فَإِنْ زُرْتَهُ فَارْبِطْ عَلَى الْقَلْبِ بِالْيَدِ^(٥)
مَرْبَعٌ سُورٍ قَدْ أَحَاطَ بِمَثَلِهِ مُحِيطٌ بِأَعْلَى مِنْهُ شَيْدَ بَقَرَمَدِ^(٦)
وَقَدْ وَصَلُوا مَا بَيْنَ ثَانٍ وَثَالِثٍ بِمَعْقُودِ سَقْفٍ بِالصَّخُورِ مُشِيدِ
وَفِي ثَالِثِ الْأَسْوَارِ تَشْجِيكَ سَاحَةٍ تَمُورُ بِتَيَّارٍ مِنَ الْخُسْفِ مُزِيدِ^(٧)
وَمِنْ وَسَطِ السُّورِ الشَّمَالِيِّ تَنْتَهِي إِلَيْهَا بِمَسْدُودِ الرِّتَاجِينَ مُوَصَّدِ^(٨)
هِيَ السَّاحَةُ النُّكْرَاءُ فِيهَا تَلَاعَبَتْ مَخَارِيقُ ضَمِيمٍ تَحْلُطُ الْجِدَّةُ بِالْدَدِ^(٩)
ثَلَاثُونَ مِثْرًا فِي جِدَارٍ مُحِيطُهَا بِسَمَكٍ زُهَاءِ الْعَشْرِ فِي الْجَوْ مُصْعَدِ

(١) البازي : اسم فاعل من برا عليه بمعنى تطاول ، وفيه تورية بالبازي ، وهو نوع من الطيور الجارحة ، التي تسمى الصقور . صائنا : مصوتا .

(٢) أشلاء : الإنسان : أعضاؤه . لم يقدر المقتول : لم يقتل قاله . لم يد : لم يعط الدية . وهي مال يعطى لولى القتل بدل النفس .

(٣) جذوة الروح : شعلتها .

(٤) الأنكاد : جمع نكد . وهو الرجل المشؤم ذو العسر . (٥) تهفو : تضطرب .

(٦) أي هو مربع سور . يصف بهذا البيت وما بعده بناء السجن وشكله . أي هو سور مربع أحاط بسور آخر مثله ، وهذا أيضا أحاط بسور ثالث أعلى منه .

(٧) هو السور الذي تليه ساحة السجن . تشجيك : تحزك . تمور : تضطرب . الخسف : الاهانة والذل . مزيد : هائج .

(٨) الضمير في قوله إليها يعود إلى الساحة في البيت السابق . الرتاج : الباب العظيم . موصد : مغلق .

(٩) المخاريق : ما يلعب به الصبيان من الحرق المقتولة . الضميم : الذل . الدد : الالهو .

تواصلت الأحزان في جنباتها
تصعد من جوف المراحيض فوقها
هناك يودُّ المرءُ لو قاء نفسه
قف وسطها وانظر حواليك دأراً
مقابر بالأحياء غصت لحودها
وقد غميت منها النوافذ والكوى
تظن إذا صدرَ النهار دخلتها
فلو كان للعباد فيها إقامة
يزور هبوبُ الريح إلا فناءها
تضيق بها الأنفاس حتى كأنما
وحتى كأن القوم شدت رقابهم

بحيث متى يبل الأسى يتجدد
بخاراً إذا تمر به الريح تفسد
وأطلقها من أمر عيش مُنكد^(١)
إلى حُجرٍ قامت على كل مقعد
بخمس مئين أنفاس أو بأزيد
فلم تكتحل من ضوء شمس يمرود^(٢)
كأنك في قطع من الليل أسود
لصلوا بها ظهراً صلاة التهجد^(٣)
فلم تحظ من وصل النسيم بموعد^(٤)
على كل حيزوم صفائح جلد^(٥)
بجل اختناق محكم القتل محصد^(٦)

* * *

بها كل مخطوم الخشام مذلل
يبيت بها والهم ملء إهابه
يميت بمكذوب العزاء نهاره
ينوء بأعباء الهوان مقيداً

متى قيد مجروراً إلى الضيم ينقد^(٧)
بليلة منبول الحشا غير مقصد^(٨)
ويحيى الليالي غير نوم مُشرّد
ويكفيه أن لو كان غير مقيد^(٩)

- (١) قاء نفسه : أى أخرج روحه من جسده كالأفى .
(٢) الكوى : جمع كوة ، وهى شئ فى الجدار أشبه بالنافذة إلا أنه لا ينفذ . المرود : الليل الذى يكتحل به .
(٣) التهجد : الصلاة فى الليل . (٤) الفناء : الوصيد ، وهو ساحة أمام البيت .
(٥) الحيزوم : وسط الصدر . الصفائح : الحجارة المراض . الجلد : الصخر .
(٦) محصد : محكم القتل .
(٧) الخشام : الأنف العظيم ، ومخطوم الأنف : أى جمل فى أنفه خطام . والمعنى ظاهر . قيد : سحب .
(٨) الإهاب : الجلد . منبول : مصاب بالنبل . والحشا : ما انضمت عليه الضلوع . مقصد : اسم مفعول من أقصده السهم ، أى أصابه فقتله .
(٩) ينوء بأعباء الهوان : تثقله أحواله .

وتقذفهم تلك القبور بضغطها عليهم كحرّ السباحة لتتوقد
فيرجع بعض من حصير ظلاله ويجلس فيها جلسة المتعب
وليت تقيمه الحر إلا تعلةً لنفس خات من صبرها المتبدد^(١)
وبالشوب بعض يستظل وبعضهم

بنسج لعاب الشمس في القميط يرتدى^(٢)
فمن كان منهم بالحصير مظلاً يعدّونه ربّ الطراف الممدّد^(٣)
تراهم نهار الصيف سفعاً كأنهم أنافئ أصلها الطمّة بموقد^(٤)
وجوه عليها للشحوب ملامح « تلوح كبنى الوشم في ظاهر اليد »^(٥)
وقد عمّهم قيد التعاسة موثقاً فلم يتميز مطلق عن مقيّد
فسيدهم في عيشه مثل خادم وخادمهم في ذلّه مثل سيد
يخوضون في مستنقع من روائح تذور رموس القوم من شمّ نثنها
تراهم سكارى في العذاب وما هم فم يك منهم عادم الشمّ يحسد
وتحسبهم دوداً يعيش بحمأة سكارى ولكن من عذاب مشدّد
وما هو من دود بها متولّد^(٦)

• • •

ألا ربّ حرّ شاهد الحكم جائراً يقود بنا قود الذلول المعبد^(٧)

- (١) التعة : ما يتعل به ، أى يتأذى .
(٢) القميط : شدة الحر . ومعنى قوله « بنسج لعاب الشمس يرتدى » أنه عارى الجسم لا ثوب له .
(٣) الطراف : بيت يصنع من الأدم ، أى الجلد ، للعنوك والرؤساء خاصة .
(٤) سفعاً : وجوههم متغيرة مسودة : الأتافئ : أحجار يوضع عليها القدر ، مفردتها أنفة .
أصلها : أحرقها . الطمّة : جمع طام ، وهو الطباخ .
(٥) الشحوب : تغير اللون . الوشم : هو أن تغرز الإبرة في الجلد ، ثم تذر عليه مادة خاصة معروفة .
(٦) الحمأة : الطين الأسود المتين ، أى هم يشبهون الدود الذى تولد في غير الحمأة ، ثم ألقى في الحمأة ، فإنه يموت فيها ، بخلاف الدود المتولد في الحمأة ، فإنه يعيش فيها ولا يموت .
(٧) الذلول : البعير السهل القيادة . المعبد : المذل .

فقال ولم يجهر ونحن بمنتدى به غير مأمون الوشاية ينتدى^(١)
على أى حكم أم لأية حكمة ببغداد ضاع الحق من غير منشد^(٢)
فأدريت للنجوى فى نحو سمعه وقلت لأن العدل لم يتبغدد^(٣)
رعى الله حياً مستباحاً كأنه من الذعر أسراب النعام المطرد^(٤)
وما صاحب البيت الحقير بناؤه بأفزع من رب البلاط المررد^(٥)
وما ذاك إلا أنهم قد تخاذلوا ولم ينهضوا للخصم نهضة مثلبد^(٦)
فناموا عن الجلى ونمت كنومهم سوى نوحه منى بشعر مغرد^(٧)
وهل أنا إلا من أولئك إن مشوا مشيت وإن يقعد أولئك أقعد^(٨)
وكم رمت إيقاظاً فأعيا هبوبهم وكيف وعزم القوم شارب مرقد^(٩)
نهوضاً نهوضاً أيها القوم المعلى لتبنوا لكم بنيان مجد موطن^(١٠)
تقدمنا قوم فأبعد شوطهم وقد كان عنا شوطهم غير مبعد^(١١)
وسد علينا الاعتساف طريقنا فأجحف بالفورى والمنتجد^(١٢)
أفى كل يوم يزحف الدهر نحونا بجند من الخطب الجليل مجند^(١٣)
فيارب نفس من كرب عظيمة ويارب خفف من عذاب مشدد^(١٤)

(١) ينتدى : يجتمع فى النادى . والمعنى : نال ذلك القول ونحن فى نادى يجتمع فيه من لم نكن نأمن من تجسسه ووشايته .

(٢) منشد : مصدر ميبى من نشد المضائم : أى نادى وسأل عنه .

(٣) النجوى : حديث السر . لم يتبغدد : لم ينتسب لبغداد . ومعنى الأبيات الأربعة : أن ذلك الحر جهر فى ذلك النادى الذى يجتمع فيه غير الأتماء ، قائلاً : لم يضيع الحق فى بغداد من غير أن نطالبه ونسأل عنه ؟ فقلت له سرأ : ذلك لأن العدل غير بغدادى .

(٤) الذعر : الخوف . الأسراب : جمع سرب ، وهو القطيع من النعام والنساء وغيرها .

(٥) المررد : المجلس المنظم . (٦) الملبد : من أسماء الأسد . (٧) الجلى : الأمر العظيم .

(٨) أعيا : يريد أعياى ، أى أتعبنى . هبوبهم : استبقاظهم من الخمول ، وإسراعهم إلى المعالى . افرقد : دواء يرقد شاربه أى يذمه كالأفيون . يقول ، كيف يهبون إلى المجد وهم شاربون من الخمول والاستبداد ما أفقدتهم السداد .

(٩) الاعتساف : الظلم . أجحف به كلفه ، لا يطيق . الفورى : قاصد الفور ، وهو الماطئ من الأرض . المنتجد : قاصد النجد ، وهو المرتفع منها .

الدهر والحقيقة

أرى الدهر لا يألو بستر الحقائق
يجر ذبول الخطب فوق طريقها
ولو لم يجثنا كل يوم موارباً
كأن ليالى الدهر غضبي على الورى
وما طلعت كى تهدي القوم شمسهُ
وقد تنطق الأيامُ بالحق أعجماً
وكم مدّع فضل التمدّن ما له
وكم عاقل قد عدّه الناس أحمقاً
وربّ ذكيّ لم يكن من ذكائه
وقد تعرّض الأسماع عن ذى فصاحة
ومن شيم الأيام فى الناس أنها
والطف جور الدهر جور نرى به
وما كان كذب القوم فى القول وحده
وأقبح مین فى الزمان خرافةً

إذا افتر عن صبح تلاه بغاسق^(١)
ليعقوّ منه ما به من سلائق^(٢)
لما كان فجر كاذب قبل صادق
فتنظار شزرا بالنجوم الشوارق^(٣)
ولكن لتصليهم جحيم الودائق^(٤)
وتسكت عن تبیانهِ كل ناطق
من الفضل إلا أكله بالملأعق
وما هو لو يبلى سوى متحامق^(٥)
سوى ما روه من ذكاء اللقائى^(٦)
وتصغى إلى ذى اللكنة المتشادق^(٧)
تجوز عليهم باقتطاع العلائق
تدلّ معشوق وذلة عاشق
ولكنّه فى كتبهم والمهراق^(٨)
تخطّ بها طرساً يراعى نامق

-
- (١) غاسق : ظلام دامس . (٢) سلائق جمع سليفة ، وهى الطبيعة .
(٣) النظر الشزر : كان يؤخر الطرف ، وهو نظر احتقار وكبر . وذو : أضاء أو طلع .
والشارق : الطالع .
(٤) الودائق : جمع وديقة ، وهى حر نصف النهار .
(٥) المتحامق : التشبيه بالحمقى فى أفعاله وليس بأحمق .
(٦) اللقائى : جمع لقل ، وهو ضرب من الطير طويل العنق والمنقار ، يأكل الحيات .
(٧) اللكنة : الحبة فى اللسان . المتشادق : المتفامح .
(٨) المهراق : الصحف . نخذ من تحرير أبيض مصمغ مصقول ، يكتب عليها الكتب المخلدة .
كلامهات ونحوها .

ضلالاً على مرّ الجديدين لم تزل
فعدت عن الأيام إذ لم نجد بها
نفقت من الدنيا يدى لأننى
فما أنا وقاف بها عند منزل
ولا عذبتى فى العذيب صباية
تعشقت فيها حسن كل حقيقة
ولى عند إخوان الصفا أريحىة
إذا ما عقدنا مجلس الأتس بانطالا
أقوم إلى كبرى الزجاجات مدهقاً
فأقرع بالسكاس الروية جبهتى
أسابق ندمانى إلى السكر طائرا
فما هى إلا بعد شرب سوية
فنادمت أصحابى على غير حشمة
وأغنيتهم عن نقابهم فى شراهم
ولم يبد فى السكر عند اشتداده
تعودت سبقى فى الفخار فلم أرد
كما اعتاد سبقاً فى المكارم خزعل
أمير نمته للمكارم والعلی

بغاربنا من أمره كالمشـارق
سوى لفظ يزرى بفضل المنطق
تعرفت منها ما بها من خلائق
ولا أنا بالك من حبيب مفارق
ولا شاقنى برق ربع ببارق
وأعرضت عن حسن الحسان الغرائق^(١)
إلى كل خل فى الزمان موافق^(٢)
فبينى وبين السكر خمس دقائق^(٣)
بمسقط من خالص التمر رائق
بشرب كما عب القطا متلاحق^(٤)
بجنح من الأتس المضاعف خافق
وقد دب من رأسى الطلافى المفارق
وقلت لهم ما قلت غير منافق
يمرّ طرى من نقول الحقائق
سوى شكر خلى أوسوى حمد خاتق
من السكر أن أحظى به غير سابق
بلا سابق فيما عليه ولا حق
ججاجح من كعب كرام المعارق^(٥)

(١) الغرائق : جمع غارقة ، وهى الشاية الممتلئة .

(٢) أريحىة : ارتياح . (٣) الطلا : الحر .

(٤) الروية : الملوحة .

(٥) نمته : نيبته . والججاجح : جمع ججاجح ، وهو السيد الكريم . والمعارق : جمع معرق . وهو الأصل والحسب .

كذلك أعلى الله في الناس كعبه
إذا سار سار المجد في طي بُرده
فيرحل من أنسابه في مواكب
وإن جاء أغضى من رآه تهيباً
ومنها :

أبا الأمراء الصيّد جئتكم شاكياً
أجرني رعاك الله منها فإنها
أترضي وإني صقر بغداد أنفي
لئن أنكروا حق فسوف تحقه
أصوغ بها حرّ الكلام لخزعل
إليك جنایات الزمان المماذق
رمت كل عظم في منها بعارق^(٢)
تقدّمني فيها فراح العقاقق^(٣)
شواهد أقلام بكفي نوامق
مديحاً كعقد اللؤلؤ المتناسق

(١) المؤنث : الثابت القديم .

(٢) عرق العظم يعرقه فهو عارق : أكل ماعليه من اللحم .

(٣) العقاقق : جمع عقق ، وهو طائر صغير ذولونين : أبيض وأسود ، طويل الذنب ،

وصوته العمقة ، قيل : وهو نوع من الغربان .

في سبيل حرية الفكر

أنشئت في حفلة منتدى التهذيب البنوية
ببغداد بتاريخ ٢ أيار سنة ١٩٢٦ م



كتبت لنفسى عهد تحريرها شعرا وأشهدت فيما قد كتبت لها الدهرا
ومن بعد إتمامى كتابة عهدها جعلت الثريا فوق عنوانه طغرا (١)

(١) الثريا نجم مؤلف من عدة أبحر صغيرة ، والطغراء ، ويزال لها الطغراء : هي علامة توضع
في كتب الملوك شعاراً لهم ، والنقش يجعل في حاشية الثوب .

وعَلَّقْتَهُ كَيْ لَا تَنَالُوهُ يَد
لِذَاكَ جَعَلْتَ الْحَقَّ نَصَبَ مَقَاصِدِي
وَجَرَّدْتَ شَعْرِي مِنْ ثِيَابِ رِيَانِهِ
وَأَرْسَلْتَهُ نَظْمًا يَرُوقُ أَنْسَجَامُهُ
فَجَاءَ مُضِيئًا لَيْلَهُ كَنَهَارِهِ
أُضْمِنَنَّهُ مَعْنَى الْحَقِيقَةِ عَارِيًّا
وَيَجْعَلُهُ الْغَاوِي عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ
رُؤْيِدَكَ إِنْ الْكَفَرُ مَا أَنْتَ قَائِلٌ
هَلْ الْكَفَرُ إِلَّا أَنْ تَرَى الْحَقَّ ظَاهِرًا
وَأَنْ تَبْصُرَ الْأَشْيَاءَ بَيِّضًا نَوَاصِعًا
إِذَا كَانَ فِي عُرَى الْجِسْمِ قَبَاحَةٌ
فَيَلْبَسُهَا مِنْ مَارَسَتْ عَيْنُهُ عَمَى
أَحَبُّ الْفَقَى أَنْ يَسْتَقِلَّ بِنَفْسِهِ
وَأَكْرَهُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ مَقْلَدًا
وَمَا هَذِهِ الْأَوْطَانُ إِلَّا حَدَائِقُ
وَمَا حُبُّهَا إِلَّا لِأَجْلِ تَحَرُّرٍ
وَمَا حُسْنُهَا إِلَّا بِأَنْ سَمَاءُهَا
إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ لِلنَّاسِ غَايَةٌ
فَأَوْطَانُكُمْ لَنْ تَسْتَقِلَّ سِيَاسَةً

بِمَنْبِيعِثِ الْأَنْوَارِ مِنْ ذِرْوَةِ الشَّعْرَى (١)
وَصَيَّرْتَ سِرَّ الرَّأْيِ فِي أَمْرِ جِهْرًا
فَلَمْ أَكْسِهِ إِلَّا مَعَانِيَهُ الْغُرًّا
فِيحْسِبُهُ الْمَصْنُوعِي لِإِنْشَادِهِ نَثْرًا
وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَزْعُمُهُ كَفْرًا
فِيحْسِبُهُ جَهَّالَهُ مَنَظِقًا هُجْرًا (٢)
فَيُوسَعُنِي شَتْمًا وَيَنْظُرُنِي شَزْرًا (٣)
وَإِنْ صَرِيحُ الْعُرْفِ مَاخَلَتْهُ نُكْرًا (٤)
فَتَقْصِرُ بِلَا أَنْظَارٍ مِنْ دُونِهِ سِتْرًا
فَتُظْهِرُهَا لِلنَّاسِ قَانِيَةً تُحْرًا
فَأَحْسَنُ شَيْءٍ فِي الْحَقِيقَةِ أَنْ تَعْرِى
وَيَبْصُرُهَا مِنْ كَابَدَتْ أُذُنَهُ وَقْرًا (٥)
فَيَصْبَحُ فِي أَفْكَارِهِ مَظْلَقًا حُرًا
فَيُحْشَرُ فِي الدُّنْيَا أَسِيرًا مَعَ الْأَسْرَى
بِهَا تَنْبِتُ الْأَفْكَارُ مِنْ أَهْلِهَا زَهْرًا
يَكُونُ إِلَى الْعُلِيَاءِ بِالنَّاسِ مُنْجَرًّا
تَضَاحِكُ مِنْ أَحْرَارِهَا أَنْجَمًا زُهْرًا
فَخَرِيَةِ الْأَفْكَارِ غَايَتُهَا الْكِبْرَى
إِذَا أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِلُّوا بِهَا فِكْرًا

(١) ذِرْوَةُ الشَّيْءِ : أَعْلَاهُ . وَالشَّعْرَى : كَوَكَبٌ نِيرٌ . يَطْلُعُ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ .

(٢) الْهَجْرُ : الْفَحْشُ فِي الْكَلَامِ .

(٣) الْغَاوِي : الضَّالُّ أَوِ الْجَاهِلُ . وَيُوسَعُنِي شَتْمًا : يَبَالِغُ فِي شَتْمِي . وَيَنْظُرُنِي شَزْرًا : يَرْمِقُنِي بِاحْتِقَارٍ يَمْؤُخِرُ عَيْنَهُ .

(٤) رُؤْيِدَكَ : تَهْمَلُ وَلَا تَعْجَلُ . وَالنُّكْرُ : النُّكْرُ ، ضِدُّ الْعُرُوفِ .

(٥) الْوَقْرُ : ثِقَلُ السَّمْعِ .

إذا السيف لم يعضده رأى محرر
سواء على الإنسان بعد جموده
إذا لم يعيش حرّاً بموطنه الفتى
أحرّيتى إني اتخذتك قبلة
وأمسك منها الركن مستعأله
إذا كنت في فقرٍ اتخذتك مؤنساً
وإن نابى خطب ضممتك لائماً
وإن لامنى قوم عليك فإننى
للمتمس للقوم من جهلهم عذرا

فلا تأملن من حدّه ضربة بكر^(١)
أحلّ بقفر الأرض أم سكن المصرا
فسمّ الفتى ميمّاً وموطنه قبرا
أوجه وجهى كل يوم لها عشرا
وفي ركنها استبدلت بالحجر الحجر^(٢)
وإن كنت في ليل جعلتك لى بدرا
فقبلت منك الصدور والنحر والثغرا
للمتمس للقوم من جهلهم عذرا

إلى أبناء المدارس

كفى بالعلم فى الظلمات نورا
فكم وجد الذليل به اعتزازاً
تزيد به العقول هُدًى ورشداً
يبين فى الحياة لنا الأمورا
وكم نبس الحزين به سرورا
وتستعلى النفوس به شعورا

إذا ما عتق موطنهم أناس
فإن ثيابهم أكفان موتى
وحقّ لثلبهم فى العيش ضنك
ولم يبنوا به للعلم دُورا^(٣)
وليس بيوتهم إلا قبورا
وإن يدعوا بدنياهم ثبورا^(٤)

(١) لم يعضده : لم يؤازره . والضربة البكر : التى لم يضربه قبلها مثلها .
(٢) الحجر ، بتجريك الجيم : هو الحجر الأسود الذى فى ركن من أركان الكعبة . والحجر : يكسر الحاء وتسكين الجيم « مكان بجانب الكعبة . وفى اللفظ تورية » لأنه بطلق أيضا على العقل وهو المراد به فى البيت .

(٣) عقه يعقه عقوقا : لم يوف له بعهدة وحقه .

(٤) حق لهم كذا : استحقوه . والضحك : الضيق والذل . أن يدعوا ثبورا : أن يطلبوا المهلاك فى الدنيا . يريد أن من قصر فى حق العلم استهدف للإهلاك .

أرى أبا العلي أدباً وعلماً بغيرها العلي أمست قشورا

أبناء المدارس إن نفسي تؤمل فيكم الأمل الكبير
فسقياً للمدارس من رياض لنا قد أنبتت منكم زهورا
ستكتسب البلاد بكم علواً إذا وجدت لها منكم نصيرا
فإن دجت الخطوب بجانبها طلعت في دجتم — ابدورا^(١)
وأصبحتم بها للعز حصناً وكتم حولها للمجد سورا

إذا ارتوت البلاد بفيض علم فعاجز أهله — ايمسى قديرا
ويقوى من يكون بها ضعيفاً ويغنى من يعيش بها فقيرا
ولكن ليس منتفعاً بعلم فتي لم يحرز الخلق النصيرا
فإن عماد بيت المجد خلق حكى في أنف ناشقه العبيرا
فلا تستنفعوا التعليم إلا إذا هذبتم الطبع الشريرا
إذا ما العلم لابس حسن خلق فرج لأهله خيراً كثيراً
وما إن فاز أغزنا علوماً ولكن فاز أسامنا ضميرا

أبناء المدارس هل مصيخ^(٢) إلى من تسألون به خبيرا^(٢)
ألا هل تسمعون فإن عندي حديثاً عن مواطنكم خطيرا
ورأياً في تعاونكم صواباً وقلباً من تحاذلكم كسيرا
قد انقلب الزمان بنا فأمست بغاث القوم تحقر النسورا^(٣)

(١) دجت الخطوب : أظلمت الحوادث واشتدت . والدجنة : الظلمة .

(٢) مصيخ : مستمع .

(٣) البغات ، مثلث الباء : صغار الطير وضماؤها .

وساء تقلب الأيام حتى حمدنا من زعازعها الدُّبورا^(١)
 وكم من فارة عمياء أمست تسمى عندنا أسداً هصورا^(٢)
 فكيف تروم في الأوطان عزاً وقد ساءت بساكنها مصيرا
 ولم يك بعضنا فيها لبعض على ما ناب من خطب ظهيرا^(٣)
 ألسنا الناضمين عقود مجد بزین من العصور بها النحورا
 إذا لجج الخطوب طمت بئينا عليها من عزائنا جسورا
 لنبتدر العبور إلى المعالي بحيث نطاول الشعري العبورا^(٤)

* * *

ألا يا ابن العراق إليك أشكو وفيك أمارس الدهر المكورا^(٥)
 تنفض من غبار الجهل واهرع إلى تلك المدارس مستجيرا^(٦)
 فمن أمان من خشى الليالي وهن ضمان من طلب الظهيرا

المطلقة (*)

بدت كالشمس يحضنها الغروب فتاة راع نضرتها الشحوب^(٧)
 منزهة عن الفحشاء خود من الخفرات آنسة عروب^(٨)

- (١) الزعازع : جمع زعزع ، وهي الريح الشديدة . والدبور : هي الريح التي تأتي من الجنوب ، وهي مكروهة عند العرب .
 (٢) المصور : الشديد الافتراس .
 (٣) ظهيرا : وعونا ومساعدة .
 (٤) الشعري : كوكب مضيء يطلع في الحر ، وهما شعريان : العبور والغيماء .
 (٥) المكور : الشديد السكر .
 (٦) أهرع : أسرع .
 (٧) راع : شوه ، وراع في الأصل : بمعنى أفزع وأخاف . نضرتها : روتها وحسنها .
 (٨) الخود : المرأة الشابة . الخفرات : جمع خفرة ، وهي المرأة التي تستحي أشد الحياء . الآنسة : التي يؤنس بحديثها . العروب : المرأة المتحبة إلى زوجها .

تَوَارَّ تَسْتَجِدُّ بِهَا الْمَعَالَى وَتَبْلَى دُونَ عَقَّتْهَا الْعُيُوبُ (١)
 صَفَا مَاءَ الشَّبَابِ بِوَجْنَتَيْهَا خَامَتْ حَوْلَ رَوْنَقِ الْقُلُوبِ
 وَلَكِنَّ الشَّوَابَّ أَدْرَكَتْهُ فَعَادَ وَصَفْوَهُ كَكِدْرِ مَشُوبِ (٢)
 ذَوَى مِنْهَا الْجَمَالَ الْغَضَّ وَجَدَّ وَكَادَ يَخْفُفُ نَاصِيَهُ ارْطِيبِ (٣)
 أَصَابَتْ مِنْ شَبِيئَتِهَا اللَّيَالَى وَلَمْ يُدْرِكْ ذَوَابِتُهَا الْمَشِيبُ (٤)
 وَقَدْ خَلَبَ الْعُقُولَ لَهَا جَمِينٌ تَلَوَّحَ عَلَى أَسْرَتِهِ النَّكُوبُ (٥)
 أَلَا إِنَّ الْجَمَالَ إِذَا عَنَلَهُ تَقَابَ الْحَسَنَ مَنَظَرُهُ عَجِيبُ

* * *

حَلِيلَةُ طَيِّبِ الْأَعْرَاقِ زَالَتْ بِهِ عَنْهَا وَعَنْهُ بِهَا الْكَرُوبُ
 رَعَى وَرَعَتْ فَلَمْ تَرَ قَطَّ مِنْهُ وَلَمْ يَرَ قَطَّ مِنْهَا مَا يَرِيبُ
 تَوَثَّقَ حَبْلُ وَدَّهَا حَضُورًا وَلَمْ يَنْكَثْ تَوَثُّقَهُ الْمَغِيبُ (٦)
 فَغَاضِبٌ زَوْجَهَا الْخُلَاطَةَ يَوْمًا بِأَمْرِ لِلْخِلَافِ بِهِ نَشُوبُ (٧)
 فَاقْسَمَ بِالطَّلَاقِ لَهُمْ يَمِينًا وَتِلْكَ أَلْيَةُ خَطَا وَخُوبُ (٨)
 وَطَلَّقَهَا عَلَى جَهْلٍ ثَلَاثًا كَذَلِكَ يَجْهَلُ الرَّجُلُ الْغَضُوبُ (٩)
 وَأَفْتَى بِالطَّلَاقِ طَلَّاقِي بَتٍّ ذُو فُتَيْدٍ يَعْصِيهِمْ عَصِيبُ (١٠)

(١) التوار: المرأة النفور من الريبة . وتوار اسم امرأة كانت زوجا للغرزدق ، فطافها ثم قدم ، وفي البيت إشارة إلى ذلك .

(٢) الشوائب : الأمور التي تغير الشيء . مشوب : مخلوط .

(٣) ذوى : ذبل . (٤) الذؤابة : الناصية وهي مقدم الرأس ، أو هي الطارة .

(٥) الأسرة : هي خطوط في الجبهة والكف ، وفي كل شيء ، والغالب استعمالها لخطوط الجبهة .
 النكوب : جمع نكب ، وهي المصيبة .

(٦) توثق : تقوى . ينكث : ينفذ . (٧) النشوب : نشب الشيء نشوبا : بمعنى علق .

(٨) ألية : قسم . الحوب : الذنب . الخلف بالطلاق حرام ، لذلك كان الخالف به مذنباً .

(٩) عصيب : شديد .

(١٠) بانت : بعدت ، بسبب هذه الفتيا الباطلة الخاطئة . التام : العيب — جهل الناس الحكمة

من مشروعية الطلاق ، وعبد من يسمون بالعلماء ألقاها الكتب التي درسوها ، فأفتوا بغير علم صحيح فضلوا وأضلوا ، وأوقعوا الناس في حرج عظيم .

فبات عنه لم تأتِ الدنيا ولم يعلق بها الزام المعيب
فطلت وهي باكية تنادى بصوتٍ منه ترتجف القلوب

* * *

لماذا يا نجيب صرمت حبلً وهل أذنبت عندك يا نجيب^(١)
ومالك قد جفوت جفاء قال وصرت إذا دعوتك لا تجيب^(٢)
أبن ذنبي إلى فدتك نفسي فإني عنده بعدئذ أتوب
أما عاهدتني بالله أن لا يفرق بيننا إلا شعوب^(٣)
لئن فارقتني وصدت عني قلبي لا يفارقه الوجيب^(٤)
وما أدماء ترتع حول روضي ويرتع خلفها رشاً ريب^(٥)
فما لفتت إليه الجيد حتى تحطفه بأزمته ذيب^(٦)
فراحت من تحرقها عليه بذاك ما لها فيه طيب
تشم الأرض تطلب منه ريحاً وتنحب والبغام هو النحب^(٧)
وتمزج في الفلاة لغير وجه وآونة لمصرعه ثوب^(٨)
بأجزع من فؤادي يوم قالوا برغم منك فارك الحبيب^(٩)

* * *

- (١) صرمت : قطعت .
(٢) شعوب : اسم للموت .
(٣) الأدماء : الظبية المشربة لونها يابض . الرشاً : ولد الظبية الذي قد تحرك ومشى .
(٤) الوجيب : الخفان .
(٥) ريب : ملازم لها .
(٦) الجيد : العنق . الأزمتان : الثيابان .
(٧) تنحب : تبكي وبكاؤها أشبه بالسعال . البغام : صياح الظبية إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها .
(٨) تمزج : تسرع . لمصرعه : لمكان هلاكه . ثوب : ترجع .
(٩) بأجزع : الجار والمجرور خبر لقوله وما أدماء في بيت سابق . يقول عن لسان المطلقة :
إن هذه الظبية التي صفتها كيت وكيت ليست بأشد جزعاً واضطراباً مني حين بلغني أنك طلقني .
فليتبصر بمثل هذا القول المتسرعون بإيقاع الطلاق ، وحل عقدة النكاح الموثقة .

فأطرق رأسه خَجَلًا وأغضى
نجييةً أقصرى عني فإني
وما والله هجرك باختياري
فليس يزول حبك من فؤادي
ولا أسلو هواك وكيف أسلو
سلى عني الكواكب وهي تسرى
فكم غالبتها بهواك سهداً
خذى من نور رنتجن شعاعاً
وألقيه بصدري وانظري
وما المكبول أُنقى في خضم
فراح يغطه التيار غطاً
بأهلك يابنة الأعجاد متى

وقال ودمع عينيه سكوب .
كفانى من لظى الندم اللهب
ولكن هكذا جرت الخطوب
وليس العيش دونك لى يطيب
هوئى كالروح فى له ديب
بجُح الليل تطلع أو تغيب
ونجم القطب مطلع رقيب
به لالعين تذكشف الغيوب (١)
ترى قلبى الجريح به ندوب (٢)
به الأمواج تصعد أو تصوب (٣)
إلى أن تم فيه له الرسوب (٤)
إذا أنا لم يعد بك لى نصيب

* * *

ألا قل فى الطلاق لموقعيه
غلوتم فى دياتكم غلواً
أراد الله تيسيراً وأنتم
وقد حلت بامتكم كرب
وهى حبل الزواج ورق حتى
كخيطة من لعاب الشمس أدلت
يمزقه من الأفواه نفث

بما فى الشرع ليس له وجوب
يضيق ببعضه الشرح الرحيب
من التعسير عندكم ضروب
لكم فيهن لا لهم الذنوب
يكاد إذا نفخت له يذوب
به فى الجو هاجرة حلوب (٥)
ويقطعه من النسم والهبوب

(١) رنتجن : هو مخترع الأشعة المعروفة باسمه . (٢) الندوب : آثار الجروح .

(٣) المكبول : المقيد . الخضم : البحر . تصوب : تنخفض .

(٤) الرسوب : العرق إلى القمر .

(٥) لعاب الشمس : شئء كأنه ينحدر من السماء وقت شدة الحر ؛ تراه مثل نسج العنكبوت . أدلت : أرسات : الهاجرة : شدة الحر ، والهاجرة الحلوب : هى التى تجلب العرق لشدة حرارتها .

فدى ابن القيم الفقهاء كم قد دعاهم للصواب فلم يجيبوا^(١)
 ففي «إعلامه» للناس رشد^(٢) ومزدجر^(٣) لمن هو مستريب^(٤)
 نحا فيما أتاه طريق علم نحاها شيخه الخبر الأريب^(٥)
 وبين حكم دين الله لكن من الغالين لم تعه القلوب^(٦)
 لعن الله يحدث بعد أمراً لنا فيجيب منهم من يجيب

اليتيم في العيد(*)

أطل صباح العيد في الشرق يسمع^(١) ضجيجاً به الأفراح تمضي وترجع^(٢)
 صباح به تبدى المسرة شمسه^(٣) وليس لها إلا التوهم مطلع^(٤)
 صباح به يختال بالوشى ذو الغنى ويعور^(٥) ذا الإعدام طمر مرقع^(٦)
 صباح به يكسو الغنى وليده ثيابا لها يبكي اليتيم المضيع^(٧)
 صباح به تغدو الحلائل بالحلى وترفض^(٨) من عين الأرامل أدمع^(٩)
 ألا ليت يوم العيد لا كان إنه يربنا سرورا بين حزن وإنما^(١٠)
 فمن يؤساء الناس في يوم تعيدهم نحوس^(١١) بها وجه المسرة أسفع^(١٢)

- (١) ابن القيم : هو العلامة المحدث الفقيه المشهور .
 (٢) يشير إلى كتاب : «إعلام الموقعين» لابن القيم المذكور ؛ وهو من أفضل الكتب التي ألفها . ومزدجر : مصدر ميمي من ازدجر ؛ بمعنى زجره ومنعه . مستريب : شاك .
 (٣) أراد شيخه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .
 (٤) الغالين : هم المتشددون في الدين حتى تجاوزوا الحد ؛ قال تعالى : « لا تغلوا في دينكم » .
 لم تعه : لم تحفظه ؛ ولم تدبر معناه .
 (*) من الديوان الأول .
 (٥) الوشى : نوع من الثياب الموشية بالحسنة . أعوزه الشيء : احتاج إليه فلم يقدر عليه .
 الإعدام : الفقر ، الطمر : التوب البالي .
 (٦) الحلائل : النساء ذوات الأزواج . (٧) أسفع : أسود .

قد ابيض وجه العيد لكن بؤسهم رمى نكنا سوداً به فهو أبقع^(١)

✱ ✱ ✱

خرجت بعد النحر صباحاً فلاح لى مسارح للأضداد فيهن مرتع
خرجت وقرص الشمس قد ذر شارفاً

ترى النور سيالاً به يتدفق
هى الشمس خوذ قد أطلت مصيخة

على الأرض من أفق العلى تتطلع^(٢)
كان تفاريق الأشعة حولها على الأفق مرخاة ذوائب أربع^(٣)
ولما بدت حمراء أيقنت أنها بها خجل مما تراه وتسمع
فرحت وراحت ترسل النور ساطعاً

وسرت وسارت فى العلى تترفع

بحيث يسير الناس كل لوجهة فهذا على رسلٍ وذاك مسرع^(٤)
وبعض له أنف أشم من الغنى وبعض له أنف من الفقر أجدع^(٥)
وفى الحى مزمار أمشجى نعيه غدا الطبل فى دردابه يتقعقع^(٦)
فجئت وجوف الطبل يرغو وحوله شباب وولدان عليه تجمعوا^(٧)
لقد وقفوا والطبل يهتر صوته فتهتز بالأبدان سوقاً وأكرع^(٨)
ترى ميعة الإطراب والطبل هادر تفيض وفى أصابعهم تميم^(٩)

(١) نكنا : نقطا سودا . أبقع : مختلف اللون .

(٢) الخود : المرأة الشابة . مصيخة : مستمعة . (٣) الذوائب : الضفائر .

(٤) على رسل : أى على مهل .

(٥) أنف أشم : مرتفع كبرا . أجدع : مقطوع . وهو كناية عن الذل .

(٦) نعيه : صوته . الدرداب : صوت الطبل .

(٧) يرغو : يضيح ويصوت .

(٨) سوق : جمع ساق . وأكرع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق .

(٩) ميعة : كل شئ أوله . تميم : تنميل .

فقد كانت الأفراح تفتح بابها لمن كان حول الطبل والطبل يُقرع

وقفت أُجِيل الطَّرفَ فيهم فراعني
صبيٌّ صبيح الوجه أسمر شاحب
يَرَيْن حِجَابِيهِ اتساعُ جبينه
عليه دَرِيسٌ يَعَصِرُ اليتيمُ رُدْنَه
يُلَيِّحُ بوجهه للكآبة فوقه
على كُثْرِ قرع الطبل تلقاه واجماً
كان هدير الطبل يقرع سمعه
يرد ابتسام الواقفين بحسرة
ويرسل من عينيه نظرةً مُجْهِشِ
له رجفة تنتابه وهو واقفٌ
يرى حوله الكاسين من حيث لم يجد
على البرد من بُرْدٍ به يتلفع^(٨)
فكان ابتسام القوم كالثلج قارساً
لدى حسراتٍ منه كالجر تلزع

فله شجاني حاله وأفزني وقت وكلّي مجزع وتوجع^(٩)

(١) شاحب : أى متغير اللون . أدعج العين : أسودها مع سمة فيها . الأنزع : المنحسر الشعر
عن جانبي جبهته .

(٢) حجاجيه حاجبيه ، وأصل الحجاج العظام المحيط بالعين .

(٣) الدريس : الثوب البالي . الردن : أصل الكم . فقر مدقع : شديد كآته ياصق صاحبه
بالدقاء ؛ وهي التراب .

(٥) واجماً : ساكبنا عاجزا عن التكلم من كثرة الغم أو الخوف . ثمة : هناك .

(٦) المجهش : الهام بالبكاء المتهدى له ؛ وماضيه أجهش .

(٧) تنتابه : تصيبه . (٨) البرد : الثوب المخطط . تافع بالثوب : تلف به .

(٩) شجاني : حزني .

ورحت أعاطيه الحنان بنظرة
وأفتح طرفي مُشَبَّعًا بتعطُّفٍ
هناك على مهل تقدمت نحوه
أيا بن أخى من أنت ما أسمعك ما الذى
فهبَّ أُمَامى من رقاد وجومه
وأعرض عني بعد نظرة يأسٍ
فَعَقَبْتُهُ مُسْتَطَلَعًا طَلَعَ أمره
وبيناهُ ماشٍ حيث رُحْتُ خلفه
لحُت على بعد إشارة صاحب
فأومأت أن ذكرته مُوعِدًا لنا
وعدتُ فأبصرت الصبيَّ معرجًا
فلما أتيت الدار بعد دخوله
دنوت إلى باب الدَّوِيرَةِ مطرقًا
سمعت بكاءً ذا نَشِيجٍ مردِّدٍ
فخرت وعيني ترمق الباب خلسة
أأرجع أدراجى ولم أكن عارفاً

كما راح يرنو العابد المتخشع
فيرتد طرفى وهو بالحزن مُشَبَّع
وقلت بلطف قول من يتضرع
عراك فلم تفرح فهل أنت مُوجع؟^(١)
كما هبَّ مرعوبُ الجنان المهجَّع
وراح ولم ينبسْ إلى حيث يهرع^(٢)
على البعد ألقوا الأثر منه وأتبع^(٣)
أدبٌ ديب الشيخ طوراً وأسرع^(٤)
يبنادى أن أرجع وهو بالثوب مُلمع
وقلت له اذهب وانتظر فسأرجع
ليدخل داراً بابها متضعع^(٥)
وقت حيال الباب والباب مُرجع^(٦)
وأصغيت لا عن رنية أسمع^(٧)
تكاد له صمُّ الصفا تنصدع^(٨)
وللنفس فى كشف الحقيقة مَطْمَع
جلية هذا الأمر أم كيف أصنع؟

فهرت عجوز فى الطريق وخلفها فتاة يغشَّيها إزار وبرقع^(٩)

- (١) عراك : أصابك . (٢) لم ينبس : لم يتكلم .
(٣) ألقوا الأثر منه : أى أتبع أثره .
(٤) الشيخ : هو الذى انتهى شبابه ؛ وقيل هو من بلغ الأربعين ؛ وقيل الحسين .
(٥) عرج : مال من جانب إلى آخر .
(٦) حيال الباب : قبائله .
(٧) الدويرة : تصغير دار . أطرق : سكت ولم يتكلم .
(٨) النشيج : النصة بالبكاء من غير انتخاب . (٩) يغشَّيها : يغطيها .

تعرضتها مستوقفاً وسألتهما —
 فأدبتهما متى وقلت لها اسمعي
 فقلت وأنت أنة عن تنميد
 أيا بني ما يعنك من نوح أيم
 فقلت لها إني امرؤ لا يهمني
 وإني وإن جارت على موطن
 أبوزع مني عمرك الله بالذي
 فقلت أعن هذي التي طال نخبها
 ألا إنها سلمى تعيسة معشر
 وصارعهم بالموت حتى أبادهم
 فلم يبق إلا زوجها وشقيقها
 ولم يلبث المقدور أن غال زوجها
 فربى ابنها سعداً وقام بأمره
 فأذهب عنه الخال دهر غشمشم
 جرت هنة منها على خاله انطوى
 فرج به في السجن بعد تجرم

عن الاسم ، قالت إنني أنا بوزع
 حنانك ما هذا الحنين الموجع
 وفي الوجه منها للتعجب موضع
 لها من رزايا الدهر قلب مفعج^(١)
 سوى من له قلب كقلبي مروّع^(٢)
 فوادي على قطائن مؤزع^(٣)
 سألت فقد كادت حشاي تمزع
 سألت فعندي شرح ما تتوقع
 من الصيد أقوت دارهم فهي بلقع^(٤)
 من الدهر عجراً شديداً مصرع^(٥)
 خليل وأما الآخرون فودعوا
 سعيداً فأودي وهي إذ ذاك مريض^(٦)
 أخوها إلى أن كاد يقوى ويضلع^(٧)
 بما يوجع الأيتام مغرئ ومولع^(٨)
 بقلب رئيس الشرطة الخقد أجمع^(٩)
 عليه بجرم ما له فيه م صنع^(١٠)

- (١) الأيم : هي من فقدت زوجها . مفعج : موجع .
 (٢) مروّع : أصابه الروع وهو الخوف . (٣) قطائنهم : سكانهم .
 (٤) الصيد جمع أصيد ؛ وهو الرجل الذي لا يلتفت من كبره ؛ وأراد بالصيد : أولى النعمة .
 بلقع : خالية من السكان .
 (٥) العجار : المصارع ؛ الذي لا يطاق جنبه في الصراع .
 (٦) غال : أهلك - أودي : أهلك . (٧) يضلّع : يقوى وتشتد أخلاعه .
 (٨) الغشمشم : هو من يركب رأسه فلا يثنيه عن مراده شيء ؛ وقيل هو الكثير الظلم .
 (٩) هنة : أي شيء ما وهي مؤنث الهن ؛ وكلاهما يكون كناية عن كل اسم جنس ؛ ومعناها شيء . الشرطة : رجال البوليس والضابطة .
 (١٠) تجرم عليه : أي أدعى عليه بجرم لم يفعله .

عزاه إلى إيتــــــــــــــــاعه موقعا به
ولكن غدر الحاقدين رمى به
فحق لسلمى أن تنوح فإنها
فلا غرو من أم اليتيم إذا غدت
وما هو يا ابن القوم للجرم موقع^(١)
إلى السجن فهو اليوم في السجن مودع
من العيش سماء ناعما تتجرع^(٢)
ضحى العيد يبيكها اليتيم المضيع

* * *

فعدت وقلبي جازع متوجع
ألا ليت يوم العيد لا كان إنه
وجئت إلى معيادنا عند صاحبي
فأطلعهم طلع اليتيم فأفتموا
فقلت دعوا التأفيف فالعار لا صق
ألسنا الألى كانت قديما بلادنا
فما بالناس مستقبل الضيم بالرضا
شربنا حميم الذل ملء بطوننا
فلو أن غير الحى يشرب مثلنا
نهوضا إلى العز الشراح بعزيمة
ألا فاكثبوا صك النهوض إلى العلى
وقلت وعيني ثرة الدمع تهمع^(٣)
يحدد المحزون حزنا فيجرع
وقد ضمه والصحب ناد وجمع
وخبرتهم حال السجين فرجعوا^(٤)
بكم واركوا الترجيع فالأمر أفضع
بأرجائها نور العدالة يسطع^(٥)
ونعنو لحكم الجائرين ونخضع^(٦)
ولا نحن نشكوه ولا نحن نبيج^(٧)
هوانا لأمسى قالسا يتهوع^(٨)
تخر لمرماها الطغاة وتركع
ألا فاكثبوا صك النهوض إلى العلى

فإني على مــــــــــــــــوتى به لموقع^(٩)

-
- (١) موقعا : منزلا به ما يسوءه .
(٢) السم الناقع : البالغ انقاع .
(٣) الثرة ، من العيون والسحاب : الغزيرة . تهمع : تدمع .
(٤) رجعوا : أى قالوا : لنا لله وإنا إليه راجعون .
(٥) الأرجاء : الأطراف .
(٦) الهوان . ننوا : نخضع .
(٧) الحميم : أصل معناه الماء الحار .
(٨) العير : الحمار . قلص : خرج من بطنه طعام أو شراب إلى الفم ، سواء ألقاه أم أعاده إلى بطنه ، فإن غلب فهو القيء والتهوع .
(٩) الصك : هو ما يكتب عليه الاقرار بالمال وغيره . موقع : كاتب التوقيع .

سياسة لا حماسة (*)

الشعر مفتقر منى لمبتكر
دعوت غرّ القوافى وهى شاردة
وسلمتني عن طوع مقادتها
إذا أقت أقامت وهى من خدى
صرّفت فيهن أقلامي ورحت بها
ملكن من رقة رِقّ النفوس هوى
سقيتهن المعانى فارتوين بها
كم تشرب لها الأسماع مصغية
طابقت لفظى بالمعنى فطابقه
إنى لأنزع المعنى الصحيح على
سل المنازل عنى إذ نزلت بها
وأجود الشعر ما يكسوه قائله
لا يحسن الشعرُ إلا وهو مبتكر
ومن يكن قال شعراً عن مفاخرة
وإعما هى أنفاس مُصَعَّدة
وهنّ إن شئت منى أدمع غُرر
أبكى على أمة دار الزمان لها
كم خلد الدهر من أيامهم خبراً
ولست أدّكر الماضين مفتخرًا

ولست للشعر فى حالٍ بمفتقر
فأقبلت تتمشى مشى معتذر
فرحت فيهنّ أجرى جرى مقتدر
وأينما سرت سارت تقتفى أثرى
أعرّف الناس سحر السمع والبصر
من حيث أطربن حتى قاسى الحجر
وكنّ فيها مكان الماء فى الثمر
إذا تنوّشدن بين البدو والحضر
خلّوا من الحشو مملوءاً من العبر
عُرّى فأكسوه لفظاً قدّ من دُرر
بيتاً من الشعر لا بيتاً من الشعر
بوشى ذا العصر لا الخالى من العصر
وأىّ حسن لشعر غير مبتكر
فلست والله فى شعرٍ بمفتخر
ترى بها حسراتى طائر الشر
أبكى بهن على أيامنا الغرر
قبلاً ودار عليها بعدُ بالغير^(١)
زان الطروس وليس الخبر كالخبر
لكن أقيم بهم ذِكرى لمدّكر^(٢)

(*) من الديوان الأول . (١) الغير : الحوادث . (٢) أدكر : أذكر .

وكيف يفتخر الباقون في عمه
لهني على العرب أمست من جمودهم
أين الجحاح من ينتمون إلى
قوم هم الشمس كانوا والورى قر
راحوا وقد أعقبوا من بعدهم عقبا
أقول والبرق يسرى في مراقدهم
يأيها العرب هبوا من رقادكم
كيف النجاح وأنتم لا اتفاق لكم
مالى أراكم أقل الناس مقدرة

بدارس من هدى الماضين مندثر^(١)
حتى الجمادات تشكو وهي في صجر
ذؤابة الشرف الوضاح من مضر^(٢)
ولا كرامة لولا الشمس للقمر^(٣)
ناموا عن الأمر تفويضا إلى القدر
«ياساهر البرق أيقظ راقدا السمر»^(٤)
فقد بدا الصبح وانجابت دجى الخطر^(٥)
والعود ليس له صوت بلا وتر
يا أكثر الناس عدا غير منحصر

إلى الشهبان (*)

أدب العلم وعلم الأدب
بهما يبلغ أعلى الرتب
شرف النفس ونفس الشرف
كل رام منهما في هدف

• • •

أيها السابح في بحر الفنون
أنت والله على رغم المنون
قرنك الحاضر من أرق القرون
فإذا شئت بلوغ الأرب
فالمعالي أودعت في الكتب
غانصا في لججها المنتظم
ذو وجود قاتل ليعدم
خضع السيف به للقم
فاغترف من بحره وارشف
كاللآلى أودعت في الصدف

- (١) الوم : الضلال . النارس : المنمحي . مندثر : بال دارس .
(٢) الجحاح : السادة . الذؤابة : في الأصل معناها : الضفيرة فوق انناصية ، وذؤابة الشرف : أعلاه .
(٣) ذلك لأن نور القمر مقتبس من نور الشمس ، فلا كرامة له لولاها .
(٤) المراقد : جمع مرقد ، وهو مكان النوم . السمر : النجوم يجتمعون المسامرة .
(٥) انجابت : انكشفت .
(*) هذه القصيدة أنشئت يوم افتتاح المنتدى الأدبي الذي أسسه شبان العرب في الآستانة ، وقد طلبوا إلى الرصافي أن ينظم لهم قصيدة تشرح في يوم الافتتاح المذكور ، فنظم لهم هذه القصيدة .
(•)

أنت يا جاهل من قبل الممات^(١) ميّت يمرح ما بين البيوت^(١)
 أو ما تعلم في هذه الحياة^(١) أن رب العلم حي لا يموت^(١)
 إذ لم يقضى للعلم رب الكائنات^(١) بالعلّٰى فهو زمام الملكوت^(١)
 وعلى الجهل قضى بالعطب^(١) فهو في الناس دليل التلف^(١)
 فافتكر إن شئت علم السبب^(١) هل يكون النور مثل السدف^(٢)

* * *

يارعى الله زماناً لو يدوم^(١) كان للدهر كأيام الصبا^(١)
 أشرقت فيه من العلم النجوم^(١) ظن كل الناس أن لن تغربا^(١)
 زمن قد ضحكت فيه العالوم^(١) ونراها اليوم تبكى العربا^(١)
 حيث منهم فقدت خير أب^(١) واغتدت من يتمها في شطف^(٣)
 يا عهود العلم ما شئت اندبى^(١) يا عيون المجد ما شئت اذرفى^(١)

* * *

هل أتاك الدهر فيما قد أتى^(١) بحديث العرب في الأندلس^(١)
 حيث بالعزم أماطوا العنتا^(١) وبنور العلم ليل الهوس^(٤)
 فاسألن الغرب عما ثبنا^(١) في ربوع خلفوها دُرس^(١)
 هل ترى ثمة من لم يجب^(١) عن معاليهم ولم يعترف^(١)
 آه لو يرجع ماضى الحقب^(١) آه لو عاد زمان الشرف^(١)

* * *

(١) يمرح : يتبخر ويختال فرحاً ونشاطاً . والحيلة صفة لميت . والفرض من وصفه بها بيان الفرق بينه وبين الميت الحقيقى ، كما يدل عليه قوله من قبل الممات ، أى أنت ميت مجازاً قبل أن تموت حقيقة .
 (٢) السدف : بفتحتين الظلمة ، ويجوز أن يكون بضم ففتح ؛ على أن يكون جمع سدف كظلمة ! وزنا ومعنى .

(٣) الشطف : بالتحريك : ضيق العيش ويبدسه وشدة .

(٤) العنت : مصدر عنت إذا فسدت ، أو وقع في أمر شاق أو لقي الشدة ومالك . والهوس : بفتحتين : طرف من الجنون وخفة العقل .

سَلِّ رُبًّا بِغَدَادِ عَمَّا قَدْ مَضَى لَبْنَى الْعَبَّاسِ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ
وَأَلَنَ الشَّامَ عَمَّا قَدْ أَضَا الْمَعَاوِيَيْنِ فِيهَا مِنْ فُخَارِ
كَمْ تَرَى لِلْمِجْدِ سَيْفًا مَمْتَضًى كَمْ تَرَى لِلْعِلْمِ فِيهَا مِنْ مَنَارِ
عَجَبِي يَا قَوْمَ كُلِّ الْعَجَبِ هَذِهِ الْآثَارُ لِمِ لَا نَقْتَفِي
أَهْ مِنْ رَقْدَتِنَا وَاحْرَابِي أَهْ مِنْ غَفْلَتِنَا وَاسْفِي^(١)

يَا أَبَا الضَّمِّ مِنْ عَلِيَّا نِزَارِ أَيْنَ مِنْكُمْ ذَهَبَتْ تِلْكَ الطَّبَاعِ
كُنْتُمْ كَالسَيْفِ مَشْحُودِ الْغَرَارِ وَالَّذِي حَلَّ حَمَاكُم لَنْ يِرَاعِ^(٢)
كَمْ إِلَى الْعِلْمِ أَقْتَمَ مِنْ مَنَارِ بَعْقُولُ هِيَ أَسْنَى مِنْ شِعَاعِ
قَطَّقْتُ أَبْوَاعَكُمْ عَنْ كَثَبِ كُلِّ مَجْدٍ شَاهِقٍ الْمُقْتَطَفِ^(٣)
تِلْكَ وَاللَّهِ مَزَايَا الْعَرَبِ أَوْرَثُوهَا خَلْفًا عَنْ سَائِفِ

أَنْتَ يَا شَمْسُ عَلَى كَرِّ السَّنِينِ قَدْ تَقَلَّبْتَ طُلُوعًا فِي الْوَرَى
حَدَّثْنَا بِمَحْدِثِ الْأَوَّلِينَ فَلَقَدْ شَاهَدْتَ تِلْكَ الْأَعْصَرَا
أَفْكَانُوا مِثْلَنَا مُخْتَلَفِينَ لَا يُعِيشُونَ إِذَا خُطِبَ عَرَا^(٤)
إِنَّا يَا شَمْسُ فِي مُضْطَرَبِ قَدْ أَلْفَنَاهُ فَلَمْ نَأْتَفِ
إِنْ بَقِينَا هَكَذَا فَاحْتَجِبِي عَنْ بَنِي الْغُبَرَاءِ أَوْ فَاانْكَسِفِي

يَا بَنِي عَرَبُ مَا هَذَا الْمَنَامُ أَوْ مَا أَسْفَرَ صَبِيحَ الْقَوْمِ

(١) واحربي : وا : حرف ندبة للتوجع أو التفجع . والحرب بفتحين : الهلاك ، يقال واحربا وواحربي ترجعا أو تأسفا وكذلك وا أسنى ووأسفا .

(٢) الفرار : بالكسر حد السيف ، ومشحود الفرار : أي ماضى الحد .

(٣) الكشب : بفتحين : القرب ، يقال رماه من كشب ، وعن كشب : أي من قرب وتمكن

(٤) عرا يعرفون : أي عرض وألم . واخطب هنا : الأمر المكروه .

أَيْنَ مَنْ كَانَ بِكُمْ يَرعى الذَّمَامُ وَيَلبى دَعْوَةَ الْمُتَضَمِّ (١)
أَفَلَا يَلذَّعُكُمْ مَنِ الْمَالِامُ فَلَقَدْ أَلْفَظَ جَهْرًا مِنْ فِى
خَارِحًا عَنْ نَفْسَى كَاللَّيْبِ مُحَرَّقًا مَهْجَةً قَابَى الدَّنِفِ
أَنَا لَوْلَا فِىضُ دَمْعَى الْأَسْكِبِ لَتَحَرَّقْتُ بِنَارِ الْأَسْفِ

* * *

يَا شَبَابَ الْقَوْمِ لَوْلَا كُمْ لَمَّا سَاغَ لى الْعَذْبِ وَمَا إِنْ لَذَى
إِنِّى أَبْصَرُ مِنْكُمْ أَنْجَمًا لَامَعَاتِ فِى ظَلَامِ الْأَمَلِ
فَاصْبِرُوا الْيَوْمَ عَلَى حَرِّ الظَّمَا كَى تَنَالُوا الرِّىَ فِى الْمُسْتَقْبَلِ
وَاتَعَبُوا الْيَوْمَ فُعْقَى التَّعَبِ رَاحَةً مُشْبَعَةً بِالتَّرَفِ
لَتَقُونَا أَسْوَأَ الْمُنْقَلَبِ إِذْ بَنَاءُ الْقَوْمِ هَارَى الْجُرْفِ

* * *

يَا شَبَابَ الْقَوْمِ هُبُّوا لِلْجِرَازِ فَبِكُمْ يَبْسِمُ ثَغْرِ الْوُطَنِ
وَارْفَلُوا إِمَّا بَثُوبِ الْإِعْتِرَازِ أَوْ بَثُوبِ هُوِ ثُوبِ الْكَفَنِ
وَأَعِدُوا الْعِلْمَ لَا السِّيفَ الْجُرَازِ إِنَّهُ عُدَّةُ هَذَا الزَّمَنِ (٢)
بِسِوَاهِ الْعِزِّ لَمْ يُكْتَسَبِ وَهُوَ الْمُنْصِفُ لِلْمُنْتَصِفِ
إِنَّهُ وَاللَّهِ لَا عَنْ كَذِبِ شَرَفِ النَّفْسِ وَنَفْسِ الشَّرَفِ

الدَّهْرُ (*)

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا أَعْجَمَى أَخَاطِبُهُ فَمَا لى إِلَى فِهِمُ الْحَدِيثِ أَجَازُهُ
أَيُّنِّى إِلَى وَجْهِهِ اللَّئِيمِ بَوَاجِهُهُ وَيَرْتَدُّ مَزُورًا عَنْ الْحَرِّ جَانِبُهُ (٣)

(١) الْمُتَضَمُّ : بَصِيغَةُ الْمَفْعُولِ : الْمَظْلُومُ .

(٢) الْجِرَازُ بِالضَّمِّ : صِفَةٌ لِلسِّيفِ ، وَمَعْنَاهُ الْقَاطِعُ .

(*) هَذِهِ الْقَصِيدَةُ لَمْ تَنْشُرْ هُنَا بِكَامِلِهَا بَلْ حُذِفَ مِنْهَا زَهَاءُ أَحَدِ عَشْرِ بَيْتٍ .

(٣) يَتَنَبَّأُ : يَعْطَفُ . وَالْبَاءُ فِى بَوَاجِهُهُ زَائِدَةٌ فِى الْمَفْعُولِ ! وَمَزُورًا : مُنْحَرَفًا .

أراه إذا طارحته الجدل لأعيا
ويضرب أطناب المنى لي هازلًا
وبيناه يبدى لي ابتسامة خادع
لقد أضحكت غير الحليم شئونَه
فيا أدباء القوم هل تنقضى لكم
يشد عليكم بالسيوف نكايَه
وما أنا ممن يا أميم يلاعبه^(١)
وما أنا مخدوع بما هو ضاربه
يقطب حتى لا تبين حواجبه^(٢)
وأبكت سوى عين السفية نوائبه
شكاية دهر حاربتكم مصائبه
وأقلامكم وهو الأصم تعاتبه^(٣)

• • •

هو الدهر لم يسلم من الغي أهله
إذا آنسوا نور الحقيقة رابهم
تضاربت الأهواء فيهم فناكب
طبائعهم شتى على أن بينهم
لعمرك حتى البرق خالف بعضه
أثبت حركات الكون إلا تباينا
ولولا اختلاف شاءه الله في القوى
كما الليل لم يأمن من الشر حاطبه^(٤)
فتجتو على الأبصار منهم غياهبه^(٥)
عن الشر يقصيه وآخر جالبه
كرما تواليه ووغدا تجانبه
فقد خولفت بالموجبات سوالبه^(٦)
دوافعه فعالة وجواذبه
لما دار في هذا الفضاء كواكبه

• • •

- (١) يقال طارحه الكلام والشعر وغير ذلك : إذا ناظره وجاوبه .
(٢) بيناه : الألف كافة لبين أو هي مختصرة من بالكافة ؛ والأصل بينا ؛ فحذفت الميم من ما .
وكذلك القول في الضمير المتصل بها أنه مختصر من هو ؛ والأصل بينا هو ؛ فالضمير ضمير رفع .
وقوله يقطب : أي يزوى ما بين عينيه .
(٣) أي هو يحمل عليكم بالسيوف قهراً بالقتل والجرح ، وأنتم تقابلونه بالأقلام عتاباً ، وهو مع ذلك أصم غير سامع للعتاب . والبيت تمثيل لحالة الأدباء مع الدهر .
(٤) حاطب ليل : مثل عندهم في التخليط ، ومنه قولهم : المكثرات حاطب ليل ؛ أي يجمع بين الجيد والردى . أو أن الحاطب في الليل لا يأمن الشر إذ ربما جمع الأفاعى في الحطب الذي احتطبه وهو لا يدري . ففي البيت تشبيه الدهر بالليل ، وأهله بالحاطب فيه ، فهم لا يسهون من الوقوع في الباطل كما أن حاطب الليل لا يأمن من الوقوع في الشر ، وكما في البيت : مثلها في قول الشاعر :
كما سيف عمرو لم نخته مضارب
(٥) آنسوا : أبصروا . رابهم : أوقعهم في الراب . وضمير الفاعل في رابهم يعود إلى الدهر .
(٦) يريد بهذا البيت وما بعده : أنه لا يحب في اختلاف طبائع الناس ، وكونهم شتى بين كريم ولئيم ، إذ هذا التخالف جار في جميع ما في الكون فالبرق ومنه موجب ومنه سالب ، ولولا اختلاف القوتين الجاذبة والدافعة لما تم نظام هذا العالم ، ولا دارت في هذا الفضاء كواكبه .

سبوتُ زمانى بالنهى ونَحَضَنه
لم أستشرُ فى الناس إلا تجارِى
فلا ترتكب قرب اللثام فإنهم
وما عجبى فى الدهر إلا لواحد
وذلك أن العيش فيه مطيب
ولو كان فى أعماله الدهر عاقلاً
ولو لم يكن فى كل ما فيه خادعا

بتجربتي حتى تجلت عواقبه
وهل يصدق الإنسان إلا تجاربه
لكالبجر محمول على الهول راكبه
وإن كثرت فى كل يوم عجائبه
لمن خبثت بالخزيات مكاسبه
لما كان مثلى فى الورى من بحاسبه
أ أم فيه صادق الفجر كاذبه (١)

ألارب شيطان من الإنس قدغدا
فقلت له أخساً إنما أنت خائب
فولى على الأعقاب يحبو وقد درى
فأتبعه منى شهاب تسامح
ولو شئت أرسلت الخديعة خلفه
ولكن أبى منى الخداع مهذب

يخاتلنى خلسا وعينى تراقبه (٢)
وقبلك أعياء الجن ما أنت طالبه (٣)
ولله درى إني أنا غالبه (٤)
يشق ظلام الجهل بالحلم ثاقبه (٥)
تطارده حتى تضيق مذاهبه
تعود فعل الخير مذ طرَّ شاربه

وذى سَفَهٍ أغضيت عنه تكرُّما
فدبت على رجلى غدراً عقاربُه

فصمت له بالنعل ضرباً فلم تزل
يدأى به حتى اطمأنت غواربه (٦)

- (١) أم فلان القوم : إذا تقدمهم . وصادق الفجر : مفعول مقدم . وكاذبه : فاعل مؤخر . والمعنى أن كل ما فى الدهر خادع ، فلذلك ترى الفجر الصادق يتقدمه الفجر الكاذب .
- (٢) يخاتلنى : أى يخدعنى عن غفلة . والخلس : مصدر خلس الشيء إذا أخذ . فى مخاتلته ، وهو فى البيت مفعول لأجله ، أو هو مفعول مطلق ، لأنه بمعنى المخاتلة .
- (٣) أخساً : أى ابعد وانزجر ، وهى كلمة زجر وطرده للكلاب .
- (٤) المعنى المراد من قوله « فولى على الأعقاب يحبو » : أنه ذهب كالكلب يمشى على أربع ،
- (٥) أتبعه : بمعنى تبعه أى لحقه . وشهاب تسامح : أى شهاب صفيح وعفو عنه .
- (٦) فلم تزل يدأى به حتى اطمأنت : أى لم تزل يدأى تمارسه أو موقعة به . تقول العرب : مازلت وزيداً حتى فعل : أى مازلت أحاوله .

وجنبته السيف الجراز لأنه تعالت عن الكلب العقور مضاربه
لقد عابني جبلاً ولم يدر أنه أقل فداءً للذي هو عائبه
له نسبة مجهولة غير أنه مغامزه معلومة ومعايبه^(١)

إلى أبناء الوطن

أنشدها في حفلة أقيمت له بعد رجوعه إلى بغداد سنة ١٩٢٣

سرّ في حياتك سير نابه^(٢) ولم الزمان ولا تحابه^(٣)
وإذا حلت بموطن فاجعل محلك في هضابه^(٤)
واختر لنفسك منزلاً تهفو النجوم على قبابه^(٥)
ورمّ العلاء مخاطراً فيما تحاول من لبابه
والجهد ليس يناله إلا المخاطر في طلابه
وإذا يخاطبك الله فسم سمعك عن خطابه
وإذا انبرى لك شاماً فارباً بنفسك عن جوابه^(٦)
فالروض ليس يضره ما قد يظنّ من ذبابه^(٧)
ولربّ ذئب قد أتاك من ابن آدم في إهابه^(٨)
ما امتاز قط عن ابن آوى شخصه بسوى ثيابه
وإذا ظفرت بذي الوفا فخطّ رحلك في رحابه^(٩)
فأخوك من إن غاب عنه لك رعى ودادك في غيابه
وإذا أصابك ما يسو رأى مصابك من مصابه

(١) المغامر : جمع مغامر . وهو المظن ، فنبى كالمغايب معنى .

(٢) الذابه : المشهور ، ضد الحامل .

(٣) هضابه : جمع هضبة ، وهي الجبل المنبسط على الأرض . والمراد : المنازل المرتفعة .

(٤) تهفو : تسرع . يقال هفت نفسه إلى الشيء : إذا أسرع إليه .

(٥) انبرى له : عارض وصنع مثل صنعه . ارباً بنفسك : ارفع نفسك .

(٦) يضره : يؤذيه . يظنّ : يصوت ويحدث طنيناً .

(٧) أصل الإهاب : الجلد قبل أن يدبغ . والمراد : الجلد مطلقاً .

(٨) خط رحلك في رحابه : أي اتزل عنده في أرضه . والمراد تمسك بأخائه ولا تتحول عنه .

وتره يَجْعُجُ إنْ شَكَوْ تْ كَأَنَّ مَا بَكَ بَعْضُ مَا بِهِ ^(١)

يا قوم قد هَرَمَ الزَّما ن من التَّمَادَى في انْقِلَابِهِ
فَلِذَاكَ عِنْدَ الْهَاجِرَا ت يَسِيلُ شَيْءٌ مِنْ لَعَابِهِ
مَا زَالَ مِنْ خَرَفٍ بِهِ لِلنَّاسِ يَهْذِرُ فِي كِذَابِهِ ^(٢)
يَأْتِي بِكُلِّ عَجِيبَةٍ تَدْعُو الْإِلَيْبَ إِلَى ارْتِيَابِهِ
وَالنَّاسُ فِي عَطَشٍ تَسِي——ر إِلَى ارْتَوَاءٍ مِنْ سَرَابِهِ
فَمَتَى يَجُودُ لَنَا الزَّما ن وَلَوْ بِمَذَقٍ مِنْ وَطَائِهِ ^(٣)
وَالِى مَتَى هُوَ سَائِرُ وَجْهِ الْحَقِيقَةِ فِي ضَبَابِهِ ^(٤)
يَت——لُو بِصَرْفِ الْحَادِثَا ت لَنَا فَصُولًا مِنْ كِتَابِهِ
كَمْ يَدَّعَى وَطَنِيَّةً مِنْ لَمْ تَكُنْ مَرَّتْ بِيَابِهِ
فَتَرَاهُ يَنْفُخُ لَأَغْيَا فِيهَا وَيَنْفُخُ فِي جِرَابِهِ
لِيَكُونَ مَكْتَسِبًا بِهَا مَالًا تَهَالِكُ فِي اكْتِسَابِهِ
فَكَأَنَّمَا هُوَ صَائِدٌ وَكَأَنَّمَا هِيَ مِنْ كَلَابِهِ
وَتَرَاهُ يَرْمِي الْمُخْلِصَ بَيْنَ كُلِّ سَهْمٍ مِنْ جِعَابِهِ
وَيُعِيبُ قَــوْمًا بِالْخِيَا نَةِ وَالْخِيَانَةِ بَعْضُ عَابِهِ ^(٥)

لَا بَدَّ لِلْوَطَنِ الْعَزِيزِ مِنْ الْمَسْكَنِ لِاضْطِرَابِهِ
مَنْ مَجْلِسٍ لِلشَّعْبِ يَنْظُرُ بِالتَّأَمُّلِ فِي مَا بِهِ
وَيَتَوَبُّ عَنْ أَفْسَاهِ إِنْ صَادَقُوهُ عَلَى مَنَابِهِ

(١) يقال : وجع في الماضي ، ويوجع وييجع ويأجع في المضارع . يريد أنه يتوجع لما ينوبك .
(٢) الخرف : الهذيان والهلوس مثل كلام المحموم والمجنون ، والمراد أنه يخلط فيما يأتي به من الحوادث ولا يستقيم له قصد .

(٣) المذقة : اللبن المزوج بالماء ، يريد غير الخالص . والوطاب جمع وطب ، وهو سقاء يوضع فيه اللبن .
(٤) يريد أن وجه الحقيقة ليس ظاهراً ، وإنما يخفيه الضباب ، يعني ما يأتي به الدهر من الخير والشر ليس واضحاً .
(٥) عابه : عيبه .

حتى نرى أمر البلاد به يعود إلى نصابه
أبته حكومتنا له والشعب ليس له بآبه
أترى الحكومة تبغيه ونحن نعرض عن طلابه
هذا لعمر أليك ما يدعو الحليم إلى انتخابه
هلا يقوم القاعدون مسارعين إلى انتخابه
كى ينقذ الوطن الذى صرف الزمان له بنايه
وغدا يهدد بالبوار بنيه بور فى ترابه
إن لم تكونوا مدركيه فلا محالة من خرابه

* * *

آب المسافر للديار على اضطرار فى إياه
لو كان ينجح للإيا ب لما تعجل فى ذهابه
قد كان يمرح فى التغر ب بالحفاوة من صحابه
لا تعجبن لخاملي لبس النباهة فى اغترابه
فالسيف أحسن مايكو ن إذا تجرد من قرابه
أما العراق فإن لى كل الرجاء بأسد غابه
ينجسب يأسى بالرجا ء إذا نظرت إلى شهابه
من كل ما هو فى ظلا م الليل أضوا من شهابه
لمع الذكاء بوجهه كالبرق يلمع فى سحابه
يا من زكت أحسابهم فأتوا بأخلاق نوابه^(١)
ووجودهم بالنبيرا ت من النجوم لها مشابه
إنى لأشكر فضلكم شكر المئاب على ثوابه
كالروض يشكر وابلًا حيًا الأزاهر بانسكابه

(١) زكت أحسابهم : برأت أصولهم من الدنس . نوابه : جمع نابه ؛ أى شريف عال

في المعتمد العلي

أعمرك إنَّ الحرَّ لا يتقيَّدُ إلا فليقل ما شاء فيَّ المُنقَدُ^(١)
 إذا أنا قصَّدتُ القصيدَ فليس لي به غير تبيان الحقيقة مَنصِدُ
 نشدت بشعري مَطْلِباً عَزَّ نِيَاهُ وإن هان عند الشعر ما كنت أنشدُ
 فلنجم بعدُ دون ما أنا ناشد وللدَّرِّ قدرٌ دون ما أنا مُنشدُ
 وكم جنبتني عزة النفس منهلًا يطيب به لكن من الذلِّ موردُ
 وما أنا إلا شاعر ذو لبانة أنوح بها حيناً وحيناً أغرَّدُ
 ولي بين شذقي الهريته بن صارمٍ يُسلُّ على الأيام طورا ويُعَمَدُ^(٢)
 ولا عجب إن غابني الشاعر الذي يقول سخيْفَ الشعر وهو مقادُ
 فإنَّ ابن بُردٍ وهو أكبر شاعر تنقَّصه في الشعر حماد عَجَرْدُ^(٣)
 تعودت تصرّحي بكلِّ حقيقة والمرء من دنياه ما يتعود
 إذا رمت نصحا جئت بالنصح واضحا وما كان من شأني الكلام للعقدُ
 وقد أبصر الدماء الدفين الذي بنا كما أبصر الأمواه في الترب هُدُودُ^(٤)
 يقولون لي استنمض إلى العلم قومنا بشعر معانيه تقيم وتُقعدُ
 أما علموا أنَّ الحياة بعصرنا مدارس في كلِّ البلاد تُشيدُ
 وما ينفع القول الذي أنت قائل إذا لم يكن بالفعل منك يُؤيدُ
 فيا قومنا إن العلوم تجددت فإن كنتم تهوونها فتجددوا

(١) المُنقَدُ : اللأم العائب .

(٢) الشدق الهريته : الواسع ، وأصله من صفات الأسد ، وصارم : لسان حاد مثل السيف .
 يُعَمَدُ : أي يوضع في غمده وهو قرابه .

(٣) ابن برد : هو الشاعر بشار بن برد ، شاعر فارسي ، وحماد عَجَرْدُ شاعر أيضا في عصر
 بشار كان مولعا بهجائه ، وكلاهما عاش في صدر الدولة العباسية .

(٤) يعني الشاعر أنه لطول تجربته وعابرته شؤون الحياة يستطيع أن يميز الصحيح من الفاسد
 مالا يستطعمه غيره ، وشبه نفسه بالهدود الذي يرى الماء الغائر في الأرض بعد نظره .

وَحَاوُوا جَمُودَ الْعَقْلِ فِي أَمْرِ دِينِكُمْ
وَإِنْ شَتَّمْ فِي الْعَيْشِ عِزًّا فَأَقْدَمُوا
وَأَمْضُوا سَدِيدَ الرَّأْيِ دُونَ تَرَدُّدٍ
وَلَا تَقْبَلُوا قَيْدًا بِقَوْلٍ مُجَرَّدٍ
وَأَطْلَالِ عِلْمٍ لَا تَزَالُ شَوَاحِصًا
أَرَاهَا فَأَبْكِي وَهِيَ رَهْنُ يَدِ الْبَيْلَى
وَمَا أَنَا سَالٍ عَهْدَهَا حِينَ لَمْ تَسِلْ
فَإِنْ تُكْبِرُوا تُسَدِّدْ دَمْعِي لِأَجْلِهَا
وَمَعَهَا عِلْمٌ أَسَّسَتْهُ عَصَابَةُ
شَبَابٍ مَشَوْا لِلْمَكْرَمَاتِ بِعِزَّةٍ
سَأَسْتَوْدِعُ الْأَيَّامَ كُلَّ قَصِيدَةٍ
أَقُولُ لَهُمْ قَوْلًا بِهِ أَسْتَزِيدُهُمْ
أَمَّا وَخِلَالِ فَيْكُمُ عَرِيسَةٌ
يَسِّرُ الْعَلَى أَنْ يَنْهَضَ الْقَوْمُ لِلْعَلَى

فَإِنْ جَمُودَ الْعَقْلِ لِلدِّينِ مَفْسَدٌ
فَكَمْ نَيْلَ بِالْأَقْدَامِ عِزٍّ وَسُودَدٌ
فَمَا يَبْلُغُ الْغَايَاتِ مِنْ يَتَرَدَّدُ
فَمَا قَيِّدَ الْأَحْرَارِ قَوْلٌ مُجَرَّدُ
تَذَكَّرْ بِالْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَتَشْهَدُ
بِدَمْعٍ كَمَا أَرَفَضَ الْجَمَانَ الْمُنْضَدُ
دَمْعِي وَلَكِنِّي أَمْرٌ مُتَجَلِّدُ
فَإِنْ دَمِي مِنْ أَجْلِهَا سَيَبْدُدُ
مَنْ الْقَوْمِ تَسْعَى لِلنَّجَاحِ وَتَجْهَدُ
تَقَاعَسَ عَنْهَا الْكُوكَبُ الْمُتَوَقَّدُ
يَطِيبُ لَهُمْ فِيهَا الثَّنَاءُ الْخَالِدُ
وَأَشْكُرُهُمْ شُكْرًا جَزِيلًا وَأَحْمَدُ
وَذَا قَسَمٌ لَوْ تَعَامُونَ مُؤَكَّدُ
وَأَنْ يَجْمَعَ الشُّبَّانُ لِلْعِلْمِ مَعَهْدُ

في متمدنى التهذيب

أنشدها في حفلة افتتاح منتدى التهذيب في بغداد

تريدنى الأيام أن أتقيَّدا وأطلب فيها أن أكون الجددا
وتعبدنى دون المدى فى خطوبها وغاية هم النفس أن أبلغ المدى
كفى لصريح العقل قيِّداً لمطلق من الناس ينبغي أن يكون مقيدا
لعمر الهدى إن النهى ليس من صوى

(١) سواها لمن ضلُّوا الطريق إلى الهدى

فما بال هذا العقل أمسى معطلاً لدينا كأن الله أوجده سدى (٢)
أيخلفنا بكرَّ الجديدين ضلةً ولم نتقمَّص فيهما ما تجددا (٣)

فيا منجدى فيما أريد من العلى ولولا العلى لم أطلب الدهر منجدا
أعنى على ما لو تحقق كونه لما كان لى بل للأناسى مسعدا
تجهز من الحسنى بما أنت قادر عليه ولا تقبل سوى العقل مرشدا
وأحسن إلى من قد أساء تكرُّما وإن زاد بالإحسان منك تمردا
وجب الذى عاداك إن رمت قتله فإنى رأيت الحب أقتل للعدا
فليس مضرّاً فى العلى بالذى أرى على كل حال أن تحب من اعتدى
إذا دُفع الشر القبيح بمثله تحصل شرٌّ ثالث وتولدا
وأمت دواعى الشر ذات تسلسل مديد وصار الشر فى الناس سرمدا
فما رأى عندى إن تمخَّضتِ الوغى

سوى أن يظنَّ أن سيف فى الغمد مغمدا

(١) النهى العقل وأصله جمع نهية ، وهى ما ينهى المرء عن القبيح . والصوى : جمع صوة ، وهى العلامة تنصب فى الطريق ليهتدى بها السائرون فى الصحارى ونحوها . يريد أن العقل من معدن الهداية .

(٢) سدى ضياعا ، بلا فائدة .

(٣) يخلفنا يبلينا . ويقال ، فلان يفعل كذا ضلة . إذا لم يوفق للرشاد ، وكأفاه منصوب على الحال ، أى ضالا . وتقمص الشيء : كالتقميص .

وَأَنْ تَجْمَعَ الدُّنْيَا عَلَى رَدِّ طَامِعٍ
فَإِنْ كَانَ هَذَا فِي الْعُصُورِ الَّتِي خَلَتْ
فَإِنْ جَمِيعُ الْأَرْضِ أُمَسَتْ كَبَلْدَةً
وَلِي خَلْقٌ يَأْتِي عَلَى انْطِبَاعِهِ
وَأَضْرِبَ عَنْ جَهْلِ الْجُهُولِ وَلَمْ أَكُنْ

لَا أَضْرِبَ فِي الْأَيَّامِ لِلْغَدْرِ مَوْعِدًا
إِذَا أَيْقَظْتَنِي لِلْعَدَاءِ اعْتِدَاءً
وَتَكْرَهُ نَفْسِي كُلَّ عَبْدٍ مُذَلٍّ
إِذَا مَا اتَّقَتْ نَفْسٌ رَدَّاهَا بِذَلَّةٍ
وَلَوْ طَلَبَتْ نَفْسِي الْغَنَى بِامْتِنَانِهَا
وَلَكِنِّي آلَيْتُ إِلَّا أَذِيقَهَا
سَجِيَّةَ نَفْسٍ لَمْ أَحُلْ عَنْ عَمُودِهَا
وَمَا ضَرَّنِي إِذْ عَضَّنِي مُتَشَادِقٌ
وَلِي وَطَنٌ أَفْنَيْتُ عَمْرِي بِحُبِّهِ
وَلَمْ أَرَ لِي شَيْئًا عَلَيْهِ وَإِنَّمَا
تَعَلَّقْتَهُ مِنْذُ الصَّبَا مَغْرَمًا كَمَا
وَسَيَّرْتُ فِيهِ الشَّعْرَ فَرَا فَطَالَمَا
وَكَمْ رَامَ إِسْكَاتِي أَنْاسٌ أَبِي لَهُمْ
وَمَنْ عَجِبَ أَنْ يَعْشَقَ الرُّوضَ بَلْبَلٌ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا اثْنَانِ فِي الشَّرْقِ كُلِّهِ

(١) المنشادق : يريد به المنشدق ، وهو المتفاحص الذي يملأ شذوقه بالكلام ، وقيل هو المستهزئ . بالناس ، يلوى شذوقه بهم وعليم . وتشدق في كلامه : فتحفه واتسع . شجا الرجل فاه فتحه ، وشجا فوه انفتح ، متعد لازم . والباء زائدة أو على تضمينه معنى نطق بهم . والأردد : صفة من الدرد ، وهو سقوط مقدم الأسنان .

ولم أرَ مثل الفضل في الشرق مخفقا ولا مثل جدّ المرء للمرء مُسعدا
تأمل قليلا في بنيه مفكرا لتشهد منهم للعجائب مشهدا
فتبصر أيقاظا يطيعون هجدا وتبصر أحرارا يخافون أعبدا
وكم فارة في الشرق تحسب هرة وكم عتقي في الشرق سمي هدهدا
ألا ربّ شاكٍ قال لي وهو آسف أما أن للتّهذيب أن يتبغدا^(١)
فقلت له أبشر بخير فإنه ببغداد للتّهذيب أسس مُنتدى

في زحله

قالها سنة ١٩٢٣ أنشدها في حفلة أقيمت له ولاريحاني في رحلة
حببت العلي منذ الصبا حبّ شاعر وقت إليها ساعيا سعي قادر
أقدر فيها أن أصبح للأُم وقد ملكت مني جميع المشاعر^(٢)
تقول ابنة الأَقوام وهي تلومني وأدعها رقراة في الحاجر^(٣)
إلى كم تجدّ البين عني مسافرا أما تستلذّ العيش غير مسافر^(٤)
وأسكتها عني نشيج فلم تزل تردده منها بأقصى الحاجر
إلى أن تفاني الصبر فافتقر مدمعي كدمعها عن لؤلؤ متناثر
ولا غرو أن أبكي أسي من بكائها فأعظم ما يشجى بكاء الحرائر
وقلت لها إنّي امرؤٌ لي لبانة منوطٌ مداها بالنجوم الزواهر
تعودت أن لا أستنيم إلى المنى وألا أرى إلا بهيئة نائر
وأن امضيّ الهم الذي هو مُقلقي بطيّ الفياق أو بخوض الدياجر^(٥)

(١) تبغدا : أي يصير ويتحول إلى بغداد .

(٢) أصاخ له : استمع وأنصت .

(٣) رقراة : جائلة متحركة . والمحاجر : جمع محجر ، وهو مدار بالعين من العظم .

(٤) تجدّ البين تجدد سفرا بعد سفر .

(٥) أمضيّ هم : فقد ما عزم عليه وهم به . وطى الفياق : قطع الصعاري . والفياق : جمع فبغة ، والدياجر : جمع ديجور ، وهو الظلمة ، وأصله الدياجير .

أما تَرَيْنَ الوجّه منى شاحبا
ولست أبالى أننى عادم الغنى
ذرينى أزرّ فى هَضْب لبنان أربعا
بحيث أرى تلك الليوث خوادرا
ليوث إذا ما عَبَّست فى مُلَمَّةٍ
وألقت جيوش الفاخرين سلاحها
فأكرم بلبنان مَقَرًّا لنابه
ألا إنما لبنان فى الأرض عاهل
وزَحَلَةٌ فى لبنان تاج لرأسه
وما هى إلا روضة أنبتت له
أزحالة إنى تارك فىك مُهْجَتى
فتشكرك الشكر الذى أنت أهله
رفاء اسرى ما عوّد القدر نفسه
ومن عجب أن الشويعر لأمنى
ومن كان مثلى شاعرا لا تسوّه
على أننى من عاذريه وإن يكن
وكم فى رُبا لبنان من ذى فصاحة
ومن أهل آداب كشارقة الضحى

لكثرة ما عرّضته للهواجر^(١)
إذا كان جدّى فى العلى غير عاثر
تعالّت بحيث العز مُرخى الضفائر
تسارق الحاظا عيون الجآذر
تبسمت الدنيا تبسم ناصر
إذا خفقت راياتها بالمفاخر
ومأوى لمنكود ومهدى الحائر
تبوّأ عرشا من جليل المآثر
قد ازدان من أبنائها بالجواهر
أزاهير من تلك الحسان الغرائر^(٢)
تعاطيك من بعدى محبة شاكر
طوال الليالى خالدا فى الدفاتر
ولا رُدَّ إلا مُخلّصا فى الضمائر
بيروت لوم الشاتم المتجاسر
مقاذعة جاءته من متشاعر^(٣)
لى الحق فى عذرى له غير عاذر
مُجيد بيوم الحفل قرّع المنابر
ومن أهل علم كالبحار الزواخر

(١) الشحوب : الصفرة والتغير . والهواجر : جمع هاجرة ، وهى شدة الحر وسط النهار .

(٢) الغرائر : جمع غريرة ، وهى التى لم تجرب شئون الحياة لنعمتها وحداتها .

(٣) مقاذعة : مهاجمة ومساباة .

الفنون الجميلة



تأنيك ربيته بصر مامت . . .

إن رُمّت عيشاً ناعماً ورقيقاً فاسلك إليه من الفنون طريقاً
واجعل حياتك غصة بالشعر والتشـمـيل والتصوير والموسيقى
تلك الفنون المشتهاة هي التي غصن الحياة بها يكون ورقاً
وهي التي تجلو النفوس فتعتلى منها الوجوه تلالوا وبريقاً
وهي التي بذاقها ومشاقها عسى الغليظ من الطباع رقيقاً

تمضى الحياة طرية في ظلها والعيش أخضر والزمان أنيقا
 إن الذى جعل الحياة رواعدا جعل الفنون من الحياة برؤقا
 وأدرّها غيث اللذّاة منبتا زهر المسرة سوسنا وشقيقا
 وأقام منها للنفوس حوافزا تدع الأسير من القلوب طليقا
 فتحلّ عقلة من تراه معقدا وتنفك ربة من تراه ربيقا
 تلك الفنون فطر إلى سعة بها إن كنت تشكو في الحياة الضيقا
 وإذا أردت من الزمان مضاحكا فتحسّ منها قرقفا ورحيقا
 ما فاز قط بوصلها من عاشق إلا وكان لعارفيه عشيقا
 ففى ابتسامات الدنى وبغيرها ما كان وجه الحادثات طليقا

رطب حياتك بالغناء إذا عرا همّ يحقّف في الخلق الريقا
 إن الغناء لمحدث لك نشوة في النفس تطفئ في حشاك حريقا
 واترك مجادلة الذين توهّموا هزج الغناء خلاعةً وقسوقا
 أفانت أغلظ مبهجةً من نوقهم فقد استحثوا بالخداء النوقا
 أرقى الشعوب تمدنا وحضارةً من كان منهم في الفنون عريقا
 وأحطهم من إن سمعت غناءهم فن الضفادع قد سمعت نقيقا
 فالنن مقياس الحضارة عند من حازوا الرقى ، وناطحوا العيوقا

الشعر فن لا تزال ضروبه تتلو الشعور بألسن الموسيقى
 ويمجد تقطير العواطف للورى فتحاله لقسلوبهم أنيقا

ومسارح التمثيل أصغر فضلها جعل الكليل من الشعور ذليقا^(١)
 وإذا رأى فيها انواق غافل من نوم غفلته يكون مفيقا

(١) الكليل من السلاح : الذى لا يقطع . والذليق : الماضى الحاد .

تمنى الحميد من الخصال وتنتقى ما كان منها بالفخار خليقا
وتجىء من عبر الزمان بمشهد يُلقى خشوعا في النفوس عميقا
ويكون منظره الرهيب ممهداً لمشاهدته إلى الصلاح طريقا

أما المصور فهو فنّان يرى ما كان من صور الحياة دقيقا
تأتيك ريشته بشعر صامت ولقد يفوق الشاعر المنطيقا^(١)
وبدائع التصوير من حسناتها أن يستفيد بها الشعور سموقا^(٢)
فهى الجديرة أن تكون ثمينة وتكون أنفق من سواها سوقا^(٣)
إن الحياة على الكدورة لم تجد مثل الفنون لنفسها رأووقا^(٤)

الحياة الاجتماعية والتعاون

أُنشئت في حفلة تأسيس جمعية حماية الأطفال في بغداد سنة ١٩٢٨

يعيش الناس في حال اجتماع فتحادث بينهم طرق انتفاع
وتكثر للتعاون والتفادى على الأيام بينهم الدواعي
ولو ساروا على طرق افراد لما كانوا سوى همج رعا^(٥)
رأيت الناس كالبنيان يسمو بأحجار تُسَمِّعُ بالسَّيَّاع^(٦)
فيمسك بعضه بعضا فيتقوى ويمنع جانبيه من التداعي
كذلك الناس من عجم وعُرب جميعا بين مرعى وراع
قد اشتبكت مصالحهم فكل واحد في مجال العيش ساع
ولولا سعى بعضهم لبعض لعاشوا عيش عادية السباع^(٧)

(٢) السموق : الارتفاع .

(١) المنطيق : الفصيح .

(٤) الراووق : المصفاة .

(٣) أنفق : أروج .

(٥) الهمج والرعاع : السفلة من الناس . وأصل الهمج : صغار البعوض .

(٦) تسيم بالسَّيَّاع : أى تطلّى بما يطلّى به البناء بعد بنائه ، ليكمل شكله ومنظره .

(٧) عادية : أى مفترسة .

إذا رب الحسام ثناه عجز^١ تدارك عجزه رب البراع
 وإن قلم الأديب عراه زيغ تلافى زيغه سيف الشجاع
 وإن صغرت يد من ريع زرع أعيد ثراؤها بيد صناع^(١)
 بذاك قضى اجتماع الناس لما أن اعتصموا بجبل الاجتماع
 يساند بعضهم في العيش بعضا مساندة ارتفاق وانتفاع
 فتعلو في ديارهم المباني وتستعلي الحياة بهم فتسمى
 وما مدنية الأقوام إلا تعاونهم على غر المساعي
 ولم يصلح فساد الناس إلا بئال من مكاسبهم مشاع
 تشاد به الملاجيء لليتامى وتمتار المطاعم للجبايع
 وتبنى للعلوم به مبان تفيض العلم مؤتلق الشعاع
 وإلا فالشقاء لهم حليف وما حمل الشقاء بمستطاع
 ومما سرّنى أنى أناجى رجالاً في الفخار ذوى ابتداع
 سعوا لحماية الأطفال منا بما أوتوه من كرم الطباع
 فقاموا بالذى يعلى ويسلى يصونون الضعاف من الضياع
 وما هذى الحياة سوى صراع يتم بفوز مغتول الذراع
 وما سادت شعوب الخلق إلا بتهيئة البنين لذا الصراع
 إذا لم يُعنَ بالأطفال قوم فمضبة مجدهم رهن انصداع^(٣)
 ولا تزكو المنشأ في أناس يرون الطفل من سقط المتاع^(٤)
 وما هاج العواطف في فؤاد كحال الطفل في زمن الرضاع
 فشكراً للكرام وكل شكر لمن عضدوا الكرام بدّ باع^(٥)

(١) صغرت : أى صارت صفراً خالية . وريع الزرع : يريد ثمرته وفائدته التى تجنى منه .

واليد الصناع : الماهرة ، وهى ضد اليد الخرقاء ، وهى التى لا تحسن عملاً .

(٢) الرفاع : المرتفع . (٣) انصداع : تشقق وتكسر .

(٤) سقط المتاع : أردأ وأرخس ما فى البيت من متاع وأدوات كالمسكنة والكور ونحوها .

(٥) عضده يعضده ، يضم الضاد فى المضارع : قوى عضده وشدازره يريد عاونوا بعد أيديهم بالمال .

في سبيل الوطنية

كتب إليه صديقه نضرى البارودى وهو إذ ذاك ببيروت ،
يخبره بأنه ألف في دمشق شركة للمنسوجات الوطنية ، ويطلب
إليه أن يكتب فيها قصيدة يدعو بها القوم إلى مؤازرتها
والانضمام إليها ، فيكتب القصيدة الآتية وأنفذها إليه في دمشق

من كان في الجند المؤئل راغباً	فليطلبه بهمة البارودى
فخرى الذى ابتكر الفاخر واعتدى	منهن مفخراً بكل جديد
وأبى سوى غر المساعى إذ سعى	متشبثاً منها بكل مفيد ^(١)
وبنى له بدمشق مجداً طارفاً	من بعد مجد في دمشق تليد ^(٢)
إن كان محمود الفعال فإنه	ورث المكارم عن أب محمود
نفع البلاد بمساعىه وسعيه	وبحسن رأى في الأمور سديد
ورأى الشتات بها مقام موحداً	فيها المساعى أيما توحيد
ودعا الرجال بها فآلف شركة	ترمى إلى غرض أغر حميد ^(٣)
تغنى البلاد بسعيها عن غيرها	وتعيد عهد ثرائها المفقود
وتقوم بالعمل المفيد لأهلها	من نسج أردية لهم وبرود
حتى تكون عن الأجانب فى غنى	وتعيش غير أسيرة التقليد
أو ما ترى أهل البلاد تقيّدوا	للغرب من حاجاتهم بقيود
الغرب يكسوهم ملابسهم بها	يعرّون من مال لهم ونقود
وتراه يسلّخهم بمصنوعاته	سلخ الشياه فهم بغير جلود
هذى سفائنهم تروح وتغتذى	ببضائع لم تحصّ بالتعدد
فكأنما هى لامتنصاص دمائنا	بعض المحاجم أو كبعض الدود ^(٤)

(١) غر المساعى : جمع أغر ، وهو الذى فى وجهه بياض .

(٢) الطارب والطريف : المكتسب الحديث . والثائد والتليد : الموروث القديم .

(٣) الشتات : التفرق .

(٤) المحاجم : جمع محجم ، وهو كأس صغير يسحب به الدم من الانسان . والدود : هو العلق الأسود ، يستعمل كالحجج لامتصاص بعض الدم من الجسم .

حتى متى نشقى ليسعد غيرنا ونذلّ القربى لعزّ بعيد
وبجانب الوطنى من أشياءنا ولو أنه من أحسن الموجود
إن البلاد لتشتكى من أهلها وتقول ^(١) قول الرازح المجهود
يا سادة الأوطان لستم سادة ما عشتُم من فقركم كعبيد
أفسيدٌ من عاش وهو لغيره فى حاجة بل ذاك عيش مسود
إن السيادة تستدير مع الغنى فى حالتى عدَم له ووجود ^(٢)
لا يستقلّ بسيفه الشعب الذى لا يستقلّ بنقده المنقود ^(٣)
من كان محلول العرى فى ماله وجب انحلال لوائه المعقود
يا قومنا أتم كفارس كرمة وسواه منها فاطف العنقود
كم تزرعون بأرضكم ولغيركم ثمّا زرعتم حبّ كل حصيد
فتبصّروا يا قوم فى أحوالكم وتنبّهوا من غفلة ورقود
من شاء منكم أن يُعزّ بلاده فليسعّ سعى مُعزّها البارودى

فى المدرسة : دار التفيض

نعمت الدار للتفيض دارا قد أقيمت للطالين منسارا
هى دار ينتابها ولد قوم جعلوا العلم للحياة مدارا
نحن قوم نرى المفاخر إلا من طريق العلوم ثوبا معارا
ما قصدنا بسنّ السيف إلا ردّ ليل الجبل الميت نهارا
هل شددنا الرحال فى الأرض للأد فار إلا لنكتب الأسفارا ^(٤)

(١) الرازح المجهود : هو الذى لحقه الاعياء من حمل ثقل .

(٢) يريد أن المرء لا يوصف بأنه سيد إلا إذا استغنى عن غيره ، فأما إذا احتاج إلى غيره فهو عبد له . وقد قيل : «استغن عن شئت تكن أميره ، واحتاج إلى من شئت تكن أسيره» .

(٣) يريد أن الاستقلال الاقتصادى للبلاد ينبغى أن يقدم على الاستقلال السياسى .

(٤) الأسفار الأولى : جمع سفر ، بفتح الفاء ، والثانية : جمع سفر ؛ بكسر السين وسكون الفاء ، وهو الكتاب .

كم طويينا من قبل في طلب العدا
 واقتحمنا لأجله كل هول
 ولقد هانت النوائب فيه
 إنما تصغر الخطوب لدى القوا
 سل بنا العلم والفنون جميعا
 سل بنا العدل في جميع الرعايا
 سل بنا النور من كبار المساعي
 سل بنا هذه الدماء الدوامي
 سل بنا هذه النجوم الدراري
 كم رفعنا للعلم في الأرض برجا
 لا يكن منك في الذي قلت شك
 يعلم الله ذو الجلالة أنا
 إنما هذه المدارس روض
 تتغذى بها النفوس غذاء
 جلّ فعلا أكسيرها المتعالى
 يدخل الناشئون فيها من النا
 رب نفس كدرهم قد جلاها
 نصرت هذه المدارس روضا
 تمنح العاجز الضعيف اقتدارا
 كانت الناس في القديم عبيدا
 فعليكم فيها بتحصيل علم
 م فجاجا وم شققنا بحارا
 وركبنا لأجله الأخطارا
 إذ لبسنا الصبر الجميل شعارا
 م إذا كانت النفوس كبارا
 هل ملكنا بغيرها الأقطارا^(١)
 هل عمرنا بغيره الأمصارا
 هل طلبنا بغيرهن فخارا
 هل غسلنا بغيرهن العار
 هل رضينا تحت النجوم قرارا
 وبنينا له كغمدان دارا
 وإذا شئت فانظر الآثارا
 لسوى الله ما رجونا وقارا
 يُنبئ المجد والعلی والفخارا
 هو يُنمى العقول والأفكارا
 كيف يحلو القلوب والأبصارا
 س نحاسا ويخرجون نضارا
 علم حتى أعادها دينارا
 من بنى القوم مُنبئا أزهارا
 مُوشكا أن يغالب الأقدارا
 وبها اليوم أصبحوا أحرارا
 يُرغد العيش ، يُسعد الأعمارا

(١) سل بنا : سل عنا . وفي الكتاب العزيز : « فاسأل به خبيرا » .

المدارس ونهجها

أنشئت في حفلة وضع الحجر الأساسى لباية مدرسة التفيض
الأهلية التى أقيمت عصر ١٨ كانون الثانى سنة ١٩٣٩ .

أبنوا المدارس واستقصوا بها الأملا
جودوا عليها بما درت مكاسبكم
إن كان للجهل في أحوالنا عِلَلٌ
سيروا إلى العلم فيها سير معتزمٍ
لا تجعلوا العلم فيها كل غايتكم
هذى مدارسكم شروى مزارعكم
لا تتركوا الشوك ينمو في منابتها
وأسسوها على الأعمال قائمة
يلقى بها النشء للأعمال مخترعا
وأماطوا روضها علما ومقدرة
فتنت العالم الفنان مخترعا
وتنت الحارث الفلاح مزدرا
واسقوا التلمذ فيها خمر مكرمة
حتى إذا ما غدا خريجها طاربا
ربوا البنين مع التعليم تربية
وثقفهم بتدريب وتبصرة

حتى نطاول في بنائها زحلا
وقابلوا باحتقار كل من بخلا
فالعلم كالطب يشفى تلسم العِللا
ثم اركبوا الليل في تحصيله جملا
بل علموا النشء علما ينتج العمال^(١)
فأنتبوا في ثراها ما علا وغلا^(٢)
أعنى بذلكم الأهواء والنحلا
ممهدين إلى الحيا بها سبلا
وللطباع من الأدراة معتسلا
حتى تفتح من أزهارها الأملا
وتنت الفارس المغوار والبطلا
وتنت المدرة المنطيق مرتجلا
عن خمر الكرم تسمى عنده بدلا
من عزة النفس خيل الشارب الثملا
يمسى بها ناطق الأخلاق مكتملا
ثقافة تجعل المعوج معتدلا

(١) يريد : لاتوجهوا كل اهتمامكم إلى التعليم القولى النظرى ، بل وجهوا عنايتكم إلى الشئون
العملية ، كالعلوم التطبيقية التى تفيد في ترقية الزراعة والصناعة والتجارة وما إليها .

(٢) شروى : مثل .

وجنبوهم على فعل معاقة
 إن العقاب يزيد النفس شرَّتها
 بل أنشؤنا شئ الأحدث وهو على
 بحيث يمسى إذا شأته شائنة
 من يترك الشرَّ خوفاً من معاقة
 فحشوا جيش علم من شبيبتنا
 إن قام للحرب ردَّ الأرض مُمرِّعة
 وإن غزا مستظلاً ظل رايته
 إنا لمن أمة في عهد نهضتها
 هذا هو العلم لا ما تدأبون له
 ماذا تقولون في نقدي مذاهبكم
 وأي نفع لمن يأتي مدارسكم
 فأجمعوا الرأي فيما تعملون به
 ثم انهجوا في بلاد العرب أجمعها
 حتى إذا ما اتدبنا العرب قاطبة
 إنَّ العقاب إذا كثرته قتالاً
 وليس ينكر هذا غير من جهلاً
 حبَّ الفضيلة في محياه قد جبلاً
 من فعله احمرَّ منها وجهه خجلاً
 فليس يُحسب ذافضلاً وإن فضلاً
 عرَّمر ما تضرب الدنيا به المثلاً
 أو قام للحرب دكَّ انسهل والجبلاً
 هزَّ البلاد وأحيا الأعصر الأولاً
 بالعلم والسيف قبل أن نشأت دولاً
 مما تكون به عُباكم الفشلاً
 وقد كفيتكم التفصيل والجبلاً
 إن كان يخرج منها مثلاً دخلاً !
 ثم اعملوا بنشاط ينكر الملالاً
 نهجاً على وحدة التعليم مشتملاً
 كنا كأنا انتدبنا واحداً رجلاً

العلم والإجازة (*) فيه

إن من حاز في العلوم إجازةً لجدير برتبة ممتازة
 وخلق بعيشة مرتضاه وافتخار بفضل ما قد حازه

(*) الإجازة : هي الشهادة تمنحها المدارس والمعاهد الطلاب الذين أتموا دراستهم كلها أو بعضها
 وسميت بذلك لأن شيوخ العلم من سلف المسلمين كانوا يجيزون المنتهين من الطلاب برواية مروياتهم
 وقراءة مؤلفاتهم ، لأنهم أصبحوا أعلاماً لذلك ، وكان الطلاب يمتدنون بشهادة أستاذهم لهم ،
 ويذكرونها في تراجمهم وتواريخ حياتهم .

إنما هذه الأجازة صاكَّ بيد المرء ضامنٌ إعزازه .
وهي تعويذة له من عيون بالمساوى همّازة غمّازه
فهنئنا لمن أجزى وشكراً للذي في علومه قد أجازه

معهدُ العلم وهو حِرْزٌ يفوق الـ أبلقُ الفردَ منعةً وحرّازه^(١)
تليجاً الناس في الحياة إليسه هرباً من جهالةٍ وخّازه
حبذا العلمُ يكسبُ المرءَ عزّاً ويقيه في عيشه إعزازه
في نفوس الذين لم يُرزقوه حسراتٍ وفي القلوب حّزازه
إنما العلم من معاجز عيسى كم جهول أحياء وهو جنازه
صاحب العلم يركب المجد طرفاً جاعلاً غاية العلى مهمّازه^(٢)
ويهرّز الدنيا رجاءً وخوفاً بيدٍ من درايةٍ هزّازه
نحن سقَرٌ وما الرواحل والزنا دُ سوى العلم والحياة مفازه^(٣)
كل من لم يُعده لاجتياز لم تيسّر يد النجاح اجتيازه
إن عتل الفتى ليصبح بالعلم رزينا بكف من قد رازه^(٤)
والطبائع العرجاء في كل شخص تقتضى من ثقافة عكّازه
ألغز الدهر في الحقائق لكن أفهم العلم أهله ألعازة
وإذا الأمر قد غشته الغواشى ضمن العلم للورى إبرازه

كان للعلم في القديم طريق غير رحب يشقُّ أن يجتازه

(١) الأبلق الفرد : حصن معروف للسوءل بن عادباء اليهودى بأرض تيماء من بلاد العرب ، قال فيه الشاعر :

هو الأبلق الفرد الذى سار ذكره ينز على من رامه ويطول

(٢) المظرف : الحصان الكريم ، والمهمّاز ما يبحث به القرس على السير .

(٣) مفازة : صحراء يهلك فيها السائر الذى لم يستعد لها .

(٤) رازه : اختبره بيده ليعرف ثقله .

فجرى اليوم في طريق جديد جُعِلَ الشك واليقين طِرَازَه
هو صيدٌ ولم يَعدْ يجعل المصطادُ منه غير التجارب بازَه^(١)
قد عرفنا حقيقة القول فيه وتركنا للغافلين مجازَه^(٢)
وبحثنا عن جوهر الحق فيه قبلنا دفينه وركازَه^(٣)
بَلَّهْ إطنابَ شرحه بقياس إن في تجرباتِه إيجازَه^(٤)
هو في الناس قدره متعال لم يَطُلْ صَرَحُ إيفلٍ أنشازَه^(٥)
وإذا الملك لم يؤيده علمٌ فارتقب سلبه ورج ابتزازَه^(٦)
وإذا العلم فاه يوماً بوعده ذهب اليأس آملاً إنجازَه^(٧)
وإذا أنشطَ الجبان لحرب صال يرغو حمسةً وجمازَه
قلم المرء في بلوغ للعالي فائق في وغى الحروب جُرازَه^(٨)
صاحب العلم في الأمور أمير قد غدا كل حادث جِلَوازَه^(٩)
يبصر الخطب من هواديه حتى يلتهى فيه مبصراً أعجازَه^(١٠)
قلهذا ، نعم لهذا أهى كل من حاز في العلوم إجازَه

-
- (١) شبه العلم بصيد ، وجعل التجربة كالبايزى ، وهو الصقر الذى يستعان به على الصيد .
(٢) يقول : استعنا في عصرنا على تحقيق العلم بالتجربة الموجزة ، واستغنينا بها عن الشرح الطويل ، وانقياس المنطقى النظارى .
(٣) الركاظ : المعادن المدفونة في الأرض .
(٤) يقول : في عصرنا على تحقيق العلم بالتجربة .
(٥) صرح إيفل ، أو برج إيفل : بناء عال جداً في فرنسا ، والأنتاز جيم نثر ، وهو كل شئ مرتفع ، يقول : إن قدر العلم وشرقه عال جداً لا يساميه برج إيفل علواً .
(٦) يقول : إن الملك الذى لا يقوم على دعائم العلم لا يلبث أن يضيع ويسلب .
(٧) إذا وعد العلم بتحقيق غرض ، فلا بد أن يناله ، وإن ظنه الناس مستحيلاً أو بعيداً .
(٨) الجراز : السيف .
(٩) الحلواز : بمعنى الشرطى .
(١٠) هواديه : أوائله وقدماته

العلم

إلى شبان السكينة الانكليزية في القدس

لا يبلغ المرء منتهى أربه
 فأوِ إلى ظلّه تعش رغداً
 واتعب له تسترح به أبداً
 ولذة العلم من تذوقها
 وإن للعلم في العلي فلكا
 فاسع إليه بعزم ذي جلد
 وأبذل له ما ملكت من نسب
 لا تتكل بعده على نسب
 واطرح المجد غير طارفه
 ما أبعد الخير عن فتى كسل
 كم رفع العلم بيت ذي ضعة
 حتى تمنى أعلى الكواكب لو
 وودت الشمس في أشعتها
 وإن يسد جاهل فسودده
 يرى امرؤ مجد جاهل عجا
 كم كذب الدهر في فعائله
 العلم فيض تحيا القلوب به
 كل فخار أسبابه انقطعت
 للعلم وجه بالحسن منتقب

إلا يعلم يجد في طلبه
 عيشاً أميناً من سوء منقلب
 فراحة المرء من جنى تعب
 أضرب عن شهده وعن ضرب
 كل المعالي تدور في قطبه
 مصمم الرأي غير مضطرب
 فالعلم أبقى للمرء من نسيبه
 فالعلم يغني النسيب عن نسيبه
 واجتنب الفخر غير مكتسبه
 يسرح في لهوه وفي لعبه
 فقصر الناس عن مدى حسبه
 يحل بيتاً يكون في صقبه
 لو كنّ يحسن من قوى طنبيه^(١)
 بعد قليل يفضى إلى عطبه
 لو صح عقلاً لكف عن مجبه
 وسودد الجاهلين من كذبه
 فامتح بسجل الحياة من قلبه^(٢)
 إلا فخاراً يكون من سبيه
 وسافر منه مثل متقبه

(١) الطنب : جبل تشد به الخيمة .

(٢) السجل : الدلو . والقلب : جمع قلب ، وهي البئر .

ما حسن وجه الفتى بمفخرة
ما أقدر العلم إن صحبته
من تحذ العلم عدة لوغى
فانتدب العلم للخطوب فما
العلم كالنور بل أفضله
سقيًا ورعيًا لروض معبده
ما الناس إلا رؤّاد نجعته
ومن غدا هاديًا يعلمه
ومعهد أسست قواعده
شيده للعلوم مدرّسه
قد غرّد المجد في جوانبه
وأصبح العلم فيه مزدهرًا
بمثله في البلاد قاطبة
أضحت فلسطين منه مُمرّعة
تاهت به إيلياء فاخرة
شكرا لبانيه ما أقام به

إن لم يؤيّد بالحسن من أدبه
يعن منها الخميس في هربه^(١)
أغناه عن درعه وعن يابه^(٢)
خاب لعمرى رجاء منتدبه
ما أفقر النور أن يشبه به
وطالييه وقارئ كعبه
وناثروه وكاشفو حجبه
وراح يشفى الجهول من وصبه
في بلد شفى هوى عربه
من كان نشر العلوم من دأبه
فاهتزّ عطف الفخار من طربه^(٣)
بكل ذاكى الذكاء ملتبه
يشفى عقور الزمان من كلبه^(٤)
مذ جادها بالغزير من سحبه^(٥)
على دمشق الشام أو حلبه
شبانه القاطنون في قببه

-
- (١) الخميس : الجيش ، لأنه خمس فرق : قلب ، وجناحان ، ومقدمة ، ومؤخرة . يعن : يبالغ .
(٢) عدة الحرب أدواتها ، والياب : الترسة أو الدروع من الجلود ، أو جلود يخز بعضها إلى بعض تلبس على الرؤوس خاصة .
(٣) العطف : الجانب .
(٤) شبه الزمان بالكلب العقور ، وهو المصاب بالكلب ، فإذا عض إنسانا عقره أى أهلك .
(٥) الممرع : المخصب . جادها : أنزل بها المطر الجود الغزير .

دار الأيتام

أو مدرسة سنلر في القدس

لدار سنلر في القدس فضلٌ	به تنسى تيتّمها اليتامى
ويحمده من الفقراء طفلٌ	يذمّ لفقد والده الحماما
بها يجد اليتيم له مقامًا	إذا ما الدهر أفقده المقاما
يرى عن أمّه أمّا عطوفا	عليه وعن أبيه أبّا هماما
تمت نهارها فيه ليحيا	وتحي الليل فيه لكي يناما
فتشرب نفسه حبّ المعالي	وتطعم جسمه منها الطعاما
وترأم كل من فجعوا بيتم	صغاراً قبل ما بلغوا الفطاما ^(١)
ويدخلها يتيم القوم طفلاً	فتخرجه لهم يفعاً غلاما
عليماً بالحياة يسير فيها	على علم فيخترق الزحاما
وقد لبس الفضيلة وارتماها	وشد عليه من حزم حزاما

* * *

وقفت بها أعاطيها التحايا	وأستقى لساكنها الغماما
وأشكر فضلها والشكر عجز	إذا هو لم يكن إلا كلاما
أدار سنلر لا زلت مأوى	لأبناء الأرامل والأيتامى
أثابك مالك الملكوت عنهم	مؤوبة كل من صلى وصاما
صمّنت لهم رغيد العيش حتى	أخذت على الزمان لهم ذماما
وجار الدهر معتديا عليهم	فكنت لهم من الدهر انتقاما
إذا ما أبكت الدنيا يتيما	أعدت بكاءه منه ابتساما
لقد هوّنت رزء اليتيم حتى	غفرنا للزمان بك الأثاما

(١) رثمت الأم ولدها : شتمته وعطفت عليه .

وكاد إذا رأى مَنفَكَ راء
ليكت فيك مغتبطا سعيدا
ويعلم كيف يدَّرع المعالي
وما فقد المسيح الناسُ لما
فُتبت عن المسيح وقت حتى
ولا عجب فقد جدَّت منه
شمخت على ربِّا القدس اعتلاء
ولحت بأقفا بدرأ منيرا
ألا إن النجوم بشعريها
هزرت الطور فهو يكاد يمشي
وجاذبت الكرامة خير قبر
تُباهي القدس مكة فيك حتى
فلا برحت رُبوعك عمارات
يودَّ بأن يكون من اليتامى
ويكسب عندك الشرف الجساما^(١)
ويعرف كيف يبتدر المراما
أعدت لهم خلائقه الكراما
لقد شكر المسيح لك القياما
عواطف كان عم بها الأناما
فكنت لمن من شرف وساما
جلا من ليل أيوسها الظلاما
لتحسُّد من مَرابعك الرغاما^(٢)
إليك على تقدسه احتراما
به دفن المسيح ومنه قاما
تفاخر فيك مشعرها الحراما
نسلُّ على الشقاء بها حساما

الفقر والسقام (*)

أَيّ مضى يمدّها باكتاب
يتشكى والليل وحف الإهاب
صَفَعْتَهُ فقال كفُّ الخراب^(٤)
أَنَّ تترك الخشا في القهاب
ضمن بيت جشا على الأعقاب^(٣)

تسمع الأذن منه صوتا حزينا راجعا في حشا الظلام كينا

(١) الشرف الجسام : الجسم .

(٢) الشعرى : الشعر ، والنميصاء : كوكبان مضيئان ، والرغام : التراب .

(*) من الجزء الأول .

(٣) الوحف : الشعر الكثير الأسود . لإهاب : الجلد . يصف سدة ظلام الليل . جشا على

الأعقاب : يريد أنه قارب أن يهدم . (٤) كف : فاعل صفعت .

يملاً الليل بالدعاء أنيناً ربّ كن لى على الحياة معيناً
 ربّ إن الحياة أصل عذابى
 وجّع فى مفاصلى دقّ عظمى ودهانى ولم يرقّ لعدى^(١)
 عاقنى عن تكسبى قوت يومى ربّ فارحم فقرى بصحة جسمى
 إن فقرى أشد من أوصابى^(٢)
 يا طبيباً وأين منى الطبيبُ حال دون الطبيب فقر عصبى^(٣)
 لا أصاب الفقير داء مصيب إن سقم الفقير شئ عجيب
 بطلت فيه حكمة الأسباب

u * o

رجلٌ معسر يسمّى بشيراً كان يسعى طول النهار أجيراً
 كاسباً قوته زهيداً سيراً مانكاً فى المعاش قلباً شكوراً
 راجياً فى المعاد حسن المآب^(٤)
 عالٍ أخيراً حكته خلقاً نزيها عانساً جاوز الزواج سنيها^(٥)
 لزمت بيت أمها وأبيها مع أخيها تعيش عند أخيها
 مثله فى الطعام أو فى الشراب
 كلّ يوم له ذهاب ومأتى فى معاش من كده يتأتى^(٦)
 هكذا دأبه مصيفاً ودشّى فاعتراه داء المفاسل حتى
 عاقه عن تعيشٍ واكتساب
 بينما كان فى قواه صحيحاً ساعياً فى ارتزاقه مستميجاً^(٧)

(١) العدم : الفقر .

(٢) الأوصاب : الأمراض .

(٣) عصب : شديد .

(٤) أى أن ذلك المفضى الذى مر ذكره فى أول القصيدة هو رجل معسر الخ .

(٥) عالٍ أخيراً : كفلها وكفاها معاشها . العانس : هى التى طال مكثها فى بيت أهلها بعد إدراكها ولم تتزوج .

(٦) يتأتى : يتهبأ .

(٧) مستميجاً : طالباً .

إذ عراه الضنى فعاد طليحا ورمته يد السقام طريحا^(١)
جسمه من سقامه في اضطراب

بات يبكي إذا له الليل آوى بعيون من السهاد نشاوى^(٢)
فترى وهو بالبكاء يتداوى قطرات من عينه تنهاوى
كشهاب ينقض إثر شهاب^(٣)

إن سقما به وعقما ألما تركاه يذوب يوما فيوما
فيو حيناً يشكو إلى السقم عذما وهو يشكو حيناً إلى العدم سقما
باكيا من كليهما بانتـ

ظل يشكو للأخت ضعفاً وعجزاً إذ تعزّيه وهو لا يتعزى
أيها الأخت عزّ صبرى عزّا إن للداء في المفاصل وخزا^(٤)
مثل طعن القنا ووخر الحراب^(٥)

قد تمدى به السقام وطالا وترآى له الشفاء محالا
إذ قلاباً به السقام استحالاً كان مينا فصار داء عضالاً^(٦)
ناشبا في الفؤاد كالنشاب^(٧)

ظل ملقى وأعوزته المطاعم موثقا من سقامه بالأداهم^(٨)
منفقا عند ذاك بعض دراهم ربحتها من غزلها الأخت فاطم
قبل أن يتلى بهذا المصاب

(١) الطليح : المزلزل . (٢) نشاوى : سكارى ، جمع نشوان .

(٣) الشهاب : هو ما يرى كأنه كوكب قد سقط .

(٤) الوخر : الطعن غير النافذ بـرج أو إبرة أو غير ذلك .

(٥) القنا : جمع قناة ، وهى الرمح .

(٦) القلاب : داء القلب . داء عضال : شديد متعب غالب .

(٧) ناشبا عالقاً .

(٨) أعوزته المطاعم : احتاج إليها فلم يقدر عليها . موثقا : مقبدا . الأداهم : القيود .

قال والأخت أخبرته بأن قد كُوبِت عندها الدراهم تنفذ^(١)
أخبري السقم علّه يتبعسد أيها السقم نزل عيشي المنكد
لا تعقني في عيشي عن طلابي

مرّضيني شقيقتي مرّضيني وعلى الكسب في غدٍ حرّضيني
وإذا مسك الطوى فإرضيني أو على الناس لمبيع اعرضيني^(٢)
علمهم يشـتروني ممّا بي

رام خبزاً والجوع أذكي الأوارا في حشاه فعللته انتظارا
ثم جاءت بالماء تبدى اعتذارا وهل الماء وهو يطفى ناراً
يطفى الجوع ذاكيا في التهاب

خرجت فاطم^ة إلى جارتها وهي تدرى الدموع من مقلتيها
فأبانت برقة حالتيها من سقام ومن سعار لديها^(٣)
وشكت بعد ذلك خلو الوطاب^(٤)

فأثنت وهي بين ذل وعزّ تحمل التمر في يد فوق خبز^(٥)
وبأخرى سمناً وبعض أرزّ منحوها به وذو العرش يجزى
من أغان الفقير حسن الثواب

* * *

ليلة تنشر العواصف ذُعرا في دجاها حيث السحاب اكفها^(٦)
ذا هزيم يمج في الأذن وقرأ حين تبدى صوالج البرق تترى^(٧)
كهربائية سرت في السحاب

(١) كُوبِت : كادت . (٢) الطوى : الجوع . (٣) السعار : بضم السين : شدة الجوع .

(٤) الوطاب : جمع وطب ، وهو سقاء اللبن من الجلد ، وخالو الوطاب كناية عن الفقر والحاجة

(٥) أثنت : رجعت . (٦) ذُعرا : خوفاً . اكفها : تراكم واشتدت ظلمته .

(٧) الهزيم : الرعد وصوته . يمج : يلقى . الوفر : الصمم . صوالج : صولجان وهو ما يضرب

به الأكرة . وصوالج البرق : هي الرياح التي تسوق السحب بشدة ، فيحصل منها الاحتكاك الذي يولد البرق ، فإن كان الاحتكاك أعظم حصل مع البرق صوت الرعد .

مدَّ فيها ذاك المريض الأكفا في فراش به على الموت أوفى^(١)
 طرفها كالشها يبين ويخفى حيث يُغضى طرفاً ويفتح طرفاً^(٢)
 عاجزاً عن تكلم وخطاب
 فدعته والعين تذرّى الدموعا أخته وهي قلبها قد ريعا
 يا أخى أنت ساكن أفجوعا ساكت أنت يا أخى أم هُجوعا^(٣)
 فاشقنى يا أخى برجع الجواب
 فرأت منه أنه لا يجيب فتدانت والدمع منها صبيب
 ثم أصغت وفي الفؤاد وجيب ثم هابت والموت شيء مهيب^(٤)
 ثم قامت بخشية وارتياب
 خرجت فاطم من البيت ليلاً حيث أرخى الظلام سِدلاً فسِدلاً^(٥)
 وهي تبكى والغيث يهطل هطلاً مثل دمع من مقلتيها استملا
 أو كماء جرى من الميزاب
 رب أدرك باللطف منك شقيقى وامنع الغيث رب عن تعويقى
 ومُر البرق أن يضىء طريقى ببريق يبيده إثرَ بريق
 فعسى أهندي به في ذهابى
 قرعت في الظلام باب الجارِ وهي تبكى الأسى بدمع جار
 ثم نادى برقة وانكسار أم سلمي ألا بحق الجوار
 فافتحى إني أنا في الباب
 فأتتها سعدى وقد عرفتها وعن الخطب في الدجى سألتها^(٦)

(١) أوفى : أشرف .

(٢) الشها : نجم خفى تمتحن الأبصار برؤيته . يغضى : يغمض .

(٣) الهمة للاستفهام ، والفاء عاطفة ، وجوعا : مصدر منصوب على أنه مفعول لأجله من ساكت . وأصل العبارة : أدأنت ساكت جوعا أم ساكت هجوعا ، أى نوما .

(٤) الوجيب : الحفطان والرجفان .

(٥) السدل : الستر .

(٦) الخطب : الأمر .

ثم سارت من بعد ما أعلمتها تقتفيها وبنيتها تبعثها
فتخطين في الدجى بانسياب^(١)
جئن والشَّحْبُ أقامت عن حياها وكذلك الرعود قلَّ رُغَاها^(٢)
حيث يأتي شبه الأنين صداها غير أن البروق كان ضياها
مُومِضاً في السماء بين الرَّباب^(٣)
فدخلن المحلَّ وهو نحيف حيث إن السَّكُوت فيه كثيف^(٤)
وضياء السراج نزر ضعيف وبه في الفراش شخص نحيف
دب منه الحُجَام في الأعصاب^(٥)
قالت الأخت أمَّ سامى انظريه ثكَّلت روح أمه وأبيه^(٦)
فراَّت منه إذ دنت نحو فيه نفساً مبطئاً التردد فيه
ثم قد غاله الردى باقتضاب^(٧)
وجمَّت حيرة وبعد قليل رمقت فاطماً بطرف كليل^(٨)
فيه حمْلٌ على العزاء الجميل فعلا صوت فاطم بالعويل
وبكت طول ليلها بانتحاب
فاستمرت حتى الصباح توالى زفراَّت بنارها القلب ضال^(٩)
فأتاها ودمعها في انهمال بعض جاراتها وبعض رجال
من صعاليك أهل ذاك الجناب^(١٠)
وقفوا موقفاً به الفقر ألقى منه ثقلاً به المعيشة تشقى

(١) الانسياب : الانسراع في المشى .
(٢) الرباب : بفتح الراء : السحاب الأبيض الذي أراق مائه .
(٣) شبه كثرة السكوت بجيش كثيف أى عظيم .
(٤) الحُجَام : الموت .
(٥) غاه : أهلك . الاقتضاب : الانقطاع والانسراع .
(٦) ثكَّلت أمه : فقدته .
(٧) جمَّت : سكنت من كثرة الغم والحزن . (٩) صال : احترق .
(١٠) الصعاليك : الفقراء . مفردعا : صعدوك . الجباب : هو المكان القريب من محلة القوم .

فَرَأَوْا دَمْعَ فَاطِمَ لَيْسَ يَرْقَا وَأَخُوهَا مَيِّتٌ عَلَى الْأَرْضِ مُلْقًى^(١)
مُدْرَجٌ فِي رِثَائِثِ الْأَثْوَابِ^(٢)

فَعَدَّتْ فَاطِمُ تَرَنَّنَ رَيْنِنَا بَيْكَاءَ أَبْكَتَ بِهِ الْوَاقِفِينَ
ثُمَّ قَالَتْ لَهُمْ مَقَالًا حَزِينًا أَيُّهَا الْوَاقِفُونَ هَلْ تَرْجُونَا
مِنْ مُصَابِ دَهَا وَأَيِّ مُصَابِ

أَيُّهَا الْوَاقِفُونَ لَا تَهْمَلُوهُ دُونَكُمْ أَدْمَعِي بِهَا فَاغْسِلُوهُ
ثُمَّ بِالثُّوبِ ضَافِيًا كَفْنُوهُ وَادْفِنُوهُ لَكِنْ بَقَلْبِي ادْفِنُوهُ
لَا تَوَارَوْا جِينَهُ بِالْتَرَابِ

بَعْدَ أَنْ ظَلَّ لِفَتْقَادِ الْمَالِ وَهُوَ مُلْقًى إِلَى أَوَانِ الزَّوَالِ
جَادَ شَخْصٌ عَلَيْهِ بَعْدَ سُؤَالِ بَرِيَالٍ وَزَادَ نِصْفَ رِيَالِ
رَجُلًا حَاضِرٍ مِنَ الْأَنْجَابِ^(٣)

كَفَّنُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا تَمَّ غُسْلُهُ وَتَمَشَّوْا بِهِ إِلَى الْقَبْرِ حَمَلًا
فَتَرَى نَعْشَهُ غَدَاةً اسْتَقْلًا نَعَشَ مِنْ كَانَ فِي الْحَيَاةِ مُقْلًا^(٤)
دُونَ سِتْرِ مَكْسَرِ الْأَجْنَابِ

نَاحَتْ الْأَخْتَ حِينَ سَارَ وَصَاحَتْ أَخْتُكَ الْيَوْمَ لَوْ قَضَتْ لِاسْتِرَاحَتِ
ثُمَّ سَارَتْ مَدْهُوشَةً ثُمَّ طَاحَتْ ثُمَّ قَامَتْ تَرْنُو لَهُ ثُمَّ رَاحَتْ^(٥)
تَسْكِبُ الدَّمْعَ أَيْمًا تَسْكَابُ

أَيُّهَا الْحَامِلُوهُ لَا مَشَى رَكُضٍ إِنْ هَذَا يَوْمُ الْفِرَاقِ الْحَضِ^(٦)
فَاسْأَلُوهُ عَنْ قَصْدِهِ أَيْنَ يَمْضِي إِنَّهُ قَدْ قَضَى وَلَمْ يَكُ يَقْضِ
وَاجِبَاتِ الصَّبَا وَشَرَحَ الشَّبَابِ^(٧)

(١) لَيْسَ يَرْقَا : لَا يَجِفُّ . وَأَصْلُهُ : يَرْقَا بِالْهَمْزِ ، تَخَفَّفَ .

(٢) مُدْرَجٌ : مَكْنً . رِثَائِثِ الْأَثْوَابِ : الْبَالِي مِنْهَا .

(٣) الْأَنْجَابُ : جَمْعُ نَجَبٍ ، وَهُوَ الدُّخَى الْكَرِيمُ .

(٤) اسْتَقْلًا : ارْتَمَعَ مَقْلًا : فَقِيرًا .

(٥) طَاحَتْ : سَقَطَتْ .

(٦) شَرَحَ الشَّبَابِ : أَوَّلُهُ .

(٧) الْمَوْجِعُ الْمَوْجِعُ .

إن قلبي على كريم السجايا طاح والله من أساء شظايا^(١)
 قاتل الله يا بن أمي المنايا أنا من قبل مذ حسبت الرزايا
 لم يكن زرع موتكم في حسابي
 إن ليلى وليس من راقديه كلما جاءني وذكريه^(٢)
 قلت والدمع قائلاً لي إيه يا فقيداً أعان الموت فيه^(٣)
 بكائي وهل يفيد عتابي

رحلت يوماً وقد مضت سفنان أتمشي « بشارع الميدان »
 مشى حيران خطوه متدان أثقلتني الحياة بالأحزان^(٤)
 وسقته كأساً كطعم الصاب^(٥)
 بينما كنت هكذا أتمشي عرضت نظرة فأبصرت نعشا
 بادياً للعيون غير مغشى نقش الفقر فيه للحزن نقشا
 فبدا لوح أبؤسي واكتئاب
 قلت سرّاً والنعش يقرب مني أيها النعش أنت أنعشت حزني
 للأسى فيك حالة ناسبتني إن بدا اليوم فيك حزن فإني
 أنا للحزن دائماً ذو انتساب

رحلت أسعى وراءه مذ تعدّي مسرعاً في خطاي لم آل جهداً^(٦)
 مع رجال كأنهم النعش عدا هم به سائرون سيرا مُجداً^(٧)
 فتراهم يمرّ مرّاً السحاب

(١) طاح : معناها هنا ذهب . من أساء : من حزنه . شظايا : قطعاً ، وهي جمع شظية ،

ونطلق على كل فلفة من شيء .

(٢) راقديه . النائمين فيه .

(٤) متدان : متفارب .

(٦) تعدّي : تجاوز

(٧) أي عدد حاملي النعش كعدد أنجم يات نعش ، وهي سبعة .

(٣) إيه . كلمة يطلب بها استعادة الحديث .

(٥) الصاب : شجر مر .

منذ لحدنا ذاك الدفين وعدنا قلت والدمع بلّ مني رُدُنَا^(١)
 إن هذا هو الذي قد وعدنا فأبينوا من الذي قد لحدنا
 فتصدّى منهم فتى جوابي
 قال إن الدفين أخت بشير أخت ذاك المسكين ذاك الفقير
 بقيت بعده يعيش عسير وبطرف بكٍ وقلبٍ كبير
 وقضت مثله بداء القلاب
 قلت أقصر عن الكلام فحسبي منك هذا فقد تنزل قلبي
 ثم ناجيت والضراعة ثوبى ربّ رحماك ربّ رحماك ربى^(٢)
 ربّ رشداً إلى طريق الصواب
 ربّ إن العباد أضعف أن لا يجدوا منك ربّ عفواً وفضلاً
 فاعفُ عن أخذهم وإن كان عدلاً أنت يارب أنت بالعفو أولى
 منك بالأخذ والجزا والعقاب
 قد وردنا والأرض للعيش حوض واحدٌ كلنا لنا فيه خوض
 فلمّاذا به مشوبٌ ومحض عظمت حكمة الإله فبعض^(٣)
 فى نعيم وبعضنا فى عذاب
 أيها الأغنياء كم قد ظلمتم نعيم الله حيث ما إن رحمتكم
 سهر البائسون جوعاً ونتم بهناء من بعد ما قد طعمتم
 من طعام منوع وشراب
 كم بذلتكم أموالكم فى الملاهى وركبتم بها متون السفاه
 وبخلتكم منها بحق الإله أيها المومنون بعض انتباه
 أفندرون أنكم فى تباب^(٤)

(١) الردن بضم الراء : أصل الكم .

(٢) الضراعة ثوبى : أى وأنا لابس ثوب الضراعة .

(٣) مشوب : مخلوط . محض : خالص من الكدورة .

(٤) التباب : الحسران .

تنبيه النيام (*)

أما آن أن يغشى البلاد سعودها وينهب هذى النيام هجودها
متى يتأتى في القلوب انتباهها فينجاب عنها ريبها وجمودها^(١)
أما أسدٌ يحمى البلادَ غضنفرٌ فقد عاث فيها بالمظالم سيدُها^(٢)
برئت إلى الأحرار من شرِّ أمة أسيرة حكام ثقال قيودها
سقى الله أرضاً أحملت من أمانها وقد كان رؤاد الأمان ترودها^(٣)
جرى الجور منها في بلادٍ واسعةٍ فضأقت على الأحرار ذرعاً حدودها

* * *

عجبتُ لقومٍ يخضعون لدولةٍ يسوسهمُ بنلو بقات حميدُها
وأعجب من ذا أنهم يرهبونُها وأموالها منهم ومنهم جنودُها
إذا وُلِّيتُ أمرَ العباد طغاتها وساد على القوم السراة مسودُها
وأصبح حرُّ النفس في كل وجهة يُردُّ مهاناً عن سبيلٍ يريدُها
وصارت لئام الناس تعلو كرامها وعاب لبيداً في التشيد بليدُها^(٤)
فأنت إلا أيها الموت نعمةً يعزُّ على أهل الحفاظ جمودُها^(٥)

* * *

ألا إنما حرية العيش غادة منى كل نفس وصلها ووفودها

(*) من الجزء الأول .

(١) الرين : ما غنى على القلب بحيث يحجبه عن رؤية الحقيقة .

(٢) عاث فيها : أفسدها . السيد : اللذاب .

(٣) الرواد : جمع رائد ، وهو الرسول الذى يرسله القوم لينظر لهم مكانا يتزلون فيه . يقال

منه راد المكان يروده ، وارتاده يرتاده ، بمعنى طلبه .

(٤) لبيد : علم الشاعر المشهور .

(٥) أهل الحفاظ المحامون عن عوراتهم ، والمدافعون دون أن يصل إليهم الضيم .

يُضَيءُ دَجَنَاتِ الحَيَاةِ جِبِينَهَا وَتَبْدُو المَعَالَى حَيْثُ أَتْلَعُ حَيْدَهَا^(١)
لَقَدْ وَاصَلْتُ قَوْمًا وَخَلَّتْ وِرَاءَهَا أَنَا سَاً نَمْنَى المَوْتَ لَوْلَا وَعُودَهَا
وَقَدْ مَرَضْتُ أَرْوَاحَنَا فِي أَنْتَظَارِهَا فَمَا ضَرَّهَا وَالْهَفْتُ لَوْ تَعُودَهَا^(٢)

* * *

بَنِي وَطَنِي مَا لِي أَرَاكُمْ صَبَرْتُمْ عَلَى نُوبِ أَعْيَا النُّحْصَاةِ عَدِيدُهَا
أَمَّا آدَاكُمْ حَمَلُ الهَوَانِ فَإِنَّهُ إِذَا نُحِّلْتُهُ الرَّاسِيَاتِ يَثُودَهَا^(٣)
قَعَدْتُمْ عَنِ السَّعْيِ المُوْدَى إِلَى العَلَى عَلَى حِينِ يُزْرَى بِالرَّجَالِ قَعُودَهَا
وَلَمْ تَأْخُذُوا لِلْأَمْرِ يَوْمًا عَتَادَهُ فَجَاءَتْ أُمُورٌ سَاءَ فِيكُمْ عَتِيدَهَا^(٤)
أَلَمْ تَرَوْا الأَقْوَومَ بِالنَّسْعَى خَلَدَتْ مَا ثَرَّ يَسْتَقْصِي الزَّمَانَ خَلُودَهَا
وَسَارُوا كَرَامًا رَافِلِينَ إِلَى العَلَى بِأَثْوَابِ عَزٍّ لَيْسَ يَبْلَى جَدِيدَهَا

* * *

قَدْ أُسْتَحُوذْتُ يَا لَخْسَارِ عَلَيْكُمْ شَيَاطِينُ إِنْسٍ صَالٍ مِنْكُمْ مَرِيدَهَا^(٥)
وَمَا اتَّقَدْتُ نَارَ الحِمِيَةِ مِنْكُمْ لَفَقَدَ اتِّحَادُ فَاسْتِطَالَ خَمُودَهَا^(٦)
وَلَوْلَا اتِّحَادُ العَنْصَرِينَ لَمَّا غَدَا مِنَ النَّارِ يَذْكُو لَوْ عَلِمْتُمْ وَقُودَهَا
إِذَا جَاهَلَ مِنْكُمْ مَشَى نَحْوَ سَبَّةٍ مَشَى جَمْعُكُمْ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ يَرِيدَهَا^(٧)

(١) أَتْلَعُ عَنقَهُ : مَدَهُ مَتَطَاوَلَا . (٢) تَعُودَهَا : تَرَوَّرَهَا : مِنْ عِيَادَةِ المَرِيضِ .

(٣) آدَاكُمْ : أَتَقَلَّكُمْ . يَثُودَهَا : يَثْقُلُهَا .

(٤) العَتَادُ : العِدَّةُ لِأَمْرِ مَا تَهَيَّؤُهُ وَمَا أَعَدُّ مِنْ سِلَاحٍ وَدَوَابٍ وَآلَةٍ حَرْبٍ . العَتِيدُ : الحَاضِرُ المَهْيَأُ . يَقُولُ لَمْ نَسْتَعِدَّوْا لِرَقِّ فَيَا مَضَى ، جَاءَ كُمْ يَوْمٌ سَاءَ كُمْ فِيهِ حَاضِرُكُمْ ، وَيَبْنِي بِالحَاضِرِ مَا كَانَتْ تَقَاسِيهِ الأُمَّةُ مِنْ جَوْرِ الحُكَّامِ وَاسْتِغْدَادِ الطُّغَاةِ ، وَهُوَ يَصْلُحُ خَالَتَنَا الحَاضِرَةُ أَبْضَاءُ ، وَيَكُونُ حَاضِرَنَا السَّابِقُ مَاضِيًا ، وَحَرِيْبَتَنَا الآنَ حَاضِرًا لَنَا ، فَانْهَاجَتْهَا عَلَى غَيْرِ اسْتِعْدَادٍ مِنْهَا لَهَا عِمَاةُ أَفْسَدِهِ الظَّالِمُونَ مِنْ أَفْرَاسِنَا فَأَسَانَا اسْتِعْمَالَهَا وَلَمْ نَحْسَنْ فَمَهْمَا بِسَبَبٍ مَا يُوَحِّيه المَتَقَهِّقُونَ إِلَى زَعَانِفِ القَوْمِ وَمَا يَبْثُونَهُ فِي نَفُوسِهِمْ مِنَ الشُّرُورِ : تَارَةً بِاسْمِ الوَطَنِيَّةِ . أَصْلَحَ اللهُ الأَحْوَالَ وَجَعَلَ كَيْدَ الرُّجْعِيِّينَ فِي ضَلَالٍ .

(٥) المَرِيدُ : الخَبِيثُ المُنْتَمِرُ الشَّرِيرُ .

(٦) أَيْ أَنَّ نَارَ حِمِيَّتِكُمْ لَمْ تَنْقَدْ لِأَنِّكُمْ لَمْ تَتَّحِدُوا ، فَإِنْ اشْتَعَلَ النَّارُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاتِّحَادِ العَنْصَرِينَ : الأكْسَجِينَ وَالكَرْبُونَ .

(٧) السَّبَّةُ : العَارُ .

كأنكم المعزى تهكّون عندما نزا فزت فوق الجبال عتودها^(١)
وما ثلة قد أهنتها رعاتها بمأمدة جاءت لعشر أسودها^(٢)
فباتت ولا راع يحامى مراحمها فرائس بين الضاريات تبيدها
بأضيع منكم حيث لا ذو شهامة يذب انزايا عنكم ويذودها^(٣)

* * *

أتطمع هذى الناس أن تبلغ المنى ولم تور في يوم الصدام زنودها^(٤)
فهل لعت في الجوّ شعلة بارق وما ارتجست بين الغيوم رعودها^(٥)
وأدخنة النيران نولا اشتعلها لما تمّ في هذا القضاء صعودها
وإن مياه الأرض تعذب ما جرت ويفسدها فوق الصعيد ركودها
ومن رام في سوق المعالي تجارة فليس سوى بيض المساعي تقودها

سوء المنقلب (*)

بغداد حسبك رقدة وسبات أو ما تمضك هذه النكبات^(٦)
ولعت بك الأحداث حتى أصبحت أدواء خطبك ما هن أساة^(٧)
قلب الزمان إليك ظهر مجنه أفسك عندك للزمان نرات^(٨)

(١) نزا : وثب . العتود : الجدى الذى استكرش ؛ أو هو مارعى وقوى وأتى عليه حول . يريد بذلك أنه إذا قام قائم منا بأمر نتاجه عليه من غير أن تعلم ما هو ولا أن ندري أ كانت عاقبته شراً أو خيراً .

(٢) اثلة بفتح التاء : الجماعة الكثيرة من الفم . وأما الثلة بضم التاء : فهي الجماعة من الناس . المأسدة : المكان الذى تسكن أو تربى فيه الأسود .

(٣) يذب : يدفع ومثله يذود .

(٤) أورى الزند : أخرج ناره . والزند : العود الذى يقتدح به النار والأسفل يقال له زنده .

(٥) ارتجست السماء : رعدت ، وارتجست البناء : رجف وتحرك حركة سمع لها صوت .

(*) من الجزء الأول .

(٦) السبات : النوم . تمضك : توجعك .

(٧) الأحداث : الزوازل . أدواء : جمادات . أساة : أطباء .

(٨) الحن : الترس ؛ وقلب له ظهر المجن : أى صارحه بالعداوة . نرات : عداوات ، وهى

جمع نرة .

ومن العجائب أن يحسك ضره
إذ من دباله وتفرات ووجلة
إن الحياة لفي ثلاثة أنهر
قد ضلّ أهلك رشدهم وهل أهتدى
قوم أضاعوا مجدهم وتفرّقوا
لقد استهانوا العيش حتى أهملوا
يا صابرين على الأمور تسومهم
لا تهملوا الضرر اليسير فإنه
قالغار تنهب من سقوط شرارة
لا تستقيموا للزمان توكلاً
فإني متى تستهلكون حياتكم
تالله إن فعالكم بخلافه
أقترصون بأن ترك السعي في
إن صحّ نقلكم بذلك فبينوا
لم تلقَ عندكم الحياة كرامةً
شقيت بكم لما شقيتم أرضكم
وجهتم النهج السوي إلى العلى

من حيث يتفح لو رعتك رعاة^(١)
أمت تحلّ بأهلك الكربات
تجري وأرضك حولن موات
قومٌ أجاهلهم هم السرّوات^(٢)
فتراهم جمعاً وهم أشستات
سعيّاً مغبة تركه الإعانات^(٣)
خسفاً على حين الرجال أباة^(٤)
إن دام ضاقت دونه القلوات^(٥)
والماء تجمع سبيله القطرات
فالدهر نزاء له وثبات^(٦)
فوضى وفيكم غفلة وأناة^(٧)
نزل الكتاب وجاءت الآيات^(٨)
هذى الحياة توكل وتقاة^(٩)
أو قام عندكم الدليل فهااتوا
في حالة فكأنكم أموات
فلها بكم ولكم بها غمرات^(١٠)
فترادفت منكم بها العثرات

(١) رعاة : جمع راع .

(٢) السرّوات : السادة والرؤساء .

(٣) المغبة : العاقبة . الاعانت : الاذلال والايقاع في الشدة وفي أمر يخاف منه .

(٤) سامه الخسف : أذله وأهانته . أباة : لا يرضون الضيم والاهانة .

(٥) انقلوات : الأراضي المذمومة .

(٦) نزاء : وثاب .

(٧) الأناة : الحلم .

(٨) التقاة : التقوى .

(٩) الغمرات : الغنائم .

(١٠) الغمرات : الغنائم .

بالعالم تنتظم البلاد فإنه لرقى كل مدينة مرقاة
 إن البلاد إذا تخاذل أهلها كانت منافعها هي الآفات
 تلك الرصافة والمياه تحفها والكرخ قد ماجت به الأزمان^(١)
 سالت مياه الوادين جوارفا فطفحن والأسداد مؤتكلات^(٢)
 فتهاجم الماء أن من صفتيهما فتتأطحا وتوالت الهجمات^(٣)
 حتى إذا اتصل الفرات بدجلة وتساوت الوهجات والربوات^(٤)
 زحفت جيوش السيل حتى أصبحت بالكرخ نازلة لها ضوضاء^(٥)
 فسمنت بيوت الكرخ شر مقيئ منها فقاءت أهلها الأبيات^(٦)
 واستنقعت فيها المياه فطحلت بالكث ترغو تحتها الحمات^(٧)
 حتى استحال الكرخ مشهد أبؤس تبكى به الفتيان والفتيات
 طرقاته مسدودة ودياره مهدومة وعراضه قذرات^(٨)
 ياكرخ عز على المروعة أنه لجج المياه عليك مزدحات
 فلئن أمانتك السيول فإنما أمواجهن عليك ملتطيات^(٩)

• • •

(١) الأزمان : الشدائد .

(٢) الأسداد : جمع سد . مؤتكلا : آكل بعضها بعضا .

(٣) صفتيهما : جانبيهما . والضفة بتشديد الغاء وخففها الشاعر لضرورة وكان له مخلص من هذه الضرورة وذلك بأن يقول من صفويهما لأن الصفوين مثنى صفا . والضفة والضفة بمعنى واحد .

(٤) الوهجات : جمع وهدة وهي المنخفض من الأرض ؛ والربوات جمع ربوة وهي المرتفع منها .

(٥) الضوضاء : الجلبة وأصوات الناس .

(٦) شبه الماء الداخلى إلى البيوت بما يشربه الانسان من المقيئات ؛ فكما يخرج الانسان مافى

جوفه بعد شربه المقيئ ؛ فكذلك البيوت أخرجت ما فيها من السكان بعد دخول الماء .

(٧) طحلت : علاها الطحلب وهي خضرة تعلق الماء الزمن . الحمات : جمع حمة وهي الطين

الأسود ؛ أراد بها جثث الذين لم يستطيعوا الخروج من البيوت .

(٨) العراض : جمع عرصة ؛ ساحة الدار . وهي البقعة الواسعة بين الدور التى ليس فيها بناء .

(٩) يقول : إذا كانت السيول سبب موتك فإن أمواجه تنظم حزنا عليك .

من مبلغ المنصور عن بغداده
 أمست تناديه وتندب أربعاً
 وتقول : يا أبا الخلائف لو ترى
 لغدوت تذكرني وتبرح قائلاً
 أين البروج بقيت مَسِيدَة
 أين الجنان بحيث تجري تحتها إل
 أترى أبو الأمان يعلم بعده
 لا دجلة يا للرزية دجلة
 كان الفرات يمد دجلة مأوّه
 إذ بين دجلة والفرات مصانع
 يا نهر عيسى أين منك موارد
 ما ذا دهي نهر الرّفيل من البلي
 إذ قصر عيسى كان عند مصبه
 أم أين بركة زلزل وزلاها السلطان تسرح حوله الطّبيات

(١) المنصور : هو المنصور بالله العباسي أبو جعفر ثاني خلفاء بني العباس ؛ وهو أول من
 مصر بغداد وجعلها مدينة .

(٢) أربع جمع ربيع وهو الدار . الرسوم : جمع رسم . وهو ما لصق بالأرض من آثار الديار .
 الهبوات : جمع هبوة وهي الغيرة .

(٣) يا أبا الخلائف : هو قدا : استفاضة .

(٤) الجداول : الأنهار الصغيرة .

(٥) المراد بالشذب هنا : الخصب . والرى والشذب في الأصل : هو الماء والرقعة والبرد والعذوبة
 في الأسنان . ويقال أفتر الحبوب بمعنى ضحك واقتر عن أسنان كالبرد .

(٦) الخضلات : المرتوية . (٧) الرّفيل : نهر يصب في دجلة ببغداد .

(٨) قصر عيسى : هو قصر عظيم في بغداد وكان مبنيًا على شاطئ نهر الرّفيل عند مصبه في
 دجلة وهو ينسب إلى عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس وهو أول قصر بناه الهاشميون في أيام
 المنصور في بغداد وإلى عيسى هذا ينسب نهر عيسى في بغداد .

(٩) بركة زلزل : بركة في بغداد كان قد بناها رجل يقال له زلزل وكان مشهوراً بضرب
 العود حتى ضرب به النمل ؛ وكان في أيام المهدي والهادي والرشيد .

يا نهر طابق لا عدمتك منبلاً
أم أين كرخايا تمدّ مياهه
أم أين نهر الملك حين تسلسلت
قد كان تزدرع الحبوب بأرضه
أم أين نهر بطاطيا تأتيه من
وله فروع أصلهنّ لشارع الـ
تنمو الزروع بسقيه فعلاله
لحقى على نهر المعلى إذ غدت
نهر هو الفردوس تدخل منه في
كالسيف منصلتنا تضاحك وجهه الـ
إذ نهر بين عند كلواذى به
ويقربه من نهر بوق دارة
يا قصر باب التبر كنت مقرّاً

أين الصّراة تحفّها الروضات^(١)
نهر الدجاج فتكثر الغلات^(٢)
فيه المياه وهنّ مطردات^(٣)
فتسحّ فيه بفيضها البركات^(٤)
نهر الدجيل مياهه الحجارة^(٥)
كبش الجارى منه منتهيات
كل العراق ببعضها يقات
لا تستبين جناؤه النضرات^(٦)
قصر الخلافة شعبة وقناة
أنوار وهى عليه ملتصعات^(٧)
مكد الغصون تهزّها النسبات^(٨)
تنفى الهموم مروجها الخضرات^(٩)
والنفى يصدر منك والإثبات^(١٠)

(١) نهر طابق : في بغداد يصب في نهر عيسى . الصّراة : نهر على فرسخ من بغداد يأخذ من نهر عيسى .

(٢) كرخايا : نهر كان ببغداد يأخذ من نهر عيسى . نهر الدجاج : نهر ببغداد كان يأخذ من كرخايا قرب الكرخ من الجانب الغربى .

(٣) نهر الملك : هو نهر ببغداد بعد نهر عيسى . (٤) تسحّ : تسيل .
(٥) نهر بطاطيا : نهر يحمل من دجيل ؛ ودجيل نهر يخرج من أعلى بغداد ؛ أو هو شعبة من دجلة .

(٦) نهر المعلى : نهر في بغداد ينسب إلى المعلى بن طريف مولى المهدي ؛ وكان من كبار قواد الرشيد وقد جمع له من الأعمال ما لم يجمع لكبير وقدولى المعنى انبصرة وفارس والأهواز اليمامة والبحرين . ويسمى هذا النهر أيضاً نهر الفردوس ؛ وكان يجري تحت الأرض حتى يدخل دار الخلافة العباسية .

(٧) منصلتا : مجردا .

(٨) نهر بين : نهر بالعراق . كلواذى : قرية قرب بغداد . مكد : جمع أمكد وغصن أمكد : ناعم

(٩) نهر بوق : نهر في سواد بغداد .

(١٠) أمه : باب التبن بالنون : وهى محلة كبيرة كانت ببغداد على انخندق .

أيام تطلعك العدالة شمسها وترِف فوقك للهدى رايات
أيام تبصرك الحضارة في العلى بدرا عليك من الثنا هالات^(١)
أيام تذكرك العلوم نشيدها فتعود منك على العلوم صلات^(٢)
أيام تقصدك الأفاضل بالرجا فتقبض منك لهم جدا وهبات^(٣)
أيام يأتيك الشكى بأمره فيروخ عنك وما لديه شكاة
تمضى الشهور عليك وهى أنيسة وتمرّ باسمه بك الساعات
ماذا دهاك من الهوان فأصبحت آثار عزك وهى منطمسات
قد ضيّعت بغداد سابق عزّها وغدت تجيش بصدرها الحسرات^(٤)
كم قد سقاها السيل من أنهارها ضرّا وهنّ منافع وحياة
واليوم قلت بجانبها أرخوا دفق السيول فماجت الأزمات

العادات قاهرات (*)

كلّ ابن آدم مقهورٌ بعادات لمنّ ينقاد فى كل الإرادات
يجرى عليهمّ فيما يبتغيه ولا ينفكّ عنهمّ حتى فى الملمات
قد يستأذ الفقى ما اعتاد من ضرر حتى يرى فى تعاويه المسرات
عادات كل امرئ تأبى عليه بأن تكون حاجاته إلا كثيرات
أنى لفى أسر حاجاتى ومن عجب تعودى ما به تزداد حاجاتى
كل الحياة افتقار لا يفارقها حتى تنال غناها بالمنيات^(٥)
لو لم تكن هذه العادات قاهرة لما أسيغت بحال بنت حانات^(٦)

(١) هالات : جمع هالة ، وهى الدارة التى تحيط بالقمر .

(٢) صلات : عطايا .

(٤) الجدا : العطية .

(*) من الجزء الأول .

(٥) المنيات : جمع منية وهى الموت .

(٦) بنت الحان : هى الخمر .

ولا رأيت سكرات يدخنها قوم بوقت انفراد واجتماعات
إن الدخان لثان في البلاء إذا ما عُدَّت الحمر أولى في البليات

* * *

وربَّ بيضاء قيد الأصبع احترقت . في الكف وهي احتراق في الحشاشات^(١)
إن مرَّ بين شفاه القوم أسودُ ألـقى اصفراراً على يبيض الثنيات^(٢)
وليتها كان هذا الحظ شاربها بل قد تفت بكفيه المرات
عوائد عمت الدنيا مصائبها وإنما أنا في تلك المصيبات
إن كلفتنى السكارى شرب خمرتهم شربت لكن دخاناً من سكراتي
واخترت أهون شر بالدخان وإن أحرقت ثوبى منه بالشرارات
وقلت يا قوم تكفيكم مشاركتى إياكم في التذاذ بالمضرَّات
إني لأمتصُّ جراً نفَّ في ورق إذ تشربون لهيباً ملء كاسات
كلاهما خُحى يفتّر عن ضرر يسّم من دمنا تلك الكريات
حسبى من الخُحى المعتاد أهونهُ إن كان لابد من هذى الحماقات
يا من يدخن مثلى كل آونة لئنى أُنك ولا ترض اعتذارى
إن العوائد كالأغالال تجمعنا على قلوب لنا منهنَّ أشتات
مقيدين بها نمشى على حذر من العيون فتأتى بالمداجاة^(٣)
قد تُنكر الفعل لم تألفه عادتنا وإن علمنا من بعض المباحات
وربَّ شنعاء من عادتنا حسدت في زعمها وهي من أجل الشناعات

• • •

(١) أراد بالبيضاء : اللقافة من التبغ . وقيد الأصبع أى مقداره . الحشاشات : جم حشاشة وهي بقية الروح في المريض والجريح ، أو هي رمق من حياة النفس .
(٢) الشفاه : جم شفة . الثنيات والثنايا : هى أربع أسنان في مقدم الفم اثنتان من فوق واثنتان من أسفل ، ومفرداتها ثنية .
(٣) المداجاة : الخدعة والرياء .

عناكب الجهل كم أَلْقَتْ بأدمغة
فخرّموا وأحادوا حسب عادتهم
حتى تراهم يرون العلم منقصةً
وحجّبوهنّ خوف العار ليتهم
لم تحصى سيئة العادات مقدّرة
فكم لها بدعٌ سودٌ قد اصطدمت
لو لم يكن الدهر سوقاً راج باطلها
ولا استمرّ دخان التبغ منتشراً
لو استطعت جعلت التبغ محتكراً
وزدت أضعاف أضعاف ضريبتّه
فيستريح فقير القوم منه ولا

من الأنام نسيجاً من خرافات^(١)
وشوّها وجه أحكام الديانات
عند النساء وإن كنّ العقيقات
خافوا عليهنّ من عار الجهالات
مهما تفنّنت منها في عباراتي
في الناس منهن آفات بآفات
ماراجت الخمر في سوق التجارات
بين الوري وهو مطلوب كأقوات
فوق احتقار له أضعاف مرات
حتى يبيعوه قيراطا بيدرات^(٢)
يبلى به غير مثر ذى سفاهات

• • •

الحُرّ من خرق العادات منتهجاً
ومن إذا خذل الناس الحقيقة عن
ولم يخف في اتباع الحق لأئمة
وعامل الناس بالأنصاف مدرعاً
أغنى البرية أرفاهم لعادته

نهج الصواب ولو ضدّ الجماعات
جهل أقام لها في الناس رايات
ولو أتته بحمد المشرفيات^(٣)
ثوب الأخوة من نسج المساواة
وأعقل الناس خرقاً لعادات^(٤)

(١) العناكب : جمع عنكبوت ، وهي دودية تنسج من لعايبها خيوط في الهواء وعلى رأس
البئر تصيد بها طامها وتبني لنفسها بيتاً محكماً في الأرض ونمرق بالرنيل وهي نوعها منها وهي مؤنثة
وذكرها يقال له العنكب ويجمع العنكب على عناكب وعناكب وتجمع العنكبوت على عناكب
وعنكبوتات .

(٢) البدرات : جمع بدرة ، وهي عشرة آلاف درهم .

(٣) المشرفيات : السيوف .

(٤) أغنى : اسم تفضيل من الغاوة . أرفاهم : اسم تفضيل من قولهم رفاً الثوب : أى أصلح
خروقه وضمها إلى بعضها . يقول إن أجهل الناس من يدفع من عادته التي اعتادها ولو كانت
فاسدة وأعقلهم من لا يعبأ بالعادات ، بل يعمل على إلزائها وتغيير الناس من شرورها .

بعد الدستور (*)

سقوط كامل باشا

سقتنا المعالي من سلاقتها صرفا	وغنت لنا الدنيا تهنئنا عزفا ^(١)
وزقت لنا الدستور أحرار جيشنا	فأهلاً بما زقت وشكراً لمن زفاً
فأصبح هذا الشعب للسيف شاكراً	وقد كان قبل اليوم لا يشكر السيفاً
ورحنا نشاوى العزيمهتف بعضنا	يبعض هتافاً يصعق الظلم والحيفا ^(٢)
ولاحت لنا حريرة العيش عندما	أماطت لنا الأحرار عن وجهها السجفاً ^(٣)
أتت عاطلاً لا يعرف الحلّى جيدها	ولا كحلت عيناً ولا خضبت كفاً ^(٤)
جاءت بمطبوع من الحسن قد قضى	على الشعر أن لا يستطيع له وصفاً
فلم نرض غير العلم تاجاً لرأسها	ولا غير شنف العدل في أذننها شنف ^(٥)
ولم نكسها إلا من العرف حنة	وهل يكتسى الديباج من يكتسى العرفا ^(٦)
نشرنا لها منّا لفيف اشتياقنا	ونحن أناس نحسن النشر واللفا ^(٧)
حللنا الحبا لماً أتننا كرامة	وقنا على الأقدام صفها لها صفاً ^(٨)

(*) من الجزء الأول .

(١) السلافة : أفضل الخمر ، وهو ما تحب وسال قبل العصر .

(٢) نشاوى : سكارى . يصعق : يهلك . الحيف : الظلم .

(٣) أماطت : أزال . السجف : السر .

(٤) عاطلاً : أى لم يكن عليها حلّى . جيدها : عنقها .

(٥) الشنف : هو ما يحق في الأذن من الحلّى .

(٦) العرف : المعروف . الديباج : الثوب الذى سدها ولحمته حرير .

(٧) اللفيف : المجموع ؛ ويطلق على ما اجتمع من الناس من قبائل شتى ، واللف والنشر معروفان وفيهما تورية باللف والنشر عند علماء البلاغة .

(٨) الحبا : جمع حبة . وهى ما يحتبى به الرجل من عمامة أو ثوب .

عقدنا لها عقد اللواء تعشقا
رفعنا لواء النصر يهفو أمامها
فلم ترَ غير الرفق فينا سجية
ورحنا على صَرف الزمان لها حِلْفًا^(١)
وإن كان بعض القوم أبدى لها عنفا

• • •

تحمّل أعباء الصدارة كامل
طوى كشحه منها على غير لطفها
نحا أن يتم الدست فيها لحزبه
وقد فاتهُ أنا أولو ألمعية
وأنا نرى من قد تأبط شره
لنا فطنة ترمى الزمان بنورها
رمانا بشزر اللحظ مزور طرْفه
فما نحن بعد اليوم مهما تنوّعت
مددنا إلى كفّ الأخاء أكفنا
فطالب لنا منه العناق وضمنا
أذلا وهذا العزّ صرّح سابغا
إذا نحن قننا مُحَنِّقِينَ رأيتنا
ونحن إذا ما الحرب أغنت جِياذنا
فناء به ما لم يخفَ وما خفّا^(٢)
وأظهر من وجه الخِداع بها اللطفَا^(٣)
علينا وظنّ الأمر فيما نحا يخفى^(٤)
بها نخطف الأسرار من قلبه خطفا^(٥)
بعين تقدّ الإبط أو تخلع الكتفا^(٦)
فيبدو حجاب الغيث منه وقد شفا^(٧)
فضحنا به أن غُضَّ يا كامل الطرفَا^(٨)
عناصرنا من أمة تحمل الخسفا
نصالحه شوقا فمدّ لنا الكفّا
إليه فقبّلناه من عينه أنفا
علينا إذن فالعزّ أن ندرك الختفا^(٩)
ندكّ جبال الظلم ننسفها نسفا
قتالاً ركبنا الموت في حربنا حُرْفَا^(١٠)

- (١) يهفو : يتحقق . الحلف : الصديق يحلف لصاحبه أنه لا يفدر به .
(٢) فاء به : أنقله .
(٣) طوى كشحه عنها : أي : أعرض عنها .
(٤) الدست : الحيلة والحديسة . ويطلق على ما يكون فيه الغلب في الشطرنج .
(٥) أولو ألمعية : أصحاب ذكاء وفطنة .
(٦) تأبط شره : جعل الشر تحت أبطه . تقدّ : تشقّ .
(٧) شف الثوب : لم يحجب ما محته .
(٨) النظر الشزر : هو نظر الفضيان يؤخر العين . المزور : المنحرف المعرض .
(٩) سابغا : تاما . الختف : الموت .
(١٠) الطرف : الكريم من الخيل .

تربّع في صدر الوزارة كامل
وأُنحى عليها بالجفاءِ مشتتاً
لقد أغضب الدستور فعلاً ونيةً
قد استوضحوه الأمر والأمر واضح
ولم يطلب الإمهال إلا لأنه
كذلك من صاغ الكلام ملفقاً
ومن قال حقاً قاله عن بديهة
فيأيها « الصدر » الجديد اتعظ به
ويا مجلس النواب سِرْ غير عاثر
ودعْ عنك مذموم التجافى فإنما
ألم ترَ أرجاء البلاد محولةً
بلاد جفاها الأمن فهي مريضة
فإن لأهلها عليك لذمةً
وما أنت إلا أمة قد تقدمت
ولا تنسَ مغبرَّ العراق وأهله

فخطّ من النقصان في وجهها حرفاً
نجاحاً بركنيها الركين ملتفاً
ومن أعلنوا الدستور والشعب والصحفا
فأعياء إيضاح الحقيقة فاستغنى
رأى عذره أن لم يُطْل سبكه زيفاً^(١)
تمهل حيناً يكثر الخطّ والخذفا
ويحتاج للتفكير من مَوّه الخلفا^(٢)
فإياك أن تطغى وأن يثنى العطفا^(٣)
إلى المجد لا تلقى كلاً ولا ضعفا
لغير التجافى اختارك الشعب واستغنى
من العلم فاستمطر لها الدِّيم الوُطفا^(٤)
فحق لها من طبّ رأيك أن تشفى
ومثلك من راعى الذمام ومن وفى
أماماً وقد خلت تقهرها خلفا
فإنّ البلاء الجمّ من حوله احتفاً

(١) الزيف : المردود غير المقبول . في البيت إشارة إلى طلب مجلس الأمة الإيضاحات من كامل باشا عن أعماله ، فطلب الامهال ريثما يتمكن من ذلك ، فلم يمكنه . فاستغنى .
(٢) الخلف : هو أن تعد عدة ولا تنجزها .
(٣) أراد بالصدر الجديد : حسين حلمي باشا . العطف : الجانب . رثى العطف : كناية عن الاعراض والجفاء .

(٤) محولة : مجذوبة لامرعى فيها ولا كلاً . الديم : جمع ديمة ، وهي مطر يدوم في سكون ، بلا رعد ولا برق . الوطف : جمع وطفاء ، وهي السحابة المسترخية لكثرة ماؤها .

فدجلة أمست كالذجيل شحيحة وإن «الفرات» العذب أمسى مرتقا
سل «الحلة» الفيحاء عنه فإنها نياويل قوم في العراق قد انطووا
ولم يذكروا مجداً لهم كان ضارباً وكانوا به شمّ العرائن فاعتدوا
يرجون من أهل القبور رجاءهم
فلا أنبتت زرعاً ولا أشبعت ظلفاً^(١)
به الماء يجفو أو به الماء قد جفا^(٢)
حكّت شهداء الطفّ إذ نزلوا الطفا^(٣)
على الذلّ إذ أمست قلوبهم غلفاً^(٤)
رؤاها على هام الكواكب قد أوفى^(٥)
يقاسون أهوالاً به تجدع الأنفا^(٦)
ومن يحمل الدبوس أو يضرب الدفا^(٧)

أيقاظ الرقود^(*)

إلى كم أنت تهتف بالنشيد وقد أعيك إيقاظ الرقود^(٨)
فلست وإن شددت غراً القصيد بمجد في نشيدك أو مفيد
لأنّ القوم في غي بعيد
إذا أيقظم زادوا رقاداً وإنّ أنهضتهم قعدوا وثاداً

(١) الذجيل : شعبة من نهر دجلة . الظلف : المراد به ما كان له ظلف من الحيوانات كالبقرة والشاة والظبي ، والظلف لكل حيوان يحتر بمنزلة القدم أو الظفر للانسان ، وكالحافر للفرس ، وكالحف للبعير ، وقد يستعار الظلف للفرس وغيره ، كما استعمله الشاعر هنا .
(٢) مرتقا : مكثراً غير صاف .

(٣) الحلة : قرية في طرف دجيل بغداد ، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ . الطف : أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية ، وفيها قتل الحسين بن علي عليه السلام .

(٤) قلب أغلف : أي لا يمي ، كأنه حجب عن الفهم بغلاف ، وقلوب غلف .

(٥) الرواق : سقف في مقدم البيت . أوفى : أشرف .

(٦) العرائن : جمع عرين ، وهو الأنث ، يقال : فلان أشم الأنث : إذا كان ذا أنفة وكبر . تجدع : تقطع .

(٧) يشير بهذا البيت إلى قوم تركوا النصوص المبرعة القاضية بالسعي والاعتماد على النفس ، ولجئوا في طلب الخير والنصر إلى الأموات أو الدجالين الذين يحملون الدبابيس ، ويضربون الدفوف والمزاهر ، ادعاء أنهم من أهل البيت وخيرة رجله ، وما هم إلا أهل لهو وبطالة .

(*) من الجزء الأول .

(٨) الرقود : النائمون .

فَسُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْعِبَادَا كَأَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خُلِقُوا جَمَادًا
وَهَلْ يَخْلُو الْجَمَادُ عَنِ الْجُودِ

أُطْلِتْ وَكَادَ يَعْينِي الْكَلَامُ مَلَامًا دُونَ وَقَعْتِهِ الْخَسَامُ
فَمَا اتَّبَعُوا وَلَا نَفَعَ الْمَلَامُ كَأَنَّ الْقَوْمَ أَطْفَالُ نِيَامٍ
تَهَزُّ مِنَ الْجَهَالَةِ فِي مَهْوَدِ

إِلَيْكَ إِلَيْكَ يَا بَغْدَادُ عَنِّي فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي
وَلَكِنِّي وَإِنْ كَبُرَ التَّجَنِّي يَعِزُّ عَلَيَّ يَا بَغْدَادُ أَنِّي (١)
أُرَاكَ عَلَى شَفَا هَوْلٍ شَدِيدِ (٢)

تَتَابَعَتِ الْخُطُوبُ عَلَيْكَ نَتَرِي وَبَدَّلَ مِنْكَ حُلُوُ الْعَيْشِ مَرًّا (٣)
فَهَلَّا تُنَجِّبِينَ فَنِّي أَغْرَا أُرَاكَ عَقَمْتَ لَا تَلْدِينَ حُرًّا (٤)
وَكُنْتُ لَمْ ————— لَهُ أَزْكَى وَلُودِ

أَقَامَ الْجَهْلُ فِيكَ لَهُ شَهُودَا وَسَامَكَ بِالْمَوَانِ لَهُ السُّجُودَا (٥)
مَتَى تُبْدِينَ مِنْكَ لَهُ جُودَا فَهَلَّا عُدْتَ ذَاكِرَةً عُهودَا
بِهِن رَشَدَتْ أَيَّامُ الرَّشِيدِ

زَمَانَ نَفُوزَ حَكْمِكَ مُسْتَمِرُّ زَمَانَ سَحَابُ فَيْضِكَ مُسْتَدَرُّ (٦)
زَمَانَ الْعِلْمِ أَنْتَ لَهُ مَقَرُّ زَمَانَ بِنَاءِ عَزِّكَ مُشْمَخَرُّ (٧)
وَبَدْرُ عِلَّاكَ فِي سَعْدِ السُّعُودِ

بَرَحْتَ الْأَوْجَ مِيلاً لِلْحَضِيضِ وَضِيقَتْ وَكُنْتَ ذَاتَ عَلِيٍّ عَرِيضِ (٨)
وَقَدْ أَصْبَحْتَ فِي جَسْمٍ مَرِيضِ وَكُنْتَ بِأَوْجِهِ لِلْعَرِّ بَيْضِ
فَصُرْتَ بِأَوْجِهِ لِلذَّلِّ سُودِ

(١) التجنى : الادعاء على شخص بذنب لم يفعله . (٢) الشفا : طرف كل شيء .
(٣) تنجيبين فني : تلدينه نجيباً . الأغر : الكريم الافعال الواضحة . وقوله وكنت لئله أزكى
ولود : يشير به لما كانت عليه بغداد أيام عزها في أوائل أيام بني العباس .
(٤) سامك السجود : أجبرك عليه . (٥) مستدر : كثير هاتل .
(٦) مشمخر : مرتفع عال . (٧) الحضيض : أسفل الجبل .
(٨) عريض : واسع .

ترقى العالمون وقد هبطنا وفى درك الهوان قد انحططنا
وعن سنن الحضارة قد شحطنا قعطنا يا بنى بغداد قطناً^(١)
إلى كم نحن فى عيش القُرود
ألم تنك قبلنا الأجداد تبني بناء للعلوم بكل فن
ماذا نحن . يا أسرى التانى أخذنا بالتقهقر والتدنى^(٢)
وصيرنا عاجزين عن الصعود
كان زحل يشاهد ما مديننا لذاك أحمر من حنق علينا
فقال موجهاً لوماً إلينا لو أنى مثلكم أمست هينا^(٣)
إذن لنضوت جلاب الوجود^(٤)
ركدتم فى الجمالة وهى تعشى وعشتم كالوحوش أخس عيش^(٥)
أما فيكم فتى للعز يمشى تبارك من أدار بنات نعش^(٦)
وصفدكم بأصفاد الركون^(٧)
حكيتم فى توقفكم جدياً فصرتم كالسها شعباً خفياً^(٨)
ألا تجرون فى مجرى الثريا تؤم بدورها فلكاً قصياً^(٩)
فتبرز منه فى وضع جديد

حكومة شعبنا جارت وصارت علينا تستبد بما أشارت

-
- (١) شحطنا : بعدنا . قطننا : حسبنا وكافينا .
(٢) أسرى : جمع أسير .
(٣) هينا : ذليلاً ضعيفاً .
(٤) نضوت : نزعنا .
(٥) ركد الماء : سكن . تعشى : نسيء البصر وإراداتها تعشى القلب .
(٦) بنات نعش قسبان : كبرى وصغرى ، وكل منهما سبعة كواكب ، أربعة نعش ، وثلاثة بنات .
(٧) صفدكم : قيدكم . الأصفاد : القيود .
(٨) الجدى : أحد البروج الاثني عشر . وأصله غير مصغر . السها : نجم خفى تمتحن الأبصار برؤيته .
(٩) قصياً : بعيداً .

فلا أحدا دعته ولا استشارت وكل حكومة ظلمت وجارت
 فبشرها بتمزيق الحدود
 حكومتنا تميل لباخسيها مجانية طريق مؤسسيها^(١)
 فلا يغررك لين ملابسها فهم كالنار تحرق لاسيها
 وتحسن للنواظر من بعيد
 لقد غص « القصيم » بكل نذل وأمسى من تخصمهم بشغل^(٢)
 فريقا خطتي غي وجبل كلا الخصمين ليس له بأهل
 ولكن من لتسكيل المرید^(٣)
 إليهم أرسلت بغداد جندا إليهم لك فيه من عبث ويفدى
 لقصد ابن الرشيد أضاع قصدا فلا يابن الرشيد بلغت رشد
 ولا بلغ السعود ابن السعود^(٤)
 مشوا يتحركون بعزم ساكن ورثة حالهم تبكي الأماكن
 وقد تركوا الحلائل في المساكن جنود أرسلت للموت لكن^(٥)
 بفتك الجوع لا فتك الحديد
 قد التفعوا بأسمال بوال مشاة في الشهور وفي الجبال^(٦)
 يُجدون المسير بلا نعال بحال للنواظر غير حال^(٧)
 وزبي غير مازي الجنود

-
- (١) أراد بالباخسين : الذين يخذعونها ويفشونها لماربهم وملء جيوبهم .
 (٢) القصيم : اسم محل . (٣) المرید . بفتح الميم : هو الخبيث المتمرد الشرير .
 (٤) ابن الرشيد وابن السعود : أمير نجد . وقد أشار بذلك الى استنصار ابن الرشيد الدولة
 على ابن سعود . وتلبية الدولة في أيام السلطان عبد الحميد الخلوع . طلبه بتجهيز حملة من عساكرها
 تحت إدارة ابن الرشيد .
 (٥) الحلائل : جمع حلياة . وهى الزوجة والحلياة أيضا الجارة . ومنه : تقيم معك في دار واحدة .
 (٦) التفعوا : التفحفا . الأسمال : الثياب البالية .
 (٧) غير حال : غير معجب ولا مرض .

مشوا في منبج جهلوه منبجاً يحوبون الفلا فبجاً ففبجاً^(١)
 إلى حيث السلامة لا ترجى فيا لئني على الشبان ترجى^(٢)
 على عبث إلى الموت المبيد^(٣)
 وكل مذكروا للبيت أمّا فودّع أهله زوجها وأمّا^(٤)
 وضمّ وليده بيدٍ وشما بكى الولد الوحيد عليه لَمّا
 غدا يبكى على الولد الوحيد
 تقول له الحليّة وهو ماش رؤيداً لا برحت أخا انتعاش
 فبعدك من يحصل لي معاشي فقال ودمعه يادى الرّشاش
 وكَلْتَكُمْ إلى الرّبّ الودود
 عساكر قد قَضَوْا عُرْيَا وجوعاً بحيث الأرض تبتلع الجموعاً^(٥)
 إلى أن صار أغنامهم ربوعاً لفرط الجوع مرتضياً قنوعاً
 بقدي لو أصاب من الجلود^(٦)
 هناك قَضَوْا وما فتحوا بلاداً هناك بأسرهم نفدوا نقاداً
 هناك بحيرة عديموا الرّشاداً هناك لرؤعهم فقدوا الرّقاداً
 هناك عَرَوْا هناك من البرود
 أناديهم ولى شجن منبج وأذصرهم فينبعث النشيج^(٧)
 ودمعٌ محاجري بدم مزيج ألا يا هالكين لكم أجيح^(٨)
 ذكا بحشاي محتدم الوقود^(٩)

(١) فجاً ففجاً : أى طريقاً فطريقاً . وأصل الفج : الطريق الواسع بين جبّابين .

(٢) ترجى : تدفع . (٣) المبيد : المهلك .

(٤) أم : قصد . (٥) قضا : ماتوا .

(٦) القد ، بكسر القاف : هو القطعة من الجلد غير المدبوغ والنعل الذى لم يجرد من الشعر .

(٧) الشجن : الهم والحزن . النشيج : مصدر نشج الباكى ، بمعنى غص بالبكاء فى حلقه . من

غير انتخاب .

(٨) الأجيح : الاتهاب . (٩) ذكا : اتقد . محتدم : مشتعل .

(٨) الأجيح : الاتهاب

سَكَنَّا مِنْ جِهَالَتِنَا بَقَاعًا يَجُورُ بِهَا الْمُؤَمَّرُ مَا اسْتَطَاعَا
فَكَدْنَا أَنْ نَمُوتَ بِهَا ارْتِيَاعًا وَهَبْنَا أُمَّةً هَلَسَتْ ضِيَاعًا
تَوَلَّى أَمْرَهَا عَبْدُ الْحَمِيدِ

أَيَا حَرِيَّةَ الصُّحُفِ أَرْحَمِينَا فَإِنَّا لَمْ نَزَلْ لَكَ عَاشِقِينَا
مَتَى تَصِلِينَ كَيْمَا تُطَلِّقِينَا عِدِينَا فِي وَصَالِكَ وَامْطُئِنَا
فَإِنَّا مِنْكَ نَقْنَعُ بِالْوُعُودِ

فَأَنْتِ الرُّوحُ تَشْفِينِ الْجُرُوحَا يُخْرِجُ فَقْدُكَ الْبِلَادَ الْفَسِيحَا ^(١)
وَلَيْسَ لِبِلَادَةٍ لَمْ تَحْوِ رُوحَا وَإِنْ حَوَتْ الْقُصُورَ أَوْ الصُّرُوحَا
حَيَاةً تَسْتَفَادُ لِمُسْتَفِيدِ ^(٢)

أَقُولُ وَلَيْسَ بَعْضُ الْقَوْلِ جِدًّا لِسُلْطَانٍ تَجِدُّ وَاسْتَبْدًا
تَعْدَى فِي الْأُمُورِ وَمَا اسْتَعْدَا أَلَا يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْفَدَى
وَمَنْ لَوْلَاهُ لَمْ تَكُنْ فِي الْوُجُودِ

أَنْنَمُ عَنْ أَنْ تَسُوسَ الْمَلِكُ طَرْفَا أَقِمْ مَا تَسْتَهِي زَمْرًا وَعِزْفَا
أَطِلْ نَكْرَ الرِّعِيَةِ خَلًّا عُرْفَا سَمِ الْبُلْدَانِ مَهْمَا شُدَّتْ خَسْفَا
وَأَرْسَلْ مِنْ تَشَاءُ إِلَى الْحُودِ

فَدَتِكَ النَّاسَ مِنْ مَلَائِكِ مُطَاعِ أَبْنِ مَا شُدَّتْ مِنْ طُرُقِ ابْتِدَاعِ
وَلَا تَحْشَ الْإِلَهَ وَلَا تُرَاعِ فَهَلْ هَذِي الْبِلَادُ سِوَى ضِيَاعِ
مَلَكَتْ أَوْ الْعِبَادُ سِوَى عِيَالِ

تَنْعَمُ فِي قُصُورِكَ غَيْرِ دَارِ أَعَاشِ النَّاسُ أَمْ هُمْ فِي بَوَارِ ^(٣)
فَإِنَّكَ لَنْ تُطَالِبَ بِاعْتِدَارِ وَهَبْ أَنَّ الْمَالِكَ فِي دِمَارِ
أَلَيْسَ بِنَاءُ « يَلْدَز » بِالْمَشِيدِ

(١) يخرج : يضيق

(٢) حياة : مرفوع باليس ، لأنه اسمها ، وخبرها الجار والجرور « البلدة » .

(٣) غير دار : غير عالم ، وهو مشتق من الدراية . البوار والدمار : بمعنى الإهلاك .

جميع ملوك هذى الأرض فلكُ وأنت البحر فيك ندَى وهلكُ
فأنى يبلغونَ وذاك إفاكُ لئن وهبوا النقودَ فأنت ملكُ (١)
وهوبٌ للبلادِ وللنقودِ

الصديق المضاع (*)

علامَ حُرْمنا منذُ حينٍ تلاقيا أفى سفرٍ قد كنتَ أمَ كنتَ لاهيا
عهدناك لا تلهو عن الخُلِّ ساعةً فكيف علينا قد أطلتَ التجافيا
ومالى أراكَ اليومَ وحدك جالسا بعيداً عن الخلانِ تأبى التدانيا
أفأبك خطبُ أم عراكَ تعشُقُ فإنى أرى حُزنا بوجهك باديا
وما بالُ عينيكَ اللتين أراهما تديران لحظاً يحمل الحزنَ وانياً (٢)
وأى جوى قد عدتَ أصفر فاقعاً به بعد أن قد كنتَ أحمر قانيا
تكلمُ فما هذا الوجومُ فإنى عهدتكَ غريداً بشعرك شاديا (٣)
تجلدُ تجلديا (سليمُ) ولا تكنُ بما ناب من صرَف الزمانِ مباليا
ولا تبتسُ بالدهر إنَّ خطوبه سحابة صيفٍ لا تدوم ثوانيا

فقال ولم يملك بوادِر أدْمعُ تناثرَ حتى خلتَهن لآليا
لقد عجتنى يا أحمدُ اليومَ بالأسى وذكرتنى ما كنتَ بالأمس ناسيا
أتعجب من حزنى وتعلم أنى قريعُ تباريحٍ تُشيب النواصيا (٤)
لقد عشتُ فى الدنيا أسيفاً وليتنى ترحلتَ عنها لا على ولا ليا (٥)

(١) الافك : الكذب .

(*) من الجزء الأول .

(٢) وانيا : فاترا ضعيفاً .

(٣) الوجوم : السكوت على غيظ ، أو عن عجز عن الكلام .

(٤) القريع : الغالب فى المقارعة . التباريح : كلف المعيشة بعسفة ، وهو من الجوع التى لا واحد لها

(٥) أسيفاً : حزينا .

وقد كنت أشكو الكاشحين من العدى

فأصبحت من جور الأخلاء شاكياً^(١)

وما رحت أستشفى القلوب مداوياً من الحقد إلا عدت عنها كما هياً
وداريت حتى قيل لي متملقاً وما كان من داء التلقى دائماً
وحقى دعائى الحزم أن خل عنهم فإن صريح الرأى ألا تدارياً
وربّ أخ أوقرت قلبى بحبه فكنت على قلبى بحبه جانياً^(٢)
أراد انقيادى للهوان وما درى بأنى حرّ النفس صعب قيادياً
إذا ما سمأى جاد بالذل غيئها أبئت عليها أن تكون سمائياً
ألا فأبك لي يا أحمد اليوم رحمة ودعنى وشأنى والأسى وفؤادياً
فإن أحق الناس بالرحمة امرؤ أضاع وداداً عند من ليس وافياً
وما كان حظى وهوى الشعر ضاحكاً ليظهر إلا فى سوى الشعر باكياً
ركبت محور الشعر رهوا وماجا وأفحمت منها كل هول يراعياً^(٣)
وسيرت سفى فى طلاب فنونه وألقت فى غير المديح المراسياً
وقلت أعصنى يا شعر فى المدح إننى

أرى الناس موتى تستحق المراثيا ولو رضيت نفسى بأمر يشينها
وكم قام ينعى حين أنشدت مادحا لى الندى ناع فأشدت راثياً^(٤)
وكم بشرتني بالوفاء مقالة فلما انتهت للفعل كانت مناعياً^(٥)

(١) الكاشح : العدو الباطن العداوة .

(٢) أوقرت : أفتت .

(٣) الرهو : السير السهل . أفحمت يراعى : قذفته وأدخلته بشدة .

(٤) الناعى : من يعلن بؤفاة الميت . والندى : الكرم . يقول : إذا أنشدت مادحا قام الناعى

ينعى إلى الكرم . أى يخبرنى بموته . فأبدلت مدحى بالثناء .

(٥) المناعى : أخبار الموت . مفردھا منعى ومنعاة .

فلما بكى أمسكتُ فضلَ ردائه وكفكفتُ دمعاً فوقَ خَدَّيه جاريّاً^(١)
 وقلتُ له هوّنْ عليكِ فإنما تنوبُ دواهي الدهرِ مَنْ كانَ داهيّاً^(٢)
 وما ضرَّ إنْ أَصْفَيْتَ وَذَكَّ معشراً من الناسِ لم يَجْنُوا لَكَ الوُدَّ صافياً
 كفى مَفخراً أنْ قد وفيتَ ولم يَفُوا

فكنتَ الفتي الأعلى وكانوا الأدانيّاً

لعلّ الذي أشجأك يُعقِبَ راحة فقد يشكرُ الإنسانُ ما كانَ شاكياً^(٣)
 ألا رَبَّ شرٍّ جَرَّ خيراً وربّما يجرُّ تجافينا إلينا التصافياً
 فلو أن ماء البحر لم يكِ مالِحاً لرُحنا من الطوفانِ نَشْكُو الغواديّاً^(٤)
 ولولا اختلافُ الجذبِ والدفعِ لم تكنْ نجومٌ بأفلاكٍ لهنَّ جوارياً^(٥)
 وكيف نرى للكهرباءِ ظواهرّاً إذا هي في الإثباتِ لم تلقَ نافية^(٦)
 تموتُ القويّ إنْ لم تكنْ في تباينٍ ويحييْنَ ما دام التباينُ باقية^(٧)
 فلا تعجبين من أننا في تناقضٍ ألم ترَ في الكونِ التناقضَ سارياً
 وهبهم جفوكَ اليومِ بخلا بودهم ألم تَعْنِ عنهم أنْ ملكتَ القوافيّاً^(٨)

(١) الفضل : الزيادة . وفصل الرداء : يريد به طرفه . كفكفت : مسحت .

(٢) تنوب : نصيب . الداهي : العاقل ، وصاحب الرأي الجيد . يقول : إن المصائب لا نصيب إلا العقلاء .

(٣) أشجأك : أحزنك .

(٤) الغوادي : السحب الممطرة . وأصل معناه السحب التي تنشأ غدوة . يقول : إن الشر ربما جلب خيراً ، فإن ماء البحر مالح ، ولو كان حلوا لكثرة تبخره ، فكان من ذلك كثرة الأمطار التي تسبب المطوفان ، غير أن الجواهر الملبحة التي فيه تعين تبخره .

(٥) يقول : إن الاختلاف شر ، ولكنه قد يجلب خيراً ، كالاختلاف في الجذب والدفع المتعاقبين بالنجوم ، فانه سبب لربطهما بنظام مخصوص .

(٦) الكهرباء : قسمان : راتنجية وزجاجية ، وتسمى الأولى موجبة ، والثانية سالبة أو نافية . ولا تظهر فواعلها إلا إذا لقيت السالبة الموجبة . فهو يقول : بالاختلاف تظهر الفائدة .

(٧) القوى الطبيعية إن اتحدت فلا فائدة منها ، فسكأنها غير موجودة . في تباينها . أي اختلافها .

(٨) ألم تنن : ألم تستغن .

فَطَرُ في سموات القريض مُرَقَرَا
فَأَنْتَ امْرُوءٌ تُعْطَى الْقَوَافِ حَقَّهَا
وَتَأْتِيكَ طَوْعًا إِنْ دَعَوْتَ الْعَوَاصِيَا^(١)

فَقَالَ وَقَدْ أَلْقَى عَلَى الصِّدْرِ كَفَّهُ
لَقَدْ جِئْتَنِي بِالْقَوْلِ رَطْبًا وَيَابَسًا
فَإِنِّي وَإِنْ أَبْدَى لِي الْقَوْمَ جَفْوَةً
وَمَا أَنَا عَنْ قَوْمِي غَنِيًّا وَإِنْ أَكُنْ
إِذَا نَابَ قَوْمِي حَادِثُ الدَّهْرِ نَابِي
وَمَا يَنْفَعُ الشَّعْرُ الَّذِي أَنَا قَائِلُ
وَلَسْتُ عَلَى شَعْرَى أَرْوَمَ مَثُوبَةٍ
وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَصِيحَةً
وَلَيْسَ سَرَى الْقَوْمِ مَنْ كَانَ شَاعِرًا
فَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ التَّقَدُّمُ فِي الْعَلَى
وَأَبْلَى جَدِيدَ الْغَى مِنْهُمْ بِرُشْدِهِ
وَسَافِرَ عَنْهُمْ رَائِدًا خَضِبَ نَفْعِهِمْ
وَإِنْ أَفْسَدْتَهُمْ خِطَّةٌ قَامَ مُصْلِحًا

فَشَدَّ بِهَا قَلْبًا مِنْ اتَّوَجَدَ هَافِيَا^(٢)
فَدَاوَيْتَ سُمًّا وَهَيَّجْتَ ثَانِيَا
أَمْنِي لَهُمْ مِمَّا أَحَبَّ الْأَمَانِيَا^(٣)
أَضَلُّ فِي الْعِزِّ الْجِبَالِ الرُّوَسِيَا
وَإِنْ كُنْتَ عَنْهُمْ نَازِحَ الدَّارِ نَائِيَا^(٤)
إِذَا لَمْ أَكُنْ لِلْقَوْمِ فِي النِّفْعِ سَاعِيَا
وَلَكِنْ نَصَحَ الْقَوْمَ جُلًّا مَرَامِيَا
تُنَشِّطُ كَسْلَانًا وَتُهَيِّضُ ثَاوِيَا
وَلَكِنْ سَرَى الْقَوْمِ مَنْ كَانَ هَادِيَا
وَمَنْ أَى طُرُقٍ يَنْتَفِعُونَ الْمَعَالِيَا
وَجَدَّ رَشْدًا عِنْدَهُمْ كَانَ بَالِيَا
يَشُقُّ الطَّوَامِي أَوْ يَجُوبُ الْمَوَامِيَا^(٥)
وَإِنْ لَدَغْتَهُمْ فِتْنَةٌ قَامَ رَاقِيَا^(٦)

- (١) المفاوية الشروود : المائرة في البلاد . (٢) الوجد : الغضب . هافيا : مضطربا .
(٣) أمني : مضارع مناه ، بمعنى جعل له أمانة ، والأمنية هي الصورة الحاصلة في النفس من غنى الشيء ، وجمعها الأماني .
(٤) نازح الدار بعيدها .
(٥) رائدا : خالبا . الطوامي : أراد بها البحار . وأصلها : من طام الماء والبحر ، أي امتلا .
يجوب : يقطع . الموامي : جمع مومة ، وهي الفلاة التي لا ماء فيها ولا أنيس .
(٦) لدغتهم : لسعهم . والراقي : هو الذي يقرأ وينث ، دفعا لأذية اللدغ .

بعد البين (*)

لقد طوّحتني في البلاد مُضَاعَا
فبارحتُ أرضاً ما ملأت حقائقني
عَتَبْتُ على بغدادَ عتبَ مُودِّعٍ
أضاعني الأيام فيها ولو دَرَّتْ
لقد أرضعتني كلَّ خَسْفٍ وإِنِّي
وما أنا بالجاني عليها وإنما
وأعلتُ أَقلامي بها عَرِيَّة
ولو كنت أدري أنها أَعْجَمِيَّة
ولو شئتُ كآليتُ الذين انطَوَوْا بها
ولكن هي النفس التي قد آتت لها
أبيت عليهم أن أكون بذلة
على أنني داريتُ ماشاءَ حقدَهم
وأشقى الوري نفساً وأضيعهم نهي
تركت من الشعر المديح لأهله
وأنشدته يجلو الحقيقة بالنهي

طَوَّأَحُ جاءت بالخطوب تِبَاعَا^(١)
سِوَى حبها عند البراح مَتَاعَا^(٢)
أَمْضَتْه فيها الحادثات قِرَاعَا^(٣)
لَعَزَّ عليها أن أكون مُضَاعَا
لأشكرها أن لَمْ تُنَمَّ رَضَاعَا
نهضتُ خِصَامًا دونها ودِرْقَاعَا
فلم تبسُد إضغَاءَ لها وسَمَاعَا
تَحَدَّتْ بها السيف الجُرَّازَ يَرَاعَا^(٤)
على الحقد صَاعَا بِالْعِدَاءِ فِصَاعَا
طَبَاعَ المعالي أن تسوءَ طِبَاعَا
وتأبى الضواري أن تكون ضِبَاعَا
فلم يُجِدْ نَفْعًا مَا أَتَيْتُ وَضَاعَا
ليبُّ بداري في نِهَاه رِعَاعَا^(٥)
ونزّهت شعري أن يكون قِذَاعَا^(٦)
ويكشف عن وجه الصواب قِنَاعَا^(٧)

(*) من الجزء الأول .

(١) طوّحتني الطوائح : قدفتني القوافي .

(٢) الحقائق : جمع حقيقة ، وهي خريطة يحملها المسافر لئلا يضل ، وهي تصلح أن تعاقب على ما تسميه العامة اليوم : « شريطة » .

(٣) أمضته : أوجعته . القراع : مصدر قارع فلان فلان : إذا تضاربا بالسيف .

(٤) الحذف : الذل والهوان . (٥) الجراز : انقطاع .

(٦) انتهى : العقل . الرعاع : سقط الناس وسقطتهم وغوغاؤهم ، مفردها رعاعة .

(٧) قذاعا : سفاهة ومشاغبة .

وأرسلته عنواً فجاء كما ترى قوافي تجتاب البلاد سِراعاً^(١).

* * *

وقفتُ غداةَ البين في الكرخِ وقفةً لها كَرَبَتْ نَفْسِي تَطِيرُ شِعَاعاً^(٢)
أودّع أصحابي وهم مُخَدِّقُونَ بِي وَقَدْ ضَيَّعَتْ بِالْبَيْنِ الْمِثْتَ ذِرَاعاً^(٣)
أودعهم في الكرخِ والطَّرْفُ مُرْسِلٌ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْهُ شِعَاعاً^(٤)
وأدعمُ رَأْسِي بِالْأَصَابِعِ مُطَرَقاً كَأَنَّ بَرَأْسِي يَا أَمِّمُ صُدَاعاً^(٥)
وكنْتُ أَظُنُّ الْبَيْنَ سَهْلاً فَمَذُّ أُنَى شَرَى الْبَيْنُ مِنِّي مَا أَرَادَ وَبَاعاً
وَإِنِّي جَبَانَ فِي فِرَاقِ أَحَبِّي وَإِنْ كُنْتُ فِي غَيْرِ الْفِرَاقِ شَجَاعاً
كَأَنِّي وَقَدْ جَدَّ الْفِرَاقُ سَفِينَةً أَشَالَتْ عَلَى الرِّيحِ الْهَجُومَ سِرَاعاً^(٦)
فَالَتْ بِهَا الْأَرْوَاحُ وَالْبَحْرُ مَائِجٌ وَقَدْ أَوْشَكَتْ أَلْوَاهِيَا تَتَدَاعَى^(٧)
فَتَحْسِبُنِي مِنْ هِزَّةٍ فِيَّ أَفْدَعَا تَرَقَّى هِضَابًا زُلْزَلَتْ وَتِلَاعاً^(٨)
فَمَا أَنَا إِلَّا قَوْمَةٌ وَالْإِحْنَاءُ وَسِرٌّ أَذَاعَتْهُ الدَّمُوعُ فِذَاعاً^(٩)
رَعَى اللَّهُ قَوْمًا بِالرُّصَافَةِ كُلَّمَا تَذَكَّرْتُهُمْ زَادَ الْفُؤَادُ نِزَاعاً^(١٠)
أَيَّتْ وَمَا أَقْوَى الْمَهْمُومُ بِمُضْجَعِ تَصَارَعَنِي فِيهِ الْمَهْمُومُ صِرَاعاً
وَأَلْهَوْا بِذِكْرِهِمْ عَلَى السَّيْرِ كُلَّمَا هَبَطْتُ وَهَادَا أَوْ عَلَوْتُ يَفَاعاً^(١١)

(١) تجتاب : تقطع .

(٢) كربت : كادت . تطير شعاعاً : تتبدد وتتفرق من الحزن أو الخوف ونحوها .

(٣) البين الميث : البعد المفرق . ضاق بالأمر ذرعاً وذراعاً : أي ضعفت طاقته ، ولم يجد من

مكروهه مخلصاً . (٤) شعاعاً : مفعول مرسل .

(٥) أدعم : أسند . أميم : أصلها أميمة ، وهي تصغير أم ، وحذفت تاءؤها لأنها منادى مرخم .

(٦) أشالت : رفعت . (٧) الأرواح : جمع ريح . تتداعي : تتساقط .

(٨) الأفدع : للعوج المفاصل كأنها قد زالت عن مواضعها ؛ وهذا أقرب معانيه إلى مقصد

الشاعر . المضطرب : أعلى الجبال . التلاح : جمع تلعة ، وهي القلعة المرتفعة من الأرض .

(٩) القومة والآنحاء : المرة من القيام والآنحاء . أذاعته ؟ أفشته .

(١٠) الرصافة : محلة في بغداد ، ينسب إليها صاحب الديوان .

(١١) الوهاد : الأماكن المنخفضة : اليعاق : المرتفع من الأرض .

هُمُ الْقَوْمُ أَمَّا الصَّبْرُ عَنْهُمْ فَقَدْ عَصَى
 لَقَدْ حَكَمُونِي فِي الْأُمُورِ فَلَمْ أَكُنْ
 فَلَسْتُ أَبَالِي بَعْدَ أَنْ جَدَّ بَيْنَهُمْ
 سَلَامٌ عَلَى وَادِي السَّلَامِ وَإِنِّي
 لَهُ اللَّهُ مِنْ وَادٍ تَكَاسَلُ أَهْلُهُ
 رَأَاهُمْ عَيْدًا فَاسْتَبَدَّ بِمَأْنَاهُ
 جَرَى شَاكِرًا صُنْعَ الطَّبِيعَةِ إِنَّهَا
 وَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَ الْمَيَاةَ بِدَجَلَةٍ
 وَلَوْ أَنَّهَا تَسْقِي الْعِرَاقَ لِمَارَمَتْ
 وَمَا وَجَدَتْ رِيحًا وَإِنْ قَدِ تَنَاوَحَتْ
 سَأَجْرِي عَلَيْهَا الدَّمْعَ غَيْرَ مُضِيعٍ
 وَأَذْكَرَ هَاتِيكَ الرَّبَاعَ بِحُسْنِهَا
 وَأَمَّا اشْتِيَاقِي نَحْوَهُمْ فَأَطَاعَا
 لِأَنْطَقَ إِلَّا أَمْرًا وَمُطَاعَا
 زَجَرْتُ كَلَابًا أُمَّ قَحَمَتِ سِبَاعَا^(١)
 لِأَجْعَلَ تَسْلِيمِي عَلَيْهِ وَدَاعَا
 فَبَاتُوا عِطَاشًا حَوْلَهُ وَجِيَاعَا
 وَلَمْ يَجْرَ بَيْنَ الْمُجْدِبَاتِ مُشَاعَا^(٢)
 أَبَانْتُ يَدًا فِي جَانِبِيهِ صَنَاعَا^(٣)
 وَإِنْ هِيَ تَجْرِي فِي الْعِرَاقِ صَيَاعَا
 بِهِ الشَّمْسُ إِلَّا فِي الْجَنَانِ شُعَاعَا
 مَهَبًا بِهِ إِلَّا قُرَى وَضِيَاعَا^(٤)
 وَأَنْدُبُ قَاعَا مِنْ هُنَاكَ فَقَاعَا
 فَتَعَمْتُ عَلَى شَحْطِ الْمَزَارِ رِبَاعَا^(٥)

يقولون !

يَتَوَلَّوْنَ فِي الْإِسْلَامِ ظُلْمًا بَأَنَّهُ
 فَإِنْ كَانَ ذَا حَقٍّ فَكَبِّفَتْ تَقَدَّمْتُ
 وَإِنْ كَانَ ذَنْبَ الْمُسْلِمِ الْيَوْمَ جَهْلُهُ
 هَلِ الْعِلْمُ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا فَرِيضَةٌ
 يَصِدُّ ذَوِيهِ عَنْ طَرِيقِ التَّقَدُّمِ
 أَوَائِلُهُ فِي عَهْدِهَا الْمُتَقَدِّمِ
 فَمَاذَا عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ جَهْلٍ مُسْلِمٍ
 وَهَلِ أُمَّةٌ سَادَتْ بِغَيْرِ التَّعَلُّمِ^(٦)

- (١) بينهم : بعدهم . فحَمَّ المفازة : دخلها وطواها غير مبال بها .
 (٢) المجدبات : الأراضي المقحطة . مشاعا . مشتركا فيه غير مقسوم .
 (٣) يد صناع : ماهرة في الصنعة ، ورجل صناع اليدين حاذق في الصنعة .
 (٤) تناوحت الرياح : هبت مرة صبا ومرة شمالا ومرة جنوبا . مهبا : منصوب على التمييز
 لنسبة التناوح . قرى : مفعول ورجت .
 (٥) الرباع : جمع ربع ، وهي الدار . شحط : بعد .
 (٦) يقول : إن ذنب المسلم اليوم هو الجهل ، فالذنب ذنبه لا ذنب الاسلام ، لأن تعلم =

لقد أيقظ الإسلام للمجد والعلی
وحلّت له الأيام عند قيامه
فأشرق نور العلم من حجراته
ودكّ حصون الجاهلية بالمهدی
وأنشط بالعلم العزائم وابتنى
وأطلق أذهان الورى من قيودها
وفكّ إسار القوم حتى تحفّزوا
فخلّوا طريقاً للبداوة مجبّلاً
فدوّت بمستنّ العلی نهضاتهم
وعما قليل طبّق الأرض حكمهم
وقد حاکت الأفكار عند اصطدامها
ولاحت تباشير الحقائق فانجلمت

بصائر أقوام عن المجد نَوْم
حُبَاهَا وأبدت منظر المتبسم^(١)
على وجه عصرٍ بالجمالة مظلم^(٢)
وقوض أطناب الضلال الخيم
لأهليته مجداً ليس بالمتهدم
فطارت بأفكارٍ على المجد حوم^(٣)
نهوضاً إلى العلياء من كل مجتم^(٤)
وساروا بنهج للحضارة معلّم^(٥)
كزعزع ریح أو كتيار عيلم^(٦)
بأسرع من رفع اليدين إلى القم^(٧)
تلاّلو برق العارض المتهمز
بها عن بنى الدنيا شكوك التوهم^(٨)

== العلم : الاسلام فرض والأمر لانسود . إلا بتعلم العلم . وحاصل المعنى تأكيد تبرئة الاسلام بما عليه المسلمون اليوم من الجهل .

(١) قول حباها : جمع حبة ، وهى ما يحتج به الرجل من عمامة أو ثوب ؛ وكانت العرب إذا قدمت فى مجالسها تحتج بثيابها ، وذلك بأن يجمع الواحد منهم بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ليستند ، إذا لم يكن للعرب فى البوادي جدران تستند إليها فى مجالسها . وحل الحبا : كناية عن القيام ، يقال حل الرجل حبوته إذا قام ، كما يقال عقد حبوته إذا قعد ؛ فعنى البيت هنا : أن الاسلام لما قام حاث له الأيام حباها ، أى قامت له تعظيماً .

(٢) قوله من حجراته يقتضين : أى من نواحيه ، جمع حجرة ، وهى الناحية .

(٣) قوله حوم : أى دياراته . وهو جمع حائم : من حام الطائرة على الماء ، إذا دار به .

(٤) قوله تحفّزوا : أى استوفزوا وتهيئوا للقيام . والمجتم : محن الجشوم أى التصوق بالأرض عند القعود .

(٥) طريق مجمل بفتح الميم : لا يمتدى فيه . ونهج معلّم : فيه علامة يستدل بها .

(٦) دوت : سمع لها دوى ، أى صوت . ومستنّ العلى : طريقها الواضح . وقوله كزعزع

ريح : أى كريح شديد المهبوب تزعزع الأشياء . والتيار : الموج . والعيلم : البحر .

(٧) طبق الأرض : أى غشاها وعمها بتطبيق أسرع من رفع اليد إلى القم : أى فى مدة يسيرة .

(٨) التباشير : أوائل الصبح التى تبشر به ، وقد استمارها هنا للحقائق ، فى الكلام استعارة بالسكنية ، حيث شبه الحقائق بالصبح ، وحذف المشبه به ، وذكر المشبه ، وأثبت له ما يلائم المشبه به . على طريق الاستعارة التخيلية .

وما ترك الإسلام للمرء ميزةً
فليس لثري نقصه حقٌّ مُعْدِمٌ
ولا فخرٌ للإنسان إلا بسعيه
وليس التقى في الدين مقصورةً على
والكنها ترك القبيح وفعل ما
فتقوى الفتى مسعاه في طلب العلى
فهل مثل هذا الأمر يا أولى النهى
وإن لم يكن هذا إلى الجحد سُلماً
ألا قل لمن جاروا علينا بحكمهم
فلا تنكروا شمس الحقيقة إنَّها
علوُّنا وكنتم سافلين فلم نكن
ولم نترك الحسنى أو أن جد السكم
فلما استدار الدهر بالأمر نحوكم
فلا تأمنوا الأيام إنَّ صروفها
على مثله ممن لآدم يتنمى
ولا عربى بخسه فضل أعجم^(١)
ولا فضل إلا بالتقى والتكرم
صلاة مُصل أو على صوم صيم^(٢)
يؤدى من الحسنى إلى نيل مغنم
وما خُصَّت التقوى بترك الحرم
يكون عشاراً في طريق التقدُّم^(٣)
فأى ارتقاء بعد أم أى سُلَّم
رؤيداً فقد قارفتُم كل مأتم
لأظهر من هذا الحديث المرجم
لنبدى إليكم جفوة التبهكم
وتلك لعمرى شيمة التحلم
كشفتُم لنا عن منظر متجهم
كأهى إذ أودت بعادٍ وجُرهم

(١) لثري : خبر ليس مقدم . ونقصه اسمها مؤخر . وهو مصدر مضاف إلى الضمير . من إضافة المصدر إلى فاعله . وحق معدم : مفعوله . وكذا القول في قوله : ولا عربى بخسه فضل أعجم .
(٢) التقى : جمع تقاء بمعنى التقوى . أراد بهذا البيت والبيتين اللذين بعده أن يبين أن التقوى لا تنحصر بمثل الصلاة والصوم من الأفعال التبعيدية . كما أنها لا تنحصر بترك المحرمات في الدين . فيكون منهاها سائياً . بل هى تعم فعل كل حسن . وترك كل قبيح .
(٣) اللام في قوله يا أولى النهى : مفتوحة ، وهى لام الاستغناء ، داخله على المستغاث به ، والمستغاث لأجله محذوف ، أى لهذا الأمر .

في سبيل الوطن

إلى إخواننا — المسيحيين

أما آن أن تُنسى من القوم أضغانُ فيُبني على أسس المُواخاة بُنيانُ
أما آن أن يُرمى التخاذل جانباً فتَكسِبَ عزاً بالتناصر أوطانُ
عَلَامَ التعاды لاختلاف ديانةٍ وإنَّ التعاды في الديانة عُدوانُ
وما ضرَّ لو كان التعاون ديننا فتعمَّرَ بُلدانٌ وتأمُنَ قُطَّانُ
إذا جمعنا وحدةً وطنيةً فإذا علينا أن تعدد أديانُ
إذا القومُ عنهم أمورٌ ثلاثة لسانِ وأوطانِ وبالله إيمانُ
فأئِ اعتقاد مانع من أخوة بها قال إنجيلٌ كما قال قرآنُ
ككتابان لم ينزلها الله ربُّنا على رسده إلاَّ لیسعد إنسانُ
فمن قام باسم الدين يدعو مفرقاً فدعواهُ في أصل الديانة بهتانُ
أنشَى بأمر الدين وهو سعادة إذن قاتَّباع الدين يا قومُ خُسرانُ
ولكنَّ جهلَ الجاهلين طحا بهم إلى كل قول لم يؤيده بُرْهانُ^(١)
فهاموا بتيهات الأباطيل كالذي تحبَّطهُ من شدة المسَّ شيطانُ^(٢)

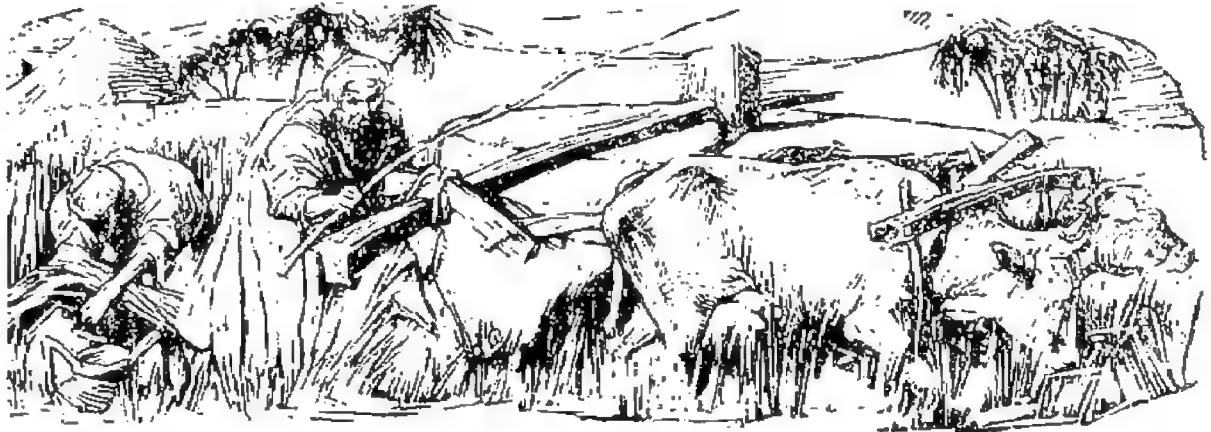
مواطنكم يا قومُ أمَّ كريمة تدَّر لكم منها مدى العمر ألبانُ^(٣)
ففى حضنها مهدٌ لكم ومباءةٌ وفى قلبها عطفٌ عليكم وتحنانُ^(٤)

(١) طحا بهم : ذهب بهم ودفعهم .

(٢) أرض تيهاء : أى مضلة يضل فيها الطريق ، والإضافة في قوله بتيهات الأباطيل ، بيانية أى بتيهات من الأباطيل ، أى هى الأباطيل .

(٣) تدَّر لكم : يقال در اللبن إذا غزر وكثر . ومدى العمر بفتح الميم : منتهاه وغايته ، وهو ظرف معاق بتدَّر .

(٤) المهد : هو الموضع يهبط للعبي ويوطأ . والمباءة : المنزل .



فما بالكم لا تحسنون وواجبٌ
أصبراً وقد أمسى العدوُّ يمينها
أجل إنكم تأبى الحياة نفوسكم
ألستم من القوم الذين علاؤهم
تمنكم إلى المجد المؤثّل تغلب
فلا تنكرا عهد الإخاء وقد أتت
أجب أيها الندبُ المسيحيّ مسلماً
فلا تحرماً الأوطان أن تتحالفا
ألا فانهضوا نحو العدا وكلا كما
وقولا لمن قد لام صه ويك إننا

على الابن للآم الكريمة إحسان^(١)
أما فيكم شهم على الآم غيران
إذا لم يكن فيها على المجد عنوان
تقاعس عنه الدهر وانحط كيوان^(٢)
كما قد نمتكم للمكارم غسان^(٣)
تصاغحكم فيه نزار وعدنان
صفا لك منه اليوم سرّ وإعلان
يداً بيدٍ حتى تؤكّد أيمان^(٤)
لصاحبه في المأزق الضنك معوان^(٥)
على كل حال في المواطن إخوان

فمن مبلغ الأعداء أن بلادنا مأسد لم يطرق ذراهن سرحان^(٦)

- (١) قوله وواجب : الواو حالية ، وواجب مبتدأ ، وسوغ الابتداء به وقوعه بعد واو الحال ،
أو عمله في الحار والمجرور بعده . وإحسان : خبره .
- (٢) تقاعس عنه الدهر : تأخر . وكيوان : اسم زحل بالفارسية ، معرب .
- (٢) تغلب وغسان : قبيلتان من نصارى العرب .
- (٤) قوله يدا بيد : حال ، أى متقابلين ، بوضع يدا في يدا .
- (٥) المأزق ، كجلب : موضع الحرب . والطنك : الضيق .
- (٦) مأسد : جمع مأسدة ، وهى المكان الذى تكثرفيه الأسود . والذرا : بفتح الذال : فناء
الدار ونواحيها . والسرحان ، بالكسر : الذئب .

وإِنَّمَا إِذَا مَا الشَّرُّ أَبْدَى نِيَوَةً رَدَدْنَاهُ عَنَّا بِالْظُّلَى وَهُوَ خَزْيَانٌ^(١)
سَنَسْتَصْرِخُ الْأَسَادَ مِنْ كُلِّ مَرَبِضٍ

فَتَمْشِي إِلَى الْهَيْجَاءِ شَيْبٌ وَشُبَّانٌ^(٢)
أَسْوَدٌ وَغَى تَأْبَى الْحَيَاةَ ذَمِيمَةً وَتَلْبَسُ بِالْعَزِّ الرَّدَى وَهُوَ أَكْفَانٌ
مَقَاهِمِ تَصَلَّى الْمَعْمَعَانَ مُشِيحَةً

إِذَا احْتَدَمْتُ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ نِيرَانٌ^(٣)
وَتَكْسُو الْعَرَاءَ الرَّحْبَ مَسْحَ عَجَاجَةٍ

يُمِجُّ بِهَا السِّيفُ الرَّدَى وَهُوَ عُرْيَانٌ^(٤)
سَنَنْهَضُ لِلْمَجْدِ الْحَلْدِ نَهْضَةً يَقَرُّ بِهَا حَوْرَانُ عَيْنَا وَلُبْنَانٌ
وَتَعْتَزُّ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ دِمَشْقُهَا وَتَهْتَزُّ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ بَغْدَانٌ
وَتَطْرَبُ فِي الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ صَخْرَةً وَتَرْتَاحُ فِي الْبَيْتِ الْحَرَمِ أَرْكَانٌ
وَتَحْسُنُ لِلْعَرَبِ الْكَرَامَ عَوَاقِبُ فَيَحْمَدُهَا مُقَتٌ وَيَشْكُرُ مُطْرَانٌ
وَلَوْ أَنْصَفْتَنَا سَاسَةَ الْغَرْبِ لَاغْتَدَّتْ

دِمَشْقُهَا مِنْ سَاسَةِ الْغَرْبِ أَعْوَانٌ
وَرَقَّتْ قُلُوبٌ لِلْعِرَاقِ وَأَهْلُهُ وَأَصْغَتْ إِلَى شَكْوَى فِلَسْطِينَ آذَانٌ
وَلَكِنَّهُمْ رَأَتْ عَلَيْهِمْ مَطَامِعُ فَأَمْسَوْا وَهُمْ صُمٌّ عَنِ الْحَقِّ عُثْمَانٌ^(٥)
لَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْغَرْبَ ذُو مَدَنِيَّةٍ فَقُلْتُ وَهَلْ مَعْنَى التَّمْدُنِّ عَدْوَانٌ

(١) أبدى نيوة : أى اشتد وتفاقم . والنيوت : جمع ناب .
(٢) سنستصرخ الأساد : سنستصرها ونستنهضها مستغيثين بها . والمربض : محل ربوض الأسد .
(٣) مقاهيم : جمع مقام ، وهو الذى يخوض فجأة الشدائد ، أى معظماها ، والمراد بالمعمان : معمان الحرب ، وهو شدة حرها ، وتصلى المعمان : تدخل فيه ، وتقاسى حره . ومشيحة : جادة مائمة لا وراء ظهرها . واحتدمت : اضطربت ، واشتد حرها . وحومة الحرب : موضع القتال .
(٤) العراء : الغضاء . والمسح بالكسر : الكساء من شعر ، وإضافته إلى عجاجة بيانية ، أى مسحا من عجاجة .
(٥) رأت عليهم : غلبت عليهم .

وأى فخار كائن في تمدنٍ إذا لم يقيم في الغرب للعدل ميزان
إذا كانت الأخلاق غير شريفة فماذا عسى تجدى علوم وعرفان

• • •

بنفسى أفدى في العراق منابتاً ينفوح بها شيخٌ ويعبق حوذان^(١)
رياض رعتها النائبات بأذؤب من الجور فارتاعت ظباء وغزلان^(٢)
لقد كان فيها الرند والبان زاهياً فأصبح لا رندٌ هناك ولا بان
وأصبح مرصوداً بها كل منهل عليه من الترنيق بالظلم ثعبان^(٣)
وظل ابنها عن كل حوض محلاً يحوم على سأساله وهو عطشان^(٤)
سأبكي عليها كلما هبت الصبا فالت بها من حول دجلة أغصان
ومن ذرفت آماقه الدمع لؤلؤاً ذرفت عليها أدمعى وهى مرجان^(٥)

بين تونس و بغداد

أنشدت في حفلة التأهيل والترحيب بالزعيم التونسي :
الأستاذ الكبير عبد العزيز الشعالى ، عند قدومه
بغداد سنة ١٩٦٥ .

أتونس إن في بغداد قوماً ترِف قلوبهم لك بالوداد^(٦)
ويجمعهم وإياك انتسابٌ إلى من خص منطقتهم بضاد
ودين أوضحت للناس قبلاً نواضع آيه سبل الرشاد
فنحن على الحقيقة أهل قرْبى وإن قضت السياسة بالبعداد

- (١) الشيخ : نبات طيب الرائحة ، وكذا الحوذان .
(٢) قوله « رعتها النائبات » من الرعاية : أى وليت أمرها وساستها بأذؤب .
(٣) مرصودا : مرقوبا ، والترنيق : التكدير .
(٤) محلاً : أى مطرودا بمنوعا عن ورود الماء .
(٥) « ذرفت آماقه الدمع » : أسالته . ومعنى البت : من بكى عليها دمعاً بكبت عليها دماء .
(٦) ترِف قلوبهم رفيقا : تحفق وتضرب حبا .

وما ضَرَّ البِعادَ إذا تَدانَتْ أوَاصِرُ من لسان واعتقاد
وإن المسلمين على التَّأخِّي وإن أغرى الأجانب بالتعاذی

• • •

أَتَوَسَّسُ إِنَّ مَجْدَكَ ذُو انْتِباء إلى عَلِيٍّ — نِزارٍ أو إِياد^(١)
لنا بِشَعَابِيكَ خَيْرٌ مُلْقٍ على أَشْتَاتِنَا حَبْلَ اتِّحاد
وَأَكْبَرُ حَامِلٍ يَبْدُ اعْتِزَامٍ حُبِّ بِلادِهِ عِلْمَ اتِّفادٍ
وَأَسْمَى مِنْ سِما أَدْبَا وَعِلْمًا وَأَفْصَحُ مِنْ تَكَلُّمٍ عَنْ سِداد
دَعِ الْقَوْلَ الْمُرِيبَ وَقَائِلِيهِ وَسل عَنْهُ الْمُنَايِرَ وَالنُّوادي^(٢)
تَجِدُهُ خَطِيبًا فِي كُلِّ خَطَبٍ وَمِدْرَهَها لَدَى كُلِّ احْتِشادٍ^(٣)
فَتَى صَرُحَتْ عِزُّهُ وَجَلَّتْ عَنْ الرِّوْعانِ فِي طَلَبِ الْمِرادِ
تَغَرَّبَ ضاربًا فِي الْأَرْضِ يَبْغِي مَدَى مِنْ دُونِهِ خَرَطَ الْقِتادِ^(٤)
فَأَوْغَلَ فِي الْمَغَاوِزِ وَالْمَوامِي وَطَوَّفَ فِي الْحَوَاضِرِ وَالْبُوادي^(٥)
وَكانَ طَوافُهُ شَرْقا وَغَرْبا لَغَيْرِ تَكْسِبٍ وَسِوَى ارْتِقادِ^(٦)
وَلَكِنْ سَاحٍ لاسْتِنْهاضِ قَوْمٍ حَكَّوا بِمُجْمُودِهِمْ صِفَةَ الْجِدادِ^(٧)
يَغَارُ عَلَى الْعُرُوبَةِ أَنْ يَراها مَهْدَدَةَ الْمِصْالِحِ بِالْفِسادِ

(١) يريد أن أهل تونس ترجع أنسابهم إلى العرب . نزار : ابن معد بن عدنان . وإياد : ابن نزار .

(٢) النوادي : جمع النادي ، وهو المكان يجتمع فيه القوم ويتحدثون .

(٣) الدرر : الحماي المدافع عن القوم .

(٤) خراط القتاد : قطع ورقة باليد ، بأن تقبض على أعلاه ، ثم تمر يدك على أسفله . والقتاد : نبت نرعاه الإبل ، فقسمن عليه . ويصعب خراط ورقة لكثرة شوكة وقوته .

(٥) أوغل في الشيء ، أبعد فيه وأمعن . والمغاور : جمع مغارة ، وهي الصخراء المهلكة والنواحي : جمع موهبة . وهي الصخراء أيضا .

(٦) الارتقاد : طلب الرشد ، وهو العطاء . يريد أنه لا يبقى من تطوافه كسب مال .

(٧) استنهاض القوم : بعثهم من مرقدهم . وتحريكهم نحو طلب المجد .

فَوَيْ سَارَ كَانَ لَهُ هَدِيرٌ يَهْرُ دَوِيَّهُ أَقْصَى الْبِلَادِ^(١)
وَكَمْ قَدْ قَامَ فِي نَادٍ خَطِيبًا بِمُحْكَمَةِ الْمَقَاصِدِ وَالْمَبَادِي^(٢)
تُنِيرُ بِكِبَرِ بَائِي الْمَعَانِي أُمُورًا كَنْ كَالظَّلَمِ الدَّاءِي^(٣)
تَحُلُّ مِنَ الْقُلُوبِ إِذَا وَعَتْهَا مَحَلَّ الْحُبِّ مِنْ شَغَفِ الْفَوَادِ^(٤)
إِلَى أَنْ جَاءَ حَاضِرَةٌ نَمَاهَا أَبُو الْأَمْنَاءِ ذُو الشَّرَفِ التَّلَادِ^(٥)
فَكَانَ نَزُولُهُ فِي سَاكِنِيهَا نَزُولَ الْمَاءِ فِي الْمُهْجِ الصَّوَادِي
فِيَا عَبْدَ الْعَزِيزِ أَقِمْ عَزِيزًا بِحَيْثُ الْأَرْضُ طَيِّبَةُ الْمَرَادِ
يَحْيِيكَ الْعِرَاقُ بِرَافِدِيهِ تَحِيَّةَ مُخْلِصٍ لَكَ فِي الْوِدَادِ

في حفلة شوقي

أُمَارِسْ دَهْرًا مِنْ جَدِيدِي دَاهِرًا وَمَا زَالَ لَيْلِي بِالْعِرَاقِينَ سَاهِرًا^(٦)
أَبَى الْحَقُّ إِلَّا أَنْ أَقُومَ لِأَجَلِهِ عَلَى الدَّهْرِ فِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ ثَائِرًا^(٧)
وَأَنْ أُمَادِي فِي جِدَالِ خُصُومِهِ وَأُقَرَّعَ مِنْهُمْ بِالْبَيَانِ الْمُكَابِرَا
وَإِنِّي لِأَهْوَى الْحَقَّ كَالطَّيِّبِ سَاطِعًا وَكَالرَّيْحِ هَبَّابًا وَكَالشَّمْسِ ظَاهِرَا
سَتَبْقَى لِنَفْسِي فِي هَوَاهِ سَرِيرَةٌ إِذَا الدَّهْرُ أَبْلَى مِنْ بَنِيهِ السَّرَائِرَا

- (١) هدير : أي صوت شديد كصوت الفحل الهايج ، والدوى : بوزن غنى : الصوت الشديد كقصف المدافع ، وانفجار القذائف ونحو ذلك .
(٢) محكمة المقاصد : أي بخطبة مسددة الأغراض والمرامى .
(٣) الداءى : جمع دأداً بالفتح ، أو دؤدؤ ، بالضم ، وهي آخر ليلة في الشهر . وأصله الداءىء بالهمز ، ثم خفف .
(٤) شغف الفؤاد وشغافه : هي الجلدة الرقيقة التي تحيط بالقلب .
(٥) التلاد والتلبد والتلد : الشيء الموروث من مال وشرف ونحوهما . وهو ضد الطريف والطارف ، وهو المكتسب المستحدث من ذلك .
(٦) يريد أن أنه أرقه أمر مهم ، وهو رغبته في الدفاع عن الحق ، وحبه لجدل خصومه ومنكريه ، الذين يزخرفون الباطل وينصرونه .
(٧) الضمير في لأجله : يعود على الحق .

وتكره نفسى أن أكون مخادعاً لأدرك نفعاً أو لأدفع ضائراً
ومن أجل مقتى للمخائيل أنكرت يدى أن تُحلى فى الجنان أساوراً
وما العجز إلا أن أكون مكاتماً إذا ما تقاضتنى العلى أن أجاهراً^(١)
وما أنا ممن يُبهم القول لاحقاً فيضمّر فيه للجليل الضمائر
ولولا طموحى فى الحياة إلى العلى
سكنتُ البوادر واجتنبت الخواضر

* * *

يقولون لى فى مصرَ للعلم نهضةً تفتق أذهاننا وتجلو بصائرنا
وإن بها للعلم قدراً وحرمةً وإن بها للحقّ عوناً وناصراً
وإن لأهل العلم فيها نوادياً وإن لأهل الفضل فيها دساكراً^(٢)
ألم تر أن القوم فى كل محفلٍ بها رفعوا للقائلين المناير
وقد ضربوا وعداً لتكريم شاعر تملك صيتنا فى الأقاليم طائراً
هو الشاعر الفحل الذى راح شعره
بإنشاده فى السبر والتبحر سائراً
قلو قلتَ بعضَ الشعر فى يوم حفلهم
تشدُّ به مناً لمصرَ الأواصر

قلتُ أجَلٌ والشعر ليس بمعجزى
ولن تعدّموا منى على الشعر قادراً
ألا إن شوقى شاعر جدّ شاعرٍ يفوق الأوالى بل يبرز الأواخر^(٣)
تملك حرّاً الشعر فهو رقيقه وقام عليه بالذى شاء أمر^(٤)

(١) تقاضتنى : طالبتنى . يقال : تقاضيه الدين : طالته بأدائه .
(٢) الدساكر : جمع دسكرة ، ومن معانيها بناء كالقصر حوله بيوت ومنازل للخدم ؛ والمراد أن للعناء وأهل الفضل مندليات وبجائم مجتمعون فيها .
(٣) الأوالى : جمع أول ، وأصله أوائل ثم قلب . وهم ضد الأواخر ، جمع آخر ، بكسر الخاء .
(٤) يريد أن شوقى تملك رقاب المعاني ، وحر الشعر : خالصة من العيوب ، وفى الرقيق تورية .

إذا رام جزلاً منه أنشد زاخرا وإن رام سهلاً منه أنشد ساحرا^(١)
فلا عجبٌ من أهل مصر وغيرهم إذا عقدوا منهم عليه الخناصر
بنى لهم مجدا رفيعا بشعره لذا جعلوا حسن الثناء وكاثرا^(٢)

* * *

ولكننى قد أنظرُ الحفلةَ التي تقام له ذا اليوم في مصرَ ساخرا
إذا احتفلت مصرُ بشوقٍ فما لها تقيم على الأحرار في العلم حاجرا
فقد أسمعنا ضجةً أمطرت بها علياً وطه حاصباً متطائرا^(٣)
فما بال هذا عدّ في مصر مارقا وما بال هذا عدّ في مصر كافرا
إذا لم تك الأفكار في مصر حرة فليس لمصر أن تكرّم شاعرا
أيرفع قدرُ العلم ينطق ناظما ويوضع قدرُ العلم ينطق ناثرا
ويختصّ بالتبجيل من جاء مُنشدا ويقذف بالتجهيل من جاء فاكرا
ألا أن هذا الشعر ليس بطائلٍ إذا كان عما يبلغ العلم قاصرا
كما أن هذا العلم ليس بنافعٍ إذا لم تكن فيه النفوس حرائرا
وتكرّم ربّ الشعر ليس بمفخرٍ لمن كان عن حرّية الفكر جائرا
وإلا فعصر الجاهلية قبلنا له السبق في تكريم من كان شاعرا

(١) الجزل : القوى الفخم من الألفاظ ، ضد السهل .

(٢) الوكائر : جمع وكبرة « وأصله الطعام يعمل عند الفراغ من بنيان الوكر ، أو عند شرائه فيدعوا إليه ، استعاره الشاعر هنا حفلة التكريم .

(٣) على : هو حضرة الحسيب النسيب والوزير الكبير الأستاذ علي عبد الرزاق صاحب كتاب الاسلام وأصول الحسب ، وقد حدثت عند تأليفه إياه ضجة مشهورة .

وطه : هو أستاذ الجيل « وموجه الثقافة الأكبر » الدكتور طه حسين أستاذ الأدب العربي بجامعة فؤاد الأولى « ومن تأليفه التي أحدثت دويا شديدا في العالم العربي كتاب « في الشعر الجاهلي » . وله كتب أخرى كثيرة في الأدب والنقد « ذات أثر بالغ في توجيه أدياء هذا الجيل .

الامة العربية

ماضيها و باقيها

هَمُّ الرِّجَالِ مَقِيسُهُ بِزَمَانِهَا وَسَعَادَةُ الْأَوْطَانِ فِي عُمُرَانِهَا ^(١)
وَأَسَاسُ عِمْرَانِ الْبِلَادِ تَعَاوُنٌ مُتَوَاصِلُ الْأَسْبَابِ مِنْ سُكَّانِهَا
وَتَعَاوُنُ الْأَقْوَامِ لَيْسَ بِحَاصِلٍ إِلَّا بِنَشْرِ الْعِلْمِ فِي أَوْطَانِهَا
وَالْعِلْمُ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِلَّا إِذَا أَجْرَتْ بِهَا الْأَعْمَالُ خَيْلَ رِهَانِهَا
إِنَّ التَّجَارِبَ لِلشُّيُوخِ وَإِنَّمَا أَمَلُ الْبِلَادِ يَكُونُ فِي شُبَّانِهَا ^(٢)
هَذِي لَدَى الْعَرَبِ الْكِرَامِ مَبَادِيُ نَزَلَتْ بِهَا الْآيَاتُ فِي قُرْآنِهَا ^(٣)
وَالْعُرْبُ أَكْبَرُ أُمَّةٍ مَشْهُورَةٍ بَفُتُوحِهَا وَعُلُومِهَا وَبَيَانِهَا
كَمْ قَدْ أَقَامَتْ لِلْعُلُومِ مَدَارِسًا يَعْمَا ذَوُوا الْإِحْصَاءِ عَنْ حِسْبَانِهَا
وَبَنَتْ بِأَقْطَارِ الْبِلَادِ مَصَانِعًا تَحْجِرُ الْأَفْكَارَ فِي بُنْيَانِهَا
فَالْجِدُّ مَأْثُورٌ بِكُلِّ صِرَاحَةٍ عَنْ قَيْسِهَا أَبَدًا وَعَنْ قَحْطَانِهَا
طَبِيعَتُ عَلَى حُبِّ الْعِلَاءِ فَسَعِيهَا لِلْمَكْرُمَاتِ يُعَدُّ مِنْ دَيْدَانِهَا ^(٤)
تَهَضَّتْ بِمَاضِي الدَّهْرِ تَهَضُّتْهَا خَضَعَتْ لَهَا الْأَفْلاكُ فِي دَوْرَانِهَا
حَسَدَتْ عَوَاقِبُ أَمْرِهَا حَتَّى لَقَدْ بَهَرَتْ بِنِي الدُّنْيَا جَلَالَتهُ شَانِهَا
فَهُمُ الْأَلَى فَتَحُوا الْبِلَادَ وَشَرُّوا رَايَاتٍ مُعَدَّلَةً عَلَى قُطَّانِهَا
وَهُمُ الْأَلَى خَضَعَتْ لَهُمْ أُمُّ الْوَرَى مِنْ تَرْكِهَا طُرًّا إِلَى أَسْبَابِهَا

(١) معنى هذا البيت والآيات الثلاثة التي بعده : أن سعادة الأوطان بعمرانها ، وأن عمرانها بتعاون سكانها ، وتعاون سكانها لا يكون إلا بنشر العلم فيها ، وأن العلم لا ينفعها إلا إذا اقترن بالعمل .
(٢) أى أن الرأى للشيوخ الذين حكمتهم التجارب ، والشبان لهم العمل الذى به يتم أمل البلاد فى المستقبل .

(٣) قوله هذى : إشارة إلى القضايا المتقدمة فى الآيات السابقة .

(٤) الديدان بالفتح : النداب والعادة كالديدن .

والروم قد نزلت لهم عن ملكها والفرس عما شيد من إيوانها
يا أمة عاش البرية أعصراً في عدلها رغداً وفي إحسانها
ثم انقضت تلك العصور فجاءها زمن به انقادت إلى عبدانها
فنضت ملابس عزها وتناقلت في النل راسفةً بقيد هوانها (١)

في إيلياء

إلى فاضليها النشاشيبي والسكاكيني

أرى الأيام ظامئةً وليست بغير دم الأنام تريد ريتاً
ولو لم تنو حرباً ما تبدى بها شكل الأهلة خنجرياً (٢)
ودلّ على قلبها انقلاب لجرم الأرض حين غدا كروياً (٣)
وأصلدت الحقيقة في الليالي فلما بقتدخ زندا وورياً (٤)
نقضت يدي من أبناء دهر أهانوا الشهم واحترموا الزرياً (٥)
وقلّ حيأوهم حتى رأينا ظنين القوم يتهم البرياً (٦)
وساد الجاهلون فلست أدري أعزى العلم أم أبكى الدرياً
لهم عين تراعى الشرّ يقظى وقلب ظل في عمه كروياً
تقلدت السيوف رعاة معز وكانت قبل تحمل الهرياً (٧)
فجرد منهم الرعديد عضباً وهز أخو الجبانة سمهرياً (٨)

(١) نضت : خلعت ونزعت . وراسفة : أي ماشية مشى المقيد .

(٢) خنجرياً : مشبها للخنجر .

(٣) جرم الأرض : جسمها . والكروى والكروى : السندير المشبه للكرة .

(٤) أصلد : لم يور .

(٥) الزرى : ذو العيوب المحقر .

(٦) الظنين : المتهم الذي لا يوثق به .

(٧) الهرياء : العصي ، وهو جمع هرواء على غير قياس ، وهي العصا الغليظة .

(٨) جرد السيف : سله من غمده . والرعديد : الجبان المستطار النفوذ . والعضب : السيف

القاطم . والسمهري : الرمح الصلب الشديد .

وكم تَرَبَّ تَجَسَّسَ لِلْأَعْدَى فَأَصْبَحَ مِنْ تَجَسُّسِهِ قَرِيْبًا
وساعِ كانَ يَسْرَحُ بِنُتْوَانِي فَطَمَعِي مِنْ سِجَانَتِهِ شَرِيْبًا
وإنَّ لِسَلَةِ الدِّنْيَا لَقَلْبًا قَسِيْبًا فِي السَّيَاسَةِ مَرْمَرِيْبًا
قد اتَّخَذُوا الْحِمَامَ لَهُمْ لِسَانًا . فَخَالُوا الْبَطْلَانَ وَاخْتَلَقُوا الْقَرِيْبًا
وكيف تُسَلِّسُ مَمْلَكَةً بَدَل إِذَا مَا الْحُكْمُ أَصْبَحَ عَسْكَرِيْبًا

• • •

ألا مَا بَالُ دَمِي لَيْسَ بِرَقًا كَانَ بِمَقْلَقٍ عِرْقًا صَرِيْبًا
إِذَا ذُكِرَ الرَّاقُ بَكَيتُ شَجْوًا بِدَمْعٍ طَمَّ سَائِلُهُ الْقَرِيْبًا
وَلَا سِرْتُ فِي جِلِّ وَهَلٍ وَكَابَدْتُ السَّامُ وَالْعَرِيْبًا
نَزَلْتُ بِإِيلِيَا عَلَى كَرَامٍ وَخِيَمَ الْبَيْتِ عَادَ بِهِمْ مَرِيْبًا
فَكَلْتُ بِقُرْبِهِمْ أَنَسَى بِلَادِي وَأَسْلُو الْطِفْ نَمَّةً وَالْقَرِيْبًا
وَلَمْ أَرَ كَالنَّشَابِيَةِ نَذْبًا إِلَى الْبِلَاءِ مَبْتَدِرًا جَرِيْبًا
فَتَى سَعَتِ الْمَفَاخِرُ وَهِيَ عَطَشَى إِلَى آدَابِهِ فَأَصْبَحَ رِيْبًا
نَجَّدَ فِي الْعَلَاءِ فَكَانَ بِدْعًا فَشَاشَ بِمَعْرِهِ رَجُلًا طَرِيْبًا
وَأَحْرَزَ فِي الْوَدَى شَرْقًا رَفِيْعًا وَضَبْنَا فِي الْمُلَى إِسْكَندَرِيَا
وَلَمْ أَرَ سِيدًا صَكَبِي سَرِيْبًا وَلَا مِثْلَ ابْنِهِ وَلَدًا مَرِيْبًا
هَمَّ مُتَشَابِهَانِ فَبَقِرَى مِنْ الْآبَاءِ أَنْجَبَ حَبَرِيَا
أَبٌ فِي الْمَجْدِ أَرْوَعُ أَحْوَزِي نَمَى لِلْمَجْدِ أَرْوَعُ أَحْوَزِيَا^(١)
إِلَى الشَّهْمِ السَّكَابِيَةِ أَهْدَى ثَمَاءٌ لَا يَزَالُ بِهِ حَرِيْبًا
فَتَى غَرَسَ الْمَكَارِمَ ثُمَّ مِنْهَا جَنَى ثَمَرَ الْعُلَى غَضًا طَرِيْبًا
يَعْلَفُ مَعَالِشَهُ إِلَّا شَرِيْفًا وَيَأْبَى الْمَجْدَ إِلَّا جَوْهَرِيْبًا

(١) الأحوزي : الجاد في أمره ، والمحسن الباقية للأدور . قالت عائشة في عمر : كان واطة
أحوزها لسبع وحده . وروى بالقلأ أمنا ، وهو قريب من الأحوزي ، وهو السائق الخفيف .

تجاه الرياحاني

شكواى الخاصة

لهذا اليوم فى التاريخ ذكرٌ به الآناف يَفْغَمُهِنَّ طيبٌ
ويحسن فى المسامع منه صوت له تهتز بالطرب القلوب
ففى ذا اليوم نحن قد احتفينا بريحاناينا وهو الأديب
فتى كثرت مناقبه فأضحى له فى كل مكرمة نصيب
نجالس منه ذا خلق كريم له بجليسه أثرٌ عجيب
وأقسم لو يجالسه سفيهٌ فَوَاقَا لاغتدى وهو الأريب^(١)
كذاك يكون زهرُ الروض لما تمرَّ عليه ناسمة تطيب
ولم يُنسب إلى الريحان إلا وريحان الرياض له نسيب
له قلمٌ به تحيا المعانى كما يحيا من المطر الجديب
وتشرق فى مماء الشعر منه كواكب ليس يُذكرها مغيب
لقد طارت بشهرته شمائل كما طارت بشهرته جنوب
وطبق صيته الآفاق حتى تعرفه القبائل والشعوب
فديتك هل تُصيخ فإن عندى شكاة لا تُصيخ لها الخطوب
إلى كم أستغيث ولا مغيث وأدعو من أراه فلا يجيب
أقمتُ ببلدة ملئتُ حقودا على فكل ما فيها مُريب
أمرٌ فتتظار الأبصار شزرا إلى كأنما قد مرَّ ذيب
وكم من أوجه تُبدى ابتساما وفى طي ابتسامتها قُطوب
سكنت الخان فى بلدى كأنى أخو سفر تقاذفه الدروب
وعشت معيشه الغرباء فيه لأنى اليوم فى وطنى غريب

(١) فوانا : أى قدر فوان ، وهو مدة ما بين الحلبتين .

وما هذا وإن آذى بدائي ولا هو أمره أمر عصيب
ولكنني أرى أبناء قومي يدبر أمرهم من لا يصيب
يُقدّم فيهم الشرير دَفْعاً لشرته ويُحتَقِر الأديب
فهذا الداء منتشِب بقلبي وفي قلب العلي منه وجيب
فكيف شفاؤه ومتى رَجَى وأين دواؤه ومن الطيب
وإن ألك قد شكوت فمَشَكَاتِي إلى ذي خَلَّةٍ شيء معيب
سأنصِب للهواجر حرّ وجهٍ يعود إلى الشروق به الغروب
وأضرب في البلاد بغير مُكْثٍ أجوب من المهامه ما أجوب
إلى أن أستظل بظل قوم حياة الحر عندهم تطيب
وإلا فالحيادة أمرٌ شئ وخير من مرارتها شعوب

بني الأرض (*)

بني الأرض هل من سامع فيّته حديث بصير بالحقيقة عالم^(١)
جئنا على حب الحياة وإيها مخيفة أحلام أطافت بحالم^(٢)
سعى الناس والأقدار محبوبة لهم وناموا وما ليل الخطوب بناهم^(٣)
جرت سفن الأيام مشحونة بنا على بحر عيش بالردى متلاطم^(٤)

• • •

تأملت في الأحياء طرّاً فلم أجِد بهم باسمًا إلّا على ألف واجم^(٥)
وربّ سعيدٍ واحدٍ تمّ سعده بألف شقيٍّ في المعيشة راغم^(٦)

(*) من الجزء الأول .

(١) الأحلام ، جمع حلم بضم الحاء ، وهو ما يراه الناس .

(٢) الخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر صغر أو عظم .

(٣) الردى : الهلاك .

(٤) الراجم : الساكن غيظاً وغماً .

(٥) الراجم : كاره .

وما المرء إلا دَوَّحَةٌ في تنوِّفَةٍ مَلَوَّحَةٌ أَغْصَانُهَا بِالسَّامِ (١)
لَهَا وَرَقٌ قَدْ جَفَّ إِلَّا أَقْلَهُ وَعِيدَانِهَا بَيْنَ النَّيُوبِ الْعَوَاجِمِ (٢)
وَلَا يَدَّ أَنْ تُجْتَثَّ يَوْمًا جُذُورُهَا وَتَقَعَّيَا إِحْدَى الرِّيحِ الْمَوَاجِمِ (٣)

أَرَى الْعُمْرَ مَهْمَا ازْدَادَ يَزْدَادُ نَقْصُهُ إِذَنْ نَحْنُ فِي نَقْصٍ مِنَ الْعُمَرِ دَائِمٍ
وَلَوْلَا انْهِدَائِي فِي بِنَاءِ جِسْمِي لَمَا احْتِيجُ فِي تَعْمِيرِهَا لِلْمَطَامِ
لَحَى اللَّهُ بِأَسَاءِ الْحَيَاةِ كَأَنَّا نَكْبَلُ مِنْ حَاجَاتِهَا بِالْأَدَامِ (٤)
نُروحُ كَمَا نَعْدُو نَجَاهِدُ دُونَهَا أُمُورًا دَعَتْنَا لِارْتِكَابِ الْجَرَائِمِ
فَلَوْ كُنْتُ فِي هَذَا الْوُجُودِ مَخْخِيْرًا وَفِي عَدَمِي لِاخْتَرْتِهِ غَيْرَ نَادِمٍ (٥)
هَلْ الْمَوْتُ إِلَّا سَالِكٌ وَحَيَاتُنَا إِلَيْهِ سَبِيلٌ مُسْتَبِينِ الْمَعَالِمِ (٦)
وَمَا زَالَ هَذَا الدَّهْرُ غَضَبَانٍ آخِذًا عَلَى النَّاسِ مِنْ سَيْفِ الْمُنُونِ بَقَائِمٍ (٧)
تَبَصَّرَ تَجِدُ هَذِي الْبَسِيطَةَ مَنْزِلًا كَثِيرَ الْيَتَامَى عَامِرًا بِالْمَاتِمِ (٨)
وَالَيْسَ الَّذِي آتَى لَهُ فَقَدْ هَالَكَ وَلَكِنْ ضِيَاعُ الْمَفْجَعَاتِ الْكَرَائِمِ (٩)
أَرَامِلُ تَسْتَذِرِي الدَّمْعَ وَحَوْلَهَا يَتَامَى كَأَفْرَاحِ الْقَطَا وَالْحَمَائِمِ (١٠)

- (١) الدوحة : الشجرة العظيمة . التنوِّفَة : المفازة والغلاة لأماء فيها ولا أنيس .
(٢) النيوب : جمع ناب ، وهي السن التي خلف الرابعة . العواجم : الأسنان ، لأنها تعجم لما كُول .
(٣) تجتث : تهتك . جذورها : أصولها . المواجهم : جمع هاجمة .
(٤) يقال لحى الشجرة : بمعنى قشرها ؛ ويستعمل اللحي بمعنى الشتم والسب مجازاً كما هنا .
نكبل : نقيد . الأدائم : القيود .
(٥) اخترته : أي اخترت العلم .
(٦) مستبين المعالم : واضح الطرق .
(٧) المنون : الموت . وقائم السيف : مفيضه .
(٨) الماتم جمع ماتم : وهو كل يجتمع من رجال أو نساء في حزن أو فرح ؛ ثم قصر على يجمع النساء في المصائب .
(٩) آسى : أحزن . المفجعات : اسم مفعول من أفضته المصيبة : بمعنى أوجعته . والكرائم : جمع كريمة : يقول : ليس ما أحزن عليه هو هالكاً قد فقدته ؛ ولكنني أحزن على نساء كرائم قد أوجعتهن المصائب .
(١٠) تستذري : تستنزل . القطا جمع قطاة ؛ وهي طائر في حجب الحمامة . الحمايم : جمع حمامة .

وكانن ترى مخدمه في جلالها

سعت حيث أبكاها الردى سعى خادم^(١)

فليت المنايا حين قوضن بيتها بدأن بها من قبل هدم الدعائم^(٢)

• • •

أرى الخير في الأحياء ومض سحابة

بدا خلَّبًا والشرّ ضرباً لازم^(٣)

إذا ما رأينا واحداً قام بانيا هناك رأينا خلفه ألف هادم

وما جاء فيهم عادل يستميلهم إلى الحق إلا صدّه ألف ظالم

جهلت كجهل الناس حكمة خالقٍ على الخلق طراً بالتعاسة حاكم

وغاية جهدى أنتى قد علمته حكما تعالى عن ركوب المظالم

• • •

دأبت لنفسي في الحياة كأننى من العيش ملقى في شدوق الضراغم^(٤)

يخاصمنى منها على غير طائلٍ أناس فابدى الصفح غير مخاصم^(٥)

وأقع بالقوت الزهيد لطيبه حذار وقوعى في خبيث المطاعم

وأترك ما قد تشتهى النفس نيلَه لما تشتهيه قلة في دراهمى

وكم لى في بغداد من ذى عداوة وما أنا في شيء عليه مجارم^(٦)

إذا جئت بالقلب السليم يجيئني بقلب له من كثرة الحقد وارم

(١) كانن : بمعنى كم لكثير . (٢) قوضن : هدمن .

(٣) الومض : البرق الخفيف . البرق الخاب : هو الحُداغ الذى لامطر فيه .

(٤) شدوق جمع شدق : وهو قطعة اللحم من باطن الحدين . الضراغم : الأسود .

(٥) على غير طائل : على غير جدوى ولافائدة .

(٦) جارم : مذنب .

الحمد للعلم

(إلى المعلم نخلة زريق)

وليل به قد بيت أختلس الكرى
تمطى على الآكام منه بغييب
وكاد دجاء يمكن الكنف لمسه
لقد بئسه وإلهم مغلج به
يقبني فيه الجوى وتهزنى
أرى الزهر فيه يضطربن كخابط
كان نجوم الليل غصبي على الدجى
إلى أن بدا لي الصبح يحكى عموده
فنى كنت قبل اليوم خبرت فضله
له خلق بادٍ إباء ونخوة
ترى منه إن لا ينته ذا دماثة
لقد علمت هذى المدارس فضله
تقضت له فيها ثلاثون حجة
وجهز بالآداب أبناء قطره
بذلك أحيى للأعريب لهجة
إذا استبهمت طرقت الفصاحة مازها

بما فى كتاب الله منها تقررا
لنا اليوم جيش من تلاميذ علمه
هم الجيش سدوا ثغر كل جهالة
بما فى كتاب الله منها تقررا
به الجهل ولّى مدبراً وتقهقرا
إذ اتخذوا فى كل ثغر معسكرا

له الفضل في تعاليمهم أفصح اللغاً
وغير القوافي والكلام الحبراً
فكل فتى منهم أديب تقيمه
ليأتى درساً أو ليقرع منبراً
لك ابن زريق منة سرمدية
سيد كرها في دهره من تذكراً
إذا ما سمعنا ناطقاً بفصاحة
من الناس أثينا عليك تشكراً
كفى بالنسكا كفى في القدس شاهداً

بما لك من فضل عظيم على انورى
فقد كان قبل اليوم تلميذك الذى
غدا اليوم أستاذاً كبيراً مفكراً

عرس مصر

قالها لما أقيم في مصر عرس السكرية الحديو عند اقترانها بابن الدمام
فريد باشا : وكان ذلك في أثناء حرب البلقان المعلومه .

أطربتهم بلحنها الأنغام
حين أدمت قلوبنا الآلام
فأقاموا مجالس الأنس حتى
رقص العار بينهم والذام
أضحكوا أوجه السفاهة ضحكاً
قد بكت في خلاله الأحلام
إن في مصر السكرية عرساً
سوف تُعفى بشرحه الأقدام
أوقدوا فيه ناسرو سراجاً
عم من نوره البلاد ظلام
ذاك عرس تكسر اللؤم فيه
عن نيوب كائن سبام
وتعنت فلقوم فيه قيات
أنكر العهد صوبها والذمام
فلبعين الحليم فيه بكاء
ولغز السفية فيه ابتسام

* * *

أيها المؤمنون في مصر مهلاً
إن إيلاكم انما إيلاكم
أتقنكم القيان بيوم
قام في ماتم به الإسلام
ليست هذه البلاد حداداً
وتحت بوشيا الأهرام
وجرت أعين الفرات دموعاً
وجرى النيل ثغره بسام

أشمتنا بالمسلمين وقد دا رت عليهم بنحسها الأيام
إذ رمتهم يد الزمان بخطب جال ما لنقضه إبرام
فهوت مصارع الحكم منهم جثت تملأ الفضاء وهام
وتخلوا عن البلاد وأبقوا حرّمات تدومها الأقدام

يا بني مصر صغية لسؤال فيه عتب لكم وفيه ملام
أثناط الفتوح في خنصر الكف ازديانا إن قطت الإبهام
أدماء القتلى لديكم خضاب أم أنين الجرحى لكم أنغام
أم تريدون أن تكونوا كقوم أسكرتهم بين القبور مدام
أم أصختم إلى الأغاريد كي لا تسمعوا كيف تنحب الأيتام
لست أدري وقد سمعت بهذا يقطّة ما سمعته أم منام

من مضحكات الدهر

سأبدى الدهرى ناجذ المتضحك ولو كان يجري بالذى هو مهلك
فما أنا راج بعد ذا اليوم خيرهُ ولا خائف من شره المتحرك
إذا الدهر لم يعتب من الناس جازعا فأضع ما فيه شكاية مُشتك^(١)
على أن ضحكى منه لا عن سفاهة ولكن كضحك العف من متهتك
ولو سبر الناس الحوادث بالنهى لما حصلوا منها على غير مضحك
وما حادثات الدهر إلا خوابط كعشواء تمشي مشية المترهوك^(٢)
وتنهض للإقبال في غير منهض وتبرك أحيانا على غير مبرك

(١) لم يعتب : مضى . أعيبه : إذا أعطاه العتبى وأرضاه ؛ أى أزال عتبه ؛ فلهزمة فيه للسلب فى أشكاه : أى أزال شكايته .

(٢) العشواء : النافه التى لا تنصر أمامها . فبى تحبظ بديها كل شيء ؛ إذا مشيت لا تتوق شيئا . والمترهوك : المضطرب ؛ الذى تراه كأنه يهوى فى مشيته .

وما حكم هذا الدهر إلا تحكم
 كأننا من الدنيا بيت تقامر
 فمن قامر قد فاز باليسر قدحه
 وما الحرف الآتى يُجيد احترافها
 وإن طيب القوم ناصب كفة
 ومن مضحكات الدهر حامل سُبحة
 وآخر تركيٌّ تعربَ وادعى
 وتحديث غرٍّ مطرباً عدل دولة
 وما الناس إلا خادع أدرك المني
 فلا تُبد من زير النساء تعجبا
 فما دارت الأفلاك إلا وقطبها
 وإن أبصرت عيناك يوماً حقيقة
 كحكم فصوص النرد في نقل مُهرِك^(١)
 حوى من سهام القمر كلَّ مذمَّك^(٢)
 وآخر مقمور بقدح التصلك
 سوى شبك منصوبة للتملك
 ليصطاد فيها بالدواء المصطك^(٣)
 تُقبل جهلاً كفه للترك
 على عربِّي هجنةً للترك^(٤)
 برايتها رسم الصليب المشبك
 وآخر مخدوع لها غير مدرك
 ولا تعترز بالزاهد المتنسك^(٥)
 بحكم الهوى حب الكعاب المفلك^(٦)
 تخالف ما قد قلته فتشكك

(١) قوله : لا تحكم : أى مجاوزة للحق في الحكم . والنرد : شئ يلعب به ؛ وأراد بفصوص النرد الكعاب التى يلعب بها . والمهرِك : واحد المهارك ؛ وهى قطع مستديرة من خشب أو غيره يلعب بها فى النرد . وهو معروف « مهرة » بالفارسية . والمعنى أن حكم الدهر غير منطبق على المفعول ، وإنما هو تحكم كالحكم الناتج من رمى الكعاب فى النرد ، فان اللاعب لا ينقل المهارك كما يريد ، بل ينقلها حسبما تأتى به الفصوص عند رميها .

(٢) سهام القمر : قداحه التى يقارع بها فى القمار . والمذمك : من السهام الخلق ، أى المسوى الممس . لا جعل أحكام الدهر فى البيت المتقدم كأحكام كعاب النرد ، ناسب أن يجعل الدنيا فى هذا البيت بيت مقامرة ، والناس فيها بين قامر ومقمور ، وأوضح ذلك بالأبيات التالية .

(٣) الكفة : حباله الصائده التى يصيد بها الطباء ، وهى بضم الكاف ونكسر . والدواء لمصطك : الخنوط بالمصطكى .

(٤) حارل معنى البيت أن من المضحكات تركيا تعرب . فصار يعبر بالهجنة عربيا قد ترك . يصور بهذا البيت شدة اختلاط الناس فى هذا العصر ، واندماج بعضهم فى بعض . فسكتيرا ما ترى من يتعصب للعرب وهو تركي الأصل ، ومن يتعصب للترك وهو عربى الأصل .

(٥) زير النساء : الذى يحب محادثة النساء . ويكثر مغازلتهم .

(٦) الكعاب . كسحاب : الجارية الناهد . والمفلك بصيغة الفاعل . واللام مشددة : التى استدار نديها . يقال فلانك الجارية : استدار نديها وصار كفلسة المنزل .

فإنك لم يُنبئك مثلُ تجرَّب خير ولم ينصحك مثلُ مُحَنِّك^(١)
 فهذا لعمرُ الله رأيي فخذ به فقد فرتَ منه بالجذيل المحكَّك^(٢)

الشارع الكبير ببغداد

نكَّب الشارع الكبير ببغدا د ولا تمش فيه إلَّا اضطرارا
 شارعٌ إن ركبت متنيه يوعا تلقَ فيه السهول والأوعارا
 تتراعى سنايك الخيل فيه إن تقحَّمن وعنه والخبارا
 فمى تحشو التراب فيه على الأو جه حثوا وتقذِف الأحجارا
 لو ركبت البراق فيه أو البر تحسب العابرين فيه سُكاري
 ساطعا يملأ الفضا مستطيرا حاملا في ذرَّاته الأقذارا
 مستجيشا من الجرائم جيشا مسبطرا عرمرما جرارا
 هو إن رُشَّ جاش وحلا وإلا جاش تقعا على الوجوه مئارا
 تصهر الشمس فيه أدمغة القو م إذا هم تحبَّطوه نهارا
 وإذا ما مشيت في جانبيه فتجنب رصيفه المنهارة
 وإذا ما أرسلت فيه إلى الأطراف لحظا أنكرته إنكارا
 لا ترى فيه ما يسرك بالصنعة حسنا ويبيح الأبصارا
 بل ترى العين فيه كل جدار تسكره العين أن تراه جدارا
 فجدار عال وفي الجنب منه متدانٍ تقيسه أشبارا

(١) مجرب : بصيغة الفاعل . باعتبار أنه اختبر الأمور . والمحكك أيضا بصيغة المفعول : الذى أحكمته التجارب .

(٢) الجذيل المحكك : الذى يشتق برأيه . و الجذيل : تصغير جذل . وهو عود كانوا ينصبونه فى العطن لتحكك به الإبل الجربى . ثم صار يضرب مثلا للذى يشتق برأيه . ويمتد عليه . كما قال الحباب بن المنذر لما خطب يوم السقيفة : « أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب » .

ودكا كينُ كالأفاحيصُ تمتدُّ يمينًا بطوله ويسارًا
 أين هذا من الشوارع في الأمصار زانت بحسبها الأمصارا
 عبدوها ومهدوها فجاءت لا اعوجاجًا بها ولا ازويرارًا
 وأعدوا بهن كل رصيف يحمّد السير فوقه من سارًا
 وأقاموا لهم بها كل صرح مشمخر بناؤد اشمخرارًا
 فعلى الجانبين كل بناء خيل في الحسن كوكبا قد أنارًا
 ثم لم يكتفوا بذلك حتى غرسوا في ضفافها الأشجارا
 فوقتهم ظلالها وهج الشمس وسرّ اخضرارها الأنظارا
 هكذا فلتكن شوارعنا اليوم وإلا فما عمرنا الديارا

على الخوان

أكبّ على الخوان وكان خفًا فلما قام أثقله القيام^(١)
 ووالى بينها لقمًا ضخمًا فما مرّئت له اللقم الضخم^(٢)
 وعاجل بلعنّ بغير مضغ فهنّ بفيه وضع فالتهم^(٣)
 فضائق بطنه شبعًا وشالت إلى أن كاد ينقطع الحزام^(٤)
 فأرسلت اللحاظ إليه شزرًا وقلت له رويدك يا غلام^(٥)

- (١) الخوان : بالكسر وبالضم : ما يوضع عليه الطعام ليؤكل . وأكب عليه : أقبل عليه ولزمه . وكان خفًا بالكسر : أى خفيفًا . وأثقله القيام : جعله ثقيلًا .
 (٢) والى بينها . أى تابع بين اللقم . فما مرّئت له : أى ما سأغت . وكانت مريئة : أى حميدة المنبة . ولقما : تمييز للضمير المضاف إليه فى قوله بينها .
 (٣) التهم : الاتهام : الابتلاع بمرّة ، وفى التعبير بالمصدر مبالغة فى المعنى المراد . أى هن بفيه موضوعة فالتهم بلا فاصل .
 (٤) البطن : مذكر . وتأنّث لفة جرى عليها الشاعر هنا . وقوله شبعًا : مفعول مطلق على حذف مضاف . أى ضيق شبع : أو هو منصوب بنزع الخافض . وشالت أى أرقت .
 (٥) فأرسلت اللحاظ : أى النظر . فهو هنا مصدر لاحظته : إذا نظره وراقبه لنظر . وقوله شزار : أى أشزّه شزرا . وهو النظر بجانب العين . انظر الغضبان . رويدك : أى أمهل نفسك .

أرى اللقَمَات تأخذها حَلَالاً فتدخل فاك وهي به حرام
 قد انتضدتُ بجوفك مفردات تخلل بينها الداء العُقَامُ (١)
 أتردد الطعامَ بغير مضع على أيام صحتك السلام (٢)
 فلا تأكل طعامك بازدرادٍ معاجلةً فيأكلك الطعام
 ألا إنَّ الطعامَ دواء داء به ابتليت من القدم الأنام
 فداء سقام جوعك عن كفاف فإكثار الدواء هو السقام
 وما أكل الطعامَ للتذاذٍ ولكن للحياة بها دوام
 طعام الناس أعجب ما أحبوا فمنه حياتهم وبه الحمام
 يقودهم الزمان إلى المنايا وما غير الطعام لهم زمام
 وأعجب منه أن الناس راموا تنوعه ألا ينس المرام
 إذا استعصى القفار عليك أكلاً كفالك من القراح له إدام (٣)
 حَذَارِ حَذَارٍ من جشعٍ فإني رأيت الناس أجشعها اللئام (٤)
 وأغبي العالمين فتي أكلوا لقطنته ببطنته انهزام
 ولو أني استطعت صيام دهرى لصمتُ فكان ديدنى الصيام (٥)
 ولكن لا أصوم صيام قوم تكاثُر في فطورهم الطعام (٦)
 فإن وضع النهار طَوْراً جِيعاً وقد نهَموا إذا اختلط الظلام (٧)

(١) قوله « قد انتضدت » : أى قد تراكت في جوفك . بعضها فوق بعض . وكل منها مفردة عن أختها . كما كانت عند دخولها . وقد تخلل بينها : أى دخل في خلالها الداء العُقَام . الذى لا يرجى له بر .

(٢) القفار . بالفتح : صفة المحذوف . أى الجب القفار . ويقال جب قفار : أى غير آدم . وأكلاً : تمييز للنسبة . محول عن الفاعل . والقراح بالفتح : الماء الحامض . الذى لم يخالطه شيء يطيب به . من غسل أو زيب أو غير ذلك . ومعنى البيت ظاهر .

(٤) حذار : اسم فعل بمعنى احذر . وتكراره هنا للتأكيد . والجشع بفتحين : أشد الحرص على الطعام وأسوأه .

(٥) ديدنى : أى دأبى وعادنى .

(٦) تكاثُر هنا : بمعنى كثر .
 (٧) وضع النهار : بان وانجلي . وقوله « وقد نهَموا » : أى شرهوا وأفرطوا الشهوة فيه . وكانوا لا عقل لهم أعينهم ولا يشبعون . ويجوز أن يقرأ : نهَموا ، بالبناء المفعول . واختلط الظلام : اعتكر .

وقالوا يا نهار لئن تُجِئنا فإنَّ الليل منك لنا انتقام
وناموا مُتَخَمِّينَ على امتلاءٍ وقد يتَجَشَّئون وهم نيام^(١)
فقل للصائمِينَ أداءَ فرضٍ ألا ما هكذا فُرضَ الصيام!

تحية سر كيس

أنشدها في حفلة أقيمت في القدس لتكريم الكاتب
الشهير سليم سر كيس . عند قدومه إليها زائراً .

كم فاضلٍ أ كبرته قَبْلَ اللِّقا
حتى إذا كان اللقاء وجدت ما
إِلَّا الفتى سر كيسَ أئى وتشرَّفِ
جالسته في القدس أولَ مرَّةٍ
في مجلسِ نظم الزمانُ بصدرة
إذ كان يسكرنا بخمر حديثه
يُحْيِي السرور الميْتَ منك بنكتةٍ
وإذا أفاض من الحديث بحكمةٍ
وإذا تحدَّثَ مازحاً فَنِكَاتِهِ
لو يستدرِّ يد الشحيح بظرفه
جالسته فَكِهَ الكلام مناقراً
فمجالس الأدباء أنت رئيسها
أولستَ رَبَّ سَجَّةٍ أدبية
في كل شهر بالفنون ترقبها
قد جئتَ في تحبيرها متنطساً
فسجرتُ فيه من الثناء وطيساً
يُعزِّي إليه العُلَى معكوساً
بلقائه ، إِلَّا الفتى سر كيساً
فأحسَّ قلبي من هواه ريساً
عقداً من الصِّيد الكرام نفيساً
فُيدير منه على الجالوس كثوساً
فيريك معجزة ابن مريم عيسى
خِلنا محدثنا أرسطاليساً
بالضحك تصفع من تراه عبوساً
بوماً لجاد له وحلَّ الكيساً
أكرمُ بمثلِكَ يا سليم جليساً
أخلقِ بمثلِكَ أن يكون رئيساً
تُرزى بأزهار الرياض طروساً
عذراء باهرة الجمال عروساً
تشفى بنفث يراعك المألوساً

(١) ناموا متخمين : أى لهم تخمة كظلمة . وهى داء يصيب الإنسان من أكل الطعام الوخيم .
وقوله « يتجشئون » التجشؤ : هو إخراج صوت مم ربح من الفم عند الشبع .

تبدو الحقائق من خلال سطورها فتضيء في ليل الشكوك شمساً
لما قدمت القدس قصصاً زيارية فنهجت وحشة أهلها تأنيساً
قنا لفضلك ياسليم نجاةً تحني الظهور مطاطين رءوساً

إلى البلاغ

أرسلها وهو في الأسبانية إلى محمد باقر . لا أصدر جريدة البلاغ في بيروت

أبأقر لم تدع للقوم عذراً . بما أصدرت من حجج البلاغ
فقد صنعت النصائح خالصات فجاءت وهي قائمة المصاغ
وأوضحت الحقائق رائقات لدى الأذواق طيبة المساغ
ولكن أين من يضغى ومن ذا نحاول منه قلباً غير صاغ
لقد حاتم الأديم فليت شعري أينفع ما تريد من الدباغ
ألت ترى بني الإسلام أمسوا حيارى بين منتصف وباغ
فتقوم في مقاصفهم وقوم يلوكون القفار بلا صباغ
وكم داع رأوه لهم « مفيدا » وما هو في « الحقيقة » غير لاغ
وكم صحف لهم فغرت حلوقا لتضنهم بأسنان شواغ
وما أخذتهم نفثاً ولكن تضح كأنها الإبل الرواغ
على أنى وإن أبدت سُخْطاً فما أدعوك فيه إلى الفراغ
فلا تترك بلاغك عن ملال فيفرح من ملالك كل طاغ
قمم في القوم مُتَضِيّاً يراعاً يفلق هام أرباب الرواغ
وخاطبهم بشقشة المنادى وآونة بدنة المناعى
فأنت قتي إذا بلغت أمراً تؤيدك البلاغة في البلاغ
وأنت وإن خلقت نحيف جسم تفوق سواك في كبر الدماغ

في حفلة الزهاوى

أرى بغداد من بعد اغبرار زهت بكبيرها أدبا وعلمها
 زهت بطبيب علمها المداوى به لو ظال وهو هناك ناوى
 وكادت مصر تسبقنا فخاراً ولكن عاد محتقبا إليهما
 فاهلاً بالحكيم وأنف أهل وما الآداب في بغداد لولا
 إذا ما قال في بغداد شعراً تفرّد في بديع الشعر من معنى
 أعيدك يا جميل الشعر من أن يداوون القيم من المعاني
 ألا لا تعجبين وهم ذئاب لقد تقدوا قريضك نقد أعمى
 فأحيم لهم حديد الشعر حتى فهم قوم يروّون الحلم عجزاً
 ولا تضرّ بهم إن شئت إلا فهم مثل الذباب يطير ذعراً
 وليسوا نحوجيك إلى معين فنفخ منك يجعلهم هباءً
 وما احتاج القوى إلى معين زهت بقدم شاعرها الزهاوى
 زهت بطبيب علمها المداوى به لو ظال وهو هناك ناوى
 فخار الأرض والشرف السماوى بمن لا زال مُرشد كل غاوى
 يراع جميلها إلا دعاوى رواه له بأقصى الأرض راوى
 فجعل عن المُعادل والمساوى يسوءك نقد أرباب المساوى
 بفهم كان أجدر بالتداوى إذا هم أفرعوك بصوت عاوى
 يدل على الضعائن في المطاوى تذيب نفوسهم حرّ المكاوى
 إذا ما ناوءوك ولم تتأوى بضغت من نبات الشعر ذاوى
 بهز مذية وهوى هاوى وهم ما بين مهزول وضوى
 ويسقطهم إلى سفلى الهاوى إذا كان الضعيف هو المقاوى

إلى صاحبة الحياة الجديدة

أرسلها إلى السيدة حبوبة صاحبة مجلة الحياة الجديدة في بيروت

هَلُمَّ يا قومُ نسعى	إلى حياةٍ سعيدةٍ
فإن فينا افتقارًا	إلى أمورٍ عديدةٍ
إلى اتحادٍ وسعيٍ	إلى المساعي المفيدةِ
إلى عزائمٍ نرمي	بها المرامي البعيدةِ
إلى معاهدٍ نفني	بها الشرور المبيدةِ
إلى مدارسٍ تعلو	على القصور المشيدةِ
إلى عقولٍ كبارٍ	إلى نفوسٍ رشيدةِ
إلى جُجومٍ نقاوي	بها الخطوب الشديدةِ
إلى صلاحٍ نداوي	به فساد العقيدةِ
وإن أريد اكتفاءً	بكلمةٍ عن قصيدةِ
فكل ما نبغيه	هو الحياة الجديدةِ
هو الذي تدعيه	حبوبةٌ في الجريدةِ
تلك الصحيفة تأتي	لنا بكل شريدةِ
تلك الحلة تحوي	من كل عقد فريدةِ
حبوبةٌ استمشدني	إن شئت كل نشيدةِ
فأنت خير فتاةٍ	حميدةٍ ومجيدةِ
الشرق فيه قيود	وقد فككت قيودهِ
وفيه داء جهودٍ	وقد شفيت جهودهِ
أراؤك الغرُّ فيه	صحيحةٌ وسديدةِ
من لا يريد أمورًا	لهن أنت مُريدةِ
إلا الذي عاش غرًّا	وطوق الأسر جيدةِ
فذاك ما عاش إلا	لقصعةٍ وثريدةِ

إلى المتعلم

- أَخْصِي فِي الْعِلْمِ إِنْ أُرِدْتَ كَلَامًا وَوَصُولًا إِلَى الْفَخَارِ الْأَتَمِّ (١)
وَإِذَا رُمْتَ فِي التَّعَلُّمِ حَذَقًا فَاتْرُكِ النَّفْسَ وَالَّذِي هِيَ تَرِي (٢)
وَاجْتَنِبِ قَسْرَهَا عَلَى مَا أَبْنَتْ إِنَّ قَسْرَ الطَّبَاعِ أَكْبَرُ ظَلَمٍ
إِنَّمَا الْمِيلُ فِي الْغَرَائِزِ تَيًّا رُّ وَمَنْ ذَا يَرُدُّ تَيَّارَ يَمٍّ
أَطْعِمِ الْعَقْلَ مَا اشْتَهَاهُ مِنَ الْعِلْمِ وَإِلَّا اسْتَقَاتَ مِنْ سُوءٍ هَضَمٍ
لَيْسَ فِي أَرْوُسِ الرِّجَالِ دِمَاحٌ هَاضِمٌ فِي ذِكَاثِهِ كُلُّ عِلْمٍ
فَمَنْ النِّقْصُ أَنْ تَحَاوِلَ أَنْ تَضْرِبَ رَبِّ فِي كُلِّ ذِي الْعُلُومِ بِسْمِهِ (٣)
حُسْنُ فَهْمِ الْأَخْصِ أَكْثَرُ نَفْعًا لَذْوِيهِ مِنْ قَبْحِ فَهْمِ الْأَعْمِ
وَبُعَاةُ الْعُلُومِ مِثْلُ رِمَاةِ الصَّيْدِ فَاعِلٌ وَلَيْسَ مِثْلُ كَمْصِي (٤)
وَإِذَا مَا اشْتَعَبْتَ بِالْجِدِّ سَاعًا تَ فَهَازِلُ سُوءِيَّةٍ وَاسْتِجَمِ (٥)
وَتَرَفَّقْ إِذَا جَهْدُتَ فَإِنَّ الزَّرَّ فَقُ يُذَكِّي الْفَوَادِ وَالْعَنَفُ يُعْمِي
وَلَقَدْ يَبْلُغُ الْعَجُوزُ مَدَاهُ بِالتَّائِي بِلُوحٍ خَضَمَ بِقَضَمِ (٦)

- (١) قوله أخصي : فعل أمر من أخصى طالب العلم . إذا نعلم علما واحدا وطريقة الاختصاص في العلوم هي التي وصل بها أهل الغرب إلى ما وصلوا إليه .
(٢) الواو في قوله « والذي هي ترمي » : واو المعية . واسم الموصول مفعول معه . وترمي : تقصد . من رمى المكان إذا قصده . وعائد الموصول محذوف . أي والذي هي ترميه .
(٣) قوله « فن النقص » : الجار والمجرور خبر مقدم . « وأن تحاول » مبتدأ مؤخر . « وأن تضرب » : مفعول لتحاول . والمحاولة لإرادة . وقوله « أن تضرب في كل ذي العلوم بسهم » : معناه أن تأخذ من كل العلوم نصيباً ؛ يقال ضرب في كذا بسهم ؛ إذا أخذ منه نصيباً .
(٤) قوله « وليس منهم كمصم » المصمى : اسم فاعل . من قولهم أتبعي الصياد الصيد : إذا رماه فأصابه ولم يقتله . ثم ذهب عنه ثبات : والمصمى : اسم : فاعل من قولهم أصمى الصيد . إذا رماه فقتله مكانه وهو يراه . وفي الحديث كل ما أصميت . ودع ما أنجيت . والمعنى : أن طالب العلم كرامى الصيد . فإذا أخصى في العلم وأتقنه كل الاقنان . كان كالمصمى الذي ينتفع بصيده . وإذا كانت كالمصمى الذي رمى الصيد فأصابه ولم ينتفع به شيئا . فهذا هو معنى قوله « وليس منهم كمصم » .
(٥) الجِدُّ بالكسر : ضد الهزل . وقوله استجِم : أي استرح .
(٦) المراد بالخضم هنا : الأكل كل ملء الفم . والخضم : الأكل بأطراف الأسنان قليلا قليلا .

كل من كانت العلوم لديه جمّة كان نفعه غير جمّ (١)
 أي فضل إعلم غير بدّع ليس في العلم يرتجى لهم
 سار شوطا لكل علم ولكن لم ينال فيه غاية المستتم (٢)
 هبه أبدى من العلوم نجوما في ليالي من المشاكل دهم
 أو ليس البدر التمام وإن كا ن وحيدا يربو على ألف نجم
 كن قويا في كل ما تدعيه إنما الفوز للقوى الملم (٣)
 أيها العاجز الضعيف رويدا أقرن الضأن فاتك بالأجم (٤)

اليتيم المخدوع (*)

قضى والليل معتكرا بهميم ولا أهل لديه ولا حميم
 قضى في غير موطنه قتيلا تمجّ دم الحياة به الكوم (٥)
 قضى من غير باكية وباء ومن يبكي إذا قتل اليتيم
 قضى غصّ الشبيبة وهو عفا مطيرة مآزره ككريم

= وقد ضمن هذا البيت المثل وهو قولهم « قد يبالغ الحضم بالنضم » . أي الشبعة تبلغ بالأكل
 بأطراف الفم . أي الغاية البعيدة تدرك بالرفق .

(١) جمّة : كثيرة . وغير جمّ : غير كثير .

(٢) شوطا : مفعول مطلق . وانشوط : هو الجري مرة إلى الغاية .

(٣) الملم : بكسر الميم وفتح اللام . وفي آخره ميم مشددة : هو الشديد من كمل شيء . يقال :

رجل ملم .

(٤) الأقرن من الضأن : الذي له قرنان . والأجم : الذي لاقرن له . والمعنى : أن القوي

فاتك بالضعيف لاعمالة . (*) من الجزء الأول .

السيب الذي دعا شاعرنا إلى نظم هذه القصيدة : أن رجلا يهوديا مطربا من حلب اسمه (سليم) .

خدع غلاما مسيحيا يتأمن أهلها ، وأتى به بغداد ، فأراد منه المنكر بعض أهلها ، فأبت نفس الغلام

الزكية الطاهرة ذلك « فجاءه يوم وهو سكران والغلام في نادي طرب يضم المئات من الناس ،

وأطلق عليه الرصاص . فسقط ذلك اليتيم المخدوع على الأرض . فحمل إلى مستشفى الغرباء هناك ؟

وقبض على الجاني . وزج به في السجن . فنظم معروف أفندي هذه القصيدة حاكيا بها هذه

الحادثة المؤلمة . (٥) الكوم : الجروح .

سقاها من الردى كسًا دهاقا
تجرعها على طربٍ ولكن
على حسين الرّابة فى نواح
بحيث رقائق الألحان كانت
كأن ترنم الأوتار نعي
لجاء الموت ملتفعا بخزي
فأطلق من مسدسه رصاصا
فحرّ إلى الجبين به « نعيم »
فبان مودعا بعد ارتثا
نحن لم تبك من أسفٍ عليه
ولو درت النجوم له مصابا
عسى الشهباء تثاره فتبدى
ولم يقتله « إبراهيم » فيا
أليس « سليم » الملعون أغوى
وأخرجه من الشهباء غرا
وجاء به إلى بغداد حتى
سأبكيه ولم أعبا بلاج
ولما أن ثوى ناديت أرخ
عفاف النفس والعرض السليم^(١)
بكف اليم ليس له نديم
يساجلها به العود الرحيم
بها الأشجان طافية تعوم
وصمت السامعين لها وجوم^(٢)
وملء إهابه سمه ولوم^(٣)
به فى الرمي تنخرق الجسوم
كما انقضت من الشهباء الوجوم^(٤)
حياة لا تناط بها الوصوم^(٥)
سفاهتنا فقد بكت الحلوم^(٦)
بكته على ترفعها النجوم
إلى الزوراء ما يبدى الخصيم^(٧)
أرى بل إن قاتله « سليم »
« نعيما » فهو شيطان رجيم
يتيا ما له أبدا زعيم
تخرمه بها قتل اليم
وأندبه وإن سخط العموم
ثوى قتلا بلا مهل « نعيم »

(١) دهاقا : ممتد .

(٢) الوجوم : الاطراف لشدة الحزن أو الغيظ .

(٣) الاماب : الجلد قبل أن يدفق .

(٤) الوجوم : ما يرم به . مفردا رجم .

(٥) ارتث ارتثانا . بالبناء المجهول : حمل من المركة جريحا : الوصوم : الميوب .

(٦) الحلوم : العقول .

(٧) الشهباء : حلب . والزوراء : بغداد . تثاره : تصالب بدمه .

ميت الأحياء وحي الأموات (*)

تَبْقَظُ مَا أَنْتَ بِالْخَالِدِ وَلَا حَادِثُ الدَّهْرِ بِالرَّاقِدِ^(١)
 فَخَلَّدَ بِسَمْعِكَ مَجْدًا يَدُومُ دَوَامُ النُّجُومِ بِلَا جَاوِدِ
 وَأَبْقَى لَكَ الذِّكْرَ بِالصَّالِحَاتِ وَخَلَّ النَّزْوَعِ إِلَى الْفَاسِدِ^(٢)
 وَرِدَّ مَا يَنَادِيكَ عَنْهُ الصُّدُورُ أَلَا دَرَّ دَرْكٌ مِنْ وَارِدِ^(٣)
 وَسِرٌّ بَيْنَ قَوْمِكَ فِي سِيرَةٍ تَمِيتَ الْخُقُودَ مِنَ الْخَافِدِ
 فَإِنْ فَتَى الدَّهْرُ مِنْ يَدَّعَى فَتَأْتِي أُعَادِيهِ بِالشَّاهِدِ
 وَلَا تَأْكُ مَرْمَى بَدَاءِ السَّكُونِ فَتَصْبِحُ كَالْحَجَرِ الْجَامِدِ
 وَكُنْ رَجُلًا فِي الْعُلَى حَوْلًا تَفَنَّنَ فِي سِيرِهِ الرَّاشِدِ^(٤)
 إِذَا أُطْرِدَتْ حَرَكَاتُ الْحَيَاةِ وَمَرَّتْ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدِ
 وَلَمْ تَتَنَوَّعْ أَفَانِيْنَهَا وَدَامَتْ بِوَجْهِهَا بَارِدِ^(٥)
 وَلَمْ تَتَجَدَّدْ لَهَا شَمْلَةٌ مِنْ السَّعَى فِي الشَّرَفِ الْخَالِدِ
 فَمَا هِيَ إِلَّا حَيَاةُ السَّوَامِ تَجُولُ مِنَ الْعَيْشِ فِي نَافِدِ^(٦)

وَمَا يَرْتَجَى مِنْ حَيَاةٍ أَمْرِي كَلَّ عَلَى سَبْخَةٍ رَاكِدِ^(٧)
 وَابْسِلْ لَهُ فِي غُصُونِ الْحَيَاةِ سَوَى النَّفْسِ النَّازِلِ الصَّاعِدِ
 يَغُضُّ عَلَى الْجَهْلِ أَجْفَانَهُ وَيَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ بِالْكَاسِدِ
 فَذَاكَ هُوَ الْمَيِّتُ فِي قَوْمِهِ وَإِنْ كَانَ فِي الْمَجْلِسِ الْخَاشِدِ

(*) من الجزء الأول .

(١) الراقِد : النَّائِم .

(٢) النَّزْوَع : الْبَيْل .

(٣) الصُّدُورُ عَنْ الْأَمْرِ : الرَّجُوعُ عَنْهُ . دَرَّ دَرْكٌ : أَيْ كَثُرَ خَيْرُكَ . وَأَصْلُ مَعْنَى الدَّرِّ : الْإِبْنُ

(٤) الْحَوْلُ : هُوَ الشَّدِيدُ الْإِحْتِيَانُ .

(٥) أَفَانِيْنَهَا : أَنْوَاعُهَا . وَالْأَفَانِيْنُ فِي الْأَصْلِ : الْأَغْصَانُ .

(٦) السَّوَامُ : الْحَيَوَانَاتُ السَّائِمَةُ . (٧) السَّبْخَةُ : الْأَرْضُ ذَاتُ النَّزْرِ وَالْمَلْح .

وما المرء إلا فتى يغتدى
سعى للمعارف فاحتازها
وطالع أوجه أقمارها
قأبدى الحقائق من طيها
إذا هو أصبح نادى: البدار
فكان المجلى في شأوه
وإن بات بات على يقظة
وأحدث مجداً طريفاً له
وما الحق إلا هو الإتكال
فذاك هو الحى حي الفخار
إلى العلم في شرك صائد
وصاد الأنيس مع الآبد^(١)
بعين بصير لها ناقد
وألقى القيود على الشارد
وشمر للسعى عن ساعد
بعزم يشق على الحاسد^(٢)
بطرف لنجم العلى راصد
وأضرب عن مجده التالد^(٣)
على شرف جاء من والد
وإن لحدثه يد اللاحد

نحن في بغداد (*)

أيأ سائلاً عتاً ببغداد إننا
علت أمة الغرب السماء وأشرقت
وهم ركضوا خيل المساعى وقد كبا
فنحن أناس لم نزل في بطلالة
خضعنا لحكام تجور وقد حلا
بهائم في بغداد أعوزها النبت^(٤)
علينا فظلمنا ننظر القوم من تحت
بنا فرس عن مقنب السعى منبت^(٥)
كأننا يهود كل أيامنا سبت
بأفواها من مالنا ما كل سحت^(٦)

(١) الآبد : النائر .

(٢) المجلى : السابق الأول في حلبة الرهان . الشأو : الغاية .

(٣) المجد الطريب : الجديد الحادث . والتالد : القديم الموروث .

(*) من الجزء الأول .

(٤) أعوزها النبت : أى افتقرت إليه .

(٥) ركض فرسه : غمزه برجله ليعدو ويسرع . كبا : عثر . المقنب : جماعة من الخيل

تجتمع للغارة . منبت : منقطع .

(٦) السحت : المكسب الحرام .

وكما قامرتنا ساسة الأمر خُدعةً فقم علينا بالخداع لها الدست^(١)
 لماذا نخاف الموت جُبناً فلم نقم إلى الذب عنا من أمور هي الموت^(٢)
 إذا كنت لا ألتى من الموت موثلاً فهل نأفئ أن خِفْتُهُ أو تَهَيَّبْتُ^(٣)
 والموت خير من حياة تشوبها شوائب منها الظلم والذل والمقت^(٤)

رقية الصريح (*)

يا عدل طال الإنتظار فعجل يا عدل ضاق الصبر عنك فأقبل
 يا عدل ليس على سواك معول هلاً عطفت على الصريح المعول^(٥)
 كيف القرار على أمور حكومة حادت بهن على الطريق الأمثل
 في الملك تفعل فغائع جورها ما لم تقل ، وتقول ما لم تفعل
 ملأت قراطيس الزمان كتابةً للعدل وهي بحكمها لم تعدل
 أضحت مناصبها تباع وتشتري فقدت تفويض الغنى الأجهل
 تعطى مؤجلة لمن يبتاعها ومضى انقضى الأجل المسمى يعزل
 فبروح بشرى ثانيا وبما أرتشى قد عاد من أهل الثراء الأجزل
 فيظل في دار الخلافة راشيا حتى يعود بمنصب كالأول
 سوق تباع بها المراتب سُميت دار الخلافة عند من لم يعقل
 أبت السياسة أن تدوم حكومة خُصت برأى مقدس لم يسأل
 مثل الحكومة تستبد بحكمها مثل البناء على نقا متهيل^(٦)

(١) الدست : سدرالبيت ، والخدمة ، والدست أيضا : هو الذي يكون فيه الغلب في الشطرنج وهذا المعنى أقرب المعاني ليناسب معنى المقامرة .

(٢) الذب : المداغة . (٣) موثلاً : ملجأ .

(٤) تشوبها : تخالطها . شوائب : أخلاط .

(٥) من الجزء الأول .

(٦) الصريح : المستغث . والمعنون : الذي يرفع صوته باليكاء أو الصياح .

(٧) القطعة من الرمل : متهيل : متصيب .

يا أئمةً رقدت فطال رُقَادُهَا هَبِّي وفي أمر الملوك تأملِي
أَيَكُونُ ظِلُّ اللَّهِ تَارَكَ حَكْمَهُ إِنْ منصوص في آي الكتاب المنزل
أَمْ هَلْ يَكُونُ خَلِيفَةُ لِرَسُولِهِ من حاد عن هَدْيِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
كَمْ جَاءَ مِنْ مَلِكٍ دَهَاكٌ بِجَوْرِهِ وَلَوَاكٍ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ الْأَفْضَلِ^(١)
يَقْضَى هَوَاهُ بِمَا يَسُومُكَ فِي الْوَرَى خَسَفًا وَيَنْقِمُ مِنْكَ أَنْ لَمْ تَقْبَلِي^(٢)
وَيُرْوَمُ صَبْرُكَ وَهُوَ يَسْقِيكَ الرَّدَى وَيُرِيدُ شُكْرَكَ وَهُوَ لَمْ يَتَفَضَّلِ
وَقَدْ اسْتَكْفَتْ لَهُ وَأَنْتَ مُهَانَةٌ حَتَّى صَبَرْتَ لِفَتَكِهِ الْمُسْتَأْصَلِ^(٣)
بَاتَ السَّعِيدَ وَبَتَ فِيهِ شَقِيَّةٌ تُسْتَخْدِمِينَ لَعْنَهُ الْمُسْتَرْسِلِ
تِلْكَ الْحَاقَّةُ لَا حَاقَّةَ مِثْلَهَا تُحْمَقُ فَهَلْ هُوَ مِنْ صَحِيحٍ تَعَقَّلِ
إِنْ الْحُكُومَةُ وَهِيَ جُمْهُورِيَّةٌ كَشَفَتْ عِمَايَةَ قَلْبِ كُلِّ مُضَلَّلِ
سَارَتْ إِلَى نُجْحِ الْعِبَادِ سِيرَةٍ أَبَدَتْ لَهُمْ حَقَّ الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
فَسَمَوْا إِلَى أَوْجِ الْعِلَاءِ وَنَحْنُ لَمْ نَبْرُحْ نَسُوجَ إِلَى الْخَضِيضِ الْأَسْفَلِ^(٤)
حَتَّى اسْتَقَلُّوا كَالْكَوَاكِبِ فَوْقَنَا تَجَلَّوْا الظَّلَامَ بِنُورِهَا الْمُتَهَلَّلِ^(٥)
وَعَبَّأُوا بِمِثِّ إِذَا شَخَصْنَا نَحْوَهُمْ مِنْ تَحْتِهِمْ ضَحَكُوا عَلَيْنَا مِنْ عَلِ
لَبَسُوا ثِيَابَ فُخَارِهِمْ مَوْشِيَّةٌ بِالْعَزِّ وَهِيَ مِنَ الطَّرَازِ الْأَكْمَلِ^(٦)
نَالُوا وَصَالَ مَنَى النُّفُوسِ وَإِنَّمَا حُرِّيَّةُ الْعَيْشِ الرِّغْدِ الْمُخْضَلِ^(٧)
حَتَّى أَقِيمَ مَجَسَّمًا تَمَثَّلًا بَيْنَ الشُّعُوبِ عَلَى بِنَاءِ هَيْكَلِ^(٨)
تَمَثَّلَ نَاعِمَةُ الشَّمَائِلِ وَجْهَهَا تَزْدَادُ نُورًا مِنْهُ عَيْنُ الْمُجْتَلِ^(٩)

(١) لَوَاكٍ : صرفك . قصد السبيل : أى السبيل المستقيمة .

(٢) سامه الحسف : أى أذله . (٣) استكفت له : أى خضعت .

(٤) نسوخ : نفوس . وهى هنا بمعنى : نفوسى ؛ ولذا عداها بالى .

(٥) استقلوا : ارتفعوا . (٦) موشية : محسنة مزينة .

(٧) منى جمع منية : وهى ما يتمناه الانسان . الخضل : الندى . مأخوذ من اخضل الشئ :

بمعنى ابتل .

(٨) الهيكل : البناء المرتفع . (٩) اجتلى الشئ : نظر إليه .

أُبعد هذا يا سَراةَ موَاطني نرَضَى ونَقنع بالمعاش الأَرذل
 الغوثَ من هذا الجُود فإنه تالله أهونُ منه صُمُّ الجَنَدل^(١)
 قد أبجرت شَمُ الجبال وأجبلت لجج البحار ونحن لم تَبَدَل^(٢)
 ما ضرَّكم لو نسمعون لناصح لم يأت من نسج الكلام بهَلَل^(٣)
 حَتَّامَ نَبَقِ لُعبةِ لحكومة دامت تَجَرَّعنا تَقيع الخنظل
 تنحو بنا طرق البوار تحيِّفا وتسومنا سوء العذاب الأهول^(٤)
 هذا ونحن مُجدَّلون تُجاهها كالقار مرتعداً تُجاه الخيطل^(٥)
 ما بالنا منها نخاف القتل إن قُنا أما سنموت إن لم نُقتل ؟
 يا عاذلاً فيما نَفَسْتُ من الرُّق وعزمت فيه على الصريع المهمل^(٦)
 أنظر لصرعة من رَقِيت وطولها فإذا نظرت فعند ذلك فأعدل^(٧)

مثنويات شعرية (*)

أشَرُّ فعلٍ البرايا فعلٌ منتحِر وأخش القول منهم قول مفتخر
 إن التمدح من عَجَبٍ ومن أَشَرٍ والبرء في العُجب ممقوت وفي الأَشَرِ^(٨)

يا راجي الأمر لم يطلب له سببا كيف الرماية عن قوس بلا وَتر
 ليس التسبب من عجز ولا خوَرٍ وإنما العجز تفويض إلى القَدَرِ^(٩)

- (١) الجنَدل : الحجارة . مفردها حندلة .
 (٢) أبجرت : عازب بحرا . شم الجبال : أعاليها . أجبلت : صارت جبلا .
 (٣) المهمل : الثوب الرديء الذئج . (٤) البوار : الهلاك . تحيِّفا : ظلما .
 (٥) مجدَّلون : مطروحون أرضا . الخيطل : اسنور . ويطلق على الكلب أيضا .
 (٦) الرق : جمع رقية . وهي العودة التي تحتفظ بها . نفت الراني في العقدة عند الرقية : أي
 يرق براقا يسيرا . الصريع : من أصابه الصرع . (٧) أعدل : لم .
 (*) من الجزء الأول . (٨) الأَشَر : البطر .
 (٩) التسبب : طلب الأسباب . الخور : الضعف والفتور .

دع الأناسيَّ وأنسني نغيرهم إن شئتَ للشاء أو إن شئتَ للبقر^(١)
فإن للبشر الراقى بخلقته من قد أنفت به أنى من البشر

ألبس حياتك أحوال المحيط وكن كالماء يلبس ما للظروف من جذر
وإن أبيت فلا تجزع وأنت بها عارٍ من الأنس أو كاسٍ من الضجر

إن رمت عزاً على فقر تكابده فاستغن عن مال أهل البذخ والبطر
فإنما النفس ما لم تنأ عن طمع فريسة بين ناب الذل والظفر

إذا نظرت إلى الجزئيّ تصلحه فأرقبه من مرقب الكلّي في النظر
فإن نفعت شخصاً واحداً ربما يكون منه عموم الناس في الضرر

قد يقبّح الشيء وضعاً وهو من حسن كأنعش يدهش مرأى وهو من شجر
فالقبح كالحسن في حكم النهى عرض وليس يثبت إلا عند معتبر^(٢)

لا تعجبنّ لدى عقل يروح به ليُنتج الشرّ خيراً غير مُنتظر
فإنما لمعات الخير كامنة بين الشرور ككون النار في الحجر

سبحان من أوجد الأشياء واحدة وإنما كثرة الأشياء بالصور^(٣)

(١) الأناسي : البشر . الشاء : جم شاة .

(٢) النهى : العقل . يقول : إن الحسن والقبح أمران عرضيان أو اعتباريان ، فقد يستحسن شخص ما يستقبّحه الآخر ، وقد يحسن الشيء في موضع ، ويستقبّح في موضع آخر ، والعكس بالعكس .

(٣) يظهر أنّ الشاعر قائل بوحدة الوجود ، غير أنه يميل إلى وحدة الوجود الحادث ، دون الوجود المطلق ، والقائل بالرأى الأخير هم الفلاسفة القدماء والصوفية ، وما قال به شاعرنا معقول ، وأقوال الآخرين غير معقولة .

هَبْ مِنْشَأَ الْقَوْمِ يَبْقَى مَبْهَمًا أَبَدًا فَبَلْ تَرَى فِيهِ عَقْلًا غَيْرَ مُتَبَهِّرٍ

الْحُبُّ وَالْبَغْضُ لَا تَأْمَنُ خِدَاعَهُمَا فَكَمْ هَا أَخْذًا قَوْمًا عَلَى غُرَرٍ^(١)
فَالْبَغْضُ يَبْدَى كِدُورًا فِي الصِّفَاءِ كَمَا أَنْ الْحُبَّةَ تَبْدَى الصِّقْوُ فِي الْكُدْرِ

وَأَشْنَعُ الْكَذِبِ عِنْدِي مَا يَمَازِجُهُ شَيْءٌ مِنَ الصِّدْقِ تَمْوِيهَا عَلَى الْفِكْرِ
فَإِنْ إِبْطَالَ هَذَا فِي النَّبِيِّ عَسِيرٌ وَلَيْسَ إِبْطَالُ تَحْضِ الْكَذِبِ بِالْعَسِيرِ

قَالُوا عَشِقْتَ مَعِيبَ الْحَسَنِ قُلْتُ لَهُمْ كُفُّوا الْمَلَامَ فَمَا قَلْبِي بِمَنْزَجِرٍ
مَا الْعَشْقُ إِلَّا الْعَمَى عَنْ عَيْبِ مَنْ عَشِقْتُ هَذِي الْقُلُوبُ وَلَا أُعْنِي عَنْهُ الْبَصَرُ

قَالُوا ابْنُ مَنْ أَنْتَ يَا هَذَا فَقُلْتُ لَهُمْ أَبِي أَمْرٌ جَدُّهُ الْأَعْلَى أَبُو الْبَشَرِ
قَالُوا فَهَلْ نَالَ مَجْدًا قُلْتُ وَاعْجَبِي أَتَسْأَلُونِي بِمَجْدٍ لَيْسَ مِنْ ثَمَرِي!

لَا دَرَّ دَرٌّ قَصِيدٍ رَاحَ يَنْظُمُهُ مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ مَعْنَى الدَّرِّ وَالْدَّرَرِ^(٢)
يَبْكِي الشُّعُورُ لَشَعْرٍ ظَلَّ يَنْقُدُهُ مَنْ لَا يَفْرُقُ بَيْنَ الشُّعْرِ وَالشَّعْرِ

قَالَتْ «نَوَارُ» وَقَدْ أَنْشَدْتَهَا سَحَرًا مِمَّنْ تَعَلَّمَتْ نَفْثَ السَّحَرِ فِي السَّحَرِ
فَقُلْتُ مِنْ سَحَرِ عَيْنِيكَ الَّذِي سَحَرْتَ بِهِ الْمَشَاعِرَ مِنْ سَمْعٍ وَمِنْ بَصَرِ

(١) غُرر جمع غرة ، بالكسر : وهي الغفلة .

(٢) الدر ، بفتح الدال : هو اللبن .

إلى المتقاعدين

من ضباط الجيش

عقل ، وتجربة ، وجدّة زائد
 جعلوا التقاعد للجنود كرامة
 ليس التقاعد للرجال بطالة
 لكنه عمل جديد نافع
 بالسعى تزهو الحياة وإنما
 إن الحياة ليقظة فعالة
 لن تبلغ العلياء في مساحتها
 أنظر تجد شعب الحياة كثيرة
 فكان أشغال الحياة مَراجل
 يأبىها المتقاعدون ألا أتقوا
 علمت تجاربكم وأيقن رأيكم
 فاستمسكوا بعرا المودة بينكم
 كونوا جميعا في الحياة كأنكم
 في الحرب طاب لكم جلاذ فلتطب
 تركت أكمكم السيوف وعندها
 كل الحياة معارك لكننا
 ولربما كانت سلاحا نافذا
 فأتوا من الأعمال ما هو صالح
 وتتبعوا سبل الحياة ولا يكن
 وتصرفوا في أمرها بمهارة
 ما عاب من سلّ المهند أنه
 هذى صفات حازها المتقاعد
 كي يسير من الجهاد مجاهد
 إن البطالة للرجال مفسد
 عما تقوم به الحكومة حائد
 لون الحياة بغير سعى كامد
 فالراقد الكسلان فيها بائد
 همّ مشبّطة وعزم راقد
 فيها من السعى الخيث مشاهد
 والسعى نار والبلاد موافد
 نقداً يصول به عليكم ناقد
 أن الحياة تعاون وتعاصد
 كيلا يكون تباغض وتحاسد
 رجل إذا دعت الدواهي واحد
 في السلم أعمال لكم ومقاصد
 منكم أشد من السيوف سواعد
 فيها سلاح المرء جهد جاهد
 عند اللئام دسائس ومكايد
 للناس فيه مصالح وفوائد
 منكم إلى غير المكارم قاصد
 وذروا السيوف فإنهن جوامد
 للسيف من بعد التجالد غامد

دار تربية الطفل

أَيُّ قُدُسٍ يَضُمُّ هَذَا الْبِنَاءَ حَسَدَتْ أَرْضُهُ عَلَيْهِ السَّمَاءَ
 إِنْ يَكُنْ فَوْقَ هَذِهِ الْأَرْضِ شَيْءٌ فِيهِ قُدْسِيَّةٌ فَبِذَا الْبِنَاءُ
 هُوَ مِنْ هَذِهِ الْبَنِيَّاتِ لَكِنْ شَرُفَتْ بِالْمَقَاصِدِ الْأَشْيَاءُ
 كَلِمًا قَدْ رَأَيْتُهُ تَتَجَلَّى لِي مِنْ تَحْتِ أَسَسِهِ الْعَلِيَاءُ
 هُوَ بَكْرٌ فِي ذِي الْبِلَادِ وَالْأَطْفَالِ فِيهِ حِمَاةٌ عِزَّاءُ
 لَمْ نَكُنْ قَبْلَ ذَا نَفْكَرٍ فِيمَا فَكَّرْتُ فِيهِ قَبْلُنَا الرُّحَمَاءُ
 كَانَ لِلْبُؤْسِ فِي الْمَوَاطِنِ لَفْحٌ مِنْ سَمُومٍ تَذْوِي بِهِ الرُّضْعَاءُ
 رَبُّ طِفْلٍ أَوْدَتْ بِهِ قِلَّةُ الدَّرِّ عَلَى أَنْ أُمَّهُ ثَدْيَاءُ
 أُمُّهُ مِنْ أَبِيهِ آمَتْ فَأَمَسَتْ يَنْهَكَ الْبُؤْسُ جِسْمَهَا وَالشَّقَاءُ
 فَحَسْبَى شَخْصَهَا الْخِيَالَةُ إِذْ لَا حَ ذَبُولٍ بِجِسْمِهَا وَارْتِخَاءُ
 فَهُوَ إِنْ لَمْ يَعِشْ فَمُوتٌ مُرِيحٌ وَهُوَ إِنْ عَاشَ عَاشَ فِيهِ الدَّاءُ
 هَكَذَا كَانَتْ الْمَوَالِيدُ تَحِيًّا وَلَهَا مِنْ حَيَاتِهَا إِفْنَاءُ
 وَمَنْ اللَّؤْمُ أَنْ تَرَى عِنْدَنَا الْأَطْفَالَ تَفْنَى لَأَنَّهُمْ فَقَرَاءُ
 لَا غِذَاءَ فِي جُوفِهِمْ لَا كِسَاءَ لَا وَطَاءَ مِنْ تَحْتِهِمْ لَا غِطَاءَ
 إِنَّهُمْ غَيْرُ مُعْرِينَ وَمِنْ حَسْبِ السَّجَايَا أَنْ تُرْحَمَ الْعَجَمَاءُ
 عَلَّ مَنْ لَوْ يَعِيشُ مِنْهُمْ لِأَضْحَى فِيهِ لِلنَّاسِ مَأْمَلٌ وَرَجَاءُ
 رَبُّ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ مَاتَ مَعَهُ شَرَفٌ بَاذِخٌ لَنَا وَعِلَاءُ
 لَيْسَ مَوْتُ الْأَطْفَالِ هَيِّنًا فَقَدْ يَذْ بَغْ مِنْهُمْ نَوَابِغٌ أَذْكِيَاءُ
 إِنَّمَا هُمْ كَمَثَلِ أَصْدَافٍ بِحَرٍّ لَسْتَ تَدْرِي: دُرٌّ بِهَا أَمْ خَلَاءُ
 وَلَعَلَّ الطِّفْلَ الَّذِي مَاتَ مِنْهُمْ مَاتَ عَقْلٌ بِمَوْتِهِ وَدِهَاءُ
 شَأْنُ هَذَا الْبِنَاءِ شَأْنٌ عَظِيمٌ لَمْ تَطَاوُلْهُ فِي الْعُلَى الْجُوزَاءُ
 كَلِمًا قَدْ رَأَيْتُهُ لَمَعَتْ لِي فِيهِ مِنْ تَحْتِ أَسَسِهِ الْعَلِيَاءُ

ونقد دَلَّ أن من شيدوه سادة في طباعهم كرماء
شكر الله سعيهم من رجال بلغوا من فخرهم ما شاعوا
سوف يبقى لهم على الدهر ذكرٌ فيه حمد لهم وفيه ثناء

شكواى من الدهر

أرى الدهر لا يألُو بستر الحقائق
يجرُّ أذيالَ الخطوب بطرقها
ولو لم يجثنا كلَّ يوم موارباً
كأن ليالى الدهر غَضِبَ على الورى
وما طلعت كى تهدي القوم شمسهُ
وكم مدَّع فضل التمدن ماله
وكم عاقلٍ قد عدَّ في الناس أحقاً
وربَّ ذكى لم يكن من ذكائه
وقد تعرَّض الأسماع عن ذى فصاحة
ومن شيم الأيام في الناس أنها
وألف جور الدهر جور يرى به
وما كان كذب القوم في القول وحده
وأقبح مئين في الزمان خرافة
ضلال على مر الجديدين لم تزل

إذا افتقرهن صُبح تلاه بغاسق
ليغفوا منها ما بها من سلائق
لما كان فجر كاذب قبل صادق
فتنظر شراً بالنجوم الشوارق
ولكن لتصليهم جسيم الودائع
من الفضل إلا أكله بالملاعق
وما هو لو يبلى سوى متحامق
سوى ما رَوَّه من ذكاء اللائق
وتصغى إلى ذى الأكنة المتشادق
تجور عليهم باقتطاع العلائق
تذلل معشوق وذلة عاشق
ولكنه في كتبهم والمهراق
تخطُّ بها طرماً يراعة نامق
مغاربنا من أمره كالشارق

• • •

فعدَّ عن الأيام إذ لم تجد بها
نقضت من الدنيا يدى لأننى
سوى لفظ يزرى بفصل المناطق
تعرفت منها ما بها من خلائق

فما أنا وقَّافٌ بها عند منزلٍ ولا أنا بالكِ من حبيبٍ مفارقٍ
ولا عذبتني في العذيبِ صبايةً ولا شأفتني برقٍ لربعٍ يسارقٍ
تعشقت منها حسن كل حقيقة

وأعرضت عن حسن الحسان الغرائق

ولى عند إخوان الصفا أريحيةً إلى كلِّ خِلٍّ في الزمان موافقٍ
إذا ماعقدنا مجلس الأنس بالطلا فبينى وبين السكر خمس دقائق
أقوم إلى كبرى الزُّجاجات مُدهِّقا بمستقطر من خالص التمر رائقٍ
فأفرع بالكأس الروية جبهتي بشربٍ كما عبَّ القَطَا متلاحقٍ
أسابق نُدْمانى إلى السكر طائرا ينجح من الأنس المضاعف خالقٍ
فنادمت أصحابى على غير حشمة وقلت لهم ما قلت غير مُناقٍ
وأغنيتهم عن نقلهم في شرايهم بَمَزَّ طَرِيٍّ من نقول الحقائق
ولم يُبدِ قَى السكر عند اشتداده سوى شكرٍ خِلٍّ أو سوى حمدٍ خالقي
تعودتُ سَبَقِي في الفخار فلم أُرِدْ من السكر أن أحظى به غير سابقٍ
كما اعتادَ سبَقاً في المكارم خَزَعْلُ بلا سابقٍ فيها عليه ولا حقٍ
أميرُ نَمْتَه للمكارم والعلَى جَحَاجِحٍ من كعبِ كرامِ المعاركِ
كذلك أعلَى اللهُ في الناس كعبه بحظ من الجِدِّ المؤثِّلِ فائقٍ
إذا سار سار الجِدُّ في طيِّ بُرْدِهِ يرافقه أَكْرَمُ من مرافقٍ
فيرحلُ من أنسابه في مواكبٍ وينزلُ من إحسابه في سرادقٍ
وإن جاء أغضىء من رآه تَهَيُّباً سوى نظيرٍ منهم بعينٍ مسارقٍ
جوادٌ إذا استمطرته جاد كفه بأغزر من وبل الغيوم الدوافقِ
أحاطت به من كل صوب حدائق كوجهك حُسْنًا في العيون الروامقِ
وفاحت به للناشقين أزاهرُ كأخلاقك الغراء طيبا لناشِقِ
وزان الخليجُ الفارسيُّ بناءه فكان كعقد لَبَةٍ عاتِقِ

أناف على أعلى السحاب معارضا
حوى منك قرماً بأسه ضامن له
فلا غرو أن ينتابه كل خائف
ويرجع عنه من يوافيك راجلا
فدى كل قصر في العراق ومن حوى
هنيئاً لك العيد الذي أنت مثله
أبا الأمراء الصيد جئتك شاكياً
أجرني رعاك الله منها فإنها
أترضى وإني صقر بغداد أنتي
لئن أنكروا حتى فسوف تحقه
أصوغ بها حرّ الكلام لخزعل

بجودك للعافين جود البوارق
بذل أعاديه وعز الأصادق
فيأمن من وقع الخطوب الطوارق
على لاحق الأطلال من نسل لاحق
لقصر زها منكم بحامي الخثاق
لدى الناس عيد غير أن لم تفارق
إليك جنايات الزمان الماذق
رمت كل عظم في منها بعارق
تقدمني فيها فراخ العقاق
شواهد أفلامي بكفى نوامي
مديحا كسمط المؤنث المتناسق

خزانة الاوقاف

للمسلمين على نزورة وفرهم
كنز لو استشفوا به من دائهم
ولو ابتغوا النشء فيه ثقافة
ولو ارتقوا بجناحه في عصرهم
لكنهم قد أهملوه وأعملوا
فإذا نظرت رأيت ثمة أرضه
قد تابعوا الموتى عليه وما وقوا
وقفوا به عند الشروط لواقف
تركوا له في العصر نفعا ظاهرا
لم يستجدوا فيه شيئا واكتفوا

كنز يفيض غنى من الأوقاف
لتوجروا منه الدواء الشافي
لتثقفوا منه بخير ثقاف
لأطارهم بقى وادم وخوافي
في جانبيه عوامل الإنلاف
تجرى الرياح بها وهن سوافي
أهل الحياة به من الإحجاف
وتغافلوا عن حكمة الإيقاف
وتعاملوا فيسه بنفع خافي
في كل حال منه بالسفساف

قل للذين تقيّدوا بشروطه
 غرسوه غرساً مثمراً لكن جرت
 هل بين شرط الواقفين وبين ما
 أنريد أن يققوا الزمان أمورنا
 الأرض مسجدنا فقيم مساجد
 كان الصلاة بمسجد وبغيره
 هلاًّ تجعلن مدارساً فياضة
 ينتابها أبناؤكم كي يأخذوا
 فيفيض فيض العلم حتى يرتوى
 إن لم يكن شرف البلاد محصّناً
 وإذا النفوس تسافلت من جهلها
 هذى الخزانة أنشئت فبناؤها
 ييظن ذو عقل بأن بناءها
 تالله ليس بمنكر تشييدها
 أحيوا بها عصر العلوم للدولة
 عصر الرشيد أبي الخلائف إذ غدت
 في عهد فيصلنا المعظم أنشئت
 فإذا هتفت بحمده وبشكره
 ناديت طلاب العلوم مؤرخاً

ماذا التوقف عند رسم عاقب
 غير الزمان فعاد كالصفصاف
 نفع العموم تناقض وتنافي
 وأمورنا هي الزمان قوافي
 أمست تعدّ اليوم بالآلاف
 في الحكم واحدة لدى الأسلاف
 من كل علم بالزلال الصافي
 من كل فن بالنصيب الوافي
 منه بنو الأمصار والأرياف
 بالعلم كان مهدّد الأطراف
 لم يعلمها شمم على الآناف
 للأمر فيه تدارك وتلافى
 أمر شرط الواقفين منافي
 إلا امرؤ خال من الإنصاف
 خلفاؤها من آل عبد مناف
 بغداد رافلة بمجد ضايف
 علماً يشير لأشرف الأهداف
 ردّ الصدى بنياتها لهتافي
 حجّوا بناء خزانة الأوقاف

التعصب الوطني للأدب

مِنْ جَوْرٍ مِصْرَ عَنِ الْعُرُوبَةِ أَنَّهَا
وَتَحِيدَ عَنِ آدَابِ كُلِّ قَبِيلَةٍ
فَتَرَى بِمِصْرٍ تَعْصِبًا لِأَدِيبِهَا
فَإِذَا كَرَأَوْنِي الْأَدَابَ مِنْ غَيْرِ الْأَلِيِّ
وَأَشَدِّ بَيْنَ فِي غَيْرِ مِصْرٍ مَنُوءَهَا
تَحْفَى بِمَنْشَدِهَا الْقَرِيبَ وَتَدْعَى
فَالشَّاعِرَ الْمِصْرِيَّ فِيهَا فَاضِلَ
وَكَأَنَّمَا أَمْسَتْ مُوَاهِبُ رَبِّهَا
هَذَا لِعَمْرِ اللَّهِ جَوْرٌ عَدَدُهُ
آدَابُ كُلِّ مَعَاشِرٍ كَعُلُومِهِمْ
لِلْعِلْمِ وَالْآدَابِ فِي كُلِّ الْوَرَى
مَنْ أَيْنَ كَانَتْ مِصْرُ فِي أَقْبَاطِهَا
أَبَتِ الْعُرُوبَةُ أَنْ يَقُوقَ هَزَارَهَا

تَتَعَمَّدُ التَّمْصِيرَ فِي آدَابِهَا
لَمْ تَنْتَحِلْهَا مِصْرُ فِي أَنْسَابِهَا^(١)
مَتَوَالِي النَّزَعَاتِ فِي أَعْصَابِهَا^(٢)
فِي مِصْرٍ يَغْضِبُ مِنْكَ أَهْلَ جَنَابِهَا
مَا إِنْ تَرَى فِيهَا لِقَوْلِكَ آيَهَا^(٣)
أَنْ لَنْ يَكُونَ لَهُ الْبَعِيدُ مِشَابِهَا
وَسِوَاهُ مَفْضُولٍ وَإِنْ يَكُ نَابِهَا
مَقْصُورَةٌ فِيهَا عَلَى كُتَّابِهَا
مَنْ فَرَطَ ضَلَّتْهَا أُولُوا أَلْبَابِهَا^(٤)
جَاءَتْ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي اسْتِنْسَابِهَا
دَارٌ مُحَرَّمَةٌ إِيْجَافُهُ بَابِهَا^(٥)
كَمَوَاطِنِ الْأَعْرَابِ فِي إِعْرَابِهَا
صُرِدَ زَقَى فِي مِصْرٍ زَقَى غَرَابِهَا^(٦)

عتاب وولاء

أَقِيمِ رَايَةَ تَحْمِيدِي وَشُكْرَانِي
أَقِيمِهَا رَمَزَ تَعْظِيمٍ عَلَى نَشْرِ
لِلشَّيْءِ ذِي الْأَدَبِ الزَّاكِي بِمَحْتَدِهِ

لِلشَّاعِرِ الصَّادِقِ الْإِحْسَاسِ نَعْمَانِ
مَنْ الْقَرِيبُ رَفِيعَ لَيْسَ بِالْدَانِي
فَرَعَ الذُّؤَابَةَ مِنْ عَلِيَاءِ عَدْنَانِ

(١) تحيد : تميل . وتنتحلها : تدعيها .

(٢) النزعات : جمع نزعة ، وهي الميل مع الهوى .

(٣) آيها : أشدت بك كره وأبه فلان بفلان : غلمان له ، واحتفى به .

(٤) ضلتها : ضللتها .

(٥) إيجافه الباب : إغلافه .

(٦) الصرد : طائر . وزقى : صاح وصوت .

من جاءني بقواف جد زاهية
قد زامن بوشى من بدائعه
لما شدوت بموسيقى براعته
ينوط بالسمع من ألفاظها دررا
لقد فعلت بنفسى حين أنشدها
فقلت والنفس تطفو في مسرتها
يا شاعراً تطرب الدنيا نشأته
أنشدتني رقى تحكى بروعتها
شعر يفيض شعوراً قد نكأت به
إن كان بالشجن الماضي يذكرني
هذا لعمرك شعر قد سررت به



إليك أرسل يا نعمان قافية
أشربت حب بلاد ما نشأت بها
أخلصت حبي لها حتى نسيت به
يا موطناً لست منه في موادة
فكل من فيك تغنيني سعادتهم
إن سرك الدهر يوما سرني وإذا
ما ضرني أن كل الناس تحقرني
وليس ينفعني عز ولا شرف
لو ملكونيك عن قهر بلا ثقة
آليت منذ بلغت الحلم في وطني
تنبئك عن شغفي في حب أوطان
إلا لأدفع عنها كل عدوان
نفسى وأهلى وأحبابى وخلانى
عش بعد موتى عيش الوداع الهانى
وكل أبنائك الأعداء إخوانى
أذاك بالمرعجات الدهر آذانى
إن كنت أنت جليل القدر والشان
إن لم تكن أنت إذا عز وسلطان
ما كنت غير ظلوم فيك خوان
أن لا أقابل نعماء بكفران

وَأَنْ أَكُونَ لَهُ عَوْنًا أَوْ آرْزُهُ
إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَوْفُقْ فِي تَحْرِيرِهِ
لَوْلَا التَّعَاوُنُ بَيْنَ النَّاسِ مَا شَرَفْتُ
لَوْلَا التَّعَادَى الَّذِي تَشْقَى الْوَحُوشُ بِهِ
يَا قَوْمُ إِنِّي مِنَ الدُّنْيَا ضَحِيَّتُكُمْ
وَاسْتَنْصَرُوا اللَّهَ وَادْعُوهُ لِيَنْقُذَكُمْ
لَا تَحْسِبُونِي مِنْكُمْ جَازِعًا ضَجْرًا
إِنِّي أَلَفْتُ عَلَى الْأَيَّامِ مَخْصَمَتِي
تَحْتَارُ نَفْسِي الطَّوْى بِالْعِزِّ قَانِعَةً
أَعِيشْ عَيْشَةً (غَنَدَى) وَهُوَ ذُو جِلْدَةٍ
الْعِزُّ أَكْثَرُ الْإِنْسَانِ مِنْ شَبَعٍ
فَالذِّلُّ يَقْتُلُ نَفْسًا مِنْهُ بَاقِيَةً
وَمَا الطَّعَامُ بِمَا كَوَّلَ لِلذَّاتِ
وَفِي التَّفَارِ غِنًى لِلْمُسْتَقِيمِ بِهِ
وَكُلُّ مَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ عَارِيَةً
وَأَنْ ذَكَرَ الْفَتَى بَعْدَ الْمَمَاتِ بِمَا

بِالنَّصْرِ أَوَّلُ أَنْصَارٍ وَأَعْوَانٍ.
بَنَيْتُ لِلْمَجْدِ فِيهِ خَيْرَ بَنِيَانٍ
نَفْسٌ وَلَا أَزْدَهَرَتْ أَرْضُ بَعْمَرَانَ
مَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْهَا كُلِّ إِنْسَانٍ
فَقَرَّبُوا مِنْ حَيَاتِي كُلِّ قَرِيبَانٍ
مِمَّا بَكُمْ حُلٌّ مِنْ هَوْنٍ وَخُسْرَانٍ
وَإِنِّي يَكُنْ شُطْفِي فِي الْعَيْشِ أَصْوَانِي
فَالنَّعَمُ وَالْبُؤْسُ عِنْدِي الْيَوْمَ سِيَانٍ
وَتَتْرَكَ الْقَصْفَ فِي ذُلِّ الْمُبْطَانِ
فِي الْهِنْدِ يَمْشِي وَثِيدًا شَبَهَ عَرِيَانٍ
وَالذِّلُّ أَقْتُلُ مِنْ جُوعٍ لَجُوعَانَ
وَالجُوعُ يَقْتُلُ مِنْهُ جِسْمَهُ الْفَانِي
وَإِنَّمَا هُوَ تَقْوِيمٌ لِأَبْدَانٍ
عَنِ الْمَطَاعِمِ تَخْلِيطًا بِالْوَانِ
يَزُولُ عَنْهُ وَلَوْ مِنْ بَعْدِ أَحْيَانٍ
يُحْيِي الثَّنَاءَ عَلَيْهِ عَمْرَهُ الثَّانِي

• • •

يَا لَاهُجِينَ بَشْتَسَى فِي مَجَالِسِهِمْ
لَوْلَا تَرْفَعُ نَفْسِي فِي سَفَاهَتِكُمْ
جَادَاتُمُونِي فَمَا أَحْسَنْتُمَا جِدْلِي
وَخَضَمْتُمَا الْبَاطِلَ الْمُبْدَى بِنَعْرَتِهِ
وَمَنْ عَنَاءَ الْإِلْيَاسِ أَنْ يُجَادِلَنِي

نَامُوا عَلَى الْأَمْنِ فِي أَحْضَانِ غَفْرَانِي
أَحْرِقْتُمْ مِنْ لُطْفِي هَجْوَى بَنِيَانٍ
حَتَّى بَذَيْتُمْ بِذَاءِ الْمَاجِنِ الْخَلَايِ
شَتَّى الْأَقَاوِيلِ مِنْ زُورٍ وَبِهْتَانٍ
مَنْ لَيْسَ يَقْرَعُ بِالْبَرْهَانِ بَرْهَانِي

بل يترك القول من عجز ومن خور
تأبى المروءة إلا أن أخالفكم
وأن لى فى إبانى كل شائنة
ولا أريد قصاصا من شتائمكم
تلكم سجية حر النفس يذكرها
يا منتمين إلى عرب وهم عجم
سمح للملامح فى عشونه صهب
كيف استويتم صقورا فى مجاثمكم
وما بكم غير فرد فى جبلته
إذا تسميتمو عربا فلا عجب
تستنثرون صفاراً فى معاطسكم
ورب مستكبر منكم تتلته
فيستكين لهم حتى يكلمهم
كم تظهرون عفافا فى تدبىكم
لو كان فى الجن شىء من خباثتكم
هذى قواف دعائى أن أبوح بها
ذاك الأديب الذى باهى بسيرته
وباهرت فى مساعيه مكارمه
أكرم به يافعا شرح الشباب به

إلى التقول عن زهو وطغيان
فالعشر ديدانكم والنصح ديدانى
عزما يؤيده بالله إيمانى
بل أتبع العفو عنها بعض إحسان
عنى الأخلاء من شيب وشبان
من كل أحمر هيمان بن بيان
مستعجم القول جافى الطبع مرطان
ولستم فى السجايا غير غربان
وأن يكن جاء فى مسالخ إسان
فى أن يسمى ابن آوى باسم سرحان
وتشمخون إلى آفاق كيوان
أيدى الأجانب تل الجارم الجانى
فى رعدة بنسان الخائف العانى
وتضمرون ضمير الفاجر الزانى
لعاذ بالله منها كل شيطان
شعر أتى من زكى النفس نعمان
كل الكواكب من قاص ومن دان
أهل المكارم من أبناء عدنان
ريان من شرف بالمجد مزدان

مناجاة وشكوى

أقول لرب الشعر مهدي الجواهر
فترسلها غرًا هواتف بالعُسلِ
وتشدو بها والقوم صُمٌّ عن العلى
أترجو من الحساد عونًا وناصرًا
كأنك لم تبصر سواد قلوبهم
رؤيدك إن القوم ليسوا كما ترى
فلا تغتر منهم ياد فاعما
رمتهم يد الأيام من جشع بهم
بداءين قتالين تحمت نفوسهم
وقد فرقت أهواءهم في بلادهم
لذلك ترى كلاً يعيش لنفسه
إذا جثتهم أبدوا إليك بشاشة
وإن غبت عنهم أوسعوك مذمة
وقد ينكرن العار فيهم تجاهلاً
فدعهم وما هم فيه من جاهلية
فسوف تراهم من تمادي ضلالهم
ونزّه بليغ الشعر عنهم بتركة
سكبت بحور الشعر قبلك خائلاً
وسيرت من غر القوافي بلجها
بكيت بها الجد المضاع بأدمع

إلى كم تناغى بالقوافي السواحِرِ
يرَوِّدُ منها سمعه كلُّ شاعرٍ
فلم تلقِ إلا غير واعي وذاكرٍ
فتدعو منهم خاذلاً غير ناصرٍ
فهل أنت مغرور ببيض المسافرِ
لدى كل ذي علم بما في السرائرِ
ظواهرهم منقوضّة بالضمائرِ
ومن بطر فيهم بداء المضاررِ
فساد السجيا والتمساح العناصرِ
أنانية حثت عقود الأواصرِ
على عكس عيش عند أهل الخواصرِ
وحسن ابتسام من ثبور مواكرٍ
كأن لم يبتثوا منك قِيلاً لزاكرٍ
فيلقونهم بالمنظر المتخايرِ
يدجون منها في الدياحي الكوافرِ
يعودون في العُتْبَى بصنقة خاسرٍ
لكل كذوب بينهم متشاعرٍ
اعمرك منها كل طام وزاخرٍ
قصائد سارت كالسفين المواخرِ
من الشعر شروى المألوف المتناثرِ

ونحت على الماضي الذي كان زاهراً
فلم أَلَفِ إِلَّا مُنْكَرِينَ مَكَانَتِي
وكما راعني منهم تَمَاسِيحُ خِسَّةٍ
فَقَابَلْتُهُمْ بِالْصَفْحِ عَنْهُمْ تَرْفَعَا
أنا اليومَ من هذِي الحَيَاةِ عَلَى شَفَا
سَأَرْحَلُ عَنْهُمْ عَائِذَا مِنْ شُرُورِهِمْ
مَنَاحَةُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ الْحَرَاثِرِ
يَحِيدُونَ عَنِّي كَالْوَحُوشِ النَّوَافِرِ
تَرِيدُ ازْدِرَادِي بِالْخُلُوقِ الْفَوَافِرِ
وَأَعْرَضْتُ عَنْ شَتَمِ السَّفِيهِ الْمُهَاتِرِ
أَشَارَفَ مِنْهُ مَرَقَدِي فِي الْمَقَابِرِ
بِرَبِّ كَرِيمٍ قَابِلِ التَّوْبِ غَافِرِ

في حفلة الميلاد النبوي

وَضَحَ الْحَقُّ وَاسْتَقَامَ السَّبِيلُ
قَامَ يَدْعُو إِلَى الْهَدْيِ بِكِتَابِ
طَالِبًا مِنَ الْمَجْدِ غَايَةَ قَصْوِي
وَوَصُولًا إِلَى مَقَامِ رَفِيعِ
هَمَّةٍ دُونَهَا الْكَوَاكِبُ نَوْرًا
بِعَظِيمٍ هُوَ النَّبِيُّ الرَّسُولُ
عَرَبِي قَرَّانَهُ تَرْتِيلِ
صَدَه عَنْ بُلُوغِهَا مُسْتَحِيلِ
عَزَّ مِنْ قَبْلِهِ إِلَيْهِ الْوَصُولُ
وَاعْتِلَاءِ يَعْلُو بِهِ وَيَطُولُ

• • •

جَرَدَ اللَّهُ مِنْهُ لَلْحَقِّ سَيْفَا
فِيهِ عَزَمَ لِلْمَهْلَكَاتِ قُحُومِ
وَدَهَاءَ لَوْ مَا كَرَّتْهُ دَوَاهِي
تَدْلَهُمُ الْخَطُوبُ وَالرَّأْيُ مِنْهُ
كُلُّ أَوْصَافِهِ الْخُلَيْيَاةُ بَدْعِ
كَانَ ضِدِينَ حُدَه وَالْفُلُوقِ
وَاصْطَبَارَ لِلنَّائِبَاتِ حُمُولِ
الدَّهْرُ طَرَا لِاغْتَالِهَا مِنْهُ غُولِ
فِي دَجَالِهَا كَأَنَّهُ قَنَدِيلِ
فَهُوَ مِنْ عِبْقَرِيَّةٍ مَجْبُولِ

• • •

أَطْلُقُ النَّاسَ مِنْ تَقَالِيدِ جَهْلِ
كُلِّ فَرْدٍ مِنْهُمْ بِهَا مَغْلُولِ

وشفاهم بهديه من ضلال	كل فرد منهم به معلول
أنهض القوم للعلاء وكانت	في دنى القوم رقدة وخمول
فاستقالت به على الدهر يقضى	همم يعريية وعقول
تلك في الدين نهضة هي	للعقل انتباه والهدى تأثيل
نهضة عالمية في وغاها	من أمام البعير فر الفيل
هي كالبرق سرعة والتماعا	كل أفق بفضلها مشمول
خضعت فارس لها عن صغار	وتداعى إيوانها المستطيل
وإني اليوم قائم في الهند منها	أثر مثل طودها لا يزول
يعرف النيل فضلها وعلاها	من قديم ويشهد الدردنيل
وبها الأرض والسماوات ترضى	وتقر التوراة والإنجيل

* * *

غير أنا عن نهجها اليوم حدنا	واستحلنا وكل حال نحول
حيث عدنا وفي النهوض قعود	ورجعنا وفي الصعود نزول
واختلفنا في الدين حتى اختلفنا	فرقا لا يسيغها المعقول
والترزنا الفروع منه فضاءت	بالتزام الفروع منه الأصول
كل حزب بما لديه فخور	ولمن هم مخالفوه خذول
بدع في حياتنا منكرات	غضب الله فوقها مسدول

* * *

حالة ساءت الرسول وساءت	كل آى بها أتاننا الرسول
لو رأنا والشر فينا كثير	مستفيض والخير نزر قليل
وثغور الضلال مبتهمات	ووجوه الهدى عليها محول
والدعاوى في الحق منا كبار	طال فيها التزمير والتطويل

نعبد الله والعبادة نحن	عند بعض وعند بعض عويل
ونحج القبور كالبيت حجا	يكثُر المسح فيه والتقبيل
ونعبد الركوع للقبر حلا	وهو في الدين ما له تحليل
ونزجي إلى القبور ندورا	فضحايا مسوقة وحول
ونقول التوحيد قولاً وكل	هو للشرك عامد وفحول
قال مستنكراً لما نحن فيه :	ما بهذا قد جاءني جبريل
أين دين التوحيد منكم وأين	الأوب لله وحده واتقول
أنا حرمت كل ما كان فيه	شبه للأصنام أو تمثيل
كل من قال منكم إن هذا	هو دين الإسلام فيو جهول
لِمَ لِمَ تحفظون إخوة دين	جاءكم ناطقاً به التنزيل
كان جبل الإخاء فيكم وثيقاً	كيف أمسى وعقده محلول
نست منكم ببأس بل نهوض	منكم بعد فترة مأمول
فأجمعوا الشمل ناهضين فإن	الكفر في الدين عجزم والحول

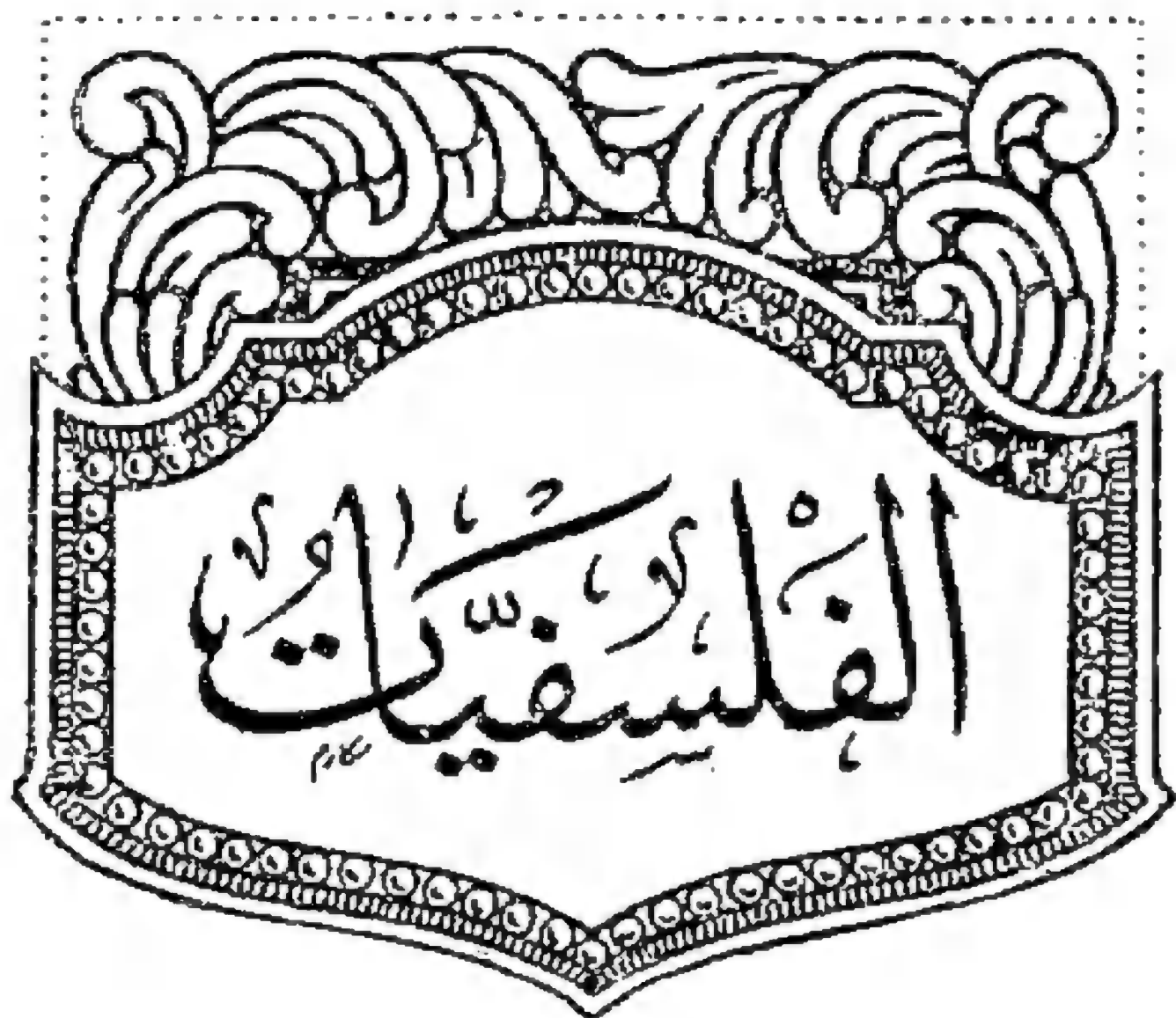
إلى العمال

كل ما في البلاد من أموال	ليس إلا نتيجة الأعمال
إن يطب في حياتنا الاجتماعية	عيش فالفضل للعمال
وإذا كان في البلاد ثراء	فبفضل الإنتاج والابدال
نحن خلق المقدرات وفيها	لا حياة للعاطل المكسال
عندنا اليوم في الحياة نظام	قد حوى كل باطل ومحال
حيث يسعى الفقير يسعى أجير	لغنى مستأثر بالغالال
فترى الكثيرين في طيب عيش	أرغذته لهم يد الاقلال

وترى الغائصين في البحر أمسى
وترى المعسرين في كل أرض
أكثر الناس يكدحون لقوم
واحد في النعيم يلهمو وألف
حالة في معاشنا أسلكتنا
فترانا بعضا لبعض لبسنا
تلك عاد مستهجنات ورثناها
فإلى كم نشقى وحتى م نبقى
إنما الحق مذهب الاشتراكية
مذهب قد نحى إليه أبو ذر
ليس فضل الزكاة في الشرع إلا
مبدأ ذو مقاصد ضامنت
موصلات إلى السعادة في العيش
ليس للمرء أن يعيش بلا كد
كل مجد يبني على غير معنى
ليس قدر الفتى من العيش إلا
ما رهوس الأموال إلا أداة
مثل شد الأحمال شد المساعي
صاح ماذا تجدى الدنانير لولا
أفتأتى من الطعام بديلا
حاجة المرء أكلة وكساء
إن للعيش حومة في وغاها

لسواهم ما أخرجوا من لآلى
كعبيد والموسرين موالى
قدموا في قصورهم والعالى
في شقاء وأبؤس واعتلال
طرقات الخاتل الختال
من خياناتنا مسح الثعال
قديمنا من العصور الخوالى
هكذا في عماية وضلال
فيما يختص في الأموال
قديمنا في غابر الأجيال
خطوة نحو مبتغاه العالى
ما لأهل الحياة من آمال
هواد إلى طريق التعالى
وإن كان من عظام الرجال
فهو مجد مهدد بالزوال
قدر إنتاج سعيه المتوالى
المساعى كالحبل للأحمال
ودنانيرها لها كالحبال
همم الدائبين في الأشغال
أفتغنى عن كسوة ونعال
وسوى ذاك بسطة في الكمال
لا تحق الحياة للبطال

رحاها إلا على الأبطال	إنها مثل حومة الحرب ما دارت
وسوى الكد ما بها من قتال	وسوى الخدق ما بها من سلاح
ومنه الأعمال مثل الصيال	بطل الحرب مثله بطل السعي
مثل إشرائه لسل العوالي	ونشاط منه يبيض المساعي
بينكم مُرخص لكم كل غال	أيها العاملون إن اتحاداً
بسوى الاتحاد من إبلال	ما لعيش تشقون فيه سقاما
ومعيناً له على كل حال	فليكن بعضكم لبعض نصيراً
فلا أكون مغال	وإذا قلت أنكم أنتم الناس جميعاً
وارقبوا ما به ستاتي الليالي	فاعملوا دائبين غير كسالى
زمرة العمال	ثم قولوا معي مقالا رفيع الصوت فلتحيي



خواطر شاعر

تجاه شاعرية الريحاني

لعمرك ما كلُّ انكسار له جبرٌ ولا كلُّ سرٍّ يُستطاع به الجهرُ
لقد ضربت كفَّ الحياة على الحجا ستاراً فعلم القوم في كنهها نذر^(١)
فقمنا جميعاً من وراء ستارها تقول بشوق : ما وراءك يا ستر؟
حكمت سرحة فتواء نبصر فرعها ولم نذر منها ما الأنايش والجذر^(٢)
وقد قال بعض القوم إن حياتنا كليل وإن الفجر مطلعه القبر
فإن كان هذا القول فيها حقيقة فيأشدد ما قد شاقني ذلك الفجر
ورُوح الفتى بعد الردى إن يكن لها بقا وحس فالحياة هي الخسر
وإن رقيت نحو السماء فحبذا إذا أصبحت مأوى لها الأنجم الزهر

* * *

وأعجب شأن في الحياة شعورنا وأعجب شأن في الشعور هو الحجر^(٣)
وللنفس في أفق الشعور مخايل إذا برقت فالفكر في برقها قطر
وما كلُّ مشعور به من شئونها قديرٌ على إيضاحه المنطق الخُر
ففي النفس ما أعيا العبارة كشفه وقصر عن تبيانه النظم والنثر
ومن خاطرات النفس ما لم يقيم به بيان ، ولم ينهض بأعبائه الشعر

(١) يقول بهذا البيت والذي بعده : إن لنا من حياتنا سترأ سدولاً على عقولنا . فليس لنا من العلم بما وراء ستر الحياة إلا النزر اليسير ، ولكن عندنا شوق كبير إلى معرفة ما وراء الحياة ، حتى إن كلامنا قائم عند الستار وهو يسأل قائلاً : ما وراءك يا ستر؟

(٢) السرحة : الشجرة العظيمة . وفتواء : كثيرة الأذناب ، واسعة الظل . وأنايش : أصول الشجرة تحت الأرض ، واحدها : أنبوش . وجذر الشجرة : أصلها . بين في البيتين السابقين جم : بما بعد الحياة ، أي بمنتهىها ، وبين بهذا البيت : جعلنا بما قبلها : أي بمبتدأها .

(٣) الحجر : بكسر فسكون : العقل ، والشعور أعم من العقل ، لأنه علم الشيء علم حس ، والعقل جوهر تدرك به النفس الكمالات من العلوم الضرورية والنظرية . يقول : إن ما للحياة من الشعور لعجيب ، وإن العقل أعجب شأن من شعور الحياة ، فانها بما لها من الشعور والعقل أصبحت من المعينات .

ويارب فكر حالك في صدر ناطق
ويارب معنى دق حتى تخاوصت
أرى اللفظ معدوداً فكيف أسومه
وأفق المعاني في التصور واسع
ولولا قصور في اللغا عن مرامنا
ولست أخص الشعر بالكلم التي
وذاك لأن الشعر أوسع من لغا
وما الشعر إلا كل ما رنح الفتى
وحرك فيه ساكن الوجد فاعتدى
فمن نفثات الشعر سجع حمامة
ومن شذرات الشعر حوم فراشة
ومن ضحككات الشعر دمة عاشق

فضاق من النطق انفسح به الصدر
إليه من الألفاظ أعينها أخزر^(١)
كفاية معنى فاقه العد والحصر^(٢)
يتيه إذا ما طار في جوّه الفكر^(٣)
لما كان في قول المجاز لما عذر^(٤)
تنظم أحياناً كما تنظم الدر
يكون على فعل اللسان لها قصر
كما رنحت أعطاف شاربها الخمر^(٥)
مهبجاً كما يستن في المرح المهر^(٦)
على أيكة يشجي المشوق لها هدر^(٧)
على الزهر في روض به ابتسم الزهر
بها قد شكا الموصل ما فعل الهجر

(١) تخاوصت : أى غضت من بصرها شيئاً . يقال : تخاوص : إذا غص من بصره شيئاً ؛ وكذلك يفعل الناظر إلى شئ دقيق . وأخزر : جمع خزرء ، وهى العين الصغيرة الضيقة . ومعنى البيت : أن من المعاني ما يدق حتى تقصر عن بيانها الألفاظ .
(٢) أسومه : أى أكافه . يقول إن الألفاظ متناهية ، والمعاني غير متناهية ، فكيف يحيط للمتناهى بغير المتناهى .

الفكر : ترتيب أمور معلومة لتأدى إلى مجهول ، فالفكر نتيجة مترتبة على الشعور والإدراك . يقول : إن الشعور بمنزلة الخايل للنفس . والخوايل : هى السحب المنذرة بالمطر ، فإذا برقت فى النفس مخايلها ، كان قطرها الفكر .

(٤) يقول : إن البقاء لا عذر ذم في استعمال المجاز ، إلا كون الألفاظ قاصرة عن أداء المعاني المطلوبة ، فإن قصورها عن أداء المعنى هو الذى يضطرهم إلى الخروج بها عما وضعت له ، لىكى يتوصلوا بذلك إلى أداء المعنى المراد .

(٥) معنى هذا البيت والذى بعده أن الشعر لا يختص بالكلام المنظوم ، ولا بالمشور ؛ بل هو أوسع وأعم من الكلام المؤدى باللسان . ثم بين فى الأبيات التالية معنى الشعر ، فقال : هو كل ما أثر فى المرء ورنحه كما رنحه الخمر ، وحرك فيه ساكن الوجد ، ثم أخذ يفصل ذلك بقوله : « فمن نفثات الشعر » الخ . . .

(٦) مهبجاً : منفلاً تأثر الوجدان . يستن المهر : يعدو . والمهر : ولد الفرس .

(٧) الهدر : صوت الحمام .

ومن لَمَعَاتِ الشعرِ نظرةٌ غادةٌ بنجلاء تسي القلب في طرفها فَنَرٌ^(١)
ومن بَهْرَاتِ الشعرِ رَنَّةٌ ثا كل مُفَجَّعةٌ أودى بواحدِها الدهر
ومن فَنَحَاتِ الشعرِ ترجيعٌ مُطْرِب تعاوَرَ تَجْرَى صوته الخفضُ والنَّيرُ^(٢)
وإن من الشعرِ ائتلاقٌ كواكب بِنُجْحِ الدُّجَى باتت يضاحكها البدر^(٣)
وإن لريحانينا شاعرية من الشعر فيها يقال هي الشعر
وما الشعر إلا الروضُ أماً أميناً فريحانة ، وأخْلَقَ منه هو النَّشْرُ^(٤)
وإن لم يكن شعري من الشعر لم يكن لَعَمْرُؤُ النِّهَى للشعر عند النِّهَى قَدَرٌ^(٥)

وجه ابن آدم

لله سرٌّ في الأنام مُطْلَسٌ حار الفصيحُ بوصفه والأعجم^(٦)
برأ ابنَ آدمَ وهو إن لم تلقه في الخَلْقِ أقدمَ فهو فيه مُقَدَّم
وإذا نظرنا في العجائب نظرةً ظهر ابن آدم وهو منها الأعظم
أما العجيبُ من ابن آدم فهو ما نسق الكلام به إذا نطق الفم^(٧)
والوجه أعجب ما رأيت وإنه ليحار في سَحْنائِهِ المتوسِّم^(٨)
هو من طِرَازِ الله إلا أنه بسرائر النفس الحديثة مُعَلِّم^(٩)
أما الحواجب فهي فيه كواشفٌ والعين فيه عن الصَّير تترجم

- (١) نجلاء : عين واسعة .
(٢) تعاوَرَ : تراوَل . النبر : رفع الصوت بالكلام والغناء ونحوهما . (٣) ائتلاق : لمعان .
(٤) النَّشْر : الرائحة الطيبة . (٥) النِّهَى : جمع نهية ، وهي العقل .
(٦) المُطْلَس ، بصيغة المفعول : من طلس الساحر إذا كتب السلام ، والمراد بكون السر مطلساً أنه كتب عليه طلسم بالأبجدية يصل إليه أحد .
(٧) أى أن العجيب من ابن آدم هو القوة الناطقة التي إذا تكلم نسق بواسطتها الكلام .
(٨) السحناء : محركة وكصجراء : الهيئة واللون . والمتوسم : الناظر إليه المتفرس ، الذي يطلب منه أى علامته .
(٩) الطراز : يطلق على الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة ، يقال عمل : هذا الثوب في طراز فلان ، ومن المجاز قولهم الوجه المليح « هو مما عمل في طراز الله » . والمعلم ، بصيغة المفعول : المجهول له علامة ، والمعنى ظاهر .

ولرب خافية يكتُمها الفتى والوجه منه بسرّها يتكلّم
كلّ يشير إلى السريرة وجهه فكأنّه بضميره متلّم
فالوجه فيه من القرونة مسحة للخافيات بها وضوح مبهم^(١)
صرع النهى فالوهم فيه تيقن تحت الملامح واليقين توهم^(٢)
ولرب وجه في تبسمه البكا ولرب وجه في بكاه تبسم
والأنف في وجه ابن آدم زينة فالوجه لو لا أنفه متجهم
كالهذب في شفر العيون فإنه لولاه تَشَتَّر العيون وتسجم^(٣)

إن الوجوه صحائف مطموسة يمحو كتابتها ويثبتها الدم^(٤)
بينك تقرأ حرفها متفهماً يبدو تحرفها فلا تتفهم
فالعقل فيها عالم متجاهل طوراً وطوراً جاهل متعلم
إني أرى هذى الوجوه نواظراً بالسير لكن نطقهن مجهم^(٥)
وأرى لحاظ عيونها متحدّثاً عنها ولكن الحديث مرجم
فكأنني البدوي يسمع راطناً وكأنما هي أعجمي طيطم^(٦)

(١) القرونة : النفس ، ومعنى قوله « وضوح مبهم » : أنك ترى ما يخفيه الإنسان واضحاً في وجهه ، ولكنه مع ذلك لا يزال مبهماً عندك ، إذ لا تعلمه يقيناً .

(٢) المراد بكونه صرع النهى : أنه غلبها . والضمير في صرع يعود إلى الوجه . والنهى : جمع نهية ، وهي العقل . واللامح : ما بدا من محاسن الوجه ومساوئه ، جملة على غير لفظها ، وهو من النوادر ، يقال : في فلان ملامح من أبيه : أي مشابه . ومعنى البيت : أن العقل مغلوب تحت ملامحه ، فهو يتردد بين الوهم واليقين .

(٣) الهذب : شعر أشجار العيين . وتشتت : أي تكون شتاء ، أي ذات شتاء ، وهو انقلاب الحقل من أعلى وأسفل « أو انشقاقه ، أو استرخاؤه . وتسجم : أي تسيل الدم .

(٤) مطموسة : محوّة . والمراد محو الدم . كتابتها : عدم فهم شيء منها ، وبإثباته إيّاها : فهم شيء منها ، أي أن الناظر فيها بين فهم وغير فهم ، كما قد فسر ذلك بالبيت الذي بعده .

(٥) مجهم : بصيغة المفعول : أي غير بين « من ججم الكلام : إذا لم يبينه .

(٦) راطن : متكلماً بالأعجمية . وأعجمي طيطم : في لسانه عجمة لا يفصح .

وَلَرُبَّ وَجْهٍ يَسْتَبِيكُ بِحُسْنِهِ فَيَتَرَوَّحُ مِنْهُ وَأَنْتَ صَبٌّ مُعْرَمٌ
يَبْدُو إِلَيْكَ وَأَنْتَ خِلْوٌ مِنْ هَوًى وَيَصْدُ عَنْكَ وَأَنْتَ فِيهِ مُتَمِّمٌ
وَإِذَا تَغَيَّبَ فَالْبَدُورُ مُضِيئَةٌ وَإِذَا أَضَاءَ فَكُلُّ بَدْرٍ مُظْلَمٌ
لِلَّهِ فِي وَجْهِهِ ابْنُ آدَمَ حِكْمَةٌ يَعْنُو السَّفِيهَةُ لَهَا وَمَنْ يَتَعَلَّمُ

ما وراء القبر

مَتَى تُطْلَقُ الْأَيَّامُ حَرِيَّةَ الْفِكْرِ فَيَنْشَطُ فِيهَا الْعَقْلُ مِنْ عُقْلَةِ الْأَمْرِ^(١)
وَيَصْدَعُ كُلُّهُ بِالْحَقِيقَةِ نَاطِقًا وَيَتَرَكُ مَا لَمْ يَدِرْ مِنْهَا لِمَنْ يَدْرِي^(٢)
أَرَانَا إِذَا رُمْنَا بِيَانِ حَقِيقَةِ عَزِينَا مَعَآذَ اللَّهِ فِيهَا إِلَى الْكُفْرِ^(٣)
جَهَنَّمَ أَشَدَّ الْجَهْلِ آخِرُ عُثْرِنَا كَمَا قَدْ جَهِلْنَا قَبْلَهُ أَوَّلَ انْعَمَرِ
هَمَّا سَاحِلًا بِحَرٍّ مِنَ الْعَيْشِ مَا نَحْجُ قَفَى أَيْ أَمْرٍ نَحْنُ بَيْنَهُمَا نَحْرِي
وَمَنْ أَيْنَ جِئْنَا أَمْ إِلَى أَيْنَ قَصَدْنَا ؟ وَفِي أَيْ لَيْلٍ مِنْ تَشَكُّكِنَا نَسْرِي ؟
كَأَنَّا أَتَيْنَا وَالْمَعِيشَةَ لُجَّةً لِنَعْبُرَ وَالْأَعْمَارَ جِسْرًا إِلَى الْقَبْرِ^(٤)
وَمَاذَا وَرَاءَ الْقَبْرِ مِمَّا نُرِيدُهُ وَهَلْ مِنْ مَدَى بَعْدَ الْعُبُورِ عَلَى الْجِسْرِ^(٥)
نَسْأَلُنِي نَفْسِي وَالْمَوْتَ حَمُولَةً أَلَا هَلْ لِكُسْرِ الْمَوْتِ وَيَحْكُ عَنْ جَبْرِ^(٦)
لَعَلَّ حَيَاةَ الْمَرءِ لَيْلٌ سَتَنْجَلِي غِيَاظُهُ مِنْ سَكْرَةِ الْمَوْتِ بِالْفَجْرِ^(٧)
فَإِنْ كَانَ ذَا حَقًّا فَإِنْ حَيَاتِنَا كَمَا قِيلَ سِتْرٌ وَالرَّدَى كَاشِفُ السِّتْرِ
وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الرُّوحَ تَبَقَّى فَبَلِّ لَهَا عُرُوجَ إِلَى الْأَعْلَى إِلَى الْأَنْجَمِ الزُّهْرِ
وَهَلْ تَعْرِفُ الْجَنَانَ بَعْدَ عُرُوجِهَا فَتَمَكَّنَتْ مِنْهُ فِي السَّمَاءِ عَلَى ذِكْرِ

(١) عُقْلَةٌ : مَا تَعْقِلُ بِهِ الرَّجُلُ وَتَقْيِدُ .

(٣) عَزِينَا : نَسِينَا .

(٥) الْمَدَى : الْغَايَةُ .

(٧) غِيَاظُهُ : جَمْعُ غَيْظٍ ، وَهُوَ الظَّالِمَةُ .

(٢) يَصْدَعُ : يَجْهَرُ .

(٤) اللُّجَّةُ : الْمَاءُ الْكَثِيرُ .

(٦) حَمُولَةٌ : قُوَّةٌ . وَيَحْكُ : رَحْمَةٌ لَكَ .

إذا أرضنا كانت سماء لغيرها
 وهل عَرَجَتْ أرواح مَنْ في عطارِدِ
 خيالٍ به رُحْنَا نعللْ أنفُسًا
 وشبهَ بالنهر الحياةَ معاشرَ
 ولسكنهم أعياء عليهم مَصَبُهُ
 فيا ليت شعري أين ينصبّ جارياً
 لعمرِكَ ما هذى الحياة وما الذى
 نحاول عماءً بالحياة وإنَّ ذا
 ونسلك منها في تَجاهلٍ قفرةٍ
 على أننا نَمضى إلى أمر ربنا
 فما من عُروج بل نزول إلى القعرِ
 إلى الأرض أم هذا الكَلَامُ من الهذرِ^(١)
 هَزَّ أَنْ به لَمَّا رَجَعْنَ إلى الحجرِ^(٢)
 فتنبعه في رأيهم قِدَمُ الدهرِ
 وإن رَجَّحُوا بالظنِّ في منبع النهرِ
 أَعَوْدًا لبدء أم إلى غايةٍ يجري
 يُراد بنا فيها من الخير والشرِ؟
 مَنوط إلى ما ليس يُدرِك بالفكرِ
 فنخرج من قفَرٍ وندخل في قفَرٍ
 كما أننا آتون من ذلك الأمرِ

لو

لو أسكرَ الإنسانَ باطلُ أمره
 لو قاس كلُّ فتى سواه بنفسه
 لو أنصف الخُصمان ما اصطاد الرُشَاءُ
 لو أخلص الإنسان في إحسانه
 لو لم يَشْكُ بربه متفلسِفٌ
 لم تلق غير مُعَرِّدٍ سَكْرَانٍ^(٣)
 فيما أراد لما تعادى اثبات
 أهلُ القضاء بما ادَّعى الخُصمان^(٤)
 لم يرجُ أن يُجزى على الإحسان^(٥)
 في الدين لم يحتجَّ بالبرهان^(٦)

(١) الهذر ، بفتح الهاء : الهذين والكلام الذى لا يجاب به .

(٢) نعلل : نللى ونللى . والحجر : العقل .

(٣) يريد : لو كان الباطل مسكراً كالخمر لرأيت الناس كلهم سكارى .

(٤) هذا البيت قريب في معناه من القول المشهور : « لو أنصف الناس استراح القاضي » غير

أن معنى البيت لو أنصف الناس لما فسدت أخلاق القضاة باتخاذهم دعاوى الخصوم آلة لاصطياد الرشاء .

(٥) أى لأن من أحسن وهو يرجو المكافأة على إحسانه لم يكن عسناً في الحقيقة إلا إلى

نفسه ، فهو لذلك غير مخدس في إحسانه .

(٦) أن لأن احتجاجه بالبرهان دليل على ماخامره من الشك .

و أن عقل المرء يغلب حبه
لولا جهود في الشرائع مَهْلِكَةٌ
لو كان قصد الدين غير سعادة الناس
لو أخلص الرجل التقى بدينه
لا خير في تقوى امرئ لو لم يخف
لو كان أمر الحج معتولا لما
لو حكم العقل المحجج بحجهم
لو أخلص الغزى بنصرة دينهم
كذبت قريش لو تقادم عهدا
لو كان للشيطان معنى غير ما الـ
لو يجعل الناس التعاون دأبهم
لو أن أخلاق الرجال تهذب
ومحبة الأوطان لولاها لما
والنفس لم يلجأ إلى الأديان^(١)
لتغيرت بتغير الأزمان
نبا لكان الكفر كالإيمان^(٢)
ما كان ذا طمع بحور جنان
نار الجحيم لَنَجَّ في العُصيان
كان استلام القوم للأركان
أبوا الطواف بتلكم الجدران
ما حلَّ سبي حرائر النسوان
في الجسد ما خدعت أباغيشان^(٣)
إنسان ما آمنت بالشيطان
تتمتعوا بسعادة العُمران
لتكشفت حجب عن النسوان^(٤)
عرف الأنام عداوة الأوطان^(٥)

(١) لاشك أن حب النفس هو الأصل الوحيد الذي يمكن الرجوع إليه في تعليل أفعال الإنسان كلها ، ومعنى البيت أن حب النفس هو الذي يدفع الإنسان إلى التمسك بما تقوله الأديان من الحياة الأخرى ، لأنه يحب الخلود لنفسه ، ولا يرضى لها أن تفنى وتذهب بسدى بعد الموت .

(٢) هذا رد لما يقوله بعض الناس من أن غاية الدين أخروية محضة ، لاعلاقة لها بالدنيا ، وهذا باطل ، لأن الدنيا قطرة الآخرة ، وإذا كانت القطرة غير صالحة للعبور تعذر الوصول إلى المصاوب . ومعنى البيت : أنه لو صح ما يقوله هؤلاء ، من أن غاية الدين أخروية محضة ، لتساوى الكفر والإيمان في الدنيا ، ولكنهما غير متساويين في الدنيا ، لأن البهانة تشهد بأن صاحب الإيمان أهدي في أمور دنياه من صاحب الكفر .

(٣) قواه أباغيشان : هو رجل من خزاعة كان يلى سدانة الكعبة قبل قريش ، وأسكره وهى ، واشترى منه مغاييح الكعبة بزرق خر ، ثم أفان نادما ، فضرب به المثل في الحق والندم وخسارة الصفقة . ومعنى البيت ظاهر .

(٤) أى أن تحجب النساء عندا معاشر الشرقيين لم يكن إلا من فساد أخلاق الرجال ، فلو تهذب أحوالهم لارتفع الحجب .

(٥) أراد بمحبة الأوطان هنا : المحبة السياسية ، التى يتخذها صاحب السياسة ذريعة إلى تهيج الشعوب إلى الحروب ، ولاشك أن هذه المحبة هى أساس العداوات الوطنية بين الأمم قاطبة .

لو كان خير في المجرة لم يكن في الأرض شرّ دائم الغليان^(١)
لو نَمَّ في فلك الثريا سعدُها لم تُنَمَّ بالعيوق والدبران
لو لم يكن فزعاً سهيلاً لم يبت في أفقه متتابع الخفقان

حقيقتي السلبية

أحب صراحتي قولاً وفعلاً وأكره أن أميل إلى الرياء
فما خادعتُ من أحدٍ بأمر ولا أضمرتُ حسواً في ارتغاء
ولست من الذين يرون خيراً بإبقاء الحقيقة في الخفاء
ولا ممن يرى الأديان قامت بوحي مُنزلٍ للأنبياء
ولكن هنّ وضع وابتداع من العقلاء أرباب الدهاء^(٢)
ولست من الآلى وهموا وقالوا بأنّ الروح تعرج للسماء^(٣)
لأن الأرض تسبج في فضاء وما تلك السماء سوى الفضاء
ولست من الذين يرون فخراً لمفتخر يهراق الدماء^(٤)
ولا ممن قد ارتبطوا بماض فعاشوا ينظرون إلى الوراء
ولا ممن يرى للناس حكماً سوى الحكام أرباب القضاء
ولا ممن تودّد في حضور وعند الغيب جاهر بالعداء
ولا ممن يرى الأنساب ممّا يمتُّ به الأنام إلى العلاء^(٥)

(١) الأرض : كوكب تابع للشمس ، ومنفصل عنها . والشمس : كوكب من كواكب المجرة ، فيصح أن نستدل بما في الأرض على ما في المجرة ، لأنها أى الأرض جزء من المجرة ، ونحن نرى في الأرض شراً دائماً الغليان ، في المجرة شر أيضاً دائماً الغليان . وهذا هو معنى الحديث .

(٢) . هذا البيت ينظر إلى بيت المعري في اللزوميات :

أفيقوا أفيقوا يا غواة فإنيما دياناكم مكر من القدماء

(٣) نخرج : تصعد . (٤) يهراق الدماء : إسالتها بالحروب ونحوها من ضروب التعدي .

(٥) يمت إلى الشيء : يتصل به بسبب .

ولا تَمَنَّ إِذَا وَبَّئُوا اسْتَغَاذُوا بِتَمَتَّةِ الدَّعَاءِ مِنَ الْوَبَاءِ^(١)
 ولا من معشر صَلَّوْا وصَامُوا لِمَا وَعَدُوهُ من حسن الجزاء
 ولا تَمَنَّ يَرُونَ اللهَ يَجْزَى عَلَى الصَّلَوَاتِ بِالْحُورِ الْوِضَاءِ^(٢)
 ولا تَمَنَّ يَرَى الْأَشْيَاءَ تَقْنَى بِخَيْثَ تَكُونُ مِنْ عَدَمِ هَوَاءِ
 ولكن هُنَّ فِي جَمْعٍ وَفَرَقٍ تَبَدَّلُ مِنْهُمَا صُورُ الْبَقَاءِ
 ولست من الذين يَرَوْنَ فَضْلًا كَبِيرًا لِلرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ
 ولكن دالتِ الْأَيَّامُ حَتَّى يَهْلَوْنَ يَهْلَوْنَ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ

حياة الورى

حياة الورى جِسْرٌ مَدِيدٌ وَإِنَّمَا عَلَيْهِ الْوَرَى يَمْشُونَ مِشْيَةً عَابِرٍ
 وللموت كَسْرٌ لَيْسَ يُمْكِنُ جَبْرُهُ بَلْفٌ ضَامِدٌ أَوْ بَشْدٌ الْجَبَائِرِ^(٣)
 وقتل الردى قتلٌ جَبَّارٌ فَلَمْ تَكُنْ لَتَتَذَرِكُ فِيهِ ثَأْرَهَا نَفْسٌ ثَائِرٌ^(٤)
 فَإِنْ مَتَايَتَا سَهَامٍ عَوَائِرُ وَكَيْفَ اثْتَارٌ فِي السَّهَامِ الْعَوَائِرِ^(٥)
 أَرَى النَّاسَ طُرًّا فِي الردى غَيْرَ أَتَمِّهِمْ ثَوَّوْا بَيْنَ مَقْبُورٍ هُنَاكَ وَقَابِرٍ
 وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا هُوَّةٌ أَدْلَجَ الْوَرَى إِلَيْهَا بِمَسُودِ الدُّجَّةِ كَافِرٌ^(٦)
 فَهَمُّ أَبَدًا يَسَاقُطُونَ لَقَعْرِهَا تَسَاقُطُ عُيِّي فِي عِمَاقِ الْحَفَائِرِ
 أَرَى كُلَّ حَى فِي الْحَيَاةِ مِمَّنَّلَا رَوَايَةُ رُؤْيَا مِنْ كِتَابِ الْمَقَادِرِ

(١) وبَّئوا : أصيبوا بالوباء .

(٢) الحور : جمع حوراء ، وهى التى اشتد سواد عيناها وبياضها ، وهذا من الجمال عند العرب .
 والوضاء : جمع وضيمة ، وهى الجميلة ، النقية البشرة .

(٣) الضماد : الخرقه تلف على العضو الكبير أو الجريح . والجبائر : جمع جبيرة ، وهى خشبات تشد بجانب العظم المكسور حتى يعطب ويشتد .

(٤) القتل الجبار : الذى لا دية معه . (٥) السهم العائر : الذى لا يعلم من رماه .

(٦) الإدلاج : السير فى الدلجة ، وهى الليل كله ، أو وقت السحر .

رواية رؤيا قد جرت في ديارنا فجاءتني حتى انتهت في المقابر
لقد قدّم الموت الحياة أمامه نذيراً ومن يُنذر فليس بغادر
فلا عجب أنّا نرى كل ساعة أكفّ الناي دميات الأظافر

حبذا النوم

إلى صاحبة مجلة « الفجر »

قل لنجلاً نجلاً أبي اللّمع إني عاشق نور فجرها الوضاح
هو للعلم خير فجر تجلّى مستنيراً بأشهر الأوضح
وصرير الأقلام في الطرّس منه كصياح الديوك في الإصباح
كم تصفحت فيه من صفحات عطرتني بنشرها الفياح
فكأنّ في النفس والطرّس منها ناظر في بنفسج وأقايح
ثم إني قرأت فيه لأسماء كلمات بديعة الإفصاح
أيقظتنا بها إلى أن في النور م ارتياحاً لنا وأى ارتياح
صدقت في الذي تقول ففحوى قولها في غنى عن الإيضاح

• • •

حبّذا النوم فهو للروح رّوح من عناء الهموم والأفراح
وهو تجديد قوّة ونشاط لحسوم رّوايح أطراح
حبّذا النوم ترتقي النفس فيه عالماً فوق عالم الأشباح
« تليفون » به إلى الغيب نصغي و « تلسكوبنا » إلى الأرواح
حبّذا النوم إنه شرك يمتدّ في الجسم لاصطياد ارتياح وهو للجسم من دواعي الصلاح
فهو للنفس من مراقى المعالي

حَبَّذا النومُ فهو كالزيت للبرؤ ح به تضيء كالصبح
وهو معراجنا إلى أفق غيب لن تنأى أبعاده والنواحي
حَبَّذا النومُ واصلاً بين حيّ ذى ثواء وميت ذى براح
حبذا لنوم جامعاً بين معشوق مقيم وعاشق ذى انزعاج
إن النوم لذة هي في الأنفوس أشهى من لذة الأفراح
أدركتها النفوس بالفعل واستغفمت بإدراكها عن الإيضاح
أيها القوم إن للنوم سلطاناً قويا لا يتقن سلاح
نافذ الحكم في القضاء على الإنسان في حزنه وفي الأفراح
وعلى الأسد وهي في الغاب تدأى وعلى الطير وهي في الأدواح^(١)

بين الروح والجسد

أرى للروح بالبدن اتصالاً	خفياً لا تبين له رسوم
تطيف به الهواجس شاعرات	وتعجز عن حقيقته الفيوم
فإن الروح للجسم تسلف	به منها ومنه بها رسوم
يتم كلاهما — هذا بهذا	كذلك تم أمرهما القويم
فلا جسد يقوم بغير روح	ولا روح بلا جسد تقوم
هما متلازمان فما لكل	بغير قرينه أبداً لزوم
لذلك كانت الأرواح منا	بحيث تهبي إذا وهت الجسوم
ولست أظن أن الروح تبقى	إذا حيت من الجسد الرسوم
وربما يكون لها دوام	ولكن غير شاعرة تدوم

(١) دأى له بدأى دأياً ودأوا : إذا ختله ، والدأب يدأى للغزال ، وهي مشية شبيهة بالختل .
والأدواح : جمع دوح ، والدوح : جمع دوحه ، وهي الشجرة الوارفة الأغصان ، الواسعة الظلال .

وما هبطت من الخضراء ولكن من الغبراء أنبتها الحكيم^(١)

وأما هذه الأجسام منا	فتبنيها المآكل والطعوم
وترونها المشارب والحاسي	وتذويها اللوافح والسموم
ويوهنها التقشف والتضي	ويحسنها التترف والنعيم ^(٢)
وبعض من مطاعنا غذاء	تُحَاك على العظام به اللحوم
وبعض من مطاعنا وقود	تديم به حرارتها الجسوم
له في جوف آكله احتراق	تكون رماده فيها الشحوم

* * *

والأرواح كالأجساد زاد	به تنمو المشاعر والخلوم
هو النعم الرقيق من المثاني	هو الأدب الرفيع ، هو العلوم ^(٣)
فإن الرُّوح تغذوها الأغاني	ويجلو همها الصوت الرخيم ^(٤)
ويصقلها الجمال إذا رآته	وتصدئها القبايح والأهموم
فلا تنفر بسمعك من غناء	به غمتك شادية بغوم ^(٥)
ولا تترفعن عن الملاهي	ولو شهدت برفعتك النجوم
وكن في المضطربات فتى طروباً	فإن الناس أطربها الكريم
وقف عند الحدود بلا تعدٍ	إلى ما ليس يحمد الخليم
ولا تشتط في طرب ولهو	فكل مقارف شططاً ذميم
فإن وافقتني وجريت جرّبي	وإلا فأنك الطبع السليم

(١) الخضراء : السماء . والغبراء : الأرض .

(٢) يوهنها : يضعفها . والتقشف : التخشن في العيشة . والتضي : تفعل من الضى ، وهو الهزل والجهل . والتترف : النعم . يقال ترف الرجل وترفه : دله وملكه . وتترف : مطاوع يرفه ، بالتضمية .

(٣) المثال : جمع مثني ، يوزن مفعول ، وهو ما يثني ويكرر من الكلام ، في الفناء أو الإنشاد .

(٤) الصوت الرخيم : الرقيق الذي ليس غليظاً ولا أجش .

(٥) بغوم : صيغة مبالغة من البغال ، وهو صياح الطيبة إلى ولدها بأرحم ما يكون من صوتها .

من نواميس الحياة

كل شيء من عالم الذرات كل شيء في كونه كالنبات
كل شيء في بدئه من صغير ثم ينمو في ذاته والصفات
هكذا تكبر الصغار وتقوى في نواميس حادثات الحياة
هكذا ترسل الأصول فروعاً عاليات يأتين بالثمـرات

* * *

إن للفلس في الثراء محلاً كمحل الجذور في الدوحات
إن أصل الثراء فلس وهل سالت سيول إلا من القطرات
هو في قدره حقير ولكن جمعه موصل إلى العظام
يتساوى فيه السخي وذو البخل ورب الأقال والمثارة
هو هين على الذي قال ها كم حين يعطيه للذي قال هات

* * *

إن ترد غرس نخلة من ثراء فسوى الفلس ما لها من نواة
فاقتصد في موارد العيش فلساً كل يوم من طائل النفقات
واجعل الفلس فوق فلس تجده مسعداً مسعفاً على الخيرات
واقصد الخير في اقتصادك حتى لا يؤول الثراء للآفات
ليس حسن الأعمال في الناس إلا حسن ما يضمرون من نيات
فدع الفعل كيف كان - حميداً أو ذمياً - وانظر إلى الغايات
حسنات الأنام إن لم تكن ذات عموم ضرب من السيئات
يا شباب العراق هبوا إليه وتوخوا بجمعه البركات
إن تكونوا اعترتم الأمر فيه فالبدار البدار قبل الفوات



أنا والشعر

أرى الشعر أحياناً يحيش بخاطري ويبدل ما قد عزَّ لي من مَصُونِهِ ^(١)
 ويسكن أحياناً فأشجى وإنما تحرك شجوى ناشئ من سكونِهِ ^(٢)
 وقد أتوخي الهزل منه تجارياً ندهر أراء موعلاً في فجونه ^(٣)
 ولكن نفسي وهى نفس حزينه تميل إلى المشجى لها من حزينه
 وقد علم الراون شعري بأنهم إذا أنشدوه أطربوا بلحونه
 وإنى إذا استنبطته من قريحتي شفيت صدى الراوى ببرد معينه ^(٤)
 وإنى على علم طويت سهوله ولم أتحير خابطاً في حزونه
 وإنى لمحاص له بسليقة أبت غثه واستوثقت من سمينه ^(٥)
 وهل يخطر الشعر الركيك بخاطري إذا كان في طوعى اختشاب متينه ^(٦)
 ألا لا اهتمدت للشعر يوماً هواجسى إذا هى لم تنزع إلى مستبينه ^(٧)
 ولا غصت في بحر القريض مخاطرأ إذا لم أفز من دره بشمينه
 على أن لى طبعاً لبيقاً بوشيه نزوعاً إلى أبكاره دون عونهِ ^(٨)
 إذا انتظمت أياته في قصائدى ترى كل بيت ممسكاً بقرينه

-
- (١) يحيش : يضطرب ويتحرك ، كما تحيش القدر عند الغليان .
 (٢) أشجى : من الشجر ، وهو الحزن .
 (٣) أتوخي : أقصد . موعلاً : ذاهباً بعيداً .
 (٤) استنبطته : استخرجته . والصدى : العطش . والمنين : الماء الظاهر ، تراه العين جارياً على وجه الأرض .
 (٥) الفت : المهزول ، ضد السمين .
 (٦) الاختشاب : اذئمال من خشب الشعر يحشبه . (من باب ضرب) أى يمر به كما يجيشه ، ولم يتألق فيه ، ولا تعمل له .
 (٧) هجس الأمر بالقلب هجسا ، من باب قتل : وقع وخطر ، فهو هاجس .
 (٨) العون : جمع عوان ، وهى من إناث الحيوان : ما كانت وسطاً فى السن ، بين الفارض ، وهى المسنة ، والبكر ، وهى الصغيرة ، يقال امرأة أو فرس أو بقرة عوان .

وما كان دَوْحُ الشعور يوماً لُتَجَتَنِي بغير اليد الصُّوْلَى ثَمَارُ غصونه
ولم يستَقِدْ إِلَّا لَدَى الْمُعَيَّةِ يكون كَرَأَى العين رَجْمَ ظُنُونِهِ (١)
وَإِنِّي قَدْ مارسته بِفَطَانَةٍ يلوح سناها غُرَّةً فِي جبينه

لعمرك إِنَّ الشعرَ صَمَامُ حِكْمَةٍ وإنَّ النهيَ معدودةٌ من قِيُونِهِ (٢)
إِذَا جَنَنِي لَيْلُ الشُّكُوكِ سَلَّتْهُ عليه فقرَّاه بِفَجْرٍ يَقِينِهِ (٣)
وما الشعرُ إِلَّا مُؤَسِّسِي عِنْدِ وَحْشِي ومُسَلِّي قَوَادِي عِنْدَ وَرَى شُجُونِهِ
تَقُومُ مَقَامَ الدَّمْعِ لِي نَفَثَاتِهِ إِذَا الدَّهْرُ أَبْكَانِي بَرِيْبَ مَنُونِهِ (٤)
وأَجْعَلُهُ لَكُونِ مِرَاةٍ عِبْرَةٍ فيظْهَرُ لِي فِيهَا خِيَالُ شُئُونِهِ
فَأَبْصُرُ أَسْرَارَ الزَّمَانِ الَّتِي أَنْطَوَتْ بِمَا دَارَ فِي الْأَحْقَابِ مِنْ مَنَجْنُونِهِ (٥)
وللشعر عين لو نظرت بنورها إلى الغيب لاستشفقت مافي بطونه
وَأَذِنُّ لَوْ اسْتَصْغَيْتُهَا نَحْوَ كَاتِمِ سمعت بها منه حديثَ قُرُونِهِ (٦)

وليلٍ إِلَى شِعْرَاهِ أُرْسَلَتْ فِكْرَتِي رسولًا بشعري حَامِلًا لِرَقِينِهِ (٧)
سَلِّ اللَّيْلُ عَنِّي نَسْرَهُ وَسِمَاكَهُ ونَجْمَ سُهَابِ وَالْجُدَى خَدِينِهِ (٨)

(١) استقاده الأمر : ذل واتقاد . الأنمية : مصدر صناعي من الألع . والألمع والألمى ،
واليلمع واليلمى : الداهي الذي يتظن الأمور فلا يخطئ . وإذا ألمع له أول الأمر عرف آخره ،
كثني بظانه دون يقينه ، مشتق من النعم ، وهو الإشارة الخفية ، والنظر الخفي .
(٢) الصمصام : السيف . والنهي : جمع نهية ، وهي العقل .
(٣) قرأه بتخفيف انراء وتشديدها : مزقة .
(٤) النفثات : جمع نفثة ، وهي ما يلفظه الانسان من فم من بصاق ونحوه . شبهه خواطره
ومعانيه بالنفثات .

(٥) المنجنون : الدولاب ، يستقي به الماء لإرواء الأرض .
(٦) القرون : النفس .
(٧) الرقبن : الكتات المزين .
(٨) النسر والسمك والسها والجندى (تصغير جندى) : أسماء نجوم . يريد بسؤالها عنه أنه
طالما سهر في صنع الشعر مراعيًا هذه النجوم ، فبينها وبينه ألفة وصحبة .

فكم بت في نهر المجرة في الدجى من الشعر أجرى مُنشآت سفينه
هو الشعر لا أعتاض عنه غيره ولا عن قوافيه ولا عن فتونه
ولو سلبتنيهِ الحوادث في الدُّنا لَمَّا عشت أو ما رُمْتُ عيشاً بدونه
إذا كان من معنى الشعور اشتقاقه فما بعده للمرء غير جنونه

الغروب (*)

قالها سنة ١٨٩٤ وقد وصف فيها ما شاهده
في الأعظمية عياناً من منظر الغروب

نزلت تَجَرُّ إلى الغروب ذيولاً صفراء تشبه عاشقاً مَبْتُولاً^(١)
تهتز بين يد المغيب كأنها صب تَلَمَل في القراش عليل^(٢)
ضحكت مشارقها بوجهك بكرة وبكت مغاربها الدماء أصيلاً
مذ حان في نصف النهار دلوها هبطت تزيد على التزول نزولاً^(٣)
قد غادرت كبد السماء منيرة تدنو قليلاً نالاً قول قليلاً^(٤)
حتى دنت نحو المغيب ووجهها كالورس حال به الضياء حُلُولاً^(٥)
وغدت بأقصى الأفق مثل عرارة عطشت فأبدت صفرةً وذبولاً^(٦)
غربت فأبقت كالشواظ عقيها شفقاً بحاشية السماء طويلاً^(٧)
شفق يروع القنب شاحب لونه كالسيف ضمخ بالدماء مسلولاً^(٨)

(*) من الديوان الأول .

- (١) الضمير في نزلت : يعود إلى الشمس بقرينه المقام الذي هو وصف غروبها .
- (٢) الصب : وصف من الصباغة ، وهي العشق . وتلمل : تقلب في فراشه من الأرق أو المرض .
- (٣) حلوك الشمس والنجوم : زوالها عن الاستواء ، ويستعمل في الغروب أيضاً .
- (٤) الأنول : الغروب .
- (٥) الورس : نبت أصفر ، يزوع بالين ويصنع به . أو هو صنف من الكركم .
- (٦) العرارة : واحدة العرار ، وهو نبت طيب الريح ، قيل هو العرجس البري .
- (٧) الشواظ : بضم الشين وكسر ها : اللهب الذي لا دخان فيه .
- (٨) الشفق الحرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس .

يحكى دم المظلوم مازج أدماً
رقت أعاليه وأسفله الذى
شفق كأن الشمس قد رفعت به
كالخود ظلت يوم ودع إلفها
حتى توارت بالحجاب وغادرت
فكأنها رجُلٌ تحزَم عزه
وانحطَّ من عُرف النباهة صاغراً
هملت بها عين اليتيم هملاً^(١)
فى الأفق أشبع عُصفراً محللاً^(٢)
رُدْناً يذوب ضيائها مبللاً^(٣)
ترنو وترفع خلفه المنديلاً^(٤)
وجه البسيطة كاسفاً مخدلاً
قرع الخطوب له فعاد ذليلاً
وأقام فى غار الهوان خملاً

* * *

لم أنسَ قُرب (الأعظمية) موقفي
وعن اليمين أرى مروج مزارع
وتروع قلبى للدَّوالى نعة
ووراء ذاك الزرع راعى ثلَّة
وهناك ذو برذونتين قد اثنى
وبتمتهى نظرى دخان صاعد
مدَّ الفروع إلى السماء ولم يزل
وتراكبت فى الجوّ سُود طباقه
فوقفتُ أرسل فى المحيط إلى المدى
والشمس دافية تريد أفولاً
وعن الشمال حدائقاً ونخيلاً
فى البين يحسبها الحزين عويلاً^(٥)
رجعت توئم إلى المراح قفولاً^(٦)
بهما العشي من الكراب نجيلاً^(٧)
يعاو كثيراً تارةً وقليلاً
بالأرض متصلاً يمدُّ أصولاً
تحكى تلولا قد حمان تلولا
نظراً كما نظر السقيم كليلاً

(١) الضمير فى يحكى : يعود إلى الشفق فى البيت السابق ، أى أن هذا الشفق يشبه دم مظلوم مازجته دموع يتييم ، لأن الدم إذا مازجه الدمع كان لونه فاتحاً وهو مع ذلك مشعر بالحزن .
(٢) العصفور : نبت أصفر ، يصنع به .
(٣) الردن : أصل الكرم .
(٤) الخود : الفتاة الحسناء الخلق الشابة . والجمع خودات ، وخود بضم الخاء فى الأخير .
(٥) الدوالى : جمع دالية ، وهى الناعورة تدبرها البقرة . والدرة : بالفتح : المرة من نعر ، إذ صوت .
(٦) الثلَّة : القطيع من الغنم . والمراح : المساكن تروح إليه الدواب ، وتأوى إليه بعد المرعى .
(٧) الكراب مصدر كرب الأرض كرباً وكرباً : قلبها للحرث ، وأثارها للزرع .

والشمس قد غرّبت ولما ودّعت
 غابت فأوحشت الفضاء بكثرة
 حتى قضت رُوح الضياء ولم يكن
 وأتى الظلام دجّة دجّة
 ليل بغيّبه الشخصوس تلفعت
 ثم اثنت أخوض غمر ظلامه
 إن كان أوحشني الدجى فتجومه
 سبحان من جعل العوالم أنجما
 كم قد تصادمت العقول بشأنها
 لا تحتقر صغر النجوم فإنما
 دارت قديماً في الفضاء رحي القوى
 فاقراً كتاب الكون تلقى بمتنه
 ودع الظنون فلا وربك إنها

أبكت حزوناً بعدها ومهولاً
 سقم الضياء بها فزاد فحولاً
 غير الظلام هناك عزرائيلاً
 يرخى سدولاً جمة فسدولاً^(١)
 فطللت أحسب كل شخص غولاً^(٢)
 وتخذت نجم القطب فيه دليلاً
 بعثت لتؤنسي الضياء رسولاً
 يسبحن عرضاً في الأثير وطولاً
 وسعت لتكشف سرها المجهولاً
 أرقى الكواكب ما استبان ضيلاً
 فعذا الأثير دقيقها المنحولاً
 آيات ربك فصلت تفصيلاً
 لم تغن من علم اليقين فتياً

(١) الدجّة : الظلمة . والسدول : جمع سدل ، وهو السر .

(٢) الغيب : شدة سواد الليل والجمل ونحوه .

لييلة في ملهى^(١)

لما كان الرصافي في الآستانة سنة ١٨٩٨ ، أخذ جماعة من فضلاء فلسطين ، منهم الأستاذ خليل السكاكيني إلى مرقص من مرقص الآستانة في إحدى الليالي ، واقترحوا عليه ان يصفه ، فقال هذه القصيدة :

طَرِبَ الشعر أن يكون نَسِيماً	مَدَّ أَجالت لنا القَوامَ الرَطِيماً
وتجلتْ في مَسْرَحِ الرَقصِ حتى	أرقصت بالغرام منا القلوباً ^(١)
أقبلت تنثني بقَدِّ رَشِيق	ألبسته البَرْدَ القصير قَشِيماً ^(٢)
قَصَّرتْ منه كُمَّه عن يديها	وأطالت إلى المهود الجيوباً ^(٣)
حبَّسَ الخصرَ حيث ضاق ولكن	أطلق النحرَ بادياً والتَّربياً
هو زِيَّ يزيد في الحسن حسناً	مَنْ تزيَّ به ، وفي الطيب طيباً
خطرتُ والجمال يخطر منها	في حشا القوم جَنِيَّةٌ وذُهوياً
وعلى أروُس الأصابع قامتْ	تتخطى تبخترًا ووُثوباً
يعبس الأنس أن تروح ذهاباً	ويعيد ابتسامه أن تثوباً
فهي إن أقبلت رأيت ابتساماً	وهي إن أدبرت رأيت قُطوباً
نحن منها في الخالتين ترانا	نرقب الشمس مطمئناً ومُعِيماً
تضحك الجوّ في الصباح طلوعاً	ثم تُبكيه في المساء غروباً
أظهرتْ في المجال من كل عضو	لعِباً كان بالقلوب لَعُوباً
حَسِرَتْنَا لما أرتنا عَجِيماً	فَعَجِيماً من رقصها فَعَجِيماً

(*) من الديوان الأول .

(١) المسرح : المكان تشرح فيه الظباء وتلعب ، وقد استعاره المحدثون للمكان الذي يلعب فيه الممثلون والراقصون أمام النظارة . وبعض الكاتبين يقدم الراء فيه على السين (مسرح) وهو خطأ وقد جرى عليه الشاعر في الأصل .

(٢) البشيب : الجديد فيه خشونة الجدة .

(٣) المراد بالجيب هنا فتحة الطوق ، من عند الرقبة إلى ما بين الشدين ، وليس المراد الفتحة التي يوضع فيها المنديل والكيس ونحوها .

شابهتْ عَطْفَةَ العُصُونِ انْتِشاءَ
تَلَفَتْ الجِيدَ للارْجُوعِ انْصِياحاً
ثَبَّ الوَثْبَةُ الخَفِيفَةَ كالْبَرِّ
حَرَكَاتٍ خَالَهَا سَكَنَاتُ
وُخْطًا تَفْضَحُ العُقُودَ انْساقاً
بَسَمَتْ كُوكِباً وَمَرَّتْ نَسِياً
لَوْ غَدَا الشَّعْرُ ناطِقاً بِلِسَانٍ
أَوْ غَدَا الحَسَنُ شاعِراً يَنْظُمُ الحُبَّ
هِيَ كَالشَّمْسِ فِي البِعَادِ وَإِنْ كَا
عَمَّتِ النَّاسَ بِالْغَرَامِ فَكُلُّ
زَهْرَةٍ تُبْهِجُ النُّوَاطِرَ حَسَناً
هِيَ دَائِي إِذَا شَكُوتُ مِنَ الدَّاءِ
وَأَتَتْ بَعْدَهَا مِنَ الْغَيْدِ أُخْرَى
فَأَرْتَنَا مِنَ الْجَبِينِ صَباحاً
حَمَلَتْ بُنْدُوقِيَّةً صَوَّبَتْهَا
وَاسْتَمَرَّتْ رَمِيّاً بِهَا عَنِ بَنَانٍ
تَحْسِنُ الرَّمِيَّ تَارَةً مُسْتَقِيماً
وَأَنْكَبَاباً إِلَى الْأَمَامِ وَإِقْعاً
وَحَكَّتْ خَطَرَةَ النِّسَمِ هَبُوباً
كَفَطِيمٍ رَأَى عَلَى البَعْدِ ذِيلاً^(١)
قَ صُعُوداً فِي رَقْصِهَا وَصُوباً^(٢)
يَقِفُ العَقْلُ بَيْنَهُنَّ سَلَامِياً
نَظَمَتْهَا تَسْرُعاً وَدِيْبِياً^(٣)
وَشَدَّتْ بَلْبلاً وَفَاهَتْ خَطِيباً
لَتَغْنَى بِوصْفِهَا عِنْدَ لِيْلِيَا^(٤)
قَرِيضاً أَبْدَى بِهَا التَّشْبِيْهَ
نَ إِلَيْنَا مِنْهَا الشَّعَاعُ قَرِيْباً
قَدْ غَدَا عَاشِقاً لَهَا وَرَقِيْباً
وَرُوءِاءَ وَتَنْعَشُ الرُّوحُ طَيْباً
وَطَبِي إِذَا أَرَدْتَ طَيْباً
يَقْتَفِي إِثْرَهَا الْجَمَالُ جَنِيْباً
وَمَنْ اخْتَدَّ كُوكِباً مَشْبُوباً^(٥)
نَحْوَ مُسْتَهْدِفٍ لَهَا تَصْوَيباً^(٦)
لَطْفَهُ ضَامِنٌ لَهُ أَنْ يَصِيْباً
وَإِلَى الْخَلْفِ تَارَةً مَقْلُوباً
سِياً كَثِيراً إِلَى الْوَرَاءِ عَجِيْباً

(١) الجيد : العنق . والانصياح . التذكور والرجوع بسرعة .

(٢) صوباً : انحدر .

(٣) الديب : المشى الثقيل ، كشية الشيخ الهرم .

(٤) العندليب : طائر من الطيور المفردة . (٥) مشبوب : متلهب .

(٦) البندقية : من آلات الرمي في الحرب . عرفت في القرون الوسطى ، وكانوا يرمون بها حصيات في قعر البندق الذي يؤكل ، ولذلك نسبت إليه . وتطور الآن شكلها وطريقة استعمالها ، ويرمى بها قذائف من الرصاص تنفذ في الجسم ، وتترديه . والمستهدف ، بصيغه اسم الفاعل أو المفعول : الهدف .

وَهَيَّ فِي كُلِّ ذَا تُصِيبُ الرَّمَايَا مَثَلَمَا طَرَفُهَا يُصِيبُ الْقُلُوبَا
لَوْ أَرَادَتْ رَحَى الْغُيُوبِ وَأَغْضَتْ لِأَصَابَتْ خَفِيهَا الْمَحْجُوبَا

مَشْهُدٌ فِيهِ لِلْحَيَاةِ حَيَاةٌ تَتْرَكَ الْوَالِدَ الْحَزِينَ طَرُوبَا^(١)
قَدْ شَهِدْنَاهُ لَيْلَةً جَعَلْتَنَا نَحْمَدُ الدَّهْرَ غَافِرِينَ الذُّنُوبَا
بَيْنَ رَهْطِ شَمِّ الْعَرَانِينَ يَنْفَى عَنْهُمْ عَنَى حَلِيثِهِمْ وَالْكُرُوبَا^(٢)
كَرُمُوا أَنْفُسَا وَطَابُوا فِعَالَا وَسَمَوْا مَحْتَدًا وَعَفُّوا جُيُوبَا
كُلُّ ذِي نَجْدَةٍ تَرَاهُ لَدَى الْفَعْلِ كَرِيمَا فِي الْمَقَالِ أَدِيَا
تِلْكَ وَاللَّهُ لَيْلَةٌ لَسْتُ أَدْرِ فِي بِلَادِي قَضِيَّتَهَا أَمْ غَرِيْبَا
كِدْتُ أَنْسَى بِهَا الْعِرَاقَ وَإِنْ أَبْقَى نُدُوبَا بِمَهْجَتِي فَنُدُوبَا^(٣)
يَا سَوَادَ الْعِرَاقِ بَيَّضَكَ الدَّهْرُ فَأَشْبَهْتَ مَقَاتِي يَعْقُوبَا
شَمَلْتُ رِيحَكَ الْعَقِيمُ وَقَدْ كَا نْتَ لُقُوحًا تَهْبُ فِيكَ جَنُوبَا
أَيْنَ أَنْهَارُكَ الَّتِي تَمَلَأُ الْأَرْضَ ضِغَالًا بِسَيْحِهَا وَحُبُوبَا^(٤)
إِذَا حَكَتْ أَرْضُكَ السَّمَاءَ نَجُومَا مَا حَيَاتِ أَنْوَارُهَا الْجُدُوبَا
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى نَضَارَةِ بَغْدَا دَاسْتَحَالَتْ كَدُورَةُ وَشُحُوبَا
أَيْنَ بَغْدَادُ وَهِيَ تَزْهُو عُلُومَا وَزُرُوعَا وَأَرْبَعَا وَدُرُوبَا
أَقْفَرْتُ أَرْضَهَا وَحَاقَ بِهَا الْجَمُّ لَمْ تَجَاشِثْ دَوَاهِيَا وَخَطُوبَا^(٥)

(١) المراد بالطروب هنا : المسرور . وقد يكون المحزون أيضا في غير هذا الموضع .

(٢) أشم العرنيين : مرتفع قبة الآف ، كناية عن الألباء والشمم وعلو النفس .

(٣) الندوب : جمع ندب ، وهو أثر الجرح .

(٤) السيح : النهر يسبح مائه على وجه الأرض ، أى يسيل .

(٥) « جاشت دواهيها وخطوبها » : اضطربت من كثرة الدواهي والخطوب .

في انقطار (*)

فلما لم يركب القطار من الآستانة إلى سالانيك سنة ١٨٩٨

تذكرت في أوطاني الأهل والصحبا
فأرسلت دمعاً فاض وابله سكباً

وبت طريد النوم أختلس الكرى
بشاخص طرف في الدجى يرقب الشبا

كئيب كأن الدهر لم يلق غيره	عدواً فالى أن يهادنه حرباً
يقبل كروباً بعضها فوق بعضها	إذا ماري كريباً رأى تحته كريباً
وإني إذا ما الدهر جرّ جريرة	لتأف نفسي أن أكممه عتياً
وقد علم القوم الكرام بأنني	غلام على حب المكازم قد شباً
وإني أخو عزم إذا ما انتضىته	نبا كل غضب عنه أو أنكر الضرباً (٢)
وإني أعاف الماء في صفوه القذى	وإن كان في أحواضه بارداً عذباً
ولكن لي في موقف الشوق عبرة	تساقط من أجفاني اللؤلؤ الرطباً (٣)
إذا ضربت أوتار قلبي شجونهُ	بدت نغمت ترقيص الدمع منصباً

• • •

وقاطرة ترمي الفضأ بدخانها	وتملأ صدر الأرض في سيرها رعباً
لها منخر يبدى الشواطئ تنفساً	وجوف به صار البخار لها قلباً
تمشت بنا ليلاً تجر وراءها	قطارا كصف الدوخ تسحب سحبا (٤)

(*) من الديوان الأول .

(١) « آلى أن يهادنه » أقسم ألا يهادنه . وحذف لا النافية بعد القسم مألوف ، ومنه في القرآن « تالله نفثاً تذكر يوسف » .

(٢) يقال : انتضى سيفه : إذا سله من قرابه ، وقد شبه عزمه بالسيف . ونبا السيف عن الضربة : رجع ولم يقطع .

(٣) شبه دموعه بالليل ، ولسكنته جعلها لآلى رطبة .

(٤) الدوخ : جم دوحه ، وهي الشجرة الواسعة الظلال .

فَطَوْرًا كَعَصْفِ الرِّيحِ تَجْرِي شَدِيدَةً وَطَوْرًا رُخَاءً كَالنَّسِيمِ إِذَا هَبًّا ^(١)
تَسَاوَى لَدَيْهَا السَّهْلُ وَالصَّعْبُ فِي السَّرَى
فَمَا اسْتَسَهَلْتَ سَهْلًا وَلَا اسْتَصَعَبْتَ صَعْبًا ^(٢)
تَدْكُ مَتُونِ الْحَزْنِ دَكًّا وَإِنِّهَا لَتَنْهَبُ سَهْلَ الْأَرْضِ فِي سِيرِهَا ^(٣)
يَمُرُّ بِهَا الْعَالَى فَيَعْمَلُو تَسْقُقًا وَيَعْتَزُّضُ الْوَادِي فَتَجْتَازُهُ وَثْبًا
وَتَحْتَرِقُ الطُّودَ الْأَشْمَ إِذَا انْجَرَى وَقَدْ وَجَدْتَ مِنْ تَحْتِ قُنْتَه نَقْبًا ^(٤)
يَرْنُ بِجَوْفِ الطُّودِ صَوْتُ دَوِيَّهَا إِذَا وَلَجْتَ فِي جَوْفِهِ النَّفْقِ الرَّحْبَا ^(٥)
لَهَا صَيْحَةٌ عِنْدَ الْوُلُوجِ كَأَنَّهَا تَقُولُ بِهَا يَا طُودُ خَلِّ لِي الدَّرْبَا ^(٦)
وَتَمْضِي مُضَيَّ السَّهْمِ فِيهِ كَأَنَّمَا تَرَى أَفْعَوَانًا هَائِجًا دَخَلَ الثَّقْبَا
تُعَالِبُ فَعَلَ الْجَذْبِ وَهِيَ ثَقِيلَةٌ فَتَغْنَبُ بِالْدَفْعِ الَّذِي عِنْدَهَا الْجَذْبَا
طَوْتُ بِالْمَسِيرِ الْأَرْضَ طِيًّا كَأَنَّهَا
تَسَابِقُ قُرْصَ الشَّمْسِ أَنْ يُدْرِكَ الْغَرْبَا
وَمَا إِنَّ شَكْتَ أَيْنَا وَلَا سُمِّتَ سَرَى

وَلَا اسْتَهْجَنْتَ بَعْدًا وَلَا اسْتَحْسَنْتَ قَرْبًا ^(٧)
عَشِيَّةَ سَارَتْ مِنْ فُرُوقٍ تَقَلُّنَا وَتَقْدِيفٍ مِنْ فِيهَا بَوَّجَهُ الدَّجَى شُيْبًا ^(٨)
فَمَا هِيَ إِلَّا لَيْلَةٌ وَنَهَارُهَا وَمَا قَدْ دَعَوْنَا مِنْ سَلَانِيكَ قَدْ آتَى ^(٩)
فَجِئْنَا وَلَمْ يَغْنَى السَّقَارُ مَطِينَا كَأَنَّ لَمْ نَكُنْ سَمْنَا عَلَى ظَهْرِهَا رَكْبًا ^(١٠)

* * *

تَعَالَيْتَ يَا عَصَرَ الْبَخَارِ مَفْضَلًا عَلَى كُلِّ عَصَرٍ قَدْ قَضَى أَهْلُهُ نَحْبًا

(١) رخاء : هادئة لينة . (٢) السرى : السفر بالليل .

(٣) المتن : ظهر الأرض . والحزن : الأرض الغليظة كالغضبة ونحوها .

(٤) الطود : الجبل العالى . (٥) النفق : السرب فى الأرض .

(٦) الدرب : الطريق بين جبلين . (٧) الأين : النعب والكلال .

(٨) فُرُوق : اسم القسطنطينية . وتقلنا : تحملنا .

(٩) سَلَانِيكَ : بلد باليونان . (١٠) السقار : السفر .

فكم ظهرت للعلم فيك معاجز	بها آمن السيف أنذى كذب الكتبا
تظاهرت من فعل البخار بقوة	بذل أدنى فعلها المطالب الصعبا (١)
واقسم لو لا المكهرباء فوقه	لقلت على كل القوى ته به عبجا (٢)
هو العلم يعز بالحياة سعادة	ويجعلها كالعلم محودة تنقي
فكل بلاد جادها العلم أمرت	رباها وصارت تلبت العز لا العسبا (٣)
متى ينشئ الشرق الذي اغبر أفقه	سحابة علم تمطر الشرف العذبا
فإن دبور الذل ألوت بعزه	وكادت سموم الجهل تحرقه جدبا (٤)
تبصر إذا دارت رحي الشرق هل ترى	سوى الجهل في أثناء دورتها قطبا

الارملة المرضعة

لقيتها ليقنى ما كنت أنقاها	تمشى وقد أثقل الإملاق ممشاها
أثوابها رثة والرجل حافية	والدمع تذرفه في الخد عيناها
بكت من الفقر فاحمرت مدامعها	واصفر كالورس من جوع نحياها (٥)
مات الذي كان يحميها ويسعداها	فالذهر من بعده بالفقر أشقها
الموت أجمعها والفقر أوجعها	واهم أنحلها والغم أضناها
فمنظر الحزن مشهود بمنظرها	والبؤس مرآة مقرون بمرآها
كرّ الجديدين قد أبلى عبايتها	فانشق أسفلها وانشق أعلاها
ومزق الدهر ويل الدهر مئزرها	حتى بدا من شقوق الثوب جنبها

(١) تظاهرت بقوة : استعنت بها وتقويت

(٢) المكهرباء : يريد الكهرباء ، والكلمة مقصورة ، ولكن المؤلف جرى على استعمالها
محدودة هنا وفي مواضع أخرى من شعره .

(٣) أمرت : أخصبت .

(٤) الدبور : ريح الجنوب ، وهي حارة . والسموم : الريح الحارة تحمل التراب والخصي
ونحوه . وفي الكلام تشبيه للذل بريح الدبور ، وتشبه الجهل بريح السموم المهلكة .

(٥) الورس : نبت أصفر يصنع به . والحيا : الوجه .

تمشى بأطمارها والبرد ينسجها كأنه عقرب شالت زباها^(١)
حتى غدا جسمها بالبرد مرتجفا كالقصن في الريح واصططكت ثناياها

تمشى وتحمل باليسرى وليدتها قد قمطتها بأهدام ممزقة
ما أنس لا أنس أنى كنت أسمعها تقول : يارب لا تترك بلا لبن
ما تصنع الأم في تريب طفلتها ما يارب ما حيلتى فيها وقد ذبكت
ما بالها وهى طول الليل باكية يكاد ينقد قبي حين أنظرها
ويأمنها طفلة باتت مروعة نبكى لتشكو من داء ألم بها
قد فاتها النطق كالجماء أرحمها ويح ابنتى إن ريب الدهر روعها
كانت مصيبتها بالفقر واحدة

حملًا على الصدر مدعومًا بيمنها فى العين منشرها سمج ومطواها
تشكو إلى ربها أوصب دنياها هذى الرضيعة وارحنى وإياها
إن مسها الضر حتى جف ثديها^(٢) كرهرة الروض فقد الغيث أظهاها
والأم ساهرة تبكى لمبكاها تبكى وتفتح لى من جوعها فها^(٣)
وبت من حولها فى الليل أرها^(٤) واست أفهم منها كنه شكواها
ولست أعلم أى السقم آذاها بالفقر واليتم آها منها آها^(٥)
وموت والدها باليتم ثناها

هذا الذى فى طريقى كنت أسمعها هذا الذى فى طريقى كنت أسمعها
حتى دنوت إليها وهى ماشية حتى دنوت إليها وهى ماشية
وقلت : يا أخت مملأى إتنى رجلًا وقلت : يا أخت مملأى إتنى رجلًا
منها فأثر فى نفسى وأشجهاها وأدعى أوسعت فى الخلد مجراها
أشارك الناس طرًا فى بلاياها^(٦)

(١) شالت : ارتفعت . والزبانة : الذنب .

(٢) بقدر : بذوق

(٣) تريب : تربية .

(٤) وبلغها : أصله وبل لأمها ، حذف اللام ثم أضيف الأول إلى الثانى ، والويل العذاب .

(٥) ويح ابنتى : بنصب ويح ، أى رحمة لها ، وهو مصدر منصوب ، بفعل من معناه .

(٦) بلاياها : جمع بلية ، بمعنى البلوى والمصيبة .

سمعت يا أخت شكوى تهمسين بها في قالة أوجعت قلبي بفجواها^(١)
 هل تسمح الأخت لي أني أشاطرُها ما في يدي الآن أسترضي به الله
 ثم اجتذبت لها من جيب ملحفتي دراهما كنت أستبقى بقاياها^(٢)
 وقلت يا أخت أرجو منك تكرمتي

بأخذها دون ما من تغشأها^(٣)

فأرسلت نظرة رعشاء راجفة ترمي السهام وقلبي من رماياها
 وأخرجت زفرات من جوانحها كالنار تصعد من أعماق أحشائها
 وأجهشت ثم قالت وهي باكية لو عم في الناس حس مثل حسك لي
 ما تاه في فلوات الفقر من تاهها
 وكان في الناس إنصاف ومرحمة لم تشك أرملة ضنكا بدنياها

• • •

هذه حكاية حال جئت أذكرها وليس يخفى على الأحرار مغزائها
 أولى الأنام بعطف الناس أرملة وأشرف الناس من في المال واساها

عهد الصبا

أو نهر الحياة

عهد الصبا سقيما لأيام الصبا أشبه شيء بأزاهير الربا
 إن الصبا كالورد في نضرتها وعمره واللون منه والشذا
 واهي على شرخ الشباب المشتبهى خلف ذكراه بقلبي ومضى^(٥)

(١) فجواها : معناها .

(٢) ملحفتي : الرداء الذي ارتدى به فوق ملابسى .

(٣) لنن : إفساد الصفة بالفخر ونحوه من الأذى .

(٤) أجهشت : أى تهيأت للبكاء ، كما يفعل الطفل .

(٥) شرخ الشباب : أوله وعنفوانه .

لقد ذَوَى غصن حياتي بعده وكان رِيَّانَ التصابي والمُنَى
أطيب عيش المرء في شبابه فإن تولى فهو هيش مُرْدَرَى

* * *

إنَّ حياة المرء ما عاش تُرى أحوالها مختلفاتٍ في الرُّؤَى^(١)
كالنَّهرِ الجارى الذى تغيَّرتُ أوضاعه في الأرض كلما جرى
فهو لدى المنبع ضَحَضَاحٍ وفى مَصَبِّه تلقاه بحرًا قد طَمَأَ^(٢)
بيناه يجرى فى التَّرى مُنْعَطِفًا إذا بواديه تَمَطَّى واستوى^(٣)
طَوْرًا كأسياف الوغى منحنيًا فى الأرض ينساب وطورًا كالقَنَا
وربما عادت مجاريه به راجعةً من حيث جاء القمَقَرَى^(٤)
وربما صادف غَوْطًا فانتهوى فيه وقد خرَّ خيرًا ورغًا^(٥)
والماء فيه قد يَرى منبسطًا وتارةً منزويًا فوق الثرى
وتارةً تلقاه فى مَشْجَرَةٍ يجرى وأخرى بين أصلاذ الصفا^(٦)
حتى إذا أبحر مجراه به كان إلى الدُّمَاءِ منه المنتهى^(٧)
وهكذا أنهار أعمار الوردى تجرى فتصبُّ إلى بحر الرَّدَى

* * *

وإنما العمر شباب فإذا زال فخرنَّ وشقاء وضئى
ما كان أحلى العيش لو أنَّ الفتى لم يجد الشيبُ إليه مَخْطَى^(٨)

(١) الرُّؤَى : جمع رُؤْيَةٍ ، أى النظر .

(٢) ضَحَضَاح : ليس عميقا . (٣) تَمَطَّى : امتد واستقام .

(٤) القمَقَرَى : الرجوع إلى الوراء على الأعقاب .

(٥) غَوْطًا : أرضا منخفضة . ورغًا البعير : صوت .

(٦) مشجرة : أرض كثيرة الشجر . وأصلاذ جمع صلد . وهو الصخر الجلد . والصفا : جمع صفاة ، وهى الحجر الأملس .

(٧) أبحر مجراه : اتسع كالبحر . والدُّمَاءُ : البحر .

(٨) مَخْطَى : مصدر ميمى من اختطى ، بمعنى خطا . يريد ما أحلى العيش لو دام الشباب ولم تجد الشيب إلى المرء سبيلا .

ليت التقي كالبدري في النشأة إذ
أو ليته كالشجر النابت إذ
أوليت هذا الشيب إن كان ولا
شبية الإنسان مِرآة المني
والمرء فيها إن تَمْرَأى راجياً
ويح شباب فتك الشيب به
بُردانٍ هذا من وقارٍ ونهى
لكن وقار الشيب لا يعدل ما

عاد هلالاً كل شهر فما
يُورق في الصيف ويعرَى في الشتاء
بُدَّ من الشيب أتى قبل الصبا
بدائع الآمال فيها تُجْتَلَى
أبدت له مبتسماً ثغر الرجا
إذ لاح كالسيف عليه مُنتَضَى
حيك وهذا من تصابٍ وهوى
في طيه من لُؤْثَةٍ ومن وَنى^(١)

• • •

يَا مُسْلِيًّا ذَا الشيب عن شبابه
أَقْصِرْ هَذَا ذِيكَ عَنِ الْقَوْلِ فَلَا
وما الصبا بمانع من الحُجَا
وليس من أصبح يمشى الخيزَلَى
وما إياة الشمس في تظفيلها
وهل يطيب العيش للهيم الذي
يبيت طول الليل في مَضْجَعِهِ
وإنَّ ظهر الأرض يستقل من

بأنَّ وَخَطَ الشيب أزهارُ النهى
يُقَاسُ ذِيَالِكَ تَاللهُ بذا^(٢)
بل هو في الشيخ يكون والفقي
في مَعْرِضِ السبق كاشي الهَيْذَبِ^(٣)
مثل إياة الشمس في رَأْدِ الضْحَى^(٤)
إن همَّ بالنهضة خائنه القَوَى^(٥)
مستأنس السُعْلَةَ وحشَى الكَرَى^(٦)
أَمْسَى يَدِبُ فَوْقَهَا عَلَى الْعَصَا

(١) لؤثة ، بالضم ، أى ضعف .

(٢) هذا ذيك : مثني هذاذ ، أى هذا بعد هذ . والهند . القطيع . يريد كف عما تقوله واقطعه ولا تعد إليه .

(٣) الخيزل : مشية تخاذل وتراجع وتفكك . والمراد أنها مشية بطيئة . والهيدبي ، والهيدبي : ضرب من مشية الخيل سريعة .

(٤) إياة الشمس : شعاعها . والتظفيل : وقت الأصيل . ورأد الضحى : ارتفاعه ورواقه حين يعلو النهار .

(٥) الهيم : الرجل المسن البال ، جمعه أهلام .

(٦) أى حاضر السعال ، نأى الكرى .

السفر في التومبيل

- وَقَدَّ قَاتِمِ الْأَعْمَاقِ مَتَّسِعٍ
بَثْوُمُبِيلٍ جَرَى فِي الْأَرْضِ مَنَسْرِحًا
يَنَسَابُ مِثْلَ انْسِيَابِ الْأَيْمِ تَحْمِلِهِ
كَأَنَّهَا وَهِيَ بِالْمَطَاطِ مُنْعَلَةٌ
يَمُرُّ كَالرَّيْحِ لَمْ تَسْمَعْ لِأَرْجَلِهِ
وَتَنَسَكِرُ الْخَيْلُ إِنْ جَارَتْهُ فِي سَنَنِ
تُظَلِّلُهُ قَبِيَّةٌ فِيهِ مُنَجَّدَةٌ
يَخَالُ مِنْ حَلٍّ فِيهَا نَفْسُهُ مَلَكًا
رَكِبَتْهُ وَبَيَاضُ الصَّبَاحِ تَحْسِبُهُ
وَالْبَدْرُ فِي الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ مُتَمَتِّعٌ
وَلِلنَّجُومِ بَقَايَا فِي جَوَانِبِهِ
وَالنَّسِيمُ هُبُوبٌ فِي مَدَارِجِهِ
فَطَارَ مِنْ غَيْرِ تَحْلِيْقٍ بَرَاكِبِهِ
وَسَارَ سِيرًا دِرَاكًا مَلَأَ مَهْيَعَهُ
- طَوَّيْتُ أَجْوَاذَهُ ضَيَّ الْمَكَاتِيبِ^(١)
كَأَجْرَى الْمَاءِ فِي سَفْحِ الْأَهَاضِيبِ
عَوَامِلٌ عَجَلَاتٍ مِنْ دَوَالِيبِ^(٢)
تَمْشِي بِأَخْفَافِ أَنْوَاقِ مَطَارِيبِ
سَوَى حَفِيفِ كَنَفَتِخٍ فِي الْأَنَابِيبِ
مَاتَعَرَفَ الْخَيْلُ مِنْ حُضْرٍ وَتَقْرِيبِ^(٣)
قَدْ زَانَهَا حَسَنُ تَنْجِيدٍ وَتَقْيِيبِ
يُرْهِى بَتَاجٍ عَلَى الْفَوْدَيْنِ مَعْصُوبِ
صَدْرُ الْمَلِيحَةِ مَكْشُوفِ التَّلَايِبِ^(٤)
يَرْنُو إِلَى الْفَجْرِ فِي الْخَاطِطِ مَرْعُوبِ^(٥)
كَاعْتَدَ مَنَفْرَطًا مِنْ جِيدِ رُعُوبِ^(٦)
مَا يَنْعَشُ الرُّوحَ مِنْ نَشْرِ وَمِنْ طِيبِ^(٧)
بَلْ مَرَّ يَمْطُرُ مَطَرًا فَوْقَ مَلْجُوبِ^(٨)
كَالْوَبْلِ يَتَّبِعُ شَوْبًا بِشَوْبِ^(٩)

- (١) القَدَفْدُ : القَلَاةُ الوَاسِعَةُ لِأَشْيَاءَ بِهَا ، أَوْ الْأَرْضُ الْغَلِيظَةُ ذَاتُ الْحَصَى ، أَوْ الْمَكَانُ الصَّدْبُ .
وَالْعَمِيقُ : مَا بَعْدَ مَنْ أَطْرَافِ الْمَفَاوِزِ . أَوْ الْمَطْمُنُّ مِنَ الْأَرْضِ . وَالْأَجْوَاذُ : جَمْعُ جُوزٍ ، وَهُوَ وَسْطُ الشَّيْءِ .
(٢) الْأَيْمُ : الْحَيَّةُ .
(٣) الْحَضْرُ : السَّيْرُ السَّرِيعُ . وَالتَّقْرِيبُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ بِطَلْقٍ .
(٤) التَّلَايِبُ : جَمْعُ تَلَابِيبٍ ، وَهُوَ مِنَ الثَّوْبِ مَا كَانَ عَلَى أَعْلَى الصَّدْرِ وَالرَّقَبَةِ . يُقَالُ : أَمْسَكَ بِتَلَابِيهِهِ
(٥) مُتَمَتِّعٌ : وَمُتَقَطِّعٌ : مُصْفَرُّ اللَّوْنِ .
(٦) مَنَفْرَطًا : يُرِيدُ مُنْتَرَاً . وَلَمْ يَسْمَعْ فِي الْآلَةِ انْفِرَاطَ عَمْعَى انْتِشَرٍ . وَالرَّعُوبُ : الشَّابَةُ الْمُمْتَلِئَةُ الْحَسَنَةُ النَّاعِمَةُ .
(٧) مَدَارِجُهُ : مَسَالِكُهُ وَطَرِيقُهُ . وَانْتَشَرُ : الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ .
(٨) الْمَلْجُوبُ : الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ .
(٩) دِرَاكًا : مُتَابِعًا . وَالْمَهْيَعُ الطَّرِيقُ . وَالشَّوْبُوبُ : الدَّفْعَةُ مِنَ الْمَطَرِ .

فكنت أبصر حولي الأرض جارية
يلوح فصل الربا وصلاً فأحسبها
ما زال يختار بي ما في البسيطة من
حتى بلغت به أقصى مدى عجرت
وكم علا بي أنشازاً تسلقها
لا يعرف الأين منه أين موقعه
وكيف يتعب ما لا حسن يتبعه
وإنما هو يجري في مسالكه
كمثل تيار بحر وهو يجري بي
من سرعة المرّة قد صفت بترتيب^(١)
سهل ومن جبل على الشناخيب^(٢)
عنه العتاق من الجرد السراحيب^(٣)
وشاب في السير تصعيداً بنصويب^(٤)
ولو يواصل إدلاجاً بتأويب^(٥)
ولا يسير على ساق وظنبوب^(٦)
دفعاً بقوة غاز فيه مشبوب

...

جرّته هابطاً أجزاع أودية
وملأها في سهول الأرض ينهبها
فكان أسبق مركوب لغايته
تلك المطيئة لا ما كان يذكرها
لو امتطأها أبعد قبل تاه بها
وطالعا في الثنايا والعرايب^(٧)
نهباً ويخلط ألحوباً بألحوب^(٨)
وكنّت أقرب طلاب لمطلوب
أديب ذبيان من عيرانة النيب^(٩)
على الحواضر قدماً والأعاريب

- (١) يقول : يخيّل إلى راكب السيارة من شدة سرعتها ، أن الربا متصل بعضها ببعض من غير فاصل ، لأنه يقرب ما بينها من مسافات ، فتبدو للعين كأنها متصلة .
(٢) الشناخيب : جمع شخوب وشخابة وشخاب ، وهو رأس الجبل .
(٣) الجرد : التي أنجرد شعرها وذهب ، وهو من صفات العتاق . والسراحيب : جمع سرحوب ، وهي الفرس الطويلة الجسم .
(٤) أنشازاً جمع نشر ، بالتحريك ، وهو المرتفع من الأرض .
(٥) الإدلاج : سير الدلجة في الليل ، والتأويب : السير بالنهار .
(٦) الظنبوب : مقدم عظم الساق .
(٧) الأجزاع ، جمع جزع ، بكسر الجيم ، وهو حيث ينجزع الواد والطريق ، أي ينعطف .
(٨) الألحوب : العدو الشديد تلهب منه الأرض الصلبة ، فيخرج منها الشرر .
(٩) أديب ذبيان : هو النابغة الذبياني ، والعيرانة : الناقة تشبه العير ، وهو حمار الوحش ، في وثاقة خالقها وقوتها . والنيب : جمع ناب ، وهي الناقة المسنة .

ولم يَرَمْ لو رأى ابن العبد منظرها من وصف عَوَجائه في كل أسلوب^(١)
ولأطال ابن حجر وصف منجرده على السَّراة كَمَيْت اللون يَعْبُوب^(٢)

من ويلات الحرب

مرّت تقول ألا ياربُّ خذْ رُوحِي كي أستريحَ بموتِي من تباريحِي^(٣)
مهزولةً الجسم من فقرٍ ومن نُسكٍ مُصْفَرَّةَ الوجه من هَمٍّ وتريحِ
باتت بغير عشاء وهي طاوية وأصبحت وهي غرثي دون تصبيح^(٤)
ضنكُ المعيشة أضوى جسمها فبدتْ شرّوى خيالٍ بطرف العين مأموح^(٥)
وأذبلتها هموم النفس ناصبةً فصوّحتْ وجنتيها أيّ تصوّيح^(٦)
ويلمّتها عيشةً نكداءً يابسةً لم تُبقَ من جسمها غير الألاويح^(٧)
في طرفها نظراً وإن تردّده لمح المريض إذا ماجاد بالروح
تلفعت بنديسٍ من تحرققه تحال طرّته بعضَ التقاريح^(٨)
فكم ترى العينُ خرقاً غير مرتقع في جانبه وفتقاً غير منصوح^(٩)

- (١) ابن العبد : هو حُرقة بن العبد بن سفيان البكري . وعوجاؤه : ناقته التي وصفها في معلقته بقوله : « بعوجاء مرقال تروح وتفتدي » والعوجاء : المعوجة من شدّة انحناء ، وممارسة الأسفار ، فلا شحم لها . أو هي لا تستقيم في سيرها ، من فرط نشاطها .
(٢) ابن حجر : هو امرؤ القيس بن حجر السكندى . والمنجرده : القصير الشعر . والسراة : الظاهر . والكَميت : الأخر . واليعبوب : الجواد البعيد الغاية في الجرى .
(٣) التباريح : كلف المعيشة في مشقة ، وهو من الجمع التي لا مفرد لها .
(٤) التصبيح : هنا بمعنى النداء ، أي مايؤكل صباحاً ، وهو اسم يني على تعجيل ، لا مصدر .
(٥) شرّوى : بمعنى مثل ، أي مثل خيال .
(٦) النصّويح : التجفيف ، أي جفت وجنتيها .
(٧) الألاويح : جمع ألواح ، جمع لوح ، فهو جمع الجمع ، وألواح الجسد : عظامه العراض . والمعنى : لم يبق في جسمها غير العظام ؛ يقال للمهزول : لم يبق منه إلا الألواح .
(٨) تلفعت : تلحفت وتغطت . والتقاريح : جمع التقريح ، وهو رأس نبت أو شجرة ينشعب كبرتن السكاب . أي تحال جانب ثوبها المتخرق كرأس هذا النبت المتشعب شعباً .
(٩) منصوح : أي محيط ، من نصح الثوب : إذا خاطه .

تَمْشِي انْخِزَالًا بَعْبُ الْفَقْرِ مُثْقَلَةٌ (١) كَظَالِعٍ فِي الطَّرِيقِ الْوَعْرَتِ كَسُوحٍ (٢)
خَارَتْ قَوَاهَا فَمَارَتْ فِي تَخْزَلُهَا يَكَادُ يُسْقِطُهَا هَبٌّ مِنَ الرِّيحِ (٣)

* * *

لَمَّا دَنُوتُ إِلَيْهَا كَيْ أَمَائِلَهَا وَالْقَلْبُ فِي خَطَرٍ أَنْ كَالْأَرَاخِيجِ
تَأَوَّهَتْ آهَةً حَمْرَاءَ دَامِيَةٍ تَشِفُّ عَنْ كَكِيدٍ بِالْهَمِّ مَجْرُوحِ
وَأَجْهَشْتُ ثُمَّ أَرَحْتُ مِنْ مَحَاجِرِهَا عِنَانٍ دَمَعٍ عَلَى الْخَدَّيْنِ مَنْضُوحِ (٣)
وَأَعْرَضْتُ وَهِيَ لَمْ تَنْبِسْ سِوَى نَظَرٍ

يُغْنِي الْأَلْبَاءُ عَنْ نَطْقٍ وَتَصْرِيحٍ (٤)
فَرُحْتُ مِنْ عَجَبِي مِنْهَا وَمِنْ جَزَعِي أَبْكِي لَهَا بَيْنَ تَرْجِيْعٍ وَتَسْبِيْحٍ (٥)
مَنْ لَيْسَ يُبْكِيهِ مِنْ أَبْنَاءِ جِلْدَتِهِ بَكَوْهُمْ فَهُوَ مِنْ جَنْسِ التَّمَسِيْحِ
وَلَا يَقُومُ بَعْبُ الْمَجْدِ مَضْطَلَعًا مَنْ لَا يَقُومُ إِلَى إِنْهَاضٍ مَفْدُوحٍ (٦)
وَمَا السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا بِحَاصِلَةٍ إِلَّا بِإِسْعَادِ أَطْلَاحِ مَرَاذِيْحِ (٧)
إِنَّ الْمُرُوءَةَ شَيْءٌ لَا تَتَنَاوَشُهُ إِلَّا سَوَاعِدُ أَجْوَادِ مَسَامِيْحِ
أَرَى كُنُوزَ الْمَعَالِي مَالِ الْقَفَائِيْهَا غَيْرُ السَّمَاكِ لَعَمْرِي مِنْ مِفَاتِيْحِ
وَالْعَيْشُ غَيْهَبٌ آمَالٍ وَلَيْسَ لَنَا سِوَى التَّعَاوُنِ فِيهِ مِنْ مَصَابِيْحِ

* * *

(١) الانْخِزَالُ ، كَالنَّخْلِ : هُوَ الْمَشْيُ فِي تَثَاوُلٍ ؟ يُقَالُ : انْخَزَلَ وَتَخَزَلَ : إِذَا مَشَى مُثْقَلًا .
وَالظَّالِعُ : الَّذِي يَغْمُزُ فِي مَشْيِهِ ، أَيْ يَمِيلُ مِنْ رِجْلِهِ ، وَكَذَلِكَ الْمَكْسُوحُ ، يُقَالُ : جَلَّ مَكْسُوحٌ :
إِذَا كَانَ بِهِ ظَلَمٌ شَدِيدٌ .

(٢) خَارَتْ : سَقَطَتْ ، يُقَالُ : خَارَتْ قُوَّةُ الْمَرِيضِ : إِذَا سَقَطَتْ قُوَّتُهُ . وَمَارَتْ : أَيْ اضْطَرَبَتْ
(٣) أَجْهَشْتُ : هَمْتُ بِالْبُكَاءِ ، وَتَهَيَّأْتُ لَهُ . وَمَنْضُوحٌ : مَرشُوشٌ .

(٤) لَمْ تَنْبِسْ : أَيْ لَمْ تَتَكَلَّمْ ، وَلَمْ يَسْتَعْمَلْ هَذَا الْفِعْلُ إِلَّا مُنْهِيًا .

(٥) التَّرْجِيْعُ : هُوَ قَوْلُ الْمَصَابِ بِمَصِيبَةٍ : « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » . وَالتَّسْبِيْحُ : هُوَ قَوْلُ

الْمُعْجَبِ : « سُبْحَانَ اللَّهِ » ! فَفِي السَّلَامِ لَفٌ وَنَشْرٌ غَيْرُ مَرْتَبٍ .

(٦) الْمَفْدُوحُ : الْمُثْقَلُ ، يُقَالُ : فِدَاخَةُ الْحَمْلِ وَالْدَيْنِ : إِذَا أَثْقَلَهُ وَهَيَّظَهُ .

(٧) أَطْلَاحٌ : جَمْعُ طَلْحٍ ، وَهُوَ الْمَعْنَى وَالْمَهْزُولُ . وَكَذَلِكَ مَرَاذِيْحٌ ، يُقَالُ : إِبِلٌ مَرَاذِيْحٌ ، أَيْ
مَهْزُولَةٌ سَاقِطَةٌ .

قامت قيامة أهل الغرب فانبعثت هزاهز بينهم عمت بني نوح^(١)
 واستفحلت فتنة عمياء جائحة تمخضت في دم الأرض مسنوح
 وقامت الحرب باللاأواء شاملة كل البسيطة حتى الأبحر الفيح^(٢)
 والأرض قد أصبحت من مكر ساكنها
 محمرة اللوح أو مغبرة الشوح^(٣)
 ضاقت على الناس وانسدت مسالكها

فعاد كل طريق غير مفتوح
 والحرب أغنت أناساً غنية عجباً وآخرين رمتهم بالجليح^(٤)
 ومعشراً أسكنتهم في الذرا غرقاً ومعشراً بطن ملحود ومضروح^(٥)

أما التي أوجعت قلبي بمنظرها وأوهنته بتبضيب وتقرح
 فغادة عضت الحرب الضروس بها عضاً بناب حديد غير مرضوح^(٦)
 أمست تكابد من فقر ألم بها آلام عيش بشيع الطعم مذروح^(٧)
 تنو إلى الناس بالشكوى فتحسبها ظمان يشكو لآل حرقة اللوح^(٨)

-
- (١) الهزاهز : الفتن التي تهز الناس ، والمراد ببني نوح : البشر كاهم . لأن نوحاً هو آدم الثاني .
 (٢) اللاأواء : الشدة والمجاعة . والفيح : جمع أفيح ، يقال : بحر أفيح ، أى واسع .
 (٣) اللوح ، بضم اللام : الهواء بين السماء والأرض . والسوح : جمع ساحة ، احرار اللوح ،
 واعتبار السوح : كناية عن وقوع القحط والجذب .
 (٤) المجاليع : السنون التي تذهب بالمال ، وهى ذات القحط والجذب .
 (٥) الملحود والمضروح : القبر .
 (٦) عضت بهم الحرب : أى اشتدت عليهم . ومرضو مكسور .
 (٧) مذروح : مسموم .
 (٨) الآل : السراب . واللوح ، بضم اللام هنا ، بمعنى العطش . والمعنى أنها تشكو إلى الناس
 بلا فائدة . كشكوى الظمان ظمأه إلى السراب .

على جسر مود

قالها بصف بها ليلة مقمرة وهو على جسر مود ببغداد

لاتبك أربعم ولا الأطلا لا واريا بحبك أن يكون حبالا (١)
واترك سؤالك للرسوم فإنها مما يزيدك بالسؤال ضللا
وانظر إلى حسن الطبيعة إنه حسن يفيدك في الحياة كالا
حسن يقيّد من رآه بحبه ويفكّ من أفكاره الأغلالا
ويطير في جو السرور مرفقا بالمشكين كآبة ومللا
أو ما ترى البدر المنير إذا بدا يكسو الدجى من نوره سربالا (٢)

واقف بجسر مود عشيّة والبدر في أفق العلى يتللا
والليل يلبس من سناه مطارفا منها يجرّ بدجلة أذلالا
أما النسيم فقد جرى متعطرا وحكى بطيب هبوبه الآمالا
وجبين دجلة قد صفا متألقا فحكى السماء محاسنا وجمالا
فحسبت نفسى في السماء مشاهدا تحتى بدجلة للسماء مثالا
ورأيت من فوق السماء حقيقة ورأيت من تحتى السماء خيالا
فكأنما الجسر الذى أنا فوقه قد مد فى جو السماء مثالا
وكأنما أنا فى السماء محلق طورا أسف وتارة أعالى (٣)

لله ما شاهدته من منظر يدع الكتيب كشارب جريالا (٤)
حفت جوانبه بكل بديعة فرها جمالا واستقلّ جلالا
حتى نخيل الجانبين جميعها قامت له بحفاوة إجلالا

(١) الخيال : ضرب من الجنون .

(٢) أسف الطائر : دنا من الأرض

(٣) السربال : القميص .

(٤) الجريال : من أسماء الخمر .

على البسفور

وقفتُ على البسفور والريحُ عاصفٌ ولذَّوْحٌ ظِلٌّ دونه متقلِّصٌ
وفي البحر تجرى موجة إثر موجةٍ
كجرى طموح الخيل إذ يتوقَّصُ^(١)
ويزبد أعلى الموج حتى كأنه
هضاب إلى أطرافها الثلج يخلص
كأن رياح الجوّ عند هبوبها
تغنى وهذا الموج في البحر يرقص
كذا حادثات الدهر تمضي رواقصاً
بها العيش يصفو أو بها يتنقص
وفي كل يوم للزمان عجائب
بها الناس تغلو أو بها الناس ترخص
وأعجب ما في الدهر أن هباته
تزيد لمن فيه المروءة تنقص
وربّ أفيك جاء يمدّق وُدّه^(٢)
ولكنه في ودّه الثعلب الذي
يرويغ أو الكلب الذي يتبصص^(٣)
تعاليتُ عن تبكّيته إذ رأيته
جَهولاً على عِلّاته يتعنّفص^(٤)
وقلت له لا تدن مني فأبى
بغيضٍ إلى الكاذب المتخرّص^(٥)
وإنك عارٍ من سوى العار فابتعد
فإني بأثواب العلى متقمّص
حرّصت على تكرّيم محضر صاحبي
وإني على ذا في المغيب لأحرص
وما غرّني ذو ظاهر متودّدٍ
إذا كان فيه باطن متلصّص^(٦)
ويا ربّ وجهٍ لم يرقني بياضه
فلما دنا مني إذا هو أبرص

(١) يتوقّص : يثب في عدوه وهو يقارب الخطو .

(٢) أفيك : كاذب . ويمدّق : يخلط . يقال : هو يمدّق اللبن بالماء .

(٣) بصص الكلب بذنبه : حركة تملأ لصاحبه ، وتبصص الذنب تحركه . مطاوع بصص ،

وقد ضمن الشاعر الفعل بتبصص معنى يتماق .

(٤) العنّفص : البذية القليلة الحياء من النساء ، وقد اشتق الشاعر من هذا الوصف الفعل بعنّفص

(٥) المتخرّص : الكاذب . (٦) متلصص : خائن .

فيا شعراء القوم كفوا وَغَاكُمُ فشرح العلى في بعض شعري ملخص
دعوا كشف مكنون الصدور لفطنتي

فإني بدا من دونكم متخصص
ذكاء لو اجتزت الجدار بنوره أشف اعيني الجدار المخصص
ولست على الأعقاب في الرأي ناكصا

إذا كان للمستضعف الرأي منكص^(١)
على أن لي في معرض الشك ربيعة^(٢) ورُبَّ يقين ناله المتربص^(٣)
إذا أنا لم أنكر على الدهر جوراً فلا وطئت بي موطئ العز أخص

إلى غرة آل سعدون

أعبد الحسن السعدون إني أراك مناط أسباب الرجاء^(٤)
وأبصر من فعالك بدر تم يلائي من فخارك في سماء
لذلك قد أتيت إليك أشكو رثاة بزني وبلي كسائي^(٥)
فقد رقت ثيابي اليوم حتى تكاد تذوب من مس الهواء
غدت شفافة حتى كائى لبست بهن أثواب الرياء
وليس العري من ثوب معيبا لكاسي النفس من حلل الإباء
وما ضرر المهند فقد جفن إذا ما كان محمود المضاء^(٦)
فإن لم تدرك الأيام عري بشوب منك يا غمر الرداء^(٧)
لبست قرار بيتي في نهاري ولم أخلعه إلا في المساء

(١) منكص مصدر ميمي : بمعنى النكوص ، وهو الرجوع .

(٢) ربيعة : وقته وانتظار . (٣) مناط الشيء : موضع تعليقه .

(٤) بزني : ثيابي .

(٥) المهند : السيف المنصوع في الهند . والجفن : قراب السيف .

(٦) غمر الرداء : واسع الغطاء .

فإن جاء المساء لبست منه
 وصرت أجول كالخفاش ليلاً
 ولست أريد ثوباً أتحميها
 ولكن بزة البدوي أبغى
 ومن كوفيّة صحت عقلاً
 فذا زى يتم به رجوعى
 وما صيرت ملبوسى خفيفاً
 وكيف وأنت أكرم من حبانى
 ولكنى رغبته عن اكتساء
 وكيف يكون مطلوبى حقيراً
 وهل أنا غير عبد أنت منه
 لأتخذن إخلاصى وصدقى
 وأجعل ما حيت جميل شكرى
 ولست أرى الحياة تطيب إلا
 وأعلم أن ما أشكو إليكم
 ويشمت بى الذين لهم نفوس
 ولم يشمت بأحرار البرايا
 ولكن هوّن البرحاء أنى
 شكوت إلى فتى جمّ المزايا
 فتى يؤليك عند البؤس خيراً
 رحيب الباع مؤتلق الحيا

ظلاماً ما تمزق بالضياء
 وألجأ فى النهار إلى الضراء^(١)
 ولا من زى أرباب الثراء^(٢)
 فمن ثوب على ومن عباء
 يكون الرأس منها فى غطاء
 إلى عيش بسيط ذى هناء
 لأنى خفت من ثقل العطاء
 بأكرم ما رجوت من الحباء
 يطول به من الدنيا عنائى
 وأنت أجل من تحت السماء
 خصصت أبا على بالولاء
 لكم من كل موبقة وقائى^(٣)
 لما أسديت من نعم غذائى
 بحسن تحمدى لك والثناء
 يسرّ الماردين على عدائى
 مريض من العيوب بكل داء
 سوى لؤمائم والأدنياء
 شكوت إلى جدير باشتكائى
 كبير النفس منفرد السناء
 ولا ينسأك فى حال الرخاء
 أصيل الزأى وقاد الذكاء

(١) الضراء : الشجر المتلف فى الوادى . يقال : نوارى الصيد منه فى الضراء . أو هو ما وارك من أرض

(٢) الأتحمى : الثوب الصفيق المتين النسيج .

(٣) موبقة : مهلكة .

صرِيخٌ في مقاصده إذا ما أَسْرَ القَوْمُ حَسَوًا في ارتقاءِ^(١)
 زَكَتْ أخلاقه فصفت ورَقَّتْ فَمِنْ لَكُلِّ مَكْرُمَةٍ مَرَانِي^(٢)
 يَلَاقِي الزَّائِرِينَ بِبِشْرِ وَجْهِهِ تَجَلَّلَ بِالْمَرْوَةِ وَالْحِيَاءِ
 إِذَا رَأَسَ الْبِلَادَ أَبُو عَلِيٍّ فَقَدْ وَضَعَتْ بِهَا طَرِيقَ الْعَلَاءِ
 وَإِنْ وَلِيَ الْوِزَارَةَ وَهُوَ أَهْلُهَا فَيَا حَسَنَ السِّيَاسَةِ وَالذَّهَاءِ

الوسام

وفخامة رئيس الوزراء

حَسَنُ الْوَسَامِ بِصَدْرِ عَبْدِ الْحَسَنِ وَبَدَأَ عَلَيْهِ كَرَاهُةٌ مِنْ سَوَسَنِ
 صَدَرَ بِهِ كَمَفَتْ سِرَائِرَ مَجْدِهِ فَاسْتَعَصَمَتْ مِنْهُ بِأَشْرِفِ مَكَمَنِ
 وَاسْتَأَمَّتْهُ الْمَكْرُمَاتُ فَأَصْبَحَتْ مِنْ كُلِّ شَائِئَةٍ بِأَكْرَمِ مَأْمَنِ
 نَاحِ الْوَسَامِ بِأَفْقِ صَدْرِكَ لَامِعًا كَالنَّجْمِ فِي الْأَفْقِ السَّعِيدِ الْأَيْمَنِ
 هُوَ لِلْعُلَى مِنْ فَوْقِ صَدْرِكَ شَارَةً أَكْرَمَ بِصَدْرِكَ لِلْعُلَى مِنْ مَعْدِنِ
 شَرَفَ حُبَيْتٍ بِهِ فَكَانَ مَسْرَّةً لِلْمَخْلُصِينَ وَحَسْرَةً الْمُنْخَوْنِ^(٣)
 جَعَلْنَاهُ لِنَدْنُ لِلْعِرَاقِ كَرَامَةً إِذَا أَكْرَمْتِكَ بِهِ سِيَاسَةُ لَنَدْنِ
 لِيَكُونَ فِيكَ عَلَامَةً مِنْهَا عَلَى مَا تَبْتَغِيهِ مِنْ اعْتِزَازِ الْوَطَنِ
 فَافْخَرْ بِهِ كُلَّ الْفَخَارِ وَسِرِّ بِنَا مَا شَأْنُ سِيرِ حَضَارَةِ وَتَمَدْنِ
 تَتَنَاسَبُ الْأَشْيَاءُ مَعَ أَصْحَابِهَا شَرَفًا فَيُعْظَمُ حَسَنُهَا فِي الْأَعْيَنِ
 وَكَذَلِكَ صَدْرُكَ وَالْوَسَامُ كَلَاهَا ذَوْنُ نِسْبَةٍ فِي الْمَجْدِ ذَاتِ تَقَنِّينِ
 فَكَلَاهَا عَنَوَانُ مَجْدِ قَرِينِهِ فَاعْجَبْ لِحَسَنِ مُعْنُونٍ بِمَعْنُونِ

(١) الحسوة : الشرب . والارتقاء : شرب الرغوة التي على اللبن ونحوه . وهذا مثل معناه أنه يظهر أنه يشرب الرغوة وهو يحسو اللبن الذي تحتها . يضرب لمن يظهر غير ما يبطن .
 (٢) مرآني : جمع مراة .
 (٣) المنخون : المنقصر .

يا أصدق الوزراء معرفة بما يَهْدِي البلادَ إلى المآبِ الأحسن
سِرّاً بالبلادِ إلى معالمِ عزّها وأبلغُ بهنّ مَدَى الرقيّ الممكن
إنّا نترجو للعراقِ وأهله بك يا أصيلَ الرأي فضلَ تحسّن

نحن

في يومِ حادثةِ الرئيس

شاعَ كالبرقِ في العراقين يوماً خَبَرٌ أترَعَ القلوبَ كَآبَةً (١)
خَبَرٌ قَطَرْنَا العراقيُّ قد زُلْـزلَ منه حتى خَشِينَا انقلابه
شاعَ أن الرئيسَ أهوى إليه ذو اعتداءٍ بِمُدِيَةِ فأصابه
إذ رماه بطنعة منه في الزنـدِ وأخرى في رأسه والنُّؤابه
فيوَى بِخَيْطِ الصعیدِ صَريعاً بدماءٍ قد ضَرَجَتْ أَثْوَابُهُ (٢)
خَبَرٌ صاحَ عنده الناسُ يا لَـللهِ للمجدِ والندى والنجابه
واستمر الكرام يرجون أن لو حَقَّقَ اللهُ خُلُقَهُ وكِذَابَهُ
ويقولون من أصيب ؟ أعبدُ اللهَ محسنَ العبقريِّ لَيْثُ الغابه
أسلِلُ الدَّأودِيَّ من آلِ سَعْدُونَ أربُّ الشَّامِلِ المستطابه
وَيَحْكُمُ ما الذي تقولون لنا سَ أَجِدُّ مقالكم أم دُعابه
إن يكن صَحَّ ما نقولون لاصحَّ فَقَدْنا من العلاءِ لُبابه

ثم مرّت سُوَيْعَةٌ فتولّتْ سَحَبُ النعمِ والأسى مُنْجَابُهُ (٣)
إذ علمنا أن الرئيسَ بحالٍ غيرِ قَتَالَةٍ ولا رِيَابِهِ
وعلمنا الخطبَ الذي أكَبروه غيرَ خطبِ وإن يكن ذا غَرابه

(١) أترعه : ملأه ، وإناء مترع : ملان .

(٢) ضرجت أثوابه : لطمتها بالدماء .

(٣) انجواب : انكشف .

يَدَّ أَنْ الَّذِينَ هُمْ أَكْبَرُهُ أَرْجَفُوا نَافَخِينَ فِي الشَّبَابِ^(١)
فَإِذَا كُلُّ مَا جَرَى هَذَا أَسَدٌ قَدْ عَدَّتْ عَلَيْهِ ذِبَابُهُ
فَهَيْئَتَا لَا لِلرَّئِيسِ وَلَكِنْ لِلْعَالِي ، وَلِلنَّهْي ، وَالنَّجَابَةِ

فِي مَلْعَبِ كُرَةِ الْقَدَمِ

قَصَدُوا الرِّيَاضَةَ لَاعِبِينَ وَيَنْفَهُمْ كُرَةً تُرَاضُ بِلَعِبِهَا الْأَجْسَامُ
وَقَفُوا لَهَا مَتَشَمِّرِينَ فَأَلْقَيْتَ فَتَعَاوَرَتْهَا مِنْهُمْ الْأَقْدَامُ^(٢)
يَتَرَاكِضُونَ وَرَاءَهَا فِي سَاحَةِ لَلشُّوقِ مُعْتَرِكٌ بِهَا وَصِيدَامُ^(٣)
رَفْسًا بِأَرْجُلِهِمْ تُسَاقُ وَضَرْبُهَا بِالْكَفِّ عِنْدَ اللَّاعِبِينَ حَرَامُ
وَلَقَدْ تُحَلِّقُ فِي الْمَوَاءِ وَإِنْ هَوَتْ شَرَعُوا الرِّعَاسُ فَنَاطَحَتْهَا الْهَامُ
وَتَحَالُهَا حِينًا قَذِيفَةً مِدْفَعُ فَتَمْرُ صَائِتَةٌ لَهَا إِدْرَامُ
وَلَرَّبَّمَا سَقَطَتْ فَقَامَ حَيَالُهَا لِلضَّرْبِ عَيْلُ السَّاعِدِينَ هَامُ
فَتَحَالُهَا وَتَحَالُهُ كَفَرِيسَةٍ سَقَطَتْ فَرَجَحَرُ دُونِهَا الضَّرْغَامُ
لَا تَسْتَقَرُّ بِحَالَةٍ فَكَأَنَّهَا أَمَلٌ بِهِ تَتَقَاذَفُ الْأَوْهَامُ
تَنْحُو الشَّمَالَ بِضَرْبَةٍ فَيَرُدُّهَا نَحْوِ الْجَنُوبِ مُلَاعِبُ لَطَامُ
وَتَمْرُ وَاثِبَةٌ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى مَرًّا كَمَا تَتَوَاثَبُ الْأَرَامُ
وَتَدُورُ بَيْنَ اللَّاعِبِينَ فَمُخْجَمُ عَنْهَا وَآخِرُ ضَارِبِ مِقْدَامُ
وَكَأَنَّهَا وَالْقَوْمُ يَحْتَوِشُونَهَا قَلْبٌ عَلَيْهِ تَهَاجَمُ الْأَلَامُ
رَاضُوا بِهَا الْأَبْدَانُ بَعْدَ طِلَابِهِمْ عَلَمًا تُرَاضُ بِدَرْسِهِ الْأَفْهَامُ
أَبْنَاءُ مَدْرَسَةِ أَوْلَاءَ وَكُلُّهُمْ يَفْعُ مَرِيرِ الْمِرْقَقِينَ غَلَامُ

* * *

(١) الشَّبَابُ : نَوْعٌ مِنَ الْمَزَامِيرِ مَوْلَدَةٌ . (٢) تَعَاوَرَتْهَا : تَدَاوَلَتْهَا .

(٣) يَتَرَاكِضُونَ : يَتَسَابِقُونَ فِي الْعَدْوِ وَرَاءَ الْكُرَةِ .

لا بدّ من هزّل النفوس فجدها تعبٌ وبعضُ مُزاجها استجمام
فإذا شغلت العقل فألّه سُرِعةً فاللهو من تعب العقول جِمام^(١)
والفكر منهكة فباستمراره تَهِنُ العقولُ وتهزّل الأجسام
إن الجسوم إذا تكون نشيطة تقوى بفضل نشاطها الأحلام
هذى ملاعبهم فجسمك رُض بها واسلك مسالكهم عداك الدّام^(٢)

الاحسان

أنشدت في حفلة افتتاح مدرسة الأيتام التي أسستها الجمعية
الخيرية الإسلامية في بغداد وأنفق على بنائها حضرة المحسن
الكبير مناحيم صالح دانييل من أشرف الملة الموسوية وأغنيائها
في بغداد وذلك سنة ١٩٢٨ :

لو كنتُ أعبدُ قانياً في ذى الدّنا لعبدتُ من دون الإله المحسناً
وجعلت قلبي مسجداً لتعبدي سِرّاً وفهت له بشكري مُعلناً
كي لا أكون مرأياً بعبادتي ولكي أكون بشكره متفناً
في نُجَّتِي غرس الخليفة لم أجـد

غرساً سوى الإحسان خلّو الله جنتي
هو في الخليفة ذو عجائب سرّها أعيا الأليـب وأعجز المتفطناً
بيناه يغدو للنفوس مُقيّداً بالحب يطلق بالثناء الألسنا
يستعبد الأحرار وهو صانعهم ويرد بغض المبغضين تحنّنا
كم بلّ نائرة فأطلقاً نارها من بين مُشترك الصوارم والقنا
ما لاح كوكبه بموهن غمّة إلّا أعاد ضحى سناء الموهنا^(٣)
ما إن تظلل موطن بظلاله إلّا أعزّ الله ذاك الموطنا

(٢) الدّام : العيب .

(١) جِمام : راحة .

(٣) الموهن : الساعة بعد منتصف الليل .

نَفَحَاتِهِ تَمْحُو مَعَايِبَ أَهْلِهِ من حيث تُعْمِي عَنْ رُؤَاهَا الْأَعْيُنَا
لَمْ أَدِرِ وَالْآثَارَ مِنْهُ كَثِيرَةٌ فِي الْغَرْبِ لِمُ نَزُرْتَ وَقَلَّتْ عِنْدَنَا
أَفْنَحْنُ نَجْمَهُ وَقَدْ عِلْمُ الْوَرَى فِي الشَّرْقِ نَشَأَتْ رِيْبَا بَيْنَنَا
أَوْ مَا أَمَرْنَا فِي عِظَاتِ كِتَابِنَا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ أَنْ نَتَدَيَّنَا

وَيَسِّرُنِي أَنِي أَشَاهِدُ مَوْطِنِي قَدْ نَالَ مِنْ بَرَكَاتِهِ بَعْضُ الْمُنَى
وَإِذَا اسْتَرْيَبَ بِمَا أَقُولُ فَشَاهِدِي هَذَا الْبِنَاءُ وَمَنْ حَمَاهُ وَمَنْ بَنَى
قَدْ شِيدَ لِلْأَيْتَامِ مَأْوَى وَاهِيَا يَهْتَمُّ بِالْأَيْتَامِ فِيهِ وَيُعْتَنِي
لِيَكُونَ فِيهِ شَفَاؤُهُمْ مِنْ جَهْلِهِمْ

وَمَنْ الظَّمَا وَمَنْ الطَّوَى وَمَنْ الضَّنَى بِالْمَالِ مُشْتَرِيَا بِهِ كُلُّ الثَّنَا
فَاسْتَوْجِبِ الْحَمْدَ الَّذِي كَلَّمَاتُهُ مُسْتَغْرِقَاتٌ بِالثَّنَاءِ الْأَزْمَنَا
فَلَنَكُنْهُ بِأَبِي الْيَتَامَى بَعْدَ ذَا إِذْ لَا يَخَاطَبُ مِثْلَهُ بِسُوءِ الْكُنَى
رَجُلٌ عَلِمْنَا الْيَوْمَ مِنْ إِحْسَانِهِ أَنْ لَيْسَ لِلْإِحْسَانِ دِينَ فِي الدُّنَا
لَا يَحْسُنُ الْإِحْسَانُ إِلَّا هَكَذَا قَدْ صَارَ طَبْعًا لِلنَّفُوسِ وَدِيدَنَا
وَالْمَالُ إِنْ جَادَتْ بِهِ يَدُ مُحْسِنٍ حَسَنٌ وَإِلَّا فَهُوَ بئْسَ الثَّمَنَتْنِي
سَعِدَ امْرُؤٌ بِذَلِكَ الْفَوَاضِلِ لِلرَّيِّ عَفْوًا وَعَوَّدَ نَفْسَهُ أَنْ يُحْسِنَا
وَالْجِدُّ مِنِّي هَيْمَنَا هُوَ أَنَّنِي أَدْعُو إِلَى الْإِحْسَانِ مِنْ حَضَرُوا هُنَا

الجـرأئـد(*)

وما كانت عليه في الآستانة

إذا شئت أن تسرى بكافرة الصوى
وتذهب مِحيار الظلام تحبُّطاً
وتمشي فما تدرى إلى قعر هوة
فطالع أراجيف الجرأئد إننى
جرأئد فى دار الخلافة أضرمت
ولم يكفها هذا الخلاف وإنما
فما بين مكذوب عليه وكاذب
ترى فى فروق اليوم قراء صحفها
جدال على مرّ الجديدين دائم
فدأئد منهم عن رمي يردّه
وهذا إلى هذى وذاك لغيرها
وما هى إلا ضجّة كل صائت
أضاعوا علينا الحق فيها تمعدا
ولم أر شيئاً كالجرأئد عندهم

يدوى بقطريها هزيم الرواعد^(١)
وتعثر فى ظلماتها بالجلأمد^(٢)
تروح بها أم للمدى للتباعد
أرى الويل كل الويل بين الجرأئد
لهيب خلاف بينها غير خامد
أطافت بنقص فى الحقيقة زائد
وما بين مجرود عليه وجاحد
فريقين من ذى حجة ومعاند
بتفنيد رأى أو بتزييف ناقد^(٣)
وآخر رام سمة نحو ذائد^(٤)
من الصحف يدعو آتيا بالشواهد
بها مدّ لادنيا حيلة صائد^(٥)
وعقبي ضياع الحق سود الشدائد
مبادته منقوضة بالمقاصد

(*) من الجزء الأول .

(١) كافرة الصوى : كناية عن الصغراء التى لاعلم فيها بهتدى به . ويدوى : يكون له دوى .

وهزيم الرواعد : صوت السحب ذرات الرعد .

(٢) الجلأمد : جمع جلمد ، وهو الصخر .

(٣) تفنيد الرأى : نسبه إلى التفتد ، بالتعريف ، وهو الكذب . وتزييف النقد : نسبه إلى

الزيف ، وهو فى الأصل الدرهم غير الجيد . والمراد إبطال كلامه واعتباره لغوا .

(٤) ادأئد : المدافع عن الشيء والمرمى : المرمى ، فحبل بمعنى مفعول .

(٥) حيلة الصائد : ما يستعين به من الحيل لاصيد الحيوان .

يقولون نحن المصلحون ولم أجد
وكيف يبين الحق من نقائصهم
فإياك أن تغترّ فيهم فكلّهم
وكن حائدا عنهم جميعا فإنما
لهم في مجال القول غير المفسد
وكل له في الحق نقشة مارد
يجرّ إلى قرصيه نار المواقد
يضلّ امرؤ عن غيهم غير حائد

• • •

على رسلكم يا قوم كم تسمعونا مقالة محفود عليه وحاقد^(١)
ألا فارجحوا بالصفح عن نهج صحفكم

فقد أوردتنا اليوم شر الموارد
وما الصحف إلا أن تدور بنهجها
وأن تنشر الأقوال لا عن طاعة
وألا تعاني غير نشر حقائق
أتبعون في تلقيقها نفع واحد

وتغضون عن إضرارها ألف واحد
إلا أن صحف القوم رائد نجحهم
لعمري إن الصحف مرآة أهلها
كما هي ميزان لوزن رقيهم
ألا تنظرون الغرب كيف تسابقت
بها يهتدى القراء للحق واضحا
ولكن أبى الشرق التعيس تقدما
فلا تحملوا حقا على ما أقوله
وما هي إلا غيرة وطنية
وما جاز في حكم النهي كذب رائد
بها تتجلى رُوحهم للمشاهد
وديوان أخلاق لهم وعوائد
به الصحف في طرق العلى والمحامد
كما يهتدى السارى بضوء الفراقد
مع الغرب حتى في شئون الجرائد
فإني عليكم خائف غير حاقد
فإن تجدوا منها فاستبرأوا

(١) على رسلك: أى تمهل.

وقفه في الروض (*)

ناح الحمام وغرّد الشُّرورُ هذا به شَجَن وذا مسرورُ
 في روضة يُشجّي المشوقَ ترقُّقُ للماء في جنباتها وخرير
 ماء قد انعكس الصفاء بوجهه وصفا فلاح كأنه بَلُورُ
 قد كاد يمكن عند ظني أنه بالماس يُوشِر منه لى مَوْشورُ^(١)
 وتسلسلت في الروض منه جداول بين الزُّهور كأنهن سَطُور
 حيث الغضون مع النسيم مَوائِل فكأنهن مَعاطِف وخصُور

ماذا أقول بروضة عن وصفها يعيا البيان ويعجز التعبير
 عُني الرِّيعُ بوشيا فتنوعتُ لالعين أنوارُ بها وزهور
 مثلتُ بها الأغصان وهي منابر وتلتُ بها الخطباء وهي طيور^(٢)
 متعطرٌ فيها النسيم كأنما جيبُ النسيم على الشذا مزور
 للترجس المظلول ترنو أعين فيها وتيسم للأفاح ثُغور^(٣)
 تحذتُ خزامها البنفسج خدنها وغدا يشير لوردها المَشُور
 وكأن محمّر الشقيق وحوله في الروض زهر الياسمين يمور^(٤)
 سَمِع توقّد في زجاج أحمر فغدا حوالبه الفَراش يدور

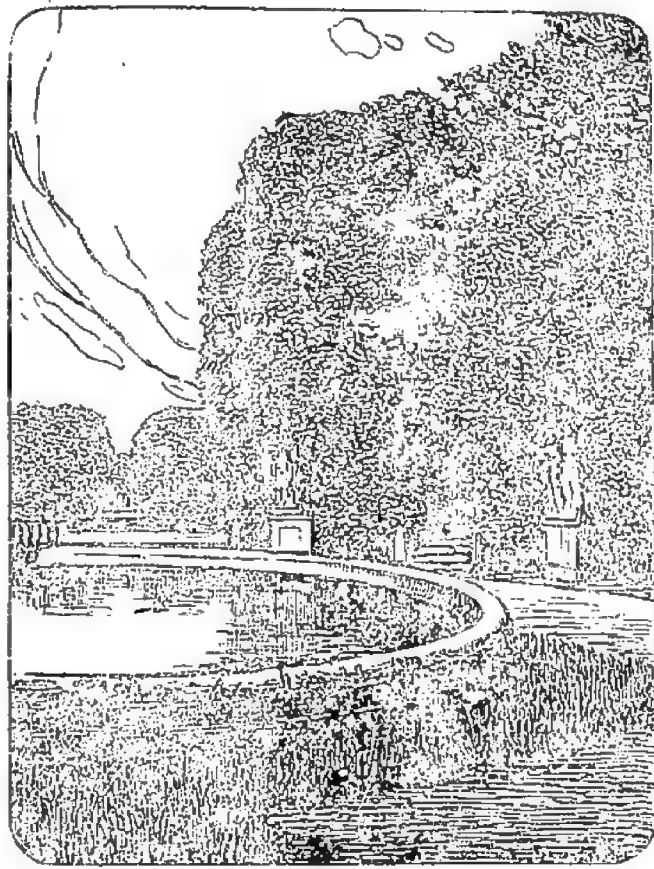
(*) من الجزء الأول .

(١) شبه الماء في البيت الذي قبل هذا بالبلور . ثم زاد في هذا البيت أنه بلور ، وأنه يمكن أن يقطع منه بالماس موشور ، وهو قطعة مستطيلة ذات أضلاع ، إذا مرت خلالها أشعة الضوء انحلت إلى ألوانها السبعة .

(٢) مثلت : انتصبت وقامت .

(٣) المظلول : الذي أصابه الظل ، وهو الندى . والأفاحى : جمع أفتحوان ، وهو نوار أبيض تشبه به الأسنان في بياضها واستوائها .

(٤) يمور : يهتز ويتمايل .



ماء قد انعكس الصفاء بوجهه . . .

وتروق من بُعدٍ بها فوّارة في الجوِّ يَدْفُقُ ماؤها ويفور
يحكي عمودُ الماء فيها آخذاً صُعُداً عمودَ الصبح حين ينيرُ
ناديت لما أن رأيت صفاءه والنور فيه متغلغلٌ مكسور
هل ذاك ذوّب الماس يحمد صاعداً أم قد تجسم في الهواء النور
تتناثر القطرات في أطرافها فكأنما هي لؤلؤ منشور
ينحلُّ فيها النور حتى قد ترى قوس السحاب لها بها تصوير

* * *

كم قد لبست بها الضحى من روضة فيها علّنتي نضرة وسرور
فأجّلت في الأزهار لحظ تعجبي ولفكرتي بصفاتهم مرور
فنظرتهن تحيّرًا ونظرتهن حتى كلانا ناظر منظور
فكان طرف الزهر ثمة ساحر لـ رنا وكأنني مسحور

إن الزهور تُكِنَّهِنَّ بَراعِمٌ مثل العلوم تَجْنِهنَ صُدُورٌ^(١)
وَتَضَوُّعُ النِّفحاتِ مِنْها مِثْلُهُ تَبَيِّنُها لِلنَّاسِ وَالتَّقْرِيرُ^(٢)
وَبِتْلَكَ قَلْبَ الْجَهْلِ مَصْدُوعٌ كَمَا ثُوبُ الْهَمُومِ بِهِذِهِ مَطْرُورٌ
وَالزَّهْرُ يُنْبِتُهُ السَّحَابُ بِمَائِهِ كَالْعِلْمِ يُنْبِتُ غَرْسَهُ التَّفَكُّيرُ
إِنْ كَانَ هَذَا فِي الْحَدائقِ بِهَيْجَةٍ يَزْهَوُ فَذَلِكَ فِي النَّهْيِ تَنْوِيرٌ
أَوْ كَانَ هَذَا لَا يَدُومُ فَإِنْ ذَا لَيَدُومُ مَا دَامَتْ تَسْكُرُ عَصُورٌ

ما رأيت في بك أو غلى^(٣)

قالها عند ما ذهب إلى حى بك أو غلى في الآستانة سنة ١٨٩٨
وقد كان إذ ذاك معهما « وذلك قبل أن يستبدل الطربوش بالعمامة .

ذهبتُ لِحَى فِي فُرُوقٍ تَزَاحَمَتْ بِهِ الْخَلْقُ حَتَّى قُلْتُ مَا أَكْثَرَ الْخَلْقِ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَيْهِ وَإِنَّمَا إِلَى التَّلَاعِاتِ الزُّهْرُ فِي دَرَجٍ تَرَقَّى
يَضِيءُ بِهِ ثَغْرُ الْحَضَارَةِ بِاسْمًا بِلَامِعِ نَوْرِ عِلْمِ السُّعُوبِ الْبَرَقَا
رَأَيْتُ مَبَانِيهِ وَجُلْتُ بِطَرَقِهِ فَمَا أَحْسَنَ الْمُبْنَى وَمَا أَوْسَعَ الطَّرْقَا !
فَكَمْ فِيهِ مِنْ صَرِيحٍ تَرَى الدَّهْرَ مُتَلِيعًا يَمُدُّ إِلَى إِدْرَاكِ شَرْقَتِهِ الْعُنُقَا^(٤)
قُصُورٌ عُلَّتْ فِي الْجَوِّ لَمْ تَأَقْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ النُّجُومِ الزُّهْرُ فِي حُسْنِهَا فَرَقَا
هَنَّاكَ لِلْأَرْضِينَ أَفَقٌ بِرُؤُوسِهِ تَضَاحِكُ أَجْرَاجُ السَّمَوَاتِ وَالْأَقْفا
بُرُوجٌ وَلَكِنْ شَارِقَاتُ شَمُوسِهَا تَدُورُ بِأَفَقٍ يَجْمَعُ الْغَرْبَ وَالشَّرْقَا
بَحَيْثُ تَرَى نُجُومَ (الطَّرَافِيشِ) خَالِطَتْ (بِرَانِيْطِ) سُودًا كَالسَّلَاحِفِ أَوْ وُرْقَا^(٥)

- (١) البراعم : جمع برعم الزهر ، وهو غلافه الأخضر . وتجنهن : استترهن ، وتحفظن .
(٢) نضوع النفحات : تحريكها وانتشارها : والنفحات : جمع نفحة ، وهى رائحة الزهر ،
تعبق في الهواء .
(٣) المتاع : الذى يمد عنقه ، ايرى شيئاً عالياً أو بعيداً .
(٤) الورق : جمع أورد أو ورقاء ، وهى التى لونها لون الرماد ، مع حمرة خفيفة .

وتلقى الوجود البيض خجرا حدودها وتلقى العيون السود والأعين الزرقا
 حدود جري ماء الشبيبة فوقها ففيه عقول الناظرين من الغرقى
 محاسن كالأزهار قد طابها الهوى وهب نسيم العشق من بينها طلقا
 فمن ذات دل أعجز الشعر وصفها وإن كان فيها الشعر ممثلا عشقا
 ومن ذى دلال رنح الحسن عطفه إلى أن رجا من حسنه عطفه الرققا^(١)

♦ ♦ ♦

وكم مشرح فيه الحسان تلاعبت تمثّل كيف الناس تسعد أو تشقى^(٢)
 حسان علت في الحسن خلقا وخلقة وهل خلقة تعلو إذا سفلت خلقا
 تمثّل ما قد مرّ منا وما حلا وما جلّ من أمر الحياة وما دقا
 فتلقى دروسا لو وعثها حياتنا لبذل كذب في سعادتها صدقا
 إذ امتلت شكوى الحزين بكّت لها عيون البلايا والزمان لها رقا^(٣)
 وإن صوّرت حقا هوى كل باطل على رأسه حتى تجدل مندقا^(٤)

* * *

وماذا ترى في——ه إذا زرت حانة

ترى الأتس يشدو في فم يجهل النطقا^(٥)
 سكوت على قرع الكتوس مغرّد بلحن سرور يترك الهم منشقا
 عليهم سحاب الاحتشام يضلّهم متى هم أرادوا سح من قبل ودقا
 أوانس قد نادى كل غرائق فمنهم من تسقى ومنهم من تسقى^(٦)

(١) يقال : رنح انشرب الرجن : جملة يتميل سكرًا . والعطف : الجيد .

(٢) المشرح : دار التمثيل ، حيث تمثل العبر والعظات .

(٣) البلايا : جمع بلية ، وهي الرزية والمصيبة .

(٤) تجدل : سقطت على الجدالة ، وهي الأرض . والمندق : المنكسر .

(٥) الحانة : بيت الخمر .

(٦) الأوانس : جمع آنسة ، وهي امرأة التي يؤنس بحديثها . والغرائق : الفتى الشاب اتنام الحسن

فمن ذا يراهم ثم لم يك واعظاً
ألتُ بمعذور إذا أنا زرتهم
فقد لآمني لما رأي بحيمهم
فقال أفي الحى الذى شاع فسقه
فقلت أجل إن العائم عندنا
ولكننى ما جئتُ إلا توصلاً
عليهم وإن أمسى يُعدّ الفتى الأتقى^(١)
وساجلتهم شوقاً فقل ويحك الحقاً
فتى منه قحف الرأس مملى: حقاً^(٢)
تجولُ ألم تمنع عمامتك الفسقا
لمنع فى لوثاتها الفسق والرزقاً^(٣)
لذكرى شقاء فى العراق به نشقى

شقاء تمطى فى العراق تمطياً
فإن العراق اليوم قد نشبت به
تمشت به حتى أعادت سواده
فلهنى على بغداد إذ قد أضاعها
جزوها عقوقاً وهى أمٌ كريمة
أدامت لها الأحداث مخضاً كأنها
سأبكى عليها كلما جلتُ سائحاً
وأندبها عند الأغاريد شارباً
وألقى جيرانا لا يزحزح واستلقى^(٤)
نيوب الدواهي فهى تعرقه عرقاً^(٥)
بياضاً ومدت للبوار به ريقاً
بنوها فسحقاً للبنين بها سحقاً^(٦)
والأم أبناء الكريمة من عقاً
قد اتخذتها الأحداث لها زقاً^(٧)
وشاهدت فى العمران مملكة ترقى
من الدمع كأساً لا أريد لها مذقاً^(٨)

(١) الواغل : الداخل على القوم فى مجلس الشراب ولم يدع له ، ثقة بكرمهم .

(٢) القحف : كل عظم عريض من عظام الرأس .

(٣) لآث العمامة يلوثها لوثاً : لفها حول رأسه ، اللوثة : المرة من اللوث .

(٤) تمطى الحصان ونحوه : مد مظه ، وهو ظهره ، بأن يقدم يديه ، ويؤخر رجله ، فيكون

جسمه أطول ما يكون . وفى الكلام تمثيل الشقاء بالحصان . والجيران : مقدم عنق البعير ، وإلقاء

الجيران : أن يمس البعير الأرض بمقدم عنقه عند بروكه ، وهو كناية عن التمكن والاستقرار .

(٥) نشبت : علقته . تعرقه : نأ كل ماعلى العظم من اللحم .

(٦) سحقاً : بعيداً .

(٧) الزق : وعاء من جلد يحفظ فيه اللبن والخمر ونحوهما .

(٨) الأغاريد : جمع أغرود ، وهو الغناء . والمذق : الخلط ، مذاق اللبن بالماء : خلطه . يريد

أنه إذا تشاغل قوم بسماع الغناء وشرب المدامة ، فإن شغلهم هو أن يصيب باكياء بلاده ، شارباً من

فيض دموعه كأساً صرفة غير مشوبة بماء .

السد في بغداد (*)

وقال يخاطب حازم بك والى بغداد « بعد خروجه إلى سد » الحويوة «
من شاطئ الفرات ، الذى انكسر فأغرقى بغداد ، وهذه هي الحادثة التى
قال فيها الشاعر قصيدة سوء المنقلب :

نَجَّيْتَ بالسَّدِ بَغْدَاداً مِنَ الْغَرَقِ فَمِمَّهَا الْأَمْنُ بَعْدَ الْخَوْفِ وَالْفَرَقِ (١)
قَدَّمْتَ بِالْحَزْمِ فِيهَا وَالْيَأْ فَجَرْتُ أُمُورَهَا فِي نِظَامٍ مِنْكَ مُتَّسِقِ
لَقَدْ نَجَّحْتَ نَجَاحاً لَا يَفُوزُ بِهِ مَنْ خَالَقَ الْحَزْمَ إِلَّا حَازِمُ الْخَلْقِ
وَيَحِ الْفَرَاتِ فَلَوْ كُنْتَ زَوَاخِرُهُ تَدْرِي بِعَزْمِكَ لَمْ تَطْفَحْ عَلَى الطَّرْقِ (٢)
وَلَا غَدَتِ تَجَرُّفُ الْأَسْدَادَ قَاذِفَةً مِنْهَا بِسِيلٍ عَلَى الْأَنْحَاءِ مُنْدَقِقِ (٣)
حيث « الْحَوِيَّةُ » أُمْتُ مِنْكَ طَالِبَةِ

رَقّاً لَسَدٍ بِطَاغِي السَّيْلِ مُنْفَتِقِ
بَاتَتْ تَجِيشَ بَتَارِ وَبَاتَ لَهَا أَهْلُ الْعِرَاقِينَ فِي هَمٍّ وَفِي قَلَقِ
حَتَّى إِذَا أُيْقِنَتْ أَرْضُ الْعِرَاقِ بِأَنْ تَفْنَى مِنَ الظُّلْمِ أَوْ تَفْنَى مِنَ الْغَرَقِ (٤)
سَمَرَتْ عَنْ هَمِّ تَعْلُو النُّجُومِ وَقَدْ أَمْسَى الزَّمَانُ إِلَيْهَا مُتْلِعَ الْعُنُقِ (٥)
فَكَدَتْ تَمَلُّاً فَرَّغَ الْوَادِيَيْنِ بِمَا حَشَرَتْ مِنْ طَبَقٍ يَأْتِيكَ عَنْ طَبَقِ (٦)
لَمَّا خَرَجْتَ وَكَانَ الْخَرَقُ مَتْسَعاً وَالنَّاسُ مَا بَيْنَ ذِي شَكٍّ وَمَتَّقِ (٧)

(*) من الديوان الأول .

(١) الفرق : الخوف .

(٢) ويح العراق : رحمة له . وزواخرة : جمع زاخر ، وهي أمواجه المتدفقة ، وتطفح : تفيض وتجري

(٣) تجرف : تنحى وتزيل . الأسداد : جمع سد ، وهو حاجز من البناء يعترض به في مجرى الماء ، لتنظيم تدفقه .

(٤) الظم : المدة التى يعطش فيها الحيوان بين الشربين ، والمراد هنا مطلق العطش .

(٥) متلع العنق : ماد العنق من التطلع إليها .

(٦) فرغ الواديين : اتساعهما « والواديان : دجلة والفرات ، وحشرت : حشدت وجمعت والطبق : الجماعة من الناس ، وعن طبق . أى بعد طبق . يريد أنه جمع للعمل في إصلاح السد المنكسر جموعاً غفيرة من الناس ، يتلو بعضها بعضاً .

(٧) متثق : مفتعل من الوثوق بالشئ .

قالوا : نحاشقة قصوى وما علموا
فصدق الله ظناً فيك أحسنه
إذ جئت والسد تحت الغمر مكتسح^(١)
وثلمة السد كالمهواة واسعة
سللت صارم رأى قد أزلت به
فما تموج ماء النهر من غضب
ثبت عزمك في أمر يذل به
تقضى النهار برأب الثأى مجتهدا
حتى بنيت وكان النهر منفلقاً
أرسيته جبلاً قامت ذراه على
فراحت الناس تمشي فوقه طرباً
وصار معكس فخر أنت مرجعه
وقد ركزت به الرايات خافقة
من كل أحمر فإن وسطه قر
فظل حاسدك المغبون منطويا
ود الفرات حياة منك يومئذ

بأن عزمك يدني أبعد الشق^(٢)
قوم وكذب ظن الجاهل الخرق^(٣)
والنهر يرغو بموج فيه مصطفق^(٤)
يهوى بها السيل من فوق إلى العمق^(٥)
ما كان في السيل من طيش ومن زرق^(٦)
وإنما أخذته رعدة الفرق
عزم الحصيف لما يحوى من الزلق
وتقطع الليل بالتدبير والأرق^(٧)
سداً عليه رصيناً غير منفلق
أصل مع الموج تحت الماء معتنق
والنهر ينساب بين الغيظ والحنق
كالنور يرجع معكوساً إلى الحدق
ما بين طاقين مرفوعين في نسق
يتلوه نجم بلون أبيض يقق^(٨)
على فؤاد بنار الجهل تحترق
لو غار يسلك تحت الأرض في نفق^(٩)

(١) الشقة : الناحية ، قصوى : شديدة البعد .

(٢) الخرق : الأحمق .

(٣) الغمر : السيل الغزير الشديد . والمكتسح ، بصيغة اسم المفعول ، الذي أزيل عن موضعه . ويرغو : يسمع له هدير كرهاء الإبل ، والمصطفق : الذي تلاطمت أمواجه ، فسمع لها صوت .

(٤) ثلمة السد : الموضع المتهدم منه . والمهواة : الأرض المنهطية المنخفضة .

(٥) الصارم : القاطم . والترك : الطيش والحق .

(٦) رأب الثأى : إصلاح الفاسد ، وهو من الرؤية ، وهى الرقعة بشعب بها الإناء المكسور من الخرف ونحوه .

(٧) فإن وثاقى : شدة الحمرة ، ويق : يفتح القاف الأولى : أى خالص البياض .

(٨) النفق : طريق تحت الأرض كالداهليز ، مفتوح من أوله وآخره .

لما اقتدحت زناد الرأي مفكرا
فأدبرَ الهمَّ وانشقتْ غياهبه
إن الأمور إذا استعصت توافرها
وإن تصاممت الأيام عن طاب
تنحلّ بالرأى منك المشكلات لنا
وكما زدت تفكيرا بمعضلة
فالفكر منك كأبعاد الفضاء بلا
يحكى الأثير إذا أجرى تلاطمه
لك الثناء علينا أن نخالده
تالله لو بلغت زهرَ النجوم يدي
رتبتها حيث كلُّ الناس تقرأها

في الخطب ألهمت منه فحمة الغسق
كما قد انشق سَجَف الليل بالفلق^(١)
أخذتهم من التدبير في وهق^(٢)
أسمعتهم بصوت منك صهْصَلِق^(٣)
كالنور ينحلّ ألوانا من الشرق
زادت وضوحا لنا حتّى على الشفق^(٤)
حد يسابق خطف البرق في الطلق
أبدى سواطع نور منه منبثق
نقشا على الصخر لا رقما على الورق
من كل جِرم يصدر الليل مؤتلق
سَطَرا بمدحك مكتوبا على الأفق

(١) غياهب : جمع غيب ، وهو الظلمة ، شبهها بجلد أو ثوب أسود انشق فبان ماتحته والسجف : الستر . والفلق : الصبح .

(٢) الوهق : الحبل المقتول تجعل فيه أنشودة ، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .

(٣) الصهْصَلِق من الأصوات : الشديد . ورجل صهْصَلِق الصوت : أى شديده .

(٤) الشفق : الحمرة التي ترى في السحاب بعد سقوط الشمس للغروب .

الساعة (*)

وخرساء لم ينطق بحرف لسانها
حكّت لهجة التمتام لفظاً ولم تكن
لها ضربان في الحشا قد حكّت به
جرت حركات الدهر في ضرباتها
على وجهها خطت علامتهم تهتدى
مشّت بين آفات الزمان تقيسه
بها يتقاضى الناس ما يؤعدونه
غدت كأخي الإيمان تأكل في معي
تدور عليها عقرب دور حائر
تريك مكان الشمس في دوراتها
فأعجب بها مصحوبة جاء صنعها
بنيتها النسي في الغابرين بسيطة
تنادى بني الأيام في قراتها
ولا تهملوا الأوقات فهي بواتر

سوى صوت عرق نابض بحشاها
لتفصح إلا بالزمان لغاها
فؤاداً تغشاه الهوى وحكاها^(١)
وبانت مواقيت الورى بعها
بها الناس في أوقاتها لمناها^(٢)
وما هو إلا مشيها وخطاها
ويرشّد ضلال الزمان هداها^(٣)
وما أكلها إلا التواء معاها^(٤)
بتيها غمت في الظلام صواها^(٥)
إذا حجبت عنك الغيوم ضياها^(٦)
نتيجة أفكار الورى وجهاها
فتم على مر الزمان بناها^(٧)
أن اسعوا بجد بالغين مداها
تقطع أوصال الحياة شباها^(٨)

- (*) من الجزء الأول .
(١) ضربان : أى ضرب وخفق .
(٢) مناه : جمع منية ، وهى ما يرغب فيه الانسان ويتمناه .
(٣) أى أنها تهتدى الجاهل بالوقت إلى معرفة الساعة التى يريد .
(٤) يشير إلى الحديث الذى معناه : « المؤمن يأكل فى معنى واحد » أى أنه يتناول من الطعام والشراب ، ولا يسرف كما يفعل الكافر الذى يأكل فى سبعة أمعاء ، لشربه ونهمته .
(٥) تيماء : صحراء لا يهتدى فيها إلى شىء . وغمت : سترت وحجبت . والصوى : ما ينصب من الأحجار فى الصحارى ، علامة على الطريق .
(٦) يريد أنها تبين حقيقة موضع الشمس من السماء ، إذا سترتها الغيوم .
(٧) النسي : جمع نهيمة ، وهى العقل . يريد العقل حين فكرت فى حساب الوقت وبيانه ، اخترعت لذلك آلات بسيطة غير مركبة كالزولة ، والازجاجة الرملية ، وانتهى الاختراع بالساعة الدقيقة . وكانت معروفة فى زمن هارون الرشيد الخليفة العباسى .
(٨) بواتر : جمع باتر ، يريد السيف القاطع . والأوصال : جمع وصل ، وهى الأجزاء المتصلة من الجسم . والشبا : جمع شباة ، وهى حد السيف والسكين ، وإبرة العقرب .

ذكرى لبنان (*)

بَرَزَتْ تَمِيسُ كخَطَرَةِ النَّشْوَانِ هَيْفَاءُ نُحْجَلَةٌ غُصُونِ الْبَلْبَانِ^(١)
وَمَشَتْ خُفَّ بِهَا الصَّبَا فَمَا يَلَتْ مَرَحًا فَأَجْهَدَ خَصْرَهَا الرَّدْفَانِ
جَالُ الْوَشَاحِ عَلَى مَعَاصِفِهَا انْتَى قَعَدَتْ وَقَامَ بِصَدْرَهَا النَّهْدَانِ
تَسْتَبْعِدُ الْحُرَّ الْأَبْيَّ بِمُقَلَّةٍ دَبَّ الْقَتُورُ بِحُفْنِهَا الْوَسْنَانِ
وَإِذَا بَدَتْ تَهْفُو الْقُلُوبُ صَبَابَةً فِيهَا وَتَرْكِعُ دُونَهَا الْعَيْنَانِ
أَخَذَ الدَّلَالُ مَوَاتِقًا مِنْ عَيْنِهَا أَلَّا تَزَالَ مَرِيضَةُ الْأَجْفَانِ
تَمَشَى فَتَنْشُرُ فِي الْفَضَاءِ مُحَاسِنًا بَسَطَ الزَّمَانُ لَهَا يَدَيَّ وَلَهَانِ
وَيَلُوحُ لِلنَّظَرِ الْقَرِيبِ بَوَاجِهَا عَقْلُ الْحَلِيمِ وَعِصْمَةُ الصَّبِيَّانِ
لَمْ أُنْسَ فِي قَلْبِي صُعودَ غَرَامِهَا إِذْ نَحْنُ نَصْعَدُ فِي رُبَا لُبْنَانِ
حَيْثُ الرِّيَاضُ يَهْزُ عِطْفُ غُصُونِهَا شَدُوُّ الطَّيُورِ بِأَطْرَبِ الْأَحْنَانِ
لُبْنَانُ تَفْعَلُ بِالْحَيَاةِ جَنَانَهُ فَعَلَّ الزَّلَالُ بِقُلَّةِ الظُّمَانِ
وَتَرْدُ غُصْنِ الْعَيْشِ بَعْدَ ذُبُولِهِ غَضًّا يَمِيدُ بِفِرْعِهِ الْفَيْنَانِ
فَكَانَ لُبْنَانًا عُرُوسًا إِذْ غَدَا يَزْهُو بِنَشْرِ غَدَائِرِ الْأَغْصَانِ
وَكَأَنَّمَا الْبَحْرُ الْخَفِيمُ سَجَنَجَلٌ يَبْدَى خِيَالُ جَمَاهَا الْفَتَّانِ
جَبَلٌ سَمَتْ مِنْهُ الْقُرُوعُ وَأَصْلُهُ تَحْتَ الْبَسِيطَةِ رَاسِخُ الْأَرْكَانِ
تَهْفُو الْغُصُونُ بِهِ النَّهَارَ وَفِي الدَّجَى تَهْفُو عَلَيْهِ ذَوَائِبُ النَّيْرَانِ
وَتَرَى النُّجُومَ عَلَى ذُرَاهُ كَأَنَّهَا مِنْ فَوْقِهِ دُرَّرَ عَلَى تَيْجَانِ^(٢)
لِلَّهِ لُبْنَانُ الَّذِي دَضَبَاتُهُ ضَحِكَتْ مُنَاوِلَةً مَعَ الْوُدْيَانِ

(*) من الديوان الأول .

(١) تَمِيسُ : تخاطر وتنايل . والنشوان : السكران ، والهيفاء : الضاربة البطن . والبلبان : شجر غصونه لدنة تنميل ونهتر .
(٢) ذراه : أعاليه ، جم ذروة .



(تمشي فتى في الفضاء محاسنا . . .)

يجرى النسيم الغض بين رياضه
جَلَّتِ الطبيعة في رُباه بدائعا
يا صاحبي أتذكر أني فإني
إذ كان يغبطنا الزمان ونحن في
في ليلة حسد الضياء ظلامها
متجاولين من الحديث بساحة
والليل يسمع ما نقول ولم يكن
فكان جولتنا بصدر ظلامه

• • •

ما كنت أحسب أن أحل ببقعة
حتى نزلت من الشؤير بجنة
فهمرت أغصان الأمانى ولم يكن
ولقيت شاعرها الذي ارتفعت له
حتى إذا تم اللقاء قصدت من
يا يوم بكفيا وبيت شبابها
وسقى زمانك ياديار بحسن
فلقد رأيت ضياء مجدك مشرقا
أفيدكر اللبكي يوم بحسن
أم ليس يعلم أنني أحبته

للحسن مُنْبِتة ولاحسان
فيها الحياة كثيرة الألوان
غير السرور بهن قطف دان^(١)
كف القريض مشيرة بينان
ربوات بكفيا ظلال حنان
أفديك من يوم بكل زمان
صوب المسر دائم التهان
في وجه كل حلال ديان
حيث اجتمعنا في حى كنعان
حبا أذبت بناره سلوانى

(١) الغض : البليل ، ومرخى الذبول : كناية عن التهلل في السير ، والأردان : جمع ردن ، وهو طرف السكم . (٢) السكهل الذى جاوز سن الشباب . وغضاضة الشباب : روقه وحسنه . (٣) يغبطنا : يحسدنا . (٤) عنا : ذل وخضم . (٥) يتجاولان فى مضممار البيان : أى يتسابقان ويتباريان ، وركض : جرى . والعنان : اللجام : أى جرى البيان كما شاء حرا طليقا . (٦) همزت النقص : جذبه . والقطف : ما يقطف من الثمر .

ليست رباً لُبْنانَ ثوباً أخضرا
نثر الربيع بهنَّ زهراً مؤنقاً
فبرزنَ من وثنى الطبيعة بالحلى
وكان صنيئنا أطلَّ مراقبا
تلك الربا أما الجمال فواحد
رجلٌ يسير إلى النجاح وآخر
متخاذلين بها وهم أعوانها
ضعفت مباني كلِّ أمر عندهم
وتفرقوا دنيا كأن لم يكفيهم
وسعوا فرادى للحياة وفاتهم
يا أهل ذا الجبل المنيع مكانه
أما محاسنها فهنَّ بمنزل
ومن الفخامة هنَّ في غلوائها
فتبوءوا جنائهنَّ أنيقاً
ماذا يثبطكم بها أن تنهضوا
إني لأرجو أن أراكم للعلی
وأودّ لو تمشون مشية واحد
لا تقرنوا بتشتت آراءكم
أما جرى لُبْنان طال غيابكم

وزهت بحيث الحسن أحر قان
يزرى بنظم قلائد العقيان
فكانهنَّ بحسنهنَّ غوان
يرنو لهنَّ بمقلة الغيران
فيها وأما أهلها فائتاف
يسعى وغايته إلى الخسران
ومن البلاء تخاذل الأعوان
ما بين هادمها وبين الباني
في النائبات تفرق الأديان
أن التضامن رائد العمران^(١)
تفدى مواطنكم بكل مكان
تنحط عنه بدائع الأكوان
ومن الشبيبة هنَّ في ريعان^(٢)
وابنوا بهنَّ كأكرم البنیان^(٣)
نحو الفخار كنهضة اليابان^(٤)
متهيجين تهيج البركان
متكاتفين تكاتف الإخوان^(٥)
فالبدر يمحى عند كل قران^(٦)
أين الحنين إلى رباً لُبْنان

(١) في الأصل : لنائبات ، في موضع الحياة ، ولا معنى للنائبات هنا .

(٢) الغلواء : العفوان والقوة ، وريعان الشبيبة : عفتوانها وأولها .

(٣) تبوء المكان : جعله مباءة ومثلاً له .

(٤) ثبطه عن الشيء : ثنى عزمه عنه .

(٥) متكاتفين : متعاونين ، وفي الأصل : متكاتفين ، بالتاء ، وهو خطأ مشهور .

(٦) يمحى : أى يكون في المحاق ، وهو احتجاب ضوءه آخر الشهر لحيلة الأرض بينه وبين الشمس .

هذى مواطنكم تريد وصالكم وتئن شاكية من المهجران
أفترحون أنينها أم أنتم لا ترحون أنين ذى أشجان
إني أرى هجر الرجال بلادهم شيئاً يضيع كرامة البلدان
وإضاعة الوطن العزيز جناية ضلّ الزمان بها عن الغفران
من كان ذا جدة فأحرّ بمثله ألا يضمن بها على الأوطان^(١)

لبنان

ولع لبنان بالرصافي ، غسارت قصائد شاعر العراق على
أسنة اللبنانيين ؟ ولع الرصافي بلبنان ، فجاءته قريحته
بقصائد صافية العاطفة ، كسماء هذه الربوع ، عذبة كائنها ،
عليقة كهوائها . وإلى القراء إحدى فرائد الرصافي بلبنان :

(الأحرار — بيروت في ٢٦ آب سنة ١٩٣٦)

أرى الحسن في لبنان أينع غرسه وقارب حتى أمكن الكفّ لمسه
إذا ما رآته عين ذى اللبّ مشرقاً تنزّت به في مدرج الحبّ نفسه^(٢)
زكا مغرساً فالذام ليس يؤمّه وطاب جنّي فالسوء ليس يمسّه^(٣)
قسا صخره لكن تفجّر ماؤه فلان بكفّ العيش منه مجسه
لقد لبس الجوّ اللطيف فزانه بما فيه من غرّ المحاسن لبسه
ففي الليل لم يزعجك برد نسيمه وفي الظهر لم تلفحك بالحر شمسّه
وقد عبّدت للسالكين ضربه وحرّر أهلوه وبورك أنسه^(٤)
فمن كان في طرّق التواصل عترةً فقد جاز في شرع الحبة دسّه
تضىء نجوم السعد واليمن فوقه فينجاب شؤم الدهر عنه ونحسه
ويهمس في أذن الطبيعة جوّه فيضحكها فوق الربّ الخضر همسه

(١) الجدة : المال والغنى .

(٢) تنزّت : جانت وتحركت ، ومدرجة الحب : طريقه .

(٣) الذام : العيب .

(٤) عبّدت : ذلت مهذبت .

كأن النسيم الطلق بين جنانه
 كأن جبال المتن حذبة عابد
 يُقال عن الأضواء في جوف ليله
 تزوج صنين الفتى بنت جاره
 ونبع الصفا والقاع فيه كلاهما
 جرى الماء في واديهما متدفقا
 وإن ترر الشاغور يوما تجرد به

من الحسن ما قد خص بالفضل جنسه
 به الماس صنفوا أو هو الماس نفسه
 شديداً على ما يزعم النفس بأسه
 ومن جاءه مستنزها فهو قدسه
 أحسن لعمري منه مالا تحسه
 فلا تعجبوا من أننى اليوم قيسه
 أنا اليوم من بعد الأيادي قسه
 ولم يفتنض حياً وينشق رَمسه
 تحتم في سجن الحفاقة حبسه
 وإن كان قبلاً يأسا منه نُطسه (١)
 ما حله إلا وقد زال مسه
 من الناس إلا تم بالضحك أنسه
 يعيش عزيزاً فيه من ذل فلسه
 فأواه محمود وإلا فمكسه

(١) جرسه : صوته .

(٢) صنين : اسم جبل

(٣) النطس : يسكون الطاء : أصله النطس بضمها وهم الأطباء الخذاق المدققون . ولعله جمع

نطيس يوزن أمير . وهو العالم بالشيء . (أنظر تاج العروس) .

كمثل الذي لا تصرف الفأس كغف ولو كان دون الفأس يقلع ضرره
كتبت كتاب المدح في وصف حسنه

فضاق ولم يستوعب الوصف طرسه
فما كل ما قالت به شعراؤه سوى ثلث ما يحويه بل هو خمس
ألا إن في لبنان جوا مروفا إذا ماشى السلول لم يحش نكسه (١)

في مكتبة الأوقاف

أنشدت في حفلة افتتاح مكتبة الأوقاف التي أنشأها معالي
الشيخ أحمد الشيخ داود وزير الأوقاف سنة ١٩٢٨ .

لقد جمع الشيخ هذى الكتب
ورتبها فهي معروضة
وكانت لعمر كرهن الغبار
يمر بها الدهر مطمورة
نسيج العناكب من فوقها
يعيث بها آكلا طرسها
وكانت على علم حراسها
فمد إليها معالي الوزير
فأخرج منها كنوز العلوم
فأنقذها من أصف العطب (٢)
من يتناولها مني كشب (٣)
مكدسة في زوايا الشجب (٤)
تعاين الحراب وتدعو الحرب (٥)
ومن تحتها السوس فيها انسرب (٦)
كما تأكل النار جزل الخطب (٧)
تحف الظنون بها والريب
يدا دأبها الغوث عند الكرب
لأهل الفنون وأهل الأدب

(١) مروفا : صافيا مما يكدره من غبار ونحوه ، والسلول : من أصابه السل ، وهو تدرت
الرئة والنكس : الرجوع إلى المرض بعد البرء منه .

(٢) العطب : الهلاك . (٣) من كشب : من قرب .

(٤) رهن الغبار : أي محبوسة في الغبار والثراب . والمكدسة : الملقى بعضها فوق بعض على
غير نظام ، كأنها أكادس الطعام في الجرين . والشجب الهلاك .

(٥) مطمورة : مدفونة ، وتدعو الحرب : أي تنادى : واحربا . والحرب : النقص والهوان .

(٦) انسرب : دخل فيها وعاث .

(٧) الطرس : الصحيفة . الجزل : القوي .

فما إنَّ أرواح من أوقفوا كما أن أرواح من ألقوا
لقد رضى العلم عن فعله فما بال قوم غدوا يصرخون
يقولون هذا خلاف لما فيا للعقول لهذا الغباء
ألشوس أوقفها الواقفوا إلى كم نطل لأغراضنا
ونجمد في غفلة هكذا أرى هؤلاء ضعاف العقول
تضييق عن الحق أرواحهم فهم يقطعون على المصلحين
فسر في طريقك مستعليا فالشر ما صخب الصاخبون
لقد صنتها من طروق البلى وأعددتها لشفاء العقول
وما كنت في رأى بالمستبد وقد كان عزمك فيما أردت
فمن كان جذلان فليتسم

مُرْفَرِفَةٌ فَوْقَهَا مِنْ طَرَبٍ^(١) قد ابْتَسَمَتْ كَالْتِمَاعِ الشَّهْبِ
وَإِنْ أَخَذَ الْجَاهِلِينَ الْغَضَبُ صُرَاخًا بِهِ يَقْصِدُونَ الشَّخَبَ^(٢)
لَدَى النَّاسِ فِي وَقْفِهَا مِنْ أَرْبٍ^(٣) وَيَا لِلْفُحُولِ لِهَذَا الْعَجَبِ !
ن ، أُمُّ الْعِنَاكِبِ ، أُمُّ لِلتَّرَبِ ! نَعَارِضُ مِنْ دُونِ أَدْنَى سَبَبِ
وَنَمْرَجُ فِي لُحُونِا وَالْعَبِ وَإِنْ قَدْ نَزَاهُمْ غِلَاظُ الرَّقَبِ
وَإِنْ لَبَسُوا وَاسِعَاتِ الْجَبِ طَرِيقَ الْقِيَامِ بِمَا قَدْ وَجِبِ
وَحَلَّ ضَفَادِعِهِمْ تَضَطُّعِيبِ وَالْخَيْرُ جَمْعُكَ هَذِي الْكُتُبِ
وَحُلَّصْتُهَا مِنْ يَدِ الْمُسْتَلَبِ^(٤) مِنْ الْجَهْلِ وَهُوَ أَشَدُّ الْوَصَبِ^(٥)
وَلَا كُنْتُ فِي الْقَعْلِ بِالْمُضْطَرَبِ يَقْلُّ ظُبَى الْمَرْهَقَاتِ الْقُضْبِ^(٦)
وَمَنْ كَانَ غَضْبَانٌ فَلْيَنْتَحِبِ^(٧)

(١) رفرف الطائر بجناحه : حركهما . والطرب : هنا : نشوة السرور .
(٢) الشخب : الفتنة والافساد . (٣) من أرب : من قصد وغاية .
(٤) يريد : إنك حفظت الكتب من خطرين : الأول أن تمتد إليها يد البلى ، بسبب قلة العناية بها . والثاني : أن تمتد إليها يد السارق ، الذي طالما امتدت يده إلى أمثالها من تحف الشرق ومفاخرة .
(٥) الوصب : الألم .
(٦) يقل : بكسر . والظبي : جمع ظبية ، وهي حد السيف . والمرهقات القضب : هى السيوف المرققة الحادة .
(٧) فليتنحب : أى ليلبك ماشاء .

آل الجميل

آلُ الجميل سرور كل حزين كهف اليتيم وملجأ المسكين^(١)
 تعنو لهم سرّوات كل قبيلة وتهابهم آساد كل عرين^(٢)
 وإذا تماحكت الحصوم فبأسهم يدع الحصيم مجدّع العرين^(٣)
 وإذا تلوّثت الجباه بخزيّة فجاهاهم أنقى من النّسرين
 عزّت بهم دار السلام فيهم بها أركان عزّ كالجمال مكين
 فإذا تقطعت المنى بك فاعتصم منهم بحبل في الرجاء متين
 تتفاخر الأخرى بفضل دفينهم كتفاخر الدنيا بفخر الدين
 ذاك الذي مجدّ الحدود بمجده قد زيد تمكينا على تمكين
 إنّ ابن عيسى بن الهمام محمد لأجل نجلٍ بالثناء قين^(٤)
 يابن الأكابر قد دعوتك ظامئا ظمأ الحياة فجد بما يرويني^(٥)
 وأنا العليل بحاجة تدرى بها وأظن فضلك ناجدا يشفيني
 قد عاقني الإملاق عن سفرى إلى من طال معتلجا إليه حنيني^(٦)
 وأنا المشوق ولست ممن شاقهم بقرّ العذيب ولا مهابيرين
 لكن قلبي لا يزال يشوقه ضيّ أقام بدار قسطنطين
 فأرش جناحي كي أطير بريشه فيكون ظنى في ندادك يقيني^(٧)
 واعدِر فإني بالحقيقة لم أبُحْ إلّا إليك وأنت خير فطين
 إني إذا آوى إليك فأعما آوى إلى ركن أشدّ ركين

(١) كهف اليتيم : ملجأه الذي يعتصم به . (٢) تعنو : تخضع وتذل .

(٣) تماحكت الحصوم : تجادلهم بالحجج . الحصيم : الخصم . ومجدّع العرين : مقطوع الأنف ، وهو كناية عن انقطاع الحجة ، لأن قوة الحجة تورث الإنسان شموخاً بأنفه ، وكبرا على خصمه .

(٤) فلان قين بكذا : جذير به ، مستحق له .

(٥) الظمأ : العطش . (٦) يعتلج : يشتد .

(٧) رش جناحي : أنبت فيه الريش . والفعل ثلاثي ، ولكن الشاعر هنا حسبه رباعيا .

الببليل والورد

إِنَّ بَلِيلًا مِنْ نَسِيمِ السَّحَرِ
أَخْبَرَ رِيَاءَ أَصَحِّ الْخَبَرِ
إِذْ هُوَ مُذْ أَلْقَى بِهِ نَاطِرَهُ
صَادَفَ فِيهِ وَرْدَةً زَاهِرَهُ
مُضْمُومَةً أَوْرَاقُهَا النَّاضِرَهُ
مِثْلَ فَنَمٍ يُطْلَبُ تَقْبِيلَ فَنَمٍ

* * *

فَطَلَّ يَرْنُو مُسْتَدِيمَ النَّظَرِ
وَهِيَ غَدَتِ عَمَّا بِهَا مِنْ خَفَرِ
ثُمَّ تَمَادَى غَرْدًا صَادِحًا
يَنْطِقُ بِالْحُبِّ لَهَا بِأَحْمَا
وَتَنْشُرُ الطَّيِّبَ لَهُ نَاحِيَا
حَتَّى غَدَا الْبَلِيلُ مِنْذُ الصَّغَرِ
يَنْشُدُ فِيهَا شَعْرَهُ الْمُبْتَكَرِ
رُنُوءَ ظَمَانٍ إِلَى مَنَهْلِ
مَحْمَرَةٍ مِنْ نَظَرٍ مُجْجَلِ
يُعْلِنُ لِلْوَرْدَةِ أَشْوَاقَهُ
وَهِيَ الَّتِي تَفْعَلُ إِِنْطَاقَهُ
كَأَنَّهَا تَقْصِدُ إِِنْشَاقَهُ
فِي حَبِّهَا مِنْطَلِقَ الْمَقُولِ
وَلَا يَبْنِي فِيهِ وَلَا يَأْتَلِي

* * *

أَمَا تَرَى الْأَزْهَارَ كَيْفَ اغْتَدَتِ
لَهَا جَنَاحٌ هِيَ مِنْهُ ارْتَدَتِ
فَهِيَ إِلَى الرُّوضَةِ مُذْ وَرَدَتِ
تَحْمِلُ لِلْوَرْدِ أَمِيرَ الزَّهَرِ
فَشَاعَ فِي الْأَزْهَارِ هَذَا الْخَبَرِ
وَأَسْتَوْجِبُ الْعُطْفَ عَلَى الْمُرْسَلِ
فَرَّاشَةُ الرُّوضِ عَلَيْهَا تَطِيرُ
مَلَأَةً مَوْشِيَةً مِنْ حَرِيرِ
أَرْسَلَهَا الْبَلِيلُ نَحْوَ الْأَمِيرِ
رِسَائِلَ الشُّوقِ مِنَ الْبَلِيلِ
وَاسْتَوْجِبُ الْعُطْفَ عَلَى الْمُرْسَلِ

* * *

حَتَّى إِذَا الْوَرْدُ مَضَى وَانْقَضَى
مَسَّتْ حَشَا الْبَلِيلِ نَارُ الْغَضَى
لَا تَسْأَلِ الْبَلِيلَ عَمَّا مَضَى
وَعَادَتِ الرُّوضَةُ كَالْبَلَقَةِ
مِنْ حُرْقَةِ الْبَيْنِ الَّذِي أَوْجَعَهُ
فِي زَمَنِ الْوَرْدِ لَهُ مِنْ دَعَاهُ

ولكن اسأل في السماء القمر
إذ كان يُصغى منهما للسمر
عن خير الورد مع البلبل
وهو مُطلّ ناظر من عل

فراشة الروضة ظلت إذا
تقبل الزهرة ذات الشذا
تحوّم والأزهار من تحتها
مرّ فقيد الورد من سمّتها
لتخبّر البلبل بعض الخبر
لعنه غمته تنجلي
فإنه بات حليف السهر
مذ نزع الورد عن المنزل

أغرودة العندليب

سمعت شعراً للعندليب
إذ قال نفسي نفس ربيعة
تلاه فوق الغصن الرطيب
لم تهو إلا حسن الطبيعة
عشت منها حسن الربيع
أحسن بذاك الحسن البديع

فالعيش عندى فوق الغصون
أطير فيها لفرط وجدى
لا فى قصور ولا حصون
من غصن ورد لغصن ورد
وفى فروع الأشجار بيتى
فالظلّ فوق والزهر تحتى

فسل نسيم الأسحار عني
وسل بشدوى زهر الرياض
كم زهور لما أفوه
يا قوم إني خلقت حرّا
فإن أردتم أن تونسوني
وإن أردتم أن تنطقوني
كم هزّ عطف الأغصان الحني
إني بحكم الأزهار راض
أصغت وقالت لأفضّ فوه
لم أرض إلا الفضا مقرّا
ففي اللباني لا تحبسوني
فأطلقوني ، فأطلقوني

الصيف



أُنْظِرْ إِلَى الْحَسَنَاءِ فِي رَأْدِ الصَّحَى

جاء المصيف فحقت الأنداء	وشكت بيوستها به الأشياء
وتوقدت عند المبحيرة شمسهُ	فتلَمَّظَت بأعابها الصحراء ^(١)
وعلى الديار تراكت من شمسهِ	ملء الفضاء حرارة وضياء
فعلى من الشمس المنيرة أصبحت	غضبي تحيش بصدرها الشَّخْفاء ^(٢)
مدت إلينا في الهجير أشعة	كالسكرباءة نأوها بيضاء
فحكت أشعتها حراباً أشرعت	بيضا فما يحديدها أصداء ^(٣)
حتى استجار الليل من لفحاتها	ركب مروا فهدتهم الجوزاء

(١) تلمظ : تتبع بلسانه بقية الطعام فيه ، وأخرج لسانه ، فسحبه شففيه .

(٢) الشخفاء : السدده .

(٣) أشرع الرمح : سدده .

نَظَرُ إِلَى الْحَسَنَاءِ فِي رَأْدِ الضُّحَى تَمْشِي فَتَلْفَحُ وَجْهَهَا الرَّمْضَاءُ^(١)
وَتَمُرُّ لِأَغْبَةٍ وَفَوْقَ جَبِينِهَا عَرَقٌ وَوَجْنَةٌ خَذَّهَا حَمَاءُ^(٢)
إِنْ كَانَ حَرُّ الشَّمْسِ لَوَّحَ وَجْهَهَا فَكَذَلِكَ تُؤْذِي الضَّرَّةُ الْوَرَّهَاءَ^(٣)

* * *

إِنِّي لِأَغْفِرَ لِلْمَصِيفِ ذَنْبَهُ وَلَوْ أَنَّ غَارَةَ هَيْضُهُ شَعْوَاءُ^(٤)
فَالصِّيفُ أَرَأْفُ بِالْفَقِيرِ مِنَ الشِّتَاءِ وَإِذَا تَحَبَّ قَدُومَهُ الْفُقَرَاءُ
قَلَّتْ بِهِ الْحَاجَاتُ فَالْفُقَرَاءُ فِي أَيَّامِهِ وَالْأَغْنِيَاءُ سَوَاءُ
مَنْ كَانَ أَعْوَزَهُ كِسَاءُ مِنْهُمْ فَالصِّيفُ مِلْحَفَةٌ لَهُ وَكِسَاءُ
وَالْأَرْضُ إِنْ طَلَبُوا الرِّقَادَ وَطَأَوْهُمْ مِنْ دُونَ مَنْ وَالسَّمَاءُ غَطَاءُ^(٥)
وَلَنْ يَكُنْ كَدِيرُ النَّهَارِ فَلَئِنَّهُ طَلَّقَ فِي وَجْهِ السَّمَاءِ صَفَاءُ
وَلَنْ قَسَا عِنْدَ الْهَجِيرِ فَرِيحُهُ هَبَّتْ بِحَاشِيَتَيْهِ وَهِيَ رُخَاءُ
أَضْحَى فَطَابَتْ فِي ضُحَاهِ ظِلَالُهُ وَأَتَى الْأَصِيلُ فَطَابَتْ الْأَفْيَاءُ^(٦)
وَالصِّيفُ أَحْسَنُ مَا بِهِ تُمْشَاهِدُ صَبَحٌ أَغْرُ وَلَيْلَةٌ قُرَاءُ
وَأَجَلٌ مَا يُرْتَادُ فِيهِ جَنِينَةٌ تَرَفُّ الظَّلَالُ بِهَا وَيَجْرِي الْمَاءُ
فَعَلَيْكَ فِيهِ بِسَرَحَةٍ فِي مَنْبَعٍ تَحْنُو عَلَيْكَ غَصُونُهَا الْخَضْرَاءُ^(٧)

(١) رَأْدُ الضُّحَى : وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء .

(٢) لِأَغْبَةٍ : متعبة . (٣) الْوَرَّهَاءُ : الخمقاء .

(٤) الْهَيْضُ : الكسر ، وخاصة بعد الجبور .

(٥) مَنْ عَلَيْهِ بِمَا صَنَعَ مِنْهُ : ذكر وعدد ما فعله له من الخير ، وهو تكدير وتعيير .

(٦) الْأَفْيَاءُ : جمع فاء وهو الظل .

(٧) السَّرَحَةُ : الشجرة الطويلة ، أو التي لاشوك لها .

الشِّتَاءُ

قد كانت الأغصانُ مخضرةً وكانت الطيرُ بها تسجعُ
فصارت الأوراقُ مصفرةً تسقطها الرّادةُ والزّرعُ^(١)
ثم غدت جرداءَ مزورةً والغيمُ أمست عينه تدمع^(٢)
من أجل هذا المشهدِ الحزنِ

والليلُ قد طال على من شتا وصار ليلاً بارداً مظلماً
لعلَّ هذا الرعدَ مذ صوتنا هرب منه تِلْكُمْ الأجماء
عَلَّامٌ قد غيمَ ليلُ الشتا فارتاعت الأتجمُ مذ غيماً
واحتجبت فيه عن الأعين

والريحُ من برد الشتا صرّصرَ والجو يبدو عابساً مطرقاً
قد حار فيه التّربُّ المعسِرُ إذ لم يجد فيه له مِرْفَقاً^(٣)
يأيها الناس ألا فاذكروا من كان منكم في الشتا مُمْلِقاً
وأحسنوا فالقوزُ للمحسن

إنَّ الشتا أرحمُ للمُعْدِمِ منكم وإنَّ أوجعه برده
لأنه بالعارض المُسْجِمِ يُنبِتُ زرعاً يُرتجى حصده^(٤)
حتى تفوزَ الناسُ بالأنعمِ مما لهم أنبّه جوده
ويشبعَ المعدمُ والمغتني

(١) الرّادة : الريح اللينة المبوب . والزّرع : الريح الشديدة تقلقل الأشياء وترزعها

(٢) مزورة : معوجة .

(٣) التّرب : الفقير المعدم . والمرفق : ما يستعان به .

(٤) العارض : السحاب يعترض في السماء . والمسجم : الهاطل المطر .

التلغراف

أو الأسلاك البرقية

للبرق أسلاكٌ تؤدّي الأخبارَ دقيقة مثل دِقَاقِ الأوتارِ
فوق التّرى مُدَّت وتحت الأبحارِ في عمَدٍ قد رُكزت كالأشجارِ
ما بين كلِّ عشراتِ الأمّارِ تحسبها في القفْرِ جِنِّ البقارِ^(١)
شاخته أشباحها للأنظارِ ممتدّة نحو جميع الأقطارِ
للكهربائيّة فيها تيارِ تنقل في آنٍ كلّمح الأبصارِ
جوانبَ الأنباء نحو الأمصارِ لله من سلكٍ دقيق قد صار
في الأرض مجرّى لجليل الأخبارِ والكهربائيّة شيءٌ قد حار
في كنهه أهلُ النّهى والأفكارِ أسفر منها الوجهُ بعض الإسفارِ^(٢)
ولم يزل مُحتجِباً بالأسّارِ في طيّها نورٌ مُفادٍ من نارِ
وكم لها بين الوَرى من آثارِ تطوى المسافاتِ بهم في الأسفارِ
وتنقلُ الأخبارِ ذات الأخطارِ ثم تضيء ليلهم بالأنوارِ
فتجعلُ الأصالَ مثل الأبرارِ مشرفةً مبهجةً للأنظارِ
وقد تُداوى كلَّ داءٍ ضرّارِ فالسُّمُّ تشفيه بغير عقّارِ^(٣)
والجرحُ تأسوه بغير مسّبارِ وهي لعمري ذات لَفحٍ سيّارِ^(٤)
لها نفوذٌ في جميع الأقطارِ في الحيوان والتّرى والأشجارِ
وفي رياحِ الجوّ ذات الإعصارِ وفي بحار الأرض ذات التيّارِ
وقد سرت في كل غيمٍ مذرّارِ بها تسحّ هبّلاتُ الأمطارِ
فتبى بهذا الكون سرّ الأمرارِ

(١) البقار : اسم وادٍ واسم موضع في بلاد العرب .

(٢) أسفر : انكشف . (٣) العقار : الدواء .

(٤) أسى الجرح . دواء . والمسبار : ما يختبر به الجرح .

بيروت والتّباريس

إن لِبَيْرُوتَ بَعْمَرَانِهَا أُمْكَنَةً تَعَالُو التَّبَارِيسَا^(١)
 لَا سِيَا أَرْبُعُ لِبِنَائِهَا تَلِكُ الَّتِي تَحْكِي الْفَرَادِيسَا
 فَكَمْ كِنَاسٍ قَدْ حَوَتْ لِلظُّبَا وَكَمْ حَوَتْ لِلْأَسْدِ عَرِيسَا^(٢)
 وَمَا التَّبَارِيسُ سِوَى مَقْمَرٍ يَقْضِي عَلَى اللَّاعِبِ تَقْلِيدَا^(٣)
 يَشَدُّ بِالْإِفْلَاسِ أَيَّامَهُ مَنْ حَلَّ فِي مَلْعَبِهِ الْكِيسَا
 مَعْرَسٌ يَقْصِدُهُ مِنْ نَحَا فِي أُخْرِيَّاتِ اللَّيْلِ تَعْرِيسَا^(٤)
 وَمَرْقَصٌ تَرْقِصُ فِي بَهْوِهِ أَوَانِسٌ تَحْكِي الطَّوَاوِيسَا
 مَا فِيهِ مِنْ بَارِيسٍ إِلَّا الَّذِي يُؤْثَرُ عَنْ غَادَاتِ بَارِيسَا
 لَكِنَّ بَيْرُوتَ بَلْبِنَائِهَا تَكْشِفُ عَنْكَ الْهَمَّ وَالْبُوسَا
 عَرُوسَ لِبْنَانٍ أَمَا وَالَّذِي صَيَّرَ مِرَآئِكَ قَامُوسَا
 مَا أَنْتِ إِلَّا جَنَّةٌ آمِنٌ أَدُمُ فِيهَا مَكْرَ إِبْلِيسَا
 فِيكَ تَجَلَّى اللَّهُ رَبُّ الْعَالَا بِالْحَسَنِ مَرُئِيَا وَمَامُوسَا
 لَوْلَا جَمَالُكَ فِيكَ مَسْتَوْدَعٌ مَا شَرَحَ الْحُبَّ لَنَا عِيسَى
 كَنِيسَةً لِلْحَسَنِ فِي حُبِّهَا قُلُوبُنَا صَارَتْ نَوَاقِيسَا
 مَا الْحُسْنُ فِي شَيْءٍ بِمُسْتَحْسَنِ إِلَّا إِذَا كَانَ لَهُ سُوسَا^(٥)
 فَأَيْنَ مِنْ هَذَا تَبَارِيسُكُمْ وَأَيْنَ هَذَا مِنْ تَبَارِيسَا

(١) التّباريس : الأراضى السهلة اللينة . ولعله هنا اسم موضع .

(٢) الكناس : بيت القلي . والعريس : بيت الأسد .

(٣) مقمر : ناد للقيار . (٤) المروس : موضع التعريس ، أى النزول بالليل

(٥) السوس : الأصل والاطم .

في المستشفى الملكي

عاد الرصافي صديقه الفاضل عبد المجيد بك الشاوي في أثناء مرضه ،
وقد طال مكثه في المستشفى الملكي ببغداد ، فأشده هذه الأبيات :

أطَلَّتْ أبا سعدون مُكثَّكَ هِينَا	فَحَتَّى مَتَى تَبْقَى مَقِيماً بِمُسْتَشْفَى
فَدَعْ عَنْكَ طِبّاً هِينَا تَسْتَطِيعُهُ	فَفِي الْجِدْ طَبِّ ضَامِنٌ لَكَ أَنْ تُشْفَى
أَرَى مَجْلِسَ النَّوَابِ أَوْ حَشْتَبَهُوَه	وَقَدْ كَادَ مِنْ صَمْتٍ تَغْشَاهُ أَنْ يَغْفَى ^(١)
فِيهَا هُوَ مُسْتَأَقٍ إِلَيْكَ مَرْزُوقٌ	يَكَادُ إِلَيْكَ الشُّوقُ يَنْسِقُهُ نَسْفَا
فَإِنْ لَمْ تَدَارِكْهُ بِوَصْلِ مُعْجَلٍ	تَدَاعَتْ بِهِ الْجُدْرَانُ أَوَّالَتِ السَّقْفَا
وَمَا اسْتَظَارَفْتَ بَغْدَادُ مَذْجُوتَ هَاهُنَا	مَجَالِسَ فِيهَا كُنْتَ تَمْلُؤُهَا ظَرْفَا
فَكَمْ لَكَ فِي تِلْكَ الْمَجَالِسِ نَكْتَةٌ	تَهْزِلُهَا الْآدَابُ مِنْ فَرَحٍ عِطْفَا
إِذَا أَنْتَ أَرْسَلْتَ الْحَدِيثَ مَخَاطِبَا	فَأَيَّةُ أُذُنٍ لَا تَنْوُطُ بِهَا شَنْفَا ^(٢)
رَأَيْنَا صَرِيحَ الْقَوْلِ فِيكَ سَجِيَّةً	فَلَمْ تَرْضَ يَوْماً لِلْحَقِيقَةِ أَنْ تَخْفَى
إِذَا عَنْ تَبْيَانِ الْحَقِيقَةِ قَلْتَهَا	وَلَوْ أَغْضَبْتَ أَهْلَ السِّيَاسَةِ وَالصُّحَفَا
هَنِيئاً لِحَزْبِ أَنْتَ مِنْهُ فَإِنَّهُ	يُمَثِّلُكَ فَرْدَا فِي النَّهْيِ يَغْلِبُ الْأَلْفَا ^(٣)
تَلَطَّفْتَ فِي آدَابِكَ الْغُرَّ نَاطِقَا	بِمَا قَدْ حَوَى كُلَّ الْمَلَطَائِفِ وَاسْتَوْفَى
فَتُجَرَّبُ أَحْيَاناً وَتَلْجُنُ تَارَةً	وَلَكِنْ بَلَّحْنَ أَعْجَبَ الْمَنْحُورَ وَالصَّرْفَا ^(٤)
أَدَامَكَ رَبُّ النَّاسِ لِلنَّاسِ مُعَلِّمًا	مَكَارِمَ جَاءَتْ أَنْ نَحِيطَ بِهَا وَصْفَا

(١) غفَى يغفَى من باب ضرب ، وأغفَى يغفَى : نام نومة خفيفة . وقد جملة الشاعر من باب فرح ، ولعلها لكمة .

(٢) ناط به الشيء : علقه . والشغف : القوط في أعلى الأذن .

(٣) النهي : جمع نهبة وهي العقل .

(٤) الأعراب هنا : الإبانة عن الشيء وصراحة . واللعن : الكناية عن الشيء أو التورية عنه بغيره وليس المراد اللعن الذي هو الخطأ في الكلام .

إلى عبد اللطيف باشا المنديل

أبا ماجدٍ إني عهدتك مُبْصِراً
إذا خفيت يوماً عليك حقيقةً
وإن ليلةً اخطب ادلهمت كشفها
وتلك مزايا فيك أعلمت الورى
فهل أخفيت حالي عليك وقد بدا
أتيتك من بغداد لم أدْرِ ما الذي
وأحمل في جنبي نفساً غنيّةً
ولو كنت في بغداد أَرْضَى بِذِلَّةٍ
ولكنني قد غفّت أن أَرِدَ الغنى
وما عدل السعدون بي عن وفائه
ولو أنني بهت الشك بئائل
وإن حديثي عنك غير مرجّم
سأرحل عن ديوانك اليوم أو غداً
وسوف ترى مني لدى الدهر شاكر
وأكتب للتأريخ ما أنا كاتب

خفايا أمور أعجزت كلَّ مُبْصِرٍ
نظرت إليها من ذكاءٍ بِمَجْهَرٍ
بأوضح صبح من فعالك مُسْفِرٍ
بأن بني المنديل أكرمُ معشرٍ
لكل صديق أنها حال مُقْتَرٍ
أني بي إلا أنتي في تحيّرٍ
وإن شقيت مني بجمان مُعْسِرٍ
لما جئت إلا ساحبا فَضْلَ مَزْرِي
ونفسي في قيد من اللبّ مُتَقَرٍ
ولكن جرى مجرى القضاء المقدر
لما رضيت نفسي بغيرك مُشْتَرِي^(١)
وإن مقالي فيك غير مُزَوَّر^(٢)
بعزّة لا وإن ولا متفقّر
وإن كنت أعيا عن تمام التشكر
ليجعله أحدىثةً كلِّ مخبرٍ

(١) النائل : المطاء .

(٢) الحديث المرجم : حديث الظنون .

يادار قسطنطين

يادار قسطنطين أنت فريدة
 لقد اجتويتك لا لفقد محاسن
 أبدا سماءك وجهها متلون
 وأرى هواءك ناضجا برطوبة
 تسرى الرطوبة منه بين عروقهم
 فتلين شرهم وليس بهم ضنى
 وترى الفتى منهم يعود محوِّلاً
 ريمحان تندفعان فيك فتارة
 أمّا الشمال فعقرب لساعة
 لا كانتا من ضرّتين على الورى
 وأرى بك الأخلاق ذات تلون
 وطباع كل معاشر كهوائهم
 أمسى التصنع فى بنيك صناعة
 فإذا تالّأت الثغور تبسّما
 وزبما احترم البغيض بغضه
 عجباً فكم حلّ رأيت ومدنضا
 حامت نمورك خدعة وتظاهرت
 لم ألق شيئاً فيك غير مغشّش
 هذى صفاتك يافرّوق برغم من

فى الحسن لولا جوّك المتقلب
 لكن هواؤك عارم متذبذب^(١)
 فأراه يبتسم تارة ويقطب
 هم الرجال بها تجف وتنضب
 فتكاد من أعصابهم تتحلب^(٢)
 وتُشيب أرؤسهم وما هم شيب^(٣)
 حتى يروح لعنة يتطبّب^(٤)
 صرّاً تهب وتارة تلهب^(٥)
 وعن الجنوب وذكرها أتجنب
 هذى تجمّدهم وتلك تذوّب
 كهوائك القلاب بل هى أعجب
 سبب الطباع من الهواء مسبب
 من كان يحسها قذاك مهذب
 فالبرق فى تلك المباسم خلب
 كيا يقال بأنه متأدب
 ثوبى تصنعه إذا هو ثعلب
 بصدقة الخرفان فيك الأذوب
 حتى المياها تغشّ فيك وتكذب
 أنثوا عليك بغير ذاك وأطنبوا

(١) اجتويتك : كرهتك . والعارم : الشديد .

(٢) تنحلب : تسيل .

(٣) الشرة : الحدة والنشاط .

(٤) المحوّل : الضعيف الذى قلّ أربه فى النساء .

(٥) الصر : البرد الشديد .

فلـكس فارس

إِنْ فِلَيْكْسَ بَنَ فَارِسٍ رَجُلٌ بَنَا افْتِقَارُ إِلَى غِنَى أَدَبِهِ
 تَمَّ لَهُ السَّبْقُ فِي الْعِلَاءِ بِمَا أَحْرَزَ يَوْمَ الْفَخَارِ مِنْ قَصَبِهِ
 مَغْوَهُ لَوْ رَأَاهُ يَخْطُبُ فِي الْأَمَحْفَلِ قَسٌّ جَثَا عَلَى رُكْبِهِ
 يَنْطَلِقُ عَنْ فِطْنَةٍ لَهَا حِكْمٌ تَبْرِيءُ قَلْبَ الْجَهُولِ مِنْ وَصَبِهِ (١)
 لَمْ يُصْغَرْ مُصْغَرٌ إِلَى خَطَابَتِهِ إِلَّا وَقَدْ رَاقَهُ فَأَعْجَبَ بِهِ
 تَعَوَّدَ كُلَّ الْخُطُوبِ هَيَّئَةً إِذَا فَرَعْنَا مِنْهَا إِلَى خُطْبِهِ
 أَتَعَبَ فِي النَّصْحِ نَفْسَهُ فَأَتَتْ رَاحَةَ أَهْلِ الْبِلَادِ مِنْ تَعْبِهِ
 يَطْلُبُ أَنْ تَنْهَضَ الرِّجَالُ إِلَى مَجْدٍ يَجِدُّ الْكِرَامُ فِي طَلْبِهِ
 سَلَّ عَنْهُ لَبَانٌ كَمْ تَطَرَّبَهُ مِنْهُ خُطَابٌ فَمَادَ مِنْ طَرَبِهِ
 وَوَسَلَ دِمَشْقَ الشَّامِ عَنْهُ وَمَا بَعْدَ دِمَشْقَ الشَّامِ مِنْ حَلَبِهِ
 كَمْ لَيْلَةٌ لِلشُّكُوكِ دَاجِيَةٌ أَنْارَهَا بِالْيَقِينِ مِنْ شُهْبِهِ
 حَرَّ يَوْأَخَى فِي الْحَقِّ كُلِّ فِتْنَةٍ حَرَّ وَلَوْ شَطَّ عَنْهُ فِي نَسْبِهِ
 إِنْ قَالَ قَوْلًا أَوْ انْتَضَى قَلَمًا فَنُصْرَةُ الْحَقِّ مَنِتْهَى أَرْبِهِ
 فَارَكَنَ إِلَيْهِ وَخَلَّ حَاسِدُهُ مُحْتَرَقًا مِنْ جَوَاهِ فِي لَهْبِهِ

(١) الوصب : المرض والوجع الدائم .

ملیكة غناء العرب

هَلُمَّ إِلَى ذَوْقِ طَعْمِ الْأَدَبِ هَلُمَّ إِلَى نَيْلِ أَقْصَى الْأَرْبِ
 هَلُمَّ إِلَى ذَا الْغَنَاءِ الَّذِي مِنْبِرُهُ مِنْهُ أَتَتْ بِالْعَجَبِ
 أَلَيْسَتْ مِنْبِرُهُ فِي عَصْرِنَا مَلِيكَةً فَفَنِّ غَنَاءِ الْعَرَبِ^(١)
 وَلَا غَرَوْ أَنْ مُلِّكَتْ فِي الْغَنَاءِ وَأَنْ أَحْرَزْتَ فِيهِ أَعْلَى الرِّتَبِ
 فَقَدْ أَذْرَكْتَهُ عَلَى رِسْلِهَا وَنَالَتْ أَقَاصِيَهُ مِنْ كَثَبِ^(٢)
 وَأَيَّدَهَا اللَّهُ مِنْ صَوْتِهَا بِأَكْبَرِ عَوْنٍ وَأَقْوَى سَبَبِ
 أَرَى فِيهَا صَيْغَ مِنْ حِكْمَةٍ وَأَبْجَسَهُ إِنْ أَقْلُ مِنْ ذَهَبِ
 تَلُوحُ فَتَبَيَّرُ بِدَرِّ الدَّجَى وَتَشْدُو فَيَعْتَرِ فَنِّ الْأَدَبِ^(٣)
 بِالْحَنِ إِذَا امْتَدَّ هَزُّ الْقُتُوبِ وَخَدَّرَ أَبْدَانَنَا وَالْعَصَبِ
 تَرْفُفُ أَرْوَاحُنَا تَحْتَهُ كَمَا رَفَرَفَ الطَّيْرُ لَمَّا انْقَلَبِ
 وَتَحْفُقُ أَحْشَاؤُنَا دُونَهُ كَمَا خَفِقَتْ فِي الرِّيحِ الْعَذَبِ^(٤)
 فَكَادَ إِذَا هِيَ غَنَّتْ نَظِيرَ إِلَيْهَا بِأَجْنَحَةٍ مِنْ طَرَبِ
 وَإِنْ هِيَ قَامَتْ لِإِنْشَادِنَا جَثَوْنَا لَهَا وَثْنَيْنَا الرُّكْبِ
 فَلَوْ سَمِعَ الْقَوْمُ أَلْحَانَهَا لَشَقَّوْا عِمَامَتَهُمُ وَالْجُبِّ
 أَرَى الْهَمَّ يُتَعَبُ قَلْبَ الْقَتِي وَعَنْهُ الْأَغَانِي تَزِيلُ التَّعَبِ
 فَبَادِرُ إِلَيْهَا وَلَا تَكْثُرْ لَمَّا جَاءَ مِنْ ذِمِّهَا فِي الْكَتَبِ

(١) مَلِيكَة : أي مَلِكَة ، بمعنى رَأِيسَة هذه الصَّنَاعَة .

(٢) أَذْرَكْتَهُ عَلَى رِسْلِهَا : أي فِي تَمَلُّلٍ وَرَفَقٍ .

(٣) تَبَيَّرَ : تَغَيَّرَ وَتَفَرَّقَ فِي حَسَنِهَا .

(٤) الْعَذَبُ : الْأَطْرَافُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَا يَسْدُلُ إِلَى الْخَلْفِ مِنَ الْعِمَامَةِ .

إلى جميع الغواني

وقفتُ عليكِ قلبي الذي يمرُّ به الحبُّ مرَّ السحابِ
وممكنٌ أحببتُ هاتى وذى وألفيتُ عذاباً بكنَّ العذاب

فمنكنَّ بيضاء ما مثلها (عدا حمرة الخلد) إلا القمرُ
فتلك التى طاب لى وصلها كما ليلة البدر طاب السمر

وممكنٌ حمراء جدابةً حكى وجهها الشمس عند الطلوع
أرى عينها (وهى خلافة) فأمسك بالكف منى الضلوع

وممكنٌ صفراء فى لونها كأن تردت شعاع الأصيل
إذا ما تمشت على هونها أصحَّت هبوب النسيم العليل (١)

وممكنٌ سمراء تحكى الدمى وتبعث فى القلب ميت الهوى
على شفتيها يلوح اللامى فيضرم فى الصب نار الجوى (٢)

وممكنٌ من هى مثل الرياح لها فى ذرى كل قلب هبوب (٣)
تريد غلاب جميع الملاح وتبغى عذاب جميع القلوب (٤)

وممكنٌ من هى مثل النجوم من البعد ناظرة تبتسم
فتلك عليها فؤادى يحوم وتلك إليها الردى أفتحتم

ففيكنَّ طراً بوادى الهوى أهيمن وإن لم تعد عائدة
ألا إن حباً بقلبي انطوى كثير فلم تكفه واحده

(١) مشى على هونها : أى فى رفق وتؤدة . (٢) اللامى : سواد الشفة ، وهو محبوب عند العرب .
(٣) الذرى : الناحية والجانب . (٤) الغلاب : المنازعة .

قصر البحر (*)

وقال وقد نزل في فندق قصر البحر في بيروت .

لَعَمْرُكَ إِنَّ قَصْرَ الْبَحْرِ قَصْرٌ	به يسألو مَوَاطِنَهُ الْغَرِيبُ
وَتَمْتَلِئُ الْعَيْنُ بِهِ ابْتِهَاجًا	إِذَا نَظَرَتْ وَتَنْشُرُ الْقُلُوبُ
تَرُوقُ النَّاظِرِينَ بِجَانِبِهِ	مَنَاطِرُ دُونِهَا الْعَجَبُ الْعَجِيبُ
فَمِنْ شَمْسٍ يَصَافِحُهَا طُلُوعُ	وَمِنْ شَمْسٍ يَعَاقِبُهَا غُرُوبُ
وَمِنْ سَفْنٍ تَجِيءُ بِهَا شِمَالُ	وَمِنْ سَفْنٍ تَرُوحُ بِهَا جَنُوبُ
وَأُخْرَى حَوْلَهُ خَدَّتْ لَهَا	وَأُخْرَى فِي الْفُؤَادِ بِهَا لُحِيبُ
أُطْلِقَ عَلَى الْمِيَاهِ فَقَابِلَتُهُ	بُوجُهُ لَا يَمَازِجُهُ شُحُوبُ
يَقْبَلُ جَانِبِهِ الْبَحْرُ حَتَّى	كَأَنَّ الْبَحْرَ مَشْغُوفٌ كَثِيبُ
أَحَاطَ بِهِ فَكَانَ لَهُ رَقِيبًا	وَمَغْنَاهُ الْأَنِيقُ لَهُ حَبِيبُ
وَمَا هَذَا التَّمَوُّجُ مِنْ هَوَاءٍ	وَلَكِنْ مِنْ هَوًى فَهُوَ الْوَجِيبُ ^(١)
كَأَنَّ الْمَوْجَ فِي الدَّأَمَا رِجَالُ	وَهَذَا الْقَصْرُ بَيْنَهُمْ خَطِيبُ ^(٢)
تَخَاطَبُهُمْ مَبَانِيهِ فَيَعْلُو	مِنَ الْأُمُوجِ تَصْفِيقٌ مَهِيبُ

■ * ■

تَلُمُ بِهِ الْمَسَرَّاتُ ازْدِيَارًا	فَتَعْرِفُهُ وَتَجْهَلُهُ الْكَرُوبُ
وَمَا انْفَرَدَتْ بِهِ بَيْرُوتٌ حَسَنًا	وَلَكِنَّ الْقُصُورَ بِهَا ضُرُوبُ
تَبَسَّمتِ الْبِلَادُ بِكُلِّ أَرْضٍ	وَمَا زَالَ الْعِرَاقُ بِهِ قُطُوبُ
فَهَا هُوَ مِنْ تَكَاسُلِ قَاطِنِيهِ	تَجَرَّ عَلَيْهِ كَلَّهَا الْخَطُوبُ
إِذَا تَدْعُو الرِّجَالُ بِهِ خَيْرُ	يَجِيبُكَ مِنْ تَخَاذُلِهِمْ مُجِيبُ
فِيَا لَهْفَى عَلَى بَغْدَادِ أَمْسَتْ	مِنَ الْعِمْرَانِ لَيْسَ لَهَا نَصِيبُ

(*) من الديوان الأول .

(١) الوجيب : الحفان والارتجاف .

(٢) الدأماء : البحر .

سأبكي ثم أستبكي عليها إذا نَضَبْتُ من العين الغُروب^(١)
أيا بغدادَ لا جازتُكَ سَحْبٌ ولا حَلَّتْ بساحتك الجُدوب
تطاول ساكنوك على ظلمًا فضاوق على مغناك اترحيب
وكم نطقوا بالسنة حِداد يسيل بها من الأشداق حُوب^(٢)
رمانى القوم بالإلحاد جهلاً وقالوا عنده شـك مُريب
ألا يا قوم سوف يجدّ جدّى وسوف يحيب منكم من يحيب
فمن ذا منكم قد شق قلبى وهل كشفت لكم فى الغيوب
فعند الله لى معكم وقوف إذا بلغت حناجرها القلوب
يقينى شرّ فرّيتكم يقينى بأن الله مُطَّلِع رقيب
ولم تُخَفِّرْ لكم عندى ذمام ولكن عادة الريح المهبوب

محاسن الطبيعة (*)

إلى حضرة الفاضل نذرة بك المطران

البحرُ رهُوٌ والسماءُ صاحيةٌ وانفَخْتُ فى الليل شبیه السديم^(٣)
والبدرُ فى ضلعتة الزاهية قد ضاحك البحر بشعر بسيم

* * *

والصمت فى الأنحاء قد خيما فالليل لم يسمع ولم ينطق
والبدرُ فى مفرق هام السماء تحسبه التاج على المفرق
أغرق فى أنواره الأنجما وبعضها عام فلم يفرق
والبحر فى جبهته الصافية قام طريق للسنا مستقيم
لم تخف فى أثنائه خافيه حتى ترى فيه اهتزاز النسيم

(١) الغروب : جمع غرب ، وهو عرق فى العين ، أو الدمع ، أو جانب العين .

(٢) الحوب : الإثم . (*) من الديوان الأول .

(٣) رهو : ساكن . وانفخت : ضوء القمر . والسديم : الرقيق من الغباب .

وقفتُ والريحُ سرتُ سَجَجَا وقفةً مبهُوتٍ على الساحل^(١)
 أنظر ما فيه يحار الحِجَا في الكونِ من عالٍ ومن سافل
 يا منظرًا أضحكَ ثغرَ الدُّجَى وردَّ سَحْبَانٍ إلى باقل^(٢)
 ما أنت إلا صُحُفٌ عاليه كم حار في حكمتها من حكيم
 إذا وَعَتَهَا أذنٌ واعيه فقد وَعَتْ خَيْرَ كتابٍ كريم

* * *

وزان عَرَضَ البحرِ ما قد بدا من زَوْرَقٍ يجرى مَجْدَافَتَيْنِ
 عامَ بذَوْبِ اللّاسِ أو قد غدا يسبحُ في لجة ذوب اللّجَيْنِ
 في صامت الليل جرى مفردا وبين جنبيه حوى عاشقين
 من غادة في حسنِها غانيه تبسّم عن لآلَاءِ دُرٍّ نظيم
 ومن فتى أدْمَعُه جاريه قد صافح العشقَ بجسم سقيم

* * *

قابها والحبُّ قد شَفَّه وقابلت طلعةً بدر السما^(٣)
 وظلَّ يرنو تارة خلفه وتارة ينظرها مُغرَما
 ثم تدانى واضعا كفه في كفها يطلب أن يَلْتَمَا
 وخرَّ من وَجْدٍ على الناصية وقلبه يركض ركض الظلِّم^(٤)
 وهي غدت من أجله جائيه واحتضنته كاحتضان العظيم

* * *

ثم رمى نظرةً مُسْتَرْحِمَ في الكون طَرْفَ له حائر
 وقال قولَ الكَلِفِ المغرم في حب ذات النظر الساحر
 أيتها الأرض قفى واسمى من أجل هذا المشهد الزاهر

(١) الريح السجج : المعتدلة اللطيفة .

(٢) سحبان : خطيب يضرب به المثل في الفصاحة وباقل : يضرب به المثل في العي .

(٣) شفه الحب : هزله وأضناه .

(٤) الظلِّم : الذكر من النعام .

حتى أرى ليلتنا باقية مخوفة من وصلنا بالنعيم
فإن هذى ليلةً حالیه تزهو ببدرين وطلق النسيم

• • •

وأنت يا بدرُ اللطيف السنا في الجوّ قفْ وقفةً غير الرقيب
ما أبهج النور وما أحسنا إذا دنا منك لوجه الحبيب
كأنه « ندره » لما دنا نحو المعالي يبتغيها النصيب
فحاز منها جملةً وافيه ما حازها من أحد من قديم
وصار يدعى الرجل الداهيه في الفكر والمجد وخلق عظيم

* * *

يا آل مطرانَ لكم « ندره » وأكرم الناس هو النادرُ
لكن معاليكم لها كثرة يعجز أن يحصرها الحاصر
من أجلها أمست لكم شهرة عمّ البرايا صيتها الطائر
حيث معاليكم غدت قاضيه لكم على الناس بفضل عميم
فراية المجد لكم عاليه و « ندره » الشهم عليها زعيم

* * *

يا من بنى المجد فأعلى البنا فكان أعلى الناس في مجده
أقبل من العبد جميلَ الثنا وإن يكن قصر عن حده
ومره ثم احكم به إن وني ما يحكم السيد في عبده
إذ أنت بالثقة الساميه قد خصك الله العزيز العليم
فاهناً ودم في عيشة راضيه رغم المعادي وسرور الحميم

ليلة في دمشق (*)

من كان يَارقُ بالهمو م فقد أرقْتُ من السرور
 وطربتُ من صوتِ يحيى ه إلى من غُرفِ القصور
 صوتِ كَأَن الغانيـا ت أعرنَه هيفَ الخصور
 ونضجن من ماء الحيا ة عليه في شذب الثغور
 سرى الهموم عن القوّا د بجوف حالكه الستور
 والعود ينطق بالحو ن بلهجتى بمَّ وزير
 يرمى به الصوت الرخي م على الدجى لمعات نور
 ملأ الظلام توقداً كالكمرباءة في الأثير
 يحكى الزُّلال لدى العطا ش أو الثراء لدى الفقير
 أصغيتُ منقطعا إليه عن المَواطن والعشير
 فحسبتُ نفسى فى الجنا ن بغيرِ ولدانٍ وحوُر
 وطفقتُ أدَّكر العرا ق فعاد صفوى ذا كدور
 فرجعتُ عن ذاك السما ع وغبتُ عن ذاك الشعور
 وذكرتُ من تبكى هنا لك على بالدمع الغزير
 تستوقف العجّلان ثمّةً بالرنين عن المسير
 وتقول من مضض الفرا ق مقال ذى قلبٍ كبير
 أبني سرّ سير الأما ن من الطوارق فى خفير
 يا أمّ لا تخشى فإ ن الله يا أُمّى مُجبرى
 ودعى البكاء فإن قـاـبى من بكائك فى سعي

أعلمت أنى فى دمشق أجر أذبال السرور
بين العطارفة الذين تخافهم غير الدهور^(١)
من كل وضاح الجبيـن أغر كالبدن المنير
حرّ الشائل والفعا ثل والظواهر والضمير

حول البسفور (*)

خليلى قوما بى لنشهد للربا . بجانبى البسفور مشهد أسرار
أجيلا معى الأفكار فيها فإنها بحال عقول للأنام وأفكار
خليلى إن العيش فى ماء شرشر إذا الشمس تستعلى وفى ماء خنكار^(٢)
سفوح جبال بعضها فوق بعضها مكلفة حافاتهن بأشجار
يروق بجانبها خير مياهاها ويشجى بفطريها ترنم أطيّار
ويمجرى النسيم الرطب فيها كأنه تبخر بيضاء الترائب معطار
معاهد زرها فى الهواجر تلقها موشحة فيها برقة أسخار
نزلنا بها والشمس من فوق أرسلت على منحى الوادى ذوائب أنوار
وقد ظل من بين العصون شعاعها يوقّع دينارا لنا جنب دينار
كأن التفاف الدوح والنور بينها جيوب من الأنوار زرت بأزار
تميل إذا هبّ النسيم غصونها فتأتى بظل فى الجوانب موار^(٣)
ترانا إذا ما الطير فى الدوح غرّدت تميل بأسماع إليها وأبصار
رياض تنسّمنا بها الريح ضحوة فمّت لنا من طيبهنّ بأسرار
يلوح بها ثغر الطبيعة باسماء فيفتر منها عن منات أزهار
مشاهد فى تلك الربا ومناظر تجلّت على أطرافها قدرة البارى

(١) العطارفة : جمع غطريف ، وهو السيد السخى السرى . وغير الدهور : تقلباتها .

(*) من الديوان الأول .

(٢) شرشر وخنكار : موضعان بالقرب من البسفور .

(٣) الموار : المضطرب المتحرك .

تأثير التريية (*)

قالها في بيروت بعد أن شاهد مسرح الحيوانات

إليك ما شاهدت عيني من العجب
خافوا به أن تقوم الأسد واثبة
وحصنوه من الأعلى بمشترك
به الأسود تمطى في مراتبها
والذئب يبصر جدى المعز مقتربا
أما الكلاب فجاءت وهي كاسية
قامت على أرجل تمشى معامة
تخشى مؤدبها والصولجان له
ترنو إليه بعين الخوف فاعلة
خضعن للسوط حتى إن أعقدها
وكانت الأسد تجرى في إطاعتها

مجرى الكلاب يحكم الخوف والرهب
محدد الناب قذافا إلى العطب
أن الغرائز لم تطبع على الشغب
لا بد فيه سوى الأطباع من سبب
لكن أحواله فراسا يد السغب (١)
بدافع الجوع نحو القتل والسلب
أكسبرها وهو من تراب إلى الذهب

(*) من الدوان الأول .

(١) الشغب : جمع قشيب ، وهو الجديد .

(٢) السغب : الجوع .

هذا إذا حَسُنَتْ أما إذا قُبِحت فالْمَنْدَلِيُّ بها يَمْسَى من الحطَب^(١)
فكل ما هو في الإنسان مكتسبٌ فلا تَقُلْ فيه شيءٌ غير مكتسبٍ
إني أرى أسوأ الآباء تربيةً لِلابْنِ أخرى بأن يُدعى أَعْقَابُ
والمرء كالنبت ينمو حَسَبَ تَرْبته وليس يَنْبِت نَبْعٌ مِّنْبِتَ الْغَرْبِ^(٢)
من عاش في الوَسْطِ الزَّاكِي كاخْلُقًا حتى علا في المعالي أرفعَ الرتب
فاحرص على أدب تحيا النفوس به فإنما قيمة الإنسان بالأدب

يقظة الشرق

أُنشِدت في مأدبة نادى المعلمين « لتكريم وفد الجامعة
المصرية مساء ٩ شباط سنة ١٩٣١ في أوتيل «كارلتون» ببغداد.

أرى — بعدَ نومٍ طال — في الشرق يقظةً

مُهِوْضِيَّةٌ فيها طموحٌ إلى المجدِ

فقى « مصر » شِيدَتْ للعلوم معاهدٌ

على أسس التحليل والبحث والنقدِ

فلم تتخذ غيرَ التجارب منهجاً لتحقيقها من جوهر العلم ما يجدى

وفي الأفق « التركي » سارت إلى العلى

جيوش بأعلام التجدد تستهدي

وفي « الهند » قامت للتحرر ثورة سياسيَّة عزلاء قائدها « غنْدِي »

و« فارس » حَلَّتْ عقدة من جُهودها وحت بمسعاها إلى سالف العهدِ

وفي « الصين » حرب نارها وطنية تزيد بمرِّ الدهر وَقْداً على وَقْدِ

و « بغداد » بين الأجنبيِّ وبينها مزيد صراع في السياسة مُشْتَدِّ

(١) المندلي : عود يذبخر به ينسب إلى المندل من بلاد الهند .

(٢) النبع : شجر صلب تتخذ منه السهام والقسي . والغرب : شجرة تتخذ منه الأقذاح .

على أن حول « النيل » مثل صراعنا
ولكنه بين الحكومة و « الوفد »
ولم تحمل من أعشابها بتجدد
على جذبها أرض « الحجاز » ولا « نجد »
زمان أتى من كل قوم بنهضة
تبشيرٌ صبح لاح بعد نحوسة
فيا وفد مصر أتم خير شاهد
لقد جئتم رؤاد علم وحكمة
ترودون أهل العلم مرعى ومنزلاً
وقد زرتم « دار السلام » زيارة
ومن ذكرها في كل عصر ومواطن
وتمتدين « النيل » منها و « دجلة »
سلام على « مصر » التي أرسلت بكم
لكم عند أهل « الرافدين » تجلة

إلى القزويني

هو المرحوم أبو العز السيد محمد القزويني العالم المشهور .

قف بالديار الدارسات وحيها
وانشد هنالك للعتيم مهبجة
وسل المنازل هل عامن بأني
يا قلب أي هوأي أصابك عند ما
واقف السلام على جاذر حيها (١)
فنييت من الأهواء في عذريها
قد شف جثماني الهوى بظبيها
أصميت بالاحظات من ثعلبيها (٢)

(١) الجاذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية .

(٢) ثعلبيها : رام منسوب إلى بني ثعل ، وهم حي من طي مشهورون بالرمي ، قال امرؤ القيس :

رب رام من بني ثعل مخرج كفيه من ستره

رَشَاءٌ إِذَا أَبْدَى ابْتِسَامَةً شَائِقَ
شَغَلَ الْقُلُوبَ بِحَبِّهِ وَلَطَالَمَا
مِنْ لِي بَلِّغْ مُقْبِلٍ مِنْ شَادِنٍ
يَاعَازِلًا صَدَعَ الْقُلُوبَ بِلُومِهِ
مِنْ ذَا اسْتَطَاعَ يَرُدُّ عَنْ غَى الْهَوَى
دَعُ يَا عَذُولُ أَخَا الْغَرَامِ مَعْظَمًا
كَأَفْضَلِ «الْفِيحَاءِ» حَيْثُ تَفَاخَرَتْ
السَّيِّدُ السُّنْدُ الْهَمَامِ مُحَمَّدُ
كَمْ شَاعَ لِلْفِيحَاءِ بَيْنَ بِلَادِنَا
ذَاكَ الَّذِي كَمْ مِنْ مَنَاهِلِ فَضْلِهِ
يَا سَيِّدَا فِي الْمَجْدِ أَحْرَزَ شَهْرَةَ
وَالْتَبَّكَ نَفْسِي تَرْتَدِي بِكَ سَوْدَدَا
لَمْ لَا أَسْوَدُ بِحَبِّكُمْ فِي أُمَّةٍ
زَهَتْ الْمَكَارِمُ فِيكَ حَيْثُ لَبَسْتَهَا
فَعَشَقْتُ مِنْكَ عَلَى الْبِعَادِ خِلَاقًا

شغلت — وحقت — مهجتي عن حبيبها

فَالْيَكْبَا عِزَاءً عَزَّ قِيَادُهَا
وَأَفْتَكُ فِي «رَمَضَانَ» تَنْشُرُ مَدْحَةً
لَتَشْدَّ مَعَكَ عُرَا الْوُدَادِ وَثِيقَةً
إِنِّي لِأَغْبِطُهَا إِذَا هِيَ أَنْشَدَتْ
وَعَدْتُ تَجِيدُ الْمَدْحَ مِنْكَ لَسِيدُ

لَوْلَا مَدِيحُكَ لَمْ تَبْحُ بِرُويهَا
عَبِثَتْ نِهَانِيكَ الْحَسَانُ بِطِيَّهَا
يَدٍ ، وَلَاؤُكَ كَانَ خَيْرَ حَلِيَّهَا
بَنْدَى عَفِ الذَّيْلُ مِنْكَ ذَكِيَّهَا
شَهْمُ الْغَطَارِفَةِ الْكَرَامِ أَيْيَهَا

(١) الرشاء : ولد الطيبة .
(٢) المقبل : الفم . والشادن : ولد الطيبة .
(٣) هي مدينة الحلة . والسري : السيد الشريف السخي . والجحجج : السيد المسارع إلى المكارم .
(٤) المحلاة : العطاش المطرودة عن الماء .

إلى حماة الأطفال

سبق للجمعية حماية الأطفال أن اعترفت بإنعامة مهرجان كبير .
حاولت أن يكون الأول من نوعه ، وقد تفضل شاعر العرب
الحالد المرحوم الأستاذ معروف الرصافي ، فأرسل هذه القصيدة .
العصماء ، ووعد أن يلقبها بنفسه ، ونحن فنشرها اليوم ليرى
القراء جانباً من إحساس التقيد العظيم نحو أطفال الوطن .

دارُ السلام تفاخرتُ برجالٍ	قاموا بأمرِ حماية الأطفال
وعُنُوا بتربية البنين عناية	زادوا بها شَمًا على الأجيال ^(١)
وَبَنُوا لهم داراً بما جادت به	أيدى أكارمهم من الأموال
صانوا بها الأنسالَ من أمراضها	ومن الحقوق صيانة الأنسال ^(٢)
دار تقيمهم بالأوقى كلَّ ما	يُخشى من الأوجاع والأوجال ^(٣)
ضمنت لأيتام الأرامل طيبهم	وعِذاءهم وبشائر الإقلال ^(٤)
لم يخشَ فتكَ السقمِ فيها رُضع	في البؤس قد وُلدوا وفي الإقلال
لله تلك الدارُ من متبوأٍ	بذَّ النجوم بقدرة المتعال ^(٥)
هي مفزع المعسرين وملجأ	يأتيه كل عَنٍّ من الأطفال ^(٦)
أحياة أطفال الأيامي إنكم	جُدراء بالتمظيم والإجلال ^(٧)
مرت لكم تلك السنون وكلُّها	عُرِّرَ تُزَانٌ بأنفع الأعمال
كانقمُ الأدوية في أيتامنا	دأباً بغير كلاله وملال

(١) شَمًا : أصل الشم الارتفاع في قسبة الأنف ، والمراد هنا الارتفاع مطلقاً : والأجيال : جمع جبل .

(٢) الأنسال : جمع نسل ، وهم القدارى .

(٣) الأوقى : أصناف الوفاق ، جمع وافية . والأوجال : الخواف ، جمع وجل .

(٤) الأرامل : جمع أرملة ، وهى الفقيرة ، أو التى مات زوجها . والإبلال : الخروج من المرض .

(٥) متبوأٍ : مكان التبوؤ ، وهو النزول فى المكان . وبذَّ بالذال أخت اللال ، وبالزاي أيضاً ،

يقال بزه وبذنه : أى فاقه .

(٦) مفزع : ملجأ ومعتصم . والضنى : المهزول .

(٧) الأيامي : جمع أيم ، وهى التى لا زوج لها .

فِي حَوْمَةِ الْإِحْسَانِ طَالَ صِيَالُكُمْ حَقًّا فَأَنْتُمْ أَشْرَفُ الْأَبْطَالِ^(١)
 سِيدُومَ مَسْعَاكُمْ وَيَبْقَى دَابُّكُمْ فِي الدَّهْرِ غَيْرَ مُهَدَّدٍ بِزَوَالِ
 وَلَسَوْفَ يَذْكُرْكُمْ وَيُشْكِرُ سَعْيَكُمْ مَنْ سَوْفَ يَخْلُفُكُمْ مِنَ الْأَجْيَالِ
 اللَّهُ أَنْتُمْ مِنْ أَفْضَلِ خُلَصِ فَاقْوُوا الْأَنَامَ بِأَشْرَفِ الْإِفْضَالِ
 إِنِّي أَحَاوِلُ أَنْ أَكُونَ مُعِينَكُمْ لَوْلَا مَوَانِعُ يَعْتَرِضُنِ حَوَالِي^(٢)
 لَوْ أَنَّ ذَاتَ يَدَيَّ اسْتَطَاعَتْ رِفْدَكُمْ مَا فَاقَ نَوْلُ الرَّافِدِينَ نَوَالِي^(٣)
 وَلَوْ أَنَّ أَيْامِي تَجُودُ بِصَحْتِي مَا جَالَ أَقْوَى الْعَامِلِينَ بِجَالِي
 إِنْ لَمْ أَعْنَكُمْ بِالْفِعَالِ فَإِنِّي مَا زِلْتُ مِنْ أَعْوَانِكُمْ بِمَقَالِي
 فَالْيَكُمُ هَذَا الثَّنَاءُ مَخْلَدًا مِنْ مَادِحٍ فِي الْمَدْحِ غَيْرِ مَغَالِ

شاعر البشر

حَيْهَلْ يَا أَخَا مُضَرَ نَذَكِرْ خَيْرَ مَذَكِرٍ^(٤)
 نَذَكِرْ شَاعِرَ الْبَشَرِ خَيْرَ مَنْ قَالَ وَافْتَكِرْ

حَيْهَلْ أَيُّهَا الْمَلَأَ نُحْيِي ذِكْرِي أَبِي الْعَلَا^(٥)
 شَاعِرِ شَعْرُهُ اجْتَلَى صُورًا كَلَّمَهَا غُرَرُ

(١) الحومة : موضع القتال . والصيال والمصاولة : المنازلة في الحرب .

(٢) حوالى : حولى .

(٣) الرغد : العطاء . والنول والنوال : العطاء .

(٤) حيهل : اسم فعل أمر ، معناه : أقبل . وأخا مضر : هو من : ينسب إلى مضر . وهم من ولد إسماعيل . أما اليمينيون فأولاد يعرب بن قحطان . ولعل الشاعر هنا يريد جنس العرب مطلقا ، مع غض النظر عن أصولهم الأولى ، وآية ذلك أن القصيدة في الدعوة لذكرى شاعر البشرية الأكبر ، أبي العلاء المعرى ، وهو من تنوخ ، وتنوخ من قحطان ، لا من مضر . ونذكر أصله نذكر بذال مدغمة ، فأبدلها دالا .

(٥) الملا . أصله : الملأ ، وهو جماعة من الناس ، أو أشرف القوم وعليهم .

شاعر يملأ القضا نفسه صعبة الرضا
دونه كل من مضى دونه كل من غبر^(١)

هو بالفكر منذ سما كان من نوره العمى^(٢)
شاعر الأرض والسما شارق الشمس والقمر^(٣)

حلّ في ذروة الأدب آتيا منه بالعجب
لا تقل شاعر العرب إنه شاعر البشر

جعل الصدق ديدنا تاركا هذه الدنيا^(٤)
إن تنأى أو ادنى فهو للحق ينتصر

عبرى بشعره عالمى بفكره^(٥)
يعربى بنجره تشرف العرب إن ذكره^(٦)

-
- (١) من غبر : من يأتى فى المستقبل . وقد يكون غير بمعنى مضى ، فى غير هذا الموضع .
(٢) كان من نوره العمى : كان العمى سبب توقد ذكائه .
(٣) شارق الشمس والقمر : كاد يبلغهما سناء ومجدا .
(٤) ديدنا : عادة . والدنا : جمع دنيا ، أى أنه قال الصدق ولم يخش أهل هذه الدنيا ، لأنه لم يكن يرجو منهم نفعا يحمله على مدهانتهم ومراءاتهم بقول الكذب .
(٥) عبرى : منسوب إلى عبرى ، ينسب إليها كل شىء نفيس ، وقد زعموا أنها مدينة للجن بأرض اليمن . وعالمى : يعنى أنه لم يقصر شعره على ذكر العرب وحدهم ، وإنما تناول شعره بنى الإنسان عامة ، لأن آفاق فكره فسيحة ، فهو يسبح فيها ويخلق فى ذرها ، واصفا أحوال البشر مشيدا بفضائلهم ، ناعيا عليهم مخازيهم .
(٦) يعربى : منسوب إلى يعرب بن قحطان أبى عرب اليمن . والنجر والتجار : الأصل .

جعل الشعرَ وَحْيَهُ مَوْظِعًا فِيهِ وَغِيَهُ
ما وَرَى فِيهِ وَرْيَهُ قَبْلَهُ كُلِّ مِنْ شَعْرٍ^(١)

* * *

خَطَّ سِفْرًا بِهِ ابْتَغَى غُنْيَةَ الرُّوحِ بِالرُّغْيِ^(٢)
جَامِعًا أَفْصَحَ اللَّغَا حَاوِيَا أَكْبَرَ الْعِبَرِ

* * *

حَكَّمَ الْعَقْلَ وَاجْتَهَدَ وَتَغَابَى عَنِ الْقَدَرِ^(٣)
هُوَ فِي الْقَوْلِ مَا اعْتَمَدَ غَيْرَ مَا ذَاقَ وَاخْتَبَرَ

* * *

شَعْرَهُ شَفَّ عَنْ دَهَا مَالَهُ فِيهِ مُنْتَهَى^(٤)
بِنِظَامٍ هُوَ النَّهْيُ وَحُرُوفٍ هِيَ الدُّرَرُ^(٥)

* * *

شَعْرَهُ شَعْرٌ مُتَقِنٌ فِيهِ شُلُوكٌ لِمَوْقِنٍ^(٦)
فِيهِ كُفْرٌ لِمُؤْمِنٍ فِيهِ إِيمَانٌ مِنْ كُفْرٍ^(٧)

* * *

نَفْسَهُ وَهِيَ ثَائِرَةٌ تَرَكَتْ (غَيْرَ خَاسِرَةٍ)^(٨)
كُلَّ دُنْيَا وَآخِرَةٍ وَنَفَتْ كُلَّ مَا اسْتَقَرَّ

-
- (١) « ما وري فيه وريه » أي لم يقدح شاعر زناد فكر ، ولا أتى بمثل ما أتى به أبو العلاء من المعاني .
(٢) الرغى ، بضم الراء وفتحها : الحديث غير الصريح . « وخير الحديث ما كان لحنا » .
(٣) تغابى عن القدر : لم ينسب إليه شيئاً من إسماء الناس أو إشتائهم . يقال : تغابى عن الشيء : إذا تظاهر بالغباء عن فهمه ، وهو في الحقيقة عارف له .
(٤) شف عنه : أبان عنه .
(٥) النهي : جمع نهية ، وهي العقل . يريد أن نظم أبي العلاء الشعر بحكم إحكامه لا خلل فيه ، كأن من العقل الخالص .
(٦) فيه شك لموقن : يريد أن بعض شعره مما يشكك الموقن في دينه .
(٧) يريد أن شعر أبي العلاء بهضم مما يكفر بقوله المؤمن ، ويعضه إيمان خالص ، فهو جامع لمظاهر تفكيره الطليق ، وتأمله الحر .
(٨) يريد أن ثورة نفسه جعلته لا يصاب حظاً في دنياه ولا آخرته .

جميل الحق ذوقه باذلاً فيه طوقه^(١)
شاعر ليس فوقه شاعر من بنى البشر

شاعر الأرض والسما هو بالفكر مد سما
أبصر الحق بالعمى لم يضره عمى البصر

هو بالشعر إن شدا يتجلى لك الهدى
مدركاً أبعد المدى بالمانى التى ابتكر

جانب الناس واعتزل قائلاً إنهم هم^(٢)
شرهم غير محتمل خيرهم غير منتظر

دينهم من رياهم وهو فى أغبيائهم
ليس فى أذكيائهم غير من مان أو مكر^(٣)

ما بهم غير حاسد دائب فى المكاييد
مبغى كل واحد منهم الجور إن قدر

كوكب قد توقدا فى سماء من الهدى
عند ما غمه الردى أظلم الجؤ واعتكر^(٤)

(١) جميل وجدانه زائده فى تمييز الحق عن الباطل من الديانات . وطوقه : طاقته واستطاعه .

(٢) الهمل من الحيوان : ما ليس له راع يحوطه وبرعاه .

(٣) مان من المين : وهو الكذب . والمكر : الغش والخداع .

(٤) غمه الردى : ستره الموت .

ليس للهوتِ عندهُ من تقاريعِ بعدهُ^(١)
إن عرا الحى ردهُ فاقد الحسن كالحجرِ

* * *

فيه قد يأمن الفتى كل ما راع أو عتا
لا مصيف ولا شتا لا نعيم ولا سقر

* * *

نحن أسرى ذواتنا خشيةً من تماننا
كم وكم فى حياتنا مبتدا ما له خبر

ذكرى المآثر التيمورية

وهى من أواخر شعره

« لأحمد تيمور » مآثر لم تزل تشيرُ بتعظيمِ إليها الأنامل^(٢)
شوامخُ كالأطوادِ عاليةُ الذرا ولكنّها لا تعترّيهما الزلازلُ
تزيدُ على كَرِّ الجديدين جدّةً وتبلى الدواهي دونها والغوائل^(٣)
إذا ذكّرتُ فى القوم حلت لها الحبا

وقام لها جمعُ من القوم حافل^(٤)
هو العالمُ الخبرُ الذى كان علمه كأخلاقه فيه النهى والفضائل^(٥)
إذا لم يزن علمُ الفتى حسنُ خلقه فما هو فى شيء على الناس طائلُ

(١) تقاريع : كذا بالأصل المخطوط الذى بأيدينا ، وقد قرأ : تقاريع . وهى غامضة

(٢) المآثر : جمع مآثرة ، وهى ما يبنى ويروى خبره من المفاخر .

(٣) الغوائل : جمع غائلة ، وهى المهلكة . وفى الأصل المقول عنه ، وهى جريدة « البلاد »
التي نشرت القصيدة : الغوائل . ولعله تحريف .

(٤) الحبا : جمع حبة ، وهى ما يشده العرى رجله إلى ظهره من شدة أو عمامة أو نحوها ،
إذا جلس فى نسي قومه . وحل الحبا : كناية عن الاهتمام بالأمر ، يقال للشيء المهم : هذا أمر
تحل له الحبا . واتّجع الخافل : الكثير العدد .

(٥) يريد أن علمه تتمثل فيه قوة العقل وأدب النفس .

به فقدت «مصر» العزيزة فاضلا له في مغانيها مساعٍ فواضل
أقام بها ما فاق في الفضل نيلها خزانة كتبٍ تنتجها الأفاضل^(١)
مناضدها لتأهين معالم^(٢) وأسفارها للظامئين مناهل^(٣)
إذا غم أفق العلم أبدت أثارة^(٣) تقوم بها للحائرين دلائل^(٣)
عليه سلام الله ما هيب عالم^(٣) وعيب ياهمال التعلم جاهل
ولا برحت مصر ينير لها الدجى رجال عظام من بينها أمثال

الأعظمية : ١٤ كانون الثاني سنة ١٩٤٥

أبو الطيب المتنبي

كان أبو الطيب امرأً قوله يبتكر الشعر مذكيا شعله
صاحب نفس كبيرة شرفت فشرفت حله ومرتحله
كان هو الشاعر الذي انتشرت أشعاره في البلاد منتقلة
أوجد للشعر دولة عظمت به فعزت من قبله دوله
من كل معنى أغر موتلق في لفظة كالعروس في الحجله
وربما برق لفظه فبدت في شعره كل كلمة ثمله
وربما لم تبين مقاصده لأنها فيه غير مبتذله

• • •

فسائلن عن قريضه حلها كم قطقت من زهره خصله
خلد ذكرا لسيف دولتها أيام وشى بمدحه خلله

(١) تنتجها : تصدها .

(٢) مناضدها : جم منشد ، وهو الخزان توضع عليه الكتب وترص . والمناهل : جمع منهل ، وهو مورد الماء .

(٣) غم أفق العلم : أظلم . والأثارة : البقية من الشيء ، كذا في جريدة « البلاد » ولعلماء معرفة عن إنارة . يريد إذا غام الأفق بالشبه ظهر منها نور يوضح أمام الحائرين .

فأعجب لسيف لم تبل جدته وشاعر بالمدح قد صقله

✱ . ✱

ليرحاز موسى مضاء عزيمته ما تاه في التيه عندما دخله
وهو الذي اجتازه يُعْمَلُه تحمل منه الهيام لا التكله
قد بات كافور من جراتها على المواي بمهجة وجهه
إذا عجزته بالسير عن طلب لا خيله تخشى ولا أبه
فسل به النيل يوم ناقته نغمرت منه وانتحت جبله
كيف أتى مصر كالعقاب لكي يبلغ فيها بشعره أمله
وكيف أحيا بالمدح أسودها ثم وشيكا بهجوه قتله

✱ . ✱

في شعره حكمة مهذبة وروعة بالذكاء مشتغله
ونعمة بالشعور صادحة وصنعة بالفنون متصله
قدرته في البيان واسعة ينيه فيها السؤال والسأله
إذا المعاني بشعره ازدحمت ما ربكت في انتقائها حيله
كم شاعر قد قفى له أثرا وناقد راح يبتغى زلله
فأخفقوا عاجزين عن درك لبعض ما كلّه تيسر له

✱ . ✱

قل لابن عباد أي منقصة من أجلها كنت مكثرا عذله ؟ !
أمن شعره والعصور ما برحت تسعى بكل استجدادة قبله
لكنما رمت من مدائحها ما لم تكن سالكا له سبله
طماعة منك غير واعية وهى لعمري حماقة وباله

✱ . ✱

أكبر من أكبر القريض به وأكبر القاتلين من قتله
يا قاتليه لو تعلمون به إذا قتلتم نفوسكم بدله
قتلتم الشعر والاجادة والأ — م — بداع يا الألم القتله
لستم بهذا القتل من بنى أسد بل أنتم فيه من بنى ورله

لم يزل الدهر بعد مقتله يضرب في الشعر للورى مثله
كان له عند كل بادهة بدائع في القريض مرتجله
يصطاد في الشعر كل شاردة من القوافي بفطنة عجله
فلا تقسه بنيره أدبا ! وهل تقاس المطار بالثقلة !

كم شاعر يدعي وليس له من شعره غير منطق الحجله
ان أنت انشدت شعره هزء رجعت منه كأكل البصله
ورب شعر اذا لفظت به من هجنة فيه تأنف السبله
الشعر معنى ألفاظه حسنت فنسقت في بلاغة جماله
وكأما قصرت قوالبه عن حسن معناه أوسعت خلاله
حسن المعاني بلفظها شوه كحسن حسناء ثوبها سماه

من ذاق في الشعر طعم معجزه فأحمد الشاعر الذي أكله
أى مقام هيجاءه احتدمت بالشعر يوما ولم يكن بطله
كان عزيزاً يأتي الهوان فما قر عليه يوما ولا قبله

إلى الجواهرى

ما أوحته إلى قصيدتك

كتب المرحوم الشاعر معروف الرصافي تحت هذا العنوان القصيدة التالية ،
رداً على قصيدة للشاعر الأستاذ محمد مهدي الجواهرى نشرها في صحيفة « البلاد »
وقدم بين يديها هذه الكلمة :

أردنا — عند ما نأغيث الشاعر العربي العجم الأستاذ « الرصافي » ، أن
يكون له شرف تذكرو وهو في عزائه الموحنة . فكان لنا إلى جانب ذلك
أيضاً شرف اجتماع شاعريته النذرة ، التي حالت حوثق المرض والامزال
و « النذرة » : دون تمنع المعجزة في شتى الأقطار العروية بفتاحها .

أما وقد هزونا الأستاذ الرضا الضائق ذرعاً بعينه ، فمتطوى على نفسه
ألماً وغضباً وكبرياء ، فليكن لنا شرف الاستماع إلى زفيره .

فليضم المتعوق بشعر الأستاذ « الرصافي » هذه التزيمة الجديدة إلى
بحرهم ، وهذه « الزفرة » الخارة إلى السلسلة « المقطوعة » من أخواتها .
وسلام على « عيش » الشاعر المتمرس « بالأولى » ، والمتفكر في
« الأخرى » ، هذا العيش « الحر الطليق » الذي خاندنا كلمة « وفصلت »
في التعبير عن مقدار إعجابنا « بطبعيته » واحترامنا له ولصاحبه .

وسلام على الشعر « الرصافي » المتفتح نوره عن ذهن المشبوب ، والفكر
الحائر ، والنفس الجائشة ، والمسجيشة بفيضها ، والقلب المريج بالهواطف
الزاهرة ، والزاج بصاحبه في شتى الهوى .

ذلك « شعر » الرصافي « الذي أعجبنا ، لأنه لم يكن « حبلاً » مرغمة
« أوائله » في التنقي والأوخوا . وثلك « العيش » « الرصافي » ، بخاصية
وحاضره المتراكم بعضه فوق بعض بدون « تنسيق » ولا « اختيار » ، بل
بوحى من « الفكر الحر » ، و « الصراحة » ، و « الجرأة » ، و « بعض
الطبيعة » ، وفي بعض الفترات منه بوحى « الضرورة » . وهذه هي عناصر
عظمته عند وفي هذا جواب « الاستعجاب » الرقيق .

قال الرصافي :

بك الشعرُ لا بى أصبحَ اليومَ زاهراً وقد كنتُ قبلَ اليومِ مثلكَ شاعراً
فأنتَ الذي ألفتَ مقاليدَ أمرها إليه القوافي شُرّداً ونوافراً
إذا قلتَ شِعراً قنته في بداعة فكانَ به المعنى بديعاً وناهما
وإن أنتَ أطلقتَ النفوسَ من الأسَى

بإنشاده يوماً أسرّتَ للشاعرا

بلغت من الإبداع أرفع ذروة هوى النجم عنها صاغرا متقاصرا
وإنك أرقى الناطقين تكلمها بحق وأنقى الساكتين ضمائرا
إذا شيء ظلمت للظلم رادعا وإن شيء حق قمت للحق ناصرا

• • •

أئن كنت تنمى للجواهر نسبة لقد كنت تحلو بالبيان جواهرها
فماك أب بالعلم شيد مجده وخلد منه في الزمان المآثرها
ومد من الآداب فيه سرادقا وأكثر فيه للبنين المفاخرها
فلا عجب أن تنظم الشعر رائعا أنيق المعاني زاهى اللفظ زاهرا
وقد تبصر الماء الزلال به القذى فتغمض عنه بالإباء النواظرا
ما أوحته إلى قصيدتك :

ألا إني رغم انتباهي لم أزل بأكثر ما قد قلته أنت حائرا
تحدثت عن ماضٍ حديثا مجمعا كأنك فيه لم تكن لي عاذرا
وما كنت مختاراً كما أنت قائل من العيش مألوا ما كنت شاعرا
ولا اخترت عيشا بين مؤسقا ولا كنت فيما أبتغيه مشاورا
ولكن هي الأقدار تجري بغير ما يريد الفتى جريا على الأمر قاسرا
فتجعل ليث الغاب يتلو فراثا وتترك صقر الجوّ يخشى القنابرا
وكم أقدرت من كان في الناس عاجزا كما أعجزت من كان في الناس قادرا
وما المرء إلا نجبر في حياته وإن ظنّ فيها أنه كان خائرا^(١)
ولدنا وعشنا ثم متنا وكلّ ذا على غير إذن جاء بل جاء دامرا

• • •

أجل كنت من تين الحياتين آخذا بواحدة تأبى التسيم للغايرا
وجاداني قوم بغير دراية ولست أبالي ذا العناد المكابرا

وَأَسْأَلُ فَاثْمُنَ بِالْجَوَابِ تَفَضُّلاً
سُؤَالاً عَنْ اسْتَعْتَابِي الْخِلِّ صَادِرًا
أَأَنْتَ الَّذِي فَضَلْتَ عَيْشًا مَعِينًا
لِنَفْسِكَ حَتَّى كُنْتَ فِيهِ الْمُشَاوِرًا
فَصُرْتَ بِهِ فِي الْقَوْمِ شَاعِرَ مَجْدِهِمْ
إِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا مِنْكَ وَقَعَا
عِلَامَ إِذْنٍ تَشْكُو وَشِكْوَالَهُ كُلِّهَا
كَشَكْوَايَ تُدْمِي بِالْبِكَاءِ الْحَاجِرَا
وَمَنْ ذَا الَّذِي قَدَّعَاشَ فِي النَّاسِ رَاضِيَا
لِمَا كُنْتَ تَلْقَى شَاكِيَا أَوْ مُخَاطِرَا

* * *

لَحَى اللَّهُ دُنْيَا كُلُّنَا مِنْ جَرَائِمِهَا
نَحْوُ الرِّزَايَا رَاكِبِينَ الضَّرَائِرَا
وَنَحْنُ مَدَى الْأَيَّامِ نَشْكُو بَعِيثِنَا
فَسَادَ نِظَامٌ يَجْعَلُ السَّكْدَ بَائِرَا
نَرَى وَاحِدًا يَقْتَادُ أَلْفًا لِعَيْشِهِ
وَيَنْظُرُ لِلْأَلْفِ الْمُسَخَّرِ سَاخِرَا
وَلَوْ وُزِنَتْ أَعْمَالُهُمْ بِاقْتِدَارِهِ
لَكَانَ بِهَا كَيْنُونَةُ الصِّفْرِ شَاغِرَا
فَمَا عَاشَ فِي مَحْيَاهُ عَيْشًا مُرَفَّيَا
مِنْ النَّاسِ إِلَّا مِنْ تَحْيِيلٍ مَا كَرَا
شَقَاءٌ عَلَى كَرِّ الْجَدِيدِينَ آخِذٍ
بِأَعْنَاقِنَا إِلَّا الْقَلِيلُ الْمَاكِرَا

* * *

وَمَا الشَّعْرُ بِالْحَبْلِ الَّذِي قَدْ ذَكَرْتَهُ
لَكِنَّهُ بَرَقَ تَمْوِجَ دَائِرَا
فَمَا الشَّعْرُ إِلَّا مِنْ بَرَقٍ دَوَائِرُ
تَدُورُ أَوَالِيهَا لِتَلْقَى الْأَوَاخِرَا
إِذَا لَمَعَتْ فَوْقَ الطُّرُوسِ فَإِنَّهَا
تَرْدُ إِلَى التَّبَرِّ الْمَذَابِ الْحَاوِرَا
وَقَدْ بَرَأَ اللَّهُ الْعَوَالِمَ كُلَّهَا
دَوَائِرُ فِيهَا حَارٌ مِنْ ظِلٍّ فَآكِرَا
نَرَى كُلَّ شَيْءٍ عَائِدًا نَحْوَ بَدَنِهِ
إِذَا نَحْنُ حَكَمْنَا النَّهْيَ وَالْبَصَائِرَا

* * *

إِذْنٌ لَمْ أَكُنْ فِي عَالَمِ الشَّعْرِ مُرَغَّمَا
لَأَوَّلِهِ حَتَّى يُبْلَغَ آخِرَا
نَعَمْ كُنْتُ فِي تِلْكَ الْأَمَادِيحِ شَاتِمَا
زَمَانَا يُوَالِي كُلَّ مَنْ كَانَ جَائِرَا

وكنْتَ بذاك المدح هاجياً وكنْتَ بذاك الشعر للشعر حاقراً
إذا الدر أُمسى كالسَّخاب مُخفراً شددت به للنابحات سواجراً^(١)
وما النار في هذا على وإنما على من أضاعوا مجدهم والمفاخرا

الثناء المخالد

ألا بلنوا عنى رسالة مُنشدٍ أبا الماجدِ النجلِ النجيبِ محمدٍ
رسالةً من لا يُنشد الشعر مادحاً به الناسَ إلا شاكراً غير مُجتدٍ
ألا يا بن عيسى بنِ الهمام محمد وأكرمَ من يُنمى لأكرمِ مُحتدٍ
سأقرض في شكرى ملك الشعر خالداً وأرسله نوراً به الناسُ تهتدى
أقيدَه بالمدح والمدح مطلقاً وأطلق فيه الحمد غير مقيدٍ
أرجع في الإنشاد أنعامَ لحنه بصوت كصوت البلبل المتغردٍ
وأجعلهُ شعراً إذا ما تنوشدت قوافيه يوماً أسكتت كلَّ منشدٍ
عليك به أثنى ثناءً مخلداً ومثلك أهلُ للثناء الخلدِ
وقمتَ من العُلياء في خير موقفٍ وشوهدت بالإحسان في خير مشهدٍ
وجددتَ جُداً غير بالٍ وإنما بمسعاك زادت جِدةً للمتجددِ

* * *

تفقدتني في العيشة الضنك منعماً فيالك في الإنعام من مُتفقٍ
على حين قد أنسى الرجال زمانهم ذويهم ومن يختصهم بالتوددِ
ومدَّ أحابيل القطيعة بينهم وأقعدهم للشرِّ في كل مرصدٍ
وأغلى غلاء في المعيشة فاحشاً يروح به ذو الاحتكار ويفتدى

(١) السواجر : جمع ساجور ، وهو الفلادة التي توضع في عنق الكلب .

الرصاصى يقرض كتاباً للزهاوى

هذا كتاب فيه يتضح الهدى علنا فتسطع للعقول حقائق
يا ظلمة الشبهات والكذب انجلي فلقد بدا للحق (فجر صادق)

الأفول المشرق

أيها الأنجم التى قد رأينا عبرا فى أفولها كالشموس
إن هذا الأفول كان شروفا فى دياجير طالع منحوس
وسياتى الزمان منه بسعد تنجلي منه داحيات النحوس
شنقوم ليلا على غير مثل ثم دسوا جسومكم فى الرموس
أفكانوا فى ظلمة الليل تجرا هربوا المأل من جباة المكوس ؟
هكذا الخائف المريب يوارى فعلة السوء منه بانتفليس
شنقوم لأنكم قد أبيتم أن تكونوا فى ربة الانكليس
فأستحقوا العن الذى كررته خاليات القرون فى ابليس
سيديم الزمان لعنا عليهم شائع الذكر فى بطون الطروس

* * *

أيها الأنجم التى تركتنا فى أسى من مصابها محسوس
فى سبيل الأوطان متم ففترتم بأجل التمجيد والتقدیس
وستبقى الذكري لكم ذات رمز هو تعظيمكم بخفض الرؤوس
وسيجرى احترامكم فى مجارى شرف خالد لكم قد موس
ان يوما به نعيم الينا يوم يؤس كحرب يوم البسوس
قد حكاها طولا وشؤما وبغيا وتلظ بحر نار الجوس

فيه أبدت منا الوجوه كلوحا في شحوب وغيرة وعبوس
إذ سكنا وفي القلوب ارتجاج مثل تيار لجة القاموس
وأطلنا عن الكلام سكوتا معربا عن نشيجنا المهموس
ووجعنا حزنا ورب وجوم يتأتى من صاحبات النفوس
برأت ذمة المروءة منـا ان نسي يوم شفقكم أو تنوسى

وقال هذه الأبيات مترجما

فيك يا أغلوطة الفكر حار فكرى وانقضى عمرى
سافرت فيك العقول فما رجحت إلا أذى السفر
رجعت حسرى وما وقعت لا على عـين ولا أثر

□ □ □

يا واحد الذات كثير السعى ومن تجلى ظاهرا واحتجب
أنت لدى القرس تسمى خدا أنت تسمى الله عند العرب

□ □ □

أول أنت ولكن أول ماله فى سانح الفكر ابتداء
آخر أنت ولكن آخر ماله فى راجح الحجر انتهاء

إلى طه الراوى

بأى سلام أم بأى تحية إليك أزين اليوم بدء خطابى
فإنك أهل للتحيات كلها وما أنا فيما أدعى بمحبابى

إلى البطل عبد الكريم الريفى

أعبد الكريم وأنت البطل وفيك الرجاء وفيك الأمل
لئن قر سيقك فى غمسه فما ذاك من خور أو ملل
ولكم دهرنا قلب وأيامه من قديم دول
تهز البطولة أعطافها إذا ما جعلناك فيها مثل
سيخلد ذكرك فى الفاهضين وثنى عليك الضبي والأسل

بداعة لا خلاعة

مثلت فى دلالها عريانه فأرتنى محاسنا فتانه
حيث طارحتها الغرام بيت بالمرايا قد زوَّقوا جدرانها
فكأنى وقد نظرت لمعراها من النور مبصر اسطوانه
وتجلى خيالها فى المرايا حاكيا من جمالها أعيانه
فتأملت فى تقاطيع جسم جعل الحسن كله عنوانه
ظالت أرنو إلى الجمال بعين يشتميه وتتنى هجرانه
فأريها من الغرام فنونا وترينى من حسننها افتتانه
ثم أسلمت للمليحة قلبا أوجب الحسن بالهوى إيمانه
وتقحمت موهج الحب حتى أصبح القلب صاليا معبئانه

* * *

هناك من وصفها وإن شئت فاعذر أو فلم تملك الغرام عنانه
هى غمازة الاحاظ لعوب ذات دل ظانته لثامه
بضة ، نعمة ، ليس ، رداح ، غادة ، أحرورية ، بهنانه
تاهد النودلين مخطوطة المتنبيين خود رجراجة وركانه

خدلة ساقها مبهمة الخصر كهاب ، براقه ، سيقانه
 ذات وجه كأنه بدر تم وقوام كأنه خوط بانه
 نو رآها كسرى الملوك خللى ملكه تاركاً لها ايوانه
 عقصت شعرها وقد زينته بحلى من تقارس مزدانه
 فحكي شعرها على الرأس تاجاً وحكت فى جلالها خاقانه
 وتدل قرط بالفتية رصمت فيه ماسة بحجانه
 فحكي قرطها بقرب الحيا زهرة الجو قارت زبرقانه
 وأظلت جبينها وهو صبح طرة غيبية ، فينانه
 فكان الجبين باقة نسر يس—ن تدلت من فوقها ريحانه

• • •

وقفت فى عـريانه فتقدمت إليها بذلة واستكانه
 فتمشت تخالفا وتثنت وتلوت كأنها خيزرانه
 ثم صلت فأدبرت عن دلال ثم عادت فأقبلت عن بحانه
 ولقد راعى وزاد فؤادى ولها ما رأيت تحت المانه
 ركبا ، كعبا ، عضوضا ، مصوصا ناشرا ، ذا بضاضة وورزانه
 مشرف السطح رابثا ذا انتصاب حامى الجوف ضنكه ، ريانه
 قد حكي كومة من الأولؤ الـ—رطب وإن كان فائقا آثمانه
 نعمة العيش أترفته وأخلت أسكتيه من الأذى وعجانه
 عطر الريح قد تشممت منه إذ تشممت شذى أقحوانه
 وشربت الرحيق وهو تجاهى جاشم فاتخذته فنجانه
 لو رآه العين يوما لأمسى مبرأ من رخاوة وعفانه

• • •

شغفتنى تلك المليحة حتى علمتنى بكر الهوى وعوانه
 سالت فى انتيادها بعد أن قد أظهرت لى تمنعا وحصانه
 فدعتنى إلى الكفاح بغمز كمرته من عينها الوسنانه
 وغدت فى تجضم واعتلاج بشفاه وردية غيسانه
 واضعا فاه فوق فيها كل قد أمضى الضجيج منه لسانه
 فخذت فى ارتمازها تتلكا بكلام لا تستم بيانه
 ثم قالت وقد ذوت مقلتها وشكت من فؤادها خفقانه
 أطمعن الطامعين للضاد من بالضاد قد أنطقى الآله لسانه

فى دار النقيب

أما وقد طالع الرجاء يشع أنوار السرور
 فى دار مولانا النقيب بوجه مولانا الأمير
 فاذهب شأنك أيها اليأس الحميم فى الصدور

ماذا يريد المرجفون بكل بهتان وزور
 من بعد ما بدت المنى للقوم باسمه الشغور
 فى دار مولانا النقيب بوجه مولانا الأمير

ماذا يخاف القوم من ميل الزعانف للنفور
 بعد اقتران النيرين الساطعين بكل نور
 فى وجه مولانا النقيب ووجه مولانا الأمير

مد النقيب إلى الأمير يد المعاضد والنصير
فلينخر كل مشاعب في القوم يلهج بالشرور
وليحى مولانا النقيب حياة مولانا الأمير

الحق المغتصب

مما كتبه إلى العلامة عبد الوهاب النائب بعد عودته النيابة
بمحكمة الشرعية .

قد أخذ الحق من انغاصب وعاد ممنوحاً إلى النائب
عالم بغداد وإنسانها والمنهل العذب إلى الشارب
تختلف الناس إلى فضله من ذاهب منهم ومن آيب
في علمه ووعظه تهتدي وتقتدى في رأيه الثاقب
والبشر قد لاحت أساريه بمجبة المطلوب والطالب
زدار شرع الله مزدانة في جانب تزهو إلى جانب
بعد ظلام دامس أرخوا أشرق شرع الله بالنائب

١٣٢٥ هـ

تحت تصوير النائب

مذ غاب عنا في المنية شخصه فانظر إلى تصويره من غائب
تلقى المعاني المعربات عن العلي في صورة لأبي الحسين النائب

إلى عبد الكريم العلاف

وحب ذي أدب أتى مستنداً شعراً أنوّه فيه بالعلاف
فأجبتّه عبد الكريم مخلق من شعره بقوادم وخوافي
فلكم سمعت له قوافي جمّة كانت لعمر الله خير قوافي



لارصافي عدة قصائد قالها في وصف ما شاهد في الآستانة من الحريق الذي يكثر وقوعه في تلك المدينة ، فرأينا أن نثبت تلك القصائد هنا على حدة تحت عنوان الحريقيات . فمنها القصيدة الآتية :

وقفه عند شراغان^(١)

أصبحتُ أعْذِلُ نَوَابًا وَأَعْيَانًا	عَدْلًا كَنَارٍ تَلْظَتُ فِي « شَرَاغَانَا »
قَصْرٌ أَطْلَّ عَلَى الْبُسْفُورِ مَرْتَعًا	إِلَيْهِ يَشْخَصُ طَرْفُ الْعَقْلِ حَيْرَانًا
ذَوْرُ خُرْفٍ يُبْهِجُ الْعَيْنَ الَّتِي نَظَرَتْ	حَتَّى تَرَاهُ لَهَا نُورًا وَإِنْسَانًا
رَاقَتْ مَبَانِيهِ إِتْقَانًا وَهَنْدَسَةً	مُسْتَوْفًا صَنْعُهَا مِنْ مَرٍّ عَجَلَانًا
كُلُّ الْقُصُورِ عَبِيدٌ وَهُوَ سَيِّدُهَا	إِذَا كَانَ أَكْرَمُهَا صَنْعًا وَبَنِيَانًا
يَمْشَى الْمُهَنْدِسُ فِيهِ وَهُوَ يَنْظُرُهُ	مَشَى الْمُقَيِّدُ يَسْتَقْصِيهِ إِمْعَانًا
يُضْمُّ كَفِيهِ لِلْإِبْطِينَ مِنْبَهْرًا	مَقْلَبًا فِي الْأَعَالَى مِنْهُ أَجْفَانًا ^(٢)
عَرْشٌ بِهِ تَعْرِفُ النَّاسُ الْجَلَالََةَ إِذَا	لَاحَ الْجَمَالُ عَلَى مَبْنَاهِ أَلْوَانًا
لَوْ كَانَ عَرْشًا لِبَلْقَيْسٍ لَمَا خَضَعَتْ	لِلْأَمْرِ حِينَ أَتَاهَا مِنْ سُلَيْمَانًا
فِيهِ الْحَوَادِثُ أُمْسَتْ وَهِيَ نَاطِقَةٌ	بِالْلسَنِ دَلَعَتْهَا فِيهِ نِيرَانًا ^(٣)
فَلَوْ رَأَيْتَ وَقَدْ شَبَّ الْحَرِيقُ بِهِ	وَالرَّيْحُ تَصْفِقُ لِلنَّيْرَانِ أُرْدَانًا ^(٤)

(١) « شراغان » : قصر ملوكي على ضفة البسفور في الآستانة ، بناه السلطان عبد العزيز ، وهو أعظم القصور نفامة في الآستانة ، وأدقها صنعة وأبهجها منظرا . ويقال إنه صرف على بنائه ملايين . ولما أعلن الدستور العثماني اتخذ مجلسا للنواب ، وكان ذلك يسمى من أحمد رضا بك رئيس مجلس النواب ، فشب به الحريق ، وكان الرصافي في الآستانة ، فقال هذه القصيدة .

(٢) ضم اليدين إلى الإبطين : من علائم الحيرة والتعجب عند الإفرنج ، كما هو المشاهدين منهم . والمعنى أن المهندس عند ما يمشي في هذا القصر يأخذه الدهشة من بدائع الصنعة فيه ، فيضم كفيه إلى إبطيه ، متعجبا مقلبا أجفانه في أعالي بنيانه .

(٣) أى أن الحوادث قد نطقت في هذا باللسن النيران ؛ ولسان النار : هو لهبها الذي يمتد على شكل اللسان . وقوله دلعته : أى أخرجتها . يقال دلع الرجل لسانه : أخرجته من فيه .

(٤) الأردن : جمع ردن ، وهو أصل السكم ، أو طرفه الواسع .

رأيت ملكا كبيرا ثم محترقا يذيب منه لهيب النار عقيانا^(١)
طلات به اللسن للنار تلحسه لحسا يدك قوى البنيان إيهانا^(٢)

* * *

يادرة في ضفاف البحر ضيعها قوم وكان بها البسفور مزدانا
كم قد أضاعت بوجه البحر مشرقة ورصعت من رءوس الهضب تيجانا
يأيها القصر مذ أمسيت محترقا أبكيت في البحر أسماكا وحيثانا
لم يبق منك لهيب النار باقية ولا لدى القوم أبقى عنك ملوانا
معاول من شواطئ النار هادمة ياللعجائب كالأطواد جدراننا^(٣)
قنا أمامك والنيران صائلة تدك منك على الأركان أركاننا
كم هدة لك بين النار تفزعنا حتى نخالك منها صرت بركاننا^(٤)
يهتز فيك لهيب حين نبصره نهتز بالحزن أرواحا وأبدانا
فأنت تملأ صدر الجو أدخنة ونحن نملأ صدر الأرض أحزانا
ما أشرف القوم لو كانت مدامعهم مطافنا لك تجرى الدمع غدرا
ويل لمرئس قد قام مجتهدا يسعى بجعلك للنواب ديوانا
حتى إذا كنت للنواب مجتمعا بانفت عواقب ذاك السعى خسرانا
للنار فيك حسيس كنت أحسبه ضحكا على من بسوء الرأي أبكانا^(٥)
أشكو إلى الله قلبا لا يطاوعني ألا أكون على الأوطان غيرانا
يا قوم إن بصدر الشعر موجدة لا يستطيع لها سترنا وكتانا
ما بال نوابنا أمسوا نوابنا إذ لا يبالون مكروها تغشانا

(١) العقيان : الذهب الخالص .

(٢) اللحنس : لحن الشيء . باللسان ، ولحسا : مفعول مطلق ، والجملة بعده : صفة له . وإيهانا : أي إضعافا ، تمييز محمول عن الفاعل ، والأصل يدك إيهانه قوى البنيان ، أو هو منصوب بنزع الخافض . أو إيهان .

(٣) الشواطئ : الهب الذي لا دخان فيه ، أو حر النار .

(٤) الهدة صوت وقع جدار أو صخرة أو نحو ذلك . والبركان : جبل النار . وهو من معربات المولدين .

(٥) المراد بالحسيس هنا صوت اشتعال النار وتلهمها .

أما كفى أنهم لم يعملوا عملاً
هم يطلبون قصوراً يتعمون بها
ليس الجلوس بيهو القصر مفخرة
قد ضيعوا الحزم حتى إنهم ندموا
يعيش ذو الحزم مسروراً ومغتبطاً
وأحزم الناس من إن نام بات له
أين الطريق إلى العلياء نسلكتها
لا الشعب يخلع أثواب الخمول ولا
الناس تسعى لدنيا نحن نهملها
حتى أرادوا اجتماعاً في شراغنا
ونحن نطالب للأوطان عمرانا
لمن هم اليوم أشقى الناس أوطاننا
على الذي كان منهم بعد ما كانا
وتارك الحزم لا ينفك تدمانا
طرفاً على حدثان الدهر يقظانا
فإننا لم نزل يا قوم عميانا
نوابه يلبسون الصدق قمصانا
ما أسعد الناس في الدنيا. وأشقانا

أم الطفل في مشهد الحريق^(١)

ما للديار تراءى وهي أطلال
كانت بها السمرات الخضر زاهية
ما بالها وهي أقفاص مبعثرة
هل هدد بنيانها من فوق صاعقة
بل قد عفتها ولم تترك بها أثرا
شب الحريق بها ليلاً مشيدة
أثارت النار في أطرافها رهجاً
حتى حكمت معركاً خرت بساحتها
هل خف بالقوم عنها اليوم ترحال
واليوم لا سمر فيها ولا ضال^(٢)
تغير فيهن أبكار وأصال^(٣)
أو هدد بنيانها من تحت زلزال
ريح لها من لهيب النار أذبال^(٤)
فما أتى الصبح إلا وهي أطلال
من الدخان كأن النار أبطل^(٥)
صرعى بيوت وأموال وآمال

(١) هذه القصيدة قبلت في حريق شب في حارة الفاتح من مدينة إستانبول . وهو حريق هائل اجتاحت عدة حارات . فتركها قاعاً مضمماً .

(٢) السمرات : جم سمره بفتح فضم : واحدة السمر ، وهو شجر من الغضاه . والضال : شجر من السدر ، والمراد به هنا مطلق الشجر .

(٣) مبعثرة : أى مبددة ومقلوبا بعضها على بعض .

(٤) عفتها : درستها وعمتها . (٥) الرهج : غبار الحرب .

دار السعادة أمست من تحرُّقها دار الشقاء وقد ضاقت بها الحال
ترنو إلى البحر ترجو نفع غلتها لحظاً المهجر إذ يبدو له الآل^(١)
تنهال كالرمل بالنيران أدورها حتى تكاد لها الأرواح تنهال
ياريح مهلاً فلا تدرى الرماد بها إن الرماد الذى تدرين أموال

* * *

قد رحت للحى مذعورا أيممه ولى عن الزمر الباكين تسأل^(٢)
وفى العراض ديار القوم خاوية وفى الشوارع نسوان وأطفال^(٣)
جلسن والشمس فوق الرأس دانية وللغبار بعرض الحى تجوال
ولا يخار فيرددن الغبار به ولا يقيهن حرّ الشمس سربال
حتى وقفت وقلبي كله جزع وأدمعى لجج طورا وأوشال^(٤)

* * *

ما أنس لا أنس أم الطفل قائلة وفوق وجنتها للدمع تهطل
إني تجردت من دنياى حاسرة مالى سوى طفلى الباكي بها مال
أى امرئ بعد هذا اليوم ذى جدة يعولنى حيث لا زوج ولا آل^(٥)
أودى الحريق بدار كنت أسكنها وكنت من بعضها للقوت أكتال^(٦)
واليوم أصبحت لا دار ولا وزر آوى إليه ولا عم ولا خال
إن الحريق خبت نيرانه ومضت وما خبت فى فؤادى منه أوجال^(٧)

(١) المهجر : الذى يسير فى الهجرة . وهى نصف النهار فى القيظ خاصة ، وتكون شديدة الحر . والآل : السراب .

(٢) أيممه : أقصده .

(٣) العراض : جمع عرصة وهى ساحة الدار ، أو كل بقعة ليس فيها بناء .

(٤) الأوشال : جمع وشل ، وهو الماء القليل .

(٥) ذى جدة : ذى غنى : ويعولنى : يكفل معيشتى . والآل : هنا بمعنى الأهل .

(٦) أى ذهب الحريق بدار كنت أسكن فى بعضها ، وأكرى الناس بعضها الآخر ، فأنا تال بكرائها قوتى .

(٧) الأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف .

يَا رَبِّ رُحْمَاكَ إِنِّي الْيَوْمَ عَاجِزَةٌ
يَا رَبِّ قَدْ ضَقْتُ ذَرْعًا بِالْحَيَاةِ فَمَا
عَمَّا دَهَا وَبَظَهْرِي مِنْهُ أَثْقَالُ
أَدْرِي حَنَانِيكَ رَبِّي كَيْفَ أَحْتَالُ

وعند ما قد شجاني من مقاتلتها
دنوتُ منها قليلاً وهي باكية
حتى وقفت وإيناساً لوحشتها
وقلت يا أختُ لا تستينسي جزعاً
أتجزعين ابتئاساً بين أظهرنا
مالي أراك بعين اليأس باكية
ألست من أمة أيدي الرجال بها
حتى لقد أصبحوا أبناء واحدة
مستعصمين بحبل من أخوتهم
أمسى التعاضد كالحصن الحصين لهم
فاستبشرى اليوم فيما مس من ظمإٍ
وأن حقاك عول في مساكنهم
لفظ يقطع في البين إغوال
ومن بكأها بقلبي هاج بلبال
حنيت رأسي وحنى الراس إجلال
فإنما الدهر إدار وإقبال
وكلنا عنك للبأساء حمال
كان أمرك عند القوم إهان
قد فكّ عنهنّ بالدستور أغلال^(١)
في المرزئات وهم في الحكم أشكال^(٢)
يسمو بهم للعلا فضل وإفضال
إذا تصادم بالأهوال أهوال
بأن وردك عند القوم سئسأل
وما هم بأداء الحق بحال

تلك التي قد شجنتني في مقاتلتها
فهل يصدق قومي ما ظننت بهم
فالجحد يدرك مرماه البعيد فتى
وأكثر المال حمداً ما يُعان به
يا قوم هذي سبيل العرف واضحة
ومن تك الحال فيها لا تساعده
وكم لها في نساء الحى أمثال
حتى تقوم لهم في الجحد أفعال
رحب الذراعين طلق الكف مفضال
من عضهم من نيوب الدهر إقلال
فليمض فيها بكم وخذ وإرقال^(٣)
«فليسعد النطق إن لم تسعد الحال»

(١) لا وقع هذا الحريق كانت الملكة العثمانية قريبة عهد بالدستور، ولهذا يقول ألفت من أمة الخ

(٢) وهم في الحكم أشكال : أى متشاكلون متساوون .

(٣) الوخذ والإرقال : كل منهما ضرب من ضروب مشى الإبل .

ثالثة الاثاني (١)

فالها في الحريق الكبير الذي حدث في حارة إسحاق باشا من مدينة
إسطنبول ، وكان هذا الحريق ثالث حريق كبير حدث هناك في العهد الأخير .

قَعَدَتْ بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ تَنُوحُ^(١) وَالطِّفْلُ يَجْذِبُ رُدْنَهَا وَيَصِيحُ^(٢)
تَبْكِي وَقَدْ ضَحَكَ الْحَرِيقُ بِدَارِهَا كَالْبَرْقِ يَضْحَكُ فِي الدَّحَى وَيُلُوحُ^(٣)
ضَحِيْتُ وَقَدْ قَلَصَ الظَّلَالُ فُوجِهَا لِلشَّمْسِ فِي وَجَنَاتِهِ تَلُوحُ^(٤)
جَرَّ الْحَرِيقُ عَلَى الدِّيَارِ ذِيُولَهُ لِحَرْقَى لَذَلِكَ دَمْعُهَا الْمَسْفُوحُ^(٥)
وَلَقَدْ وَقَفْتُ حِيَالَهَا وَمَدَامَعِي نَسَخُو سَوَى أَنْ الْعَرَاءَ شَحِيحُ^(٦)
فَقَدْ يَنْقَنِي الْأَسَى مِنْ عَيْنِهَا لِحَظٍّ بَرْقَاقِ الدَّمْعِ سَبُوحُ^(٧)
يَا أَيْمًا أَجْرَى الْعُدَاةَ دَمُوعَهَا بَيْتٌ بِجَانِحَةِ الْحَرِيقِ مَجُوحُ^(٨)
لَا تَهْلِكِي جَزَعًا فَإِنْ بِيوتِنَا مَا لِلْمَلِمِّ بِأَهْلِهَا تَسْرِجُ^(٩)
أَعْلَيْكَ أَنْتِ تَضِيقُ كُلَّ دِيَارِنَا هَذِي وَأَكْثَرُهَا دِيَارٌ فَيَحُ^(١٠)
فَاقَنِي عَزَاءُكَ فَالْحَيَاةُ وَإِنْ أَرْتِ بَعْضَ السَّرُورِ فَكُلْهَا تَتَرَجُ^(١١)
قَفْتُ بِالْديَارِ فَقَدْ أَنَاخَ بِهَا الْبَلَى وَانْظُرْ فَقَدْ قَرِعَتْ بِهِنَّ السُّوحُ^(١٢)
نَزَلَ الْحَرِيقُ بِهَا فَشَنَّتْ شَمْلَهَا قَعَدْتُ عِرَاصًا وَهِيَ قَبْلُ صُرُوحُ^(١٣)
بَكَرَ الشَّوَاظُ بِهَا يَنْضُنُّضُ أَلْسُنَا مِنْ هَوَلٍ مَطْلَعِهَا تَذُوبُ الرُّوحُ^(١٤)
نَشَرَ اللَّييبُ عَلَى الْبُيُوتِ مُلَاءَةً حَرَاءَ تَصْفِقُ جَانِبَيْهَا الرِّيحُ

- (١) هذه القصيدة قيلت في حريق محلة « إسحاق باشا » في الأستانة ، وهو حريق كبير كالذي قبله .
(٢) قارعة الطريق : أعلاه أو معظمه ، وهو موضع قرع المارة .
(٣) ضحيت : أي أصابتها الشمس ، أو انكشفت بعد أن كانت في ستر . وقلس الظلال : أي
أقبضت ، وذلك يكون في وقت الظهيرة . وفي وجعها تلوح : أي تغير وسفع .
(٤) رقرق الدمع : هو الدمع الذي يترقق أي يتحرك في العين ولا يسيل .
(٥) الأيم : المرأة التي فقدت زوجها . وجانحة : النازلة العظيمة التي تحتاج للمال ، أي تستأصله ،
ومجوح : أي مستأصل ، وهو صفة لبنت . والمراد أنها أيكها اجنياح الحريق بينها .
(٦) فيح : جمع فيحاء أي واسعة . (٧) فني : حفظ : وادخر . والتترج : الإحزان .
(٨) السوح : جمع الساحة . وقرعت السوح : أي خلت من العاشية .
(٩) بكر الشواظ : أي أتى بكرة . والشواظ : لهب النار الذي لا دخان فيه . وينضض ألسنا .
يحركها . والمراد بألسن الشواظ : ما يمتد على شكل اللسان .

فَتَعَبَسَتْ مِنْهُ السَّمَاءُ وَأَمْطَرَتْ نَارًا وَقَدْ أَخَذَ اللَّهُيبُ يَسِيحَ
وَعَلَى الدِّخَانِ عَلَى الْبُيُوتِ سَحَابًا بَرَقَ الْمِهَالِكُ بَيْنَهُنَّ لُؤُوحٌ
أَمَّا الشَّرَارُ فَكَانَ وَيلاً مُنْبِتًا نُوبًا بِرَأْحَةِ الدِّمَارِ تَفُوحُ
وَالشَّمْسُ قَدْ كُسِفَتْ بِجَوْنِ دِخَانِهِ وَبَدَتْ عَلَيْهَا سَفْعَةٌ (١) وَكُلُوحٌ (١)

• • •

يَا قَوْمُ سَاءَ مَصِيرُكُمْ فَإِلَى مَتَى لَا تَسْمَعُونَ لِمَا يَقُولُ نَصِيحُ
هَلَّا أَخَذْتُمْ لِلْخُطُوبِ عَتَادَهَا كَيْلَا يَكُونَ لَهَا بِكُمْ تَبَرِّجُ (٢)
هَذَا الْخَرِيقُ وَكُلُّ يَوْمٍ نَارُهُ تَعْدُو عَلَيْكُمْ تَارَةً وَتُرُوحُ
فَالنَّارُ مَا بَرَحَتْ تَفْوَهُ بِاللِّسَنِ ذُرْبُ وَإِنْ كَلَامُهَا لَفَصِيحُ (٣)
لِمَ لَمْ تَعُوا مَا قَلَنْ قَبْلُ مَكْرَرًا أَوْ مَا كَفَاكُمْ ذَلِكَ التَّصْرِيحُ
نَعْتَمُ إِلَى نُوبِ الزَّمَانِ فَإِنْ أَنْتَ قَتَمَ كَمَا يَتَمَلَّلُ الْمَذْبُوحُ
وَأَهَمُّكُمْ أَدْنَى الْأُمُورِ وَفَاتَكُمْ نَظَرَ إِلَى الْأَمْرِ الْقَصِيِّ طَمُوحُ
كَمْ فِي الْحَوَادِثِ مِنْ نَذِيرٍ قَدْ أَتَى فَيْكُمْ بِأَسْرَارِ الزَّمَانِ يَبْرُوحُ
أَمَّا الْخَرِيقَانِ اللَّذَانِ تَقَدَّمَا فَكَلَاهُمَا شِقٌّ لَكُمْ وَسَطِيحُ (٤)
قَدْ أَنْذَرَاكُمْ بِالْخَرَابِ وَأَنْبَأَا أَنَّ التَّرَاخِيَّ فِي الْأُمُورِ قَبِيحُ
عَجَبِي إِلَى تِلْكَ الْمَصَائِبِ كَيْفَ قَدْ نُسِيتَ وَلَمْ تَبْرَأْ لَهْنُ جُرُوحِ
سَرَّعَانِ مَا تَنْسَوْنَ عُظْمَ مُصَابِكُمْ وَلَوْ أَنَّ شَقَّةَ مَنَهَاهُ طَرُوحُ (٥)
لَا تَسْتَنِيمُوا لِلزَّمَانِ فَأَخَذَهُ خَلَسَ وَقُوسُ الْحَادِثَاتِ ضَرُوحُ (٦)

(١) بجون دخانه : أى بدخانه الأسود . وقوله سفعة : أى لون أسود مشرب بحمرة .
وكلوح : أى عبوس واكفهرار .

(٢) عتادها أى عدتها . وتبرج : أى جهد وأذى شديد .

(٣) بالسن ذرب ، بضم فسكون : يقال لسان ذرب ، على وزن طرب : أى حديد .

(٤) شق بدون أل : علم لكاهن من كهان العرب ، كان فى أيام سطيح ، وسطيح : لقب لكاهن اليمن المشهور ، واسمه ربيع الدثني .

(٥) شقته منتهاه : أى مسافة منتهاه . وطروح : بعيدة .

(٦) قوس ضروح : أى شديدة الدفع والحفز للسهم .

ديوان الرضائي

المجلد الثاني

أتم شرحه و صححه

مصطفى السقا

الأستاذ المساعد بكلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول

الطبعة الرابعة

بها قصائد لم تنشر من قبل

١٣٧٣ = ١٩٥٣

مكتبة الطبع والنشر
دار الفكر العربي



القبرة فما هي إلا خبوة ترقى بها.....

واصديقاه

فالها وهو في الآستانة ، عندما ما بلغه منى
صديقه الشيخ محيى الدين الحياط في بيروت .

تفكرت في كنه الحياة فلم أكن
وكم بت فيمها أخبط الليل راميا
فلا أهتدى من أمرها لمقدم
على أننى مهما تقدمت نحوها
وهبها كما قد قيل أحلام نائم
تأملت آثار الحياة فلم يلح
سوى أننى آنست شعلة قابس
فبيننا سناها يهبج العين لامعا
فما هى إلا خبوة ترمى بها
كذلك محيى الدين إذ غاله الردى
عليك العفا بيروت هل لك بعدها
ففى كان ركنا فيك للعلم والحجاء
فقدنا به صلت الجبين مهبذا
لقد عاش شيخا فى العلوم مقدما
وما مات من أبى طيب الثنا
نعا لى الناعى فكان كأنه
لأزداد إلا حيرة فى تفكرى
إليها بلحظ الطارق المنور^(١)
ولا أنتهى من أمرها لمؤخر
رجعت رجوع الناكص للتهقر
أما فى بنى الدنيا لها من مبر
لعينى منها وجه ذاك المؤثر^(٢)
توقد فى مستن هو جاء صرصر^(٣)
أنته كقطع الليل هبوة معصر^(٤)
إلى ظلمات صبحها غير مسفر
فأطفأ منه نيرا أى نذر
قضى فيك محيى الدين من متصبر
وغر القوافى والكلام المحبر
كريم سجايا النفس عف المؤزر
فما ضره أن مات غير معمر
لدى الناس من باد ومن متحضر
لدى نعيه أهوى إلى بخنجر

(١) خبط الليل : سار فيه على غير هدى . والطارق : الآتى ليلا . والمنور : الذى يمد بصره
لعله يرى نورا بالليل .

(٢) القابس : طالب النار . والمستن : الطريق الواضح . والهوجاء : الريح العاصفة التى لا تستوى
فى هبوطها . والصرصر : الشديد البرد . أو الشديد المبوب .

(٣) الهبوة : الغبار تثيره فى الجو الريح الشديدة . والمعصر : الريح ذات الأعاصير .

ولو لم يكن شدى الحيازيم دونه خربت كما خرَّ الصريع لِمَنخَرِ (١)
 خليلي عوجا بنى على قبرٍ ماجدٍ بيروت يحوى كل فضل ومفخر
 قفا نحتقر دمعَ العيون تجملةً لمن فيه من ذاك الجليل الموقر
 ونندب في ملحوده المجد والعلی ونسقيه غيثَ الدمع من كل محجر (٢)
 عسانا بذا نقضى له بعض حقه وإن حلَّ أن يُقضى بدمع محقر

في الملكوت الأعلى

فالها وهو في الآستانة يرثي بها محمود شوكت باشا
 الصدر الأعظم ، الذي قتله أناس من حزب المخالفين .
 لقد بت مطروف النواظر بالشهد تقبلي فوق الفراش يدُ الوجد
 تساورني رقصاء من لاجع الجوى ويقدح في قلبي الأسى وارى الزند
 فأرقب تغويرَ النجوم بمقلة ترقرق فيها الدمع منفطر العقد
 أقول وفرع الليل أسحُم والأسى يدب ديب السّم في العظم والجلد (٣)
 متى يسفرُ الصبح الذى أنا راقب أليس قميص الليل عنه بمنقذ
 إلى أن رأيت الفجر قد لاح خيطه كما أصلت السيفُ الجرازُ من الغمد (٤)
 فما أنا إلا غفوة خيالة لدى العالم العلوى فى ربوة الخلد

رأيت كأنى قت حول سراقٍ من النور مرفوع الدعائم ممتدّ
 أقاموا لواء الحمد فوق عماده وخطوا على حافاته سورة الرعد
 وقد أشرقت ملء السموات حوله قناديلُ خضر تستنير بلا وقد
 وقد لاح لى محمود شوكت جالسا به فوق كرسى الجلالة والمجد

(١) الحيازيم : جمع حيزوم ، وهو وسط الصدر . والمنخر : الأنف .

(٢) اللحد : المدفون ، أى الميت وحجر العين : العظم النائر بها .

(٣) الفرع : الشعر . والأسحُم : الأسود . وصف الليل بالسواد ، فأتى له بالشعر لسواده

(٤) الجراز السيف القطاع .

وفى يده سيفٌ أجيدٌ صقاله
وفى الرأس تاجٌ بالثناء مرصع
وقد جمَلته برودةٌ سندسية
وبين يديه زُمرَةٌ من ملائِك
تُهَنِّئُه بالفوز طوراً وتارةً
وقد قام من حول السراشق موكب
على أنه من صنعة الله لا الهند
فُويَّقُ جبينٍ مشرق بسنا الحد
ومن تحتها درع إلهية السرد
مجنحة الأيدي غرائقة مُرد^(١)
تحميهِ بالغصَّ الطرى من الورد
عظيم به اصطفت ألوف من الجند

* * *

فلما رآنى واقفاً بحيالهِ
أشار أن أقرب يارُصافي مالنا
فجئت وجسمي قد تغشته رجفة
فقمّت لديه وانحنيت أمامه
فقال لقد آنست إذ جئت إننا
ولا ترتجف هوّن عليك فإتما
فأبلغ تحيَّاتي إلى الوطن الذى
وقل لبنيه إننى لست حاقداً
وإني لمّا أن تمثلت قائماً
طلبت لهم عفواً من الله سابغاً
ويا ربّ إني قد قصدت نجاحهم
وإني لأرجو منك مرّجة لهم
فإني أرى موتى بخدمة أمتي
ألا فاهدم ياربّ للمجد والعلی

وقد كنت بين الجند معتزلاً وحدى
نراك وحيداً قد وقفت على بُعد
كما يرجف المقرور من شدة البرد
فقبّلت بالنعظيم حاشية البرد
عهدناك في زورانا مخلص الود
نزات قرين الأمن في منزل السعد
سعتُ إلى إعلائه باذلاً جهدى
عليهم فثلى لا يميل إلى الحقد
بديوان ذى العرش الذى جلّ عن نِدّ
وقلت له ياربّ لا تُخزهم بعدى
فحقّق لهم ياربّ ما كان من قصدى
وإن قتلوني ظالمين على عمْد
حياةً به طعم الشهادة كالشهد
فما من مُضلّ في الأنام لمن تهدى

(١) الغرائقه : ج غريق ، وهو الشاب الأبيض الجميل .

وقال أتدرى من هُمُ الجند إنهم
 من استشهدوا في حرب أعدائنا اللدِّ
 ألم ترهم دامين حتى كأنما تسربل كلُّ لبدة الأسد الورْد^(١)
 فسوف يحول الله أرأب صدعهم
 وأغزو العدا فيهم على الضمر الجرد^(٢)

* * *

وأذن في الخي المؤذن غُدوةً فأيقظني التكبير من سِنَّة الرِّقْد
 فقامت وبى من خشية الله رعدة
 وأحسست من رؤياى برِّداً على كبدى
 وأصبحت لم أملك بوادرَ عبْرَة تخطَّ سطور الدمع في صفحة الخد
 سابكى وأستبكي الجيوش على فتى
 فقدناه فقد الغيث في الزمن الصلْد^(٣)
 فتى كان في أفق الوزارة كوكبا
 به في دجى الخطب الخلافة تستهدى
 وقد كان في وجه الخطوب تبسُّما
 إذا عبست يوماً بأوجهها الرُّبْد^(٤)
 وما مات محمودُ الخصال وإنما
 تنقل من هذا الفناء إلى الخلد
 لن غُيبت عنا مَرائيه في الثرى
 فما غُيبت عنا معاليه في اللحد
 وما هو إلاَّ السيف قد كان مُصلَتا

على الدهر وهو اليوم قد قرَّ في الغمْد
 سبقت له الذكر الجميل مؤبداً تمرُّ به الأيام حالية الأيدى

(١) الورْد : الأحمر من الأسود ، وهو شجاع جرى .

(٢) رأب انصدع : أصلحه . والضمير : الخيل اللطيفة الجسم ، المحضية البطن . والجرد : القليلة الشعر

(٣) الصلْد : الصلب الأملس ، أو الأرض التي لا تنبت شيئا . ويعنى به الزمن الشديد .

(٤) الربْد : جمع أربد ، وهو المغير اللون .

والحمد لله

قيلت في رثاء محمد فوزى باشا العظم وكان موته فجأة .

أَيُّ خَطْبٍ دَهَا رُبُوعَ الشَّامِ يَوْمَ أَمَسْتُ تَبْكِي بِطَرْفِ دَامٍ
وَبَائِيَّ الْأَمَى رَمَتْهَا اللَّيَالِي فَكَتَسْتُ لِلْحِدَادِ ثُوبَ ظِلَامِ
إِنْ تَكُنْ أَفْجَعْتُ بِشَهْمِ بَنِي الْعَظَمِ فَأَعْظَمُ بِخَطْبِهَا الْمَتْرَامِ
ذَلِكَ الْمَاجِذُ الَّذِي أَدْرَكَ الْجُودَ بِأَيْدٍ إِلَى الْعِلَاءِ سَوَامِ
سَلِّ دِمَشْقًا تَجْبِيكَ عَنْ شَيْمٍ فِيهِ تَعَالَتْ عَنْ أَنْ تُزْنَ بِذَامِ^(١)
قَدْ بَكَتْهُ شَجْوًا بِسَبْعِ عَيُونٍ فِي رَبَاهَا تَجُودُ بِالتَّسْجَامِ
وَرَثَتْهُ بِاللُّسْنِ مِنْ مَحَالِيهِ حَدَادٍ تَقُلُّ حَدَّ الْحَسَامِ
فَقُلْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ خَيْرَ نَذْبٍ ذَائِدٍ عَنْ حِيَاظِهَا وَحُمَامِ^(٢)
وَعَدْتُ تَشْتَكِي إِلَى بَرَدَاهَا مِنْ أَحَرِّ الْأَسَى أَحَرَّ الْأَوَامِ^(٣)
لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ سَاعَةً أَوْ دَى مِنْ كَرِيمٍ غَمَّرَ الرِّدَاءَ نُهَامِ
إِنْ قَلْبِي قَدْ اسْتَطِيرَ بِمَتْعَا هِ اخْتِطَافَا بِمَنْسِرِ الْآلَامِ
فَكَأَنَّ النَّاعِي لَدَى النَّعَى أَهْوَى نَحْوَ قَلْبِي بِمُرْهَفِ صُمُصَامِ
قَدْ فَقَدْنَا مِنْهُ خَلَائِقَ تَحْكِي زَهْرَ الرُّوْضِ غَيْبَ صَوْبِ الْغَمَامِ^(٤)
يَا أَبَا خَالِدٍ وَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارٍ مَعْدَّةٍ لِمَقَامِ
إِنْ تَكُنْ هَالِكًا فَكَمْ لَكَ ذِكْرٌ فِي الْعُلَى خَالِدٌ مَدَى الْأَيَّامِ
خَطَفَتْ عَمْرَكَ الْمُنُونُ اخْتِلَاسًا كَاخْتِلَاسِ الْمَنَى يَدُ الْأَوْهَامِ
فَكَأَنَّ الْمُنُونَ خَافَتْ عَلَى تِلْكَ الْمَعَالَى ذُبُولَهَا بِالسَّقَامِ
فَلِذَا أَحْرَزْتَكَ غَضًّا طَرِيًّا وَكَذَا كَمْ يَكُونُ مَوْتُ الْكَرَامِ
فَسَقَى اللَّهُ تَرَبَةً أَنْتَ فِيهَا ثُوبَ وَطَفَاءٍ مِنْ غَوَادٍ هَوَامِ

(١) تزن بشيء : تتم به ، والدام : الغيب . (٢) النذب : السريع إلى الفضائل .
(٣) بردي : نهر بدمشق . والأوام : العطش . (٤) غيب : بعد ، وإثر . والصوب : المطر .
(٥) الوطفاء : السجاية المسترخية لكثرة ماها . والغوادي : جمع غادية وهي السجاية تنشأ
غدوة . والهواي : جمع هامية ، وهي المطرة .

واشـيخاه !

أزمتَ عنا إلى مولاك ترحالاً لما رأيتَ مُنَاخَ القومِ أوحالاً
رأيتنا في ظلامٍ ليس يعقبه صبح فشمّرت للترحال أذبالاً
كرهتَ طولَ مقامٍ بينَ أظهورنا بحيث تبصرنا للحقّ خُذالاً
ولم ترقِ نفسك الدنيا ونحن بها لسنا نوكد بالأفعال أقوالاً
وكيف تحلو لدى علم إقامته في معشرٍ صحبوا الأيام جبالاً
لذلك كنتَ اعتزتَ القوم منفرداً حتى أقاربك الأدنين والآلا
وما ركنتَ إلى الدنيا وزُخرفها ولا أردتَ بها جاهاً ولا مالاً
لكن سلكتَ طريقَ العلم مجتهداً تهدي به من جميع الناس ضلالاً
(محمود شكري) فقدنا منك خبر هُدًى

للمشكلات بحسن الرأي حالاً
قد كنتَ للعلم في أوطاننا جبلاً إذا تُقسّم فيها كان أجبلاً
ومجرّ علم إذا جاشت غواربه تقاذف الدرّ في لُجّيه مُنهالاً
يا من بشوّال قد شالت نعمته نغصت بالحزن شهر العيد شوالاً^(١)
أعظم برزتك في الأيام من حدّث هزت علىّ به الأيام عسلاً^(٢)
أمت روعته الأبصار شاخصةً أمّا القلوب فقد أجفان إجمالاً
طاشت حصاة العلاء لما نُعيت لها وكل ميزان علم بالأسى شالاً
إذا نُعيك وافي (مصر) منتشراً جثا (أبوالهول) يشكو منه أهوالاً
وإن أتى البيت (بيت الله) رُجّ به

وأوجس (الركن) من منعاك زلزالاً
أما (العراق) فأمسى (الرافدان به)

سّطرين للدمع في خديه قد سالا

(١) شالت نعمته : مات .

(٢) العسال : الريح المهتز لبنا .

بكي الوري منك حَبْرًا لا مثيل له
 بكَوْكَ حتى قد احمرت مدامعهم
 ولو لفظنا لك الأرواح من كَدِّ
 ولا نخصَّص في رزء بتعزية
 فإن رُزءك عمَّ الناس قاطبة
 شكر الأفلامك اللاتي كشفت بها
 كتب في العلم أسفارًا سيدرسها
 أمددتها بمداد ليس يعقبه
 وكنت أنت بطاسي العلوم بها
 يا مطلقا في سماء الفكر أنجحه
 لو أنني بلغت زهر النجوم يدي
 ما غرَّ من بعد ما خلدت من كُتب
 إذا ذكرناك يوما في محافلنا
 إني أخفُّ لدى ذكراك مضطربا
 لأشكرأك (يا شكرى) مدى عُمرى
 فأنت أنت الذى لقنتنى حكما
 أوجرتنى من فنون العلم أدوية
 فصحَّ عقلى وقبلا كنت مُشتَكِّيا
 أنا المقصر عن نعمائك أشكرها
 فاعفر عليك سلامُ الله ما طلعت

أقواله ضربت في العلم أمثالا
 كأنهم نضحوا فيهنَّ جريالا
 لم تقص من حَقِّك المفروض مثقالا
 إلا علوما أضاعت منك مفضالا
 يا أكرم الناس أعماما وأخوالا
 عن أوجه العلم أستارا وأسدالا
 أهل البسيطة أجيالا فأجيالا
 دمع الأنام وإن يبكرك أحوالا
 وكن في سَبْر جرح الجهل أميالا^(١)
 تهدي إلى العلم رُحالا وقُفالا
 نحتها لك بعد الموت تمثالا
 ألا نرى لك بين الناس أنجالا
 قنا لذكراك تعظيما وإجلالا
 وإن حملت من الأحزان أثقالا
 وأبكينك أبكارا وآصالا
 بها اكتسيت من الآداب سربالا
 شفت من الجهل داء كان قُتالا^(٢)
 من علة الجهل أوجاعا وأوجالا
 ولو ملأت عليك الدهر إعوالا
 شمس وما ضاء بدر الليل أولالا

(١) أوجرتنى : سقيتنى .

(٢) الأميال : جمع ميل ، بكسر الميم ، وهو عويد صغير من زجاج يسرى به عمق الجرح .

في موقف الأسمى

لن تركت فنون العلم والأدب أما خشيت عليها من يد العطب
تلك المدارس قد أوحشتها فعدت خلوا من الدرس والطلاب والكتب
ما إن تركت لها في العلم من وطير ولا لمنتابها في الدرس من أرب
إن (الأوسى) محمودا عرته لدن لا قالك (محمود شكري) خفة الطرب
فاهتز لابن أب في قبره وغدا يبدى الحفاوة خيرا بن خير أب
بحرين في العلم عجّاجين قد ثويا فأنصب مضطرب في جنب مضطرب
من فخر أزماننا في العلم أنهما علّامتا هذه الأزمان والحقب
عليك (شكري) غدت شكري مدامنا

تكفيك أدمعها السقيا من السحب

ما كنت فخر (الأوسيين) وحدهم

بل كل من ساد من صيابة العرب^(١)

ولا رزأت النهى والعلم وحدهما بل قد رزأت صميم المجد والحسب
ولم يخص الأسي دارا نعت بها بل عم مبتعدا من بعد مقترب
من العراق ، إلى نجد ، إلى يمن

إلى الحجاز ، إلى مصر ، إلى حلب ،

لقد ترحلت في يوم بنا انقلبت حوادث الدهر فيه شرّ منقلب
حتى تقدم ما في القوم من ذنب فصار رأسا وصار الرأس في الذنب
وبات يحسو الطلا بالكأس من ذهب

من كان يشرب رنق الماء بالعُلب^(٢)

(١) صيابة القوم : لباهم وخيارهم .

(٢) الطلا : الخمر . ورنق الماء : الماء الكدر .

فأذهب نجوتَ رعاكَ اللهُ من زمن من عاش فيه دعا بانويل والحرب
تستثقل الصدقَ فيه أذنُ سامعه وتطرب القوم فيه رنة الكذب

والخير قد ضاع حتى إن طالبه

لم يلقَ منه سوى المسطور في الكتب
أما الرجال فنار الشر موقدةً فيهم وهم بين نفاق ومحتطب
أفعالهم لم تكن جدًّا ولا لعبًا لكن تراوغ بين الجد واللعب
إذا جاست إليهم في مجالسهم تلقى القوارص فيها ذات مصطخب
أرقى الصحف فيما عندهم أدبا ما شدَّ منها بهم عن خُطة الأدب
قد يطربون لشتم المرء صاحبه كأنما الشتم مدعاة إلى الطرب
ويستلذون من قوم سبابهم كما استلذَّ بحكَّ الجلد ذو جرب
لا يغضبون لأمر عمٍّ باطله كأنهم غيرُ مخلوقين من عصب
وليس تندى من النكراء أوجههم كأنما القوم منجورون من خشب
ياراحلًا ترك الآفاق سائلةً يذرْفَن منسكبا في إثر منسكب
أجبت داعيَ موتٍ حمٍّ عن قدرٍ وأى نفس لداعى الموت لم تُجب
والناس أسرى المنايا في حياتهم من فاته السيف منهم مات بالوصب

هذى جيوش الردى في الناس زاحفة

لكنهنَّ بلا نقع ولا لجب

بين الدواء وبين الداء مُعترك
والناس فيه عتاد للحمام فلا
وإن للموت أسبابا يسببها
لا يخلق الله مخلوقا يحول به
ولا يُميت بلا داء ولا سقم
فيه قضي ربنا للداء بالغاب
يتجون من عطاب إلا إلى عطاب^(١)
من سدَّ كلَّ طريق عنه للهرب
دم الحياة بلا أم له وأب
ولا يعيش بلا كد ولا تعب

(١) الحمام : الموت . والعطاب : الهلاك .

وليس ذلك من عجز بخالقنا عن أن يزج بنا في قبضة الشَّجَب (١)
لكنه جعل الدنيا مسببة لكل أمرٍ بها لا بد من سبب

* * *

يا من إذا ما ذكرناه تقوم له على الأخامص أو نجثو على الركب (٢)
لقد تركت يتيم العلم منتحبا والكتب راثية منه لمنتحب
إن كنت في هذه الدنيا لمتقطعا إليه عن كل موروث ومكتسب
أعرضت عنها مُشيجا غير ملتفت إلى المناصب فيها أو إلى الرتب
أولعت بالعلم تنميته وتجمعه منذ الشباب وما أولعت بالنشب (٣)
فعمشت دهرًا حليف العلم تنصره حتى قضيت فقيد العلم والأدب

ذكرى الرجال من حياة الأعمم

أراد شبان فلسطين أو يقيموا حفلة تأبين لروحى بك الخالدى ، وكان
الرصافى إذ ذاك فى القدس ، فطلب إليه أحد أصدقائه ، وهو عادل أفندى
جبر ، أن ينشدهم فى الحفلة المذكورة ما يناسب المقام ، فقال هذه القصيدة :

لعمرك لو كانت حديدا جسومنا لأبلته من كثر الليالى مبارد
فكيف ولسنا بالحديد وإنما جوارحنا هذى الدماء الجواسد (٤)
إذا ما افئسنا بالحياة وأصلها وغايتها هانت علينا الشدائد
وماذا عسى يُجدى التوجع والأسى من الموت إذ كلُّنا على انوث وارد
نعين متايانا علينا بحزننا فيقرب من آجالنا المتباعد
وليس برزء أن نرى المرء هالكا إذا حييت بالذكر منه المحامد
بل الرزء كل الرزء أن يذهب الفتى وليس له من بعده الدهر حامد

(١) الشَّجَب : الهلاك .

(٢) الأخامص : جمع أخمص ، وهو ما لا يصيب الأرض من باطن القدم .

(٣) النشب : العقار ، أو المال الأصيل .

(٤) الجواسد : الدماء اليابسة .

ويُدفن في التُّرب اسمه دَفَنَ جَسْمِهِ
ومن تقن بعد الموت آتَارُ مجده
فَتَى أَغْدَت منه المنون مَهْنَدًا
يُعَدُّ بِألف من رجال زمانه
لقد بقيت للخالدين بعده
وكم حَبَّرت أَقلامه من صحائف
نماه إلى المجد الصُّراح مُتَمِّمًا

* * *

دعانا ابن جَبْرِ أَنْ نُلَمَّ بِذِكْرِهِ
فَقَمْنَا لَذِكْرِي مجده بعد موته
ونستشهد الدنيا على حسناته
وإني وإن لم أحظ منه برؤية
ألا يا ابن جبر أنت أيقظت للعلي
فقلت اذْكُرُوا يا قومَ فضلَ

في ذكر فضل الغابرين فوائد

وسيروا على آثارهم واهتفوا بها
ففي الغرب أموات أُقيمت لذكْرهم
أَعَادِلُ قد أَنهضت للعلم جُثْمًا
أَقَمْتَ لَذِكْرِي الخالدي مَقَامَةً
وجاهدت في إنهاض حيِّ بِمَيِّتٍ
ذَكَرْتَ مَزَايَاهُ وَذَكَرْتَنَا بِهِ
فسعيك مشكور ورأيك صائب

لينشط كسلان وينهض قاعد
تمائيل في كل البلاد أَوَابِدُ^(٢)
فَأَنْتَ لَنَا في نهضة العلم قَائِدُ
بِهَا حَسُنْتَ للقوم منك المقاصد
فجهدك في إنهاض قومك جَاهِدُ
وهل يذكُر الأجداد إِلَّا الأماجد
وفعلك محمود وسيرك راشد

(١) الفراق: يقصد بها الفرق ، وهو نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به .

(٢) الأوابد : الغرائب التي لا مثيل لها .

ذكرى الشيخ الخالصى

أنشدما في الحفلة التأييفية التي أقامها نادى الإصلاح في بغداد عند منعى الشيخ محمد مهدي الخالصى أحد علماء الجعفرية بعد ما أخرجته الحكومة العراقية إلى إيران .

أَدَهَقَ الدهرُ بالمنية كآسَه من قديمٍ وطافَ يسقى أناسَه ^(١)
 كيف يُرجى طولُ البقاءِ الحىَّ جعلَ اللهَ عمرَه أنفاسَه
 تعستَ هذه الحياةُ وإن كا نتَ لعمري خلافةَ حساسَه
 قصرتَها يدُ الحوادثِ لكن قد أطالتَ بها على الحىَّ باسَه
 غيرَ أنَّ السعيدَ من بان عنها وهو مستثمرٌ بها أغراسَه
 والذي عاش مؤنسا وحشة النا س مُمدًّا بفضله إيناسَه
 مثلَ ذاكِ الشيخِ الذى مُدِّفقدنا هُ فقدنا به النهى والكياسَه
 نعى الخالصى فارتجت الأنفـس حزنًا مضرِّجًا بحماسَه
 هو ذاكِ (المهدى) أحرز سبقا حينَ أجزى إلى الهدى أفراسَه
 هو ذاكِ الحَبْرُ الذى كان للشر ع مقيما دليـلـه وقياسَه
 كان فى الدين آية الله أفنى العمـر فيه رِعايةً وحراسَه
 أفق العلمِ قد بدا مكفهرًا عند ما أطفأ الردى نبراسَه
 إن بكاه الدينُ الخنقُ شجوا فَإِنَّ كانَ ركنَه وأساسَه
 كان رِداءً للحق مرتدىً التـقوى فكانت طول الحياة لباسَه ^(٢)
 ولقد كان فى العلوم إمامًا حيث فيها انتهت إليه الرياسَه

أنا أبكى عليه من جهة العلم—م وأغضى عن خوضه فى السياسة
 لا لِأنى أراه فيها ملومًا بل لِأنى أعيبُ فعلَ الساسَه

ليس في هذه الكلمات السياسيّات إلا ما ينبجلى عن خُصامه
 قد أبت هذه السياسة إلا أن تكون الغشاشة الدسّاسه
 وأبت أن تصافح الناس إلا بيدٍ من خديعةٍ فرّاسه
 كلّما مسّت الأمور بكفّ لوثتها بما بها من نجاسه
 إن في هذه السياسة سهما جعل الله باطلاً قرطاسه
 ما تعاطى غير الخداع « غلادستون » فيها كلّا ولا « ديكاسه »
 إن أحسّت بقوةٍ من خصيم كانت الظبيّ لم يُزايِل كُناسه^(١)
 وهي إن آنت من الخصم ضعفا كانت الليث مُبرِزا أضراسه
 لو أردنا إفاضةً في هجاها لكتبنا لكم به كُرّاسه
 فلهذا أجِلُّ عنها رجالا شغلّتهم علومهم بالدراسه

* * *

رحم الله شيخنا إنه كما ن بعيدا عما تريد السياسة
 ليت تلك العلوم قد شغلته عن أمور لا تُشترى بنُحاسه
 أنتجت بعده فأوحش أرضا في العراقين عودت إيناسه
 فقضى بعد نأيه عن أناس طلبوا علمه وراموا اقتباسه

* * *

أيها القوم إن هذا رأيي في فقيد لم تشهدوا إرماسه^(٢)
 فإذا كنت قد أصبت وإلا فانبذوا ما أقوله في الكناسه
 لستُ بالشاعر الذي يُرسل النفس — ظَ جُزافا لكي يصيب جناسه
 أنا لا أبتغي من اللفظ إلا ما جرى في سهولة وملاسه
 إنما غاييتي من الشعر معني واضح يأمن الليبُ انتباسه

(١) الخصيم : الخصم . وكُناس الظبي : بيته في أصل شجرة ونحوها .

(٢) الإرماس : الدفن .

على ضريح السائب

هي دنيا بقاؤها مستحيلٌ فأيقفُ عند حدِّه التأملُ
 ليس يُعْنِي فيها عن المرء شيئاً شرف باذخ ومجد أثيل
 إنما الراحة المُرَجَّاة فيها تعب والهدى بها تضليل
 كل شيء في أهلها مستعار من سواه وكلُّ حال تحول^(١)
 ليس ما قد جنى علينا بها الإفـ قمارٌ أدهى مما جنى التَّمويل^(٢)
 رتلتُ ألسُن الذنائد أي العيش فيها فغرنا الترتيل
 فرجونا طول البقاء وإن كُنَّا علمنا بأننا سنزول
 وطلبنا تعالَّةً لنفوس ليس يشفى غليلها التعليل
 قد قتلتُ الحياة خُبْرًا ولكن أنا منها بحيرتي مقتول
 كل ما قيل في الحياة ظنون جرّها في افتكارنا التخيل
 قد وهمنا في البدء منها وأما منتهاها فسيرة مسدول
 إن يك العقل في دُجى الشك نجماً فخفَى مثل السَّهْم وضئيل^(٣)
 ويك إن العقول ما صحَّ عندي فتى صحَّ عندك المنقول
 كلنا خابطون في ظلمات حائر بائر بهنّ الدليل
 إن حب الحياة أوهم أن الـ موت نوم تحت الثرى لا يطول
 إنما هذه الجسوم مبانٍ قد بناها من الزمان عمول^(٤)
 نزلتها الأرواح حيناً فأضحت عامراتٍ ما دام فيها النزول
 ثم لا بد أن ترحل عنها فيُسَمَّى بالَموت ذاك الرحيل

(١) تحول : تنفير من حال إلى حال .

(٢) التَّمويل : الغنى ، وصيرورة المرء ذا مال .

(٣) السَّهْم : كوكب خفى من بنات نعل الصغرى .

(٤) العمول : المطبوع على العمل .

إنما هذه الجُسوم رُسوم مَوْحِشَاتُ نَعْدِ الرَّدَى وطُلول
 ما بَسِطَ اللَّوَى مَثَانٍ وَلَكِنْ بِسْقُوطِ الْبَلَى هُنَّ مَثُولٌ^(١)
 ليس يسلى الفتى عن الموت إِلَّا خَلْفَ صَالِحٍ وَذَكَرِ جَمِيلٍ
 مَثَلُهَا مَاتَ شَيْخُنَا «النَّائِبُ» الْحَبْرُ فَسَالَتْ مِنْ الدَّمُوعِ سَيُولُ
 إِنْ عَبْدُ الْوَهَابِ عَاشَ جَلِيلٌ الْقَدَرُ فَرَدَا وَمَاتَ وَهُوَ جَلِيلُ
 وَقَضَى عَادِمَ الْمَثِيلِ فَأَمْسَى مَا لَمَنْعَاهُ فِي الْخَطُوبِ مَثِيلُ
 حَادِثٌ أَظْلَمَتْ بِهِ الْأَرْضُ وَاسْتَوَى حَشٌّ مِنْهَا حَزُونُهَا وَالسَّهُولُ^(٢)
 إِنْ أَسِيدْنَا أَسَى عَلَيْهِ كَثِيرًا فَكَثِيرُ الْأَمَى عَلَيْهِ قَلِيلُ
 كَانَ فُحْلُ الْفَحُولِ عِلْمًا وَفَضْلًا فَلِهَذَا بَكَتْ عَلَيْهِ الْفَحُولُ
 كَيْفَ لَا تَجْزَعُ الْعُلُومُ لَمَنْعَى رَجُلٍ بَاعَهُ بَيْنَ طَوِيلِ
 قَدْ بَكَتْهُ مَدَارِسُ عَامِرَاتٍ هُوَ فِيهَا الْمُدْرَسُ الْمَسْئُولُ
 وَبَكَاهُ الْكِتَابُ ذُو الذِّكْرِ شَجْوًا وَعُلُومٌ إِلَى الْكِتَابِ تَسْئُولُ
 وَبَكَتْهُ آيٌ بِهِ مُحْكَمَاتٌ وَبَكَاهُ التَّفْسِيرُ وَالتَّأْوِيلُ
 وَبَكَتْهُ أَرَامِلٌ وَيَتَامَى جُدَّ عَنْهَا بِمَوْتِهِ التَّنْوِيلُ
 إِنْ يَكُنْ أَعْنَدَ الرَّدَى مِنْهُ فِي الْقَبْرِ حُسَامًا فَذَكَرَهُ مَسْأُولُ
 أَوْ رَمَى حَدَّهَ الرَّدَى بِقُلُولٍ فَعَالِيَهُ مَا بَيْنَ فَلُولٍ^(٣)
 أَوْ خَلَّتْ مِنْهُ دُورُهُ مَوْحِشَاتٍ فَذَرَاهَا بِفَضْلِهِ مَأْهُولُ^(٤)
 كَيْفَ لَا هَوْلًا أَبْنَاؤُهُ الْعَسْرُ شُهُودٌ بِمَا أَقُولُ عَدُولُ
 كَلِيمٌ فِي الْعِلَاءِ مِثْلُ أَبِيهِ حَسَنُ الْخُلُقِ فَاضِلُ الْبَهْلُولِ^(٥)
 هَلْ تَطْيِبُ الْقُرُوعُ فِي النَّاسِ إِلَّا حَيْثُ طَابَتْ فِيهِمْ لَهْنٌ أَصُولُ

(١) سقط اللوى : موضع ، ويشير هنا إلى بيت امرئ القيس الذي ذكر فيه هذا الموضع .

(٢) الحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض وارتفع .

(٣) القلول : جمع قل ، وهو الثلعة في الحد . (٤) يقال فلان في ذرى فلان : أى في ظله

(٥) البهلول : السيد الجامع لكل خير .

عِذْرَةٌ يَا أَبَا الْحُسَيْنِ بِمَاذَا نِصْفَ الرُّزْءِ وَهُوَ رِزْوٌ جَلِيلٌ^(١)
وَإِذَا طَاشَتْ الْحُلُومُ بِمِوَسْمِ فِيهِ فَارَقْتُنَا فَمَاذَا تَقُولُ
أُخْرِسَ الشَّعْرُ يَوْمَ مَنَعَاكَ لَكِنْ نَابَ عَنْهُ تَأَوُّهُ وَعَوِيلُ
وَإِذَا أَسَكَّتِ الْقَاوِيلَ حَزَنٌ تَرَجَّتْ عَنْهُمْ دُمُوعٌ تَسِيلُ
فَصَلَّتْكَ الْمَنُونُ عَنَّا وَلَكِنْ أَنْتَ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَا مُوَصُولُ
لَاكَ فِي الْعِلْمِ رَتَبَةٌ لَنْ تُسَامَى فَاخْلُ التَّوَمَ عِنْدَهَا مَفْضُولُ
وَحَيًّا صَلَّتْ الْجَبِينُ طَلِيقُ يَتَلَالَا كَأَنَّهُ قَنَدِيلُ
وَيَدٌ يَجْمَعُ الشِّفَاءَ عَلَيْهَا كَلَّمَا قَدْ مَدَدَتْهَا التَّقْصِيلُ
إِنَّمَا قَدْ ذَكَرْتُ بَعْضَ مَزَايَاكَ إِلَّا فَشْرَحْنَهُ يَطْوُلُ
وَإِذَا الْقَوْلُ لَمْ يَفِدْهُ اخْتِصَارُ لَمْ يَفِدْهُ الْإِطْنَابُ وَالتَّفْصِيلُ

دموع الصداقة

أُنشِدْتُ فِي الْمَأْتَمِ الَّذِي أَقِيمَ فِي بَغْدَادِ لِلْمَرْحُومِ عَبْدِ الْجَبِيدِ بَكِ الشَّامِيِّ
عَبْدُ الْجَبِيدِ قَضَى فَوْقَ أَسْفَا مَاذَا يُفِيدُ تَأَسَّفِي جَزَعًا
قِمِّ وَيْلَكَ نَبِيكَ الْجَدَّ وَالشُّرْفَا وَنُغَزِّ طَرْفَ الْعَيْنِ مَا دُمْعَا
فَلَقَدْ فَقَدْنَا سَيِّدَ الظُّرْفَا وَأَجَلَّ سَاعَ الْعِلَاءِ سَعِي
لَمْ يَتَّخِذْ غَيْرَ الْعَلَا هَدَفَا عَنْ قَوْسِ هِمَّتِهِ إِذَا نَزَعَا^(٢)
خَبَرَ طَوَيْتُ حَشَايَ مَرْتَجِفَا مِنْ هَوْلِهِ وَسَقَطَتْ مُنْصَدِعَا
أَلْقَى بَوَاجِهُ حَيَاتِنَا كُفْلَا أَوْ عَادَ لَوْنُ الْعَيْنِ مَمْتَقِعَا^(٣)
فَالدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي إِذَا وَكَّفَا جَلَّلَ وَإِنْ أَرْسَلْتَهُ دَفْعَا^(٤)
صَاحِبَتِ مِنْهُ أَخَا نَهْيٍ وَوَفَا يَزْهَوُ النَّدَى بِهِ إِذَا اجْتَمَعَا

(١) العذرة : المذرة . (٢) نزع : رى بالسهم .

(٣) الكلف : جمع كلفة ، وهى اغبار لون الوجه .

(٤) وكف الدمع : سال قليلا قليلا .

فسمعت من أقواله طُرْفًا ورأيت من أفعاله بِدَعًا
 ساء المكارم كونه دَنِفًا يشكو إلى عَوَّاده الوجعا
 الداء أذهب نفسه تلقًا بُذِل الداء له فـا نَجعا
 يبروت منه أحرزت شرفا لما غدت لعلاه مُضْطَجعا
 لكننا قلب العراق هَفَا حزنًا عليه إذ به فُجعا
 وكفى بسعدون له خلفا لفعاله في الجـد مُتَبعا
 يمشى على آثاره الخَطَفَى ويقوم بالأعباء مضطلعا

عبدُ الحميدِ قضى فواحرَبًا ماذا يردُّ إليَّ واحرَبِي
 إن الرزايا قد قضت عجبًا مما رُزِنناه من الحسب
 رُزْءُ أُنارِ الحزنِ ملتَهَبًا في كل قلبٍ أَيْ ملتَهَب
 وأسأل غرب الدمع منسكبًا من كل عين إثر منسكب
 وأمرٌ حلو العيش فانتلبًا بمَحاوليه شر منقلب
 فبكاه من بغداد مُنتَجِبًا في جانبيها كل ذى أدب
 يا راحلا بالداء مغتربا يبغي الشفاء له من الوصب
 أُوتيت فضلا في التَّهْي عجبًا يأتي من الآراء بالعجب
 كم كنت تكشف فيه محتجبا وتقال أقصى الأمر من كُثْب
 فبُيت مجدا منك مكتسبا من بعد آخر غير مكتسب
 وبك العروبة قد زهت نسبا يُزْهَى بغبطة كل ذى نسب
 قد كنت من عريّة عَصَبًا والحسّ مصدره من العصب
 إِنَّا فقدنا الظرف والأدبا وفقدت ياسعدون خير أب
 يا أكرم المتهذّبين أبا صبرا لفقدك أكرم العرب
 إذ كنت أنت لمثله عَقَبًا أَكْرَمُ بمثلك أنت من عَقَب

هلم نبك

هلم نبك النّهي والعلم والشرفا
هلم نبك الذي كانت شمائله
هلم نبك الذي لم يغفل واصفه
عطا الخطيب الذي آل الخطيب به
تبكي لمبكاكم حزنا بحيث نرى
قد فاجأته المنايا وهو معتدل
قامت بحساده الأطماع هائجة
فعارضوه بسيل من مكائدهم
وعرقلوا بدواعيهم مساعيه
فظل يرسف في مسعاه مرتطبا
كانوا يمدّون سبل الكيد مندققا
حتى قضى راسبا في مكرهم غرقا
وبعد ما قتلوه هكذا علموا
والمرء تظهر بعد الموت قيمته
لو عجل الله لاجساد لعنته
لكن يؤخرها عنهم إلى أجل

فقد قضى من بهذا كان مُتّصِفاً
كمثل قطر الغواصي رقة وصفا
بالخير إلا رآه فوق ما وصفا
فتت مصيبتهم أكبادنا أسفا
بدر التمام بأعلى ألقهم خُسفا
كالمرح دقّ على الصفواء فانقصفا^(١)
لما رأوه مجدا يطلب الترفا
قد سال فاكتسح الآمال واجترفا
ومدّوا من دواهيهم له كِففا^(٢)
فيما يكيدون حتى خالط التلغا
وكان يبني له من سعيه رصفا^(٣)
إذ عطل الموت منه الكف والكثفا
بأنهم قد أصابوا الجحد الشرفا
كمغرق اليم بعد الإنتفاخ طفا
لكان أسقط منها فوقهم كِسفا
يُخزى به كل من قد جار واعتسفا

هم جاوزوا العدل والإنصاف في رجل

ما كان قطّ عن الإنصاف منحرفا

فتى رزئناه بالأخطار مضطلعا بالجحد مشتملا بالفضل ملتحفا

(١) الصفواء : الحجر الصلد الضخم .

(٢) الكفف : جمع كفة ، وهي حباله الصائد وشبكته .

(٣) الرصف : الحجارة المرسوف بعضها إلى بعض في سبل الماء .

لما رمى عن قسيّ الرأي مجتهدا لم يتخذ غير أسباب العلا هدا
ما شبَّ إلا على التقوى وكان له قلبٌ سليمٌ بحبِّ الخير قد شُغفا
مهذب الطبع عفا النفس ذو خلق قد شابه الورد مشموما ومقتطفا
إذا تصورت في يوم خلائقه فقد تصوّرت منها روضة أنفا^(١)
وإن نظرت بإمعان مساعيه فقد نظرت بعيني رأسك الشرفا
بيناه يدرك من دنياه زهرتها إذ جاءه الموت يمشي نحوه الخطفى^(٢)
أعظم به طودَ مجد طال طائله فكيف في ساعة بالموت قد نسفا
قد شرفت بقعة الجليل حفرته كما ضريح عليّ شرف النجفا

دمعة على صديق

قالها في رثاء صديقه الخيم عبد الوهاب المحمد أغا .
مضى عبدٌ وهَّاب الهبات لرَبِّه فللَّهِ من ماضٍ إلى ربه حُرٌّ
مضى وهو محمودُ الخصال مخلفا له عندنا آثار أخلاقه الغُرِّ
مضى وله في كل قلب مكانة تُديم له ذكراه بالحد والشكر
كذلك كنّا معه قبل وفاته نبجّاه في السرِّ منا وفي الجهر
وما زادنا إلا أسمى بفراقه فأمسى الأسمى فينا له مالىء الصدر
إذا ما ذكرناه تفوح خالاله فننشق من تذكراها أطيب النشْرِ^(٣)
ونلجأ عند الإدّكار إلى البكا
أخا سالمٍ ما زلت عندي سالما
تملك الذكرى لعيني جالسا
وتمزح طورا ثم تنصاع ذاهبا
وإن كان منك الشخص غيب في القبر
تحدثنا عما أهم من الأمر
إلى الجدِّ تُغرّى بالحقيقة من تغرى

(١) الروضة الأتق : الجديدة النبات ، لم يرعها أحد .

(٢) الخطفى : مشية سريعة .

(٣) الخلال : جم خلة وهي الحصلة . ونشق : شم . والنشر : الريح عامة ، أو الطيبة منها .

فتغضب أحيانا وتطرب قارة فتطرب من ذكر الحقيقة في شعري
طواك الردى عني وشخصك لم يزل يذكراك بعد الطي متصل النشر
فما أنت ميتا إذ خيالك ساح مدى العمر نصب العين في ساح الفكر
ولا عجب ، إن الحياة خيالة فلا فرق عندي بين شخصك والذكر
سأثر دمي فيك ثر لآلئ وأنظم شعري في رثائك من در
أعلى بهذا أقضى إخاءك حقه وإن كان لا يقضى بنظم ولا ثر

ميمة البطل الاء كبر

أنشدت في دار المرحوم عبد المحسن بك السعدون في اليوم الثالث من انتحاره

هكذا يدرك في الدنيا الكمال هكذا يدرّك في موتها تحيا الرجال
هكذا يشرف موت المبتغى شرفا ليس إذا ريم يُنال
من كعبد المحسن الشهم الذي حقه بالوت عز وجلال
ما بعبد المحسن السعدون إذ رام قتل النفس مس أو خبال
بل رأى أوطانه يرهبها من بني الغرب انتداب واحتلال
فانتضى الهمة كي ينقذها كانتضاء السيف ما فيه كلال
مارس الأحوال حتى إنه شاب في إصلاحها منه القذال^(١)
أعمل الرأي وقد جادله فيه بعض القوم واشتدّ الجدل
خذلوه فاغتدت آراؤه كسهم كسرت منها النصال
كم غدا ينصحهم حتى إذا راء أن الداء في القوم عُضال^(٢)

(١) القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .

(٢) راء : رأي .

ورأى أن الذى يرجوه من
جاء للأوطان منه بدم
والفتى الحر له فى موته
إنه لما أرادت نفسه
ميتة الأبطال فيها شمم
نال بالموت حياة ما لها
هو حتى أبد الدهر فما
إن يكن قد زایل القوم فما
أويكن عن أعين القوم اختفى
وإذا التاريخ أجرى ذكره
فاندبوا يا قوم منه بطلا
وافتقوا منه نصيحا مخلصا
وأقيموا عالیا تتسأله
واقصدوا مرقد حجاج فلا
واتركوا الغرب وأهليه ولا
وعلى أنفسكم فاتكلوا
فالمواعيد التى وعدوا
كلما قال لنا ساستهم
هكذا كونوا وإلا فاعلموا

طلب استقلالهم شئ محال
لسوى أوطانه ليس يسأل
سعة إن ضاق بالنفس المجال
ميتة حمراء ما فيها اعتلال
طأطأت من دونه الشم الجبال
أبد الدهر فناء وزوال
ضره من هذه الدنيا انتقال
لمساعيه عن القوم زيال
فله من أنفس القوم خيال
أخذ التاريخ بالفخر اختيال
هو للأبطال حسن وجمال
هو للإخلاص فى الدنيا مثال
فهو للأوطان عز وجلال
غرو أن شدت لمثواه الرحال
تسمعوا منهم إلى ما قد يقال
خاب من فيه على الغير اتكال
كلها منهم خداع واحتيال
نقصت أقوالهم منهم فعال
أنما استقلالكم شئ محال

مِيتَةُ الْبَطْلِ الْأَكْبَرِ

منظر الرافدين

شَبَّ الْأَسَى فِي قُلُوبِ الشَّعْبِ مُسْتَعِيرَا

يَوْمَ ابْنِ سَعْدُونَ عَبْدَ الْحَسَنِ انْتَحَرَا

يَوْمَ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ غَيْرُ مَبْصُرَةٍ

إِذْ كَانَ إِنْسَانُهَا فِي الدَّمْعِ مَنْغِيرَا

يَوْمَ بِهِ الْبَرْقُ رَجَّ الرَّاغِدِينَ أَسَى

غَدَاةٌ أَدَّى إِلَى أَقْصَاهَا الْخَبْرَا

فَلَوْ تَرَى الْقَوْمَ قَامُوا فِي ضَفَافِهِمَا

وَاسْتَنْزَفُوا مِنْ شُتُونِ الدَّمْعِ مَا غَزَّرَا

خِلَتْ الْعِرَاقِينَ خَدَى ثَا كُلِّ وَهْمَا

سَطَرَانِ لِلدَّمْعِ فِي الْخَنْدِينَ قَدْ سَطَرَا

الشعر والدمع :

لِلَّهِ يَوْمٌ قَعَدْنَا فِيهِ مُضْطَلِعَا

بِالْأَمْرِ يُبْعَنُ فِي تَدْيِيرِهِ الْفُظْرَا

يَوْمَ قَدْ انْهَلَّ فِيهِ الشَّعْرُ مَنْتَظِمَا

كَمَا قَدْ انْهَلَّ فِيهِ الدَّمْعُ مَنْتَثَرَا

فَبِالدَّمْعِ بَكَتْ فِي يَوْمِهِ شَيْعٌ

وَبِالْقَوَافِ بَكَتْ فِي يَوْمِهِ الشُّعْرَا

فَالشَّعْرُ قَدْ قَرِطَ الْأَسْمَاعَ مَنْدَفِقَا

وَالدَّمْعُ قَدْ قَرَّحَ الْأَجْفَانَ مَنْحَدِرَا

وَالدَّمْعُ وَالشَّعْرُ مِنْ قَدْ بَكَى بِهِمَا

كِلَاهُمَا حَكَا فِي يَوْمِهِ الدَّرَا

كِلَاهُمَا انْسَجَمَا حَتَّى كَانَهُمَا

تَسَابِقَا فِي انْسِجَامِ عِنْدَ مَا انْهَمَرَا

فَالشَّعْرُ مِنْ هَذِهِ الْأَكْبَادِ بَلَّ صَدَى

وَالدَّمْعُ مِنْ هَذِهِ الْأَوْطَانِ بَلَّ ثَرَى

أبو علي وعزائمه :

أبو علي قويٌّ في عزائمه
أخلاقه كالخضمِّ الرَّهْوِ تحسبه
إذا أتاه شَكِيُّ القومِ قابله
ويهزم الجمعَ مجتثًا مكايده
لما رأى الوطنَ المحبوبَ محتملاً
سعى لإيقاظه بالرأى مجتهداً
كم بات سهرانَ في تحقيقِ مُنيَّته
وكم سعى راجياً تخليصَ موطنه
حتى إذا لم يجد للأمرِ متسعاً
أرغمى مسدسه في صدره بيدٍ
فيألفها رَمِيَّةً حمراءَ داميةً
قد كان يحيا حياة غير خالدة
لو تقترى صحفَ التاريخِ نساها
لما رأينا كبيراً مات مِيتته
ما كان أشرفها من مِيتة تركت
كنا نقاسي ضللاً قبلها فإذا

لورام بالعزم دَحَرَ الجيشَ لاندحرا
سهلاً ولكنه صعب إذا زَخَرَا^(١)
بكا النسيم جرى في روضة عَطِرَا^(٢)
بكا العواصف هبَّتْ تغلغ الشجرا
من الأجانب ما قد عمه ضررا
بالعزم متشحا بالحزم مؤثرا
وفي الأماني ما يستوجب السهرا
والشعب كان لما يرجوه منتظرا
ولم يجد عن بلوغ العزِ مُصْطَبِرا
لا تعرف الضعف في المرمى ولا الخَوَرا
قد مات منها ولكن بعدها نُشِرا
واليوم يحيا حياة تملأ العُصْرا
عَمَّن يساويه في الدهر الذي غَبِرا^(٣)
ولا وجدنا وزيرا مثله انتحرا
في نفس كل فتى من غِبْطَة أثرا
بها الطريقُ إلى استقلالنا ظهرا

(١) الخضم : البحر العظيم ، والرهو : البحر الساكن .

(٢) الشكى : المشتكى .

(٣) اقترى : تتبع واستقصى . وغبر : مضى .

يا أهل لندن :

يا أهل لَنْدَنَ ما أَرْضَتْ سِياسَتُكُمْ
 إنَّ انتِدابَكُم في قلبِ موطننا
 وللمَّشورة في أوطاننا شَبَحٌ
 يَحُولُ في طُرُقَاتِ البَغْيِ مُحْتَقِباً
 لَمْ يَكْفِهِ أَنَّهُ لِلْحَكْمِ مَغْتَصِبٌ
 إِذَا رَأَى نَهْضَةَ المَجْدِ أَقْعَدَهَا
 فَكَمْ ضَعَائِنَ بَيْنَ القَوْمِ أَوْجَدَهَا
 في كُلِّ يَوْمٍ لَنَا مَعَكُمْ مَعَاهِدَةٌ
 حَقَّتْ بِهَا سِرْحَةٌ اسْتَقْلالُنا عَطْشاً
 تَقْسُو قُلُوبُكُمْ لَمَّا تَفَاوَضْكُمْ
 أَمَّا مَواعيدُكم فَهِيَ الَّتِي انْكَشَفَتْ
 لَا تَفْخَرُوا أَنَّ كَسْرَ تَمِ غَرْبَ شَوْكِتْنا
 لَا فِخْرَ لِلصَّقْرِ في أَنَّ يَقْتُلَ النِّعْرَ (١)
 لَا تَسْتَهينُوا بِنَا مِنْ ضَعْفِ قُوَّتِنَا
 هَذِي البِلادُ اغْرَسُوا فِيها مودَتَكُمْ
 نَكُنْ لَكُمْ حِلْفَ صِدْقٍ في سِياسَتِكُمْ
 نَمشي إلى المَوْتِ مِنْ جَرَّائِكُمْ زُمُراً
 لَسْنَا بِقَوْمٍ إِذَا ما عَاهَدُوا نَكثُوا
 وَلَوْ جَرى الدَّمُ حَتَّى أَشْبَهَ النُّهْراً

(١) الجرح الغير : الذي اندمل على فساد ثم انتقض .

(٢) احتقب : جمع .

(٣) السريحة : الشجرة الطويلة ، أو التي لا شوك بها .

(٤) المين : الكذب .

(٥) الغرب : الحدة . والنفر : الليل ، أو فرخ العصفير .

ولا نحالف أحلاقاً فنخذلهم
فنحن أوفى الورى بالعهد شلشنة^(١)
ولو لبسنا المنايا دونهم أزرأ
ونحن أرفعهم فى السكرات ذرأ^(٢)

سعد وسعدون :

سعد وسعدون محمود مقامهما
كلاهما قد فدى بالنفس أمته
فكان بينهما بون وإن غدوا
فإن سعدون داني الشمس منزلة
هذا هنا قد سعى للمجد مبتدرا
يأهل مصر وأنتم مثلنا عرب
إن كان قد أرخص الأموال سعدكم
هذا هناك سعى للمجد مقتدرا^(٣)
هَذَا بِمَصْرٍ وَهَذَا هَهُنَا اشْتَهَرَا
لَكِنَّ سَعْدُونَ لَا سَعْدَا قَدْ انْتَجَرَا
فِي الشَّرْقِ أَعْظَمُ مَذْكُورِينَ مَذْكُرَا
وَإِنْ سَعْدَا بِمَصْرٍ قَارَنَ الْقَمَرَا
وَمَا قَلِمٌ عِنْدَمَا أُعْلِمَ الْخَبَرَا
فَإِنْ سَعْدُونَا قَدْ أَرْخَصَ الْعُمَرَا

أيها البطل :

نم أيها البطل الفادى بمجته
نم نومة تجعل التاريخ محتفيا
فليعتبر بك هذا الشعب مفتديا
فسوف تحمدك الأوطان شاكرة
نم مستريحا فإن الشعب مرتقب
أتركون الذى قد كنت تطلبه
فالشعب منهم مريد ما أردت له
يا من له مينة بكر معظمة
أوطانه نومة تستيقظ العبرا
بها لنهضة أهل الشرق مدبرا
إن كان شعبك بعد اليوم معتبرا
وسوف يذكرك التاريخ مفتخرا
ماذا ستفعله من بعدك الوزرا
أم هم سيقضون من مطلوبك الوطرا
وليس يقبل عذرا من اعتذرا
لا غرو أن قلت فيك الشعر مبتكرا^(٤)

(١) الشلشنة : الخلق والطبيعة . والذرا : جمع ذروة . وهى القمة .

(٢) ابتدرا المجد : سارع إليه . (٣) المينة البكر : التى لم يمت أحد مثلها من قبل

ذكرى فتي السعدون

إذا ما الفتى فى دهره أحسن الظنّا
وما الحزم إلّا أن نرى الدهر هاجما
وما الدهر إلّا مُبِيرٌ فى طباعه
يروع بنيهِ صائلا بيناته
يَذف عليهم بالظُّبى من خُطوبه
وما شُبهه إلّا مخالب كيده
إذا ما تَشَمَّتَ الزمان وطبعه
فما أدرك المَغزَى ولا فهِم المعنى
فنبنى من تديرونا دونه حصنا
يفرّر بالأقوام يفتتهم فتنا^(١)
فقدضلّ مَنْ من دهره يطلب الأمانا^(٢)
فكم جدعت أنفا وكم صامت أذنا^(٣)
تُمدّ بجوف الليل دامية حُجنا^(٤)
تشمّت من أعماق طينته نَدنا

♦ ♦ ♦

إليك فتي السعدون جئتُ مهنتا
إذا ما ذمنا الدهر يوما وأهله
أتى يومك الدامى بذكر كراك حافلا
ففى مثل هذا اليوم بتّ مضرّجا
وفى مثل هذا اليوم فى حفرة البلى
عشيّة أطلقت المسدسَ نارَه
فلله نارٌ قد بردت بحرّها
لئن أفقدت بالموت قلبك نبضة
وكم أنطقت دمع الحاجر بالأسى
فيا طلقة ريع العراق بصوتها
بما نلتَه عند الإله من الحسنى
فإنك من تلك المذمّات مُستثنى
فجدد فى كل البلاد لنا حُرنا
وبتنا نحاكى فى مدامعنا المزنا
جعلنا بك الآمال مدفونة هنا
على قلبك الخفاق من يدك اليمنى
وإن سال منها دمعا بالجوى سُخنا
فكم أنبضت بالحزن أفئدة مِنّا
على أنها بالهول أخرست اللُسنّا^(٥)
فبانت به الآفاق عابسة دُكنا

(١) البهرة : اسم فاعل من أبهر : إذا جاء بالعجب (لسان العرب) .

(٢) بنات الدهر : حوادثه .

(٣) ذف عليه : أجهز عليه . والظُّبى : جمع ظبة ، وهى حد السيف أو سنانه .

(٤) الحجناء : العوجاء . جمعها : حجن .

(٥) اللسن : جمع ألسن ولسناء ، وهو الفصيح البليغ .

ورَدَدَ مجرى الرافدين لصونها

صدى الحزن من أقصى العراق إلى الأدنى
لقد جمع الأموال باسمك معشر
وما علموا أن المباني كلها
لتخليدكم ذكرك في معهد يبنى
وإن قويت نفى وذكرك لا يفنى
وأعظم تخليدا لذكرك منهم
فَعَائِلُكَ الغراء والخلق الأسنى
وما كنت في يوم على القوم ممتناً
سعيت إلى استقلال قومك مخلصاً
بهمة لا وإن ولا فاكص جبناً^(١)
وأبديت في تلك المواقف كلها
أصالة رأى قط لم يعرف الأفنا^(٢)
فإن كنت لم تنجح فليس لالة
سوى أن خصم القوم في كيده افتناً

زكت لك نفس بين جنبيك حرّة
فلا أظهرت كبرا ولا أضمرت ضيقنا
لنا المثل الأعلى بحملك والندى
فكم بهما أثنى عليك الذى أثنى
فأحنف ربّ الحلم في الحلم قُتْنَه
وفى الجود قد فقت ابن زائدة معنا
ألست الذى قد رام قتلك قاتل
فأطلقته عفوا وأوسعته منّا^(٣)
سببقى على الأيام ذكرك خالدا
به صحف التاريخ قاطبة تُعْنَى

فيا بطلاً بالنفس ضحى وإنما
بذلك لاستقلالنا سُنَّة سينا
فعلمنا أن التفادى واجب
على كل قوم حاولوا شرف المغنى
سنمعى إلى ما قد سعيت من العلى
بصادق عزم يُنكر الضعف والوهنا
وإننا لقوم مستقلون فطرة
إذا أنكر استقلالنا منكر تُرنا
فلو جعلت تبرا سبيكا بيوتنا
ولسنا بحكام أبينا بها الشكفى

(١) الوانى : الضعيف . (٢) الأثنى : ضعف الرأى . (٣) المنى : الإتمام .

يهون علينا في السياسة أننا نصَلِّب في الأعواد أو ندخل السجنا
 ولستنا نبالي دون إحياء مجدنا أعشنا على وجه البسيطة أم مُتَّنا
 إذا أدرَكَ الجَدَّ المؤثِّلَ معشر أحاد ، فإنَّا نحن ندركه مُتَّي
 نفوسا ورثناها كبارا أبية أبت في الدُّنَا أن تحمل الضيم والغبنَا

ابن جبران

من سامع قصة لي كنتُ شاهداًها على الرب بالخضر من جنات لبنان
 فقد رأيتُ غلاماً صبيغاً منفرداً بالحسن يصبو إليه كلُّ إنسان
 البدرُ يبدو حقيراً عند طلوعته والشمسُ تعنو لوجهٍ منه نوراًني^(١)
 في عينيه حورٌ في ثغره شنب يفتُر عن عقدٍ درٍ وسطَ مرجان^(٢)
 إذا رنا ناظرًا يرنو بساحرة أو اثني ينثني عن عطفٍ نشوان
 عليه ثوبٌ بديعٌ النسج طرته من صِبْغَةِ الجَدِّ قد زينت بألوان
 في جانب منه تلقى الدرّ منتظماً والدرّ منتثراً في الجانب الثاني
 وللعواطف في أثائه صور جادت بها ريشة في كف فنان
 تفأوح الطيبُ من أردانه عبقاً كما تفأوح أزهار بيستان^(٣)
 تستخلص النفسُ من فجوى ملامحه

أن الغرام الذي يُخفيه رُوحاني أن ابصرته واقفاً يبكي وأدْمعه
 توحى إلى كل قلب وحي أحزان تهبو بأفئدة منا وآذان
 يبكي وألحانٌ موسيقاه مُسْجِية تهتز منهنّ أرواح بأبدان
 يبكي وأنغام موسيقاه مطربة

(١) عنا : خضع وذلل .

(٢) الحور : شدة بياض العين وسواد سوادها .

(٣) تفأوح الزهر : انتشرت رائحته . والأردان : جمع ردن : وهو أصل السهم . والعبق :

الذي تفوح منه رائحة الطيب .

يبيكي فيرفض عقد الدمع منتثرًا بغير وزن وأحيانًا بميزان
لما أراني جلال الحسن متمزجًا بروعة الحزن أشجاني فأبكاني
فقت بين أناس حوله وقفوا مستعبرين وكلُّ نحوه ران^(١)
وكلهم وقفوا مستسلمين إلى تهديدات وآهات وإرنان
حتى سألت عن الباكي وقصته فقيل هذا هو الشعر ابن جبران
أبوه جبران أفناه الردى فعدا من بعده رهن يَمَّ حلف أشجان^(٢)
فقلت لم يقن جبران بميتته من خلف ابنًا كهذا ليس بالقانى
بل أصبحت بابه ذكراه خالدة مادام لبنان مأهولاً بإنسان
إني أرى روح جبران مرفرفة على الربا الخضر من جنات لبنان

جبر ضومط

بكي الفضل لما أن قضى نَحْبَهُ جبرٌ وليس لكسر الموت في طَبْنًا جبرٌ
طوى الموت من جبر ضوامط فاضلاً وأيسر لكسر الموت في طَبْنًا جبرٌ
لُغْرٌ المساعى كان في عيشه نَشْرٌ تبسم فيها العلم والفضل والفخر
مضى بعد ما أمضى حياة سعيدة يطيب له مدَّ الزمان بها ذكر
وخلف آثاراً خوالد بعده وآثاره في نشر آدابها غُرٌ
على اللغة الفصحى أياديه جمّة ولكن له الإبداع والفكرة البكر
وما كان يبدى رأى فيها مُقلِّداً ولكن له العلم كان له فكر
وما كان في استقراءه العلم جامداً كما شق بُرْد الليل مذ طلع الفجر
يشق حجاب المشكلات برأيه

(١) المستعبر : الباكي .

(٢) رهن يتم : أى ملازمه .

ومن شك فليُنظر بكل مدينة
فيمصر منهم من حِجاء متقف
رُزْنَاهُ في كلية العلم هاديًا
سِيَكِيَّة في كلية العلم منبر
فواجعنا في ذى الحياة كثيرة
ألا إنما هذى الحياة رواية
ولو لم تكن للفاجعات فصولها
مثلة ما كان آخرها القبر

أبو الملوك

بدا وجهُ العروبة في حُلُوكِ
قضى متنازلاً بعد اعتلاء
قضى في المجد ليس بذي نظير
مَلِيكٌ واصلَ الإقدام حتى
أقْد سلاك الطريق إلى المعالي
وجدد للعروبة غرس مجدٍ
وأحدث نهضة في العرب هزّت
وأثبت بالسيوف لهم حقوقاً
ولكن غَشَّه الخلفاء حتى
وخانوا لم يقوا بعد انتصار
غداة قضى الحسين أبو الملوك
كذلك الشمس تجنح للدُّلُوكِ^(٢)
وفي العزَمَات ليس بذي شريك
أتاه بهلكه يوم الهُلُوكِ
إلى أن مات محمود السلوك
قديم كان كالعَذْق التَّريِّكِ^(٣)
جنوب الأرض كالريح السَّهْوِكِ^(٤)
مؤيدة بكل دمٍ سَفِيكِ^(٥)
أتوه من الثعالب في مُسُوكِ^(٦)
بما كتبوه في بطن الشُّكُوكِ

(١) كثر : كثيرون .

(٢) جنح : مال ، والدُّلُوكِ : الغروب .

(٣) العَذْق : عَفُود العنب ، أو ما يشبهه من النخلة . والتَّريِّكِ : المتروك ، أو الذي أكل كل ما عليه ، أو بقي فيه شيء قليل .

(٤) الريح السَّهْوِكِ : العاصفة الشديدة .

(٥) الدم السَفِيكِ : المسفوك .

(٦) المسوك : جمع مسك ، بفتح الميم ، وهو الجلد .

خطبنا وُدَّهم فتقبَّلونا — بعاطفةٍ كعاطفةِ الفُرُوكِ^(١)
 وكم وعدوا بني قحطان وعدا — به انقلب اليقين إلى شكوك
 لقد ستروا شنيع الغدر منهم — بثوبٍ من سياستهم مُحُوك
 فساستهم إذا وقعوا بضنك — أرونا الودَّ في وجه ضحكوك
 وأبدوا في الرخاء لنا عُبوسا — وهذا عدٌّ من شيم الهلُوكِ^(٢)
 ونحنُ العُربُ نأبى غيرَ عزٍّ — ونطمح في الحياة إلى السُّموكِ^(٣)
 ويومَ الروحِ ننقُظُ المنبأيا — ولم تكن السيوف سوى سلوك
 ونمضغ في الهياج الموت دون الـ — على مضغ الأوانس للهلُوكِ^(٤)
 وما عاب الفتى جسمٌ هزيل — إذا ما كان ذا شرف وديك^(٥)
 وما الشرف الحميد سوى فَعَال — حميد من معادننا سبيك
 قرينَ القبلتين عليك نبكى — دما بالدمع من طَرَفِ مَسِيك^(٦)
 فقدنا منك خير زعيم قوم — وخير نضيج تجربةٍ حَنِيك
 لقد ناح العراق عليك حزنا — وضجَّ من الخليج إلى دهُوك
 وناح المسجِدَ الأقصى جميعا — إلى أرض الشَّامِ إلى تَبُوك
 لقد نُزَّهتَ من غمز ولمزٍ — كما نُزَّهتُ من شعر ركيك

(١) الفُرُوك : المبعضة للناس عامة ، أو التي تبغض زوجها .

(٢) الهلُوك : الفاجرة ذات الشهوة الشديدة .

(٣) السُّموك : جمع سمك ، وهو السقف أو أعلى الشيء .

(٤) الهلُوك جمع هلك ، وهو اللبان . (٥) وديك : سمين .

(٦) الطرف المسيك : العين التي لا تدمع كثيرا . وفي الطبعة الثانية : « وما » في مكان :

« دما » . يريد أننا نبكى عليك دما من عين تبخل بالدموع على غيرك .

الشيخ قاسم

مدرس جامع النعمانية

على قاسم شيخ الطريقة قد بكت
بكاه التقي والعلم والحلم والنهي
فقدنا الذي قد كان في العلم عيلاً
نحن قد طواه الموت عنا فذكره
رُزئناه حزناً في الطريقة مرشداً
عفت أربع الارشاد بعد ارتحاله
حليف التقي ما ذنس الدهر ثوبه
ترحل للأخرى وأبقى منقباً
يصوم نهار الصيف لله طائعا
إذا ما بدا للقوم لاحت بوجهه
ولما مضى للخلد قلت مؤرخاً
جواهر فضل ما لها الدهر قاسم
وحسن السجيا والعلو والمكارم
فماجت لمنعه البحار العيالم^(١)
من العلم منشور على الدهر دائماً
به اتضحت نلسالكين المعالم
وكانت به منها تقام الدعائم
بأثم ولامرت عليه المحارم
تضيء من الدنيا بهن المواسم
ويحيى الليالي وهو لله قائم
دلائل من نور الهدى وعلام
«لقد بات في أعلى الفراديس قاسم»

غريق دجلة

يا مَنْ قضى بين المياه غريقاً
قد كنت فينا دُرّةً فلاجُلْ ذا
سعديك يا (توماس) إنك لم تمت
لكن رقيت إلى السماء لتنجتي
يا كوكبا عجل الردى بأفوله
أذكرى فراقك في القلوب حريقاً
تخذ الحام لك المياه طريقاً^(٢)
مادام ذكرك في الحياة عريقاً
لله في أعلى السماء رفيقاً^(٣)
من بعد ما ملأ السماء شروفاً

(١) العيلم : البحر ، أو البحر الزاخر .

(٢) تخذ : اتخذ .

(٣) اجتباه : اصطفاه واختاره .

إن كنت غيبت عن العيون فإنما
 عشقتك كلُّ فضيلة وعشقتها
 هصرتك أيدي الموت غصنا ناضرا
 إن العراق على بضاضة قطره
 لله منعاك الجليل — لُ فإنه
 إن كان شخصك بات في قيد الثرى
 أُسكنت طيَّ قلوبنا موموقا^(١)
 لله درك عاشقا معشوقا
 يهتز في روض العلاء وريقا^(٢)
 أمسى بفقدك يابسا معروقا
 أعيا البليغ وأخرس المنطيقا
 فجميلُ ذكرك لا يزال طليقا

شهداء الطيران

قضوا شهداء ليس لهم بواء
 قضوا لعزير موطنهم ضحايا
 لهم في موتهم هذا حياة
 تباشرت الجنان بهم فأمست
 وحيا « جعفر الطيار » منهم
 فتم لهم على الدهر البقاء^(٣)
 فهم لعزير موطنهم فداء
 مخلدة يحلها الشناء
 بها من حسن مقدمهم بهاء
 نسورا في الجنان لها اعتلاء

• • •

وطائرة مرفعة الذنابي
 يحول بها من البنزين روح
 بعصر الكهرباء أتت فأمسى
 تمر كأنها في الجو نسر
 وتختبط الهواء بساعديها
 بأجنحة الرياح لها ارتقاء
 كما جالت بأوردة دماء
 لعصر الكهرباء بها ازدهاء
 إلى زهر النجوم له انتماء
 فتعصف منهما الريح الرشا

(١) ومقه : أحبه .

(٢) هصر : كسر . الوريق : المورق ، أى ذو الأوراق .

(٣) البواء : الثل والنبد .

فتمضى فى الفضاء مضى سهم
 فيبصر كالنجوم لها علو
 وقد ترى الصواعق تحرق
 قد امتطوا الرياح بها فطاروا
 سموا فتضاءلوا فحكوا نجوماً
 وفيهم كان للأوطان حباً
 عن القوس الضروح له ارتقاء^(١)
 ويسمع كالعود لها رغاء
 بها فى الأرض يندك البناء
 إلى حيث احتفت بهم السماء
 يصغرها بأعيننا السناء
 وفى أوطانهم منهم رجاء

• • •

ألا يا طائرين قد استقلت
 لقد نزل القضاء بكم ألياً
 فتم ميتة بيضاء منها
 لقد عظمت مناحسكم فقامت
 وشقت الجيوب لكم رجال
 غبطنا ميتة قد أعقبكم
 لكم بسقوطكم شرف فقيه
 ولا تأسوا على الوطن الملقى
 فهم خلف لكم فيما أردتم
 بهم فى الجو ريح جرياء^(٢)
 ولا منجاة إن نزل القضاء
 بأعيننا قد اسود القضاء
 تنوح بها الحرائر والأماء
 ولطمت الحدود لكم نساء
 حياة ليس يدركها الفناء
 لموطنكم نهوض واعتلاء
 ففى شبابه لكم الكفاء
 ولولا ذلكم عز العزاء

(١) الضروح : الشديدة الدفع للسهم .

(٢) الريح الجرياء : ريح الشمال أو بردها .

إلى أمين نخله

حَقٌّ لِلدَّمْعِ أَنْ يَكُونَ نَشِيدًا فِي رِثَائِي أَبَا أَمِينٍ رَشِيدًا
الْمَعَى تَبَوَّعَ الْمَجْدَ حَتَّى حَازَ مِنْهُ قَرِيبَهُ وَالْبَعِيدَا (١)
وَتَعَالَى إِلَى أَعَالِيهِ حَتَّى نَالَ مِنْهُ قَدِيمَهُ وَالْجَدِيدَا
أَنْجَبَتْهُ أَصُولُ «نَخْلَةٍ» حَتَّى أَطْلَعَتْهُ لِلْمَجْدِ طَلْعَا نَضِيدَا (٢)
فَمَا فِي بَوَاسِقِ الْمَجْدِ فَرْدَا مُسْتَظِلًّا مِنْهُمْ ظِلًّا مَدِيدَا (٣)

• • •

كَانَ شَهْمًا إِنْ جِئْتَهُ فِي الْمِلْمَا تِ وَقِيدَا أُؤَيَّتَ رَكْنَا شَدِيدَا (٤)
وَشَجَاعًا إِنْ جِئْتَهُ يَوْمَ هَيْجٍ تَلَقَّى فِي الْهَيْجِ بُهْمَةً صَنِيدَا (٥)
وَكَرِيمًا زَكَتْ سَجَايَاهُ حَتَّى كَانَ بَدْعًا فِي الْمُسْكِرُمَاتِ فَرِيدَا (٦)
وَفَصِيحًا إِنْ أَنْشَدَ الْقَوْمُ شِعْرًا كَانَ فِي الشَّعْرِ مُفْلِقًا وَمُجِيدَا (٧)
كَانَ أَطْرُوقَةَ الزَّمَانِ ظَرِيقًا فَكَبَّهَا مَازِحًا رَقِيقًا سَدِيدَا
رِقَّةً فَاقَتْ النَّسِيمَ إِلَى شَدَّةِ بِأَسْ تَقَتَّتْ الْجُلُودَا
إِنْ شَدَا بِالْقَرَبِضِ لَمْ تُبْصِرِ الْأَدَّ مَعَ إِلَّا مُسْتَحْضِنَا مُسْتَفِيدَا
سَادَ فِي النَّاسِ يَافِعًا ثُمَّ كَهَلَا ثُمَّ شَيْخَا فِي التَّجَرُّبَاتِ عَمِيدَا (٨)
جُبَّتْ نَفْسُهُ عَلَى الْخَيْرِ حَتَّى لَمْ نَجِدْهُ إِلَّا لَخِيرَ مَرِيدَا
بَلَغَ الْمُنْتَهَى مِنَ الْمَجْدِ حَتَّى لَيْسَ فِي الْمُسْتَطَاعِ أَنْ يَسْتَزِيدَا

(١) تبوع المجد : مد باعه إليه .

(٢) اطلع : الثمر . والتنضيد : المنضد النظام .

(٣) ابواسق : جمع باسقة ، ومعى العالية .

(٤) الوقيد : الشديد المرض ، المشرف على الموت .

(٥) الهيج : الحرب . والبهمة : الشجاع الذى لا يعرف قرنه من أين يتغلب عليه . والصنديد : السيد الشجاع .

(٦) البدع : الفريد الذى لا مثيل له .

(٧) الشاعر المفلح : البدع .

(٨) عميد القوم : سيدهم وسندهم .

ياسـليلَ الفقيدَ أعظمَ بمجد
أنا شاطرتك الأسى بدموع
قد رُزئناه في أهلك مجيدا
كنّ للحزن في القواد وقودا
خلفنا للفقيد ضاهى الفقيدا^(١)
قادرا باجتهاده أن يسودا
فلـمـذا أقول قول مُعزّ
يا أمين الرشيد أودعك الوا
لـك يرجو عمرا طويلا سعيدا
لـدُ مجدا في الماجدين تليدا
كيف لا نرتجى وأنت أمين
إن يكن مُبدئين آباؤك النـرُ فكن أنت يا أمين مُعيدا

في يوم أبي غازى

الحريّة العصاة التي ألفها شاعر العرب الكبير
الأستاذ معروف الرصافي في حفلة تأبين فقيد العرب العظيم
المنفور له الملك فيصل الأول ، طيب الله ثراه :

أبو غازى قضى فأقيم غازى
وأطلقنا المدايح والمرائى
فأنطقنا التهنات والتعازى
بإنشاء هن وبارتجازى^(٢)
وجئنا حاشدين بصدر يوم
غداة قلوبنا امتلأت سرورا
وحننا يجريان على التوازي
خوافق في جوانحنا نوازي^(٣)
فكن من ابتهاج في هدوء
وكن من احتياج في اهتزاز

• • •

قضى بدر الكارم والمعالي
فيا لله يوم نعاها ناع
وحيدة المكارم والمعالي
لمرزة تحت كل المرازى

(٢) الارتجاز : قول الرجز .

(١) ضاهى : شاكل ومائل .

(٣) النوازي : المتوالية الخافقة .

رُزِقْنَا ابْنَ الْحُسَيْنِ فَنَحْنُ مِنْهُ بَرَزَ لِلْحُسَيْنِ أَوَّلُ اجْتِيَاذِ
فَمَا مَيَّزَ الْحَرَمَ مِنْ جَمَادِي بَفَرَقَ فِي الْبَكَاءِ وَلَا امْتِيَاذِ
لَهُ كَفٌّ تَقِيضُ نَدَى وَنَبَلَا لَهَا بِهِمَا غَنَى عَنْ حَذْوِ حَاذِي^(١)
بَنِي مَجْدَا عِرَاقِيًّا جَدِيدَا فَاسَّهَ عَلَى الْخِجْدِ الْحِجَاذِي
وَسَارَ مِنَ السِّيَاسَةِ فِي طَرِيقِ بِحَسَنِ الرَّأْيِ مُعَلِّمَةَ الطَّرَازِ
فَمَا تَرَكَ الْجَبُودَ بَلَا نَجَاحِ وَلَا فُرْصَا تَمُرُّ بَلَا انْتِهَاذِ
إِذَا اعْتَزَمَ الْأُمُورَ مَضَى وَأَمْضَى وَإِنْ سَلَ الْمُهَيَّدُ قَالَ مَازِ^(٢)

* * *

أَبَا غَازِي فَقَدْنَا مِنْكَ قَرَمَا يُنَاجِزُ دُونَنَا يَوْمَ النَّجَازِ^(٣)
حَلَّتْ مِنَ الْعِرَاقِ وَأَنْتَ رِكَزٌ بِحَيْثِ الْأَرْضِ جِمْدَةُ الرِّكَازِ^(٤)
فَخَلَّ الْيَمْنُ مِنْذُ حَلَّتْ فِيهِ وَقَبْلَا كَانَ عَنْهُ ذَا انْحِيَاذِ
تَقَدَّ وَفَقَّتْ بِالْقَلَمِ الْمَسْلَى كَمَا وَقَّتْ بِالسَّيْفِ الْجُرَازِ^(٥)
وَمَهَّدَتْ الْأُمُورَ لَنَا فَفَزْنَا مِنْ الْأَمَالِ بِالْعُرْرِ الْعِرَازِ
وَدَرَّتْ ذَاتَ أَيْدِينَا وَكَانَتْ كَحَلْبِ النُّوقِ أَيَّامَ الْغِرَازِ^(٦)
وَلَوْلَا سَعْيُكَ الْمَشْكُورُ كُنَا كَذِي سَقَرٍ يَسِيرُ بَلَا جَوَازِ
إِذَا الْمُكَاءُ أَوْقَى مِنْكَ حَظَا يَطِيرُ إِلَى الْعُلَى بِجَنَاحِ بَازِ^(٧)

* * *

(١) الحذو : الخفاكة .

(٢) المهيد : السيف من صنع الهند . وماز الشئ : قرزه عن غيره .

(٣) الغريم : السيد . ويناجز بقاتل .

(٤) الرِّكَز : الرجل الحكيم الكريم . والركاز : ما ركزه الله أى أحده ودفنه في المعادن من ذهب وفضة وغيرهما .

(٥) السيف الجراز : القاطع .

(٦) درب ذات يده : اتسعت حاله واغتنى . وأيام الغراز : التي لا لين فيها .

(٧) المكاء : طائر من القناير ، له تصبغ وهبوط في الجو ، أبيض اللون ، وله صغير حسن .

والبازي : من الطيور الجارحة .

لأهل الرافدين عليك حزن
فأنت هـدّيتهم سُبُل المعالي
لئن لبسوا الحداد عليك حزنا
وما هم بالبكاء جزوك شيئا
له بقلوبهم فضل ارتكاز
كما جَنَّبْتَهُمْ طَرَقَ المَجازي
فقد ألبستهم ثوب اعتراز
ولكن الإله هو المجازي

* * *

لقد قَوَّيْتَنَا مِنْ بَعْدِ عَجْزٍ
وكنا كالبُغَاثِ قَمِيتَ فِينَا
فنحن اليوم إِذْ دَهَمَتْ خُطُوبُ
نقوم إلى الهياج بلا تَوَانٍ
به كنا نَجِيْمُـدْ عَنِ الْبِرَازِ^(١)
بما صرنا به مثل البَوَازِي^(٢)
نظرنا للخطوب بطرف هَازِي
ونبتدر الأمور بلا احْتِرَازٍ
عَوَادِي ذَاتَ سَلْبٍ وَابْتِرَازٍ
عزائم للمكارم كلُّ عَازٍ
ونترك في مغارمنا التَّجَازِي
شكايتهم ————— بتضحية المَجازِ
أولو بأس يعرقب كل نَازٍ
نواصي جمعهم أَي اجْتِرَازٍ
فنحن بسيفك الماضي جَرَزْنَا

* * *

أَفِيضْ نَمِّ بَقَرِكَ مُسْتَرِيحَا
فإن الملك بعدك ملكٌ غَازِي

(١) البراز : المبارزة والقتال .

(٢) البُغَاث : طائرٌ أصغر من الرُحْم ، بطيء الضيق ، يضرب به المشي في الضعف .

ذكرى الكاظمي

أنددت في حفلة أقيمت في بغداد سنة ١٩٣٥ لتأبين
شاعر العراق الشيخ عبد المحسن الكاظمي وكان توفي بمصر

ليس في غاية الحياة البقاء فلذا خاب في الخلود الرجاء
غير أن الحياة بالعز عند الرجل الحر غاية غراء
أي فخر للناعمين بعيش لم تجلله عزّة قعساء
حسب من رام في الحياة خلوداً أنه بعد موته علواء^(١)
وكفى المرء بعد موت حياة أن ذكره حلوة حسناء
قد قضى الكاظمي وهو جدير أن تعزّي في موته الشعراء
عاش منسى عارفيه ولما مات فاضت بنعيه الأنباء
ذكرته نعاته بنعوت قبله حاز مثلها العطاء
فلئن كان ما يقولون حقا أفهم بالذي نسوا لؤماء
كيف ينسون في الحياة أديبا عبقر يا عنّت له الأدباء
أفئدسى حيا ويذكر ميتا إن هذا ما تنكر العقلاء
إن هذا أمر يتيه ضلالا في بوادي تفسيره الحكماء
ضحكوا منه في الحياة ومذ ما ت تعالى نحبيهم والبكاء
أيها النادبون :

أيها النادبون غيّر غرّوا برح اليوم لايب الخفاء^(٢)
يكرم الميت بالثناء وتحيا عندكم في المهانة الأحياء
كل من يخبر الأناس خبري لا يبالي أحسنوا أمام أساءوا
أنا جرّبتهم إلى أن تساوى إل يوم عندي سيئاتهم والثناء

(١) (علواء) : كذا رأيتهما في القصيدة بخط الشاعر نفسه ، ولم أقين المراد منها .

(٢) (برح الخفاء) : زال اليبس والتموض .

غَرِيَ النَّاسُ بِالْهَوَىٰ فَضَلَّالٌ كُلُّ مَا يَفْعَلُونَهُ أَوْ رِيَاءٌ ^(١)
 قَدْ تَمَادَى فِي الْقَاتِلِينَ غُلُوٌّ وَتَوَالَى فِي الْفَاعِلِينَ رِيَاءٌ
 أَيُّهَا الْكَاطِمِي نَمِّ مَسْتَرِيحًا حَيْثُ لَا مَبْغُضٌ وَلَا إِيْذَاءٌ
 عَشْتُ فِي مِصْرَ بِاحْتِرَامٍ يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ الْأُمَائِلُ الْفَضْلَاءُ
 إِنْ لِلنَّيْلِ مِنْ جَزَائِكَ شُكْرًا سَتُؤَدِّيهِ دَجَلَةُ اللِّسَانِ
 لَمْ تَعِشْ عَيْشَةَ الرِّفَاحِ وَلَكِنْ لَكَ فِي الْعَيْشِ عِزٌّ وَعِلَاءٌ
 أَيْ حَرٌّ فِي الشَّرْقِ عَاشَ سَعِيدًا لَمْ تَشَبْ صَفْوَةَ عَيْشِهِ الْأَقْدَاءُ
 وَهَنِيئًا إِذْ لَمْ تَعِشْ فِي الْعِرَاقِ—مِثْلَ مِثْلِكَ تَنْتَابُكَ الْأَرْزَاءُ
 مِنْ شَقَاءِ الْعِرَاقِ أَنْ ذَوِيَ النِّعَمِ—فِيهِ أَجَانِبٌ غُرَبَاءُ
 إِنْ جَفَّتْنَا بِلَادُنَا فَهِيَ حَبٌّ وَمِنْ الْحَبِّ يُسْتَلَذُّ الْجَفَاءُ ^(٢)
 لَمْ نَحُلْ عَنْ عَهْدِهَا مَذْجَفَّتْنَا بَلْ لَهَا الْوَدُّ عِنْدَنَا وَالْوَفَاءُ
 قَدْ بَكِينًا شَجَّوْا عَلَيْهَا وَمِنْهَا وَعَنَانًا سَقَامُهَا وَالشِّقَاءُ ^(٣)
 كَمْ أَرَدْنَا سَخَطًا عَلَيْهَا وَلَكِنْ غَلَبَ السَّخَطُ فِي الْقُلُوبِ الرِّضَاءُ
 إِنَّمَا هَـذِهِ الْمَوَاطِنُ أُمَّ مُسْتَحَقٌّ لَهَا عَلَيْنَا الْوَلَاءُ
 إِنْ خَدَمْنَا فَلَا نَرِيدُ جِزَاءً وَمِنْ الْأُمِّ هَلْ يُرَادُ جِزَاءُ

(١) غَرِيَ النَّاسُ بِالْهَوَىٰ : أولعوا به .

(٢) الْجَفَاءُ : الإعراض والغلظة .

(٣) شَجَّوْا : حزنوا . وَعَنَانًا : أغمنا وشغلنا .

رثاء شوقي شاعر مصر الأكبر

(أُلقيت في الحلقة التأيينية الكبرى في نابلس سنة ١٩٣٢)

الشعر بعد مصابه بكبيره	في مصر جل مصابه بأميره
بيناه يبكي حافظا بشقيقه	إذا به يبكي أحدا بزفيره
لم يقض بعض حداده لنصيره	حتى أحدا أسي لفقد مجيره
ما أن خبت في الأفق شعله نوره	حتى انطوت في الجولمة نوره
بالأمس ظل مرزاً بميينه	واليوم بات مفجعاً بمنيره
أخذت فرزدقه المنون وضاعفت	جلى مصيبته بأخذ جريره
رزآن ملتهبان قد نضحتهما	على إلهي من دمعها بغزيره
فالشعر بعدها استطال بكأوه	وتوجت بالحزن كل بحوره
وهزاره ترك الصداح وليته	أمنت أعاديه سماع زثيره

يانيرا فجع القريض بموته	فبكته عين وزينه وكسيره
وخلت سماء الشعر بعد أفوله	من مشرقات شموه وبدوره
ومؤمرا لم تنتفض بوفاته	في الشعر بيعته على تأميره
إذ لن يقوم نظيره من بعده	هيهات أن تأتي الدنى بنظيره
لاك في الخلود مكانة مانالها	فرعون في ديماسه وحفيره
إن الدفين مضمخا بمنوطه	دون الدفين محنطا بشعوره
إن المتوج فوق عرش ذكائه	يعلو المتوج فوق عرش سريره
بامات من تركت لنا أقلامه	صورا خوالد من بنات ضميره
صورا تمثل ذاته وصفاته	حتى يقمن لنا مقام نشوره
فكأنه وهو الدفين بقايره	حي يعيش بحزنه وسروره

وكانه في القوم ساعة حفاهم متكلم بنظمه — وشيره

* * *

وحى أتى من جبرئيل شعوره	لأبي على من قريحة شعره
بذكائه فأصاب ككشف ستوره	كم قد رمى الغيب الخفى فؤاده
كالصبح مفتلقا أوان ظهوره	وتصور المعنى الدقيق فرده
من وشى سندس لفظه وحريره	يأتيك بالمعنى الجميل قد اكتسى
إذ موت شوقي كان نفخة صوره	فالشعر قد دكت جبال فنونه
محتاجة الحيا إلى تفكيره	يا راحلا ترك القوافي بعده
يتطرب الأرواح لحن صريره	لهفى على ذيلك القلم الذى
فمن المسامر بعد فقد سميره ؟	الشعر كنت أميره وسميره
فبدت فنون الحق فى تحريره	حررته من رق كل تصنع
ليطيع غيرك قط فى تسخيره	سخرت من أوتاره ما لم يكن
ولكم صدحت بنعمة من زيره	ولكم شدوت بنعمة من بمة
طربا وليس يمل من تكريره	تمايل الأبدان فى إنشاده

o o o

أمر قضاء الله فى تقديره	يا أهل مصر عزاءكم فصابكم
ب وفاة سيده وموت أميره	الشعر قد ثلت بمصر عروشه
يتنازعان سبق فى تحبيره	علمان من أعلامه كانا به
والنيل مد أيننه بخريره	لكلبيها الهرمان قد خشعا أسى



نسائیات

المرأة في الشرق

ألا ما لأهل الشرق في برحاء^(١) يعيشون في ذُلٍّ به وشفاء^(٢)
لقد حكّموا العادات حتى غدت لهم بمنزلة الأقياد للأسراء^(٣)
إذا تختبرهم في الحياة تجد لهم حياة تخطت خطة السعداء
وما ذاك إلا أنهم في أمورهم أبوا أن يسيروا سيرة العقلاء
لقد غمطوا حق النساء فشدّوا عليهن في حبس وطول ثواء
وما ألزموهن الحجاب وأنكروا عليهن إلا خرّجته بغطاء
أضاقوا عليهن القضاء كأنهم يغارون من نورٍ به وهواء
قد انقبذوا عنهن في العيش جانباً فما هن في أمر من الخلطاء
وقد زعموا أن لسن يصلحن في الدنيا

لغير قرار في البيوت وباء^(٤)

فما هن إلا متعة من متاعهم وإن صنّ عن بيع لهم وشراء
أهانوا بهن الأمهات فأصبحوا بما فعلوا من الأُمّ اللؤماء
ولو أنهم أبقوا لهن كرامة لكانوا بما أبقوا من الكرماء
ألم ترهم أمسوا عبيدا لأنهم على الذل شبّوا في حجور إماء
وهان عليهم حين هانت نساؤهم تحمّل جور الساسة الغرباء
فيا قوم إن شئتم بقاء فنازعوا سواكم من الأقوام حبْل بقاء
أيسعد تحيّاكم بغير نسائكم وهل سعدت أرض بغير سماء
وما العار أن تبدو الفتاة بمسرح وتمثّل حالي عِزّة وإياء
ولكن عارا أن تزَيّا رجالكم على مسرح التمثيل زيّ نساء
أقول لأهل الشرق قول مؤلّب وإن كان قولي مُسَخِطاً السفهاء

(١) البرحاء : الشدة والأذى « أو الشر .

(٢) الأقياد : القيود .

(٣) الدنيا : جمع دنيا .

ألا إن داء الشرق في كبرائه
وأقبحُ جهل في بني الشرق أنهم
وأكبر مظلوم هو العلم عندهم
لو اقتصر أهل العلم للعلم منهم
ولاستأصل الموتُ الوحيُّ نفوسهم
ولكنَّ حنم الله أبى عليهم
لقد مزَّقوا أحكام كل ديانة
وما جعلوا الأديان إلا ذريعةً
فما علماء الجهل إلا مساقم
ألا يا شباب القوم إني إلى العلى
أما أن لا أوطان أن تنهضوا بها
فقد نَحَّ صوتي واستشاطت جوانحي
على أن لي فيكم رجاء وإن يكن
وما أنا في وادي الخيال بهائم

فبعُدًا لهم في الشرق من كبراء
يُسَمُّونَ أهلَ الجهل بالعلماء
فقد يدَّعيه أجملُ الجهلاء
لَصَبَّ عليهم منه سوطُ بلاء
ونادى عليهم مُؤَذِّنًا بفناء (١)
فعاشوا ولو في ذلة وشقاء
وخطوا لهم منها ثياب رياء
إلى كل شَغَب بينهم وعداء
رمت جهلاء العلم بالقوباء (٢)
لَدَاعٍ فهل مَنْ يَسْتَجِيبُ دعائي
لأدراكِ مجدٍ وابتغاءِ علاء
وقل اصطباري واستطال بكائي
من اليأس مسدودا طريق رجائي
وإن كنت معدودا من الشعراء



(١) الموت الوحي : السريح .

(٢) القوباء : داء معروف .

نساؤنا

إلى صاحبة مجلة الحدر

ألا خلياني في الكلام من السجع
وإن أنا أرسلت الحديث فأصغيا
فإني ما أطلعت شمس حقيقة
ولست أبالي بعد إفهام سامعي
وإني إذا قبلت رأساً ولم أجد
إذا كان علم الأصل عندي حاصلًا
فإن بان لي سير الكواكب لم أبال
شكوت إلى رب السموات أرضه
فقد جار في الأرض البسيطة خلقه
وإن السموات العلى لكثيرة
وإني لأشكو عادة في بلادنا
وذلك أنا لا تزال نساؤنا
وأكبر ما أشكو من القوم أنهم
أفى الشرع إعدام الحمامة ريشها
وقد أطلق الخلاق منها جناحها
فتلك التي ما زلت أبكي لأجلها
بكيت بلاد مع ومن كان حزنه
قيا ربة الحدر اسمعي ما أقوله

ولا تجريا في القول إلا على الطبع
وإلا فما يُجدي لسمعكما قرعى
لمستمع إلا لتغرب في السمع
أكان بخفض لفظ ما قلت أم رفع^(١)
به فضل عقل كان أجدر بالصفع
فقيم اهتمامي بعد ذلك بالفرع
أكان يجذب ذلك السير أم دفع
وما الأرض إلا من سماواته السبع
على خلقه جوراً إلى الحزن يستدعي
وإن لم نعد اليوم منها سوى تسع
رحى الدهر منها هضبة المجد بالصّدع
تعيش بجهل وانفصال عن الجمع
يعدون تشديد الحجاب من الشرع
وإسكانها فوق الغصون عن السجع
وعلمها كيف الوقوع على الزرع
بكاء إذا ما اشتد أدى إلى الصرع
شديداً بكى من غير صوت ولا دمع
لعل مقالى فيه شيء من النفع

(١) الخفض والرفع : من مصطلحات النحو . ومراد الشاعر أنه لا يتأنق ولا يهرب في عبارته .
وليس مراده أنه يجوز رفع المنصوب أو خفضه . ونصب المرفوع أو خفضه ، لأن ذلك لا يجوز
في الإنشاء الرفيع ، بل في كلام العوام .

أَيَابَنَةُ « فندى » إِنَّ لِلْمَجْدِ غَايَةً
وَإِنِّي أَرَى فِي الْقَوْمِ بَعْضَ خَيَالٍ
فَقَدْ لَا يُرَوِّينَا السَّحَابُ بِمَائِهِ
يَقُولُونَ لِي إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصٌ
فَأَنْكَرْتُ مَا قَالُوهُ وَالْعَقْلُ شَاهِدِي
إِذَا النَّخْلَةُ الْعَيْطَاءُ أَصْبَحَ طَلْعُهَا
وَلَكِنِ عَلَى الْجَذْعِ الَّذِي هُوَ نَابِتٌ
وَوَاللَّهِ مَا إِنْ ضَمْتُ دَرْعًا بِقَوْلِهِمْ
أَمْزَقَ دَعْوَاهُمْ إِذَا مَا طَعْنَتْهَا
أَلَا فَاصْدَعِي يَارَبَّةَ الْخَلْدِ الَّذِي
فَأَنْتِ مِثَالُ الْكَمَالِ الَّذِي حَوَى
أَدَامَكَ رَبُّ النَّاسِ لِلنَّاسِ حِجَّةً

وَإِنِّي فِي إِدْرَاكِهَا بِأَذَلِّ وَسْعَى
وَأَحْذَرُ مِنْ أَنْ يَنْقَشِعَنَّ بِلَا هَمٍّ (١)
وَإِنْ كَانَ فِيهِ الْبَرْقُ مُتَّصِلَ اللَّمَعِ
وَيُذْكَرُونَ فِيهَا هُمْ يَقُولُونَ بِالسَّمْعِ
وَمَا أَنَا فِي إِنْكَارِ ذَلِكَ بِالْبِدْعِ
ضَعِيفًا فَلَيْسَ اللَّوْمُ عِنْدِي عَلَى الطَّلَعِ (٢)
بِمَنْبَتِ سُوءِ قَالَتِ الْقَيْصَةُ فِي الْجَذْعِ
وَلَكِنَّمَا قَدْ ضَاقَ مِنْ فَعْلِهِمْ ذَرْعِي
وَلَوْ أَنَّهَا كَانَتْ مِنَ الدِّينِ فِي دِرْعِ
تَرَيْنَ مِنَ الْآرَاءِ فِي الرَّدِّ وَالرَّدْعِ
مَنْ الْعِلْمُ أَسْبَابًا تَجَلَّى عَنِ الْقَطْعِ
عَلَى مَنْ نَمَى نَقْصُ النِّسَاءِ إِلَى الطَّبْعِ

حرية الزواج عندنا

ظَلَمُوكَ أَيُّهَا الْفَتَاةُ بِجَهْلِهِمْ
طَمِعُوا بِوَفْرِ الْمَالِ مِنْهُ فَأَخْجَلُوا
أَفْكَوْكَبَ تَحْسِيقَارِنِ فِي الْوَرَى
فَإِذَا رَفَضْتِ فَمَا عَلَيْكَ بَرْفُضُهُ

إِذَا أَكْرَهُوكَ عَلَى الزَّوْاجِ بِأَشْيَبَا
بِفَضُولِ هَاتِيكَ الْمَطَامِعِ أَشْعَبَا (٣)
مَنْ سَعِدَ أَخْبِيَةِ الْعَوَانِي كَوَكْبَا
عَارٍ وَإِنْ هَاجَ الْوَلِيُّ وَأَغْضَبَا

(١) الخيال : جمع مخيلة ، وهي السحابة المبشرة بالخير ، ضربها مثلاً للصفات التي تنبئ عن حسن الاستعداد في الإنسان . والجمع : الإطمار .
(٢) العيطاء : المرتفعة . والطلع : الثمر .
(٣) وفر المال : المال الكثير . وأشعب : عرني يضرب به المثل في الطمع ، كان في عهد بني أمية .

إِنَّ الْكَرِيمَةَ فِي الزَّوْجِ لِحَرَّةٌ
 قَلْبُ الْفَتَاةِ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُشْتَرَى
 أَتُبَاعُ أَفْتَدَةُ النِّسَاءِ كَأَنَّهَا
 هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ يَا بِي مِثْلَهُ
 بَيْتُ الزَّوْجِ إِذَا بَنُوهُ مَجْدَدًا
 يَأْمَنُ يُسَاوِمُ فِي الْمُهْوَورِ مَغَالِيَا
 أَقْصِرْ فِكْمَ مِنْ حَرَّةٍ مُذًا نُزَلَتْ
 إِنْ الزَّوْجُ مَحَبَّةٌ فَإِذَا جَرَى
 لَا مَهْرَ لِلْحَسَنَاءِ إِلَّا حَبَّهَا
 خَيْرُ النِّسَاءِ أَقْلَهَا لَخَطِيبَهَا
 وَإِذَا الزَّوْجُ جَرَى بَغِيرَ تَعَارَفَ
 هُوَ عِنْدَنَا رَمَى الشَّيَاكُ بُلُجَّةً
 أَوْ مِثْلَ مُحْتَطَبٍ بَلِيلِ دَامِسٍ
 وَلَقَوْمَنَا فِي الشَّرْقِ حَالًا كَمَا
 تَرَكُوا النِّسَاءَ بِحَالَةٍ يَرْتِي لَهَا
 قَلَّ لِلْأَلَى ضَرْبُوا الْحِجَابَ عَلَى النِّسَاءِ
 شَرَفُ الْمَلِيحَةِ أَنْ تَكُونَ أَدِيبَةً
 وَالْوَجْهَ إِنْ كَانَ الْحَيَاءُ نِقَابَهُ
 وَاللَّوْمُ أَجْمَعُ أَنْ تَكُونَ نِسَاؤُنَا
 هَلْ يَعْلَمُ الشَّرْقُ أَنْ حَيَاتِهِ
 وَقَضَى لَهَا بِالْحَقِّ دُونَ تَحْكَمِ

وَالْحَرُّ يَا بِي أَنْ يَعِيشَ مُذَبِّدًا
 بِالْمَالِ لَكِنْ بِالْمَحَبَّةِ يُجْتَبَى^(١)
 بَعْضُ الْمَتَاعِ وَهَنْ فِي عَهْدِ الصَّبَا
 مِنْ عَاشَ ذَا شَرَفٍ وَكَانَ مَهْذَبًا
 بِالْمَالِ لَا بِالْحُبِّ عَادَ مَخْرَبًا
 وَيَعْمِلُ فِي أَمْرِ الزَّوْجِ إِلَى الْحَبَا^(٢)
 فِي مَنْزِلِ الرَّجُلِ الْغَنَى بِهَا نَبَاً
 بِسِوَى الْمَحَبَّةِ كَانَ شَيْئًا مَتَعْبًا
 فَبِحَبِّهَا كَانَ الْقِرَانُ مُحِبًّا
 مَهْرًا وَأَكْثَرَهَا إِلَيْهِ تَحِبًّا
 وَتَحَبَّبَ فَالْخَيْرُ أَنْ نَتَرَهَبًا
 أَتَصِيبُ أَخْبَثَ أَمْ تَصَادِفُ أَطْيَبَا
 أَيْدُوسُ أَفْعَى أَمْ يِلَامِسُ عَقْرَبَا^(٣)
 زِدْتُ افْتِكَارًا فِيهِ زِدْتُ تَعْجَبًا
 وَقَضَوْا عَلَيْهَا بِالْحِجَابِ تَعْصَبًا
 أَفَتَعْلَمُونَ بَمَا جَرَى تَحْتَ الْعَبَا^(٤)
 وَحِجَابُهَا فِي النَّاسِ أَنْ تَتَهَذَّبَا
 أَغْنَى فَتَاةَ الْحَيِّ أَنْ تَتَنَقَّبَا
 مِثْلَ التَّعَاجِ وَأَنْ نَكُونَ الْأَذْوَبَا
 تَعْلُو إِذَا رَبَّى الْبَنَاتِ وَهَذَّبَا
 فِيهَا وَعَالَمُهَا الْعُلُومُ وَأَدَّبَا

(٢) الحبا : المهر . وأصله : الحياء ، ممدود .

(١) يجتبي : يختار ويصطفى .

(٣) المختطب : جامع الخطب . والدامس : الشديد الظلمة .

(٤) العبا : أى العباءة .

فالشرق ليس بناهض إلا إذا أدنى النساء من الرجال وقربا
فإذا ادّعت تقدما لرجالها جاء التأخر في النساء مكذبا
من أين ينهض قائما من نصفه يشكو السقام بقالج متوصبا^(١)
كيف البقاء له بغير تناسب والدهر خصص بالبقاء الأنسا
والشعر ليس بنافع إنشاده حتى يكون عن الحقيقة معربا
تلك الحقيقة للرجال أزفها ولها أقيم من القوافي موكبا

المرأة المسلمة

لم أر بين الناس ذا مظلمة أحق بالرحمة من مسلمة^(٢)
منقوصة حتى بميراثها محجوبة حتى عن المكرمه
قد جعلوا الجهل صوانا لها من كل ما يدعو إلى المأثمه^(٣)
والعلم أعلى رتبة عندهم من أن تلقاه وأن تعلمه^(٤)
ما تصنع المرأة محبوسة في بيتها إن أصبحت مُعْدِمه
ضاقت بها العيشة إذ دونها سدت جميع الطرقي المعلمه

• • •

كم في بيوت القوم من حرة تبكي من البؤس بعيني أمه
قد لوحت نار الطوى وجهها وأعمل الفقر به ميسمه^(٥)
عاب عليها قومها ضله أن تكسب القوت وأن تطعمه^(٦)

(١) السقام : المرض . والفالج : الشلل يصيب نصف الانسان طولا . والمتوصب : المريض .

(٢) المظلمة بكسر اللام : ما يطلبه المظلوم عند الظالم .

(٣) الصوان : بتثنية الصاد : ما يسان به الشيء ويحفظ .

(٤) من أن تلقاه ، بتشديد القاف : أصله تتلقاه ، حذف منه إحدى التامين .

(٥) الطوى : الجوع . ولوحت نار الطوى وجهها : أى غبرته وسفغته . والميسم : المسكوة .

وهى حديدة يكوى بها .

(٦) ضلة ، بالكسر : وهى مفعول مطلق ، أى عيب ضلة ، والواو فى قوله « وأن تطعمه »

معنى « ، وليست بعاطفة ، لأنهم لا يعيرون عليها أن تطعم القوت » .

من أى وجهٍ تبتغى رزقها وطرقها بالجهل مُستبهمه
وكيف والقوم رأوا سعيها في طلب الرزق من الملامه

■ ○ ○

وكم فتاة فتت بعلمها من بعد ما قد ولدت توءمه (١)
فانقطعت في العيش أسباها وأصبحت للبؤس مُستسلمه
تبيت لمحمد لفرط الجوى لا قر الليل ولا أنجمه
من حيث لا تملك من دهرها ما جل أو دق ونو يمسسه
جف على مرضعها ثديها فاضطرها ذلك أن تقطعه (٢)
فعاش عيش الأم لم يؤفه تلبسه الدهر ولا مطعمه
فشب منهوك القوى مثلها يشكو من الدهر الذى أئتمه (٣)

○ ○ ■

فهذه حالة نسواننا وهى لعمري حالة مؤله
ما هكنا يا قوم ما هكنا يأمرنا الإسلام فى المسلمه
فهل بكم من راحم للنسا فمن أولى الناس بالمرحمة (٤)



-
- (١) التوءمة : مؤنث التوعم ، وهو المولود مع غيره فى بطن .
(٢) على مرضعها ، بصيغة المفعول : أى على طفلها المرضع . وقوله فاضطرها ذلك : أى فاضطرها جفاف ثديها .
(٣) منهوك القوى : أى خسر القوى ، هزى بلاضينا .
(٤) فهل بكم : أى فهل فيكم ؟ غالباء لالظرفية بمعنى فى .

التربية والأمهات (*)

هي الأخلاق تنبت كالنبات
تقوم إذا تعهد لها المربي
وتسمو للمكارم باتساق
تُنْعَش من صميم المجد رُوحاً
ولم أرَ للخلاق من محل
فحِضْنَ الأم مدرسة تسامت
وأخلاق الوليد تقاس حسناً
وليس ربيب عالية المزاي
وليس النبت ينبت في جنان

إذا سُقِيَتْ بماء المَكْرُماتِ
على ساق الفضيلة مُثْمِرَاتِ
كما اتَّسَقَتْ أنابيبُ القنَّاةِ^(١)
بأزهار لها مُتَضَوِّعَاتِ
يُهْدِيهَا كحِضْنِ الأمهاتِ
بتربية البنين أو البناتِ
بأخلاق النساءِ والوالداتِ
كمثل ربيب سافلة الصفاتِ
كمثل النبت ينبت في القنَّاةِ

فيا صدر الفتاة رَحِبَتْ صدرا
نراك إذا ضممتَ الطفلَ لَوْحاً
إذا استند الوليدُ عليك لاحتُ
لأخلاق الصبي بك انعكاس
وما خَرَبَانُ قلبك غير درس
فأول درس تهذيب السَّجَايا
فكيف نظنُّ بالأبناء خيراً
وهل يُرَجَى لأطفالٍ كمالُ
ما للأمهات جهان حتى

فأنت مَقَرُّ أسنى العاطفاتِ
يفوق جميع ألواح الحياةِ
تصاويرُ الحنانِ مصوَّراتِ
كما انعكس الخيالُ على المِراةِ
لتلقينِ الخصالِ الفاضلاتِ
يكون عليك يا صدر الفتاةِ
إذا نشئوا بحضن الجاهلاتِ
إذا ارتضعوا ثُدَيَّ الناقصاتِ
أتين بكل طيَّاشِ الحِصاةِ^(٢)

(*) من الديوان الأول .
(١) القنَّاة : النرجس وكل عصا مستوية .
(٢) الطيَّاش : الذي لا يقصد وجهاً واحداً لحفة عقله . والحِصاة : العقل والرائى ، يقال فلا
دو حِصاة ، أى هو وقور . وماله حِصاة ولا أساة : أى رزانة . قال كعب بن سعد الفهري :
وإن لسان المرأة ما لم تمكن له حِصاة على عورانه لدليل

حَنَوْنَ عَلَى الرُّضِيعِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَاعَ حُنُوءُ تِلْكَ الْمَرْضَعَاتِ

* * *

أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ نَشْكُو	مَصِيبَتَنَا بِجَهْلِ الْمُؤْمِنَاتِ
فَتِلْكَ مَصِيبَةٌ يَا أُمَّ مِنْهَا	« نَكَادُ نَغْصَّ بِالْمَاءِ الْفِرَاتِ »
تَحِذُنَا بِعَدِّكَ الْعَادَاتِ دِينَا	فَأَشَقَّى الْمَسْلُومُونَ الْمَسْلَمَاتِ
فَقَدْ سَلَكَوا بِهِنَّ سَبِيلَ خُسْرٍ	وَصَدَّوهُنَّ عَنْ سَبِيلِ الْحَيَاةِ
بِحَيْثُ لَزِمْنَ قَعَرَ الْبَيْتِ حَتَّى	نَزَلْنَ بِهِ بِمَنْزِلَةِ الْأَدَاةِ ^(١)
وَعَدَّوهُنَّ أَوْعَفَ مِنْ ذَبَابٍ	بِلَا جَنَاحٍ وَأَهْوَنَ مِنْ شَذَاةٍ ^(٢)
وَقَالُوا شِرْعَةُ الْإِسْلَامِ تَقْضِي	بِتَفْصِيلِ «الَّذِينَ» عَلَى «الْمُلُوتِ»
وَقَالُوا إِنْ مَعْنَى الْعِلْمِ شَيْءٌ	تَضِيقُ بِهِ صُدُورُ الْغَانِيَاتِ
وَقَالُوا الْجَاهِلَاتِ أَعَفُّ نَفْسًا	عَنِ الْفَحْشَا مِنْ الْمُتَعَلِّمَاتِ
تَقْدَرُ كَذِبُوا عَلَى الْإِسْلَامِ كَذِبًا	تَزُولُ السُّمُّ مِنْهُ مُزَلَّزَلَاتِ
أَلَيْسَ الْعِلْمُ فِي الْإِسْلَامِ قَرَضًا	عَلَى أَبْنَائِهِ وَعَلَى الْبَنَاتِ
وَكُنْتَ أَمْنَا فِي الْعِلْمِ بِحَرًّا	تَحِلُّ لِسَائِلِهَا الْمَشْكَلاتِ
وَعَلَّمْنَا النَّبِيَّ أَجَلَّ عِلْمٍ	فَكَانَتْ مِنْ أَجَلِّ الْعَلَمَاتِ
لِذَا قَالَ ارْجِعُوا أَبَدًا إِلَيْهَا	بِثَلْثِي دِينِكُمْ ذِي الْيَمِينَاتِ
وَكَانَ الْعِلْمُ تَلْقِينًا فَأَمْسَى	يُحْصَلُ بِانْتِيَابِ الْمَدْرَسَاتِ ^(٣)
وَبِالتَّمَرُّيرِ مِنْ كُتُبِ ضَخَامٍ	وَبِالْقَلَمِ الْمَمْدِّ مِنَ الدَّوَاةِ
أَلَمْ نَرَ فِي الْحَسَنِ الْعِيدِ قَبْلًا	أَوَانَسَ كَاتِبَاتِ شَاعِرَاتِ

(١) الأداة : الآلة ، يريد بها ما يستعمل في البيوت كالآنية . والشاعر يقرع بذلك بعض من لا أخلاق لهم . ممن أضاعوا حقوق المرأة ، وسلبوها ما منحها الله من المقام السامي . غير ناظرين إلى ما ورد فيها من الآيات والأحاديث انفاضية بتكريمها ، وجعلها مساوية للرجل ، وجعله قواما عليها بواسطة .

(٢) لشذاة : كسر العود .

(٣) هذا البيت وما بعده جواب لا اعتراض مقدر ، تقديره أن الذي لم يعلم عائشة العلم بطريق تعليمها القراءة والكتابة ، بل بطريق التلقين .

وقد كانت نساء القوم قديماً
يكنن لهم على الأعداء عوناً
وكم منهن من أسرت وذات
فماذا اليوم ضرر لو التفتنا
فهم ساروا بنسج هدى وسرنا
نرى جيل الفتاة لها عفافاً
ونحنقر الحلائل لا لجرم
ونلزمهن قبر البيت قبراً
أين وأدوا البنات فقد قبرنا
حجبناهن عن طاب المآلى
ولو عدت طباع القوم لوئماً
وتهذيب الرجال أجل شرط
وما ضرر الصفة كشف وجه
فدى للحلائل الأعراب نفسى
فكم برزت بحيمهم الغوانى
وكم خشف بمرتبهم وظى
ولولا الجمل ثم لقلت مريحى

يرحن إلى الحروب مع الغزاة^(١)
ويضمين الجروح الداميات
عذاب الهون فى أسر العداة
إلى أسلافنا بعض التفات
بمذبح التفرق والشئات
كأن الجهل حصن للفتاة
فتوذهين أنواع الأداة^(٢)
ونحسبن فيه من الهنات^(٣)
جميع نساينا قبل الممات^(٤)
فمشن بجهلن مهتكات
لما غدت النساء محجبات^(٥)
لجعل نسايم متهذبات
بدا بين الأعفاء الأباة
وإن وصفوا لدينا بالجفاة
حواسر غير ما متربات
يمر مع الجداية والمهابة^(٦)
لمن ألقوا البدأة فى القلاة^(٧)

(١) أراد بهن البيت وما بهن إمامة الدليل على عدم الحجاب فى صدر الاسلام .

(٢) الحلائل : الزوجات .

(٣) الهن : كناية عن كل اسم جنس ، ومعناه شىء . ومؤنثه هنة ، وجدها هنوات وهنات .
يريد بذلك أننا نحسب المرأة من جهلنا شيئاً من أشياء البيت .

(٤) رآد البت : دفنها حية .

(٥) السبب فى تحجب النساء : فساد طباع الناس ، فلو تجردوا عن أوم الطبيعة لأبيح للمرأة كشف وجهها ، كما كانت فى زمن النبی وأصحابه .

(٦) الخشف : انطوى . الجداية والمهابة : التزلة . وفى الكلام مجاز لا يحق .

(٧) ثم : هناك . مريحى : كلمة يقال عند إصابة الشىء ، كما أن مريحى يقال عند الخطأ فيه .

المهجورة

أو مشهد الحسد في الحزن

وبيضاء أغناها عن الحلى ثغرُها بسِطَيْن من درٍ مُضيئين في الثغرِ ^(١)
إذا ابتسمت في ظلمة اليأس أشرفاً فمدنا من الآمال في أنجم زهر
نرى وجهها بدرأً محاطاً من السنّا بصبيحين من ثغر وضيء ومن نحر
يذكرني من مطلع الشمس شعرُها ذوائب ترُخى من أشعثها الصفر



كشفت به ما كان من حجب العسى . . .

ترأيت فأما نفسها فخرينة وأما محياها فكالكوكب الدرّي
بدت في حِدادِ ترسل الطرفَ وانيّا يفضّ على وجدٍ ويُفتح عن سحر
رأيت بها بدرًا تردي دُجّة غداة أميط السّجف من جانب الخدر ^(٢)
فكانت لها سودُ الجلايب حليّة ولا عجب أن اللّجى من حلي البدر
تبسم حيناً ثم تجشّش للبكا فمن لؤلؤ تبدي ومن لؤلؤ تدرى ^(٣)

(١) السبط : العقد . (٢) الدجّة : الظلمة . (٣) أذرى الدمع : أسقطه .

كَانَ تَلَامِيحَ الْأَسَى فِي جَبِينِهَا
 وَكَمْ أَبْصُرْتُ عَيْنَايَ لَمَّا تَنَهَّدْتُ
 فَقَدْ كَانَ مِنْهَا الصَّدْرُ يَمْلُو وَيَرْتَمِي
 وَمَا شَجَا نَفْسِي ذُبُولُ بَخْدِهَا
 وَلَمَّا انْقَضَى صَبْرِي وَقَفْتُ تَجَاهِهَا
 فَقَالَتْ وَقَدْ أَقَلْتُ عَلَى الصَّدْرِ كَفَّهَا
 لَيْسَ الْخَيْرُ مِنْ حُرٍّ يَسْأَلُ حَرَةً
 سَقَانِي بِكَأْسِ الْحُبِّ حَتَّى شَرِبْتُهَا
 فَلَمَّا رَأَيْتَنِي قَدْ مَسَكِرْتُ بِحَبِّهِ
 أَلَا إِنَّ قَلْبِي الْيَوْمَ إِذْ مَسَّهُ الْجَوَى
 لِيَفْزِعَ مَنْ يَدَّعَى الْحُبَّ قَلْبَهُ
 عَلَى أَنْ قَلْبِي لَمْ يَعُدْ عَنْهُ صَابِرًا
 إِذَا أَشْرَقَتْ شَمْسِي تَنَاسَيْتُ ذِكْرَهُ
 وَإِنِّي عَلَى مَا نَابَنِي مِنْ جَفَائِهِ
 وَلَمَّا شَكْتُ لِي حُرُوقَةً فِي فَوَادِهَا
 أَرَى قَطْرَاتِ الدَّمْعِ فِي وَجَنَاتِهَا
 هُنَالِكَ أَتَمْتُ رَاحَتِيهَا بِوَجْهِهَا
 وَقَالَتْ وَقَدْ كَانَ النَشِيجُ يَصُدُّهَا
 سَاحِلُ مَا قَدْ حَمَلْتَنِي يَدُ الْمَوَى
 فَقُلْتُ أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِي يَدَا
 لَشَدَّدْتُ فِي زَجْرِ الْحَبِيبِ إِنْ جَفَوْا

بَقَايَا ظِلَامِ اللَّيْلِ فِي غُرَّةِ الْفَجْرِ
 تَمَوْجُ بَحْرِ الْحُبِّ مِنْ عَاصِفِ الْمَجَرِّ
 فَيَمِيعُ بِي شَجْوًا يَمُوجُ بِهِ صَدْرِي
 كَمَا ذَبَلْتُ فِي بَيْتِهَا بَاقَةُ الزَّهْرِ
 أَسْأَلُ عَمَّا نَابَ مِنْ نَوْبِ الدَّهْرِ
 تَشَدُّ ضُلُوعًا يَنْطَوِينَ عَلَى جَمْرِ
 شَكَّتْ هَجْرَ بَعْلٍ لَمْ يَكُنْ بِالْفَتَى الْحَرِّ
 وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْحُبَّ ضَرْبٌ مِنَ التَّخَمُرِ
 صَحَاقُ لَهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ أَصِحُّ مِنْ سَكْرِي
 وَإِذَا مَا لِي بَعْلِي فِي هَوَايَ إِلَى الْغَدْرِ
 كَمَا فُزِعَتْ قُمْرِيَّةُ الرُّوضِ مِنْ صَقْرِ
 أَلَا لَا أَمَالَ اللَّهُ قَلْبِي إِلَى الصَّبْرِ
 وَإِنْ جَنَّ لَيْلِي بَتُّ مِنْهُ عَلَى ذِكْرِي
 لِأَقْنَعُ مِنْهُ بِالْخِيَالِ الَّذِي يَسْرِي
 تَرْقُرُقُ دَمْعَ الْعَيْنِ فِي خَدَّهَا يَجْرِي
 فَأَحْسِبُهَا الْيَاقُوتَ رُصَّعَ بِالْدُرِّ
 تَكْفِكَفُ أَسْرَابًا مِنَ الدَّمْعِ بِالْعَشْرِ
 عَنِ الْقَوْلِ إِلَّا عَنِ كَلَامِهَا نَزَرُ
 مِنَ الْوَجْدِ حَتَّى يَحْمِلُونِي إِلَى الْقَبْرِ
 عَلَى كُلِّ حَكْمٍ جَاءَ مِنْ ظِلَامِ الدَّهْرِ
 وَعَاقِبَتُ مِنْهُمْ مَنْ يَمِيلُ إِلَى الْهَجْرِ

إلى الحجابيين

بمناسبة كتاب السفور والحجاب . للآنسة نظيرة زين الدين

قل للحجابيين كيف ترونكم
كشفتُ بهما كان من حجب العمى
سفرٌ أقام على السفور أدلةً
بالاجئين إلى العناد خصومةً
هل من نظير بينكم لنظيرة
هدمت نظيرة ما بنت عاداتكم
أفتمكثون على العناد وقد بدا
نحن السفوريين أعلم بالذي
أيكون ما شرع النبي محمد
إن اعزلكم النساء ترفعا
حتى رجال الصين تحترم النساء
كلًا ولكن عادةً همجية

من بعد سفر السفور مبين
عنكم «نظيرة» بنت «زين الدين»
تركت ذبابكم بغير طنين
ما كان حصن عنادكم بحصين
أو من فقيه مثلها وفطين^(١)
من كل سحن للنساء مهين
من بعد ليل الشك أصبح يقين
شرع النبي محمد من دين
شيئا يخالف شرعة التمدن
أمرٌ يناقض حكمة التكوين
أفنحن نقص عن رجال الصين
جعلتم حربا لكل حسين^(٢)

هو ان المرأة عندنا

ما أهون على ذكرنا
صعقت فحجتها البكاء لخصمها
هي متعة المستمعين وليتها
فوليها عند الدفاع يبيعها
وكلاهما متحكّم في أمرها

فلقد شجاني ذلها وخضوعها
وسلاحها عند الدفاع دموعها
كانت لزاما لا يجوز مبيعها
وحليها عند الطلاق يضييعها
هذا يعريها وذاك يجيعها

(٢) الحسين : الحسن .

(١) الفطين : صاحب الفطنة .

التاريخيات

ضلال التاريخ

أقول وطرفي في المحال مُحَدَّقٌ	أبا الدهر مَسَّ أم يَأْهْلِيهِ أَوْلَقُ ^(١)
أما لِغَفِيرِ الزَّمانِ مُنَسَّرٌ	فقد حار فيها الأَلَمَى المدَّقُّ ^(٢)
لقد خامرتني في الزمان وأهله	شُكوكٌ عليها يُعَذِّرُ المَزْدَقُ ^(٣)
أرى الدهرَ في أمرين يعمل دائماً	صَناعَ اليَدَيْنِ فيهما يَتَأَنَّقُ ^(٤)
يُجَدِّدُ للموتِ مَنَاقِبَ لم تكنْ	لديهم والأَحْيَاءُ يُبْلِي وَيُخْثِقُ ^(٥)
فكم من قبور عَظَمَ النَّاسُ أَهْلَهَا	بما لم يكن عند النِّهْيِ يَتَحَقِّقُ
ورُبَّ امرئٍ قد عاش يستقطرُ الثَّنا	فلما قَضَى سأل الثَّنا يَتَدَفَّقُ ^(٦)
سقى الدهرُ للأَمْواتِ غُرْسَ مَنَاقِبِ	بِمَنْ فُظِّلَ الغُرْسُ يَنمو فيبْسُقُ ^(٧)
أرى كل ميت ما تَقادِمَ عَهْدُهُ	تُقَامُ لَهُ سُوْقُ الثَّناء فَتَنفُقُ ^(٨)
فأقربُهم عَهْداً أَقْلُ غَضاضَةٍ	وأقدمهم عَهْداً أَغْضُ وَأَسْمَقُ ^(٩)
كَانَ كراماتِ الفَقِيدِ بَواسِقِ	يؤبَّرُها كَرَّ القُرُونِ فَتُعَذِّقُ ^(١٠)
إذا شَطَّ جيلٌ خط من جاء بعده	أَكاذِيبَ عَنْه بَالِثُناء تَرْوِقُ ^(١١)
فما كتب التاريخ في كل ماروتٍ	لَقَرَّائِها إِلَّا حَدِيثٌ مُلَقَّقُ ^(١٢)

(١) الأولي : الجنون .

(٢) لغيراء : تصغير لغز . والألمع والألمى : الذكي المتوقد .

(٣) خامرتني : داخلتني وذهبت إلي . والمزْدَق : من لا يؤمن بالآخرة ولا الربوبية .

(٤) رجل صنع اليدين وصناع اليدين : صانع اليدين : حاذق ماهر في العمل بهما .

(٥) مناقب : محامد . جمع منقبة .

(٦) يستقطر الثناء : يطلبه من الناس قطرة قطرة . وقضى : مات .

(٧) المين : الكذب . ويبسُق : من البسوق : أي يعلو ويطول في السماء ، كما تبسُق النخلة .

(٨) تنفق : تروج . وقوله « ما تقادم » ما هنا : زائدة لا نافية . لأن المعنى على النجفة بق ،

لا على النفي . يريد قد تقادم عهده .

(٩) الغضاضة : مصدر الغض ، وهو الطرى من النبات والجم ونحوها

(١٠) يؤبَّرُها : يلقحها ويصلحها . وتعذق : ثمر .

(١١) تروق : تخلط وتموه .

(١٢) ملقق : مصنوع من عناصر غير متجانسة ، فهو كذب .

نظرنا لأمر الحاضرين قرابتنا فكيف بأمر الغابرين نصدق^(١)
وما صدقتنا في الحقائق أعين فكيف إذن فيمن يصدق مرق^(٢)
وهل قد خصصنا دون من مات قبلنا
بحُبِّ السجايا ، شد ما نتحقق^(٣) !

• • •

لعمرك أقصاني الزمان المفرق فهل أنا من بعد التشاؤم معرق^(٤)
خليلى هل من بالرضافة عالم بأنى إلى من بالرضافة شيق^(٥)
بلاد إذا ما هبت الريح نحوها تمنيت لو أنى بها أتعلق
أبيت على شوق وقلبي موثق بهمي ودمعي فوق خدي مطلق
إذا ما تذكرت العجوز بكيتها بدمع به الأهداب تطفو وتغرق^(٦)
وما شرقي بالدمع يأم وحده ولكن بروحي عند ذكرك أشرق
ويهفو بقلبي الشوق حتى كأنما تحطفه من بين جنبي سودق^(٧)
فيا أم صبرا إن لابتك همة إلى الجد تري أو إلى الجد تسبق
تضايق عنها الدهر مستظما لها وأهلوه عنها يا أميمة أضيّق^(٨)
أكلف منها الدهر ما لا يطيقه فليس بعسار أنى فيه تخفق
لقد صغرت بغداد عن أن تضمها وما وسعتها بعد بغداد جلق^(٩)

(١) يقول : إذا قسنا أمر الماضين على ما نشاهده بأعيننا ، ضاعت الثقة بالتاريخ ، لأننا نرى بأعيننا أمورا لا يصدق التاريخ في ذكرها .
(٢) المهرق : نوع خاص من الصحف . كانوا يكتبون عليه كتب المعاهدات ونحوها .
(٣) شد ما نتحقق : ما أشد حماقتنا !
(٤) التشاؤم هنا : الذهاب إلى الشأم . ومعرق : داخل العراق . ويقال أشأم : فهو مشم ، وأعرق فهو معرق .

(٥) شيق : مشتاق .

(٦) يريد بالعجوز أمه .

(٧) هنا بقلبه الشوق : ذهب به . والسودق : الصقر أو الشاهين .

(٨) صغر لفظ أم ، لظننا وتحننا إليها . (٩) جلق : دمشق .

ومنها :

أبت كتب التاريخ للحق ملتقى
فإن شرفت في الحق فهو مغرب
تجور بها الأهواء جوراً وإنما
فيأيها التاريخ أغرق مغالياً
قتلت الوري خبراً فليس بخادعي
ولي في بني الدنيا حصاة رزينة
ومنها :

هذا ذيك لا تحفل مقال مؤرخ
كذاب على وجه الطروس مسطر
فدع عنك لغو الناطقين وخذ بما
فإن ذكروا النعمان يوماً فلا تشق
فأصدق منهم في المسمع لهجة
تنورت وجه الحق في ظلماتهم
ملككت من الدنيا حقيقة أهلها
ولا يستفزنك الكلام المشقق^(٦)
يخص به العقل السليم ويشرق
رواه من الآثار ما ليس ينطق^(٧)
بأكثر مما قال عنه الخورنق^(٨)
ضفادع في المستنقعات تنطق^(٩)
فلم أر نوراً غير ذا يتألق
وإني على الدنيا بها أتصدق

- (١) الموبق : الحاجز بين الشيعين .
(٢) زلقت الرجل : دبت وسقطت .
(٣) أغرق في الشيء : أعمق فيه وأبعد . والمبالغة في الشيء . يقول مخاطباً التاريخ :
قد عرفناك مغالياً في تقدير الأشياء ، فلا يهمننا ما تقول ما دمتا نعرف سجيبتك .
(٤) النظرية : التزيين والتجسين ، وهي بمعنى التمنيق .
(٥) حصاة : عقل . وتزق : تطيش وتضل .
(٦) هذا : أسرع ، وهذا ذيك : إسراعاً بعد إسراع ، وهو من المصادر المنصوبة مثل
حنانيك ، أي حنان بعد حنان . يقول أسرع ولا تلبث عند قراءة التاريخ ، فما يستحق أن يوقف
عنده . والسكلام المشقق : الفصيح الذي ذنب فيه القائل مذاهب التجمل والتجسين .
(٧) يريد لا تقول إلا على ما تنطق به شواهد الآثار الصامته .
(٨) الخورنق : من آثار ملوك الحيرة ، يريد لا تشق بأخبار الكتب ، وعول على ما ينطق به
البناء من عظمة صاحبه .
(٩) تنطق : تصوت .

جالينوس العرب أو أبو بكر الرازي (*)

أَلَا لَفَتَّةً مَنَّا إِلَى الزَّمَنِ الْخَالِي
تَلَوْنَا أَنَاسًا فِي الزَّمَانِ تَقَدَّمُوا
أَلَا فَادْكُرُوا يَا قَوْمَ أَرْبَعٍ مُّجْدِكُمْ
تَطَلَّبْتُمْ صَفْوَ الْحَيَاةِ وَأَنْتُمْ
رَمَا أَنْتُمْ إِلَّا كَسَكْرَانٍ طَافِحٍ
مَشَى بَارْتَعَاشٍ فِي الطَّرِيقِ فَتَارَةً
يَمُدُّ إِلَى الْجُدْرَانِ كَفَّ اسْتِنَادَهُ
وَيَنْفَتَحُ لِلطَّرَاقِ مُقَسِّمَةً حَانِقٍ

فَنَنْسِبُ مِنْ أَسْلَافِنَا كُلِّ مِفْضَالٍ^(١)
وَكَمْ عِبْرَةٌ فِيمَنْ تَقْبَسِدُمْ لِلتَّالِي^(٢)
فَقَدْ دَرَسْتُ إِلَّا بَقِيَّةَ أَطْلَالٍ^(٣)
بَجْهَلٍ ، وَهَلْ تَصْفُو الْحَيَاةُ لُجْهَالٍ ؟
تَحْسَى مِنْ الصَّبَاءِ عَشْرَةَ أَرْطَالٍ^(٤)
يَقُومُ وَأُخْرَى يَنْهَوِي فَوْقَ أَوْحَالٍ
فَتَقْذِفُهُ الْجُدْرَانُ قَذْفَةً إِذْلالٍ
فِيُخَمِّضُهَا خَزْيَانٌ عَنْ شَتَمِ عُدَالٍ

• • •

رَمَى الدَّهْرُ قَوْمِي بِالْخَمُولِ فَلَمَّعَتْهُمْ
فَهَاجَ الْبُكَاءُ يَأْسِي فَلَمَّا بَكَيْتَهُمْ
نَظَرْتُ إِلَى الْمَاضِي وَفِي الْعَيْنِ حُمْرَةٌ
فَشِمْتُ بِرُوقِ الْأَوَّلِينَ مَنِيرَةٌ
« تَنُورَتِهَا مِنْ أَذْرَعَاتِ وَأَهْلِهَا
وَأَوْسَعَتْهُمْ عَذْلًا فَلَمْ يُجِدِ تَعْدَالِي^(٥)
بِدَمْعِي حَتَّى بَلَ دَمْعِي سِرْبَالِي
كَأَنَّ عَلَى آمَاقِهَا نَضْحَ جِرْيَالٍ^(٦)
عَلَى أَفْقٍ مِنْ ذَلِكَ الزَّمَنِ الْخَالِي^(٧)
يَيْثُرُ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرَ عَالٍ^(٨) »

(*) من الديوان الأول .

(١) المِفْطحة : تمنى ما هو لاغير من غير أن تريد زواله عنه .

(٢) تَلَوْنَا : تبعنا .

(٣) الْأَرْبَع : الدِّيار . اندرست : انمجت . الأطلال : آثار الدِّيار .

(٤) تَحْسَى : شرب . الصَّبَاء : الخمر . (٥) العُدَال والتعدال : اللوم .

(٦) الآمَاق : جمع مَاق ، وهو طرف العين مما يلي الأنف ، وهو مجرى الدمع من العين .

النضح : رشاش الماء ونحوه . الجِرْيَال : صبغ أحمر .

(٧) شِمْتُ : نظرت . والشيم : هو النظر إلى البرق خاصة .

(٨) تَنُورَتِهَا : نبصرتها . أَذْرَعَات : بلد بالشام . يَثُرُ : اسم للمدينة ارسلوا صلى الله عليه وسلم .

أى نظرت إلى دارها وأنا بالشام وأهلها يَثُرُ . والمعنى أن إفراط الشوق يخيلها لى ، فكأننى =

وقلّبتُ طرفي في سماءِ رجالها
فأنت آثارا وهم سلك درّها
ولما طوّيتُ الدهر بيني وبينهم
قعدتُ بأوساط القرون فجاءني
فتى عاش أعمالا جساما وإنما
حكيمٌ رياضيٌ طيبٌ منجّمٌ
أتى فيلسوفا للنفوس مهذباً
لقد طبّب الأرواح من داء جهلها

وهم فوق عرشٍ للجلالة محلّال^(١)
وأبصرت أعمالا وهم جيدها الحالّ^(٢)
على بعد أزمان هناك وأجيال
«أبو بكر الرازي» فقامت لإجلال^(٣)
تقدر أعمار الرجال بأعمال
أديب وفي السكّياء حلالٌ إشكال
بأفضل أفعال وأحسن أقوال
كما طبّب الأجسام من كل إلال

مولده :

تولد عام الأربعين الذي انقضى
إلى زكريّا ينتمي ، إنه له
على حين كانت بلدة الريّ عادةً
مدارسُ بالشبان تزهو ودونها

لثالث قرْنٍ ذي مآثر أزوال^(٤)
أبٌ تاجرٌ في الريّ صاحب أموال^(٥)
إلى العلم تعطو جيدها غير معطال^(٦)
كتاتيب التعليم تزهو بأطفال

== أنظر إلى نازها . والبيت لامرئ القيس بن حجر الكندي ، من تصديده التي مضاعفها :
ألا عم صباها أيها الطلل البالي وهل بعين من كان في العصر الحالّ
وقد ضمنه شاعرنا .

(١) المحلل : المسكن الذي يحل كثيرا ، وهو صفة لعرش .
(٢) آنت : أبصرت . الجيد : العنق . الحالّ : المنحلي بالقلادة ونحوها .
(٣) هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الحكيم ، صاحب السكتب المصنفة ، مات بالري بعد
منصرفه من بغداد سنة ٣١١ .

(٤) أزوال : جمع زول ، وهو العجب ، ومنه (سير زول) أي عجيب في سرعته وخفته ،
وهذا (زول من الأزوال) : أي عجب من الأعجاب ، والعامّة عندنا تقول : زول ، بضم
الزاي ، وهو خطأ .

(٥) الري : مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن .
(٦) الغادة : المرأة الناعمة اللينة الأعطاف . تعطو : ترفع . المعطال : التي ليس في جيدها حلي .

بهاجُلْ درس القوم طِبَّ وحَكْمَةً وفلسفة فيها لهم أَى إِيغال^(١)
وكانت نفيسات الصنائع عندهم يحاولها ذو الفقر منهم وذو المال
وما كان هذا الحال في الرّى وحدها

بل الحال في البلدان طُرّاً كذا الحال
فإن هَدَى الإسلام أبهى فتوحه وأصلها للحد أحسن إيصال
وبدَل أبطال الحروب من الورى بأبطال عِلْم للجّهالة قُتال^(٢)
فدارت رحي تلك العلوم وقُطبها ببغداد مركز بربوة إجلال^(٣)
وكانت يد المأمون في ذاك أخجلت لسان العلى في شكره أَى إخبجال^(٤)
منشؤه :

تدرّج في تلك المدارس ناشئاً مترجماً يسعى بجدٍ وإقبال^(٥)
تعلم فنّ الصوت بادىء بدئه ومارس تفصيلاً به بعد إجمال
فكانت بموسيقى اللّحون دروسه تغنى بأهازج وتشدو بأرمال^(٦)
وقد جاوز العشرين سناً ولم يكن لشيء سوى فن الغناء بميال
فراهم أبوه منه تحويل عزمه يجذب إلى شغل التّجار وإدخال
فقال له دعنى مع العلم إنتى إذا ما أمتّ الجهل أحييت أمالى
وهل يستطيع المرء شغلاً إذا غدا له شاغل بالعلم عن كل أشغال

(١) الإيغال : مصدر أوغل في الشيء ، بمعنى أبعد في الذهاب فيه ، وبالغ ، وأسرع .

(٢) قتال : جمع قاتل .

(٣) الرحي : أصل معناها الطاحون . والقطب : حديدة في الطبقي الأسفل بدور عليها الطبقي الأعلى .

(٤) المأمون : هو عبد الله بن هرون الرشيد صاحب الأيادى البيض في نشر العلم وترجمة

السكتب العلمية باللغة العربية .

(٥) مترجماً : أى الذى نذكر ترجمته ، يعنى أبا بكر الرازى .

(٦) الإهازج : مصدر أهازج المثنى إذا أنى بالهزج ، وهو نوع من الأغاني ، فيه ترنم . وأهازج

الشاعر : نظم شعراً من الهزج ، وهو بحر من بحور الشعر ، وزنه « مفاعيلن » أربع مرات .

الأرمال : مصدر أرمال المثنى : إذا أتى بالرمال ، وهو لحن من ألحان الموسيقى .

هناك استقى الرازي من العلم شربة^(١) فجاد بإعلان له بعد إنهال^(٢)
 معنى معيه نحو التمسك بأوثان^(٣) بعلم ندى أهل التفلسف ذى بال
 وقد كان مفتاح العلوم تنفس^(٤) تفك به من جهلهم كل أغلال^(٥)
 فزاول أنواع العلوم تنقلا^(٦) بأبين أوضاع لها غير أغفال^(٧)
 انضا^(٨) فمة في العلم مشحودة الشبا

جلت ما لحرب الجليل من ليل قسطل^(٩)
 وقد أكل الطب المفيد قراءة^(١٠) على الطبرى الخبر أحسن إكمال^(١١)

سياحته :

ومذ جاوز الرازي الثلاثين واغتنى^(١٢) مدلا على أقرانه أى إدلال^(١٣)
 رأى من تمام العلم المرء أنه^(١٤) يسبح بضرب في البلاد ونحوال^(١٥)
 وما التمسك إلا بالسياحة إنها^(١٦) لمن عملوا في علمهم دمن أعمال
 فقام وشد الرحل والفرز وامتطى^(١٧) لقطع الفيافي متن هو جاء شمال^(١٨)
 فجاء بلاد الشام تورا وجازها^(١٩) إلى مصر في وخذ حثيث وإرقال^(٢٠)

(١) الإعالال : السقى بعد السقى . الإنهال : السقى الأول .

(٢) الأغلال : القيود .

(٣) الأوضاح : جمع وضوح ، وهو الضوء ، ورياض الصبح . الأغفال : جمع غفل ، وهو مالا علامة فيه توضحه وتبينه ، طريقا كان أو غيره .

(٤) انضا : جرد . مشحودة : مسنونة . الشبا : جمع شبة ، وهى حد السيف . القسطل : الغبار ، أو هو خاص بغبار الحرب .

(٥) الطبر : العالم .

(٦) أدل على أقرانه إدلالا ، فهو مدل ، بمعنى تاه عليهم وتعالى .

(٧) ضرب في البلاد : سافر .

(٨) الرحل : مركب البعير . الفرز : ركاب الرجل من جلد ، فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب ، امتطى : ركب . الفيافي : الأراضي المقفرة . متن : الظهر . الهو جاء : الناقة السريعة السير . الشمال : الناقة السريعة الخفيفة .

(٩) الوخذ : سير البعير السريع . حثيث : سريع . الإرقال : الإسراع ، أو هو نوع من سير الخب .

وخاض عُباب البحر للغرب قاصدا
ففيها اجتلاه العز مذلاح طالعا
وحلَّ حلول البدر في السعد نائلا
وهب هبوب الريح ثمة ذكره
وودَّعها من بعد ذلك راجعا
ومنها إلى بغداد سافر قاطعا
فألقى عصا التسيار من عرصاتها
وبغداد كانت وهي إذ ذاك جنة
كأن رجال العلم في عُرفاتها
فكم تحفل للكتب فيه خزانة
ولما غدا الرازي ببغداد باسطا
أقيمَ لمارستانها عن كفاية
فرتب مرضاه وأصلح شأنه
وظلَّ به يسعى طيبيا ممرضا

مواطن للإسلام لم يسألها السالى^(١)
لها كهلال يجتلى عند إهلال^(٢)
بقرطبة آباله ناعم البسال^(٣)
يطير على صيت من العلم جوال
إلى مصر لا توديع مستكره قال^(٤)
إليها الفلا ما بين حل وترحال
بمغرس عرفان ومنبت إفضال^(٥)
بها العلم أجرى منه أنهار سلسال^(٦)
بلابل تشدو غدوة بين أدغال^(٧)
وكم مرصد دان وكم مرقب عال^(٨)
من العلم أبواعا له ذات أطوال^(٩)
رئيسا بتطبيب وتدير أحوال
بما كان لم يخطر لسابق أجيال^(١٠)
ويبذل جهدا لم يكن فيه بالآلى^(١١)

(١) يريد بقوله مواطن للإسلام : بلاد الأندلس .

(٢) اجتلاه : نظر إليه .

(٣) قرطبة : مدينة عظيمة بالأندلس (أسبانيا) وسط بلادها ، وكانت سربرا للكهنة وقصبتها ، وبها كانت ملوك بني أمية ، ومدين الفضلاء ، ومنبع البلاء من ذلك الصقع ، بينها وبين البحر خمسة أيام . وقد خرج منها كثير من أهل العلم والفضل والأدب .

(٤) قال : مبعوض .

(٥) عرصاتها : ساحات ديارها .

(٦) السلسال : الماء العذب السهل الدخول في الحلق ، لغذوبته وصفاته .

(٧) الأدغال : جمع دغل ، وهو الشجر الكثير المتلف .

(٨) المراد بالمرصد والمرقب هنا : المسكان الذي ترصد فيه النجوم وترقب .

(٩) الأبواع : جمع باع ، وهو قدر المد التواضع ، ويكنى به عن الشرف والفضل ، كما هنا . ذات أطوال : ذات أفضال ، وهو جمع طويل .

(١٠) إن أبا بكر الرازي هو أول من وضع نظاما لتدبير المستشفيات وبنائها .

(١١) الآلى : المقصر .

وَيُلْقِي السِّرِّيَّاتِ وَهِيَ مَسَائِلُ لَدَى سُرُرِ الْمَرْضَى تُقَرَّرُ فِي الْحَالِ ^(١)
فَقَدْ كَانَ يَلْقِيهَا عَلَى الْقَوْمِ نَاطِقًا بِأَوْضَحِ تَبْيَانٍ وَأَحْسَنِ إِمْلَالٍ ^(٢)
مَآثِرُهُ الْعَلَمِيَّةُ :

تَقْدَرُ أَشْغَلُ الرَّازِي بِبَعْدَادَ شُغْلُهُ عَدَا الطَّبِّ فِي الْكِمِّيَّاءِ أَعْظَمُ إِشْغَالِ
فَقَضَى بِهَا أَيَّامَهُ فِي تَجَارِبِ وَوَاصِلِ أَبْكَارًا لَهْنًا بِأَصَالِ ^(٣)
فَلَقِبَ فِيهَا بِالْمُجَرَّبِ حَرَمَةً تَفَرَّدَ مَخْصُوصًا بِهَا بَيْنَ أَمْثَالِ
وَأَصْبَحَ مَشْهُورًا بِأَسْنَى مَآثِرِ مِنَ الْعِلْمِ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا وَأَعْمَالِ
فَإِنْ أَبَا بَكْرٍ لَأَوَّلُ مَفْصَحِ إِلَى النَّاسِ بِالدَّرْسِ السَّرِيرِيِّ مِقْوَالِ
وَأَوَّلُ مَنْ أَبْدَى لَهُمْ كَيْفَ يُبْتَنَى وَيُقَرَّشُ مَارِسَتَانِهِمْ قَصْدِ إِبْلَالِ ^(٤)
وَأَلَّفَ فِي الْمُسْتَشْفِيَّاتِ مُؤَلَّفًا تَقْصَى بِهِ فِي وَصْفِهَا دُونَ إِغْفَالِ ^(٥)
وَلَا تَنْسَ لِلرَّازِي الْكَجُولَ فَإِنَّهُ يَجِدُّ طَوْلَ الدَّهْرِ ذِكْرَاهُ فِي الْبَالِ
وَمَنْ عَمِلَ الرَّازِي انْعِقَادًا لِسَكَّرِ وَمَا كَانَ فِي مَحْصُولِهِ غَيْرَ سَيِّئَالِ
أَخْلَاقُهُ :

أَرَى الْعِلْمَ كَالْمَرْأَةِ يَصْدَأُ وَجْهَهُ وَلَيْسَ سِوَى حُسْنِ الْخُلَاقِ مِنْ رِجَالِ
أَخُو الْعِلْمِ لَا يَغْلُو عَلَى سُوءِ خُلُقِهِ وَذَوَا الْجَهْلِ إِنْ أَخْلَاقُهُ حَسُنَتْ ظَالِ ^(٦)
وَلَوْ وَازَنَ الْعِلْمُ الْجِبَالَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنُ خُلُقٍ لَمْ يَزِنْ وَزْنَ مِثْقَالِ

(١) سرر : جمع سرير .

(٢) الإملال : الإملاء يقال : أملت الكتاب على السكاتب إملالا ، وأملته إملاء .

(٣) الابكار : هو من طلوع الشمس إلى الضحى . الآصال : جمع أصيل ، وهو الوقت ما بين العصر إلى المغرب .

(٤) الإبلال : مصدر أبل المريض بمعنى شفى من مرضه .

(٥) تقصى المسألة : بالغ الغاية في البحث عنها .

(٦) يغلو : يكون غالبا . يقول : إن انعام النبي الأخلاق لا يعبا به ، ولا نكون قيمته غالية . والجاهل الحسن الأخلاق غال ، معبوه به ، لحسن أخلاقه .

وإن المساوى وهى فى خُلُقِ عالمٍ
ولكنما الرازى قد ازدان علمه
خلائق غرّة إن أردتُ بيانها
فتى كان مملوء الجوانح رحمة
يزور بيوت البائسين بنفسه
ويأتيهم بالمال والعلم مسعداً
وما كان يقنو المال إلا لبلذله
وكان حليف الجد لم يألُ جهده
فكم راح مخذولاً به متطبّب
وكان سليماً فى العقيدة قلبه
وخلّ تفاصيل الألى ينسبونه
عوده إلى الرى :

ولما قضى الرازى ببغداد برهةً
فلما أتت تلك البلاد غداً بها
وألف للمنصور إذ ذاك باسمه
ولم تصفُ للرازى أواخرُ عمره
فقد عميت عيناه من بعد واغتدى
مضى قافلاً لارى شوقاً إلى الآل^(٧)
طبيباً لدى المنصور صاحبها الوالى
كتاباً حوى فى الطب أحسن أقوال
وعاد أخاهم شديداً وبليال
يجول من الفقر الشديد بأسمال^(٨)

(١) الجوانح : الأضلاع تحت الثواب مما يلي الصدر ، كالضلوع مما يلي الظهر . الاقلال : الفقر .

(٢) الأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف .

(٣) يقنو : يقتنى .

(٤) الهزال : الكثير الهزل ، وهو ضد الجد .

(٥) الإلحاد : الطعن فى الدين ، والانحراف عنه . الختان : الخداع .

(٦) الزعيم : الميل ، وكثير استعماله فى الضلال ، وهو الميل عن الحق .

(٧) البرهة : قطعة من الزمان طويلة . واستعمالها لاقطعة القصيرة منه كما درج عليه الكتاب

اليوم خطأ محض . قافلاً : راجعاً . الآل : الأهل .

(٨) الأسمال : الثياب البالية .

وإن عِدَاءَ الدهر شِفْشِفَةٌ له يصول بها قهراً على كلِّ مفضال^(١)
وما انتهى نحر فلانين عمره قضى نحيبه من غير مال وأنسال^(٢)
ولكنه في الناس خلف بعده من العلم آثاراً قليلة أمثال
فكم كتب أبقى بها الذكر في الرى وألقها نسجاً على غير منوال
وما ضرَّ من أحيا له العلم بعده على الدهر ذكراً أنه مَيِّتٌ بال^(٣)
وإني وإن أطنبت في بحر علمه لمقتصرٌ منه على بعض أوशल^(٤)
وها أنا أنهي القول لا تمامه ولكن مجزئ عن نهوضٍ بأجبال^(٥)
وأجعل هذا الشعر مسكاً ختامه بما قال في بيتين معناهما حال
« لَعَمْرِي وما أدري وقد آذَنَ البالي
بعاجلٍ ترَّ حالٍ إلى أين ترَّ حالٍ »
« وأين محلُّ الروح بعدَ خروجها
من الهيكل المتحلِّ والجسد البالي »^(٦)

(١) الشِفْشِفَةُ : العادة والطبيعة .

(٢) أنسال : جمع نسل ، وهو الولد والذرية .

(٣) يقول : ماذا يضر الإنسان موته ويلاؤه إذا أحيا علمه له ذكراً خالداً مدى الدهر .

(٤) الأوشال : جمع وشل ، وهو في الأصل : الماء القليل يتصب من جبل أو شجرة ولا يتصل مطره ولا يكون إلا من أعلى الجبل .

(٥) الأحيال : جمع جبل .

(٦) الهيكل : يطلق على مكان ، منها الصورة والشخص .

الحرب في البحر (*)

أوقعة توشيا بين الروس واليابان

سَعَرَوْهَا فِي الْبَحْرِ حَرْبًا ضَرُوسًا تَأْكُلُ الْمَالُ نَارُهَا وَالنَّفُوسَا (١)
قُرْبَ «جُوشِيم» قَدِ تَصَادَمَ أُسْطُو لَانَ أَرْدَى الْيَابَانَ فِيهِ اَرُوسَا
يَوْمَ «طُوغُو» دَهَا بِأُسْطُولِهِ الرُّو سَ قَتَلًا وَكَانَ يَوْمًا عَبُوسَا
فَحْدَاهَا بَوَارِجًا تَمَلُّ الْبَحْرَ وَقَارَا طُورَا وَطُورَا بُوسَا (٢)
كُلَّ مَخَارِقَةٍ إِذَا حَرَّكَتْ دُفًّا عَمَّا خَضَخَضَتْ بِهِ اِنْقَامُوسَا (٣)
مَذَبَنَوْهَا لَهُمْ كَنِيْسَةً حَرْبٍ تَخَذَتْ كُلٌّ مِذْفَعٍ نَاقُوسَا
عَرْشٌ بَلْقَيْسٍ فِي الْمَنَاعَةِ لَكِنْ قَدْ حَكَتْ فِي احْتِشَامِهَا بَلْقَيْسَا
أَلْبَسُوعَا مِنَ الْحَدِيدِ وَشَا فَتَهَادَتِ عَلَى الْعِبَابِ عَرُومَا (٤)
وَإِذَا تَنَشَّرَ الْبَنُودُ بَنُودَ النَّصْرِ فِيهَا تَحَالُمَا الطَّلُوسَا
وَإِذَا جَنَّتْهَا عَلَى الْبَحْرِ لَيْلٌ أُطْلَعَ الْكُيُورُ بَاءَ فِيهَا شُمُوسَا (٥)
قَدْ أَبَى بِأَسْهَا الشَّدِيدُ سِوَى الْفَوْ لِأَذٍ دِرْعًا لَجْسَهَا وَلَبُوسَا
سَيَّرُوا الْبَرْقَ بَنِيْنَ رَسُولًا صَادِقًا لَيْسَ يَعْرِفُ التَّحْدِيلِسَا
فَبُهِوْ فِيهَا لِسَانُ صَدَقٍ يُؤَدِّي ذَوْنَ سِلَاقٍ كَلَامِهَا الْمَأْثُوسَا
إِنَّمَا سِنُّكَ الْأَثِيرَ الَّذِي رَا حَ بَطْنٌ أَهْتَازَهُ مَدُوسَا
جَمَّرَوْهَا مَدَافِعًا فَغَرَّتْ أَفْوَءَهُ نَارٌ قَدْ اِنْتَقَمْنَ الشُّوسَا (٦)

(١) من الكيوان الأول .

(٢) الضروس : المهلكة .

(٣) المدافع : التي العظيم يدافع به مثله ، وأراد به ما يكون في أواخر الباخرة ليندفعها لاسير ، وهو الذي تسميه العامة « الركن » . خضخضت : هيجت وحركت . القاموس : البحر ، ومعظمه ، ووسطه .

(٤) العباب : معظم الماء .

(٥) جنها : سترها .

(٦) فغرت : فتحت . الشوس : جمع شوس ، يطلق على الذي ينظر بمؤخر عينه تسكبرا أو تغيطا ، وعلى الجريء على القتال الشديد .

دَلَعْتُ ألسِنًا مِنَ النَّارِ مُخْمَرًا وَيَلَّ مِنْ قَدِ نَغْدَابِهَا مَلْحُوسًا
تَرْسِلُ الْمَوْتَ فِي قَنَابِلَ كَالشُّهْبِ ذَرِيْعًا مُسْتَأْصِلًا عِثْرِيْسًا^(١)
طَلَمًا بِانْفِجَارِهَا انْفَلَقَ الْبَحْرُ انْفِلَاقًا مَذَكَّرًا عَهْدَ مُوسَى

• • •

بَثَّ أَسْطُولَهُ فَلَبَّسَهُ « طَوْ » غَوْ « بِأَسْطُولِ خَصْمِهِ تَلْبِيْسًا
حَيْثُ قَدْ أَجْفَلْتَ مِنَ الْأَجْجِ الْحَيْسَمَانِ تَحْشَى مِنَ اللَّيْبِ مَسِيْسًا
وَعَلَا الْبَحْرَ مِكْفَهْرٌ غَمَامٍ مِنْ دُخَانِ هَمَى وَلَكِنْ بُوْسَى^(٢)
ثَارَ طَرَادُهُمْ بِمَجِيشِ بَنَسَا فَاتِ سُنَنِ لَهْمِ سَجَرَنَ الْوَطِيْسَا^(٣)
كَجِبَالٍ تَرَى الْبَرَائِكِينَ فِيهَا تَقْذِفُ الْمَوْتَ جَارِقًا وَالنَّحُوسَا
فَابَاحُوهُمْ هُنَالِكَ قَتْلًا وَاعْتَنَامًا نَفُوسَهُمْ وَالنَّفِيْسَا
فَسَلِ الْيَمَ كَمْ تَضُمَّنَ مِنْهُمْ مُغْرَقًا فِي عُبَابِهِ مَغْمُوسَا^(٤)
هَاجَوْهُمْ وَلِلْهِيَاجِ سَمِيرٍ مَلَأَتْ وَاسِعَ الْخَضَمِّ حَسِيْسَا^(٥)
فَكَسَوْهُمْ مِنَ الْهَوَاتِ لَبُوسَا وَسَقَوْهُمْ مِنَ الْاَمْنُونِ كُئُوسَا
صَرَعَتْ فِي الْوَغَى لُيُوثٌ مِنْ اِنْيَا بَانَ أَسْطُولَ خَصْمِهَا مَفْرُوسَا
فَأَتَتَصَوَّهَا عَزَائِمًا مَاضِيَاتٍ طَاطَأَ الرُّوسُ دُونَهُنَّ الرُّيُوسَا^(٦)
وَجَلَّوْهَا فِي الرُّوْحِ بِيضَ فِعَالٍ أَقْرَأَتْهُمْ كُتُبَ الْفَخَارِ دُرُوسَا
إِنْ يَوْمًا لَهْمُ تَقْضَى بِجُوشِيْمَا بِالذِّكْرِ زَانَ الطُّرُوسَا
بَاتِ « طَوْغُو » يَجْنِي الْأَمَانِي إِذَا بَا تَ قَنُوطًا عَدُوَّهُ وَيَتُوسَا

(١) الذريع : من الخيل الخفيف السير . والواسع الخطو . ويقال : موت ذريع : أى قاس .
وقتل ذريع : أى فظيع . استأصله : قلع أصله . واستأصل القوم : قطع أصلهم . العثريس :
من معانيه : الجبار الغضبان . والنول الذكر ، والداهية ، والضابط الشديد .

(٣) البوسى : ضد النعمى .

(٢) سجرن : أشعلن . الوطيس : التنور . يقال : حمى الوطيس ، كناية عن اشتداد الحرب .

(٤) اليم : البحر . (٥) الخضم : البحر .

(٦) اتقضى حسامه : جرده .

قائِد لم يَرِدْ لَظَى الحَرْبِ إِلَّا مُصْدِرًا رَأْيَهُ لَهَا جَاسُوسًا^(١)
 تَاهَ اسْطُولُهُ عَلَى الْيَمِّ عُجْبًا خَيْنَ أَضْحَى لَمَثَلِهِ مَرُءُوسًا^(٢)
 إِنْ شَهْمَا تَقَلَّدَ الْعَقْلَ سَيْفًا لَحْرَىُّ بَأْنَ يَكُونُ رُئِيسًا
 وَمَلِيكَاً وَلَى الْأُمُورَ ذَوِيهَا لَجْدِيرٍ بِمَلِكِهِ أَنْ يَسُوسَا
 وَسَلَّ الْبِرَّ عَنْهُمْ كَمْ سَعَوْا فِيهِ خَيْسًا عَرْمَرَمَا فُخْمِيسًا^(٣)
 رَجُلًا يَمْلَأُ الْفَضَاءَ وَخَيْلًا حَمَلَتْ لَوَغَى الْكُفَاةِ الشُّوسَا^(٤)
 صَوَّبُوهُمَا بِنَادِقًا تَطْلُقُ الْمَوْتَ رَصَاصًا بِهِ أَبَادُوا النُّفُوسَا
 هَكَذَا شَيَّدُوا بِنَاءَ الْمَعَالَى هَكَذَا أَحْسَنُوا لَهَا التَّاسِيسَا

(١) لظى الحرب : نازها :

(٢) الضمير في أضحى : عائد للأسطول . وفي مثله : راجع لطوغو .

(٣) الفخمس : الجيش . والعرمرم : الكثير .

(٤) الكفاة : جمع كفى « وهو الشجاع . والشوس : تقدم معناه .

هلاكو^(١) والمستعصم^(*)(٢)

هو الدهر لم يرحم إذا شدّ في حرب
يُزجر أحيانا ويضحك تارة
فلا هو في سلم فئامن بطشه
يسالم حتى تأخذ القوم غيرة
أرى الدهن كالميزان يصعد بالخصي
أدال من العرب الأعاجم بعدما
ولم أرَ للأيام أشنع سبة^(٨) .
ولم يتند إما تمخض بالخطب^(٣)
فيظهر في بُردين للجِد واللَّعب^(٤)
ولا هو في حرب فتعدّ للحرب
فيهم زحفا في زعازعه النكب^(٥)
ويهبط بالموزون ذو الثمن المرّبي^(٦)
أدال بني عباسها من بني حرب^(٧)
لعمرك من ملك العلوج على العرب^(٨)

(١) هلاكو : هو هلاكو خان الطاغية الملعون ابن طلو بن جنكيز خان ملك التتر ، الذي أسر المستعصم بالحديعة ، ثم قتله وامتلك بغداد . بعد أن قتل ما لا يحصى من العلماء والصلحاء وعامة الأهالي ، حتى فعل هو وجيوشه الجرارة الأفاعيل ، وضروب المنكر ، من قتل النساء والأطفال ، وشق بطون الحوامل ، وقتل الأجنّة ، وركوب الفواحش ، وقد دام القتل والنهب فيها أربعين يوما ، ثم نودي بالأمان . والتتر شعوب من الترك ، مساكنهم بلاد الصين ، مما وراء نهر سيحون ، وهم أمم كثيرة .

(*) من الديوان الأول .

(٢) المستعصم : هو آخر خلفاء بني العباس ؛ وكان ضعيف الرأي ، قد غلب عليه أمراء دولته ، لسوء تدبيره ، ولم تعلم كيفية قتل هلاكو له . وإنما يعلم أنه بعد أن انهزم جيش الخليفة ، خدع الخليفة بواسطة وزيره ابن العلقمي « مدعيا أنه إن خرج إلى هلاكو ، فإنه يبقيه في الخلافة ، يخرج لايه المستعصم ، في جمع من أكابر أصحابه ، وفيهم العلماء والأماثل ، والسادة والمدرسون ، فلما تكامل جميع قتلهم التتر عن آخرهم .

وابن العلقمي هذا وزير المستعصم : هو الذي كاتب هلاكو بأن يحضر ويفزو بغداد ، انتقاماً من الخليفة وابنه أبي بكر ؛ لسبب سبذكره في موضعه من القصيدة .

(٣) يتند : يتمهل : تمخض بالخطب : أتى به وأظهره ، كأنه من الخاض .

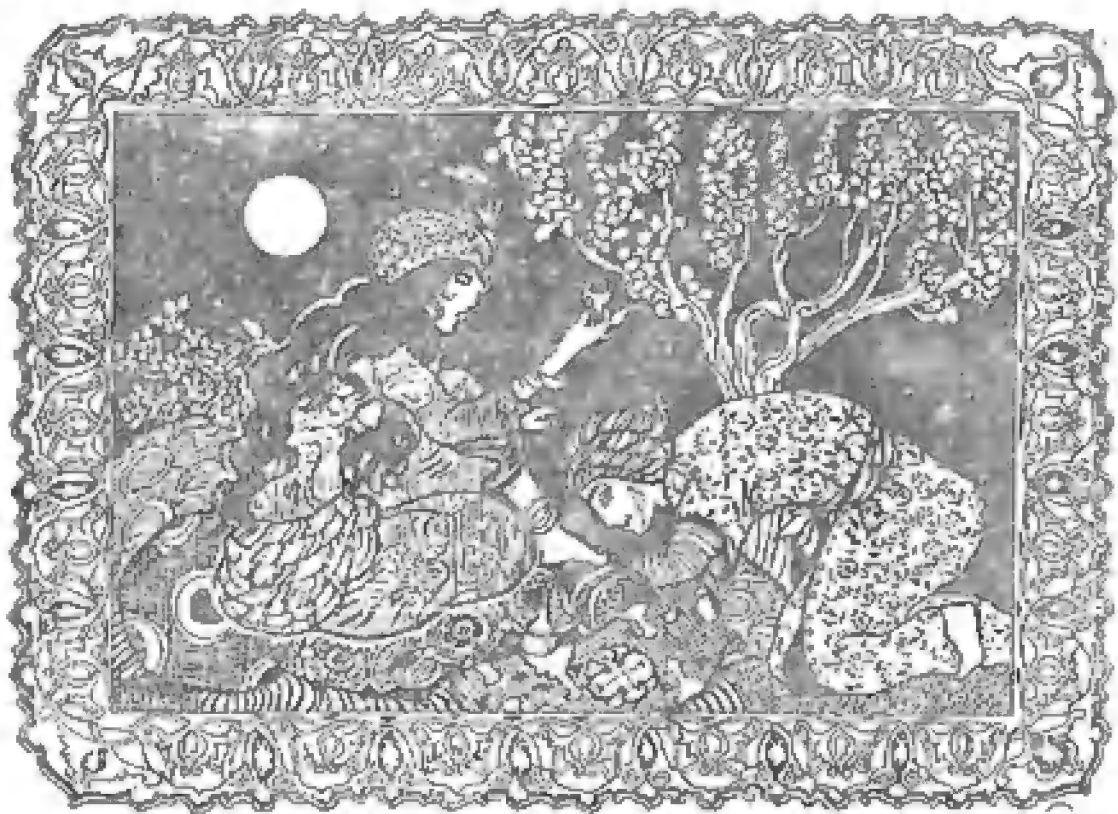
(٤) يزجر : يكثر الصخب والصياح والزجر . البرد : الثوب ...

(٥) غيرة : غفلة . الزعازع : الشدائد من الدهر . النكب : جمع نكباء « وهى ريج انحرفت عن مهاب الرياح » ووقعت بين ريحين ، أو بين العبا والشمال .

(٦) المرّبي : الرائد .

(٧) يقال : أدال الله بني فلان من عدوهم : أى جعل السكره لهم عليهم ؛ وأدال الله زينا من عمرو : أى نزع الدولة من زيد ، وجعلها إلى عمرو . والمراد بالأعاجم : هم التتر . بنو حرب : هم بنو أمية ، وقد انتصر العباسيون عليهم ، وانتزعوا الملك من أيديهم ، كما انتصر التتر على بني العباس ، وأخذوا الملك منهم .

(٨) السبة : العار . العلوج : جمع علج « وهو الرجل الضخم من كفار الأعاجم .



- صفت لبني العباس أخواضُ عزهم زمانا وعادت بعدُ مُخْلِبةُ الشَّربِ ^(١)
 عَمَّتْ لهم الدنيا فساموا بلادها بعدل أضاء الملك في سالف الخُقبِ ^(٢)
 فكانوا طغاح الأرض عزاً ومنعةً
 خلافتَ ساسوا بالسيوف وبالكتبِ ^(٣)
 لقد ملكوا مُلكاً بكت أخرياته بدمع على المستعصم الشَّهْمُ مُنْصَبٌ
 تشاغل بالآذات عن حَوَاطِ ملكه
 فدارت على ابن المأقبي رحي الشَّغبِ ^(٤)
 أطلال هجوداً في مضاجع لهوه
 على ترَفٍ والدهر يقظانُ ذو ألبِ ^(٥)

(١) مُخْلِبة : فاسدة ذات عانة ، يقال : أخلب الماء : إذا كان ذا خاب ، أي عانة .

(٢) الخُقب : الدهر .

(٣) الطغاح : الملء ، هو طغاح الأرض : ماؤها .

(٤) الشَّغب : تهيج الشعر .

(٥) الألب : التدبير على العدو من حيث لا يعلم .

لقد غرّه أن الخطوبَ روايض ولم يدْرِ أن الليثَ يرْبُضُ للوثب^(١)
فكان كمرّانِ الحمارِ إذ انقضتْ به دولة مدّت يدَ الفتح للغرب^(٢)

* * *

جَرَتْ فتنةٌ من شيعة الكرخ جَلَّتْ

على شيعة في الكرخ بالقتل والنهب^(٣)
فقامت لدى ابن العلقميّ ضغائنٌ تحجّرُن من تحت النياط على القلب^(٤)
فأضمر المستعصم الغدر وانطوى

على الحقد مدفوعاً إلى الغش والكذب

وخادعه في الأمر وهو وزيره مواربة إذ كان مستضعف الإرب^(٥)
فأبعد عنه في البلاد جنوده وشنتهم من أوب أرض إلى أوب^(٦)
ودس إلى الطاغى هلاكاً رسالةً مغلغلة يدعوها فيها إلى الحرب^(٧)
وقال له إن جئت بغداد غازياً تملأكتها من غير طعن ولا ضرب
فتار هلاكاً بالمغول تؤمّه

كتائبٌ خُضِرَ تضرب السهل بالصعب

وقاد جيوشاً لم تهرّ بمخضِبٍ من الأرض إلا عاد ملتهب الجذب

(١) روايض : الربوض للفرس والسبع والبقر وغيرها : مثل البروك للابل .

(٢) مروان الحمار : هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، وهو رابع عشر خلفاء بني أمية وآخرهم ، قتل في كنيسة في بوسير « من أعمال مصر » ، بعد أن انهزم في الزاب « طعنه لإنسان برمج سنة ١٣٢ هـ وبموته انقضى ملك بني أمية في المشرق .

(٣) جلع عليه : أي أقدم عليه إقداماً سديداً وكاشفه بالمداوة ، وخلاصة هذه الفتنة : أن وزير المستعصم كان شيعياً ، وكان أهل الكرخ شيعة أيضاً ، فجرت فتنة بين السنية والشيعة ، فأمر أبو بكر بن المستعصم ، وركن الدين الدوادار العسكر ، فتهبوا الكرخ ، وهتكوا النساء ، وركبوا منهن القواحش ، فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمي ، وكاتب التتر ، وأطعمهم في ملك بغداد ، وسمى في تفريق جيش المستعصم عن بغداد إلى آخر ما ذكرناه في ترجمة المستعصم .

(٤) النياط : القواد ، وعرق نبط به القلب إلى الوتين ، فإذا قطع مات صاحبه .

(٥) الإرب : الدهاء . (٦) الأوب : الجهة .

(٧) الرسالة المغلغلة : الحمولة من بلد إلى بلد .

جُيُوشٌ تَرْدُ الْهَضْبَ فِي السَّيْرِ صَفْصَفًا وَتَعْرُكُ فِي تَسْيَارِهَا الْجَنْبَ بِالْجَنْبِ
فَمَا عَتَمَتْ حَتَّى بَنَتْ بُغْيَارَهَا سَمَاءً عَلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ مِنَ التُّرْبِ
وَلَمَّا أَبَادَتْ جَيْشَ بَغْدَادَ هَالِكًا عَلَى رَغَمِ فَتْحِ الدِّينِ قَائِدَهُ النَّذْبِ
أَقَامَتْ عَلَى أَسْوَارِ بَغْدَادَ بُرْهَةً تَعَضُّ بِهَا عَضَّ الثَّقَافِ عَلَى الْكُعْبِ
تَقْضَاقُ عَلَيْهِمْ بِالْحِصَارِ خِنَاقُهَا وَغَصَّتْ بِكَرْبٍ يَا لَهُ اللَّهُ مِنْ كَرْبِ
بِقُدْرَتِهِ فِيهَا الْأَمْنُ بِالرُّغْبِ فَانْبَرَتْ

لَهُ رَحَضَاءٌ مِنْ عَيُونِ أُولَى الرُّعْبِ (١)
هَنَّاكَ دَعَا الْمُسْتَعَصِمِ الْقَوْمَ بِأَكْيَا بِدَمْعٍ عَلَى لَحْيَيْهِ مِنْهُمْ لِي سَكَبِ
فَأَبْدَى لَهُ لَابِنَ الْعَلَقَمِيِّ تَحْزُنًا

طَوَى تَحْتَهُ كَشْحًا عَلَى الْمَكْرِ وَالْخَلْبِ
وَقَالَ لَهُ قَدْ ضَاقَ بِالْخَطْبِ ذَرْعُنَا وَأَنْتَ تَرَى مَا لِلْمَغُولِ مِنَ الْخَطْبِ
فَكَمْ نَحْنُ نَبَقَى وَالْعَدُوَّ مُحَاصِرُ نَذِلُ وَنَشْقَى فِي الدِّفَاعِ وَفِي الذَّيْبِ
وَمَاذَا عَسَى تَجِدَى الْحِصُونَ بِأَرْضِنَا وَهُمْ قَدْ أَقَامُوا رَاصِدِينَ عَلَى الدَّرْبِ
فَدَعِ « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ » قِتَالَهُمْ عَلَى هُدُنَةٍ تَبْقِيكَ مِلْتَمَ الشَّعْبِ
وَأَسْنَا « وَإِنْ كَانَتْ كِبَارًا قُصُورُنَا » تَرُدُّ هَلَاكُو بِالْقِتَالِ عَلَى الْعَقْبِ
فَهَادِنَهُ وَاخْرِجْ فِي رَجَالِكَ نَحْوَهُ وَصَاهِرُهُ وَاشْدُدْ مِنْهُ أَرْكَ بِالْقَرْبِ
وَإِلَّا فَإِنَّ الْأَمْرَ قَدْ جَدَّ جَدُّهُ وَلَيْسَ سِوَى هَذَا لَصَدْعِكَ مِنْ رَأْبِ

• • •

فَلَمَّا رَأَى الْمُسْتَعَصِمُ الْخَرْقَ وَاسْمَا وَأَنْ لَيْسَ لِلدَّاءِ الَّذِي حَلَّ مِنْ طِبِّ
مَشَى كَارَهَا وَالْمَوْتَ يُعْجِلُ خَطْوَهُ يَوْمٌ لَفِيفًا مِنْ بَنِينَ وَمِنْ صَحْبِ

(١) الرَحَضَاءُ : عِرْقٌ يَتَصَبَّبُ عَقِيبَ الْحِمَى . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : أَنَّ الْأَمْنَ لَا صَارَ مَحْمُومًا بِالرُّعْبِ •
كَانَتْ رَحَضَاؤُهُ الدَّمُوعَ الْمُنْسَكَةَ مِنْ عَيُونِ الْمَرْعُوبِينَ •

وراح بعقد الصلح يجمع شملَه
فأمسكه رهنا وقتل تحييه
وأغرى بغداد الجنود كما غدا
فظلّت بهم بغداد شكلى مُرِنَه
وجاسوا خلال الدُور ينتهبونها
وأمسى بهم قصر الخلافة خاشعا
وبانت به من واكف الدمع بالبكاء
وراحت سبایا للدغول عقائلُ
لقد شربوا بالهْمون أوْشال عِزها
فقصّ ظل كان في الملك وارفًا
وراح بين النون يجمع والضب^(١)
هَلَاكو ولم يسمع لهم قط من عتب
بأدماء يُفرى كلبه صاحب الكلب
تفجّع بين القتل والسبي والذهب
وصبوا عليها بطشهم أيما صب
متهمّة استاره خائف السُّرب
عيون المهاشراء منزوعة الهدب
من اللاء لم تُمدد لهن يد الثلب
وما أساروا شيئا لعمرُك في القعب
وأحل ملك كان مغلوب العشب

• • •

لقد بات إذ ذاك الخليفة جاثما
وخارت قواه بالسُّعار لئنه
فقال وقد نقت ضفادع تطنه
فقال هَلَاكو عاجلوه بقصعة
وقولوا له كل ما بدا لك إنها
ألست لهذا اليوم كنت أذخرتها
وكنت بها دون الممالك مُعجبا
على الخسف مرقوبا بأربعة غلب
ثلاثة أيام عن الأكل والشرب^(٢)
ألا كسرة يا قوم أشقى بها سغبى^(٣)
من الذهب الإبريز واللؤلؤ الرطب^(٤)
لآلىء لم تعبث بهن يد الثقب
فدونك فانظر هل تنوب عن الحب
وفاتك أن المقت من ثمر العُجب

(١) النون : الحوت . والضب : حيوان يعيش في البر والمعنى : أنه راح يجمع بين الضدين .

(٢) السعار : الجوع .

(٣) نقت : صوت . والكسرة : اللقمة . والسغب : الجوع .

(٤) الإبريز : الخالص . واللؤلؤ الرطب : أي المستخرج من البحار .

وَوُكِنْتَ فِي عِزِّ الْبِلَادِ أَهْنَبَهَا وَأَنْزَلَتْ مِنْهَا الْجُنْدَ فِي مَنْزِلِ خِصْبِ
لَمَّا أَكَلْتَكَ الْيَوْمَ حَرْبِي وَإِنْ غَدْتُ تَذِيبُ لُظَاهَا عِنْدَ صِرَاحِ الْحِجْرِ انْصَابِ
سَأْبِهَا دُونَ الْجُنُودِ أَزِيدُهُمْ صِيَالًا بِهَا فَوْقَ الْمَطْهَمَةِ الْقُبِّ (١)
وَسَوْفَ وَإِنْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا حَدِيثُنَا تَمِيزُ مَلُوكِ الْأَرْضِ دَأْبُكَ مِنْ دَأْبِي (٢)

هَنَالِكَ وَأَنْطَوَيْتُ أَفْتَى بِقَتْلِهِ قَرَرَهُ يَقْتُلُ آدِبٍ أَفْجَعَ الْأَدْبِ
أَشَارَ هَلَاكَوْ نَحْوِ عِلْجٍ فَتَلَهُ فَخَرَّ صَرِيحًا لِلْيَدِينِ وَلِلْجَنْبِ (٣)
فَأُدْرِجُ فِي لِبْدٍ وَدَيْسٍ بِأَرْجُلٍ إِلَى أَنْ قَضَى بِالرَّفْسِ نَمَّةً وَالضَّرْبِ (٤)
وَقَدْ أَتَخَنَتَ بَغْدَادَ مِنْ بَعْدِ قَتْلِهِ جُرُوحُ بَوَارٍ جَاءَ بِالْحِجَجِ الشَّهْبِ (٥)
وَمَا أَنْدَمِلَتْ تِلْكَ الْجُرُوحُ وَإِنَّمَا بِيَبْغَادَ مِنْهَا الْيَوْمَ نَدْبٌ عَلَى نَدْبِ (٦)

-
- (١) صيالا : شدة واستطالة . والمطهمة : يريد الخيل المطهمة ، وهي البارة الجمال . والقُب : جمع أقب ، وهو : الضامر ، وهو من صفات جياد الخيل ، وخاصة خيل الحرب .
(٢) الدأب : المادة والطريقة .
(٣) العليج : واحد العلوج ، وهو الرجل الضخم من كبار الأعاجم . وتله : صرعه .
(٤) أدرج : لف .
(٥) أتخنت : أوجعت قاتلت . والحجج : السنون . والشهب : جمع شهباء ، وهي البيضاء ، كناية عن سنة الجذب والتقطع والجوع .
(٦) الندب : أثر الجرح ، جمعه ندوب . واندمل الجرح : التأم وبرأ .

أبو دلالة والمستقبل (*)

قضت المطامع أن نطيل جدالاً وأبينَ إلّا باطلاً ومحالاً^(١)
 في كل يوم المطامع ثورةً بامم السياسة تستجيش قتالاً^(٢)
 ماضراً من ماسوا البلاد لو أنهم كانوا على طلب الوفاق عيالا^(٣)
 أمن السياسة أن يقتل بعضنا بعضاً ليذكر غيرنا الآمالا
 لادرّ درّ أولى السياسة إنهم قتلوا الرجال ويتموا الأطفالا
 غرسوا المطامع واغتدوا يسقونها بدم هريق على الثرى سيالا
 نثروا الدماء على البطاح شقائقها وتوهوها الروضة الحلالا^(٤)
 تنفى الجيوش ولا ضغائن بينها سبقت ولا ترة ولا أذحالا^(٥)
 قالوا كرهت الحرب قلت لأنها دارت لتغتصب الحقوق ألا لا^(٦)
 وأجالت فكري في الحروب فلم أجد أبدا لمن سوى الخمر مثالا
 طاشت منافعها الصغار عن الورى ورست مآثمها الكبار جبالا
 ما أجمع الحرب الضروس فإنها تحسو النفوس وتأكل الأموالا
 كم سح من رهج الحروب على الرّبا وبلى الدماء فزادها إحمالا
 لولا الحروب ومخزقات صواعق منها لأبقت الربا إبقالا

(*) من الديوان الأول .

(١) المحال : المكر والكيد والاحتيال .

(٢) تستجيش : أى تعد جيشا . أو هو من جيشان القدر إذا غلت واضطربت . وقتالا : منصوب على أنه مفعول لأجله ، أى لأجل القتال .

(٣) عيالا : جمع عيل . يريد متكئين .

(٤) الروضة الحلال : التى يحلها الناس كثيراً ، ويطلقونها ، وضدها روضة أنف : أى لم توطأ بعد .

(٥) الأذحال : جمع ذحل ، وهو بمعنى الترة .

(٦) الألال : كسحاب : الباطل ، وهو هنا نائب عن المفعول المطلق ، أى اغتصابا باطلا .

قُبِحت بنا الأرض النضا وماحوت في غير ما زمن الفِطْحَلِ جَمالاً^(١)

* * *

أَبْنَى السِّيَاسَةِ إِنْ سَلَكَتُمْ بِالْوَرَى	طُرُقُ الرِّشَادِ فَعَمَّوْا الْجَهْلَالَ
إِنْ جَرَّتِ الْحَرْبُ الْكِبَالُ لَأَمَةٍ	فَالْعِلْمُ أَحْرَى أَنْ يُجْرُ كَمَالَا
إِنَّ الْحَيَاةَ كَثِيرَةٌ أَعْمَالُهَا	فَدَعَوْا الْأَنَامَ وَحَارَبُوا الْأَعْمَالَا
وَتَقَحَّمُوا حَرْبَ الْحَيَاةِ فَإِنَّهَا	لِلْحُرِّ أَضْيَقُ مَأْزِقًا وَجَمَالَا ^(٢)
وَاسْتَلَيْتُمْوَا زَرَدَ الْوَفَاقِ وَأَشْرَعُوا	فِيهَا تَعَاوَنَكُمْ قَنًا وَنِصَالَا ^(٣)
وَاقْنُوا لَكُمْ بَيْضُ الْمَسَاعِي شُرْبًا	تَجْرَى رِعَالًا لِلْمُنَى فِرْعَالَا ^(٤)
وَاعْلُوا عَلَى صَهَوَاتِهِنَّ رَوَاكُضًا	لِلْمَكْرُمَاتِ تَسَابِقِ الْآجَالَا
وَدَعَوْا صِيَالًا فِي الْمَلَا حِمِّ إِنْ فِي	هَذِي الْحَيَاةِ مَلَا حِمَا وَصِيَالَا ^(٥)
أَوْ كَلَّمَا طَمِيعَ الْقَوَى شِرَاهَةً	أَكَلَ الضَّعِيفَ تَحِيْقًا وَاغْتِيَالَا ^(٦)
لَا غُرُو أَنْ يَلِدَ الزَّمَانُ بِمِرَّةٍ	كَأَنِّي دُلَامَةٌ مِنْ بَنِيهِ رَجَالَا ^(٧)
إِذْ رَاحَ يَقْتُلُ بِالْعَوَاطِفِ قِرْنَهُ	قَتَلَا أَدَامَ حَيَاتِهِ وَأَطَالَا
إِذْ جَهَّزَ «الْمَنْصُورُ» جَيْشًا قَادَهُ	«رَوْحُ» يَرِيدُ مَعَ «الشُّرَاةِ» قِتَالَا ^(٨)
فَمَضَى فِيهِ أَبُودُلَامَةٌ مُكْرَهَا	لِلْحَرْبِ أَخْرَجَ كَيْ يُصِيبَ نَكَالَا

(١) زمن الفطحل : زمن قديم قبل أن يخلق الناس على الأرض .

(٢) تقهّموا الحياة : خوضوا شدائد الحياة ومصاعبها . والمأزق : مضيق الحرب .

(٣) استلّيتُموا : البسوا اللأمة ، وهي الدرع . وأشروعوا : أرفعوا . القنا : جمع قنّاة ، وهي

الرمح . والنصال ، جمع نصل ، وهو حديدة السيف والرمح ونحوهما .

(٤) شربا : جمع شارب ، وهو الضامر من الناس أو الحيل من غير هزال . والرعال : جمع

رعيل ، وهو الجماعة من الحيل .

(٥) الملاحم : جمع ملحمة ، وهي الحرب ، والوقعة الشديدة .

(٦) تحيقا : جورا وانتقاصا . واغتيال حقه اغتيالاً : أخذه .

(٧) لا غرو : لا عجب .

(٨) الشراة : هم الخوارج . وروح : قائد من قواد أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي .

حتى إذا ألتقت الجيوش وعُيِّت
برز الكمي من الشراة مجرّدا
فأجال رَوْح في الجنود لحاظه
فدعا إليه أبا دلامة قائلا
فجری إليه أبو دلامة هازلا
فشكا لِرَوْح جوعه فأزاده
فانصاع من عجل وسمط زاده
صفّا وصفّا يَمَنّةً وشمالا
للسيف يطالب من يُضيق بزالا^(١)
والقوم ينتظرون منه مَقالا^(٢)
يا ليتْ دونك ذلك الرّئبالا^(٣)
ثم استقال فلم يكن ليُقالا^(٤)
بدجاجتين ، وحنّه استعجالا^(٥)
ومغنى يحبّ لقرنه فختالا^(٦)

فأتى وقد شهِر الكمي بوجهه
فدنا إليه أبو دلامة قائلا
إني أتيت وما أتيت مقاتلا
فاسمع مقالة من أتناك ولم يكن
واعلم بأنّي لا أخاف منيتي
لكن أرى سفك الدماء محرّما
أمن المروءة أن تُريق دماءنا
سيفا يَرُوع غِزاره الأغوالا^(٧)
مَهْلا فأغمد سيفك القصّالا
من أَسْت أَظلب عنده أذحالا
فيما يقول مُخادعا مَحْثالا
جُبنا ولا أنهيّب الأبطالالا
وأعيذ رأيك أن تراه حلالا
سَفها لمطمع طامع وضلالالا

(١) الشراة : جمع شار ، وهم الخوارج ، أقب لهم . وانزال : ملافة الأقران في الحرب .

(٢) لحاظه : نظره باحاط عينه ، وهو في مؤخرها .

(٣) الرّئبال : الأسد .

(٤) استقال : طاب الإقالة ، أي الخروج من مأزق الحرب .

(٥) أزاده : زوده ، أي أعطاه زادا .

(٦) انصاع من عجل : انقلى راجعا . وسمط زاده : من التسميط ، وهو التعاقب . يريد أنه

علق الزاد على حصانه . والحب : ضرب من السير متقارب الخطو ، في سرعة خفيفة . والقرن :

الذي ينال في الحرب . ومختالا : من الخيلاء ، وهي العجب .

(٧) الكمي : البطل . وشهِر السيف : رفعه . والفرار : حد السيف . والأغوال : جمع

غول ، وهو حيوان منكر الخلق ، تؤم العرب أنه يقتل الناس في الأسفار ونحوها .

هل كنت من قبل اللقاء رأيتني يوما وهل منى لقيت نكالا
أم هل طرقت خيام قومك جانبا أم هل خربت بحيمهم آبالا^(١)
ماذا جرى بيني وبينك قبل ذا مما يجرُ خصومةً وجِدالا
حتى شَهَرْتَ على سيفك تبغى ضربا يقطع منى الأوصالا
فأربأ بنفسك أن تكون من الألى زحفوا جنونا للوغى وخبالا

• • •

فرأى الكميُّ مقالَه متعاليا حقاً وكل حقيقة تتعالى
فعنا وأذعن للحقيقة مغمدا سيفاً أجادته القيون صِقالا^(٢)
ولوى العنان من المطهم قائلاً رُح بالأمان فلا لقيت وبالا
فمضى إليه أبو دلامة مُخْرِجا زادا تعلق بالشموط مُشالا
ودعاه يا بن أولى المكارم راشداً أكرم أخاك بوقعةٍ إمهالا
إني لأرجو أن تكون مؤاكلي في ذا الشواء ألا تحبُّ إكالا
فتدانيا متخالفين وأقبالا وهما على فرسيهما إقبالا
حتى إذا أكلا شواء أدبرا بعد الوداع ووليا الأكفالا^(٣)

• • •

رجعا فسار أبو دلامة ظافرا والمهر يجفل تحته إجفالا^(٤)
حتى إذا وافى الأمير وقام عن كُتب ثرجل دونه إجلالا
وغدا يقول وكان رَوْحٌ ضاحكا إني كفيشك قرني الرئبالا
وقتلته بالقول لا بمهندى والحربُ أخرى أن تكون مَقالا

(١) خربت : سرت : والخارب : اللص .

(٢) عنا : خضع وانقاد . والقيون : جمع قين ، وهو صانع السيوف وكل شيء من حديد والصفال : الجلاء والصقل .

(٣) الأكفالا : جمع كفلا ، بتحريك الفاء ، وهو مؤخر الحصان عند ذيله .

(٤) يجفل : يسرع العدو .

وَأَخَذْتُ فِي الْمِيجَا عَلَيْهِ مَوَاتِقًا أَلَّا يَعُودَ يُنَازِلُ الْأَبْطَالَ

إِنْ الْهَوَاتِفَ لَا تَزَالُ بِمُسْمَعٍ مَنِّي تَقُولُ إِذَا شَكُوتُ الْحَالَا
لَا تَيَاسِّنُ فَلِلزَّمَانِ تَنْفُسُ فَارْقِبْهُ أَنْ يَتَبَدَّلَ الْأَبْدَالَا
وَالدَّهْرُ طَاهٍ سَوْفَ يُنْضِجُ أَهْلَهُ بِالْحَادِثَاتِ يَزِيدُهَا إِشْعَالَا^(١)
إِنْ الدَّهْرُ وَهْنٌ أَمَّهْرُ سَابِكٍ سَتَرْدُ أَضْدَادُ الْوَرَى أَشْكَالَا
حَتَّى كَأَنِّي بِالطَّبَاعِ تَبَدَّلْتُ غَيْرَ الطَّبَاعِ وَزُلْزَلْتُ زِلْزَالَا
وَكَأَنِّي بَيْنِي الْمَلَاحِمَ أَصْبَحُوا لِأَبْنَى دُلَامَةٍ كُلُّهُمْ أَمْثَالَا^(٢)

أطلال العلم*

أو المدرسة النظامية في بغداد

قَوَّضَ الدَّهْرُ بِالْخَرَابِ عِمَادِي وَرَمَتْنِي يَدَاهُ بِالْأَنْكَادِ
كَمْ أُنَادَى وَلَيْسَ لِي مِنْ حَجِيبٍ وَاضِياعاه جَهْرَةً كَمْ أُنَادَى
ضَعُفَ الدَّهْرُ مِنْ بِنَائِي أَرْكَا نَا شِدَادًا طَالَتْ عَلَى الْأَطْوَادِ^(٣)
طَالَمَا رَفَرْتُ مِنَ الْعِلْمِ رَايَا تَ فُخَارٍ مِنِّي عَلَى بَغْدَادِ
كُنْتُ لِلْعِلْمِ رَوْضَةً بَاكَرَتْ أَزْ هَارَهَا الْغُرَّ بِالْعِهَادِ الْغَوَادِي^(٤)
وَجَمِيعَ الْأَنَامِ تَضْرِبُ أَكْبَا دَ الْمَطَايَا كِي تَجْتَنِي أَوْرَادِي^(٥)

(١) الطامى : الذى يطعمو الطعام ، وهو الطليخ ينضج الطعام .

(٢) يريد أن الزمان المستقبل كفيف بأن يحيل من أبنائه من يأبى أن يرق الدماء ظالمًا وعدوانًا ، فلا يجيب دعوة الحرب التى لا عدل فيها ولا رحمة .

(*) من الديوان الأول .

(٣) الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل العالى . (٤) الغوادي : جمع غادية ، وهى السحابة تنشأ

غداة أو تمطر غدوة . والعهدة جمع عهد ، وهو المطر بعد المطر .

(٥) الأوراد : جمع ورد ، والمراد به هنا : الجزء الذى يقرؤه العالم من العلم ، أو القارىء من

القرآن فى المرة الواحدة .

فالفزاليُّ سلَّه بي وأبا إسحاق عما حوت من إرشاد^(١)
سلَّه إذ في طلابي الإبلُ النُّجُوبُ تُخَفِّي مَضْرُوبَةَ الْأَكْبَادِ
فرمتني صواعق الدهر فانهدَّ بناي وصرت بعض الوهاد
فبكتني من السماء دَرَارِيهَا وكانت تُعَدُّ حُسَّادِي

• • •

أهل بغداد ما لأعينكم تُغْمِضُ عني كأنكم في رُقَادِ
أهل بغداد هل تَرِقُّ قلوبٌ منكم راعها انقضاء عِمَادِي
رَقَّ حتى قلبُ الجُمَادِ لَفَقْدِي فلتَكُونَنَّ قلوبُكم من جُمَادِ
أفلا تُنْجِدُونَ مدرسة العُلَمَاءِ وعهدِي بكم أولي إِنْجَادِ
أين ما شيدَ من نظامي رُبْعِي فلقد كان نُجْمَةُ المَرْتَادِ
أين تلك العلوم وهي التي كانت ربوعِي تُذِيعُهَا فِي الْبِلَادِ
كيف قَضَتْ خِيَامَهَا زَعْرُ الدَّهْرِ وكانت رَصِينَةُ الْأَوْتَادِ^(٢)
أَقْفَرْتُ سُوحَهَا وَقَدْ نَعِيَ الْعَالَمُ فَلَاحَتْ تَجَرُّ ثُوبَ الْحِدَادِ
وتوارت بالجهل ظلمات وكانت خَافِقًا فَوْقَهَا لَوَاءُ الْإِشَادِ
أيها الدهر كلَّ ما شئت فافعل إذ حُدَا فِي رِكَائِي غَيْرُ حَادِ
ورعاني من راح من ظلمه العَدُوُّ ل فقيدا مِيعَادِهِ فِي الْمَعَادِ
فرَّقُوا جَمْعَ أُمَّةٍ قَبْلَهُمْ كَانَتْ لِعَمْرِي وَحِيدَةً الْإِتِّحَادِ

(١) أبو إسحاق : هو إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزآبادي ، كان من مشيخة بغداد ، وإمام المذهب الشافعي بها ، تولى النظامية ولم يزل بها إلى أن مات ، ومن تآليفه : المذهب والتنبيه في الفقه ، واللمع وشرحها في أصول الفقه ، والنكت في الخلاف ، والتبصرة والمعونة ، والتلخيص في الجدل . ولد سنة ثلاث وتسعين ، أو خمس وتسعين وثلاث مئة (ابن خلكان) .
(٢) قضت خيامها : أذهبتها ، من قضى . والمشهور في هذا : قوض الخيام أي هدمها .

في سـلانيك*

قالها عندما زحف جيش سـلانيك إلى الأستانة بقيادة محمود شوكت باشا،
وذلك لقمع الحركة الرجعية التي حدثت في ٣١ مارس سنة ١٩٠٨

لقد سمعوا من الوطن الأنيـنا فضجُّوا بالبكا له حينئذ
وناداهم لنصَّرتَه فقاوموا
ثاروا من مـرابضهم أسوداً
شبابٌ كالصوارم في مضاء
سـلانيكُ القنـاة حوتُ ثراء
لقد جمعوا الجموعَ فنِ نصارى
فكانوا الجيشُ أُنْف من جنودٍ
تراهم فيه متحدين عَزَمًا
هي الأوطان تجعل في بنينا
وتتركهم أولى أنفٍ كـباراً
وإن الموت خير من حياة

يُضجُّوا بالبكا له حينئذ
جميعاً للدفاع مسلَّحين
بصوت الإتحاد مُزجِّرينا^(١)
يُروُن ، وكالشموس مُنورِّيننا
بهم فقصتُ عن الوطن الديونا
ومن هُودٍ هناك ومسلمينا
مجندةً ومن متطوعينا
وما هم فيه متحدين ديناً
إخاء في محبتها رصينا
يُروُن حياه ذى ذل جنونا
يظلُّ المرء فيها مستكيناً^(٢)

* * *

مشوا والوالدتُ مُشيَّعاتُ
يَقْلَن وهنَّ من فرح بواكٍ
على الباغين منتصرين سيروا
ولا تُبقوا الذين قد استبدوا
فإن لم تُنقذوا الأوطان منهم
فقد هاجوا على الدستور شرّاً

خرجن وراءهم والوالدونا
وهم من حزنهم متبسِّمون
وعُودُوا للديار مظفِّرينا
وراموا كيدنا وتخونونا^(٣)
فلستم يا بنين لنا بنينا
بدار الملك كي يستعبدونا

(*) من الديوان الأول .

(١) الرجعة : صوت فيه غلظ وجفاء .

(٢) مستكيناً : خائفون ولم يرفعوا حقوقنا .

(٣) مستكيناً : خاضعاً ذليلاً .

هم الأشرار باسم الدين قاموا فعاثوا في المواطن مُفسدين
فما تركوا من الدستور (شُررى) ولا أبقوا لنغمته (طيننا) ^(١)

* * *

وكم قد قلن من قول شجى
ومذ حان الوداع دتُون منهم
وما أنسى التى برزت وقالت
ألا يا راحلين الحرب قوم
خذونى للوغى معكم خذونى
وإن لم تفعلوا فخذوا ردائى
لهم فتركهم متهيجين ^(٢)
فقبلن الصوارم والجفونا ^(٣)
وقد لقتوا لرؤيتها العيون
لئام ضيعوا الوطن الثمينا
ممرضة الجرحاكم خنونا
به شدوا الجروج إذا دميننا

* * *

ولما جدّ جدّهم استقلوا
فطاروا فى مراكبه سراعاً
وظلّ الجيشُ صُبْحاً أو مساءً
فلم يتصرّم الأسبوع إلا
هنا لك قتّ مرتحلاً إليهم
على ظهر القطار مسافرين
بأجنحة البخار مرّرفينا
تسير جموعه متتابعين
وهم برّبا فروق مخيمونا
لأبصر ما أوّمل أن يكونا ^(٤)

* * *

وباخرة علت فى البحر حتى
يؤثر جريها فى البحر إثرا
فتترك خلفها خطاً مديدا
ركبتُ بها على اسم الله بحراً
حكّت بهبابه الحصن الحصينا
تكادُ به تظن الماء طينا
بوجه البحر يمكث مستميننا
غدا بسكون لجته رهينا

(١) يشير إلى ما حل بجزيرة طنين إذ ذاك، وبمحل إدارتها « من الهدم والتخريب فى تلك الحادثة .

(٢) الشجى ، يؤزن فعيل : ذو الشجر ، وهو الحزن .

(٣) الصوارم : السيوف . والجفون : جمع جفن ، وهو الغمد .

(٤) لما حدثت حادثة ٣١ مارس فى الآستانة « كان الرضا فى صلاتيك » فلذلك قال : هنالك

فرحنا منه ننظر في جمال
ومرأى البحر أحسن كل شيء
عأنك منه ننظر في سماء
وقد طلعت كواكبها سفينا

أثينا دار قُطنطين صبحا
وظل الجيش جيش الله يشقى
فأزهى أنفس الطاغين حتى
ورد الخائنين إلى جزاء
وخطوا قصر يلدز عن سماء
وأصبح خاشع البنيان يُغضى
خلا من ساكنيه وحارسيه
هوى عبد الحميد به هوى
وأُنزل عن سرير الملك خلعا
فسيق إلى سلايك احتباسا
ولكن كيف راحة مستبد
يراهم حول مسكنه سجاجا
وموت المرء خير من مقام
أثينا دار قُطنطين صبحا
وظل الجيش جيش الله يشقى
فأزهى أنفس الطاغين حتى
ورد الخائنين إلى جزاء
وخطوا قصر يلدز عن سماء
وأصبح خاشع البنيان يُغضى
خلا من ساكنيه وحارسيه
هوى عبد الحميد به هوى
وأُنزل عن سرير الملك خلعا
فسيق إلى سلايك احتباسا
ولكن كيف راحة مستبد
يراهم حول مسكنه سجاجا
وموت المرء خير من مقام

لقد نقض اليمين وخاف فيها
وقد كانت به البلدان تشقى
فكم أذكى بها نيران ظلم
فذاق جزاء من نقض اليمين
شقاء من تجبره مهيما
وكم من أهلها قتل المهيما

(١) الغوارب : جم الغارب ، وهو في ذوات الحنف ما بين السنام والعنق ، وفي الكلام استعارة .
(٢) قطينا : أى قاطنا وساكننا .

وكان يدير من سفه راحها بجمعمة ولم يرها طحيناً^(١)
وقد كانت به الأيام تمضي شهوراً والشهور مضت سفيناً
ولما ضاق صدرُ الملك بأساً وصارَ يُردد الوطنُ الأنيناً
أتى الجيشُ الجليلُ له مُغيثاً فصدّق من بنى الوطن الظنوناً
وأضحى سيفُ قائده المفدى على الدستورِ محتفظاً أميناً
حماه من العداة فكان منه مكانَ الليث إذ يحسى العريناً
وأسقط ذلك الجبارَ قهراً وأنبأه بصارمه اليقيناً
فقرت أعين الدستورِ أمناً وشاھت أوجه المتمردين^(٢)

وقفه عند يلدز (*)

قالها عقب خلع عبد الحميد وإرساله إلى سلاطيك سجيناً

لَمَنِ القصر لا يجيب سؤالي آهلاتُ ربوعه أم خوالي ؟
مُشمَخِرَ البناء حيث تراءى بالياً مجده بلى الأطلال
لم تصبه زلازل الأرض لكن قد رمتـه السماء بالزلزال
وكسته الأيام بالصمت لما نطقت فيه حادثاتُ الليالي
فتراءت أبقاره شاحباتٍ باكياتٍ بأعين الأصال

أيها القصرُ إيه بعض جوابٍ لا تكن ساكناً على تسالي^(٣)
ليت شعري والصمت فيك عميق ذاكر أنت عهدهم أم سال ؟

(١) الجمعجة : صوت الرحي ونحوها . وفي المثال : أسمع جمعجة ولا أرى طحيناً ؛ يضرب

للرجل الذي يكثر الكلام ولا يعمل ، ولذى يعد ولا يفعل .

(٢) شاھت : قبحت . والمتمردون : المنجبون الظالمون .

(*) من الديوان الأول .

(٣) إيه : هات .

ما تداعى منك البناء ولكن
كنت كلَّ البلاد في الطول والعَرُ
كنت مأوى العلى ، مَثَار الدنيا
كنت جُبًّا وأىَّ جُبٍّ عميق
مورِد الخائنين كمت وكانت
قصرُ عبد الحميد أنت ولكن
أين خاقانك الذى كان يدعى
ما أرى اليوم ذلك المجد إلا
هل وقوفى على مبانيك إلا
قد تداعى بناء تلك المعالى^(١)
ض وكل العباد فى الأعمال
مَهْبط العز ، مَصْدَر الإذلال
بالعأ للنفوس والأموال
منك تدلى مطامع العمال
أين يا قصرُ أين عرشُ الجلال
قاسمَ الرزق ، باعث الآجال
كخيال يمر بعد خيال
كوقوفى على الطلول البوالى^(٢)

قد تخونتنا ثلاثين عاما
تلك أعوام رفعة للأداني
تلك فيما جرت به نقطة سو
يثب العدل طافرا كلما
ملأت خطة الزمان شنارا
وكأنى أرى اضطراب نفوس
أسمع الآن فيك ما كان يعلو
حاتمات على الذى فيك أبقى
تلك يا قصر أنف منك فطارت إلى سماء المعالى
وترقت إلى ذؤابة أعلى
جئت فيها لنا بكل محال^(٣)
تلك أعوام رفعة للأداني
تلك فيما جرت به نقطة سو
يثب العدل طافرا كلما
ملأت خطة الزمان شنارا
وكأنى أرى اضطراب نفوس
أسمع الآن فيك ما كان يعلو
حاتمات على الذى فيك أبقى
تلك يا قصر أنف منك فطارت إلى سماء المعالى
وترقت إلى ذؤابة أعلى
جئت فيها لنا بكل محال^(٤)

(١) تداعى البناء : انهار وسقط بعضه فى أثر بعض .

(٢) الطلول : جمع طال ، وهو الشاخص البارز من آثار الديار عند العرب .

(٣) تخونتنا : تعهدتنا .

(٤) الشنار : العيب والمار .

وهي اليوم أحرقتك بشيب قذفتها عليك ذات اشتعال
لم يضع مجدّها وإن هي أمست ضائعات الأشلاء والأوصال

كيف نسي تلك الخطوب اللواتي انفتحت منك حربها عن حبال^(١)
يوم كنا وكان للجمل حكم خاذل كلّ عالم مفضل
أمر من عتوه كلّ أمر يغرس البغض في قلوب الرجال
أفأصبحت نادما أيها القصّر تبالي بالقوم أم لا تبالي؟
لم تفدك الندامة اليوم شيئا قضى الأمر فاصطبر باحتمال
وعزّاء فليست أول قصير نكس الدهر من ذراه العوالى
قد تداعى من قبل إيوان كسرى بعد أن طال شاهقات الجبال^(٢)
وكأين من قصر ملك تراعى ساقطا بالملوك والأقيال^(٣)
فابق يا قصر عابس الوجه كيا يصبح الملك باسم الآمال
وتعثر فلا لعا لك حتى ينهض العدل ناشطا من عقال^(٤)
إنما نحن أمة تدرأ الضيقتهم وتأبى أن تستكين لوانى
أمة سادت الأنام وطابت عنصرا من أواخر وأوالى^(٥)
فإذا ما غلا الغشوم نهضنا فقدفناه — أفلا من عال
نملأ الأرض إن مشينا لحرب برؤير الغضنفرا لرئبال
وإذا ما غلا المليك ردونا ذليلا يقاد بالأغلال^(٦)

(١) انفتحت الناقة : ضربها الفحل فحملت . والحيان : علم الحمل . يريد إنك هيبت تلك الحرب
عد أن كانت ساكنة .

(٢) طال شاهقات الجبال : أى زاد عليهما فى الطول ولأرتفاع .

(٣) الأقيال : جمع قيل ، وهو الملك الصغير ينبع الملك الكبير ، كبعض ملوك الولايات فى
إمبراطورية كبيرة .

(٤) لا لعله : لأنعه الله إذا سقط .

(٥) أوالى : أصلها : أوائل ، أخرت الهزيمة بعد اللام . ثم سهلت .

(٦) غلا : تجبر وجاوز الحد فى الظلم . وفى الأصل : غل ، بغين ولام . شدة . ولا أراه إلا
محرفا عن غلا : أو عن علا : بمعنى تكبر .

نحن من شُعلة الجحيم خلقنا لأولى الجور لا من الصلصال
يا ملوك الأنام هلاً اعتبرتم بملوك تجور في الأفعال
نيس عبد الحميد فردا ولكن كم لعبد الحميد من أمثال
فاتركوا الناس مُطلقين وإلا عِشْتُمْ مُوثَقين بالأوجال^(١)
هل جنيت من التجبر إلا كلَّ إثمٍ عليكم ووبال

تموز الحرية (*)

إذا انقضت مارتُ فأكسر خلفه الكوزا

واحفلي بتموز إن أدركت تموزا^(٢)
أكرم بتموز شهرًا إن عاشره
قد كان للشرى تكريما وتعزيزا
شهر به الناس قد أضحت محررة
من رق من كان ينفقوا إثر جنسكيزا
سل أهل باريز عن تموز تلقى لهم
يوما به كان مشهودا لباريزا
كانت لهم فيه لما ثار ثائرهم
بسالة هدَّت البستيل مبزوزا^(٣)
وإن تموز شهر قام فيه لنا
على البقاع لواء العز مركوزا
في شهر تموز صادفنا لما وعدت
بيض الصوارم بالمستور تنجيزا
هي المساواة عمتنا فما تركت
فضلا لبعض على بعض وتميزا
أمت لنا قسمة بالملك عادة
حكما وكانت على علاتها ضيزى^(٤)
كنا من الجور عيانا وليس لنا
من قائدين ولم نملك عكاكيزا

(١) يريد : إنكم إن لم تطأوا المحكومين أحرارا من إفساد ظلمكم وجوركم ؛ فإنكم تعيشون أبدا على خوف وترس وانتظار للشر من ظلمتموهم .

(*) من الديوان الأول .

(٢) يشير إلى أن مارت شهر مشعوم ؛ لحدوث الحادثة الرجعية فيه ؛ وأن تموز شهر مبمون ؛ لأن إعلان الدستور كان في تموز .

(٣) مبزوزا : مغلوبا . وفي المثل . من عزير : أى من قوى تغلب وانتصر .

(٤) قسمة ضيزى : أى جائرة .

حتى نهضنا إلى العليا تقدمنا
 إن تلقهم تلقى منهم في الوغى جبلا
 قوم إذا طعموا في حومة تحذوا
 قنا على الملك الجبار نقرعه
 حتى تركناه في هيجاء معضلة
 إنا لنأبى على الطاغى نهضنا
 وأكل الموت دون العز تمضغه
 لأعاش من لا يخوض الموت مرتضيا
 راعت سلانك دارا ألك فانتبهت
 حتى غدت وهى في تموز ناكسة
 فالشاه في شهر تموز هوى وكذا
 يا شهر تموز لا راعتك راعة
 يا شهر تموز قد زينت رايتنا
 من لى بأنجم هذا الأفق أنظمتها
 أو أنحت الماس أقلاما معرضة
 وأجعل الجو في تموز أمده

عصابة برزت في المجد تبريزا
 أوهجتهم للمنايا هجت راموزا
 قصاعهم من قحوف القوم لا الشيزى (١)
 بالسيف منصلتا والرمح مهزوزا (٢)
 ألقت ضراما على الطاغين مأزوزا
 حتى نهوز في الهيجاء تهوزا (٣)
 كمضغنا التمر برنينا وسهريزا (٤)
 بقاءه بعضى الذل موكوزا (٥)
 من ذاك طهران تخشى أمر تبريزا
 رايات شاه رماه الخلع مجنوزا (٦)
 عبد الحميد هوى في شهر تموزا
 ولا نقيت من الأحداث إرزيزا (٧)
 بالعدل توشية فيها وتطريزا
 قصائدا فيك مدحا أو أراجيزا
 أمدها ذهباً في الطرس إبريزا
 طرسا أجادته كف النور ترزيزا (٨)

(١) الفخوف هنا : عظام الجناح . والشيزى : نوع من الخشب تصنع منه الجفان .

(٢) هرجة : بالهاء : فعلو فرعه ؛ وهو رأسه . وفي الأصل : نقرعه .

(٣) هوز نهوزا : مات ، وقتا .

(٤) البرنى : يفتح الباء : ضرب من التمر أصفر مدور . والسهريز بالسين والشين : بضمهما ويكسرهما : نوع من التمر ؛ معرب .

(٥) موكوزا : مدفوعا مطعوناً .

(٦) الشاه : الملك في لغة فارس . والمجنوز : المحجوز المستور .

(٧) الإرزیز : الرعدة .

(٨) يقال : رزرت لك الأمر ترزيزا : أى وطأته لك .

المجلس العمومي (*)

يا شرقُ بشر الكأبدى شمسك الفلكُ وزال عنك وعن آفاقك الخلكُ
أضخى بك القوم أحراراً قد اعتصموا

من النجاة بمجمل ليس ينبئك (١)

ناد به القولُ عن أهليه مستمع والحق متبع ، والأمر مشترك
ناد إذا فرت عنا الأمور به لمن يمدد من نسج النهى شرك
يُسطاد فيه شرود الحق عن كُتب كالماء يُسطاد في صَحْضاحه السمكُ
إن السحاب لم تظهر بوارقها ما لم يكن للقوى فيهن مُعتركُ
ولتدأير حرب لا يخيب بها قوم بمستنقع الآراء قد برّكوا
هذا هو المجلس الرخب الذى وسعت

أحكامه الناس من عاشوا ومن هلكوا

هو السماء التى تعلو السماء بها تبدو من العدل فى آفاقها حبك (٢)
دارت بها شمس عز الملك حيث هنا حرية العيش برج والنهى فلك
قد أصبح الأمر شورى بيننا فيه على الرعية لا يستأثر الملك
وأصبح الناس فى قُرْبى وإن بُعدت أديانهم ، ما بهم جحد ولا حسك (٣)
هذا الذى جاءنا الدين الحنيف به وحيّاً من الله مبعوثاً به الملك
هذا به نهض الإسلام نهضته من قبل إذ قام يستولى ويمتلك
يا قوم قد حاب حين تسخرون به

ممن بكم سخروا من قبل أو ضحكوا

مات الزمان الذى من قبل كان به يحيا مرو لم يكن فى السعى ينهمك
هالا نظرت لما فى الغرب من سنن كل به سائر طلقاً ومُنسك

(١) ينبئك : ينقطع . (٢) حبك جمع حبيكة ، وهى الطريقة .

(٣) حسك الصدر : حقد العداوة ؛ يقال : إقته لحسك الصدر .

لم تَلَقِ للحق وجيهاً فيه مُحْتَقراً
في الغرب أصوات علم يبعثون بها
فشمروا يارجال الشرق عن هِمَمٍ
واستأطلب منكم فعل ما فعلوا
بل فاذكروا أوليكم كيف قد سلفوا
واستخلصوا عسجد المجد الذي بلغوا
لا عذر للشرق عند الغرب بعدئذ
واستنجدوا العلم إن العلم شِكَّتُهُ
أما المدارس فلترفع قواعدها
منابع العلم إن غاضت بمملكة
من شاد مدرسة للعلم هداً بها

سجننا لمن أفسدوا في الأرض أوفتكوا^(١)
تبطأهن دم في الأرض منسفك
هذا الفسوق وذاك الفوز والنسك^(٢)
وهل تُرى يتساوى الثور والحسك
ياقوم ساهوز، حيث الأمر مرتبك
حتى لقد مل من مضغ لها الحنك

(١) السكك ، بوزن سبب : الصمم .

(٢) الشكك : جمع شكة ؛ وهي السلاح .

(٣) مؤتفك : منقلب . يقال : انثفكت بهم الأرض : انقلبت .

(٤) ادواهي : المصائب .

(٥) يتضمن هذا البيت معنى الحكمة المشهورة : من فتح مدرسة أغلق سجننا .

(٦) الذك : العبادة . أي أن العلم هو العبادة الحق ، قال تعالى : (إنما يخشى الله من

عباده العلماء) .

يا قوم قد طلعت شمس الهدى وبها الناس قد وضحت من رشدهم سلك
وأشد الشرق مسروراً يؤرخها
« حرية الملك أهدى شمسها الفلك »

يوم العروس

زفت إلينا العروس	وزوجها الأنكليس ^(١)
زفت إلينا زفافاً	فيه انشقا والنحوس
المهر منا دماء	والعروس حرب ضروس
كم مزقت حرّمات	وكم أضيعت نفوس
وكم أدبرت علينا	من المنايا كبّوس
وكل هذا لتحظى	بالبعل تلك العروس
يوم العروس لعمري	يوم كرية عبّوس

(١) الأنكليس والأنقليس ، بفتح الهمزة : سمك شبيه بالحيات ، ردىء الغذاء .

السِّيَرُ الْأَوَّلُ

إلى الأمة العربية^(١)

هو الليل يُغريه الأسى فيطولُ
أبيتُ به لا الغاربات طالعُ
وينشر فيه الصمت لبداء مضاعفا
ولى فيه دمع يلدغ الخدَّ حره
بكيت على كل ابن أروع ماجد
يليح من الضيم المنذل بفره
من العرب : أما عرضه فهو فر
له سلف عزوا فبزوا نباهه
وساروا بنهج المكر مات ثقيلهم
ويُرخي وما غير الهموم سدول^(٢)
على ولا الطالعات أقول
فتطويه منى رنة وعويل^(٣)
وحزن كما امتد الظلام طويل
له نسب في الأكرمين جليل
لها البدر ترب والنجوم قبيل^(٤)
مصون ، وأما جسمه فهزيل
ولم تعتورهم فترة وخيول^(٥)
قلأص من سعي لهم كخول

(١) مثل شبان العرب في الآستانة رواية وفاة السموءل في مسرح (تبه ماتى) الكبير ، السكائن في حى (بك أوغلى) ، وطلبوا إلى الرصافى أن يحضر وينشد لهم شعرا ، فقال هذه القصيدة يعارض بها لامية السموءل المشهورة وقد أنشدتهم إياها في المسرح المذكور ، وكان المكان غاصاً فمن كان في الآستانة من رجال العرب ، وكثير من رجال الترك .

(٢) يغريه : يحضه . أى أن الأسى يحض الليل على الطول فيطول .

(٣) الأبد : بكسر فسكون : كل شعر أو صوف متليد . وتمهيداً لبيان معنى البيت نقول : إن الصوت إنما ينتقل إلى سمع السامع توج الهواء ؛ فإذا حال بين السمع وبين توج الهواء حائل يمنع وصول ذلك التوج إلى السمع ؛ انقطع الصوت ولم يسمع ؛ والأبد يمنع حائل لوصول التوج إلى السمع ؛ إذ ليس فيه على الحل ما يمكن أن ينفذ فيه الهواء . وعليه فقد شبه الشاعر الصمت وهو عدم الصوت السكائن في الليل ؛ بلبد منشور على الأطراف ؛ قد حال بين السامع وبين كل صوت ؛ فلا ينتقل إليه الهواء بتموجه صوتاً ؛ لأن هذا الأبد المنشور قد أحاط به من جميع أطرافه ؛ فنع وصول كل صوت إليه . ووصف الأبد بكونه مضاعفاً ؛ ليسكون أبلغ في منع الصوت ؛ ثم قال : « فتطويه منى رنة وعويل » أى لأنه لا يسمع في الليل إلا صوت بكائه وعويله ؛ فكأن بكاءه يطوى ذلك الأبد المنشور ؛ فيعود يسمع صوت البكاء والرنين . وحاصل المعنى : أنه لا صوت في ذلك الليل سوى صوت بكائه فيه .

(٤) يليح : أى يخاف ويحاذر ؛ والباء في قوله بفره : للمصاحبة ؛ أو هى للتعدية ؛ على تضمين يليح معنى يحيد ويعدل ؛ فيكون المعنى : يحيد مليحاً من الضيم بفره .

(٥) عزوا فبزوا : أى غلبوا فسلبوا . ونباهة : تمييز للنسبة ، وهو محول عن الفاعل .

وكانوا إذا ما أظلم الدهر أشرقت
أولئك قوم قد ذوى روض مجدهم
وقد أعطشته السحب حتى لقد علّت
رعى الله من أهل الفصاحة معشرا
ترامى بهم ريب الزمان كأنما
فأمت من العمران خلوا بلادهم
وعادت مغاني العلم فيها دوارسا
وقوّضت الأيام بنيان مجدها
به غرر من مجدهم وحجول
ولم تسر فيه نسمة وقبول
على الزهر منه صفرة وذبول
لم كان فوق الفرقدين مقبل
له عندهم دون الأنام دحول
فهن حزون قفرة وسهول
تجربها للرامسات ذيول^(١)
فرجع المعالي بينهن محول^(٢)

• • •

نظرت إلى عرض البلاد وطولها
ولم تبد لي فيها معاهد عزها
نظرت إليها من خلال دوارف
فكنت كراه من وراء زجاجة
ولم أتبين ما هنالك من على
هناك حنيت الظير كالقوس رابطا
وأوسعت صدرى للكتابة فاعملت
وأرسلت دمع العين فانهل جاريا
أأمنع عيني أن تجود بدمعها
فما راقى عرض هناك وطول
ولكن رسوم رثة وطول
من الدمع طرقي بين كليل
بعينه كيا يستبين ضئيل^(٣)
لكثرة ما قد دب فيه نحول
بكفى على قلب يكاد يزول
بأرجائه تحت الضلوع تجول
له بين أطلال الديار مسيل
على وطني ، إني إذن له خيل

(١) تجر : بالبناء للمفعول . وذبول : نائب الفاعل . والرامسات : الرياح ، وسميت رامسات :
أى دافعات ؛ لأنها تدفع الآثار بهبوبها .
(٢) محول : بفتح الميم : أى مجذب .
(٣) شبه نفسه وهو ناظر إلى الديار من خلال الدروع الدوارف ؛ برجل وضع على عينيه زجاجة
ينظر من وراءها ؛ والمراد بالزجاجة ما تسميه العامة اليوم بالنظرة أو بالعوينات .

فإن تعجبوا أن سال دمعى لأجله
وما عشت أنى قد تناسيت عهد
وإن امرأاً قد أثل الهم قلبه
أفى الحق أن أنسى بلادى سكرة
أقول لقومى قول حيران جازع
متى ينبجلى يا قوم بالصبح ليلكم
وينطق بالمجد المؤئل سعيكم
تريدون للعليا سبيلاً وهل لكم
أنشدكم أين المدارس إنها
وأين الغنى المرتجى فى بلادكم
بلاد بها جهل وفقير كلاهما
أجل إنكم أنتم كثير عديدكم
ولو أن فيكم وحدة عصبية
ولكن إذا مستهض قام بينكم
وأى فريق قام للحق صدّه
وإن كان فيكم مصلحون فواحد
على أن لى فيكم رجاء وإن أكن
ألستم من القوم الألى كان علمهم
لهم هم ليس الطباة تفلها

فإن دعى من أجله سيسيل^(١)
ولكن صبرى فى الخطوب جميل^(٢)
كفلى ولم يلق الردى لحمول
ومالى عنها فى البلاد بديل
تهيج به أشجانه فيقول
فتذهب عنكم غفلة وذهول
فيسكت عنكم لأنم وعذول
إليها وأنتم جاهلون سبيل
على الكون فيكم والحياة دليل
يجود على تشييدها ويطول^(٣)
أقول شروب للحياة قتول
ولكن كثير الجاهلين قليل
لهم عليكم للمرام وصول
تلقاه منكم بالعناد جهول
فريق طلوب للمحال خذول
فقول وألف فى مداه قتول
إلى اليأس أحيانا أكاد أميل
به كل جهل فى الأنام قتيل^(٤)
وإن كان منها فى الطباة فلول

(١) أن فى البيت : مصدرية ؛ وهى وما بعدها مجرورة بلام محذوفة ؛ هى صلة تعجبوا ؛
والقدير : فإن تعجبوا لأن سال دمعى .

(٢) وما عشت أنى : أى لآنى ؛ حذف الجاز ؛ وحذفه قبل أن وأن قياس .

(٣) يطول . من الطول . بفتح الضاء : أى ينعم ويتفضل .

(٤) به : صلة قتيل . وكل جهل : مبتدأ . وقتيل : خبره . والجملة فى عمل نصب خبر كان .

ألا نهضة علميَّة عربيَّة فتُنشأ أرواح بها وعقول
ويشجع رعيده ويعتز صاغر وينشط للمسعى الحثيث كسول^(١)
فإن لم تقم بعد الأناة عزائم فعتبي عليكم والملام فضول

شكوى إلى الدستور^(٢)

شكاية قلب بالأسى نابض العرق إلى قائم الدستور والعدل والحق
ملوك على كل الملوك ثلاثة لها الحكم دون الناس في الفتق والرتق^(٣)
وأقسم أني لا أكون لغيرها مطيعا ولو من أجلها ضربت عنقي
فهل أيها الدستور تسمع شاكيا بك اليوم يرجو أن يرى نهضة الشرق
لقد جئت من أفق الصوارم طالعا علينا طلوع الشمس من منتهى الأفق^(٤)
فصادفت منا أمة قد تعشقت لقاءك حتى جاوزت مبلغ العشق
ولم تبد عنفا حين جئت وإنما هتفنا جميعا بالوفاق وبالرفق
وظلنا نرجى منك للخرق راقعا ولكن تراخى الأمر متسع الخرق
بك اليوم أشقانا الألى أنت مسعد لديهم فيا لله المسعد المشقي^(٥)
نراك بأيديهم على الخلق حجة وأنت عليهم حجة لا على الخلق
قد استأثروا بالحكم وارترقوا به وسدوا على من حولهم منبع الرزق

(١) الرعيد : الجبان ، والصاغر : الدليل .

(٢) نشرت هذه القصيدة في المؤبد بمصر سنة ١٣٢٧ هجرية . قالها لما سقطت وزارة حلمي باشا ، وقامت بعدها وزارة حقي باشا ، ينتقد بها خطه الاتحاديين عقب الدستور ، أيام كانوا يؤلفون الوزارات من غير رجالهم . ويحملونها نايمة في أعمالها لما يصدره مركزهم العمومي من الأوامر والنواهي . فرجال الوزارة هم المسئولون تجاه الأمة . والأمر فيما يفعلونه للاتحاديين .

(٣) أي لا طاعة إلا لهذه الأمور الثلاثة : الدستور . والعدل . والحق . فهي الملوك على كل الملوك . ولها الحكم في كل أمر .

(٤) يريد بطلوع الدستور من أفق الصوارم : أنه أعلن حكمه بقوة السيف . على ما هو معلوم من ثورة الاتحاديين في سلانيك .

(٥) قوله « بك اليوم أشقانا الخ » . أي اتخذوك آله لاستثارتهم بالحكم . فكأنك آله بأيديهم لسماعتنا وشقائنا . واللام الأولى في قوله « فيا لله المسعد » : مفتوحة . وهي لام المستغاث به . والثانية : مكسورة . وهي لام المستغاث له .

كأنّا لهم شاء فهم يجلبوننا
وهم يأخذون الزُّبْدَ من بعد مَحْضِهَا
أترضى بأن تختص بالحكم مَعَشراً
وهم يَرِدُونَ الصَّفْوَ منك ولم نَرِدْ
فما نحن إلّا كالنَّظْمَاءِ وإنهم
ألم تر أنا طولَ عَهْدِكَ لم نَقَمْ
ولم نك نَدْرِ لاهتضام حقوقنا
ولم نستفد إلّا مسقوط وزارةٍ
وماضٍ لهم لو أستطوا نَهْجَ سَبْرِهِمْ
ألم يُبصروا للعدل غيرَ طريقهم
وماذا عسى يُجدي سقوط وزارةٍ
مضى كاملٌ من قبل حلمي وإن جرى
وما اللهم عندي بالذي قد ذكرته
ولكن وراء السُّرِّ كَفٌّ خَفِيَّةٌ
ولولا يدٌ شَدَّتْ لسانِي بِنِسْعَةٍ

وكم مَحْضُوا أوطاننا مَحْضَةَ الرِّقِّ (١)
ولم يتركوا لسانا كفيها سوى المَذْقِ (٢)
وتَصْبِحُ للباقيين حَبِراً على رِقِّ (٣)
سِوَى نَعْبَةٍ من بعض سِوَرِهِم الرِّقِّ (٤)
كساقٍ يُرِينَا الماءَ عذبا ولا يَسْقِي
نسابقُ أهلَ الجَدِّ في حَلْبَةِ السَّبْقِ (٥)
أنحن من الأحرار أم نحن في رِقِّ ؟
وتأليف أخرى مثل تلك بالفرق
وساروا بمنهاج التبصّر والحِذْقِ
فإن طريق العدل من أوضح أنطرق
إذالم نَقَمْ أخرى على العدل والصدق
كما جَرِيَا حَقِّي فمُثْلُهُمَا حَقِّي (٦)
وإن كان يشجيني ويدعو إلى الزَّعَقِ
تَزْحَرْجُ من شاء عن الأمر أو تَبْقَى (٧)
لُبَحْتُ بِسَرِّ كَالشَّجَا هو في حَلْقِي (٨)

- (١) قوله « مَحْضُوا أوطاننا » : أي استندروا خبرها بمَحْضِهَا . وتقايب الأمور فيها . كما يَمْحَضُ الزُّق ، وهو السقاء ، ومَحْضُ الزُّق : تحريكه بعد وضع اللبن فيه . لاستخراج الزبد .
(٢) المَذْق : هو اللبن الممزوج بالماء . المستخرج منه زبدة .
(٣) الرِق : بفتح الراء : الصحيفة البيضاء . وأخبر : المداد . وإراد بكونه حبراً على رِق : أنه لا حكم له . وأنه غير معمول به .
(٤) النَعْبَةُ : بفتح النون وبضمها : الجرعة . والسُور : بالضم : بقية الماء التي يَبْقِيهَا الشار في الإناء . الرِقِّ : بفتح فسكون : السكر .
(٥) حَلْبَةُ السَّبْق : هي الدفعة من الحليب في الرهان خاصة . يقال : هو يركض في كل حلبة من حلبات الجَد .
(٦) كامل وحلمي وحق : أسماء وزراء في الدولة العثمانية .
(٧) يشير بهذا البيت إلى ما كان عليه الاتعاذيون إذ ذاك . من تسييرهم الأمور من دون أن يتقاعدوا المناصب . فهم العاملون . وغيرهم المشغول . فهم في ذلك كالعامل من وراء ستار .
(٨) النِسْعَةُ : بالكسر : جبل بن آدم . والشجَا : عظم يعترض في الحلق . وهو عندهم مثل للأمر المزعج .

فيايها الدستور فاقض بما ترى
واسننا نريد اليوم حُكماً عليهم
تعالوا إلى أمرٍ تساويه بيننا
فإن يفعلوا هذا فيأمرحبا بهم
سنطلب هذا الحق بالسيف والقنا
بكل ابن حرب كلما شدّ هزّها
تراه إذا ما عبّس الموت وجهه
من العرب مطبوع الطباع على العلى

وأبرق ولكن لا تكن خُلب البرق
ولكن نناديهم وندعو إلى الحق
وبينكم في الجِلِّ منه وفي الدق^(١)
وإلا فيأسحق المعاند من سُحق
وشيب وشبان على ضمّر بلق^(٢)
بعزم من السيف المنهّد مشق
بوجه يلاقى الموت مبتسم طلق^(٣)
بديع معاني الحسن في الخلق والخلق

في معرض السيف^(٤)

هي المني كغفور الغيد تبسم
دع الأمانى أوزمهن من خطبة
واجحد لا تبسه إلا على أسس
لو لم يك السيف ربّ الملك حارسه
من سلة في دجى الآمال كان له
إذا تطرّبها الصمصامة الخدم^(٥)
فإنما هنّ من غير الظبي حلم
من الحديد وإلا فهو منهم
ما قام يسعى على رأس له القلم
فجرا تحلّ حباها دونه الظلم^(٦)

- (١) الجل والدق . وكلاهما بالكسر : الجليل والدقيق . أى العظيم والحقير .
(٢) أى على خيل ضمير بلى ، جمع ضامر . وهو القليل اللحم ، الدقيق ، وجمع أبلق ، وهو انتهى فيه سواد وبياض .
(٣) تراه : تبصره . وقوله « بوجه » فى موضع الحال من ضمير المفعول فى تراه ، والباء : للمصاحبة ، فكأنه يقول : تراه مصاحبا لوجه مبتسم عندما يعبس الموت .
(٤) لما قام الإصلاحيون فى بيروت يطالبون الدولة العثمانية بالإصلاح . قال الرصافى هذه القصيدة يؤيدهم بها ، ويدعو جميع العرب إلى الانضمام إليهم . ثم لأنهم لما عقدوا مؤتمراً المشهور فى باريس ، تبين للرصافى أنهم ليسوا على هدى من أمرهم ، فرد عليهم بقصيدة كتبها تحت عنوان (ماهكذا) . وسنأتى هذه القصيدة .
(٥) تطرّبها : حملها على الطرب ، قال الشاعر : « ولم يتطربنى بنان مخضب » .
(٦) « تحل حباها » بضم الحاء : جمع حبة . وهى اسم بمعنى الاحتباء . وتطلق على ما يحتبى به الرجل من ثوب أو عمامة . لم ويقال « حل فلان حبوته » : إذا نام ، كما يقال : عقد حبوته : إذا قعد . والمراد بكون الظلم فى هذا البيت تحل حباها ، أنها نزول دون ذلك الفجر .

- والعلم أضع من بذر بمسبحة^(١) إن الحقيقة قالت لى وقد صدقت
والحق لا يجتنى إلا بذى شطب^(٢) إن أسمع ألسن الأفلام ظالمها
فللحسام صليل يرتى شررا^(٣) هب اليراعة ردء السيف تآزره^(٤)
قالعلم ما قارنته البيض مفعرة^(٥) وإنما العيش للأقوى فمن ضعفت
والعجز كالجهل فى الأزمان قاطبة^(٦) والمجد ياتل حيث البأس يدعمه^(٧)
وإن شأوا المعالى ليس يدركه^(٨)
- إن لم تجلله من نوء الظبى ديم^(١) لا ينفع العلم إلا فوقه علم^(٢)
ماء المنية فى غريبه منسجم^(٣) بعض الصرير كمن يبكى وينظم^(٤)
مفتقا أذن من فى أذنه صمم^(٥) فهل على الناس غير السيف محتكم^(٦)
والحق ما وازرته السممر محترم^(٧) أركانه فهو فى الثاوين مخترم^(٨)
داء تموت به أو تمسخ الأمم^(٩) حتى إذا زال زال المجد والكرم^(١٠)
عزم تسرب فى أثائه السام^(١١)

* * *

- أها فأها على ما كان من شرف^(١) أيتام كانوا وشمل المجد مجتمع^(٢)
كانوا أجل الورى عزاً ومقدرة^(٣) وأربط الناس جأشاً فى موافقة^(٤)
قرم إذا فاجأتهم غمة بدروا^(٥) للعربيين قد ألوى به القيد^(٦)
والشعب ملتئم والملك منتظم^(٧) إذا الخطوب بحبل البغى تحترم^(٨)
من شدة الرعب فيها ترجف اللم^(٩) وأوفرتهم إلى تكشيفها الهم^(١٠)

(١) قوله « بمسبحة » : صفة لمخدوف ، أى بأرض مسبحة ، وهى التى تكون سبخة « أى ذات سبخ ، وهى الأرض التى تحتر ولا ينمو فيها زرع . » « إن لم تجلله » : أى لم تهمه . يقال : جال المطر الأرض : إذا غمها وطبقها .
(٢) « بذى شطب » : صفة لمخدوف ، أى بسيف دى شطب . والشطب : جمع شطبة ، وهى طريقة السيف فى منته . وقوله « فى غريبة » أى فى حديقته . والضمير : يعود إلى السيف .
(٣) الصليل : صوت وقع السيف .
(٤) الردء : العون والناظر ، وتآزره : تقويه .
(٥) ياتل : أى يتأصل . ومنه يقال : مجدأيل : أى أصيل . وقوله (يدعمه) : أى يسند . ويقويه .
(٦) شأوا المعالى : أى مداها وغايتها . وتسرى : دخل .
(٧) بدروا : أسرعوا . وأوفرتهم أمجلتهم .

على الحصافة قد ليثت عماثمهم^(١) وقضوا أعراباً أقحاحاً وأعقبهم^(٢)
 جار الزمان عليهم في تقلبه^(٣) دبّ التباغض في أحشائهم مرصاً^(٤)
 فأصبح الذلّ يمشى بين أظهرهم فأكثر القوم من ذلّ ومسكنة^(٥)
 كم قد نحت بهم في اللوم قافية وكمنصحت فما أسمعت من أحد

وبالجزماء شددت منهم الخزم^(١) خلف هم اليوم لا غرب ولا عجم^(٢)
 حتى تبدلت الأخلاق والشيم به انبرت أعظم منهم وجف دم^(٣)
 مشى الأمير وهم من حوله خدام تلتى الذباب على آناهم يم^(٤)
 من الحفيظة بالتقريع تستخدم حتى لقد جف لي ريق وكل فم

* * *

يارا كبا متن منطاد يطير به يمر فوق جناح الريح مخترقا^(١)
 يعلو إلى حيث يستجلى النيران له حتى إذا حط منقضا على بلد^(٢)
 أبلغ بني تاطى عنى مغلاة ما بالهم لم يفيقوا من عمايتهم^(٣)
 إلى متى يخفرون المجد ذمته ومن يعيش وهو مضياغ لفرصته^(٤)
 وكل من يدعى في المجد سابقة

كما يطير إذا ما أفرخ الرخم^(١) عرض الفضاء ويعدو وهو معتزم^(٢)
 مانعه الأفق أو ما وارت الأكم ينقض والبسد الأقصى له أمم^(٣)
 في طيها كلم في طيها ضررم وقد تبلى أصبح المنى لهم^(٤)
 أليس للمجد في أنسابهم رخم^(٥) ذاق الشقاء وأدمى كفه الندم^(٦)
 وعاش غير مجيد فهو متهم

(١) قد ليثت ، بالبناء المجبول : أى قد لفت .

(٢) أفرخ : جمع فرخ ، بالضم ، وهو الخالص من كل شيء . يقال : هو أعرابي فرخ ، أى خالص .
 والخلف ، يسكون اللام : الجبل ، بعد الجبل ، ولا يستعمل إلا في السوء . يقال : هؤلاء خلف سوء ،
 فإذا كان صالحا قيل خلف . بفتح اللام .

(٣) ونم الذباب يم : إذا سنج . ومصدره الويم .

(٤) المنطاد : آلة تركب ، ويطار بها في الهواء ، ويسمى بالبالون . والرخم : طائر أبيض يشبه
 النسر في الحلقة . والواحدة منه رخمة .

(٥) خفر فلانا : أى نقض عهده ، وغدر به ، يقال : خفرت ذمة فلان ، وذمته في البيت :
 بدل اشتغال من المجد ، فكأنه قال : إلى متى تخفرون ذمة المجد .

ما هكذا (*)

أصبحت أوسعهم لوماً وتشريها
وأهبت منهم الأهواء جارية
وأرسلوهن مِرْحَاةً أَعْنَتَهَا
فأرهبوا الشر حتى إن هبوته
راموا الصلاح وقد جاءوا بلائحة
قد كلفوا شططاً فيها حكومتهم
عدوا النصارى وعدوا المسلمين بها
قد حكموا الدين فيها فبنى معربة
من مبلغ القوم أن المصلحين لهم
ما بالهم وطريق الحق واضحة
لما امتطوا غارب الإفراط مركوبا
إلى التفرق أهواً فأهوبا^(١)
يُوغِلُنَ في الأمر إحضارا وتقريباً^(٢)
مدت سُرَادِقَهَا في اللوح مضروبا^(٣)
خرقاء تترك شمل الشعب مشعوبا
وخالفوا الحزم فيها والتجاربها
ونحن نعهدهم طُرّاً أعاريباً^(٤)
عما يكون لدعوى القوم تكديبا
أمسوا كمن لبس الجلباب مقلوبا^(٥)
لا يسلكون إلى الإصلاح ملحوبا^(٦)

(*) لما أطاع الشاعر على لائحة الإصلاحين في بيروت ، ورأى فسادها ، قال هذه القصيدة يؤنبهم ويفند رأيهم في ذلك ، وفي عهدهم مؤتمراً في باريس .

(١) ألهبت منهم الأهواء : في الكلام استعارة بالكناية ، حيث شبه الأهواء بالخيول العادية . ومعنى ألهبت : اجتهدت في عدوها حتى أثارت الغبار . والأهوب : اسم بمعنى الإغراب .

(٢) الضمير في أرسلوهن : يعود إلى الأهواء التي شبهها بالخيول في البيت المتقدم . ويوغلن يسرعن وييمدن ، والإحضار والتفريب : ضربان من عدو الخيل ، وفي البيت كله تخيل الأهواء المشبهة بالخيول .

(٣) أرهبوا الشر : أي أثاروا رهب الشر ، أي غباره . والهبوة : الغيرة . واللوح ، بضم اللام لهواء بين السماء والأرض .

(٤) يقول : نحن نعهدهم عرباً متمسكين بالعريية ، فلم جاءوا في لائحهم هذه بأحكام تختص بالمسيحيين ، مع أن كلا الفريقين عرب .

(٥) أي أمسوا ضحكاً للناس ، حيث فعلوا ما أضحك منهم الناس ، إذ أفسدوا وهم في طلب الإصلاح ، فصاروا كمن لبس جلبابه مقلوبا . جاعلاً أسفله أعلى . وأعلاه أسفل . فصارت الناس تهزأ به . وتضحك منه .

(٦) ملحوبا : أي واضحاً . وهو صفة وصوف محذوف . أي طريقاً ملحوباً .

أَفِي مَصَالِحِ دُنْيَاهُمْ وَهُمْ عَرَبٌ
 مَا ضَرَّهُمْ لَوْ نَحَوْا فِي الْأَمْرِ جَامِعَةً
 نَكْنَهُمْ أُمَّةٌ تَأْتِي مَشَارِبُهُمْ
 قَدْ حَاوَلُوا الْحَقَّ وَاشْتَطَوْا بِمُطْلَبِهِ
 قَدْ يَطْلُبُ الْحَقُّ طَيَّاشٌ فَيُبْطِلُهُ
 قَالُوا يَرِيدُونَ إِصْلَاحًا فَقَمَتَ لَهُمْ
 وَرَحَتِ احْتِشَمُهُمْ حَدُّوًّا بِقَافِيَةٍ
 حَتَّى إِذَا مَحَضُوا آرَاءَهُمْ ظَهَرَتْ
 سَارُوا وَسَرَتْ فَكَانَ السَّيْرُ مُخْتَلِفًا
 كَانُوا أَحَقَّ الْبَرَايَا مَطْلَبًا فَغَدَوْا
 زَامُوا انْتِشَاقَ الْعَصَا بِالشَّعْبِ مَلْتَمِيًا
 إِنْ لِيَ الْأَبْصَرُ فِي بَيْرُوتَ قَائِمَةً
 أَوْ أُكْرَةَ مِنْ «دِينَامِيَّتٍ» إِذَا انْفَجَرَتْ

فَنَارُهَا تَنْسِفُ الشُّبَّانَ وَالشُّبَّانِ
 وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْاسًا وَاصِلِينَ بِهَا وَهُمْ يَبَارِيزُ مِابَارُودِ أَنْبُوبَا^(٦)
 وَآخَرِينَ بِمَصْرِ يَطْلُبُونَ لَهَا تَفَرُّقًا يَجْعَلُ الْمَغْمُورَ مَخْرُوبًا

- (١) اشتعلوا : تبعادوا عن الحق . وجاوزوا القدر . والغريب : الأسود .
 (٢) يشير بهذا البيت والذي بعده إلى قصيدة « في معرض السيف » التي كتبها قبل هذه القصيدة يدعو القوم إلى الانضمام إليهم في طلب الإصلاح .
 (٣) التأني : الضعف ، والركاكة . والتخيب : الغش والإنساد .
 (٤) الشغب : فتيح فسكر . وقد تحرك الغين : تهيج الشر .
 (٥) القائبة : البيضة . والقوب : الفرخ . والمعنى ظاهر .
 (٦) مِابَارُود : أصله من البارود . خذفت نون من الجارة . وانصلت بالمجرور خطأ . وقد جاء استعمالها كذلك في شعر الأقدمين . وجملة : « وهم يباريز » معترضة . وأنبوبا : مفعول لواصلين . ومِابَارُود : حال من أنبوبا .

ويترك الناس في دهياء مضامة
قل للعريسي والأنباء شائعة
علام تعقد في باريز مؤتمرا
وهل تعتمد «حق العظم» فعلته
إذراح يستنجد الإفرنج منتصفا
كانه حمل يستنجد الدنيا

خافوا التذبذب في أعمال دولتهم
وكان خوفهم حقا لو أنهم
لكنهم جاوزوا نهج الصواب إلى
ولم يبالوا بما أبدوه من جنف
فهم كمن فر من قطر يبلله
لو كان في غير باريز تألبهم
لكن باريز ما زالت مطامعها
ولم تزل كل يوم من سياستها
هل يأمن القوم أن يحتل ساحتهم

من أن يجر على الأوطان تحريبا
لم يعدلوا عن طريق الحق تنكيبا
وادی تهاك فاستقصوا به الحوبا^(٣)
أن يمسى الوطن المحبوب محروبا
ثم اتجى السيل أو جاء الميازيبا
ما كنت أحسبهم قوما منا كيبا
ترنو إلى الشام تصعيدا وتصويبا
تلقي العراقيل فيها والعراقيا
جيش يدك من الشام الأهاضبا

يأبى القوم لا يغرركم نفر
جاءت رسائلهم بالشر مغرية
ضحوا بباريز إفسادا وتشعيبا
تفنن في المكر أسلوبا فأسلوبا

(١) الحبوب : الأسود الحالك . يقال : أسود حبوب وسحكوك وغريب .
(٢) لما عقد المتحوسون من العرب مؤتمرهم في باريز . أرسل حق العظم إذ ذاك عصر . تلفرافا
إلى جريدة الطان الباريزية . يطلب فيه من الحكومة الفرنسية أن تتدخل في أمر سورية . ففي
هذا البيت وما بعده إشارة إلى هذا التلفراف الذي أرسله حق العظم .
(٣) وادی تهاك . بضم التاء والهاء وتشديد اللام المكسورة : هو الباطل . ويستعمل ممنوعا
من الصرف .

فطالعوهن بالأيدى مطالعة تسطو عليهن تمزيقا وتأريبا^(١)
 إن يصدقوا إنهم لا يلبسون سوى تحض النصيحة في الدعوى جلايبا
 فسوف يقرع كل سنة ندما ويسبل الدمع في الخدين مسكوبا

في ليلة نابغة^(٢)

خاض الدجى وظلام الليل مختلط صوت به الوجد مثل السيف مخترط^(٣)
 يبت في الليل حزنا لو أحس به لبان في لمتيه الشيب والشمط^(٤)
 أبدية منقبضا منه على شجن فيملا الليل إرانا وينبسط
 أرسلت منه أنينا فأت أوله سمعي وآخره بالقلب مرتبط
 والليل أرسل وحفا من غدائره كأنه بثريا الأفق يمتشط^(٥)
 والنجم في القبة الزرقاء تحسبه فرائدا وهي من فيروزج سقط^(٦)

(١) قوله « فطالعوهن بالأيدى » المطالعة : إنما تسكون بالعيون لا بالأيدى . واسكنه أراد أن يقول : مزقوهن . فزل التمزيق منزلة المطالعة . تهكما واستهزاء . وقال طالعوهن بالأيدى . نفى الكلام استعارة تبعية معترضة . حيث حذف المشبه . وذكر المشبه به . وأثبت له ما يلائم شبه . وهو قوله بالأيدى . ثم أوضح مراده بقوله مطالعة إلى آخره .

(٢) لما نشر الرصافي قصيدته « ما هكذا » التي انتقد بها دعاة الإصلاح واللامركزيين ، ضج له ضجيج القوم ، وأخذت صحفهم تشنع عليه الأمر ، وترميه بما هو منه براء وخلاء ، فبانه الخبر وهو إذ ذاك في الآستانة ، فبات له قلق الحشا ، فكتب هذه القصيدة وكأنه كان في ليلة نابغة ، ولما عنون القصيدة بهذا العنوان .

(٣) مختلط : أى معترك شديد السواد ، فاختلاط الظلام : شدة سواده ، كأنه كرمضه على بعض ، وامتزج حتى تضاعف . والوجد : الحزن . ومخترط : بصيغة المفعول : أى مسلول .

(٤) يبت : ينشر . وضمير الفاعل المستر في يبت يعود إلى الصوت ، وضمير الفاعل في أحس يعود إلى الليل . والشمط : بياض الشعر ، فعطفه على المشيب من قبيل عطف التفسير .

(٥) قوله « وحفا من غدائره » : الوجد ، بفتح فسكون : الشعر الكثير الأسود الحسن . والغدائر : جمع غديرة وهي الذؤابة . وأراد بغدائر الليل سدول ظلامه ، فشبه الليل بحسنة أرسلت ذوائبها ، لنسرح شعرها وتمشط ، وجعل الثريا كالمشط في يدها .

(٦) الفيروزج : حجر كريم ، يكون بلون السماء . وهو المعروف بالفيروز (مغرب) . والسقط فتحتين : وعاء مقرر مستدير كالقفة . أكثر ما تستعمله النساء لوضع حلينها . ومنه قولهم : « يوجد في الأسقاط . ما لا يوجد في الأسفاط » .

كَمْ قُلْتُ وَاللَّيْلُ جَنَلُ الشَّعْرِ فَاحِجُهُ شِعْرًا بِهِ كَادَ فِرْعَ الْلَيْلُ يَنْمِطُ^(١)
يَنْجَابُ لَيْلُ الْعَمَى عَنْ قَلْبِ سَاءِ هَوَا كَالْفَجْرِ إِنْ لَاحَ فَالظَّالِمَاءُ تَنْكَشُطُ^(٢)
لَهْنِي عَلَى حِكْمٍ مَا زِلْتُ أَنْثَرُهَا دُرًّا ثَمِينًا وَمَا فِي الْقَوْمِ مَا تَقِطُ
ضَاعَ الدَّوَاءُ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أُوجِرُهُ مَنْ لَيْسَ يَشْرِبُ أَوْ مَنْ لَيْسَ يَسْتَعِطُ^(٣)
تَقُولُ لِي أَنْ غَبَطْتُ الْقَوْمَ تَجْرِبَتِي لَا تَغْبِطَنَّ فَمَا فِي الْقَوْمِ مَغْبِطُ

قُلْ لِلْأَلَى نَطَقُوا بِالضَّادِ مَدَّغَمَا لَمْ يُدْغِمِ الضَّادَ آبَاءُ لَكُمْ فَرَطُوا^(٤)
أَيَحْسُنُ اللَّحْنُ إِذَا أَبَاؤُكُمْ فَصَحُوا أَمْ يَحْسُنُ الْعِجْزُ إِذَا أَبَاؤُكُمْ نَشِطُوا
فِيكُمْ غُلُوٌّ وَتَقْصِيرٌ وَبَيْنَهُمَا ضَاعَ الْمَرَادُ أَأَنْتُمْ أُمَّةٌ وَسَطُ
إِنِّي ابْتُلِيتُ بِقَوْمٍ يَبْعَرُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، وَإِذَا عَنَّقْتَهُمْ ثَلَطُوا^(٥)
شَطُوا بِأَقْوَالِهِمْ حَتَّى لَقَدْ غَضِبُوا إِذْ قُلْتُ يَا قَوْمُ فِي أَقْوَالِكُمْ شَطَطُ^(٦)
فَبَدَّلُوا الْقَوْلَ إِنْ صَحَّتْ عِزَاتُكُمْ فِعْسًا وَإِلَّا فَإِنِّي يَأْسُ قَنِطُ
قَدْ حَرَّتْ فِي الْأَمْرِ : إِنِّي حِينَ أُسْخِطُهُمْ
يَرْضَوْنَ عَنِّي وَإِنْ أَرْضَيْتَهُمْ سَخِطُوا

قَارَ الَّذِي كَانَ فِي أَحْوَالِهِ وَسَطًا فَالْمُرُّ يُعْقَى وَإِنْ الْخَاوِ يُسْتَرْطُ^(٧)

- (١) الجنل ، بفتح فسكون من الشعر : الكثير اللين . والفاحم : الأسود . والفروع : الشعر النام . وينمط : يتساقط ويتمرط . والمراد بفِرْعَ اللَّيْلِ : ظلامه ، وبانتمائه : انجلاؤه وإضاءته .
(٢) ينجاب : أى يذهب وينجلي . وتنكشط : تنكشف وتزول .
(٣) قوله « أوجره » . تقول : أوجرت المريض الدواء : إذا صببته فيه . ويستعط : يدخل السعوط في أنفه . والسعوط : الدواء الذى يستعط .
(٤) المراد بكون الضاد مدغما : النطق به كاللادال المفخمة المدغمة ، وكذلك تنطق به العامة اليوم في سوربة . وقوله « فرطوا » : أى سبوا وتقدموا .
(٥) يبعرون : أى يرمون رجيعهم بهما . وهو رجيع ذات الحف . وقوله « ثلأوا » : أى سلأوا سلأاً رقيقاً . يقال للإنسان إذا رقى نجوه : هو يثلط ثلطا . ومعنى البيت : إنى إذا اتهم على خطيئهم الصغير ، فبدل أن يكفوا عنه يأتون بخطأ أكبر .
(٦) شطوا بأقوالهم : أى جاروا وأفرطوا . والشطط ، محركة : مجاوز القدرة والحد .
(٧) يعق ، بالبناء للدفعول : أى يكره ويماف ويلفظ . وهذا الشطر من البيت يتضمن المثل المشهور : « لا تكن حلوا فتسترط ، ولا مرا فتعق » .

قل للأعاريب قد هانت مكارمكم
برئت للعرب العرباء من فئة
أين المكارم إن هم أصبحوا عرباً
إن يغمطوني لأنى جئت أنمضهم
هم كالضفادع فاسمعهم إذا رطنوا
يستنثرون صغاراً من معاطسهم
العار يرحل معهم أينما رحلوا
من كل أشوه لاحت من مغامرته
قد رث عرّضاً وإن جدّت مآزره
تراه يشخر عند الأكل من جشع
الخلق كالخط لا تقرأ لئامهم
إن رمت تشبع من مجد فكل همماً
نفسى تجيش لأمر لو صدعت به

حتى ادّعاها أناس كلهم تبط^(١)
ينمّون للعرب إلا أنهم سقط^(٢)
فإنها في طباع العرب تشتبط
فأى مستنقض ذى نجدة غمطوا^(٣)
فإنها هنالك إلا اللغو واللفظ^(٤)
ولا يبالون أن قالوا وأن ضرطوا
والخزى يهبط معهم أينما هبطوا
في وجه كل حياة حوله نقط
من كل مخزية في وجهه شرط^(٥)
كأنما هو عند الأكل يتمخط
واشطب عليهم بنعل إنهم غلط
كأكلك السمّ ملبوكاً به الأقط
لزلزلت دونه البلدان والخطط

(١) التبط ، بالتجريك : جيل من العجم ، ويستعمل أيضاً في أخلط الناس وعوامهم .
(٢) قوله : إلا أنهم سقط . السقط بالتجريك : ما لا خير فيه ، والحسب الرذل . من كل شئ .
(٣) إن يغمطوني : أى يستحقرون ويزدروا .
(٤) رطنوا : أى تكلموا بالأعجمية . ومراده بالأعجمية هنا : اللغة العامية ، فإنها أعجمية بالنسبة إلى الفصحى . واللغو : ما لا يعتد به من الكلام . واللفظ ، بالتجريك : أصوات مبهمّة غير مفهومة .
(٥) الشرط : بالتجريك : العلامة .

آل السلطنة

ثُمَّ يَعْتَدِرُونَ بِالْمِثَالِ ذُكُوراً وَإِنَّا لَهُمْ قُصُورٌ مُّشَاهَةٌ^(١)
وَلَهُمْ أَعْبَادٌ بِهِمْ وِإِمَاءٌ وَنَعِيمٌ وَرَفْعَةٌ وَجَلَالَةٌ^(٢)
تَرَكُوا السَّعْيَ وَالتَّكْسِبَ فِي الدُّنْيَا وَعَاشُوا عَلَى الرِّعْيَةِ عَالَةً^(٣)
يَتَجَلَّى النَّعِيمُ فِيهِمْ فَتُبْكِي أَعْيُنُ النَّاسِ مِنْ نَعِيمِ الْبَطَالَةِ^(٤)
يَأْكُلُونَ اللَّبَابَ مِنْ كَدِّ قَوْمٍ أَعُوزَتْهُمْ سَخِينَةٌ مِنْ نَحَالَةٍ^(٥)
فَكَأَنَّ الْأَنَامَ يَشْقَوْنَ كَدًّا كِي تَنَالِ النَّعِيمَ تِلْكَ السَّلَالَةُ^(٦)
وَكَأَنَّ الْإِلَهَ قَدْ خَلَقَ النَّاسَ لِمَحْيَا آلِ السَّلَاطِينِ آلَةً^(٧)
نَعِمُوا فِي غَضَارَةِ الْمَلِكِ عَيْشًا وَحَمَلْنَا مِنْ دُونِهِمْ أَثْقَالَ^(٨)
فَإِذَا صَاوَلَ الْعَدُوَّ خَرَجْنَا دُونَهُمْ لِلْمَوْغَى نَزْدُ صِيَالَهُ^(٩)
وَإِذَا هُمْ جَرَّوْا الْجُرَائِرَ يَوْمًا فَعَلَيْنَا تَبْكَونَ فِيهَا الْحِمَالَةَ^(١٠)
وَإِذَا مَا اسْتَهْلَ فِيهِمْ وَلَيْدٌ فَعَلَيْنَا رَضَاعَهُ وَالْكَفَالَةَ^(١١)
قَدْ رَضَيْنَا بِذَلِكَ لَوْلَا عَتُوٌّ أَظْهَرُوهُ لَنَا عَلَى كُلِّ حَالَةٍ^(١٢)
مَا بِهِمْ مَا يُمَيِّزُهُمْ عَنْ بَنِي السُّوقَةِ إِلَّا رَسُوخُهُمْ فِي الْجَهَالَةِ^(١٣)
هُمْ مِنَ النَّاسِ حَيْثُ لَوْ غُرِبَ النَّاسُ لَكَانُوا نُفَايَةً وَخِثَالَةً^(١٤)
وَمِنَ الْجَهْلِ حَيْثُ لَوْ صُوِّرَ الْجَهْلُ لَكَانُوا بَيْنَ الْوَرَى تِمْنَالَةً^(١٥)
حَمَلُونَا مِنْ عَيْشِهِمْ كُلِّ عِبَاءٍ ثُمَّ زَادُوا أَصْهَارَهُمْ وَالْكَفَالَةَ^(١٦)

(١) مُشَاهَةٌ : مرفوعة عالية . (٢) العالة جمع عائل ، وهو الفقير . والمراد به هنا : الكل الذي يعتمد على غيره . ولا يسعى لنفسه . (٣) سَخِينَةٌ : طعام أو حساء يتخذ من دقيق وتمر ، يؤكل أيام الجهد . والنَحَالَةُ : ما يبقى في المنخل بعد نخل الدقيق من قشر الحب .
(٤) المصاولة : المواجهة . وفي الأصل : وإذا ما صال . تحريف
(٥) الحِمَالَةُ : ما يتجمله المحاربون من ديات القتلى .
(٦) استهمل : صاح عند الولادة . (٧) السوقة : من عدا الملك من الرعية .
(٨) الكفالة : ذوا القرابة غير الوالد والأولاد . يريد من ليسوا شديدي القرابة .

فكفينا أصهارهم مؤنة العيش فكانوا ضِعْفًا على إباله^(١)
تلك والله حالة يقشعر الحَقُّ منها منها وتشمئز العدالة
هي منهم دناءة وشنار وهي مِنَّا حماقة وضلالة
ليس هذا في مذهب الإشتراكية إلا من الأمور المُحالة
وهو في الملة الحنيفة اليَـسـُـء كُفْرًا ربنا ذى الجلالة

الوطن والأحزاب^(٢)

متى نرجو لغمتنا انكشافا وقد أمسى الشُّقَّاق لنا مطافا
ملأنا الجو بالجدل اصطخابا وكنا قبل نملؤه هُتافا^(٣)
وما زلنا نهم بكل وادٍ من الأقوال نرسلها جزافا^(٤)
ونُرْجِف في البلاد بكل رُعب يهز فرائص الأمن ارتجافا^(٥)
وتتهم الحكومة باعتساف ونحن أشدُّ ظالما واعتسافا
وكيم من ناعب في القوم يدعو بوشك البين تحسبه الغدافا
تبا كينا على الوطن اختداعا فأندبتنا بأدمعنا « الخلافا »^(٦)

(١) الضفت : ما علا الكف من فضبان أو حشيش أو شماريخ . والابالة : الكرامة الكبيرة منه .
(٢) قال الرصافي هذه القصيدة عند ما سقطت وزارة الاتحاديين ، وقامت وزارة أحمد مختار باشا
الغازي ، وذلك قبل الحرب البلقانية ، وكان الخلاف بين الاتحاديين والانتلافيين في أشد حالاته .
(٣) الجدل ، بالجرىك : شدة الخصومة . والاصطخاب : اختلاط الأصوات واشتدادها .
والهتاف : الصياح . وأراد بالاصطخاب : الصوت في الثمر ، وبالهتاف : الصوت في الخير . وفي
الجملة الثانية حذف ، دل عليه قوله بالجدل في الجملة الأولى ، وتقدير الكلام : وكنا قبل نملؤه
بالوفاء هتافا .

(٤) قوله « نرسلها جزافا » أي معدولا بها عن منهج الصواب ، كالبيع الذي يكون بمجازفة ،
بلا كيل ولا وزن .

(٥) نرجف : أي نخوض في الأقوال السيئة ، والأخبار المرعبة ، التي تجعل فرائص الأمن مهتزة
مرتجفة . وارتجافا في البيت مفعول مطلق ، سُلط عليه عامل من معناه ؛ أو هو نائب عن المفعول
المطلق ، على حذف مضاف . وفي قوله « فرائص الأمن » استعارة مكنية .

(٦) الاختداع : بمعنى الخدع ، وهو في البيت مفعول لأجله . وفي قوله « فأندبتنا بأدمعنا الخلافا »
تورية « فان الخلاف هو التخالف . والخلاف أيضا : شجر ، وهو صنف من الصنصاف .

أجاعتنا المطامع فاختلطنا
ولكننا من الوطن المَفْدَى
نَحِيطُ على مطامعنا غِلَافاً^(١)

* * *

أرى أنف الحوادث مُشْمَخِراً
وَيُوشِكُ أَنْ يَمْزِقَ مَنَخِرِيهِ
غدا يتشَمُّ الحَدَثُ الجُرَافاً^(٢)
عُطَّاسٌ يَمْلَأُ الدُّنْيَا رُعَافاً
فهل لوزارة « الغازی » اقتدارٌ
تَرَدُّ بِهِ الهَزَاهُزُ والنَّقَافاً^(٣)

• • •

أقولُ ولو يسوء القومَ قولي
قد اختلف البريةُ واختلطنا
بأنَّ لَمْ أَقْلُوبِلاً لِطَافَا
وإنَّ أبدتْ ظواهرُهُمْ عَفَافَا
ليأكلَ أَقْوِيَاءُهُمُ الضَّعَافَا
وبُغْيَةِ كلِّ من دَابَّ احتِرافَا
ونكثِرَ حولَ كعبته الطَوافَا
وغيرَ هَواهٍ ما ارتشفوا سُلَافَا
ولكن حبه بلغ الشَّغَافَا
كتائب كلِّ من طلبوا الرِّحَافَا
فأمن صوتُهُ الأملَ الخُفَافَا
أقامَ لَهُ بنو الشَّرَفِ الرِّفَافَا
قد اخترقوا إلى الفتن السَّجَافَا
أرى الأحزابَ من طمع وحرص
هو الدينارُ مُنِيَّةُ كلِّ راجٍ
نَحْجُجُ لِأَجَلِهِ بَيْتَ الخَازِي
ترى كلَّ الأنامِ بِهِ سُكَارِي
فجِبُّ سَواهٍ في الأفَواهِ جَارِي
هو الحربُ التي زحفت إليها
وكمْ قَدَّرَتْ في أَمَلٍ مُخَافٍ
إذا خطب الوضيعُ به المعالي
أرى الأحزابَ من طمع وحرص

(١) يريد : إنما اختلفنا للمطامع ، ولكننا نعطى مطامعنا بغطاء من حب الوطن ، ونجعلها في غلاف منه ، نحميها وسنرا لمطامعنا .
(٢) الجراف : الجارف . يقال : سيل جراف .
(٣) الهزاهز : الحروب والفتن التي تهز الناس . والنقاف : هو المضاربة بالسيوف على الرؤوس .
ووزارة الغازی : هي وزارة أحمد مختار باشا الغازی . وفي هذا البيت وما قبله كناية وتنبؤ عن المستقبل ، بالأخبار عن وقوع حروب وفتن ، وقد وقعت بعد ذلك حرب الأمم البلقانية مع الدولة العثمانية .

فسرنا كل فساد كان مُنتشراً
حتى اطمأنت قلوب الناس هادئة
وأصبح المخرج من مظالمهم
ولاعبت نيمات الحب ألوية
يا أيها الملك انساني بحكمته
قد عني في وصف ما أوتيت من حكم
غزوت غزو سلام دون غايته
ملكك بالعمو والإحسان أفئدة
وأنت لو شئت إرهاباً لجيشهم
لكنا جيشهم بالعمو تأخذهم
فاغداً سيوفك إن العفو منصلت
بالترى بالرم باللبان قاطبة
أما بنو العرب فالإخلاص يرفعهم
إذ هم عماد لعرش أنت ماسكه
ورض بهم كل صعب ، إنهم فئة
وهم ركاز العلى لو زرت أرضهم
إن يعجز الأمر عن شئ فهم صفاء
وإن خشيت على البلدان جنتها

من عنتكم بين إغراء وإيجاز
وكل قلب لكم من غيظه نازي^(١)
يرنو إليكم بطرف سخر هازي
من الرثاد أقيمت فوق أنشاز^(٢)
والمبدل الناس من ذل بإعزاز
كلاماً كلامي إطنابي وإيجازي
غزو الحروب فأنت الفاتح الغازي
كانت إلى السيف فيها بعض إعواز
بصارم لنواصي القوم جزاز^(٣)
والعمو أفضل ما يجزي به الجازي
واهناً بشعب محب غير منجاز^(٤)
بالأزمينين بالبلغار بالالاز
إلى مقام على الأقوام متماز
فاضرب بغات العدا منهم بأبواز
تبغي الصدور ولا ترضى بأعجاز
يوماً لأركزت فيها أي ركاز^(٥)
لو كنت مسندة منهم بعكاز
فقطب بها من مهاهم بعض أحرار^(٦)

- (١) نازي : أي واثب ، اسم فاعل من نزا يترى ، بمعنى وثب .
(٢) أنشاز : جمع نشر ، بالتحريك « وهو المكان المرتفع » .
(٣) جزاز : فعال من الجز ، بمعنى انقطع ، والنواصي : جمع ناصية ، وهي مقدم الرأس . وجز الناصية في كلامهم : كناية عن القبر والإدلال .
(٤) غير منجاز : أي غير عادل ولا حائد . وتقدير الكلام غير منجاز عنك . فحذف الصلة من الجار والمجرور لضيق المقام ، ولدلالة الكلام عليها .
(٥) الركاز : ما ركزه الله في المعادن من ذهب وفضة . يقال : أركز الرجل : إذا وجد الركاز . ومعنى البيت ظاهر .
(٦) أحرار : جمع حرز ، وهو العوذة التي تكتب ، وتعلق على الإنسان من أمين وانقرع واجنون .

وسيفُ ملكك إن رثت حمائله أغنوك في رأسها عن كل خراز^(١)
 زر أيها الملكُ المحبوب موطنهم ولو زيارة عجلان ومجتاز
 وانظر إليه بعين منك شافية ما نابه اليوم من جهل وإعواز
 أشتم وأعرق ورح بعد محتجزا وأيمن بعزم غير هزهاز^(٢)
 ماذا على ملك الدستور من وطن لو جال منه بأطراف وأجواز

الحق والقوة

أرى الحق لم يغش البلاد وإنما
 مشى ضارباً في الأرض تلفظه الطرُق
 فيصبح في أرض ويمسى بغيرها وحيداً فما يؤويه غرب ولا شرق
 توطن قفر الأرض مبتعداً بها إلى حيث لا إنس ولا طائر يزقو
 وقد يهبط الأمصار وهو محجب ويظهر أحيانا كما أومض البرق
 ومن عجب أن الورى يدعونه وهم من قديم الدهر أعداؤه الزرق
 أعدوا له في البر والبحر قوة إذا ظهرت ينسد من دونها الأفق
 وطاروا بطياراتهم يمتطرونه قذائف من نار كما أمطار الودق^(٣)

• • •

يقولون إن الحق في الخلق قوة تذلل لها الأعناق قهراً وتندق
 فما باله يمسى ويصبح شاكياً ولا يتحاشى عن ظلامته الخلق
 إلى الله نشكو الأمر من مدنية

تعارض في أوصافها الكذب والصدق

وكم قد سمعنا ساسة الغرب تدعى بأشياء من بطلانها ضحك الحق

(١) في رأسها : أى في إصلاحها . والضير يعود إلى الحمائل . والخراز : فعال من الحرز ، وهو خياطة الجنود .

(٢) احتجز الرجل : أتى الحجاز . وأيمن : أتى اليمن . وكذلك أشأم وأعرق : أتى الشام والعراق . وقوله « بعزم غير هزهاز » أى غير مضطرب .

(٣) الودق المطر كله : شديد وهينه .

فهم منعوا رِقَّ الأسير وإنما
ألم تر في القطار العراق أمة
قد اختطَّ فيه السيف للقوم خطة
وأوجرهم مما من الذل ناقما
فدجلة من وقع الشوائب أصبحت
وإن الفرات الغمر أمسى وماؤه

أجازوا لهم أن يشمل الأمم الرق
من الأسر مشدودا بأعناقها ربق
من العنف لم يمرر بساحتها رفق
بكأس من العدوان ليس لها مدق
تعاف ، لأن الماء في حوضها رنق
من الضيم غور ما لأوشاله نغق

• • •

رعى الله بين الوادين مواطننا
قضيت بها عصر الشباب فلي بها
فلا تعجبوا من أننى عند ذكرها
وأنى إذا أبصرتها مستضامة
ألم ترها قد أصبحت من إسارها
تجر قيود الذل راسفة إلى
ويحلب شطريها العدو ضرائباً
سلام على وادى السلام الذى به
سنفديه حتى لا حياة عزيزة
ونذكر فيه ثأرنا بكتائب
وإن الليالى بالخطوب حوامل
فتنتج حرباً ما يبوخ سعيها
بكل أخى عزم كأن مضاءه
تلفف رايات العلى بسواعد
فإما المنايا نستطب بطبها
إذا نحن لم نملك على الدهر أمره

إذا ذكرت يهزجى نحوها عشق
خواطر لم يسمح بإفشاءها النطق
أنوح عليها مثلما ناحت الورق
يكاد لها قلبى من الحزن ينشق
تليح بطرف فى لوحظه العتق
تكاليف حكم فى سياسته الحق
ويمخضها دراً كما يمحض الزق
تفاهم هول الخطب واتسع الخرق
ونبذل حتى لا نفيس ولا علق
لها نسب من صلب يعرب مشتق
ولا بد يوماً أن سيأخذها الطلق
وتستن فى ميدانها اللثم والبلق
مسطبة بيض ومسنونة زرق
لهن بتصرف القنا فى الوغى حذق
وإما منى فيها يتم لنا سبق
فلا دام فينا نابضا للعلى عرق

صبيح الأمانى (١)

تَبَدَّلَ أَفْقُ الشَّرْقِ مِنْ بَعْدِ مَا اغْتَبَرَا
وَلَوْ كَانَ صُبْحًا نَاصِعَ اللَّوْنِ مَرَرَا
وَلَكِنَّهُ صُبْحٌ يَلُوحُ لِنَظَرِي
أَرَادَ كَوَجْهَ الْغَادَةِ الْخُودِ رَاقِي
لَحْتَ تَبَاشِيرِ الْمُتَى مِنْ خِلَالِهِ
وَلَمْ أَدْرِ أَمَّا اسْتَبْهَمْتُ أُخْرِيَّاتُهُ
وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِي مَا وَرَاءَ أَحْمَرَارِهِ
وَلَكِنَّهُ وَرَى عَوَاقِبَ أَمْرِهِ
وَكَشَّرَ عَنْ صَبِيحِ الْأَمَانِي مُقَتَّرَا (٢)
وَبَرَدَ حَرًّا كَانَ فِي كَبْدِي الْحَرَّى
بِحَاشِيَةِ الزَّرْقَاءِ كَالْدَمِ مُخْمَرَا
بِحَسَنِ وَلَكِنْ قَدْ تَجَهَّمُوا وَازْوَرَا (٣)
ضَيْلًا كَهَوَاكٍ غَدَا يَشْتَكِي الضَّرَا (٤)
أَطْمَعُ أَمْ أَسْتَشِيرُ الْيَأْسَ مَضْطَرَا
لَسَرَى عَنِ النَّفْسِ الْكَثِيْبَةِ مَا سَرَى (٥)
وَكُنْتُ وَرَى عَوَاقِبَ أَمْرِهِ

فَزَادَتْ شَكْوَاكَ النَّفْسَ مِنْ أَجْلِ مَا وَرَى

يَهَامِسُنِي بِالْوَعْدِ قَوْلًا مُجْمَعًا
وَأَنَّى لِأَخْشَى أَنْ أَكُونَ بِوَعْدِهِ
كَأَنَّ هُوَ يَخْشَى أَنْ أَذِيعَ لَهُ سِرًّا (٦)
وَإِنْ أَسْفَرْتَ أَوْضَاحَهُ الْغُرْمُغْتَرَا

(١) نشرت الجرائد مقالا لشكري غانم ياريس ، صرح فيه بالتبرؤ من الأمة العربية ، قائلا :
إننا معاشر السوريين أو اللبنايين لسنا بعرب ، وإن تكلمنا بالعربية ، ولأننا نحن فينيقيون . فقال
الرصافي هذه القصيدة يرد على شكري غانم .

(٢) يشير بقوله « تبدل أفق الشرق » إلى حكومة دمشق العربية وكفى عنها بالفرار الشرق
عن صبيح الأمانى .

(٣) شبه هذا الصبح في عدم وضوحه وصدقه ، بوجه الغادة الحسناء ، الذي فيه تقليب
وبسور ، فهو على حسنه متجههم لناظرين ، أى كالح . ومزور عنهم : أى منحرف .

(٤) تباشير المتى : أوائلها التي تبشر بها . وضال : جمع ضئيل ، وهو الدقيق الحقيق . والمتهوك :
المنضى الذي أخضعه المرض .

(٥) قوله « لسرى عن النفس » : أى لكشف عنها الهم . وقوله « ولكنه ورى » فى البيت
الذى بعده : أى ولكنه أخفى عواقب أمره .

(٦) يهامسنى بالوعد : أى يكلمنى به محمسا . والهمس : الصوت الخفى . وقوله « قولاً مجمعا » :
أى قولاً غير مبين . وهو منصوب على أنه مفعول مطلق ، مسلط عليه عامل من معناه ،
وهو يهامسنى .

وما كل صبح يرتجى الناس خيره ولا كل ليل مظلم يضم الشرا
فإن كنت يا صبح الأمانى صادقا بوعد حيا الله طلعتك الغرا

• • •

خليلي هل من عاذر في قصيدة أقول بها حقا وإن قلتها مرأ
أرى هبوة سوداء في الجوا أسبلت حجابا بأفانى العراقيين ممترا (١)
وأرخت بأرض الشام منها على الربا سدولا بها جو السماء قد اغبرا
ومدّت على بيروت منها غيابة بها عاد وجه الأفق أسفع مكذرا (٢)
وما هي إلا عارض من تناكر به مريع الآمال أقفر واقورا (٣)
ترى القوم فيه نوءهم متخاذل وآماهم أمست كتيبتهما فرى (٤)

• • •

عجبت أقوم أصبحوا ينكرونا وقد عرفونا في الزمان الذي مرأ
هم أسمعونا نغمة عربية فدوى صداها في المسامع مضطرا (٥)
فكم من خضيب قام فيها مثرثرا فطرى لنا من يابس القول ما طرى (٦)
وكم شاعر قد أرخص الشعر دونها وكم قلم فوق الطروس بها صرا (٧)
وكنا أجبناهم إليها إجابة بها قد تركنا جانب الدين مزورا
رجاء اتحاد في طريق سياسة تعم مراميها بنى يعرب طرا

- (١) الهبوة : الغيرة . وأسبلت حجابا : أى أرسلته وأرخته . وفوله ممترا : أى مارا بأفانى العراقيين ، وهو اسم فاعل من امتر ، افتعل من المرور ، يقال امتر به أى مر به .
(٢) الغيابة : كل ما أظل الانسان من فوق رأسه . كالغبرة والسحابة ونحو ذلك . وأسفع : ذو سواد وشعوب . ومكدر : أى كدر . وهو اسم فاعل من اكدر كاجر . بمعنى كدر .
(٣) أقفر : خلا من السكان . وانور : ذهب ثباته .
(٤) قوله « نوءهم متخاذل » : أى ضعفاء غير متفقيين ولا متناصرين : وقوله « أمست كتيبتهما فرى » بضم الفاء . وتشديد الراء : أى منهزمة .
(٥) النغمة : الصوت بالخشوم . ودوى صداها : أى سمع له دوى . ومضطرا : مصطخبا .
(٦) مثرثرا : أى مكثر الكلام . وطارى : من التطرية : أى جعله طريا .
(٧) صر القلم صريرا : سمع له صوت عند الكتابة .

فمذ حان أن يخضل غصن اعتزازنا ويرجع بعد اليأس رطباً ويخضرنا
نصبنا خياشيم الرجاء ليريجهم فهبّت لنا نكباء عاتية صيراً^(١)

* * *

لعمرى لقد ساء الكرام ابن غانم نقي عن مناميه العروبة وادعى
بهاريس إذ قد قال ما يُنجل الحرّ جزافاً وخلقى منهمج القوم وابتراً^(٢)
وهل حسبوا أن العروبة في الورى من العرّ حتى أنكروا ذلك العراً^(٣)
كأن لم يقيم من بينهم ناعراً بها ولم يك ضرّانا بها أمس من ضرّاً^(٤)
فما أحدّ منهم وفي بهوده وكان غروراً كل ما حالفوا به
ولا أحد منهم بما قال قد برّا وشر الحليفين الذي خان أوغراً
وعاد الذي كنا نؤمل منهم إلى غير ما كنا نؤمل منجراً
وقد صوّحت تلك الأمانى كلّها

فما كنت نبات الأرض إذ هاج مصفرّاً^(٥)
وأصبح فينا شامتاً كل من غدا لأبنساء قنطوراء يغضب مُقراً^(٦)

-
- (١) نكباء منجرفة عن مهاب الرياح ، وعاتية : شديدة العصف ، مجاوزة الحد ، وصراً ، بكسر الصاد ، وتشديد الراء : أى شديدة البرد .
(٢) نقي عن مناميه : أى عن مناسبه . والعروبة : العربية . ابتراً : من الإبتراء ، وهو الاعتزال والانفراد عن الأصحاب .
(٣) العر بالفتح : العيب .
(٤) قوله ضرّانا بها : أى أغرانا ، يقال : ضراه بكذا تضرية : أى ألحقه به ، وأغراه ، وعوده إياه .
(٥) قوله صوّحت تلك الأمانى : أى يبست وجفت .
(٦) أبناء قنطوراء : الترك . وقوله ممقراً : أى نابتاً عرقه ، يقال امقر الرجل امقراً : إذا نأ عرقه ؟ ويكون ذلك عند الغضب .

نوح دجلة

قالها بعد سقوط بغداد في أثناء الحرب العامة ، جواباً

عن قصيدة للشاعر التركي الشير سليمان نظيف بك :

هِيَ عَيْنِي وَدُمْعُهَا نَضَّاحٌ . كُلُّ حُزْنٍ لَمَامُهَا يَمْتَحُ
كَيْفَ لَا أَذْرِفُ الدَّمْعَ وَعِزِّي بِيَدِ الذِّلِّ هَالِكٌ مُجْتَحِ
قَدْ رَمَتْنِي يَدُ الزَّمَانِ بِخُطْبٍ جَلَلٍ مَا لِلَّيْلِ إِصْبَاحُ
حَيْثُ غَمَّتْ عَلَيَّ وَجْهَ سَمَائِي ظُلُمَاتٌ تَخْفَى بِهَا الْأَشْبَاحُ
وَتَوَارَى عَنِ أَعْيُنِي مَضْمُجًا شَرَفٌ فِي مَوَاطِنِي وَضَّاحُ
يَوْمَ أَمْسَيْتُ لَا حِمَاةَ تَذُودُ الضَّيْمَ عَنِّي وَلَا ظُبِّي وَرَمَاحُ
فَأَنَا الْيَوْمَ كَالسَّفِينَةِ تَجْرِي لَا شِرَاعَ لَهَا وَلَا مَلَّاحُ
ضَمَيْتُ ذُرْعًا بِمَحْنَتِي فَتَرَاءَتْ قَيْدَ شِبْرِ لِي الْفِجَاجُ الْفِسَاحُ
أَخْرَسَ الْحُزْنَ مَنْطِقِي بِنَحِيبِ أَلْسُنُ الدَّمْعِ فِيهِ ذُلٌّ فِصَاحُ
نُحْتُ حَتَّى رَأَيْتُ الْعَدُوَّ لِحَالِي وَاعْتَرَانِي مِنَ الْعَوِيلِ بُحَاحُ
فِيهَا هِيَ أَنْسَكَبُ دُمُوعِي وَخَرِيرِي هُوَ الْبُكَاءُ وَالنَّوْاحُ
أَوْ مَا تَبَصَّرْتُ اضْطِرَابِي إِذَا مَا خَفَقَتْ فِي جَوَانِبِي الْأَرْوَاحُ
لَيْسَ ذَا الْمَوْجِ فِي مَوْجًا وَلَكِنْ هُوَ مَنِي تَنْهَدُ وَصِيَا
إِنْ وَجَدِي هُوَ الْجَحِيمُ وَلَوْلَا أَدْمَعِي أَحْرَقْتَنِي الْأَتْرَاحُ
لَوْ دَرَى مَتَبَعِي بِمَا أَنَا فِيهِ مِنْ أَسَى جَفَّ مَأْوُهُ الضَّحَضَاحُ (١)
عَلَّه قَدْ دَرَى بِذَلِكَ فَهَذَا هُوَ بَالُكَ وَدُمْعُهُ سَفَّاحُ .

* * *

أَيْنَ أَهْلُ الْخِيفَازِ هَلْ تَرْكُونِي نَهْبَةً فِي يَدِ الْعَدُوِّ وَرَاحُوا
بِرِحْوَا وَادِي السَّلَامِ عِجَالًا أَفْجِدُ بِرَاحَتِهِمْ أَمْ مُزَاحُ

(١) الضحضاح : الذي ليس بميت .

ما هم يَبْعِدُونَ عَنِ انْتِزَاحٍ وَعَزِيزٌ مِنْهُمْ عَلَى انْتِزَاحٍ^(١)
 أَوْ مَا يَعْلَمُونَ أَنَّ حَرِييَ الْمُعَادِينَ بِهِمْ مُسْتَبَاحٌ
 قَلْبُنَ يَبْعِدُوا فَإِنْ فَوَّادِي لَا لِيَهُمْ بَوْدُهُ طَمَّاحٌ
 تَرْكُونِي مِنَ الْفِرَاقِ أَقَامِي أَلَمَّا مَا تَطِيقُهُ الْأَرْوَاحُ
 لَوْ رَأَوْنِي سَبِيًّا بِأَيْدِي الْأَعَادِي لَبَكَّوْا مِثْلَمَا بَكَيتُ وَنَاحُوا
 لَا مَسَائِي بَعْدَ الْبَعَادِ مَسَاءَ يَوْمٍ بَانُوا وَلَا الصُّبْحُ صَبَاحُ
 أَتَمَنَّى بَأَنْ أَطِيرَ إِلَيْهِمْ بِمَجْنَحٍ وَأَيْنَ مِنِّي الْجَنَاحُ
 أَنَا أَدْرِي بَأَنَّهُمْ بَعْدَ هَجْرِي لَمْ يَذُوقُوا غَمًّا وَلَمْ يَرْتَاحُوا
 بَلْ هُمُ الْيَوْمَ عَازِمُونَ عَلَى الزَّحْفِ بِجَيْشٍ بِهِ تَغَصُّ الْبَطَاحُ^(٢)
 إِنْ تَأَنَّنَوْا فَرَبْضَةُ اللَّيْلِ تَأْتِي بَعْدَهَا وَثَبَّةٌ لَهُ وَكَفَاحُ
 كَيْفَ يُغْضُونَ عَنْ إِغَاثَةِ وَاِدٍ زَانَهُ مِنْ وَدَادِهِمْ أَوْضَاحُ
 فَعَلِيهِ مِنْ فَخْرِ عُثْمَانَ تَاجٍ وَلَهُ رَايَةُ الْهَلَالِ وَشَاحُ
 أَنَا بَاقٍ عَلَى الْوَفَاءِ وَإِنْ كَا نَتُّ بَقْلِي مِنْ أَحَبِّ جِرَاحُ
 فَاِلَيْهِمْ وَمِنْهُمْ الْيَوْمَ أَشْكُو بُلْغِيهِمْ شَكَايَتِي يَا رِيَّاحُ

(١) الانتزاح : النأي والبعد .

(٢) تغص : تكتل . والبطاح : جمع بطحاء ، وهي الأرض المليئة السمكة .

بعد براح الشام

- قد صحَّ عزمك والزمانُ مريضٌ حَتَّامٌ تذهبُ في المني وتليضُ^(١)
 ما بالُ همك في الفؤاد كأنه عَظَمَ يثقلُ في حشاك مهيضُ^(٢)
 كم بتَّ مُعتلِّجَ الهموم بليلاً ما لظلام بقجرتها تقويضُ^(٣)
 طنتَ بمسمعك المواجهسُ في الشَّجَى
 فنفتُ كراك كما يطنَّ بعوضُ^(٤)
 تنبو جنوبك عن فراش ناعم فكأن مضجعتك الدميث قضيضُ^(٥)
 وكأن جنبك بالجوى متقرِّحٌ وكأن قلبك بالهموم رضيضُ^(٦)
 كبرت لنفسك في الحياة لبانة ضاقت سماءات بها وأروضُ^(٧)
 ما زلتَ تقتحمُ المهالكَ دونها فاهولَ تركبُ والصَّعابَ تروضُ^(٨)
 لله أنت فأى هولٍ تمتطى أم أئى مُعتركِ الخطوب تحوضُ

* * *

- ولربَّ قافيةٍ كؤتلق السنا يحلو الشكوكَ يقيتها المححوضُ^(٩)
 صرحتَ في إنشادها بحقيقةٍ فات الأنامَ بمثلها التعريضُ^(١٠)

(١) آض يضيض أيضا : رجع .

(٢) هيض العظم : كسر بعد الجبور ، فهي مريض .

(٣) محتاج الهموم : شديدتها . تقويض الخيمة ونحوها : هدمها . شبه الظلام بالحمة .

(٤) الطنين : صوت الدبابة ونحوه . كأن المواجهس من كثرة معاودتها له ، صارت ذات طنين ،

فأزالت عنه النوم .

(٥) نبا جنبه عن الفراش : لم يوافقته فتركه . والدميث : الوثير اللين . والقضيض : الحصى الصغار .

(٦) الجوى : الحزن . ومتقرح : ذو قروح ، وهى الجروح . والرضيض : فعيل بمعنى

مفعول ، أى مرضوض ، أى مكسور .

(٧) كبرت : عظمت . واللبانة : الحاجة . والأروض : جمع أرض .

(٨) تقتحم المهالك : تلقى نفسك فيها . وتروض : تسوس وتدلى .

(٩) السنا : الضوء . والمححوض من الحوض ، وهو الخالص .

(١٠) التعريض : أن تشير إلى الشيء من طرف خفى ، تجمجم ولا تصرح .

- ولقد أَجَرْنِي القَرِيضُ عِنَانَهُ (١)
وَأَتَى المَدَى يَوْمَ السَّبَاقِ بَجَلِيًّا
قَد كُنْتُ أَنْبِطُ للقَرِيضِ قَرِيحَةً
وَلَكُم وَقَفْتُ مِنَ السِّيَاسَةِ مَوْقِفًا
مُسْتَنْهَضًا بِالشَّعْرِ قَوْمِي لِلْعَلَى
أَيَّامٌ لَمْ يَنْطِقْ بِذَلِكَ شَاعِرٌ
حَتَّى إِذَا دَارَ الزَّمَانُ مَدَارَهُ
وَعَدَا يَنَارَعُنِي الحَرُورَةُ شَاعِرٌ
وَيَبْزَنِي ثَوْبَ الأَمَانَةِ خَائِنٌ
كَمْ مَدَّعٍ دَعَوَايَ فِي وَطَنِيَّةٍ
مِنْ كُلِّ عَبْدٍ فِي السِّيَاسَةِ بَاعُهُ
تَعَسَّى الْمُخَاصِمُ إِنَّ لِي لِقَصَائِدًا
فَإِذَا ادَّعَيْتُ فَمِنْ فِي دَعَوَايَ لِي
- وَنَحَا بِي المِضْمَارَ وَهُوَ مَرُوضٌ (١)
يَجْرِي سَبُوحٌ خَلْفَهُ وَرَكَوْضٌ (٢)
بِمَفَاخِرِ الْعَرَبِ الْكَرَامِ تَفْيِضٌ (٣)
مَحْيَايَ فِيهِ عَلَى التَّوَى مَعْرُوضٌ (٤)
إِذَا كَانَ فِيهِمْ فَتْرَةٌ وَرُوضٌ (٥)
قَبْلِي وَلَمْ يَنْشُدْ هُنَاكَ قَرِيضٌ
خَابَ القَرِيضُ وَعَادَ وَهُوَ جَرِيضٌ (٦)
مَا كَانَ حُرًّا شَعْرُهُ الْمَقْرُوضُ (٧)
كَأَبِي بَرَأَقَشَ طَبَعُهُ الْمَرْفُوضُ (٨)
أَنَا كُنْتُ أَبْنِيهَا وَكَانَ يَقْوُضُ (٩)
وَشَرَاهُ هَذَا الدَّرْهَمُ الْمُتَقَبُوضُ
طَرَفُ الْمَعَانِدِ دَوْمَهَنٌ غَضِيضٌ (١٠)
حُجْبَجِ دَوَامُغُ مَا لَهْنٌ دُحُوضٌ (١١)

- (١) أَجَرْنِي القَرِيضُ عِنَانَهُ : أُلْسِنِي قِيَادَهُ . وَالْمِضْمَارُ : الْمِيدَانُ ضَمَرَ فِيهِ خَيْلَ السَّبَاقِ .
وَالْمَرُوضُ : الْمَدْرَبُ عَلَى الْحَرِيِّ فِي السَّبَاقِ .
- (٢) الْحَجَلَى مِنْ خَيْلِ السَّبَاقِ : السَّابِقُ الْمَتَقَدِّمُ . وَالسَّبُوحُ : الْقَرَسُ الْخَفِيفُ فِي عَدْوِهِ ، كَأَنَّهُ
يَسْبِجُ فِي الْمَوَاءِ . وَالرَكَوْضُ : الشَّدِيدُ الْعَدْوِ .
- (٣) أَنْبِطُ الْبَثْرَ : حَقَرَهَا . وَتَفْيِضُ : يَتَزَرَّ مَائُهَا حَتَّى يَسِيلَ عَلَى الْجَوَانِبِ .
- (٤) تَوَى يَقْوَى تَوَى مِنْ بَابِ فَوَحَ : هَالِكٌ . يَرِيدُ : وَقَفْتُ فِي السِّيَاسَةِ مَوَاقِفَ كَثِيرَةٍ
تَعَرَّضْتُ فِيهَا حَيَاتِي لِلْحَمَامِ .
- (٥) فَتْرَةٌ : فَتَوْرٌ . وَرَبُوضُ الْغَنَمِ : بَرُوكُهَا عَلَى الْأَرْضِ ، يَرِيدُ الْكَسْلَ وَالْفَعُودَ عَنْ
السَّاعَى الشَّرِيفَةِ .
- (٦) الْجَرِيضُ : غَضَصُ الْمَوْتِ . وَفِي الْمَثَلِ « حَالُ الْجَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ » .
- (٧) الْحَرُورَةُ ، بَفَتْحِ الْحَاءِ ، كَالْحَرِيَّةِ وَالْحَرُورِيَّةِ « وَالْحَرَارَةُ وَالْحَرَارُ : وَهِيَ الْعَتَقُ وَالنَّفَاسَةُ .
- (٨) يَبْزَنِي : يَسْلُبُنِي . وَأَبُو بَرَأَقَشَ : حَيَوَانٌ لَا يَزَالُ جِلْدُهُ يَتَلَوَّنُ أَلْوَانًا فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ .
- (٩) يَقْوُضُ : يَهْدِمُ . وَالَّذِي فِي مَعَاجِمِ اللُّغَةِ : يَقْوُضُ بِتَشْدِيدِ الْوَاوِ .
- (١٠) غَضِيضٌ : مَغْضُوضٌ ، أَيْ مَكْسُورٌ . (١١) دَحَضْتُ حُجَّتَهُ : بَطَلْتُ

وَسَلَّ الْيَرَاعَ يُجَبِّكَ عَنِ نَاطِقًا بِمَقَالٍ صِدْقٍ لَيْسَ فِيهِ غَمُوضٌ ^(١)

لَمَّا تَكَرَّهْنِي الْأَرَاذِلُ سَرَّني أَنِّي إِلَيْهِمْ يَا أُمِّيمَ بَغِيضٌ ^(٢)

وَلَقَدْ بَرَّتُ إِلَى الْوَفَاءِ مِنْ أَمْرِي عَهْدَ الصَّدَاقَةِ عِنْدَهُ مَفْقُوضٌ ^(٣)

وَجَزَيْتُ كُلَّ صَنِيعَةٍ بِمِثْلِهَا إِنْ الصَّنَائِعُ فِي الرِّجَالِ قُرُوضٌ ^(٤)

لَا تَطْلُبَنَّ مِنَ الزَّمَانِ حَقِيقَةً مَالِ الْحَقِيقَةِ فِي الزَّمَانِ وَمَيْضٌ ^(٥)

وَإِذَا مَحَضَتْ مِنَ اللَّيَالِي صَرْفَهَا أَبْدَى الْعَجَائِبَ صَرْفَهَا الْمَخُوضُ ^(٦)

وَحَوَادِثُ الْأَيَّامِ مِثْلُ نِسَائِهَا فِي الْحُكْمِ تَطَهَّرَ تَارَةً وَتَحْمِضُ

وَلَرَبَّمَا أُتْنَجَنَ كُلُّ كَرِيهَةٍ سَوْدَاءُ تَقْنَأُ فِي وَغَاهَا الْبَيْضُ ^(٧)

قَدْ سَاءَ مُنْقَلَبُ الْبِلَادِ بِأَهْلِهَا فَانْحَطَّ أَوْجٌ وَاشْمَخَرَّ حَضِيضٌ ^(٨)

ذَهَبَ الْحَيَاءُ فَكَمْ رَأَيْنَا صَاغِرًا قَدْ جَاءَ وَهُوَ لِمَذْرُوبِهِ نَفُوضٌ ^(٩)

وَوَقَّحَ تَعَامَى عَنْ مَدَانِسِ عَرْضِهِ فَرْهَاهُ عُجْبًا ثُوبُهُ الْمَرْحُوضُ ^(١٠)

غَلَبَ الشَّقَاءُ عَلَى الْأَنَامِ فَخِيرَهُمْ دَثٌّ وَقَطَرٌ شُرُورُهُمْ إَغْرِيبُضٌ ^(١١)

(١) (اليراع : جمع يراعة ، وهى القصبه التى تنبى للسكرتابة .

(٢) (تَكَرَّهْنِي : كرهنى . وَأُمِّيمَ : مَرَحِمَ أُمِّيمَةٍ ، تصغير أم .

(٣) (نَفُوضَ الشَّيْءِ : المَفْقُوضُ كَالْجُلِّ : إِذَا نَكَثَهُ وَخَلَّاهُ .

(٤) (الصَّنِيعَةُ : المَعْرُوفُ . وَالصَّنَائِعُ قُرُوضُ : لِأَنَّ الْمَرْءَ لَا يَدُ أَنْ يَجْزَى بِعَمَلِهِ ، فَكَأَنَّ الْجَلِيلَ

رَضَى يَرْدُ إِلَيْهِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ .

(٦) (الْحَضُ : وَضْعُ اللَّبَنِ فِي السَّعَاءِ وَتَحْرِيكُهُ لِاسْتِخْرَاجِ الزَّبَدِ مِنْهُ ، يَرِيدُ إِذَا اعْتَبَرْتَ بِحَوَادِثِ

الدَّهْرِ رَأَيْتَ مَا مَدْهَشَكَ ، فَكَمْ نِعْمَةٍ فِي ثُوبِ نِقْمَةٍ ، وَكَمْ نِقْمَةٍ فِي ثُوبِ نِعْمَةٍ .

(٧) (تَقْنَأُ تَحْمَرُ . وَالْوَغَى : الْحَرْبُ . وَأَصْلُهُ أَصْوَاتُ الْأَبْطَالِ ، فِي سَاعَاتِ النِّزَالِ . وَالْبَيْضُ :

السِّيُوفُ ، جَمْعُ أَيْضٍ .

(٨) (الْأَوْجُ : أَعْلَى الشَّيْءِ . وَالْحَضِيضُ : أَسْفَلُ الْجَبَلِ . وَاشْمَخَرَّ : عَلَا وَارْتَفَعَ .

(٩) (الصَّاعِرُ : الدَّلِيلُ الْخَفِيرُ . وَالْمَذْرُوعَانِ : مِثْنَى مَذْرَى ، وَهُوَ طَرَفُ الْأَلْيَسَةِ . وَنَفُوضُ :

مَحْرُوكٌ . أَيْ كَمْ خَفِيرٌ ذَلِيلٌ جَاءَ يَسْتَطِيلُ عَلَى غَيْرِهِ وَيَهْدِدُهُ .

(١٠) (الْوَقَّحَ : الْجَرَىءُ السَّيِّئُ الْأَدَبُ . وَتَعَامَى : تَظَاهَرَ بِأَنَّهُ أَعْمَى وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، وَالْمَدَانِسُ :

جَمْعُ مَدْنَسٍ ، وَهُوَ الدَّنَسُ . وَزَهَاهُ : مَلَأَهُ . وَالْمَرْحُوضُ : الْمَقْسُولُ .

(١١) (الدَّثُ : أَشَدُّ الْمَطَرِ وَأَخْفَقُهُ . جَمْعُهُ دَثَاتٌ . وَالْإَغْرِيبُضُ : قَطَرٌ كَبِيرٌ .

كيف السعادة في الحياة والورى
أم كيف تبدع المعالي أمة
لن تعدم الدنيا الشقاء بأهلها
ويح الذكاء فقد تأخر أهله
أخرى البلاد مفسداً بلده به
وإذا القى قعدت به أفعاله
والمرء إن عذمت سجيته العلى
في قوس كل ضغينة تنفيض^(١)
في العلم قل نصيبها المفروض
ما دام ملك في البلاد عضوض^(٢)
حتى تقدم من قضاة عريض
مقيت الأديب وأكرم العربى
أستيه بالنسب الرفيع نهوض
ثم يبتثته إلى العلى تحريض

تجاء الريحاني

شكوى العامة

هذه هي القصيدة التي أنشدتها الرصافي في حفلة أقيمت في المعهد العلمي تكريماً
لأمين الريحاني ، عند قدومه بغداد في أيلول سنة ١٩٢٢

إن العراق بعرضه وبضوله
يهتز بتهيجا بمقدم ضيفه
ومرحبا بالشكر في ترحيبه
بربيب أبنان ، بريحانية
بالعبرى ، بفيلسوف زمانه ،
بأصح أحرار الأنام تحرراً
إننا نبجل منه خير مبجل
أأمين جئت إلى العراق لكي ترى
وبرافديه وبسقات تحيله
ويكش مبتسماً بوجه نزيله
ومؤهلاً والحمد في تأهيله
بكبير معشره ، بفخر قبيله
بأديب أمته ، بداهي جيله
في فكره ، وبغاله ، وبقيله
تبجيل كل الفضل في تبجيله
ما فيه من غرر العلى وحجوله

(١) الضغينة : الضغن والمقد . والتنفيض : يقال نبض قوسه نبضا : إذا جذب وترها ثم أرسله لترن وتصوت . وهذا من قول المتنبي :

كلما أنبت الزمان قننا ركب المرء في القننا سنانا

(٢) ملك عضوض : أى يعرض عليه بالنواجز ، حرصا عليه ، يقتل في سبيله الابن أباء والأب ابنه .

عَفَوا فذاك النجمُ أصبحَ آفَلا
أو ما ترى قَطْرَ المِراقِ بحسَنه
أَمَّا الحيا فيه فذِيكَ الحيا
وربيعُه ذاكَ الربيعُ وإنْ شكا
فأَقِمْ به ذاكَ الغنى بفرانِه
وأَنزلْ على وادى السلامِ ممتعا
والنجمُ به تَغَرَّ الطبيعةُ باسمَا
وترقُبْ أَسْحارَه حتى إذا
وانظر محاسنَ أرضه وسمائه
فالجوُّ فيه منيرةٌ أوضاحه
والليلُ فيه مَكَلَّلٌ بِمِرْصَعٍ
وترى النهارَ به كذهنك واقدا
وترى ضياءَ الشمسِ فيه مغلفا
وإذا وقفتَ بدارسٍ من تجدِه
وانحَبَّ كما تحبُّ الحزينُ مُكَنَّفَا
فلقد عفا المجدُ القديمُ بأرضه
وإذا نظرتَ إلى قلوبِ رجاله
تجدُ الرجالَ قلوبُها شَتَّى الهوى

والقومُ محترِبُونَ بعدَ أفولِه^(١)
قد فاقَ مَقَرُّه على مأهولِه^(٢)
لكنَّ مَسِيلُ الماءِ غيرُ مَسِيلِ
من جَول ساكنه اشتدادَ مُحولِه^(٣)
عن قَطْرٍ مصرَ وعن مواردِ نيلِه
رَغِيدَ عيشٍ تحتَ ظِلِّ نخيلِه
يَشْفِي مِنَ المِشْتاقِ حرَّ غليلِه^(٤)
هَبَّ النسيمُ فحَسَّ نَبْضَ عليلِه^(٥)
وانشَقَّ أريجُ شَمالِه وقبُولِه
والحسنُ فيه دقيقتُه كجليلِه
وكواكبُ الإكليلِ من إكليلِه
بالشمسِ تَشْرِيقُ في وجوهِ سُهولِه
بِنظيرِه ومُتَسلسِلًا بمِثْلِه
فكروقةُ الباكينَ بينَ طُولِه
غَرَبَ الدموعِ بجانبِ مَنديلِه
وعليه جَرَّ الدهرُ ذيلَ خمولِه
فانظرَ حديدَ الطَّرَفِ غيرَ كليلِه
مَدَّ الشَّقاقُ بها حبالَ غُولِه^(٦)

(١) محترِبُونَ : يحارب بعضهم بعضا ، لذهاب نور العز الذي كان يهديهم . والأفول غروب الكواكب .

(٢) أى أن إقليم العراق يقل فيه العمران ، بحيث إن الأراضى البور فيه أكثر من الأراضى الخصبة الغامرة

(٣) المحول : الجذب . (٤) حر غليله : شدة عطشه .

(٥) أى المسألة عن علته ، والبحث في مظاهر تأخره .

(٦) الحبال الشبكية ينصبها الصائد في طريق الصيد ليقنضه بها . والفول : شئ نومه العرب كأنه حيوان يشع يسكن القفار ، وبهلك من يظفر به من الأناسي .

متناكرين لدى الخطوب تناكراً
فالجار ليس بأمنٍ من جاره
والدينُ فيه يقولُ ذو قرآنَه
وإذا تأوَّل قولهم متأوَّلٌ
وإذا تكلمَ عالمٌ في أمرهم
حالٌ لو افترَكَ الحكيمُ بكنهه
من ذا يبدِّله فإن قوارعي
والجهل لا يُبقى على أربابه
أأمينٌ لا تغضبُ على فإنتي
من أينَ يرجي للعراق تقدُّم
لا خير في وطن يكون السيفُ عند جبانه ، والمال عند بخيله
والرأى عند طريده ، والعلم عند غريبه ، والحكم عند دخيله
وقد استبدَّ قليله بكثيرة
إني إذا جدَّ المقال بموقف
وإذا الخاطب كان مثلك واعياً
يا من يكمُّ فضله متواضعاً
شكواي بحت بها إليك وليس في
إن المريض ليستريح إذا اشتكى
وكذا الحزين إذا تهيج حزنه
إني لأنف أن أبوح بمضمري
ولدى إن وصل الحبيب تمسكٌ

يعيا لسان الشعر عن تمثيله
والخيل ليس بواثق بخيله
قولاً يحاذر منه ذو إنجيسه
صرفوه بالكفر عن تأويله
خفروا ذمام العلم في تجهيله
طول الزمان لعي عن تعليله (١)
يئست لعمر الله من تبديله (٢)
كالسيف ليس براحم لقتيله
لا أدعي شيئاً بغير دليله
وسبيل ممتلكيه غير سبيله
لا خير في وطن يكون السيف عند جبانه ، والمال عند بخيله
والرأى عند طريده ، والعلم عند غريبه ، والحكم عند دخيله
وقد استبدَّ قليله بكثيرة
إني إذا جدَّ المقال بموقف
وإذا الخاطب كان مثلك واعياً
يا من يكمُّ فضله متواضعاً
شكواي الزميل غضاضة لزميله
ما به لطيبه وخليله
يبيكي فيسكنُ حزنه بعويله
إلا لقتدر على تحصيله
بالعز يمنعُ فأي من تقبيله

(١) كنه الشيء : حقيقته .

(٢) قوارعي : جمع قارعة ، وهي الكلمة الشديدة ، تفرع الأذان بشدها .

بعد النزوح

فلما في برب سنة ١٩٢٢ كان قد خرج من بغداد على ألا يعود إلى العراق

- هي المواطن أدنيها وتقصيني
قد طال شكواي من دهر أكا بده
كانت في بلادى إن نزلت بها
حتى متى أنا في البلدان معترب
فتارة في المواسى فوق مؤقره
كم أغرقنى الليالى في مصائبها
أنا ابن دجلة معروف بها أدبى
قد كنت بلبلها الغريد أنشدها
محيث الفصون أقلتني مسكلة
فبينما كنت فيها صادحا طربا
إذ حل فيها غراب كان يؤحشني
حتى غدت طريدا للغراب بها
فطرت غير مهال عند ذاك بما
- (١) مثل الحوادث أبلوها وتبليني
أما أصادف حرا فيه يشكيني
نزلت منها بيت غير مسكون
نوايب الدهر بالأنياب تدميني
(٢) وتارة في الطواحي فوق مشحون
فعمت فيهن من صبرى بدلفين
(٣) وإن يك الماء منها ليس يوريني
أشجى الأناسيد في أشجى التلاسين
بالورد ما بين أزهار البساتين
أستفشق الطيب من نفع الرياحين
(٤) وكان تنعابه بالبين يؤذيني
وما غدت طريدا للشواهين
(٥) تركت من نرجس فيها ونسرين
(٦)

ويل لبغداد مما سوف تذكره عني وعنها الليالى في النواوين

- (١) أبلوها : اختبرها . وتبليني : نال مني وتضعفني .
(٢) المواسى : جمع موصاة ، وهي الصحارى المفرة ، والمؤقره : الناقة التي حملت عليها الأوتار ، وهي الأعمال الثقيلة . والطواحي : جمع طاحي ، وهو البحر ، والمشحون : صفة لمخدوف ، أى انقلب المشحون .
(٣) الدلفين : حيوان بحري ، يحمل القرى إلى الشواطىء . ولعله هنا يريد سفينة تشبه الدلفين في صورتها .
(٤) تنعابه : صياحه . والبين : الفراق .
(٥) الشواهين : جمع شاهين ، وهو من جوارح الصيد .
(٦) النرجس : زهرة جميلة ، والنسرين : ربحان عبق الرائحة .

لقد سَقَيْتُ بَفِيضِ الدَّمْعِ أَرْبَعَهَا
 ما كنتُ أَحْسِبُ أَنِّي مَذْبُكِيَّتُهَا
 أَنِّي المَرْوَّةُ أَنْ يَعْتَزَّ جَاهِلُهَا
 وَأَنْ يَعِيشَ بِهَا الطَّرْطُورُ ذَا شَمِّهِ
 تَاللهُ مَا كَانَ هَذَا قَطُّ مِنْ شَيْمِي
 وَلَسْتُ أَبْذُلُ عَرْضِي كِيْ أَعِيشَ بِهِ
 أَغْنَتْ خَشَوْنَةُ عَيْشِي فِي ذَرَى شَرْفِي
 عَاهَدْتُ نَفْسِي وَالْأَيَّامَ شَاهِدَةَ
 وَلَا أَصَادِقَ كَذَابًا وَلَوْ مَلِكًا
 أَمَّا الْحَيَاةُ فَشَيْءٌ لَا قَرَارَ لَهُ
 سَيَّانٌ عِنْدِي أَجَاءَ الْمَوْتُ مُحْتَرِمًا
 مَا بِالسَّنِينَ يُقَاسُ الْعُمْرُ عِنْدِي بَلْ
 لَوْ عَشْتُ سَتِينَ عَامًا لَا اسْتَعْصَمْتُ بِهَا
 فَإِنَّمَا أَطْوَلُ الْأَعْمَارَ أَجْمَعِهَا
 إِنَّ اللَّثِيمَ دَفِينٌ قَبْلَ مِيتَتِهِ
 وَلَيْسَ مِنْ عَاشٍ فِي ذَلٍّ يَمْتَعِبُطِ

على جوانبِ ودٍ ليس يَسْقِينِي
 قَوْحِي بِكَيْتٍ عَلَى سَوْفٍ مِنْ يَبْكِينِي
 وَأَنْ أَكُونَ بِهَا فِي قَبْضَةِ الْهُونِ
 وَأَنْ أُسَامَ بِعَيْشِي جَدْعٌ عَرِينِي^(١)
 وَلَا الْخِيَاةُ عَلَى النَّكَرَاءِ مِنْ دِينِي
 وَلَوْ تَأَدَمْتُ زُقُومًا بِخَسَلِينَ^(٢)
 عَمَّا أَرَى بِخَسِيسِ الْعَيْشِ مِنْ لِينِ^(٣)
 أَلَّا أَقَرَّ عَلَى جَوْرِ السَّلَاطِينِ
 وَلَا أَخَالِطُ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ
 يَحْمِيهَا الْمَرْءُ مَوْقُوتًا إِلَى حِينِ
 مِنْ قَبْلِ عَشْرِينَ أَمٍّ مِنْ بَعْدِ تَسْعِينَ
 بِمَا لَهُ فِي الْمَعَالِي مِنْ تَحَاسِينِ
 سَتِينَ مَكْرُمَةً بَلْ دُونَ سَتِينَ
 الْمَكْرُمَاتِ مِنَ الْأَبْكَارِ وَالْعُورِ
 وَمَا السَّكْرِيمُ وَإِنْ أُودِيَ بِمَدْفُونِ
 وَلَا الَّذِي مَاتَ فِي عِزٍّ بِمَغْبُونِ

ما كنتُ أَحْسِبُ بَغْدَادًا تُحَلِّثُنِي
 عَنْ مَاءِ دَجَلَتِهَا يَوْمًا وَتُظْمِنُنِي^(٤)
 حَتَّى تَقْلُدَ فِيهَا الْأَمْرَ زِعْنَفَةً
 مِنَ الْإِنْسَانِ بِأَخْلَاقِ السَّرَاحِينِ^(٥)

(١) أُسَامَ : أَكَلَفَ . وَالْجَدْعُ : الْفُطْعُ . وَالْعَرِينُ : مُقَدِّمُ الْأَنْبِ .
 (٢) تَأَدَمْتُ : اتَّخَذْتُ لِإِدَامِي . وَالْإِدَامُ : مَا يُؤْكَلُ بِالْجَبْرِ وَالزُّقُومُ : شَجَرَةٌ يَطْعَمُ مِنْهَا أَهْلُ النَّارِ
 الْمَذْبُورُونَ . وَالْخَسَلِينَ : مَا يَسِيلُ مِنْ أَجْسَامِ أَهْلِ النَّارِ مِنْ صَدِيدٍ وَنَحْوِهِ .
 (٣) ذَرَى شَرْفِي : بَفَتْحِ الذَّالِ : ظَلَّةٌ وَجَانِبُهُ .
 (٤) تُحَلِّثُنِي : تَمْنَعُنِي وَتَهَارِدُنِي .
 (٥) الزَّعَانِفُ جَمْعُ زِعْنَفَةٍ ، وَهِيَ أَرَاذِلُ الْقَوْمِ . وَالسَّرَاحِينُ : جَمْعُ سَرَحَانٍ ، وَهُوَ الذَّنْبُ .

ما ضرني غير أنى اليوم من عرب
تالله ما ضاع حتى هكذا أبداً
علام أ مكث في بغداد مضطرباً
لأجعلنّ إلى بيروت مُنْتَسِبِي
خابت ببغداد آمال أوْملها
فليت سورية الوطناء مُرْتَبِها
قد كان في الشام للأيام مُدُّ زمنٍ
إذ كان فيها النشاشيبي يُسْعَفِي
وكان فيها ابن جبر لا يقصر في
إن كان في القدس لي صحب غطارفة

لا يفضبون لأمر ليس يرضيني
لو كنت من عجم صُهب الغنائين^(١)
على الضراعة في محبوبه الهون^(٢)
لعلّ بيروت بعد اليوم تؤويني^(٣)
فهل تخيب إذا استدرت بصنين^(٤)
عن العراق وعن واديه تغينني^(٥)
ذنب محته الليالى في فلسطين^(٦)
وكنت فيها خليلاً نلسكا كيني
جبر انكسار غريب الدار محزون
فكم بيروت من غر ميامين

(١) الصهب : جمع أصهب ، وهو أصفر اللون . والغنائين : جمع عشون ، وهو شعر الدق .
(٢) الهون : الهوان والذل .
(٣) تؤويني : نصمى وتسكننى .
(٤) صنين : اسم جبل في لبنان .
(٥) الوطن : استرخاء في جوانب السحابة ، لكثرة الماء . ومزاة وطفاء : كثرة الماء .

إلى هرب صموئيل

ألقى يهودا محاضرة تاريخية ، ذكر فيها مدينة العرب في الغرب والشرق .
ولما أتمها قام هرب صموئيل . المندوب السامي من قبل إنكلترا في فلسطين .
وألقى على القوم خطاباً مؤثراً . وعدهم فيه مواعيد سياسية سر بها الحاضرون
الذين كانوا قد حضروا بدعوة من راجب بك المشاشي رئيس بلدية القدس .
فقال الرصافي في هذه القصيدة مسجلاً بها ما قاله المندوب . وشاكره على ذلك .

خطابُ يهودا قد دعانا إلى الفكرِ وذكّرنا ما نحن منه على ذكّرِ
ومجدّ ما للعُرب في الغرب من يد وما لبني العباس في الشرق من فخر
لسى يحفل في القدس بالقوم حافل نبوّاه هرب صموئيل في الصدر
دعاهم رئيسُ القدس ذو الفضل راجبٌ

إليه فلبّوا دعوةً من فتى حُرٍ
فأمسوا وفي ليل الحاق اجتماعهم
فباليلة كادت وقد جلّ قدرها
تكون على علاتها ليلة القدر
ولما تنهى من يهودا خطابه
وقد سرّنا من حيث ندرى ولا يدرى
تصدّى له هرب صموئيل ناطقاً
بسحر مقال جلّ عن وصمة السحر
فصدّق ما للعرب من تالد العلى
وما لهم في العلم من خالد الذكر
وزاد بأن أو ما إلى ما لصنعهم
على صخرة البيت المقدس من أثر^(١)
وقال وقد أصغى له القوم إننا
سنرأب ما أثأته منكم يدُ الدهر^(٢)
وننهضكم في منهج العلم نهضةً
مقومة ما اعوج فيكم من الأمر
فكانت لهذا القول في القوم هزة
سرورية من دونها هزة السكر

(١) أوما : أصله أوما : أشار برأسه . والأثر : الأثر .

(٢) نرأب : نصلح . وأصله من الرؤية ، وهي القطعة من الخشب أو الخرف يصلح بها
الإناء المكسور . وأثأته : أفسدته .

حنانيك ياهرب بر صموئيل كم لنا
لنا قلب الدهر الخئون مجننه
وأغرى بنا الأحداث مبتكراً لها
وقد أفنت الأيام كل عنادنا
فلسنا وإن عضت بنا اليوم نابها
فمن سامنا قسراً على الضيم يلقنا
لنا أنفس تحيا بثروة عزها
إذا نحن عاهدنا وفينا ولم تكن
فإن شئت ياهرب بر صموئيل فاختبر

على الدهر من حق مضاع ومن وتر^(١)
وكرر علينا لابساً جلدة النمر^(٢)
فلم بأتنا إلا بجاذبة بكر
سوى ماورثنا من إباء ومن صبر^(٣)
نقرّ على ذلّ وننقاد عن دعر^(٤)
مصاعيب لا نعطي المقادة بالقسر^(٥)
وإن نشأت بين الخصاصة والفقر^(٦)
إذا ما اتئمتنا جانحين إلى الختر^(٧)
خلائق منا لا تميل إلى القدر

* * *

وعدت فأمسى القوم بين مشكك
فكذب وأنت الحرّ من ساء ظنه
ولسنا كما قال الألى يتهموننا
وكيف وهم أعمامنا وإليهم
وإني أرى العربي للعرب ينتمى
ها من ذوى القربى وفي لغتيهما
واكننا نخشى الجلاء وننقى
وهل تُثبت الأيام أركان دولة
وها أنا قبل القوم جئتكم معلناً

ومنظر الإنجاز منشرح الصدر
فقد قيل إن الوعد دين على الحر
نعدى بنى إسرائيل في السر والجهر^(٨)
يمت يا سماعيل قدماً بنو فهر
قريباً من العبري ينمى إلى العبر
دليل على صدق القرابة في النجر
سياسة حكم يأخذ القوم بالقهر
إذا لم تكن بالعدل مشدودة الأزر
لك الشكر حتى أملاً الأرض بالشكر

(١) حنانيك : تحنن مرة بعد مرة . والوتر : الذحل .
(٢) الحن : النرس يتقى به المحارب قرنه . وقلب الحن : كناية عن الاستعداد للنازلة في الحرب . ويقال أيضاً : نمر فلان لفلان . أو لابس له جلدة النمر : إذا كاشفه بالعداوة .
(٣) العناد : ما يمدد الانسان للشدائد من وسائل المقاومة . والاباء : الأثمة من الضيم والذل .
(٤) نقر نسكن ونطمئن . والدعر : أشد الخوف .
(٥) مصاعيب : جمع مصعاب . وهو الذي لا ينقاد . والقسر : القهر والاذلال .
(٦) الخصاصة : الفقر والحاجة .
(٧) الختر : الخيانة .
(٨) يتهموننا . بسكون التاء : مخفف من يتهموننا بتشديدها . لأجل الشعر .

مظاهر التعصب في عصر المدينة

قالها بعد ما أتى الجنرال غورو على المسلمين خطابه المشهور في بيروت

رؤيدك «غورو» أي هذا الجنيرال
أتيت بلاد الشرق من بعد هُدنة
فجاء إليك ابن «الدنا» وهو مسلم
وقام خطيباً معرباً عن عواطف
فهمت له في محفل القوم خاطباً
فذكرته أهل الصليب وحر بهم
وقلت عن الإفرنج قومك إنهم
فخرت حزنًا كان في الشرق ساكنًا

وجددت عهداً منه في الشرق أوجال
من الأمر فاستاءت عصور وأجبال
بها اليوم قد تمت لقومك آمال
بما قلته فاهتاج بالشرق بلبال^(١)
تشابه كَرْدِناها والجنيرال
لأنحى علينا بالتمعصب عدال
وإن خالفوا وجه الصواب بما قالوا
فلا تصمن الحرب بعد انقضائها
ولا تنس فضل الشرق إذ كان ناصرًا
لقومك فيما أحرزوه وما نالوا

(١) الفرحة : الجرح . ونسكاتها أزالت ما عليها من قشرة . فدميت ثانية .

(٢) والبلبال . الخاطر . فلا تصمن : فلا تحدث وصمة وهي العيب .

فقد قادت الأعرابُ نحو عدوكم خيولاً لها في حومة الحرب تجوال
وقامت لكم منهم بمكة راية لكم فتحت فيهما من القدس أقفال
لقد أغضبوا البيت الحرام وربّه وهم بمقام البيت لا شك جهال
ولو أن عهد المسلمين كعهدهم قديماً لحالت دون ذا النصر أهوال
ولكنهم باعوا الديانة بالدُّنا غالت لعمري منهم اليوم أحوال
لذلك قام ابن «الدُّنا» عن دناءة يحاييك فيما فيه للقوم إذلال
ولا تحسبته مخلصاً في مقاله ولكنه في مكسب المال محتال
فكان قتيلاً بالمطامع عزّه فذل وإن الحرص للعزّ قتال

خليليّ قوماً بنى نطاطي رءوسنا لدى جدث تغنولن ضمّ أجبال
لدى الجدث الفرد الذي فيه قد ثوى

من الملك الفرد ابن أيوب رِثبال^(١) فنبي على الأوطان حول رجائه
كما قد بكت من فقدتها الأمّ أطفال^(٢) ونستزف الدمع العزير لتربه
كما استنزفت دمع الحبين أطلال حنانيك يا قبر ابن أيوب فانصدع
لينهض ثاور في مطاويك مفضال إليك صلاح الدين نشكو مصيبة
أصيب بها قلب العلى فهو مغتال ودارت رءوس القوم فيها توجعاً
وحزنا كما دارت بسكران جريال^(٣) وقطبت الأيام حتى تشابهت
بها غدوات كالحات وأصال وأمسى حمى الإسلام تنتاب روضه
فترعاه من سرج المعادين آبال^(٤)

(١) الجدث : القبر . وثوى : نزل وأقام . والرِثبال : الأسد .

(٢) الرجام : جمع رجة . وهي الأحجار توضع على القبر ليعرف بها .

(٣) الجريال : الحمر . (٤) آبال : جمع لابل .

ولسون

بين القول والفعل

قال قولاً به استحقَّ احتراماً وتعدّاه فاستحقَّ ملاماً
 رجلٌ قد تنكَّب الحقَّ قوساً ومن البطل ظلٌّ يرى سهاماً^(١)
 كان منه المقال نورا فلما حان حين الفِعال كان ظلّاما
 خاض حرب العدا بمقول حرٍّ فافق فيها المهند الصمصاما
 وبذا عرف الورى أنّ قول المرء في الحرب قد يفوق الحساما
 إذ غدا ناطقا بمرقد واشنطون نطقاً شفى به الأسقاما
 معربا عن مبادئ محكماتٍ ساميات تحرّر الأقواما
 قال حرية الأثام هي الغاية لي في الوغى فغرّ الأثاما^(٢)
 فاشرب الورى إليه وظنّوا أنهم سوف يبلغون المراما^(٣)
 واطمأنت له القلوب بقوى يعتدى في فم الزمان ابتساما
 شام منه الورى بوارق غيمٍ من وراء البحر المحيط ترامى
 فتصدّى لغيثه كل قومٍ قد شكوا غلةً بهم وأواما
 ثم خابت ظنونهم فيه لما مرّ في الجرّ خلباً وجهاما

* * *

مدّ ولسون في السياسة حبلاً جمع النقض فيه والإبراما
 فلبعض الأنام كان عصاما ولبعض الأنام كان خصاصا
 ملأ الدهر في فيومة فخرا وبأزمير أخجل الأياما

(١) تنكّب القوس ، وضعها على منكبيه . استعداداً للحرب .

(٢) غر الأنام : خدعهم وغشهم .

(٣) اشرب الورى إليه : مدوا أعناقهم تطلعا إليه .

إِنَّ أَرْمِيرَ صَيَّرَ مَا لَوْلَا ن مَنْ الْفَخْرُ فِي فَيَوْمَةِ ذَامَا^(١)
 فَهَلْ الْحَقُّ عِنْدَهُ فِي سَوَى الْغَرِّ ب حَقِيرٌ أَقَلٌّ مِنْ أَنْ يُحَاجَى^(٢)
 أَمْ هَلْ الشَّرْقُ وَحْدَهُ فِي الْأَقَالِيْمِ مُبَاحٌ أَنْ يُسْتَبَى وَيُضَامَا^(٣)
 أَمْ هَلِ الْقَوْمُ عَاهَدُوا اللَّهَ فِي أَنْ لَا يُرَاعُوا لِلْمُسْلِمِينَ ذِمَامَا^(٤)
 مَا لَمْ أَرْهَقُوا بَنِي الشَّرْقِ ظَلَمًا وَعَلَى التُّرْكِ أَشْلَوْا الْأَرْوَامَا^(٥)
 فَاسْتَبَاحُوا حَرِيمَ أَرْمِيرَ نَهْيًا وَاسْتَحْلَوْا مِنَ الدَّمَاءِ حَرَامًا
 حَيْثُ جَاسُوا خِلَالَهَا بِجُنُودٍ رَكِبَتْ فِي عَتُوِّهَا الْآثَامَا

أَيُّهَا الْمَجْلِسُ الرَّبَاعِيُّ مَهْلًا فَلَقَدْ جُرَتْ فِي الْأُمُورِ احْتِكَامَا
 أَنْتَ سَكْرَانٌ خَرَقَ النَّصْرَ فَاحْذَرِ حِينَ تَصْحُو فِدَامَةً وَلِوَامَا
 لَكَ عَيْنٌ تَرَى السُّهَى فِي الدِّيَاجِي وَعَنِ الشَّمْسِ فِي الضَّحَى تَتَعَامَى^(٦)
 أَوْ لَمْ تَدْرِ أَنْ لِلدَّهْرِ عَيْنَا إِنْ تَنْمَ عَيْنُ أَهْلِهِ لَنْ تَنَامَا
 لَا تَكُنْ تَابِعًا هَوَى النَّفْسِ فِيمَا أَنْتَ فِيهِ تَقَرَّرُ الْأَحْكَامَا
 فَهَوَى النَّفْسِ قَدْ يُضِلُّ ذَوِيهِ فَيَطِيشُونَ فِي الْوَرَى أَحْلَامَا
 وَيُرُونَ الْجُسَامَ أَمْرًا صَغِيرًا وَيُرُونَ الصَّغِيرَ أَمْرًا جُسَامَا
 لَا يَغْنَرُكَ الزَّمَانُ إِذَا مَا لَكَ أَبَدِي بِشَاشَةٍ وَابْتِسَامَا
 كَمْ أَشَالُ الزَّمَانَ أَعْلَامُ قَوْمٍ فِي الذُّرَى ثُمَّ نَكَّسَ الْأَعْلَامَا^(٧)
 مِثْلَمَا دَارَ لِلْفَرْنَجِ عَلَى الْجُرِّ مَنِ حَرَبًا فَأَدْرَكُوا الْإِنْتِقَامَا

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ لَسْتُمْ مِنَ الْغَرِّ ب بِحَالٍ تَسْتَوْجِبُونَ احْتِرَامَا

- (١) الدَّامُ : الْعَيْبُ .
 (٢) مُحَاجَى : أَيُّ يَحَاجِي عَنْهُ وَيُدَافِعُ .
 (٣) يُسْتَبَى : يُجْعَلُ سَبِيحًا . وَيُضَامُ : يَذَلُ .
 (٤) الذِّمَامُ : الذِّمَّةُ وَالْعَهْدُ . (٥) أَشْلَى السَّكَابِ عَلَى الصَّيْدِ : سُلْطَةُ عَلَيْهِ لِيَصِيدَهُ .
 (٦) السُّهَى : نَجْمٌ صَغِيرٌ لَا تَكَادُ تَرَاهُ الْعَيْنُ لِعَبْدِهِ .
 (٧) أَشَالُ : رَنَعُ . وَنَكَّسَ الْأَعْلَامَ : خَفَضَهَا وَبَلَّغَهَا .

إنما أنتم لدى الغرب قومٌ خَلِقُوا عن سوى الشرور نياما
 فإذا ما وسِعْتُمُ الناسَ حِلْمًا عُدَّه الغربُ شِرَّةً وعُراما^(١)
 وإذا ما ملأتم الأرضَ عدلاً عُدَّ جَوْرًا أو مفخرًا عُدَّ ذاما
 وإذا ما فعلتم الخير يوما حسبوه جنايةً وأناما^(٢)
 وإذا زلَّةٌ لكم دَفَنَ الدهرُ أُمْلًا بنبشها الأقالما
 وإذا ما افترى عليكم عدوٌ أيدوه وصدقوا الأوهاما
 وإذا ما جنى عليكم أناسٌ سكنوا عنهم ومروا كراما
 كم بأرض البلقان منكم قتيلٌ وأيامي مُضاعةٌ ويتانى
 نثر الظالمون في الأرض منهم جثثا تملأ الفضاء وهاما
 لو أتينا تلك البلاد رأينا اليوم منهم جحاجحا وعظاما
 ما نضا للدفاع عنهم بنو الغر ب حُساما ولا أचारوا كلاما
 إن تكن هذه السياسة عدلاً فإلى الظلم نشتكى الآلاما
 رحم الله أمة أصبح الغر ب يرى كل ذنبها الإسلاما

يا محب الشرق

أنشدت في حفلة كبيرة أقامها الحزب الوطني في بغداد
لتكريم المستر كراين الثرى الأمريكى الشهير . بمناسبة مجيئه
إلى بغداد سنة ١٩٢٩ .

يا محب الشرق أهلاً بك يا مستر كراين
مرحباً بالزائر المشهور في كل المدن
مرحباً بالقدام المشكو ر في هذى المواطن
فضلكم بادٍ على الشر ق وشكر الشرق عالن
كم لكم من وقفات دونه ضدّ المشاحن

جئت يا مستر كراين فانظر الشرق وعاین
فهو للغرب أسیر أسراً مديون لدائن
إن هذا الشرق والغرب لمعبون وغابن
فترى الشرق تجاه الغرب يسعى سعى ما هن
وترى الغرب عليه واقفا موقف خائن
منكراً منه المزايا موجداً فيه المطاعن
غاصباً منه الموائى شاحناً فيه السفائن
حافراً فيه المعادن نابشاً فيه الدفائن^(١)
فهو يتمصّ دماء الشرق من كل الأماكن
بأذرا من كیده فى أهله يذر الضغائن
حاكماً فيه على أهليه حاكم المتهاون
جاعلاً فى رجله قيود الوئى والقييد شائن^(٢)

(٢) الوئى: الفتور والحوول .

(١) المعادن : المناجم .

فترى الشرق لهذا ماشيا مشية واهن
أفهيذى يا محبَّ الشَّرْقِ أفعال المهادين^(١)
أين ما قد قاله وليسسن^(٢) يا مستر كراين^(٣)

لم يكن ولن فردا إن فى الغرب ولاسن
فعلام الغرب لا ينفك للشرق مضاعن
كم يسوم الغرب أهل الشَّرْقِ خسفا ويخاشن
والى كم ساسة الغرب ب تداجي وتداهن^(٤)
كم وكم نسمع منهم قول خداع ومائن^(٥)
إن فى الشرق ثجاء الغرب نيرانا كوامن
سوف ينشق حجاب الد هر عنها بالدواخن^(٦)
وإذا قامت حروب من بني الشرق طواحن
فمن المسئول عن ذ لك يا مستر كراين^(٧)

وإذا تسبأل عمّا هوفى بغداد كائن
فهو حكم مشرق الضَّرْعِ غربى الملاين^(٨)
وطنى الاسم لكن إنكليزى الشَّـمَشـن^(٩)

-
- (١) المهادن : السالم الذى بينك وبينه هدنة .
(٢) الرئيس ولسن : كان رئيس حكومة الولايات المتحدة الأمريكية عند ما وضعت الحرب العظمى الأولى أوزارها . وله شروط خاصة لدخول أمريكا الحرب ضد ألمانيا . قبلتها دول الحلفاء قبل نهاية الحرب . ولكنها لم تنفذ بعدها .
(٣) داجي فلان فلانا بالعداوة : سآثره بها . وأخفاها عنه . وتداهن : تظهر خلاف ما تضرر .
(٤) مائن : كذاب مخادع . (٦) الدواخن : جمع دخان على غير قياس .
(٦) الملاين : قالب يوضع فيه اللبن . يريد أن الحكيم فى بغداد تنفذه رجل من الشرق ، ولكن أعاطه غريبة أجنبية .
(٧) الشناشن : جمع شنشنة . وهى الطبيعة والخلقة السجية .

عربي أعجمي — معرب اللهجة راظن
فيه للإيعاز من لندن بالأمر مكامن
هو ذو وجهين وجه ظاهر يتبع باطن
قد ملكنا كل شيء نحن في الظاهر لكن
نحن في الباطن لا نمالك تحريكاً لساكن
أهكذا جائز في الغرب يا مستر كراين

إلى بطل الشرق الأكبر

قالها عقب انتصار الغازي مصطفى كمال على اليونان سنة ١٩٢٣

سَمِي المصطفى لا زلت تَعْلُو إلى أَوْج يطاول كلَّ أَوْج
فَذُرْ كالشمس في قَلَّك المعالي وحُلَّ من الكمال بكلِّ بُرْج
نُصِرْتَ على بني يونان نصراً أقام الغربَ في هَرَج ومرَج^(١)
وأطلع في سماء الشرق شمساً تفيض عليه أنواع التَرْجى^(٢)
فَسَرَّ المخلصين وكلَّ حرٍّ وساء الخائنين وكلَّ سمج^(٣)
وما اليونان كُفؤك في نِزال وإن ملئوا السهول وكلَّ فَجْج
ولكن قد غلبت جيوش قوم أذلوا بالبوارج^(٤) كلَّ لُجْج
تركت جيوشهم من فرط رُعب تعاهدُ للهزيمة كلَّ نهْج^(٥)
إذا ذكروا سُمَّاك ولو مناماً تحاموا ذكره بسوى التَهْجى^(٦)
لئلا يَسْمَعوه فيعتريهم ضنَى داءَيْنِ من شَلَل وفَلْج
هَمْ اليونانُ أَلَامُ كلِّ قوم وأخوف في الوغى من فَرَح قَبْج^(٧)

(١) هرج ومرج : فتنه واختلاط واضطراب .

(٢) أنواع الترجى : أى الرجاء . وهو ما يتوقع له من الخير الكثير بعد النصر .

(٣) السمج والسميج : الفبيج . (٤) البوارج : السفن الحربية الكبيرة .

(٥) النهج : الطريق الواسع الواضح . (٦) سَمَّاك ، بضم السين : اسمك .

(٧) القَبْج : نوع من الطير يسمى الحجل والكروان .

أرقُ سَجِيَّةً مِنْهُمْ وَأَرْقُ حَيْرُ الْوَحْشِ سَارِحَةً بِمَرْجٍ (١)
 فَلَا تَغْرُكْ أَوْجُهُمْ بَيَاضًا فَإِنَّ طِبَاعَهُمْ كَطِبَاعِ زَنْجٍ
 وَجُوهٌ قَدْ حَكَّيْنِ الثَّلْجَ لَوْنًا وَلَكِنْ فَاتَّهَنَ نَقَاءُ ثَلْجٍ
 فَيَا أَمْضَى الْوَرَى رَأْيَا وَسِيفَا وَأَعْرِفْهُمْ بِمَصْعَدِ كُلِّ أَوْجٍ
 لَقَدْ أَنْقَذْتَ مِنْ أَرْمِيرِ خَوْدَا تُسَامِ الْخُسْفَى فِي يَدِ كُلِّ عُنْجٍ
 وَقَمْتَ عَلَى الْبِلَادِ مَقَامَ عَيْسَى عَلَى مَرْضَاهُ مِنْ عُمَى وَعُرْجٍ
 فَعَالَجْتَ الْفَتُوقَ بِحَسَنِ رَتَقِي وَلَاءُ مَتِ الْخُرُوقَ بِحَسَنِ نَسِجٍ (٢)
 وَرَحْتَ إِلَى التَّجَدُّدِ فِي الْمَعَالِي تَقُودُ النَّاهِضِينَ بِهَا وَتَرْجِي
 وَتَخْطُبُ فِي الْجُمُوعِ يَوْمَ حَفَلِ كَمَا خَطَبَ النَّبِيُّ يَوْمَ حَجٍّ
 وَتَأْتِيكَ الْوُفُودُ مِنَ الْأَقَاصِي لَتَسْمَعَ قَوْلَ مِذْرَهِيَا الْمِثْجِ (٣)
 فَتُودُّكَ نَالِقُوقٌ يَوْمَ سَلَمٍ كَقُودِكَ لِلْجِيُوشِ يَوْمَ هَيْجٍ (٤)
 لَقَدْ جَدَّدْتَ لِلْأُوطَانِ عَهْدَا تَجَارِي فِيهِ أَوْطَانُ الْفَرْنَجِ
 لَتَبْتَدِرَ الشُّعُوبُ إِلَى الْمَعَالِي وَتَبْلُغَ مَا تَرِيدُ وَمَا تَرْجِي
 وَتَنْهَجَ مَنَهِجُ الْعُمُرَانِ فِيهَا بِهَا لِلنَّاسِ مِنْ دَخَلٍ وَخَرْجٍ
 وَأَنْتِ الْيَوْمَ حَارِسُهَا الْمُفْقَدَى تَحُوطُ أُمُورَهَا مِنْ كُلِّ هَرْجٍ
 وَتَبْتَدِرُ الْمُسْلِمَ إِذَا عَرَاها فَتَعْرِوِي الْجَوَادَ بِغَيْرِ سَرْجٍ (٥)
 إِذَا ذَكَرَ الْمَهْبُوطَ فَأَنْتِ مُعَلٍ وَإِنْ خِيفَ الْحَبُوطُ فَأَنْتِ مُنْجٍ
 وَتَشْرَبُ أَنْتِ كَأْسَ الْجَدِّ صِرْفَا وَيَشْرَبُهَا سَوَاؤُكَ ذَاتَ مَزْجٍ

(١) المرج : المر أرض ذات كلاً ترعى نية الدواب .

(٢) الفتوق : جمع فتق . وهي الأحداث والفتن والقلاقل .

(٣) مدره القوم : الحامى عن أحسابهم . والمثج : الفصيح الغزير المادف كلاماً الغزير . الذى

لخصب كلامه صبا .

(٤) الهيج : الحرب . (٥) تعروى الجواد : تركبه عرباً من غير سرج ولا أداة .

تجاه الرياحاني (هى النفس)

أنشدتها فى حفلة أقيمت فى بيروت لأمين
الريحاني ، بعد رجوعه من سياحته فى بلاد العرب :

وأهل منها بين جنبي قاضباً ^(١)	هى النفس أغشى فى رضاها المعاطب
وأن أمتطى فيه من الهول غارياً ^(٢)	تُكَلِّفُنِي أَنْ أَخْبِطَ اللَّيْلَ بِالسَّرَى
وبالهمّ مقلّاقاً وبالرأى صائباً	وتنهنّى للمجد بالعزم ماضياً
ولم تهو إلا كالشموس مناقباً	ولم ترض إلا كالجبال معزّة
أبتهنّ إلا أن يكنّ ثواقباً ^(٣)	إذا أنا أنزلت النجوم لأرضها
إذا ازورّ ذاك العيش بالذلّ جانباً	وترفض منى كلّ عيش مُنعم
ولم ترض لى إلا الكريم مصاحباً	ولم تبغ لى إلا الحقيقة بغية
ردّ البحر بنى غمراً وخلّ المذانباً ^(٤)	تقول إذا أوردتها ماء مذنب
فأرجع عنها بعد شكواى خائباً	وإني لأشكوها إليها تظالماً
قتلتُ بها كلّ الأمور تجارياً ^(٥)	على أن لى منها حصاة رزينة
كذلك نفس الحرّ تلقى المتاعب	لقد تعبّت فيما تروم من العلى
من الأين لئلاّ ساح فى الأرض ضارباً	ألم تر ما لاقى ابنُ لبنان فى العلى
وراح إلى صنعاء يزجى الركائب	تيمم من بعد الحجاز تهمّة
وكرّ إلى نجد يحوب السباباً ^(٦)	وجاء إلى أرض العراق مبحراً

(١) المعاطب : الممالك . وأصل القاضب : السيف القاطع ، شبه نفسه بالسيف فى مضاعفها .

(٢) خبط الليل : سار فيه على غير هداية . والسرى : سبر الليل . وغارب البعير : ما بين

سنامه وعنقه .

(٣) ثواقب : جمع ثاقب . وهو المضىء .

(٤) المذانب ، جمع مذنب كبير : وهو كهيئة الجدول .

(٥) الحصاة : العقل .

(٦) السباب : جمع سبب . وهو القفز والمفازة .

ليجمع من أبناء يَعرُبَ شملهم ويقتضى حقاً للمواطن واجباً
أخوهمة لو مدَّ باعاً إلى العلى لأوشك منها أن ينال الكواكب
له قلمٌ عزَّ الفرائح شاعرا كما ابتزَّ فرسان البلاغة كاتباً^(١)

* * *

لقد زُرتَ نجداً يا أمينُ قُقل لنا أتذكر من أخبار نجد جوائباً^(٢)
فما حالة الإخوانِ فيها فإننا نرى الناس عنهم يذكرون الغرائب
فهل كفروا من ليس يُرسل لحيةً وهل فسقوا من ليس يُحنى الشوارباً^(٣)
وما أنا من قوم يدينون بالآحى ولم يقبلوا إلا من الحلق تائباً
ودعْ عنك أخبار العراق فإننى لأعلم منها ما يفوق العجائب
فويحاً لأهل الرافدين إذا انطوا على اليأس من نور يشق الغياهباً^(٤)
ألا عدَّ عما فى العراق فإننى أراه بأخلاق الزمان معائباً
معائبٌ لو أنى هتكت سِتارها لأرسلتُ منها للمعاند حاصباً^(٥)
فلا تحسبْنه أنه ذو حكومةٍ ولو ضربوا ظُلماً عليه الضرائب
لئن ألقوا بالكذب فيه وزارةً فإن بها للكاذبين مآرباً
وإنى لأهوى الفجر إن كان صادقاً وتنكر عيني الفجر إن كان كاذباً

* * *

تبسمُ لُبنانُ بعودِ أمينه وأضحى لأذيال المَسرَّةِ ساحبا
أخا الفضل قد آنست لُبنان حاضرا كما كنت قد أوحشت لُبنان غائباً
وما أنت إلا البدرُ يبهج طالعا ويحزن آفاقَ المواطن غاربا
مُحييتك فى بغداد إذ جئت قادمًا يُحييتك فى بيروت إذ جئت آتياً

(١) عز الفرائح : غلبها . وابتز : فاق وغلب .

(٢) الجوائب : جمع جائبة . وهى الأخبار تجوب الأرض من بلد إلى بلد .

(٣) لإخفاء الشارب : الأخذ منه .

(٤) فويحاً : رحمة . والرافدان : دجلة والفرات . والغياهب : جمع غيب ، وهو الظلمة .

(٥) الحاصب : الريح تحمل الحصباء . وهى صغار الحجارة .

في المدرسة الحزبية

أيُّها القومُ مالكمُ في جُمودٍ أو ما يَسْتَفْزِزُكُمْ تَفْنِيدِي^(١)
 كلما قد هزرتكم لنهوضٍ عُدْتُ مِنْكُمْ بِقَسْوَةِ الْجُمُودِ^(٢)
 طال عَتْبِي على الحوادثِ فيكمُ مثَلًا طال مَطْلُهَا بالوعودِ
 فمتى سعيكم وما ذا التواني وإلى كم أَحْكُمُ بالانشيدِ
 أنا غَرَّيدُ شارداتِ القوافي أَفَلَمْ يُشْجِكُمْ بِهَا تَغْرِيدِي^(٣)
 كنت قبلاً أَثْنِي عليكم لَأَنِّي أَبْتَغِي الحَثَّ بالثناء الحميدِ
 فأتقوا اليوم صَوْلَةً من يَرَاعِ واقف في مواقف التَّسْديدِ^(٤)
 أيُّها القومُ نحن في عصر علمٍ جعل الحرب في طِرَازٍ جديدِ
 جعل الحرب تُدرَسُ اليومَ فَنًّا مغنيا عن شِجَاعَةِ الصَّنْديدِ
 إن للعالم في حروبِ بنى العَصْرِ كِبَاسًا يَفُوقُ بِأَسِ الحَديدِ
 إذ بدا بِأَسِهِ الْأَشَدُّ فَأَنسَى كل بأسٍ من الحديد شديدِ
 أيُّها القومُ فادخلوا العهدَ الحَرَّ بِيَّ طَوْعًا وَاَنْضُوا ثِيَابَ الْجُودِ^(٥)
 واستعدوا لردِّ كل عِدُوٍّ أَنْكَرَ الحَقِّ نَاقِضًا للعُهودِ
 وأعزِّوا الملكَ الذي نَبْتَغِيهِ بِجُنُودٍ مَبْثُوثَةٍ في الحدودِ
 قد دعمتكم أوطانكم فأجيبوا دَعْوَةَ الْأَمْرِينِ بالتجنيدِ
 نحن لا نقصد الحروبَ ولكن نَبْتَغِي الدَّوْدَ عن تراثِ الجدودِ
 أَرَأَيْتُمْ مُلُكًا بغير جنودِ إِنَّمَا الْمُلُكُ قَائِمٌ بِالْجُنُودِ
 فاجمعوا الجيشَ في العراقِ ليرعى ما به من طَريفكم والتَّليدِ

(١) يَسْتَفْزِزُكُمْ : يزعجكم ويحرككم . والتفديد : اللوم وتضعيف الرأي .

(٢) الجُمُود : الصخر القوي .

(٣) تَغْرِيدِي : غنائي . والقوافي الشاردة : السائرة في الآفاق .

(٤) تَدْرُسُ : تتدرب . وأسَمَتُهُ القَبِيحُ ، وَشَمَرَتُهُ ، وَشَمَرَتُهُ ، وَشَمَرَتُهُ .

(٥) أَنْضُوا : اخلعوا .

(٦) الطَريفُ : الأطراف : الحديث . والتَّليدُ : التَّالِدُ : القديم الموروث .

ويردّ العدوَّ عنكم ويحمي
لا تقرُّوا على الهوان وأنتم
يكرهون الحياة إلا حياةً
أشرف الموت عندهم هو موت
وأعزُّ الأعمار عمر قصير
وأذلُّ الحياة عندي حياةٌ
عيشكم من شوائب التفكيد
عرب من بني الابهة الصَّيد^(١)
ذات عزٍّ بيأسهم صيِّهود^(٢)
في صُها الخيل تحت خفق البنود^(٣)
تحت ظلٍّ من السيوف مديد
قد أهينت حقوقها ببحود

العالم والعلم

لواعجُ الهَمِّ في جنبي تضطرمُّ
كم قد أذاقتني الأيامُ من حرقٍ
أكلما قلت شعرا قال سامعه
ما بال شعرك مثل النار ملتهبا
إنّا لنعجب من شعرك تؤججه
لا تعجبوا فالأسمى في النفس ملتهبٌ
استبردَّ النارَ من حرَّت عزائمها
وكيف يصبح من دنياه في دعةٍ
والهمُّ مقداره من أهله الهَمِّ^(٤)
من فوقها أسفٌ من تحتها ألم
نارٌ تفوه بها للناس أم كليمٌ؟
يذكو، على أنه كالماء مُنْسَجِمٌ
نارا ولم يحترق في كفك القلم
والعزم مُتَقَدِّمٌ والهمُّ مُحْتَدِمٌ^(٥)
واستصغر الخطبَ من في نفسه عِظَمٌ
من بات في نفسه الآمال تزدهم

- (١) الأباهة : جمع أب ، وهو الذي يأبى الضيم . والصيد : جمع أصيد ، وهو الذي يرفم رأسه عن الناس كبرا .
(٢) أصل الصيِّهود : الشديد الحر ، والمراد هنا الحياة القوية .
(٣) صها الخيل : جمع صهوة ، وهي الظهر .
(٤) اللواعج : جمع لاعج ، وهو الذي يتحرك في النفس . ويضطرم : يتقد ويشتعل . بقول : إن الهوم يتدر الهَم .
(٥) احتدمت النار : انقدت .

أما المُعْزَّانِ في الدنيا فإيهما
كلاهما ضامن للنَّاسِ حُرْمَتَهُمْ
من لم يك العلم الخفَّاق شارَتَهُمْ
وليس ينفع قومًا لا علوم لهم
فالعلم في أمة ليست بحكمة
والعلم أوهن من أن يُسْتَظْلَّ به
ما أحسن العلم الخفَّاق منتصبا

هما على ما أراه العلم والعلم
هذا له الحكم أو هذا له الحكم
فليس يُجديهم العلم الذي علموا
أن يُنْشِرَ العلم الخفَّاق فوقهم
كالسيف يحمله في الحرب منهزم
إن لم تقم من سيف تحته دِعم^(١)
به تشير إلى استقلالها الأهم

• • •

قد علمتني الليالي في تقلُّبها
وأن أصدق برق أنت شأمة
وأخصب الأرض أرض لا تسحُّ بها
من كان يكذبني أن الحياة مئى
وأنه في كلا الخالين منبعها
وأنه وهو فوق الأرض منتثر
إني أرى المجد في الأيام قاطبة
فالجد يَنْبُت حيث العلم منتشر
والجد أعطى الظبي ميثاق معترف

أن الموفق فيها السيف لا القلم
برق تبسم عنه الصارم الخدم
إلا من النقع في يوم الوغى ديم
فليس يكذبني أن الحياة دم
يدور في الجسم أو في الأرض ينسجم
كمثله وهو تحت الجوف منتظم
إلى عبيط دم الحيا به قرم
من حيث تعترك الأبطال والبهم^(٢)
أن ليس يضحك إلا حين تبسم

فليذهب اليأس عني خاسئاً أبداً!
ولست ممن إذا يسعى لحادثة

إني بحبل رجائي اليوم معتصم^(٣)
يسعى وأرجله بالخوف تصطدم

(١) دعم : جمع دعمه : بمعنى الدعامة .

(٢) البهم : جمع بهمة ، بوزن غرفة ، وهو البطل الذي لا يعرف قرنه من أين يناله ، لقوته
وشدة حذره .

(٣) خاسئاً : مبعداً طريداً .

لا تسأمن إذا حاولت منزلةً فيها يرفّ عليك المجد والكرم
فالعيش تستبشع الأذواق مطعمه إذا تسرّب في أثنائه السّام
وكن صليلاً إذا عصّت حادثة تعضّ منك بعود ليس ينعجم^(١)
إن الخصال التي تسمو الحياة بها عزم ، وحزم ، وإقدام ، ومقتحم^(٢)
لا يكسب النفس ما ترجوه من شرفٍ

إلا الإباء وإلا العسز والشّمم
لا يؤسّتك أن الحرّ محترق^(٣) عند اللّثام وأن الوغد محترم^(٤)
فالعقل يتهم الدهر المسىء بذا وما يعيبك أن الدهر متهم
هذى ملامتكم يا قوم فاستمعوا منها إلى كليم في طيها حكيم
قد أنشد الشعر تعريضاً بسامعه فهل وعى ما أردت السامع الفهم

السجاياء فوق العلم وفوق العلم

وقد نظم الشاعر الكبير الأستاذ الرصافي هذه القصيدة الاجتماعية
الجبارة ، جواباً عن قصيدة الشاعر الأمير عادل أرسلان : وقد كان
الأمير عادل أرسلان اطلع على قصيدة الأستاذ الرصافي « العلم
والعلم » التي ينصح بها الأمة العربية ، ويحضرها على الجهاد في سبيل
الحرية ، فنظم قصيدة يعارضها بها .

علمٌ يعزّزه من دولة علم في كل عصر به قد سادت الأمم
ودولة القوم لم تثبت قواعدها إلا بأن سجاياهم لها دعم^(١)
فليس للعلم مهما اعتزّ جانبه نفع إذا ما السجاياء الغرّ تنعدم
إذا استحالَت سجاياء القوم فاسدة فليس ينفعهم علم ولا علم
وليس يَحْتَلُّ حبلُ الملك مضطرباً إلا إذا اختلّت الأخلاق والشّم
لولا سجاياء على حُب العلى جُبِلَتْ ماسادت الناس لا عُرْب ولا عجم

(١) ينجم : يتأثر بالعجم ، وهو العنصر الأجنبي . (٢) ينجم : اقتحام الصعاب .
(٣) الوغد : اللّثيم الحقير . (٤) دعم : جمع دعم ، وهي الدعامة .

لاخيرَ في العيش يغدو فيه صاحبه
ما بال قومي على الإرهاق قد صبروا
قد أنهضتهم إلى العلياء وحدثهم
كان التعاون غرزا في غرائهم
ثم اعتدوا بعد حين في جوانحهم
قد زال روح التغاى منهم ونما
ألقى التخاذل ضعفا في عزائمهم
تعاضوا لعظام يفخرون بها

وأنفه باحتمال اللذل مُزْدَلَمٌ (١)
كأن أشهرَ قومي كلها حُرْمٌ (٢)
واليوم أقعدهم عنها أن انقسموا
حازوا به الشرف الوضاح واغتنموا
نارُ التخاذل بالشحناء تضطرم (٣)
روح التغاى إلى أن ماتت لهم
فالأجنبي عليهم ظلَّ يحتمكم
وهل يكون بعظم رمةٍ عظيم (٤)

* * *

داء التأخر منا في خلائقنا
كانت خلائقنا للعز ضامنة
وأصبحت عندنا الغايات تابعة
تمشى من الجهل في ظلماء ظالمة
حرية الفكر فينا غير جائزة

فقد فشا الداء حتى استفحل السقم
حتى فسدن فزال العز والشم (٥)
إلى هوى النفس فيما شأنه عم (٦)
بليتائها علينا الظلم والظلم
والحرث منا مهان ليس يحترم

* * *

لأدرَ دَرُّ رجال الدين إنهم
واستعملوه كما نهوى مآربهم
تالله ما كان في الإسلام من حرج
بل كله جاء تبسيرا وتهصرة

قد أظهروا فيه منهم غير ما كتبوا
كأنه ليس إلا آلة لهم (٧)
على الأنام ولا في نهجه غمم
للعاملين وأحكاما بها حكم

(١) مزدلم : متطوع .

(٢) الأشهر الحرم : التي حرم العرب فيها القتال وهي ذو القعدة ، وذو الحجة ، والحرم ، ورجب .

(٣) الشحناء : العداوة والحصام . وتضطرم : تنقد وتشتمل .

(٤) عظم رمة : أى عظم بال .

(٥) أصل الشمم : ارتفاع في قصبة الأنف . والمراد : العز .

(٦) أمر عمم ، تام عام .

(٧) الغمم ، بالتحرير : أن يسيل الشمر حتى يضيق الوجه والظفا . والمراد هنا : ضيق الطريق .

لكنما القوم ظلوا جامدين على
إذا سلكت إلى الإصلاح مسلكه
وإن تصادمت بالعادات تُنكرها
وإن أتيت ببرهان فأعجزهم
وإن تقبل لهم قولاً لتقنعهم
خلائق كظلام الليل من يرها
ما منه قد وهوه بئس ما وهوا
فأنت في رأيهم بالكفر مُتهم
فأنت في زعمهم بالدين تصطدم
لم يحسنوا الرد بل من عجزهم شتموا
شدوا عليك وردوا قبلاً فبهوا
يقول بأمثال هذى تمسخ الأمم

* * *

لله درّ بني معروف إذ صبروا
أخلوا منازلهم للكرّ ثانية
ولازموا الفقر ، عاشوا في مجاهله
بذاك حبهم الأوطان يأمرهم
باتت دمشق لهم ترنو نواظرها
أيام لم يبق من بيت بغوطتها
ثم انضوى بعدما اجتاحت معالمها
فاستقلوا في سبيل الذود عن وطن
كانوا أشد مضاء من صوارمهم
عند الهجوم كوج البحر تبصرهم

وكالجبال الرؤاسى هم إذا التحموا
صَلَّتْ سيوف بأيديهم يسيلن دماً
حتى حكين الغواذى حين تهتم (١)

* * *

(١) صلت صليلاً : صوتت . والغواذى : جمع غادية ، وهي السحابة تنشأ فقط غدوة . وتهتم : من الهزيم ، وهو صوت الرعد .

من مُبْلِغِ الأَمِيرِ الشَّيْخِ مَالِكَةَ
إِلَى فُتَى آلِ رَسُلَانِ الأَثَلَى رَسِيخَتُ
لبعضهم شهرة بالسيف واحدة
كعادلٍ وشكيب في أكفهما
صبرا فديتك فالعُفَى وإن بعدت
ولم يَقْنُكْ نَجَاحٌ في محاربة
ياعادلاً كاسمه لا تنسَ مَظْلَمَتِي
عندى خصوم وما عندى لهم حَكَمٌ^(٢)
كأشمس تُشْرِقُ إلا أنها كَلِمٌ^(١)
في مَعْدِنِ المَجْدِ من قَدَمٍ لهم قَدَمٌ
وبعضهم شهرته بالسيف والقلم
جال الأيراع وصال الصارم الخِذَمِ^(٢)
للصابرين وعُقْبَى الخائِثِ الندم
أقل ما حزت فيها المجد والكرم
عندى خصوم وما عندى لهم حَكَمٌ^(٢)

الحرية في سيامة المستعمرين

يا قومُ لا تتكلموا إن الكلامَ محرَّمٌ
ناموا ولا تستيقظوا ما فاز إلا النومُ
وتأخروا عن كل ما يقضى بأن تنقدّموا
ودعوا التفهم جانباً فالخيرُ ألا تفهموا
وتثبتوا في جهلكم فالشرُّ أن تتعلموا
أما السياسة فتركوا أبداً وإلا تندموا
إن السياسة سرّها لو تعلمون مَظْلَمٌ^(٤)
وإذا أفضتم في المباح من الحديث فجمجموا
والعدل لا تتوسّموا والظلم لا تتجهّموا^(٥)
من شاء منكم أن يعيش اليومَ وهو مكرّمٌ
فليُسمِ لا سمعٌ ولا بصراً لديه ولا فمٌ

(١) المألكة والألوكة : الرسالة يؤديها الرسول بلسانه .

(٢) سيف خذم ومخدم ، بكسر الميم : أى قاطع .

(٣) ناطلة ، بكسر اللام : اسم ما أخذ منك من الحقوق طالما .

(٤) مظلّم : أى مكشوم . (٥) تجهّمه : تلقاه بالغاظة والوجه الكريه .

لا يستحق كرامةً إلا الأصم الأبكم
ودعوا السعادة إنما هي في الحياة توهم
فالعيش وهو منعم كالعيش وهو مذموم
فارضوا بحكم الدهر — ما كان فيه تحكم
وإذا ظلمتم فاضحكوا طربا ولا تنظموا
وإذا أهنتم فاشكروا وإذا أطمتم فابسموا
إن قيل هذا شهدكم سر ، فقولوا : علقم
أو قيل إن نهاركم ليل ، فقولوا : مظلم
أو قيل إن ثمادكم سيل ، فقولوا : مقعم^(١)
أو قيل إن بلادكم ياقوم سوف تقسم
فتحمّدوا ، وتشكروا وترنّخوا ، وترنّموا^(٢)

غادة الانتداب

دع مزعج اللوم وخلّ العتاب^(٣) واسمع إلى الأمر العجيب العجّاب^(٤)
من قصة واقصة غصة تضحك بل تدعو إلى الانتداب^(٥)
في الكرخ من بغداد مرّت بنا يوماً فتاة من ذوات الحجاب
لبنتها موقرة بالحلي وكفها مشبعة بالخضاب^(٦)
ووجهها يطمس سحناء عنا ظلام من سواد النقاب^(٧)

(١) الثماد : جمع ثمّد ، بالتحريك ، وهو الماء القليل . والمنعم بكسر الميم : المال .
وبفتحها : الملوّه .

(٢) الترنّخ : التمايل على الجانبين ، من سكر أو فرح . والترنم : رفع الصوت بالغناء .

(٣) العجّاب : صفة كالعجيب .

(٤) واقصة : اسم فاعل من وقصه : إذا ذق عنقه . والمراد أنها مؤلمة أشد الألم والنصة : ما يعترض
في الحلق من طعام أو شراب أو عظم ، فيسده . والانتداب والنجيب : البكاء بصوت
طويل ممدود . (٥) اللبة : موضع القلادة . وموقرة : محمّلة .

(٦) سحناء الوجه وسحنه : يفتح السين فيهما : لونه وحاله وهيئته .

تمشي العرَضِي في جلابيها مَشِيَّةٌ إِحْدَى الْمُؤَمِّسَاتِ الْقِحَابِ^(١)
تختلب الناسَ بأوضاعها وكل ما يصدرُ منها خِلاب
قد وضعت تاجاً على رأسها يلمع في الظاهر كَمُعِ الشَّهاب
يحسب من دُرٍّ بتمويهه وهو إذا حَقَّقَتْهُ مِنْ سِيخَابِ^(٢)
كاسية الجسم أرقَّ السَّكْسَى مَوْشِيَّةُ الثَّوبِ بَوْشَى كِذَابِ
قد غولط الناس بأثوابها في أنها من مَعْمَلِ الْإِنْتِخَابِ
وهي لعمري دون ما ريبة منسوجة في منسج الإغْتِصَابِ
قالعش في لُحْمَتِهَا وَالسَّدى وكل ما يدعو إلى الارتِيَابِ
قال جليسي يوم مرّت بنا من هذه الخادة ذات الحِجَابِ ؟
قلت له تلك لأوطاننا حَكُومَةُ جَادِ بِهَا الْإِنْتِدَابِ
تحسبها حسناء من زِيَّهَا وما سَوَى (جُنُبُول) تحت الثِيَابِ^(٣)
ظاھرھا فیہ لنا رَحْمَةٌ والويل في باطنها والعذاب
مصائبنا أمسى فظيماً بها ياربُّ ما أقطع هذا المصاب
تالله قد حق لنا أننا نحشو على الأروُس كلَّ الترابِ^(٤)

(١) مشي العرضي : أى لم يستقم في مشيه ، وإنما سار في ميل واعتراض من فرط نشاطه وبغيه .
والمؤمسات : جمع مؤمس ، وهى البغي . والقحباب : جمع قحبة ، وهى المؤمس . وأصل القحبة :
السعلة . وهى من السكنيات ، لأن المؤمس تسعل ، كما أنها تدعو إلى نفسها بذلك .
(٢) السخاب : كسكتاب : خيط ينظم فيه خرز . تلبسه الصبيان والجواري .
(٣) جنبول : علم على جنس الانجليزية .
(٤) حشا التراب يحشوه حشواً ، ويحشيه حشياً : هاله ورماه .

الفيل والحمل

أنشدنا يخاطب بها الزعيم الهندي محمد علي ، وقد كان مدعوا معه
في مأدبة أنامها له الأستاذ الفاضل عند مروره ببغداد سنة ١٩٢٩ .

إليك زعيم الهند أورد ههنا
فحين هنا في مجلس ذى أمانة
إذا ما سمعت الهند في قول قائل
ترجيه كف الأجنبي مسخرًا
ويبرك أحيانًا على الأرض رازحًا
وينخس أحيانًا فتعلوه رجفة
وإني أظن الفيل صاحب قوة
فلوقام هذا الفيل واستجمع القوى
ولولم تسكن بالفيل عندي علاقة
لنا حمل وهو العراق نظنه
فإن ينبج هذا الفيل من قيد أسرهِ
فإن لم يكن هذا صحيحًا فما الذى
ومن بعد هذا يا محمد إننى

سؤالاً له أرجو الجواب تفضلاً
فلم يخش فيه الحر أن يشقولا
تخيلات فيلاً بالحديد مكبلاً
فيمضى بأعباء الأجانب مشقلاً^(١)
له أنه من ثقل ما قد تحملاً^(٢)
فيمضى على رغم القيود مهزولاً^(٣)
تكون له لو شاء من ذاك مؤثلاً
لهز بها شم الجبال وقلقلاً^(٤)
لأرمت عن هذا جواباً مفصلاً
غدا من وراء الفيل للذئب مأكلاً
نجوبا وإلا أصبح الأمر معضلاً^(٥)
ترون سوى هذا عليه الموعلاً
أحييك باسم الناهضين إلى العلا

(١) ترجمه : تسوقه وتوجهه .

(٢) رزح تحت الحمل يرزح رزحاً : أن من ثقله .

(٣) النخس : الشك بالابرة ونحوها . والمهزول : الذى يمشى الهزولة ، وهى مشية سريعة .

(٤) شم الجبال : الجبال العالية .

(٥) أعضاه الأمر : غلبه .

دمشق تندب أهلها

أنشدتها في حفلة أقيمت في بغداد لجمع الاعانات
لشكوى سورية سنة ١٩٢٦

بصوت له الصخر الأهمم ^(١) يلين	بكت في ظلام الليل تندب أهلها
لها في ضواحي الغوطين أنين	وباتت وقد جل المصاب حزينه
وخيم صمت في الدجى وسكون ^(٢)	تئن وقد مدّ الظلام رواقه
تميد له في الغوطين غصون ^(٣)	إذا هي مدت في الدجنة صوتها
فتبصرها في الرافدين عيون ^(٤)	وتلهب منه في الفضاء شرارة
أبو الهول منها واجد وحزين ^(٥)	وتهبوله في ساحل النيل هبوة

* * *

فأسفر منها عارض وجبين ^(٥)	ومن بعد وهن أشرق البدر طالعا
بجدية مرر للجمال مصون	فأبصرت منها الوجه أزهى مشرقاً
له سيب في المكرمات متين	جمال بديع بالجلال متوج
مكان من الحسن المهييب مكين	وبرقعها حزن فكان لوجهها
صريع على وجه الثرى وطعين	فتاة جثت في الأرض نبكي وحوها
تقاذف منها بالدموع شئون	فضمت إلى الصدر اليدين وعينها
لها كل آن زفرة وحنين	وقد شخّصت نحو السماء بطرفها
تورم منها بالبكاء جفون	وما أنس لا أنس العشية أنها
فلاحت من الأشجان فيه فنون	وأن غزير الدمع خدد حدها

(١) الرواي : بضم الراء وكسرهما : الفسطاط والقبّة وموضع الجلوس .
(٢) الدجنة : الظلام . تميد : تميل . والغوطين : أرض تضاف إلى دمشق ، وهي من بساتين الدنيا .
(٣) بلاد الرافدين : هي العراق .
(٤) هبا يهود ، كملا يعنو : سطم .
(٥) العارض : جانب الوجه . والجبين : من منبت الشعر الرأس إلى الحاجبين .

ولما انقضى صبرى تراميتُ نحوها
وقلتُ لها : مَنْ أَنْتَ رُحْمَاكِ إِنِّى
فمالتُ وقد أَلَقْتُ إِلَىٰ بِنظَرَةٍ
أنا البلدة التَّكَلَّى دِمَشْقُ ابْنَةِ الْعَلَى
ألم ترَ أبنائى يُسَاقُونَ لِلرَّدَى
فأين أباة الضَّيِّمِ مَنْ آلَ يَعْرَبُ
فقلتُ لها لبيك يا أُمُّ إِنْهُمْ
سندرك فيك الثَّأْرَ مِنْ أَنْفُسِ الْعِدَا
كما تَرْتَمَى بِالْعَاصِفَاتِ سَفِينِ
لَكَ الْيَوْمَ خِلٌّ صَادِقٌ وَأَمِينِ
عَنِ الْقَصْدِ فِيهَا مَعْرَبٌ وَمُبِينِ
أما أَنْتِ فِي مَعْنَى دِمَشْقٍ قَطِينِ^(١)
فمنهم قَتِيلٌ بِالظُّبَا وَسَجِينِ^(٢)
ألم يأت منهم نَاصِرٌ وَمَعِينِ
سَيِّئَاتِيكَ مِنْهُمْ بَارِزٌ وَكَمِينِ^(٣)
وَنُوقِدُ نَارَ الْحَرْبِ وَهِيَ زَبُونِ^(٤)

* * *

فِيذَى دِمَشْقٍ يَا كَرَامَ وَهَذِهِ أَحَادِيثُ عَنْهَا كَلَّهِنَّ شُجُونِ^(٥)

(١) التَّكَلَّى من النساء : التى فقدت زوجها أو أولادها . وقطين : قاطن .
(٢) الردى : اخلاك ، ردى يردى : من باب فرح . والظبا : جم طيبة ، وهى حدة السيف .
(٣) بارز وكمين : أى ظاهر وخبى .
(٤) الزبون : الدفوع . يقول ناقة زبون ، وحرب زبون ، أى تدفع الناس إلى الهلاك كما تزينهم الناقة بحقها .
(٥) الشجن : الهم والحزن . والجمع : شجون وأشجان . والشجون أيضا : نظريب الحمامة ونوحها .

مبتدئ الأهواء

فالها يمثل حالة الصحف في الآستانة عقب الهدنة للحرب العامة :

- | | | |
|-----|---|--|
| (١) | تَمَادَوْا فِي الْخُصُومَةِ وَالسُّخَافَةِ | أَرَى الْأَتْرَاكَ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ |
| (٢) | مِنَ الْقَوْلِ الْمَخَالِفِ لِلشَّرَافَةِ | غَدَوْا يَتَطَاعَنُونَ بِكُلِّ هُجْرٍ |
| (٣) | كَمَا عَمَلَتْهُ أَقْلَامُ الصَّحَافَةِ | فَمَا عَمِلَتْ رِمَاحُ الْخَطِّ فِيهِمْ |
| (٤) | وَشَمَّرَ عَنْ سِوَاعِدِهِ لِحَافَهُ | تَرَى كَلًّا تَهَيَّأَ لِلتَّوَامِي |
| (٥) | لِيُطَاطَخَ وَجْهَهُ مِنْ يَبْدِي خِلَافِهِ | وَأَتَرَعَ كَفَّهُ حَمًّا نَتِينًا |
| (٦) | كَشَدَّقَ حَالِبَ شَرِبِ النَّشَافَةِ | تَرَاهُمْ مُزْبِدِينَ لَهُمْ شَذُوقٌ |
| (٧) | وَقَدْ شَرَبُوا الْمَطَامِعَ كَالسُّلَافَةِ | لَهُمْ صَخَبٌ كَعَرَبْدَةِ السَّكَارَى |
| | يَذِيقُهُمُ الْمُسْذَلَّةَ وَالْمُخَافَةَ | عَلَى حِينِ الْعَدُوِّ بِهِمْ مُحِيطٌ |
| (٨) | وَهُمْ لَا يَحْسَنُونَ لَهَا الْقِلَافَةَ | سَفِينَةٌ مَلِكُهُمْ فِيهَا خُرُوقٌ |
| (٩) | وَلَمْ تَأْمَنَ مِنَ الْمَوْجِ انْقِذَافُهُ | وَقَدْ وَقَفْتُ بِدُرْدُورٍ شَدِيدٍ |
| | يُقَوِّمُهَا بِسَكَّاتِ الْعَرَافَةِ | وَأَيْسَ لَهَا هُنَاكَ مِنْ عَرِيفٍ |
| | بِكُونِ الْإِخْتِلَافِ عَلَيْهِ آفَةٌ | عَجِبْتُ لَهُمْ إِذَا اخْتَلَفُوا بِمَلِكٍ |

- (١) السُّخَافَةُ : أَنْ يَكُونَ نَسِجُ الثَّوْبِ رَقِيقًا وَاهِيًا .
 (٢) الشَّرَافَةُ : الشَّرَفُ ، وَكَلَامًا مَصْدَرٌ شَرَفَ الرَّجُلُ : إِذَا عَلَا فِي الدِّينِ أَوْ الدُّنْيَا .
 (٣) الْخَطُّ : بِلَدٍ فِي الْبَحْرَيْنِ تُصْنَعُ فِيهِ الرِّمَاحُ الْجَيَادُ .
 (٤) الْأَحَافُ هُنَا : مَا يَلْتَجَفُّ بِهِ الْمَرْءُ مِنْ ثَوْبٍ فَوْقَ الثِّيَابِ ، كَالْمُعْطَفِ وَالْكِسَاءِ وَنَحْوِهَا .
 (٥) الْحَمَّا : الطَّيْنُ .
 (٦) الْمَزْبِدُ : الْبَعِيرُ الَّذِي خَرَجَ الزَّبَدُ حَوْلَ فَمِهِ ، وَهُوَ الرِّغْوَةُ ، مِنْ شِدَّةِ الْهَيَاجِ . وَالنَّشَافَةُ : الرِّغْوَةُ الَّتِي تَعْلُو لِبْنَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ إِذَا حَلَبَ .
 (٧) الصَّخَبُ : ارْتِفَاعُ الصَّوْتِ فِي الْجِدَالِ وَنَحْوِهِ ، وَعَرَبْدَةُ السَّكَارَى : سُوءُ خَلْقِهِ وَحَرَكَتِهِ الْمَضْطَرِبَةِ . وَالسُّلَافَةُ : الْحَجَرُ .
 (٨) قَلْبُ السَّفِينَةِ خَرَزُ أَلْوَاحِهَا بِاللَّيْفِ . وَجَعَلَ فِي خِلَافِهَا الْقَارَ . وَالْقِلَافَةُ : اسْمُ تِلْكَ الصَّنَاعَةِ .
 (٩) الدَّرْدُورُ : مَوْضِعٌ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ يَجْبِشُ مَائُهُ ، لَا تَسْكُدُ تَسْلِمُ مِنْهُ سَفِينَةٌ ، يَقَالُ : الْجُجُوعَا قَوَّيَعَا فِي الدَّرْدُورِ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : هُوَ الْمَاءُ الَّذِي يَدُورُ وَيَخَافُ مِنْهُ الْغُرَقُ .

كأنى إذ أراهم فى احتراب بملاكٍ يطلب الغرب انتصافه
أرى كبشين ينتطحان جهلاً لدى الجزار فى دار الضيافه
خصامٌ يضحك السفهاء منه ويبكى منه أربابُ الحَصافه
وإنّ تدابرَ الأقوامِ شيء يثول إلى الندامة والأسافه

نمطه مـصـدور^(١)

خَلِيلِيَّ هَلْ مِنْ مُنْصَتٍ فَأَبْنَهُ شُجُونٌ فَتَى يَشْكُو الْأَلِيمَ مِنَ الْبَثِّ^(٢)
فَإِنِّي سَمُتُ الْعَيْسَ فِي عُنُقَوَانِهِ وَبِسَامٍ مِثْلِي كُلُّ مُحْتَرَثٍ حَرَّتِي
أَقُولُ وَلَيْلِ الْغَرْبِ لَيْسَ بِنَأْمٍ أَمَّا لَنِيَامِ الْقَوْمِ فِي الشَّرْقِ مَنْ بَعَثَ
لَقَدْ جَاحَ هَذَا الشَّرْقَ بَعْدَ اعْتِزَاظِهِ

جَوَائِحُ أَوْدَتَ مِنْهُ بِالْكَرْشِ وَالْفَرْتِ^(٣)
فَسَاءَ مِنَ الْإِمْلَاقِ وَالْجَهْلِ خُلُقُهُ وَصَارَ سَمِينُ الْقَوْمِ يَبْطِشُ بِالْعَثِّ^(٤)
وَعَادَ هَزِيلًا تَجْدُهُ مُتَلَفَعًا بِسَحْقٍ دَرِيسٍ مِنْ مَفَاقرِهِ رَثِّ^(٥)
وَهَبَّتْ هُوجُ الرِّيحِ فَلَمْ تَدْعُ مِنَ الْعِلْمِ جِذْرًا فَوْقَهُ غَيْرَ مُجْتَثِّ^(٦)

- (١) قال الرماني هذه القصيدة وهو في الآستانة ، وأنشدها شبان الدرب في المنتدى الأدبي .
(٢) البث : أشد الحزن . وقوله فأبنه شجون فتى : الضمير : مفعول أول ، وشجون : مفعول ثان ، أى فأطلعه على شجون فتى .
(٣) جاح هذا الشرق : أى استأصله . وجوائح : فاعل جاح ، وهى جمع جائحة ، وهى النازة العظيمة التى تجتاح كل شيء . والكرش : لكل مجر من ذوات الحب والظلف : بمنزلة المدة للإنسان . والفرت : السرجين ما دام في الكرش . ومعنى قوله « أودت منه بالكرش والفرت » : أنها ذهبت منه بما عز وبما هان ، فضرِب الكرش والفرت مثلاً للجليل والحقير .
(٤) الإملاق : الفقر . وأراد سمين القوم : قويمهم . وبالعث : ضعيفهم .
(٥) متلفعاً : ملتفحاً . وسحق فى قوله « بسحق » صفة لمخدوف ، أى بثوب سحق : وهو البلى من انشباب . والدريس : الخلق ، وكذلك الرث . والمفاقر : وجوه الفقر ، لا واحد لها . وقيل : واحدها فقر ، على غير قياس .
(٦) هوج الرياح : هى التى لا تستوى فى هبوبها ؛ وتقطع البيوت ؛ واحدها : هو جاء . وجذر الشيء : أصله . ومجثت : أى مقننم .

أرى غشياناً في النفوس وهل ترى
 فيا قومنا أين المساواة عندهم
 وأين موافيق الأخوة إنني
 وإن بصدري للقريض لفورة
 أراكم فاهجوا ثم أطرق ذاكراً
 وأبكي على الجد الذي كان دونه
 يقولون إن الإرث في الخلق سنة
 فهلا ورثتم ثلث ذاك الذي بنوا
 قعدتم وقاموا واستكنتم وفاخروا
 وما أتعب المستنضيك فإنيهم
 أما والعلی واهاً لها من أليّة
 لأحتقرن الموت في معرك المني
 وأركب من الهول دون لبانتی
 وأجرى بمستن الخطوب مشمراً
 ولولا إبانى أن أخاطب ماجناً

نفوساً على خبث المطاعم لا تغني
 فقد طال عنها في مواطنكم بحی
 أرى حباي في كل يوم إلى النكث؟
 يزيد بها من طول غفلتكم نفی^(١)
 أوائلكم قبلاً فاندب أو أرثي
 على ربيته ندهر من خشية يجشي
 فهل بطلت في خلقكم سنة الإرث؟
 من الجدة، لا، لا، بل أقل من الثلث!
 بعز على وجه البسيطة منبت
 يحشون منكم للعلی غیر محتب
 عدمت العلی إن بت منها على حث
 وأسأثر أفق اليأس بالرهج الكث^(٢)
 ولست أبالي بالكوارث^(٣)
 وأخبط ليل المزجمات بلا لبث
 كتبت هجاء الدهر بالقلم الثلث^(٤)

(١) افورة : أى حدة وغضا . وقوله نفی : أى نفخى من الغضب : تقول : هو ينفخ
 على غضبا : أى كأنه ينفخ من شدة الغضب .
 (٢) الرهج : الغبار . والكث : الكثيف .
 (٣) الكوارث : الشدائد . وكرثها : اشتددها .
 (٤) القلم الثلث : أصله قلم الثلث وهو الذى يكتب به فى ثلث الطومار والطومار : نوع
 من الورق ، متفق على مقدار طوله وعرضه وهذا من اصطلاح كتاب الدواوين . وقد جرى
 الشاعر على أسلوب عامة المتكلمين . فجعل الثلث وصفاً للقلم . يريد القلم . المريض .

إخفا. الذمم

أو عبد العزيز شاويش

فالها في الآستانة عند ما أسلمت وزارة أحمد مختار باشا
الغازي الشيخ عبد العزيز شاويش إلى الحكومة المصرية :

إني عهدتك لا تكون يئوسا مهما لقيت مصائباً ومُحوسا
كم قد صدّمت النائبات بهمةٍ جعلت لها الصبر الجميل لبوسا
غذروك يا عبد العزيز وإنما غدروا الشهامة فيك والناموسا^(١)
ما أساموك إلى الخديو وإنما قد أساموا شرفاً لهم قدّموسا^(٢)
هدموا بأيديهم قواعدَ مجدِّهم فهوى وأصبح رسمه مطموسا
وأحق شيء بالثناء لدى الورى شرف بأرجل أهله قد ديسا
وأقل أبناء الزمان حمية من كان بيت نزيلهم مكبوسا^(٣)
قد أخجلوا علم الهلال بفعلهم هذا فأصبح رأسه منكوسا
وغدا بنوه وإن تقادم فخرهم عند الفخار يطأطئون رهوسا
ماهنت أنت وإنهم بفعلهم هانوا لدى أهل الحفاظ نفوسا
جارت سياستهم عليك فأغضبت أهل العدالة سائساً ومسوسا
لو كان هذا الشعب يعرف نفسه لأقام حرباً من جرّاك ضروسا^(٤)
ولو أن أخلاق الرجال صحيحة ما كن حقتك عندهم مبعوسا
إن العلى همست إليك بسرّها ولقد فهمت كلامها المهبوسا
فنهضت بين المسلمين تلمهم وتجدّد منهم تخلفاً ودريساً^(٥)

(١) الناموس : وعاء العلم .

(٢) المكبوس : الذي يهجم عليه ويفتش .

(٣) من جرّاك : من أجلك .

(٤) تلمهم : تجمعهم حول غرض واحد . وتجدّد : يتجدّد . والخلق : البالي . الدريس :

الدراس البالي .

فرماك منهم حاسدوك بتهمة
 إن يمتنوك فإن حبك لم يزل
 والشمس تشهد أن فضلك مثلها
 ياليت شعري أي كأس مرة
 وبأي سلسلة رموك مكبلا
 قد بت من جزعي عليك منجما
 إن يسجنوك فإن ذكرك مطلق
 أو يوحشوك بقعر سجنك مقردا
 وائن أقيمت أذى فكم من مصلح
 ضحكته وجوه الترهات ولم يزل

مأثوا الفضاء بزورها تدليسا
 في قلب كل مؤحد مغرورا
 يحيي النفوس ويقتل الحنديسا^(١)
 لك أدهقوا إذ جرعوك البؤسا^(٢)
 وبأي سجن غادروك حبيسا^(٣)
 في الليل عنك أسائل البرجيسا^(٤)
 ينجي الثناء ويقطف التقديسا
 فالحق عندك قد أقام أنيسا
 لقي الأداة مفعجا متعبوسا
 وجه الحقيقة في الأنام عبوسا^(٥)

(١) الحنيس : الظلام : والحنيس : الحنيس ، وقد أشبع كسرة الدال ، فوجدت الياء ،
 كقول الآخر : « نفى الدراهم تنقاد الصياريف » . والأصل : الصيارف .
 (٢) ليت شعري : ليتني أشعر وأعلم . وأدهقوا : ملأوا . وكأس دهاق : مملوءة .
 وجرعوك : سقوك شيئا في إثر شيء . والبوس : البؤس .
 (٣) غادروك : تركوك . حبيسا : أي محبوسا .
 (٤) البرجيس نجم ، قيل : هو المشتري .
 (٥) الترهات : تجميع ترمة ، وهي الباطل .

يا سدين باشا

قالها باسان أحد المتظاهرين ، وكان إذ ذاك في دمشق ، لا دبرت حكومة الشام العربية بواسطة رجال الانكليز مكيدتها المعلومه لياسين باشا الهاشمي ، فأخذوه واعتقلوه في الرملة ، وكان ذلك قبل دخول الفرنسيين بلاد الشام .

ياسينُ إنك بالقلوب مُشيعٌ	أفأنتَ للوطن العزيزِ مُودّعٌ
أخذوك يا بطلَ المعامع غيلةً	بيد الخداع ومثلهم من يخدع ^(١)
ولو أنهم تركوا الخداع وحاولوا	لثقيك أعجزهم إليك المطلع
أو ليس يدرى أخذوك بأنهم	هاجوا بمأخذك الخطوب وزرعوا
أين الذمام ونحن من حلفائهم	سرعان ما نقضوا العهود وضيعوا
أفيجهلون بأننا من أمة	في المجد تأمر من تشاء فيسمع
لا تجزعنَّ فإنَّ خلفك أمةٌ	تمشى كمشيك للعلاء وتتبع
إن أخرجوك من المواطن مكرها	فالشعب خلفك هائج لا يهجع
أو غيبوك فإنَّ أمرك حاضر	أو تبطوك فإنَّ جيشك مُسرِع
فلنملاَنَّ بك البلادَ هزاهزا	حتى يضيق بها الفضاء الأوسع ^(٢)
ولننهضنَّ إلى الهياج بهمة	ثماء يبصرها الجبان فيشجع
ولنسعرنَّ معامعا يصلونها	وراء وسهم فيها لسيفك رگم
ولنزمنهم بمعضلة إذا	ترمى الجبال بمثلها تتصدع
ونقودها خرساء يُنطقها الردى	فيصل صمصام ويصرخ مدفع ^(٣)
ياراحلا عنا بكيد عدونا	أبشر فإنك عن قريب ترجع

(١) المعامع : جمع مععة ، وهي المعركة . والغيلة : الحيلة والغدر .

(٢) الهزاهز : الفتن والثورات التي تهز الناس وتقلعهم .

(٣) خرساء : كتيبة خرساء .

كيف نحن في العراق؟

أبكتنا من الدولات أنا تعلّق في الديار لنا البُنودُ
وأنا بعد ذلك في افتقار إلى ما الأجنبيُّ به يجود
تجوز سيادة الهنديّ فينا وأمّا ابن البلاد فلا يسود
إذن فالهند أشرف من بلادى وأشرف من بنى قومي الهنودُ
وكم عند الحكومة من رجال نراهم سادة وهم العبيد
كلابٌ للأجانب هم ولكن على أبناء جلدتهم أسود
وليس الإنكليز بمنقذينا وإن كُتبت لنا منهم عهد
متى شفق القوى على ضعيف وكيف يعاهد الخرفان سيد
ولكن نحن في يدهم أسارى وما كتبوه من عهد قيود
أما والله لو كنا قرودا لما رضيت قرابتنا القرودا

في طريقى إلى حلب

جئت إلى الدير ضحى يوم الأحد أقصدُ منه حلبا فيمن قصدُ
فاعترضتنى شرطة ذات رصدٍ تطلب تصديق جوازى في الصدد^(١)
فعاقتنى ذاك من اليوم لغدٍ كأننى والغيط فى قلبى اتقدُ
سفينة أمسكها ماء جحدٍ حتى لقد يئست من فتح السدد^(٢)
وقلت من يأسى وقد قل الجلدُ كأن من يمر من هذا البلدُ
يمر زحفا بين أشداق الأسد لولا كرامٌ أدركونى بالمددُ
لكنت أبقي زمنا من غير حد يا صاحب الشرطة ما هذا اللدد^(٣)

(١) الشرطة : رجال النظام والحفظ . وارصد : المسكان ترصد فيه الداخلون إلى البلد والمخرجون منه ، أى يرقبون ويفتشون . والصدد : الطريق .
(٢) السدد : مجارى الماء .
(٣) اللدد : شدة الحصرمة والجدال .

لَمْ أَدْرِ جِدًّا فَعَلَكُمْ أَمْ هُوَ دَدٌ فَإِنْ أَجْنَادُكَ جَاءُوا بِالْفَنَدِ^(١)
 إِذْ فِيَّ عَاثُوا عَيْثَ ذُئِبَ فِي نَقْدِ تَعَاوَرَتْنِي مِنْهُمْ يَدٌ فِيدِ^(٢)
 أَفَادُ كَالْقَاتِلِ قَيْدًا لِلْقَوْدِ حَتَّى ثِيَابِي قَتَّسُوهَا وَالْجَسَدِ^(٣)
 كَأَنِّي سَارِقٌ مَالٌ مُفْتَقِدٌ مَا أَنَا مِنْ جَرٍّ جُرْمًا فَشَرَدُ
 وَلَسْتُ مِنْ سِيمٍ حَقًّا فَبَجَدُ كَيْلًا وَلَسْتُ جَانِيًا عَلَى أَحَدِ
 نَكَمًا الْأَمْرُ لَدَيْهِمْ قَدْ فَسَدُ وَالْحَكْمُ قَدْ جَارَ عَلَيْهِمْ وَاسْتَبَدَّ
 فَالْقَوْمُ : أَمَا حَظُّهُمْ فَقَدْ رَقَدُ عَنْهُمْ ، وَأَمَا سَعْدُهُمْ فَقَدْ خَدَّ
 مِنْهُمْ ، وَأَمَا نَحْسُهُمْ فَقَدْ وَقَدُ وَقَدْ أَضَاعُوا مُحْدَثَهُمْ إِلَى الْأَبَدِ
 وَقَدْ وَقَدُ ، وَقَدْ وَقَدُ ، وَقَدْ وَقَدُ

حكومة الانتداب

أَنَا بِالْحُكُومَةِ وَالسِّيَاسَةِ أَعْرِفُ أَلَا أَمْ فِي تَقْنِيدِهَا وَأَعْنَفُ^(٤)
 سَأَقُولُ فِيهَا مَا أَقُولُ وَلَمْ أَخْفُ مِنْ أَنْ يَقُولُوا شَاعِرٌ مُتَطَرِّفُ
 هَذِي حُكُومَتَنَا وَكُلُّ شُمُوزِهَا كَذِبٌ ، وَكُلُّ صَنِيعِهَا مُتَكَلِّفُ
 غَشَّتْ مَظَاهِرُهَا وَمُوءَةٌ وَجْهِهَا فَجَمِيعُ مَا فِيهَا بَهَارِجُ زُيْفُ^(٥)
 وَجْهَانُ فِيهَا بَاطِنٌ مُتَسْتَرِ لِلْأَجْنَبِيِّ وَظَاهِرٌ مُتَكَشِّفُ
 وَالْبَاطِنُ الْمُسْتَوْرٍ فِيهِ تَحْكُمُ وَالظَّاهِرُ الْمَكْشُوفُ فِيهِ تَصَلِّفُ^(٦)

عِلْمٌ وَدُسْتُورٌ وَمَجْلِسُ أُمَّةٍ كُلُّ عَنِ الْمَعْنَى الصَّحِيحِ مُحَرِّفُ
 أَسْمَاءُ لَيْسَ لَنَا سِوَى أَلْفَاظِهَا أَمَا مَعَانِيهَا فَلَيْسَتْ تُعَرِّفُ

(١) الدد : الذئب والبهو . والفند : ما يلامون عليه .

(٢) عاثوا : أفسدوا . والنقد : ضرب من صغار الغنم ؛ كالأغز .

(٣) القود : القصاص .

(٤) تقنيدها : لومها ومعانيدها . والتعنيف : أشد اللوم .

(٥) البهرج : الذي يروى لك مظهره . ولا تسرك حقيقة .

(٦) تصالف : تكبر .

مَنْ يَقْرَأَ الدِّسْتُورَ يَعْلَمُ أَنَّهُ وَقَفًّا لَصَكِّ الإِتِّدَابِ مُصَنَّفٌ
مَنْ يَنْظُرِ الْعِلْمَ الْمَرْفُوفَ يَلْقَاهُ فِي عِزِّ غَيْرِ بَنِي الْبِلَادِ يُرْفَرُفُ
مَنْ يَأْتِ مَجْلِسَنَا يَصْدَقُ أَنَّهُ لِمَرَادٍ غَيْرِ النَّاخِبِينَ مُؤَافٍ
مَنْ يَأْتِ مُظَرَّرَدَ الْوِزَارَةِ يُلَافِيهَا بِقَيُودِ أَهْلِ الإِسْتِشَارَةِ تَرْسُفُ^(١)

* * *

أَفْهَكَذَا تَبَقَى الْحُكُومَةُ عِنْدَنَا كَلِمَاتُ تَمَوَّهِ لَوْرِي وَتُزْخَرْفُ
كَثُرَتْ « دَوَائِرُهَا » وَقَلَّ فَعَالُهَا كَالطَّبْلِ يَكْبُرُ وَهُوَ خَالُ أَجُوفٍ
كَمْ سَاعَاتُهَا مِنْهَا وَمِنْ وَزَرَائِهَا عَمَلٌ بِمَنْفَعَةِ الْمَوَاطِنِ مُجْجَفُ^(٢)
تَشَكُّو الْبِلَادَ سِيَاسَةَ مَالِيَةٍ تَحْتَاجُ أَمْوَالَ الْبِلَادِ وَتَتَلَفُ^(٣)
تُجْبَى ضَرَائِبُهَا الثَّقَالُ وَإِنَّمَا فِي غَيْرِ مَنْفَعَةِ الرِّعْيَةِ تُصَرَفُ
حَكَمَتْ مُشَدَّدَةً عَلَيْنَا حَكْمَهَا أَمَا عَلَى الدُّخْلَاءِ فَهِيَ تَخَفُ^(٤)
يَاقُومُ خَلَاوُ الْفَاشِسِيَّةِ . إِنَّمَا فِي السَّائِسِينَ فِظَاطَةٌ وَتَعَجَّرُفُ^(٥)
لِلْإِنْكَالِزِ مَطَامِعُ بِلَادِكُمْ لَا تَنْتَهِي إِلَّا بِأَنْ تَنْبَلِشَفُوا^(٦)

* * *

بِاللَّهِ يَا وَزَرَائِنَا مَا بِالْكُمُ إِنْ نَحْنُ جَادِلُنَا كُمُ لَمْ تَنْصِفُوا
وَكُنَّا وَاحِدَكُمُ لَفَرَطُ غُرُورِهِ تَمِيلُ تَمِيلُ بِجَانِبِيهِ الْقَرَقُفُ^(٧)
أَفْتَقْنَعُونَ مِنَ الْحُكُومَةِ بِأَسْمِهَا وَيَفُوتُكُمْ فِي الْأَمْرِ أَنْ تَنْصَرَفُوا

-
- (١) المطرد : مكان الاطراد ؛ وهو الجرى والتتابع . يريد الميدان أو الطريق الذي تجرى فيه .
الوزارة . وترسف : تمشى متى المقيد .
(٢) مجحف : جائر على منفعة أهل البلاد .
(٣) تحتاج : نهلك . والجائحة : الآفة المهلكة .
(٤) يريد بالدخلاء : الأجانب النازلين بأرض العراق من غير العرب .
(٥) تعجرف : خشونة .
(٦) تبلشف : يتبلشف ، فعل أخذه الشاعر من لفظ البلشفية ، وهي مذهب سياسي واقتصادي ينافي الرأسمالية ، وهو النظام السائد الآن في روسيا وشرق أوروبا .
(٧) القرقف : الحُر .

هذى كراسى الوزارة تحتمكم
أتم عليها والأجانب فوقكم
أبعد فخرًا للوزير جلوسه
كادت لفرط حيائها تنقص
كل بسلطته عليكم مشرف
فرحًا على الكرسي وهو مكتف

* * *

إن دام هذا فى البلاد فإنه
لا بد من يوم يطول عليكم
فمنالكم لم يغن شيئًا عنكم
الشعب فى جزع فلا تستبعدوا
وإذا دعا داعى البلاد إلى الوغى
أيذل قوم ناهضون وعندهم
كم من نواص للعدا سنجرها
إن لم نضاحك بالسيوف خصومنا
بداومه لسيوفنا مستترعف^(١)
فيه الحساب كما يطول الموقف
نسن تقول ولا عيون تذرّف
يوماتثور به الجيوش وترحف
أظن أن هناك من يتحف
شرف يعزّز جانبيه المرهف^(٢)
ولحي بأيدي الثائرين ستنتف^(٣)
فانجد بالك والعلى تتأفف^(٤)

* * *

زُر ردهة التاريخ إن فناءها
قد كان للعرب الأكارم دولة
عاش الأديب منعمًا فى ظلها
أيام كان المسلمون من الورى
ثم انقضى عهد العروبة منذ غدا
للمجد من أبناء يعرب متحف^(٥)
من بأسها الدول العظيمة ترّجف
والعالم النحرير والمتفلسف
فى ظلها لهم الحلق الأشرف
عنها الزمان بسعده يتحرف^(٦)

(١) مستترعف : مسبب لارعاف ، وهو سيلان الدم من الأنف ومن حد السيف .

(٢) المرهف : السيف أو السنان المشحوذ .

(٣) النواصي : جمع ناصية ، وهى الشعر فى مقدم الرأس . ونجز : تقطع .

(٤) نضاحك خصومنا بالسيوف : أى نمازحهم بالسيوف ، وفى الكلام استعاره .

(٥) الردهة : المكان المنسج بين البيوت ، وهى ما نسمه الآن بلسان العصر « صالة » يريد أن المكان الذى يدرس فيه التاريخ يحوى من أخبار العرب ومآثرها ما تحويه المتاحف

ودور العاديات من مجد الأمم القديمة . (٦) يتحرف : ينحرف .

حتى تقلص بعدئ من سلطانها ظلُّ بأقصى المشرقين مؤرّف^(١)
 وغدت ممالكها الكبيرة كلها أسهام كل دويلة تستهدف^(٢)
 فبنو العروبة أصبحوا في حالة منها العروبة لا أبالك تأنف
 والمسلمون بحالة من أجلها تالله ضجّ بما حواه المصحف

الوزارة المذنبه

دارَ ذا الدهر مداره فرأى الناس ازوراره^(٣)
 كلُّ فعل الدهر فعل فيه للجرّ إثارة
 أهل بغداد أفيقوا من كرى هذى الغرارة^(٤)
 إن ديك الدهر قد با ض ببغداد وزاره
 شأنها شأن عجيب قصرت عنه العبارة
 هي للجاهل عز ولدى العلم حقاره
 ملك البدو بها الأمر على أهل الخضاره
 كم لها من هفوات تسلب الطود وقاره
 حبيت للوطى الحجر أن يهجر داره
 بيع للأطاع فيها حقكم بيع الخساره
 فكان الحكم والعد ل بها قط وقاره
 كم وزير هو كالوز ر على ظهر الوزاره
 مُقحّم لو كان لفظا شخصه كان استعاره
 ووزير مُلحق كالد يل في عجز الحماره^(٥)

(١) مورف : متسع .

(٢) تستهدف : تصير هدفا وغرضا .

(٣) ازوراره : اعوجاجه .

(٤) الغرارة : الغفلة وقلة الانتظة للشر ، وعدم البحث عنه . والمراد الجهالة بشئون السياسة والحياة .

(٥) عجز ، بسكون الجيم ، مخفف من عجز بضمها ، وهو المؤخر .

ذَنبٌ أَصْبَحَ نَلْحُكُمْ بِهِ أَقْبَحُ شَارُهُ
 ذَنبٌ يَسْتَوْجِبُ الْإِخْلَاصُ وَالصَّدْقُ انْبِتَارُهُ ^(١)
 قُلْ لِلرَّبِّابِ الْوِزَارَةُ عَذْلًا أَضْرَمْتُ نَارَهُ
 أَنْتُمْ الْأَصْنَامُ لَوْلَا نَزَقَاتُ مُسْتَطَارُهُ ^(٢)
 أَحْلُومُ كَفَرَاشِ وَقُلُوبُ كَحِجَارِهِ ^(٣)
 أَمْ جُيُوبُ زَرْهَا الدَّهْرُ عَلَى كُلِّ دَعَارِهِ ^(٤)
 أَمْ وَجُوهٌ لَوْ بَدَتْ لِلشَّمْسِ لَمْ تَنْتَشِرْ حَرَارُهُ
 أَمَعَ الذَّلَّةُ كَبُرَ أَمْ مَعَ الْجُبْنِ جَسَارُهُ
 كَيْفَ لَا تَحْشَوْنَ لِلْأَحْرَارِ فِي الْبَطْشِ مَهَارُهُ
 يَا بَنِي الْأَوْطَانِ هُبُّوا وَانْفَضُّوا هَذِي انْفَرَارُهُ
 إِنْ وَجْهَ الْحَقِّ بَادَ كَسْرَاجِ فِي مَنَارِهِ
 أَدْرَكُوا الْحَقَّ فَقَدْ شَدَّتْ عَلَى الْحَقِّ الْإِغَارُهُ
 لَا تَسْلُ عَنْهُ وَزِيرُ الْقُومِ وَاسْأَلْ مُسْتَشَارُهُ
 فَوْزِيرُ الْقَوْمِ لَا يَمْلِكُ مِنْ غَيْرِ إِشَارُهُ
 وَهُوَ لَا يَمْلِكُ أَمْرًا غَيْرَ كُرْسِيِّ الْوِزَارَةِ
 يَأْخُذُ الرَّاكِبَ إِمَّا بِنِعْ شَهْرٍ سِرَارِهِ ^(٥)
 ثُمَّ لَا يَعْرِفُ مَنْ بَعْدُ : خَرَابٌ أَمْ عِمَارُهُ
 حَدَّثَ النَّاسَ الْقَوْمُ عَنْ هَذِي الْخُشَارَةِ ^(٦)
 فَلَعَلَّ الدَّهْرَ مِنْهُمْ بَدَمٌ يَغْسِلُ عَارُهُ

(١) انبتاره : يتره وقطعه .

(٢) النزقات : جمع نزقة ، وهى المرة من النزق . وهو الطيش والخفة .

(٣) حلوم كفرأش ، أى طائشة ، لا تعرف ، كما لا تعرف القراشة ، ما يضربها وما ينفعها لأنها تنهاقت فى النار ، فتتحرق نفسها .

(٤) الدعارة : الفجور والخيانة .

(٥) السرار : الأفلام الذى لا يظهر فيه القمر آخر الشهر .

(٦) الخشارة والخشار : الردىء من كل شىء ، وخص الخجيانى به ردىء المناع .

يوم الفلوجة

أيها الإنجليز لن تناسي
ذاك بغي لن يشفي الله إلا
بالمواضي جريحه وشجيجه^(٢)
بسوى السيف نبتغي تفريجه
هو كرب تأبى الحمية أنا
هو خطب أبكى العراقيين والشام
وركن البتية الحجوجة^(١)

• • •

حلها جيشكم يريد انتقاماً
يوم عاثت ذئاب آثور فيها
قاستهنتم بالمسلمين سفاهاً
وأدرتم فيها على العزل كأساً
واستبحتم أموالها وقطعتم
أفها تمدت وعلاء
أم سكرتم لما غلبتم بحرب
قد نتجنا لقوحها عن خداج
هل نسيتم جيشاً لكم مبدعراً
وهوى بانهرامه حصن أقريط
سوف ينأى بحزبه وبعار
وهو مفر بالساكنين غلوجه^(٣)
عينة تحمل الشنار سميجه^(٤)
واتخذتم من اليهود وليجه^(٥)
من دماء بالغدر كانت مزيجه
بين أهل الديار كل وشيجه^(٦)
شعبكم يدعى إليه عروجه
لم تكن في انبعاثها بنضيجه
فلذاك انتهت بسوء النتيجة^(٧)
شهدت جيشه سواحل إيجه^(٨)
وأمسى قذى على عين فيجه^(٩)
عن بلاد تريد منها خروجه

(١) الفلوجة : قرية على الفرات . وقريتان عند بغداد : الفلوجة الكبرى والفلوجة الصغرى ، وأصل معنى الفلوجة : القرية من قرى السواد .

(٢) الشجيج : المشجوج .

(٣) مفر : مسلط محرض . والعلوج : جمع علج ، وهو الرجل الضخم من كفار العجم .

(٤) الشنار : العجيب والعار . والسميج : القبيح .

(٥) وليجه : بطانة .

(٦) الوشيجه : العلاقة التي تربط بين أبناء الأسرة أو البلدة ، من دين أو لغة أو دم أو وطن .

(٧) نتج الناقة : ولدها . والقروح : الحامل . والخداج : نزول الموالود قبل استكمال مدة الحمل .

(٨) المبدعر : المتفرق . وسواحل إيجه : أى بحر إيجه ، وهو بين بلاد الأناضول وبلاد اليونان .

(٩) أقريط : يريد أقريطش ، جزيرة جنوبى بلاد اليونان .

لا تغرّنكم شِبَاكُ كِبَارٍ أَصْبَحْتَ لاصْطِيَادِنَا مَنْسُوجُهُ
لَسْتُمْ الْيَوْمَ فِي الْمَلَاكِ إِلَّا جَعَلَا تَحْتَ صَدْرِهِ دُحْرُوجُهُ^(١)

* * *

وطني عشت فيه غير سعيد عيش حرّ يَأْبَى عَلَى الدهر عَوْجَهُ
أَتَمَنِي لَهُ السَّمَادَةَ لَكِن لَيْسَ لِي فِيهِ نَاقَةٌ مَنْتُوجُهُ^(٢)
أَخْصَبَ اللَّهُ أَرْضَهُ وَلَوَانِي لَسْتُ أُرْعَى رِيَاضَهُ وَمُرُوجَهُ
كُلَّ يَوْمٍ بَعِزَّهُ أَتَغْنَى جَاعِلَا ذِكْرَهُ عَزَّهُ أَهْزُوجُهُ^(٣)
مَا حَيَاةَ الْإِنْسَانِ بِالذَّلِّ إِلَّا مَرَّةً عِنْدَ حَسْوِهَا مَجْجُوجُهُ
فَتَنَاءُ لِّلرَاقِدِينَ وَشُكْرًا وَسَلَامًا عَلَيْكَ يَا « فُلُوجُهُ »

الانكيز في سيمائتهم الاستعمارية

لَقَدْ جَمَعَ الدَّهْرُ الْمَكَايِدَ كُلَّهَا بِقَدْرِ كَبِيرِ صَيْغٍ مِنْ مَعْدِنِ الْخُبَيْثِ
وَصَبَّ عَلَيْهَا مِنْ بَثَارِ صُرُوفِهِ سِجَالًا مِنْ الْكَيْدِ الْمَمُوءِ وَالْحِنْثِ
وَأَنْقَعَ فِيهَا مَا يِعَادِلُ ثُلُثَهَا مِنْ الْكُرْبَلِ مَا قَدْ يَزِيدُ عَلَى الثَّلَاثِ
وَقَتَّتْ أَرْطَالًا مِنَ الْغَدْرِ فَوْقَهَا وَعَاجَلِيَا بِالْذَّقِ وَالذَّلَالِ وَالْدَّثِ^(١)
وَأَوْقَدَ نَارًا لِلْخُدَيْعَةِ تَحْتَهَا تَزِيدُ عَلَى نَارِ الْغَضَى أَوْ عَلَى الرَّمْثِ^(٢)
فَغَارَتْ مَلِيًّا فِيهِ ثُمَّ تَصْعَدَتْ بَخَارًا بِأَنْبِيْقٍ مِنَ السَّحَرِ وَالْفَنَقِ^(٣)
فَصَاغَ طِبَاعَ الْإِنْكَالِيزِ مِنَ الذَّنَى تَقَاطَرُ فِي الْأَنْبِيْقِ كَالْمَطَرِ الدَّثِ^(٤)

(١) الجمل : ذكر اخنافس . والدحروج : كرة يكورها من خريره ، يدحرجها ويحرق وراءها .

(٢) منتوجة : والدّة .

(٣) الأزوجة : واحدة الأهازيج ، وهي نوع من نظم القريض يتغنى به .

(٤) الدث : مصدر دث أي دقق التراب على وجه الأرض بالقدم أو باليد .

(٥) الغضى : شجر جزل ، ناره قوية . والرمث : شجر يشبه الغضى لا يطول ، ولكن ينبت وورقه .

(٦) الأنبيق : جهاز معروف يستعمل في التقطير .

(٧) المطر الدث : الضعيف الخفيف .

دع اللّومَ واسمع ما أقولُ فإنّي
 كأنّهم والناس عثّ وصوفةٌ
 فكم حرثوا في أرض مستعمراتهم
 وكم أيقظوا والناس في الدُّور نومٌ
 وهم يأكلون الزُّبد من مُنتجاتها
 فيحظّون منها بالتفائس دونهم
 زُر الهند إن رمت العيان فكم تَرى

على الأرض من عُبرٍ هناك ومن شُعث

* * *

يقولون إنا عاملون لسعدكم
 فكم بعثوا في الشرق حرباً ذميمة
 وكم أرسلوا دسّاً جواسيس مكرهم
 وهم سلبوا أرض العراق سمينها
 إذا ما رأيت القوم في فتح مكرهم
 فلا ترجُ في الدنيا وفاء لعهدهم
 وما الحكم إلا عندنا كِمِطَّة

ولم يعملوا غير الكوارث والكُرث^(١)
 تمثّل في أهوالها ساعة البعث
 على الناس يشتدونّ بالنش والنبت
 ولم يتركوا للقوم فيها سوى الغث^(٢)
 رَقَمْتَ لهم تبكى على القوم أو ترثي
 فلا بد في الأيام العهد من نكث^(٣)
 رَمَوْهَا إلينا كي يروا غيبة الطّث^(٤)

(١) الغث : حشرة تلحق الصوف .

(٢) الدجن : الغيم . الوعث : المكان المسمى الكثير التراب ، تقيب فيه الأقدام .

(٣) القرث : السرجين ما دام في الكرش .

(٤) السقيط : سقط المتاع . والخرثى : أردأ متاع البيت .

(٥) كرهه الأمر كرثا : اشتد عليه .

(٦) الثث : المنزول ، وهو ضد السمين .

(٧) الططنة : لعبة للصبيان ، يرمون بخشبة مستديرة عريضة ، يدقق أحد رأسها نحو القلة .

بين الانتداب والاستقلال

سَلِّ الْإِنْكَازِيَّ الَّذِي لَمْ يَزَلْ لَهُ
أَنْتَ وَزِيرٌ أَمْ عَمِيدُ وَزَارَةٍ
فَهَا أَنْتَ مُلْقَاةٌ إِلَيْكَ أُمُورُنَا
وَتَأْخُذُ مِنَّا رَاتِبًا كَمَوْظَفٍ
أَتَحْمِلُ مِنْكَ الْيَوْمَ عِبَاءَ تَحْكِيمٍ
وَمَا شَأْنُ ذِيكَ السَّفِيرِ الَّذِي لَهُ
وَكُنْتَ لَكُمْ مِنْ قَبْلِ فِينَا اسْتِشَارَةٌ
تَبَدَّلْتُمْ اسْتِقْلَالَنَا بِانْتِدَابِكُمْ
خَلَقْتُمْ لَنَا مِنْ كُلِّ عَمِيدٍ مَمُوتًا
إِلَى أَنْ غَدَا اسْتِقْلَالُنَا ضُحْكَةً الْوَرَى
وَصَارَ كَسِيفٍ قَاطِعٍ فِي أَرْكَفِكُمْ
غَرَرْتُمْ بِهِ الْأَغْرَارَ وَاللَّهُ شَاهِدٌ
وَهَلْ يَسْتَقِلُّ الشَّعْبُ فِي حَكْمِ نَفْسِهِ
فَمَا هُوَ إِلَّا الْمَيِّنُ فِيكُمْ أَعَانِكُمْ
وَمَاسَكَتِ الْأَحْرَارُ عَنْ نُحْزِيَاتِكُمْ
وَلَا تَعْجَبُوا أَنْ يَتَمَثَّلَ الشَّعْبُ دَائِبِكُمْ

فيظهر وهو السـاخط المتمرد

رُويْدًا فَإِنْ رَمَيْتُمْ مِنَ الشَّعْبِ وَدَّهَ
وَكُونُوا لَهُ عَوْنًا عَلَى مَا يُهْمُّهُ
وَالَا فَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ وَإِنَّمَا
خَلَوْا لَهُ الْأَمْرَ الَّذِي يَتَقَلَّدُ
يَكُنْ لَكُمْ عَوْنًا عَلَى مَا يُعَدُّ
أَخُو الظُّلْمِ مَاخُوذٌ بِمَا يَتَعَمَّدُ

(١) الدست : صدر البيت ، وعند المتأخرين ، الديوان ومحاسن الوزارة والرياسة .

(٢) معبد : مذل .

(٣) لفظ مجرد : أى خال من المعنى .

بني وطني

بني وطني ماذا أؤمل بعد ما
أقول لمن قد لامني في تشددي
لو اسود وجه المرء من قُبْح فعله
ولو نال بالإخلاص مثر ثراءه
نحاول عزاً بابتذال نفوسنا
ومن جهلنا استكراهنا في معاشنا
سأرحل عنكم الذي قد أقامني
أبيت لنفسي أن تحل مكانة
ولو أن هذا الصبح كان انبلاجهُ
فلا أبتغي بالذل عيشاً مرفهاً
وما أنا كابن العبد إذ عاتق الردي
إذا ابتسمت لي عفتي وزاهتي
أقابل أخلاق الرجال بمنها
فأغوي لمن يغوي وأفسو لمن قسا
ولست أجازي المعتدي باعتدائه
وما أنا من أهل الدعارة وانحنا
ونكن لي فيكم يراعاً إذا شدا

تفشت سعايات لكم بالتجسس
على كل تدليس أتى من مدّس
لما كنت تلقى عندنا غير مدّس^(١)
لما كنت تلقى بيننا غير مفلس
فقد شري خسباً بالثمين المقدس
شقاء نزيها^(٢) للنعيم المذنس
على موحش من أمركم غير مؤنس
من العيش إلا فوق عز مؤنس
بغير شروق الشمس لم يتنفس
ولو عشت في العزّي بقول مدّس^(٣)
لجدوى أبتها رغبة المتفس^(٤)
فلست أبالي بالزمان المعبس
وأعرف منهم وجهها بالنفوس
وأظهر كالغطريس المتغطرس
ولكن بصفح القادر المتحمس
ولا من أولى حمل السلاح المسدس
أناكم بكاف من علاه ومخرس

(١) المدّس : الذي اسود وجهه من غير علة . (٢) كذا بخط الشاعر : يريد شقاء خالصاً .
(٣) القول للمدّس : معروف في مصر . واشتقاقه من دمس الشيء في الأرض : إذا دفنه
وخبأه ، ولانضاج القول بدفنه على مستوقد الحمامات طريقة معروفة في مصر .
(٤) ابن العبد : طرفة بن العبد البكري الشاعر العربي الجاهلي المشهور ، والمتنس : جرير بن
عبد المسيح شاعر معروف . ولهما قصة في وفادتهما على عمرو بن هند ، ومنادتهما أخاه قابوس
(أنظر الشعر والشعراء لابن قتيبة) .

وما خالق الأكوان إلا المهندس
تجلى على أكوانه بصفاته
وأقبسهم نوراً شديداً جلاؤه
وألبسهم حر العرائز فاغتنوا
وما مقبس عند النهى غير قابس
فأيان جال الطرف لم ير غيره
حقيقة مخلوقاته لم تكن سوى
إلا أننى للكائنات موحـد

وإن جلّ عن تعريفه بالمهندس^(١)
وأغلس فيهم كنهه كل مغلس^(٢)
فساروا به كالعمى فى كل حنـدس
بحمرتها عن كل ثوب مؤرّس^(٣)
ولا لابس عند النهى غير ملبس
إذا كان فى الملاحظة غير مبلس^(٤)
حقيقته دع عنك حدس الحدس
ولو أرغمت كل المذاهب معطسى^(٥)

يوم سنغافورة

أطالوا الحرب طاحنة زبونا
وقد زحفت لهم فيها جيوش
لقد خربوا البلاد ودوخوها
ولم تُرد الشعوب لها انتقادا
أولئك هم الجناة بهما علينا
إذا ذكر الورى جشعا وحرصا
وما رزقت فيها غير جانٍ
أعان على الهياج وقال حيدى

فعدوا بالشهور لها السنين
تجاوزت الألوف مع المثينا
وجنّوا فى تناحرهم جنونا
فأوقد نارها المترّسونا
أولئك هم البغاة الطامعون
فشرشل أكبر المنجسينا
يزور فى إطالتها الميونا^(٦)
حياد فأعجب المتكذّبين^(٧)

- (١) الأبيات من هنا إلى آخر القصيدة فى الفلسفة ، وليست من السياسة فى شيء .
(٢) أغلس : أبهم وأخفى .
(٣) حر العرائز : كذا بخطه ، ولعله يريد العرائز المعجبة ، فإن الحرة شعار الحسن .
والورس : المصبوغ بالورس ، وهو الزعفران .
(٤) الملبس : من الابلّاس ، وهو الخيرة .
(٥) المعطس : الأنف .
(٦) يزور : يعد ويهين . والميون : جمع مين ، وهو الكذب .
(٧) الهياج : الحرب والشر . وحيدى : حياد : كلمة يقولها المارب من شيء يخافه .

فما دعواهم في الحَيَوَانِ إِلَّا كدَعْوَى الْعِقَةِ الْمُتَهْتِكُونَ
كذلك ساسة الأَقْوَامِ فيما بِهِ عَنْ رَأْيِهِمْ يَتَفَوَّهُونَ
خداع لا يراه ذُووهُ شَيْئاً وَلَا يَمْسِي بِهِ أَحَدٌ مَشِيعَةً

° ° °

بِسُغَاغُورَةِ الْيَابَانِ شَبُّوا عَلَى أَعْدَائِهِمْ حَرْباً طَحُوناً
لَمْ فِيهَا طَوَائِرُ صَاعِقَاتٍ لَهَا قَصَفٌ تَذَكُّ بِهِ الْحَصُونُ
رَوَاعِدُ نَمَلٍ الْآفَاقِ رَعَا وَرَسَلٌ فِي نَهْزُمِهَا الْمَنُونُ
تَزَلَّتْ الْحَصُونُ بِهَا وَكَانَتْ تَحْصُونَ تَسْتَخْفِ بِكُلِّ طَوْدٍ
لَقَدْ سَكَّتْ مَدَافِعُهَا وَجُومُهَا وَتَسْتَعِشِي بِرُوعَتِهَا الْعَيُونُ^(١)
عَلَى بَحْرٍ بُلُجَّتْهُ أَقَامُوا لَجِيشٍ حُلَّ مَرَصَفَتِهَا الْخَصِيفُ^(٢)
وَقَدْ بَثُوا الْبَوَارِجَ فَاسْبَطَرَتْ لَفَلَقَ الْبَحْرُ مِنْ نَارِ كَرِيمَا
تَرَى الْحَيَاتِ فِيهِ قَدْ اشْرَأَبَتْ تَجُولُ بِهِ فَوَارِدَ أَوْ ثُبِينَا^(٣)
وَتَطْفُو نَارَةً وَتَعْوِصُ أُخْرَى تَرُدُّ فَوْقَهُ نَظَرَا شَقُونَا^(٤)
وَتَضْرِبُ بِالزَّعَانِفِ جَانِبَيْهَا وَتَبْدِي مِنْ تَمَاقِلِهَا فَنُونَا^(٥)
بَحِثْ يَقُولُ مَنْ يَدْنُو إِلَيْهَا فَتَنْقَلِبُ الظُّهُورُ بِهَا بَطُونَا^(٦)
لَعَلَّ بَيْنَ صَرَعَا أَوْ جَنُونَا^(٧)

° ° °

وَبَحْرُ الْهِنْدِ أَصْبَحَ فِي اضْطِرَابٍ يُرْجَمُ فِي عَوَاقِبِهِ الظَّنُونَا^(٨)
أَيُقَنِّحُ بَابَهُ فَيَكُونُ حَرَا لِمَنْ يُزْجِي بُلُجَّتَهُ السَّفِينَا

- (١) تستخف : تهزأ ، والطود : الجبل العالي . وتستعشي : تنسبها إلى المشاء ، وهو سوء اليأس .
يد أنها لندة أرمناءها لا تكاد تراها السجون . فسكانها صارت عشياً لا تبصر .
(٢) المرصف : رصيف الميناء . حيث ينزل المسافرون . وتفرغ السفن وتشتعل .
(٣) اسبطرت : استطلعت ، وفوارد : مفردات ، وثبين : جماعات .
(٤) الفشعون : النظار إلى الشيء ، نظر للمعجب منه .
(٥) يقال : تماقل الفيران في الماء : إذا تماشا . (٦) الزعانف : أجنحة السمك .
(٧) كذا بخط الشاعر ، وفي نسخة أخرى بغير خطه : وبحث يقول ثمة من يراها .
(٨) يرجم الظنون : يرى بالظنون على غير ثبوت ، ودون نظر صحيح .

وَيُخْسِي الْهِنْدُ عِنْدُنْدا طَلِيْقًا مِنْ الْأَثَرِ الَّذِي قَطَعَ الْوَتَيْنَا^(١)
فَبُشْرَى لِلْبِلَادِ إِذْ ذَنْ وَبُشْرَى لِمَصْرِ وَالْعِرَاقِ بِمَا هَوَيْنَا^(٢)
فَسَوْفَ تَكْفِ عَنْهُمْ اللَّيَالِي مَطَامِعَ سَاسَةِ مَتَحَكِيمِنَا

* * *

هَذَاكَ حَفْرَةَ الْأَطْمَاعِ يُخْسِي خِدَاعُ الْإِنْكَلِيزِ بِهَا دَفِينَا
وَتَحْتَدِمُ الْحَفَائِظُ فِي الْبَرَائَا فَتَضْرِمُ فَوْقَ مَدْفَنِهِ أَتُونَا^(٣)
وَتَتَسَعُ السِّيَاسَةُ لِلتَّصَافِي فَيَسْتَصْنِي الْخُلْدَيْنُ بِهَا الْخُلْدَيْنَا
وَيَصْبِحُ كُلُّ تَمْوِيهِ وَغَشٍ لِأَنْظَارِ السَّيْرِيةِ مُسْتَدِينَا
وَيَصْبِحُ كُلُّ خِدَاعٍ كَذُوبٍ رَجِيمًا فِي سِيَاسَتِهِ لَعِينَا
وَيَصْبِحُ كُلُّ شَعْبٍ مُسْتَقْلًا عَزِيزًا لَنْ يَذُلَّ وَلَنْ يَهُونَا^(٤)
وَيُخْسِي النَّاسَ قَاطِبَةً سَوَاءً بَدِينِ أَخَوَةٍ مَتَدِينِنَا
يُعَاوَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُؤْوِي قَوِيَّهُمُ الضَّعِيفَ الْمُسْتَكِينَا^(٥)
تَسِيرُ بِهِمْ شَرَائِعُ عَادِلَاتٍ إِلَى أَوْجِ السَّعَادَةِ مُرْتَقِينَا
سَوَاءً لَا يَفْرَقُهُمْ لِسَانٌ وَلَا دِينٌ بِهِ يَتَعَبَّدُونَا^(٦)
فَمَا مِنْ سَائِدٍ أَوْ مِنْ مَسُودٍ وَلَا مِنْ دَائِنٍ يُرْبِي الدَّيُونَا
وَيَصْبِحُ كُلُّ مُحْتَرَثٍ مُشَاعًا لِمَنْ فِيهِ نَوَاؤَا مُتَوَطِّنِنَا^(٧)
وَمَا أَهْلُ الْبِلَادِ سِوَى عِيَالٍ عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي هُمْ يَحْسِنُونَا^(٨)

(١) اوتين : عرق في القاب إذا انقطع مات صاحبه .

(٢) في نسخة : « مصر والعراق » .

(٣) الحفائظ : جمع حفيفة ، وهي الغضب . والأتون : موضع النار .

(٤) في نسخة : « كل قطار » في موضع كل شعب .

(٥) في نسخة : المستعينا وفي موضع ، المستكينا . (٦) في نسخة جاء هذا البيت قبل سابقه .

(٧) جاء هذا البيت في نسخة بغير خط الشاعر ، متقدما على موضع هذا بخمسة أبيات ،

وبالرواية الآتية :

وَيَصْبِحُ كُلُّ مَزْدَرَعٍ مُشَاعًا لِمَنْ هُمْ أَرْضُهُ مَتَوَطِّنُونَا
وَالْمُحْتَرَثُ وَالْمَزْدَرَعُ : موضع الحرث والزرع . والمشاع : الشائع بين الناس لا يختص به أحد .
وَتَوَى بِالْمَسْكَنِ : أقام وتوطن .

(٨) في نسخة : « وليس بنو البلاد سوى عيال » . . . الخ

نحن والحالة العالمية

صاح إن الخطوبَ في غَليانٍ فماذا يُطَرِّقُ المَلَوَانُ^(١)
 جلَّ رب الأنام في كل يوم هو من كبريائه في شان
 خالق الكون ذو الجلال قديم واحد عنده القرون ثوانى
 كل ما ضمَّ ملكه كلمات وإليه انتهت جميع المعانى
 نسمع اليوم للخطوب أزرنا كأزى التدور في القوران
 إننى مُبصرٌ تبشير صبح مستفيض على ظلام الأمانى
 ليس تلك الدماء في الحرب إلا شفقا من ضيائه الأرجوانى
 إننى أَسْتَشْف من غير الدهر انقلابا يعم كل مكان
 سيلوح الدانى به وهو قاص ويلوح القاصى به وهو دان
 ويكون المعز غير معز ويكون المهان غير مهان
 وسيغدو الضعيف محترم الحق ويُمسَى الظلوم في خسران
 والثريا ستعتلى في أمان من عدا العيوق والدبران^(٢)
 وستبدو أم النجوم رَهِوما يتدانى من ثورها الفرقدان
 يتجلى رب السماوات والأر ض علينا بعدله والحنان
 فيبوء « المستعمرون » بخسر وتضى البلاد بالعمران

• • •

معشر العرب أين أنتم من القو م إذا ما تم انقلاب الزمان
 أنيسامُ والدهر يفتح فيكم من جديديه مقلتي يقضان
 تقض القوم عهدكم قبل هذا واستخفوا بحفظه في حوانى^(٣)
 واستهانوا بالوعد إذ أخلقوه واستغلوا دفائن الأوطان

(١) يطرق : أصل الطرق : الاثيان ليلا . ولم أجد في المعاجم التطريق بهذا المعنى الذى يريد الشاعر . والمَلَوَان : الليل والنهار .

(٢) الثريا ، والعيوق . والدبران : أسماء نجوم ، وكذلك الثور والفرقدان .

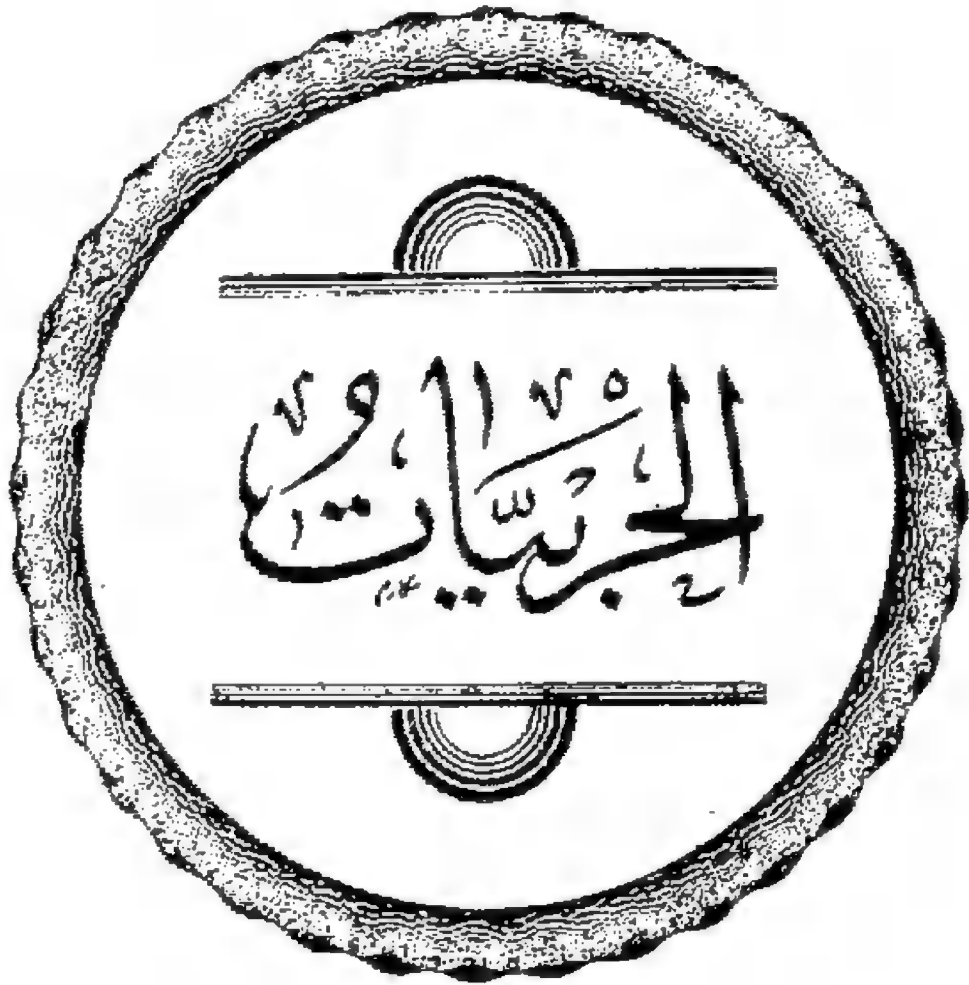
(٣) الحوانى : الضلوع ، جمع حانية .

وأقاموا بها قواعد جَوٍّ لا حتشاد الجنود والطيران
ثم بشوا بها العيون يَعِشُو ن فسادا في سُوحِها والمباني^(١)
ثم ساروا بحكمها سِيرُ فُلْكَ هم بها آخذون بالسُّكَّانِ
كل هذا وأنتمُ مستقلو ن بِرَعْمٍ من عندهم وامتنان
تَقِيدُوكم لنفعهم بعهود ناطقات من أمركم بالسان
أوثقوكم بها إسارا وقالوا ليس هذا لكم سوى إحسان
ليس تلك العهود ياقومُ إلا كعهود الذئاب للحُمْلان
أفلا تذكرون في أوليكم أَنفًا من مَسِيسِهِم بهوان
يوم ساروا والعز فيهم يماشي حَزْبِهِم بِالْمُشْطَبِ الهندواني^(٢)
وتعانت راياتهم خافقات في جيوش عنا لها الخافقان
فانهضوا اليوم مستجدّين مجدًّا كالذي كان دونه القمّران
إن للمجد في المساعي محلا عاليا لا يُحله التواني

• • •

قل لمن رام صدّعنا بشقاق أنت كالوعل ناطح الصفّوان^(٣)
ويك إن الإسلام أوجد فينا وحدة مثل وحدة الرحمن
فاعتصمنا منها بحبل وثيق هو حبل الإخاء والإيمان
ليس معنى توحيدنا الله في الملّة إلا اتحادنا في الصّكيان
فلهذا نعم ! لهذا ، لهذا نحن دِنًا بوحدة الدّيان
وحدة لا يَفُكّها المتوالي من صروف الدهور والأزمان
وحدة جاءنا من الله فيها مرسل بالكتاب والفرقان
فهدانا بها إلهٌ قديم واحد ، عنده القرون ثواني
مانرى سلطة علينا خلق غير سلطان خالق الأكوان

(١) سوحها : جمع ساحة ، وهى الأرض الفضاء لا بناء به تكون بين الدور .
(٢) المشطب : السيف ذو الشطب ، وهى الطرائق . والهندوانى : المنسوب إلى الهند .
(٣) الصفوان : الحجر الشديد الأملس .



وجدنا للرصاصى عدة قصائد قالها فى حروب مختلفة ، كحرب الظليان
فى طرابلس الغرب ، والحرب البلقانية ، والحرب العامة ، فرأينا أن
نثبتها هنا على حدة ، تحت عنوان الحربيات .

إلى الحرب

ألا انهض وشمر أيها الشرق للحرب

وقبل غرار السيف ، واسل هوى الكتب^(١)

ولا تغتر أن قيل عصر تمدن

أأست تراهم بين مصر وتونس

وما يؤخذ الطليان بالذنب وحدثهم

فإني أرى الطليان منهم بمنزل

فلولاهم لم ينقض العهد ناقص

بلاد غدت في الحرب تندب أهلها

قد اغتالها الطليان وهي بمضجع

من الأمن لم يقض برعب على الجنب^(٥)

(١) شمر: فعل أمر من شمر الرجل تشميرا إذا مر جانا ، أو هو من شمر للأمر : إذا أراحه .
و غرار السيف : حده . والمراد من قوله « وقبل غرار السيف » : أى عول على السيف ،
لأنه أصدق أبناء من الكتب .

(٢) قوله « أن قيل » : أى بأن قيل .

(٣) قوله جميع الغرب أى : جميع أمم الغرب .

(٤) أغرى السكاب بالصيد : أى حاضه عليه وأرسله . والمعنى : أن منزلة الأمة الطليانية من
سائر أمم الغرب ، كمنزلة السكاب من الصياد الذى يغريه ، ويحاضه على الصيد . وتحرير المعنى : أن
أهل الغرب لو لم يوافقوا الطليان على ما أرادوا ، لما هجموا علينا ، وقد أوضح هذا المعنى البيت
الذى بعده .

(٥) قوله « يقض » يقال : أقض عليه المضجع يقض لإقضا إذا خشن وتربى . وتحقيق معنى
قولهم أقض المضجع : أنه صار فيه القرض ، وهو فتات المعنى والتراب ، وإذا أقض المضجع امتنع
النوم ، ومعنى البيت أن الطليان قد أخذوا طرابلس الغرب على غرة ، فهجموا عليها وهي نائمة في
مضجع الأمن ، الذى ما أقض على جنبها بالرعب . وتحرير المعنى : هى فى مضجع مدمت بالأمن لم
يخشوشن بالرعب .

فما انتبهت إلا لصرخة مدفع
فأمست وأفواه المدافع دونها
صواعق من سحب الدخان تدكها
غدت ترمى فيها عشيا وبكرة
وما إن شكك من عضة الحرب أهلها
فما خفقت عند الهياج قلوبهم
ولكن جرت نكب الرياح بأرضهم

فجرت عليها كلكل الحجج الشهب^(٢)

* * *

يعز علينا أهل برقة أنكم
وأنا إذا ما تستغيثون لم نجد
وقد علم الأعداء أن سيوفنا
ولكن هو البحر الذي حال بيننا
ولولاه فاجأنا العدو بفيلق
فياجر فاجد أو ففر إن جيشنا
وياسحب هـلاً نزلين فتحملي

إلى الحرب جيشا ينشر النفع كالسحب

(١) عضة الحرب : شدتها ، على الجاز . وكذلك عضة الجذب ، أى المحل . ويجوز أن تروى الثانية غصة ، بمجمة فهملة . يشير بهذا البيت إلى ما كان في طرابلس الغرب من الجذب والقحط في تلك الأيام . وقد أوضح هذا البيت بالبيتين اللذين بعده .

(٢) قوله « نكب الرياح » : جمع نكباء ، وهى الريح المائلة عن مهبها ، ونكب الرياح عندهم من دواعي الجذب والمحل . والحجج : جمع حجة ، وهى السنة . والشهب : جمع شهباء : يقال سنة شهباء ، أى مجدية لا خضرة فيها .

(٣) الضمر : جمع ضامر ، وهو من الخيل : القليل اللحم ، اللاحق البطن . والقب : جمع أقب ، وهو الدقيق الخصر من الخيل .

ويأرمح قد ضيقنا فهل لك طاقة
بحمل مناياها إلى المعرك الرّحّب
إلى خير أرض داسها شرّ معشر

أما والعلى يا أرض برقة إنفا
نرك على بعد سامين ذلة
وما نحن إلا الليث شدت قيوده
برى الشبل ما كولا فيزار مؤثما
فلا يستطيع الوثب إلا تمطيا
ويأهل بنغازى سلام فقد قضت
حجيمت حى الأوطان بالموت دونها
ومن مبلغ عنا السنوسى أنه
فينا لندرجو أن يقود إلى الوغى
فيحمى بلاد المسلمين من العدا
فإن حشا الإسلام أصبح داميا
فقم أيها الشيخ السنوسى مدركا
وكن أنت بين الجند قطب رضى الوغى

وهل من رضى إلا تدور على قطب

ويا معشر الطليان قبحت معشرا
ولا كنت يا شعب الخانث من شعب
توكت وراء البحر مزحف جيشنا
وأججت نارا فى طرا بلس الغرب

(١) من جراك بنشدبد الرء : أى من أجلك .

(٢) بهذا البيت وما بعده ضرب الشاعر مثلا لحالة الأمة العربية تجاه حرب الطليان فى طرابلس الغرب ، فشبّه حالتها بحالة الليث الذى وصفه فى الأبيات .

أَتَحْسِبُ هَاتِيكَ أَلْدِيَارَ وَقَدْ خَسَّاتُ^(١) من الجند تَخْلُو من ضَرَاغِمَةٍ غُلَّبُ^(٢)
فَمَا هِيَ إِلَّا أَرْضُ أُكْرَمٍ مَقْشَرُ

من العَرَبِ لَمْ تُنْبِتْ سِوَى الْبَطَالِ النَّدْبِ

سَتَرْجِعُ عَنْهَا بِالْفَضِيحَةِ نَاكِصًا وَتَذْكُرُ الْأَيَّامَ بِالْعَنِّ وَالسَّبِّ
تَشْتِمُ إِلَيْنَا مُعْجِبِينَ بِجَهْمِكُمْ تَظُنُّونَ حَرْبَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ اللَّعْبِ
فَلَمَّا حَلَّتْكُمْ أَرْضُنَا ذَقْتُمُ الرَّدَى بِأَسْيَافِنَا حَتَّى صَحَوْتُمْ مِنَ الْعُجْبِ
سَنَلْبِسُكُمْ ثَوْبَ إِيْمَالِكُ ضَافِيًا وَنَحْمَلُكُمْ مِنْهَا عَلَى مَرْكَبِ صَعْبِ
وَنَسْتَمْطُرُ الْأَهْوَالَ حَتَّى تُخَيِّضَكُمْ بِسَيْلِ دَمٍ فَوْقَ الْبَسِيطَةِ مُنْصَبِ
وَمَا دَعَا «الْبَابَا» لَكُمْ مُسْتَجَابَةً فَقَدْ أَغْضَبَتْ طُغْوَاكُمْ غَيْرَةَ الرَّبِّ
أَجَلْ إِنْكُمْ أَغْضَبْتُمْ اللَّهَ فَاتَّقُوا

وَإِنْ رَضِيتَ تِلْكَ الْحُكُومَاتِ فِي الْعَرَبِ

* * *

أَيَا زَعَمَاءَ الْعَرَبِ هَلْ مِنْ دَلَالَةٍ لَدَيْكُمْ عَلَى غَيْرِ الْخُدَيْعَةِ وَالْكَذِبِ
تَقُولُونَ إِنْ الْعَصْرُ عَصْرٌ تَمْدُنْ أَمِنْ ذَلِكَ قَتْلِ النَفُوسِ بِلَا ذَنْبِ
أَلَمْ تَبْصُرُوا الْقَتْلَى تَمَجَّ دِمَائُهَا عَلَى الْأَرْضِ وَالْجُرْحَى يَثْنُونَ فِي الْحَرْبِ
أَفَى الْحَقِّ أَمْ فِي الْعِلْمِ الْإِسْوَاءُكُمْ وَيُخْجَلُكُمْ شَنْ الْإِغَارَةِ لِلْعَصَبِ
وَهَلْ أَغْلَفْتَ هَذِي الْعَالُومَ قُلُوبَكُمْ^(٣) بِأَغْطِيَةٍ قُدَّتْ مِنَ الْحَجَرِ الصُّلْبِ^(٢)
كَذَبْتُمْ فَإِنَّ الْعَصْرَ عَصْرٌ مَطَامِعُ تُقَدُّ لَهَا الْأَوْدَاجُ بِالصَّارِمِ الْعَضْبِ
فَلَا تُغْضِبُوا الْإِسْلَامَ إِنْ سَيُوفُهُ مَوَاضٍ كَمَا قَدْ كُنَّ فِي سَالِفِ الْحُقُبِ^(٣)

(١) الضراغمة : جمع الضرغام ، وهو الأسد . والغلب : جمع الأغلب ، وهو من صفات الأسد ، ومعناه الغالب على العنق .

(٢) أغلقت قلوبكم : أى جعلت لها غلانا ، والأغطية : جمع غطاء . وقدت : أى قطعت واشتقت . وحاصل المعنى : ما بال هذه العالوم التي توصلتم بها إلى المدينة قد جعلت قلوبكم في غلاف من الحجارة ، حتى أصبحت غلفا لا تسمى ولا ترف .

(٣) الحقب : أصله الحقب بضمين ، ثم تخففة الشاعر . ومعناه : الدهر .

في طرابلس

هو النصر معقود برايتنا الحمراء على أنه في الحرب آيتنا الكبرى
حليفان من نصر مبين وراية به وبها نعلو على غيرنا قدرا
أبن أدبر «الطلّيان» عند كفاحنا فإن لهم في بطش شجعاننا عذرا
فإننا لقوم إن نهضنا لحادث من الدهر أفرعنا بنهضتنا الدهرا
ندك هضاب الأرض حتى تثيرها غباراً على أعدائنا يكشح الذعرا^(١)
ونأكل مرّ الموت حتى كأننا نلوك به ما بين أضراسنا تمرا^(٢)
فسلّ جيش «كانيفا» بنا كيف قومّت

شِفَارُ مواضينا خدودهم الصعرا^(٣)
وكيف هزمناهم فولوا كأننا وإياهم أسدُ الشرى تطرد الحمرا
وكم قد ثرنا بالسيوف جاججا نظمنا بها فوق الثرى للعدا شعرا
وما جزعى للحرب يحمى وطيسها ولكن لأرواح بها أزهقت صبرا^(٤)

لك الله يا قتلى طرابلس التي بها حاكمُ الطليان أسيافهم غدرا
أداموا بها قتل النفوس نكاية إلى أن أصاروا كل بيت بها قبرا
ولما أحاط المسلمون بجيشهم فعاد الفضاء الرّحّب في عينه شبرا
تقهقر يبغي في الديار تحصنا ففر بها من خشية الموت واستدري^(٥)

(١) يكشح الذعر : أى يسفيه ويندوه ، فيرميه عليهم .

(٢) نلوك : أى نعض ونغلك .

(٣) الصعر : جمع أصعر ، وهو ذو الصعر ، وهو الميل ، يقال : صبر خدّه إذا أماله عن النظر إلى الناس ، تهاونوا وكبرا .

(٤) قوله « يحمى وطيسها » : أى تشد . والوطيس : التنور ، ويطلق على المعركة ، وحتى الوطيس : كناية عن اشتداد الحرب . وقوله « أزهقت صبرا » : أى قتلت صبرا . يقال للرجل قتل صبرا : إذا شدت يده ورجلاه ، وأمسك رجل آخر حتى يضرب عنقه ، أو حبس حتى يقتل . يشير بهذا البيت إلى ما فعله جنود الطليان في مدينة طرابلس ، من الفتك بأهلها الضعفاء .

(٥) استدري : استتر واختبأ .

وأصبح يُنْكِ أهلكا من تَفِيْطٍ
فأوسعهم بالسيف ضرباً رقابهم
وما ضرب « كانيفاً » اللعين لَوَّ أنه
أُيْجِمُ عنا هارباً بعُجُوْجِه
وهل حَسِبُوا قتل النساء شِجَاعَةً
لقد شَجَعُوا والموت ليس له يد
يعِزُّ على أسيافتنا اليومَ أنْهَا
ولم تَكْ لولا الحربُ تعلو سيوفنا
ومن مُبْكِيَات الدهر أو مضحكاته
فَيَقْتَنَهُمْ صَبْرًا وَيُرْهِقُهُمْ عُسْرًا^(١)
وَأَنَافِهِمْ جَدْعًا وَأَجْوَافَهُمْ بَقْرًا^(٢)
تَقَحَّمُ فِي الْمَيْجَاءِ عَسْكَرَنَا الْمَجْرَا^(٣)
وَيَبْغِي بِقَتْلِ الْأَبْرِيَاءِ لَهُ فَخْرًا^(٤)
وَقَدْ تَرَكُوا عِنْدَ الرِّجَالِ لَهْمَ ثَأْرًا
وَلَمْ يَشْجَعُوا وَالْمَوْتَ يَطْعَنُهُمْ شَزْرًا^(٥)
تَقَارِعُ قَوْمًا قَرَعُهُمْ بِالْعَصَا أُخْرَى^(٦)
رءِوسًا نَرَى مِلَّ الْقُحُوفِ بِهَا عَهْرًا^(٧)
لَدَى النَّاسِ حُرٌّ لَمْ يَكُنْ خَصْمَهُ حُرًّا

* * *

لَيْنُ « أَيُّهَا الْقَتْلَى » أُرِيقَتْ دِمَاؤُكُمْ
سَتَنَارُ حَتَّى تَسَامَ الْحَرْبُ ثَأْرَنَا
وَإِنِّي لَتَغْشَانِي إِذَا مَا ذَكَرْتَكُمْ
فَمَا ذَهَبَتْ عِنْدَ الْعِدَا بَعْدَكُمْ هَدْرًا
وَنَقْتَلُ عَنْ كُلِّ امْرَأَةٍ أَنْفَسًا عَشْرًا
لَوَاعِجُ حُزْنٍ تَرْتَمِي فِي الْحَشَا جَحْرًا^(٨)

(١) يَنْكِ أَهْلِكَا : أى يَهْرَهُم بِالْقَتْلِ وَالْجَرْحِ وَيُرْهِقُهُمْ عُسْرًا : يَكْلِفُهُمْ إِيَّاهُ .
(٢) أَوْسَعَهُمْ ضَرْبًا : أى أَكْثَرَ ضَرْبِهِمْ ، فَضْرِبًا : تَمْيِيزٌ بِحَوْلٍ عَنِ الْمَعْدُولِ . وَأَصْلُ الْكَلَامِ :
أَوْسَعَ ضَرْبَهُمْ ، أى أَكْثَرَهُ ، وَرَقَابَهُمْ بَدَلَ مِنَ الْقَصْرِ ، بَدَلَ بَعْضٍ مِنْ كُلِّ ، وَأَنَافَهُمْ جَدْعًا :
مَعْطُوفٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ ، أى وَأَوْسَعَ أَنَافَهُمْ جَدْعًا . وَالْجَدْعُ : قَطْعُ الْأَنْفِ . وَالْبَقْرُ : شَقُّ الْبَطْنِ .
(٣) تَقَحَّمُ عَسْكَرَنَا : أى هَجَمَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مَا أَخُوذُ مِنْ نَقْحِ الْفَرَسِ التَّهَرُّ : إِذَا دَخَلَ ، وَرَمَى
نَفْسَهُ فِيهِ بِشِدَّةٍ . وَالْجَرْ : السَّكْبُ .
(٤) لَعِبُوا : ضَدُّ الْأَفْعَامِ . وَالْعُجُوْجُ : جَمْعُ عُلْجٍ ، بِكَسْرِ فَسْكَوْنٍ ، وَهُوَ الرَّجُلُ الضَّخِيمُ مِنْ
كَفَارِ الْعَجَمِ .

(٥) يَطْعَنُهُمْ شَزْرًا ، وَهُوَ الطَّعْنُ مِنْ جَانِبِ الْيَمِينِ أَوِ الشَّمَالِ .
(٦) قَوْلُهُ « قَرَعَهُمْ بِالْعَصَا أُخْرَى » : أى لَيْسُوا بِأَحْرَارٍ ، بَلْ هُمْ عَبِيدٌ وَقَدْ قُبِلَ :
الْعَبْدُ يَقْرَعُ بِالْعَصَا وَالْحُرُّ تَكْفِيهِ الْمَلَاةُ .
(٧) الْقُحُوفُ : جَمْعُ قُحْفٍ ، وَهُوَ عَظْمُ الرَّأْسِ الْمُجُوفِ . وَالْعَهْرُ : الْمَجُورُ .
(٨) الْوَاعِجُ : جَمْعُ لَاعِجٍ ، وَاللَّاعِجُ مِنَ الْحُزْنِ : الشَّدِيدُ مِنْهُ الْمَحْرَقُ .

على أن قرص الشمس عند غروبها يذكرني تلك الدماء إذا أحمر
فأبكي تجاه الغرب والبدر لأضح

من الشرق حتى أبكي الشمس والبدر
وبأهل هاتيك الديار تحية
فقد فتم للحرب دون بلادكم
وثرتم أسودا في الوغى يعربية
تراها لدى الحرب العوان مشيخة
ولو أن كفى تستطيع تناوشا
لرتبت منها في السماء قصيدة
وخلدتها آيا لكم سرمدية

تذودون عن أحواضها البغى والنكرا
غدا كل سيف في برائنها ظفرا^(١)
تهمهم حتى تنطق الفتكة البكرا^(٢)
فتبلغ في إبعادها الأنجم الزهرا
لكم واتخذت البدر في رأسها ظفرا
مدائحها تستوعب الكون والدهرا

* * *

يقولون إن العصر عصر تمدن
إلى الله أشكو في الورى جاهلية
أنتنا بثوب العلم تمشى تبخترا
فلا تلتئمظ في مدحها متمطقا
لقد ملك الإفرنج أرض مرا كشي
فما باله أمسى عن الحق مزورا
يعتدون فيها من تملنهم عصرا
إلى الخير لكن قد تأبطت الشررا
فإن أظهرت حلوا فقد أبطنت مررا
وقد ملكو من قبلها نؤيس الخضررا

(١) البرائن : جمع برثن ، وهو من السبع بمنزلة الأصبع من الانسان .

(٢) مشيخة : أى جادة ، أو مقبلة على الحرب ، مانعة لما وراء ظهرها ، وتهمهم : أى تردد
زئيرا في صدورهم . يقل همهم الأسد : إذا سمعت له دويا . والفتكة البكر : التى لم تسبق بعلتها .

(٣) قوله « فلا تلتئمظ » : الالتماظ كالتلمظ ، تتبع الطعم والتذوق . وقوله متمطقا : من التماطق
وهو أن يصوت الآكل باللسان والغار الأعلى ، وذلك عند استطابته المأكول ، فيلصق لسانه بنطح
فيه مع صوت .

فما جأنا الصَّليان من بُعد مُكِبِّهم أنكى يسأبونا في طرابُلس الأُمرا
وقالوا ألم تأتِ الفرنجة تُونِساً وهذى جيوش الإنكيز أتت مضراً
خألوا لنا ما بين هذى وهذه وإلا قسرنا كم على تركها قسراً
فقلنا هم إنّا أحقَّ بِمِلْكِها فقتلوا: ولكن زَنَد قوتنا أورى
أهذا هو العصر الذى يدعونه فسُحِّقا له سُحِّقا ودَفِّرا له دَفِّرا^(١)

أدرنة^(٢)

أدرنة مهلاً فإنَّ الظَّيَّ سترعى لك العهد والمؤثقا
وداعاً لمغناك زاهى الرُّبا وداعاً ولكن إلى الملتقى

* * *

عزاء لسجلك الجامع أفارق محرابه المنبرا
وهل فى مُصَلَّاه من راح يجيب المؤذن إن كبرا
فيا نسقوطك من فاجع به فجَّع النهر أمَّ القُرى^(٣)
وقبر النبوة فى يثربا ومثوى ضجيعيه مثوى التقي
ومن فى البقيع ومن فى قبا ومن شهدوا انفتحَّ والخندق^(٤)

* * *

رُويداً أدرنة لا تجزعى وإن قد أمضاك هذا الأذى^(٥)

(١) سحِّقا له : أى بعدا . ودَفِّرا له : أى قلنا .

(٢) هذه القصيدة قالها المرصافى لما سقطت « أدرنة » ، وأخذها البلغار ، وذلك فى الحرب

الباقانية العثمانية .

(٣) قوله بالسقوطك : النداء هنا للتعجب ، واللام فيه منووحة كلام المستغاث ، ولا مانع من جعل النداء للاستغاث ، وحينئذ تكسر لامة على أن تكون لام المستغاث لأجله ، والمستغاث محذوف .

(٤) البقيع : مقبرة بالمدينة المنورة ، دفن فيها كثير من الصحابة ، ومنهم عثمان بن عفان . وقبا : موضع قرب المدينة نزل به النبي صلى الله عليه وسلم عند ما هاجر إليها ، وبني فيه مسجداً يعرف بمسجد قباء ، وقوله ومن شهدوا بالفتح : أراد بالفتح فتح مكة . والخندق : يوم الخندق فى المدينة ، وهو يوم مشهور .

(٥) رويداً : أى مهلاً . وأمضاك : أى أوجعك وآلك .

إذا أنت بالسيف لم ترجعي فلا حبذا العيشُ لاحبذا
ألا أنتِ «ألزاسنا» فاسمعي ونحن الفرنسيس من بعد ذا^(١)
سلامٌ على قطرك المجتبي سلام على أفتك المشتقى
أيمنسى لسرك العدا ملعبا وكان لتوحيدنا معبدا

لقد حلّ فيها لواء مريب حلول الحقارة بين الجلال^(٢)
فظلّت بأدمعها والنحيب تنوح على نجمها والهلال
أنذنى أدرة عما قريب إذن لا بلغنا العلى والكمال
فسوف على الرغم من أوربا نقوم لها فيلقا فيلقا
فتبكي هزاهنا المغربيا وتضحك أسيافنا المشرقيا^(٣)

أرى الدهر أنهض كلّ العدا على حين قد قعد المسلمون
فكم جرّعونا كئوس الردى ونحن على كيدهم صابرون
أحسنُ ياقومُ أن نقعدا وقد آن أن ينهض القاعدون
فسيلُ المصائب غطي الزبي وغيمُ النوائب قد طبّقا^(٤)
وأوشكت الأرض أن تقلبا وصبحُ القيامة أن يفلقا

دع الغربَ ينعم في باله وإن لقي الشرقُ منه الكروب
ولا تسألنه بأفعاله فعهدُ التمدن عهد كذوب
فنحن اغترنا بأقواله ولكننا بعد هذى الحروب

(١) «ألزاس» : مقاطعة من بلاد فرنسا ، كانت قبل الحرب عند الألمان . يقول مخاطب
أدرنة : أنت ألزاسنا ، أي أنت عندنا بمنزلة الألزاس عند الفرنسيين ، لا نفسك كما لم ينسوها .
(٢) لواء مريب : أي مقلق ومزعج . (٣) هزاهنا : أي وفائنا وحروبنا .
(٤) قوله « فسيل المصائب غطي الزبي » : أي اشتد الأمر ، حتى انتهى إلى غاية بعيدة .
والزبي ، بالزاي المعجمة ، كالزبي بالراء المهملة : وزنا ومعنى .

سنأبى عليه أشدَّ الإبا فإما الفناء وإما البقا
ونركبُ من عزمنا مَرَكبا ونرقى وإنَّ صَعْبَ المرتقى

لقد آنَ يا قومُ تركُ الونى وتركُ الشَّقاقِ وتركُ الدَّردِ^(١)
إلى كم نكابد هذا العنا ونخبطُ في جهلنا الأسود
وبالعلم من قبل نلنا المنى وفزنا من العيش بالأرغد
ولكنما العلمُ قد غربا فلا عيش إلا إذا شرقا
فهبوا إليه هبوب الصبا عسى أن يسحَّ ويغدو دقا

الجيش بقائده^(٢)

أوهزيمة «لولا برغاز»

ياموطننا ما انتصيناها مُهندةً إلا لردع الأعدى عن إهانتها
ولا ركبنا منايانا مطهمةً إلا لنكسب عزاً من صيانتها
سقى ورعيا لروض منك ذى أنقى

قد كادت الحربُ تذوى غصنَ بانته^(٣)
تالله لم ينكسر في الحرب عسكرنا من أجل قِلته أو من جبانته
وكيف وهو تفوق الطَّيسَ كثرتُه وتستعيرُ الرَّوْاسى من رزانتة^(٤)

(١) الدد : الهم واللعب .

(٢) قال الرصافي هذه القصيدة لما انكسر الجيش العثماني في معركة «لولا برغاز» وذلك في الحرب البلقانية العثمانية . وكان قائد الجيش العثماني إذ ذاك ناظم باشا ، الذي قتله الاتحاديون في الآستانة .

(٣) قوله « ذى أنقى » بفتحين : أى ذى نبات حسن معجب . وهو فى الأصل مصدر ، فسمى به النبات المذكور . وتذوى : تذبل .

(٤) الطيس : كل ما فى وجه الأرض من التراب والقمام ، والكثير من الرمل وغيره . والراد به هنا مجرد الكثير .

اكن قائده ما كان يمانه
 حتى لقد نفذت في الحرب عينته
 فظل يرسف في النيران مرتبكا
 حتى غدا جثته للنار مأكلة
 ولا استكان لهول الحرب من فرق
 فحاض غمر المنايا صابرا وأبي
 ليس الفرار لجند المسلمين ألا
 وكيف يغلب جيش كان قائده
 فالجيش تلتهم النيران أنفسه
 أقام في القصف والأجناد طاوية
 صبحان غبقان في أقصى معسكره
 تلقاه من بين ذاك الرهط في مراح
 لهفي على الجيش جيش المسلمين فقد
 ولا يبالي بأمر من معانته^(١)
 بحيث لم يبق سهم في كنانته^(٢)
 مستفرغا كل جهد من متانته^(٣)
 وما ترحز شبرا عن مكانته
 بل كان يفرق من هول استكانته^(٤)
 على الفرار انفجارا في مهانته
 إن الفرار لكفر في ديانته
 يحفه بمجوش من خيانتته
 وقائد الجيش لاه في مجانته^(٥)
 معاقرا بهناء بنت حانته^(٦)
 محروقا بين رهط من بطانته
 كأنه الجأب ينزو بين عانته^(٧)
 قضى ولم يقض شيئا من لبانته

(١) قوله « ما كان يمانه » أي ما كان يقوته . يقال مان القوم يمانهم مانا : إذا احتمل مؤنتهم أي قوتهم . والمانة : العون كالمعونة .

(٢) قوله « نفذت عينته » العينة بالسكسر : مادة الحرب ، وهي ما تسميه العامة اليوم بالمهمات الحربية .

(٣) يرسف : أي يعمى متناظلا مشى المقيد . وقوله « في النيران مرتبكا » : أي ناشبا فيها مضطربا .

(٤) استكان : ذل وخضع . « ومن فرق » بفتحين : من خوف . ومعنى البيت أنه ما ذل ولا خضع لهول الحرب ، بل كان يرى الاستكانة لذلك هولا ، فهو يخاف من هذا الهول لامن هول الحرب .
 (٥) في مجانته : أي في لهوه ولعبه .

(٦) أقام في القصف : أي في الأكل والشرب واللهو .

(٧) الجأب : الفجل الفايط من حر الوحش ، والعانة : القطيع من حر الوحش .

الوطن والجهاد^(١)

يَا قَوْمُ إِنِّ الْعِدَا قَدْ هَاجَمُوا الْوَطَنَا

فَانْضُوا الصَّوَارِمَ وَاحْمُوا الْأَهْلَ وَالسَّكَنَا^(٢)

وَاسْتَنْفِرُوا لِعَدُوِّ اللَّهِ كُلِّ فَقَى مِنْ نَأَى فِي أَقَاصِي أَرْضِكُمْ وَدَنَا
وَاسْتَنْصِبُوا مِنْ بَنِي الْإِسْلَامِ قَاطِبَةً مِنْ يَسْكُنِ الْبَدْوَ وَالْأَرْيَافَ وَالْمُدُنَا
وَاسْتَقْتُلُوا فِي سَبِيلِ الذُّودِ عَنْ وَطَنِ بِهِ تَقِيمُونَ دِينَ اللَّهِ وَالسُّنَنَا
وَاسْتَلْثِمُوا لِلْعِدَا بِالصَّبْرِ وَاتَّخَذُوا صَدَقَى الْعِزَّائِمِ فِي تَدْمِيرِهِمْ جُنُنَا^(٣)
وَاسْتَنْكِفُوا فِي الْوَعَى أَنْ تَلْبَسُوا أَبَدًا

عَارَ الْمَرْيَمَةِ حَتَّى تَلْبَسُوا الْكُفْنَا
إِنْ لَمْ تَمُوتُوا كِرَامًا فِي مَوَاطِنِكُمْ مُمْ أَذْلَاءَ فِيهَا مَيِّتَةَ الْجَبْنَا
لَا عُذْرَ لِلْمَسَالِمِينَ الْيَوْمَ إِنْ وَهَنُوا فِي هَوَاشَةٍ ذَلَّ فِيهَا كُلٌّ مِنْ وَهْنَا^(٤)
وَلَا حَيَاةَ لَهُمْ مِنْ بَعْدُ إِنْ جَبُنُوا كَلَّا وَأَيَّ حَيَاةٍ لِلَّذِي جَبُنَا
عَارَ عَلَى الْمَسَالِمِينَ الْيَوْمَ أَنَّهُمْ لَمْ يَنْقُذُوا مِصْرَ أَوْ لَمْ يَنْقُذُوا عَدَنَا

قُلْ لِّلْحُسَيْنَيْنِ فِي مِصْرٍ رُؤَيْدٌ كَمَا قَدْ خَنِمَا اللَّهُ وَلِلْإِسْلَامِ وَالْوَطَنَا^(٥)
شَايِعَتَا الْإِنْكَارِ الْيَوْمَ عَنْ سَفَهٍ تَاللَّهِ مَا كَانَ هَذَا مِنْكُمْ حَسَنًا
قَدْ بَعَثَا الدِّينَ بِالدُّنْيَا مُجَازِفَةً فَكُنْتُمَا فِي الْهَرَايَا شَرًّا مِنْ غُبْنَا

(١) قال الرصافي هذه القصيدة عند دخول الدولة العثمانية في الحرب العامة الكبرى يستنفض المسلمون إلى الجهاد في سبيل الذود عن الوطن .

(٢) السكن ، بالتحريك : كل ما يسكن إليه وفيه ، ويستأنس به .

(٣) استلثموا : تدرعوا . وقوله : « جننا » جمع جنة ، بالضم ، وهي كل ما وقى من سلاخ .

(٤) في هوشة : الهوشة : الفتنة والهيج والاضطراب . وأراد بها الحرب العامة .

(٥) يعني بالحسينين : حسين كامل ووزيره حسين رشدي .

لا تفرحوا بالوسامين الذين هما
قد مثلاً منكم للناس قاطبةً
ما ازدان صدرا كما شيئاً بحملهما
إن الحية لم تنظر بمقلتها
ما كان أغلاها إذ قد غدت لهما
ستندمان ولا يُجديكما أبداً
هذى جيوش بني التوحيد زاحفةً
اترسلن عليكم كل راعدةٍ
حتى تعود إلى مصر كرامتها
طَوْقًا إِسَارَةً مِصْرٍ فَيَكُنَّ اقْتِرَانًا^(١)
عَجَلًا أَضَلَّ الْوَرَى مِنْ قَبْلُ أَوْ وَثْنَا
بَلْ أَصْبَحَا فِي كَلَا صَدْرِي كَمَا دَرْنَا
إِلَى وَسَامِيكَا إِلَّا بَكَتْ حَزَنًا
خَزَائِنُ النَّيْلِ فِي أَيْدِي الْعَدَا ثَمْنَا
أَنْ تَقْرَعَا السَّنْ أَوْ أَنْ تَقْبِضَا الذَّقْنَا
عَلَى الْعَدَا وَعَلَى مَنْ ضَلَّ مَفْتِنَا
تَهْمِي الدَّمَاءَ وَتَمْرِيهَا ظُبِّي وَقْنَا
وَيَطْهَرُ النَّيْلُ مِنْ مَاءٍ بِهِ أَجْنَا

* * *

لازلت يا وطن الإسلام منتصرًا
يرد عنك يد الأعداء خاسرةً
سعديك من وطن جلت مفاخره
تالله إن معاليك التي سلفت
كم قد أقيمت على الأيام من شرف
إننا نحبك حبًا لا انتهاء له
نفديك منّا بأرواح مطهرة
إذا دهمت من الأيام داهيةً
وإن فتنت بإحدى المزعجات نرق
فقر عينا وطب نفسا وعش أبدا
بالجيش يزحف من أبنائك الأمنا
ويكشف الغم عن أفتيك والمحننا
عن الزوال فلا تخشى بلى وفنا
تعي الفصاحة والتبيان واللسنا
لنا وأنت من نبع العلى غصنا
يستغرق الأرض والأكوان والزمننا
أخلصن الله فيك السر والعلنا
فلا رعى الله عينا تألف الوسنا
مننا الدماء إلى أن نخمد الفتننا
وفز بما شئت من حمد وطيب ثنا

(١) يشير إلى الوسامين الذين أهدتهما الحكومة الانكليزية إذ ذاك إلى حسين كامل وحسين رشدي .

وَرُبَّ مُسْتَصْحَبٍ لِي قَالَ بَخِرْنِي
فقلت : دَعْ عَنْكَ هَذَا ، إِنَّهُ خَيْرٌ
إِنْ صَحَّ أَنَّ الْعَدُوَّ الْيَوْمَ مُقْتَرِبٌ
إِنْ الْعِرَاقَ لِعَمْرٍُ اللَّهِ مَسْبَعَةٌ
دُونَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ كُلُّ مُشْعَلَةٍ
فَإِنْ فِيهِ رَجَالًا مِنْ بَنِي مُضَرٍّ
قَوْمٌ لِقَاحُ آبَاؤِ أَنْ يَخْضَعُوا أَبَدًا
تَحْمَلُوا كُلَّ عِبَاءٍ فِي حَيَاتِهِمْ
لَوْ أَنَّ أُمَمَاتِهِمْ مَنَّتْ عَلَى أَحَدٍ
هَمَّ الْمَغَاوِيرِ إِنْ صَالُوا بِمَلْحَمَةٍ
بَنَوْا فَأَعْلَوْا بِنَاءً الْمَجْدُ فَارْتَفَعُوا
فَكَيْفَ تَقْعُدُ عَنْ حَرْبِ الْعَدَا فِتْنَةٌ
إِنَّ الْعَدُوَّ إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ دَنَا
سِوَاهُ يَبْعَثُ فِي أَحْشَائِنَا الشَّجَنَاءَ
إِلَى الْعِرَاقِ فَقَدْ أَكْدَى وَقَدْ أَفْنَأَ^(١)
تَوَائِبُ الْأَسَدُ فِيهِ مِنْ هُنَا وَهُنَا
شَعَوَاءُ تَتْرَكَ وَجْهَ الشَّمْسِ مَكْتَمًا^(٢)
إِذَا تَحَارَبُ لَا تَسْتَفِيعُ الْهَدَنَاءُ
إِلَى الْمُلُوكِ وَإِنْ أُعْطَوْهُمْ الْمُدُونَا^(٣)
إِلَّا الصَّغَارَ وَإِلَّا الضَّيْمَ وَالْمَمِينَا
مَنْهُمْ بِالْبَانِيَا لَمْ يَشْرَبُوا اللَّبْنَا
فَلَا يَرَوْنَ لَهُمْ غَيْرَ الْمُنُونِ مِنْ
بِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ قَدْ شَادَهُ وَبَنَى
أَبَتْ سِوَى الْعِزِّ مَأْوَى وَالْعُلَى وَكُنَا^(٤)

(١) أَكْدَى : أَخْفَقَ ، وَلَمْ يَفْلَحْ بِحَاجَتِهِ . وَأَفْنَى : ضَعَفَ رَأْيَهُ وَطَاشَ .
(٢) مُشْعَلَةٌ : بِصِفَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ : صِفَةُ الْمَوْصُوفِ مَحْذُوفِ أَيْ غَارَةِ مُشْعَلَةٌ ، وَهِيَ الْغَارَةُ الْمُتَفَرِّقَةُ
الَّتِي تَنْصَبُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ شَعَوَاءُ : أَيْ مُتَفَرِّقَةٌ . وَالْمَكْتَمُ : الْخُتْمُ .
(٣) قَوْمٌ لِقَاحُ : أَيْ لَا يَدِينُونَ الْمُلُوكَ ، أَوْ لَمْ يَصْبِهِمْ سَبَاءٌ ، فَقَوْلُهُ « أَبَوْ أَنْ يَخْضَعُوا » الْح :
بِمَنْزِلَةِ التَّفْسِيرِ لِقَوْلِهِ قَوْمٌ لِقَاحُ .
(٤) قَوْلُهُ وَالْعُلَى وَكُنَا : أَيْ وَأَبَتْ سِوَى الْعِزِّ مَأْوَى وَهِيَ كُنَّةٌ ، وَهِيَ مَأْوَى الْعَائِرِ .
وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا الْمَأْوَى مُطْلَقًا .

رؤياى الصادقة

حيّاكم الله أيها العربُ فاستمعوا لى قصّتى عَجَبُ
 قد بتّها ليلةً مطوّلةً يعقّد جفنى بنجمها الوَصَبُ^(١)
 أنجمها الزُّهْرُ غيرُ سائرةٍ كأنما كلُّ نَجْمَةٍ قُطِبُ
 تحسّينى فى مضاجعى حَسَكُ يَقلّبنى وخُزُهُ فَأَنقلبُ^(٢)
 أمشى إلى النوم وهو منهزمٌ مشى دَبيبٌ ومشيه حَبَبُ
 حتى بدا الفجرُ لى وقد طَفِقْتُ تَغَرَّقُ فى فيض نوره الشُّبُّ
 عندئذ خدر الأَسَى عَصَبى فنمتُ والنومُ جرّه التَّعَبُ
 فطافَ بى طائفَ لروَعته يرتجف القلبُ وهو مرَّتعِبُ
 رأيتنى قائماً على نَشَرٍ من ساحل البحر وهو مُضْطَرِبُ^(٣)
 والأفقُ حمرةً جوائبه كأنما الجوّ ملؤه لَهَبُ
 وفى عنان السماء قد طلعتْ أهلةٌ فى إزائها صُلبُ
 والأرض قد بُعِثَتْ ضرائحُها مكشوفةٌ لا تغمّها التُّرْبُ
 والموت كالكبش فى جوائبها يرعى نفوساً كأنها عُشْبُ
 وبين تلك القبور غانيةٌ يامع فى حرٍّ وجهها الحَسَبُ^(٤)
 لها جبين كأنه قمرٌ تحت شعور كأنها الذهبُ
 ووجنةٌ باللّطامِ داميةٌ وساعدٌ بالدِّماءِ مختضبُ
 قد أذبل الجوعُ وَرَدَ وجنتها فاصفرَّ وامتنصَّ ماءه اللَّغَبُ^(٥)
 شاخصة الطرف وهى جائيةٌ تحملها دون سوقها الرُّكْبُ

(١) الوصب : المرض والوجع الدائم .

(٢) الحسك بالتجريك : عشة شوكها مدحرج . والمراد به هنا مطلق الشوك . وقوله « فى مضاجعى » خبر مقدم . وحسك : مبتدأ مؤخر . والجملة : مفعول ثانٍ لتحسّينى .

(٣) الذئز : التجريك : المكان المرتفع .

(٤) حر الوجه : ما بدا من وجنتيه أو ما أقبل عليك منه . (٥) اللغب : يقتضين أشد الاعياء .

حاسرة الرأس غير ناطقة
فلحظها فوق رأسها صعد
مكتوفة الساعدين منكسر
قد وتدوا القيد في مخايلها
ترى خدوشا على مقلدها
وحولها أنفاس مضرعة
واحتوشتها كلاب مجزرة
تنهشها تارة وآونة
وفوقها الطير وهي حائمة
بيض المناقير ذات أجنحة
يقدمها طائر قوادم
تضطرب الأرض والسماء له
وقفت أرنو إلى ملاحها
حتى تعلمت أن سجنتها
وبينا كنت ممعنا نظري
إذ هاتف في السماء يهتف بي
يقول لي إنها « طرابأس »
وهذه الطير حيث تبصرها
فتلك رؤياي غير كاذبة

إلا بدمع لسانه ذرب^(١)
ودمعا تحت رجلها صنب
من حزن طرفها ومكتب
ومددوه كأنه طنب^(٢)
كأنها في صفيحة شطب^(٣)
يسرح فيها ويمرح العطب
مهترشات يهيجها الكلب^(٤)
تنبح من حولها وتضطرب
تبعد من رأسها وتقرب
خضر وریش كأنه العطب^(٥)
تلمع كالبرق حين يلمت
إذا غدا بالجنح يضطرب
ووجهها بالدموع منتقب
للعراب الأكرمين تنتسب^(٦)
فيها وقلبي كقلبها يجب
كأنه في الغمام محتجب
تبيكي على أهاها وتنجب
محمد والصحابة الثجب
فهل تغيشون أيها العراب

- (١) ذرب : بفتح فكسر : أي حديد ، يقال : هو ذرب اللسان : أي حديده .
(٢) وقد وتدوا : أي ثبتوا . ويجوز أن يقرأ بتشديد التاء أيضا .
(٣) العذبة : السيف العريض ، والشطب : جمع شطبة ، كظلمة ، وهي طريقة السيف في مقناه .
(٤) قوله « واحتوشتها » : أي أحاطت بها ، فجعلتها في وسطها ، والمجزرة : موضع اجتزار الجزور ، ومهترشات : متواتبات ، متحرشا بعضها على بعض .
(٥) العطب : بضمين ، وبضم فسكون : القطن . (٦) السحنة : بفتح السين : الهيئة واللون .

يا شيخ روما ومن لرايته وتاجه يُنتمى ويُتسب
لست ولا قومك اللام بمن تعرف أم لشلم وأب
وإنما أتم بنو زمن إذا ذكرناه فنجل الحقب
برومة قبل وهي مبلولة بالسكم الدهر وهو مغرب
فعثم في الورى سواسية لا حسب عندكم ولا أدب^(١)
ما أوقد الدهر نار محزية إلا وأنتم لنارها حطب
أغسل شعري إذا هجوتكم لأنه من هجائكم جنب

أنشودة الحرب

نحن للحرب العوان ولإدراك الأماني
لا نعد العرس إلا يوم ضرب وطعان
يوم نحسو من دم ال أعداء لا بنت الدنان
ما صليل السيف إلا عندنا صوت المثاني
شفنا الحب لبيض الهند لا البيض الحسان^(٢)
لشتمى غممة الأبطال لا عزف القيان^(٣)
نحن لا نفخر إلا بلسان من سينان
شيم ينظر من تحت إليها الفرقدان
وبها قد شهد النجوم لنا والقمران
سل بنا كل زمان سل بنا كل مكان
هل بنينا المجد إلا بالحسام الهندوانى

(١) سواسية : أى متساوين فى الحسة واللؤم .

(٢) شفنا الحب : أى هزلنا وأوهنا .

(٣) غممة الأبطال : أصواتها عند القتال . والعزف : الصوت فى الفناء . والقيان : جم قينة
وهى الجارية المغنية .

كم جلونا عُمّة الميحاء ذات المَعَمَّان^(١)
 بسيف أضحكت في الرّوع وجه الحدّان
 وكما بُتتْ حيثُ تزلُ القَدَمَان
 كل رَحَب الباع صعبُ الملتقى ثبتَ الجنان
 رابطُ الجأش وقور النفس جوال العنان
 حيث شخص الموت في المأزق بادٍ للعِيان^(٢)

• • •

يا علوج الصّرب والبُدغار أولاد الزواني
 لم يكن إبعادكم بالهـرب غيرَ الهذيان
 إنما الحرب لدينا من تمام الحيوان^(٣)
 فاتركوا الإبعاد يا أبّناء حمراء العجان^(٤)
 ودعوا الحرب فليس الهـرب من شأن الجبان
 وتزيّوا يا مخاييل بأزياء الغواني
 إنما أنتم تيموس أولعت بالنزوان
 سوف ترمون من الرّعب بدءاً البرقان
 وستذمون بقرع السنّ أطراف البنان
 وتذوقون من الموت الزّوام الأرجوان
 حين تلقون أسوداً طافحات الهيجان
 ذات بأس يترك الصخر قرين الذّوبان

(١) ذات المعمان : أي ذات الحر الشديد .

(٢) المأزق ، كجلس : موضع الحرب .

(٣) قوله « من تمام الحيوان » : أي من تمام الحياة .

(٤) قوله « يا أبناء حمراء العجان » : أي يا أعاجم ، يقال : يابن حمراء العجان . أي يا أجمي ؛
 وهي كلمة شتم ، كانت تجري على ألسنة العرب . وفي حديث علي أن أجمياً عارضه فقال : اسكت
 يا بن حمراء العجان .

وزئير تأخذ الأرض ض له بالرَّجَمَانِ
 وقلوب طبعت من حدة السيف اليماني
 جهت في غير ما الراية معنى الحَقَّانِ
 إيمان نحن كرام عزنا غير مَهَانِ^(١)
 تنفاني في سبيل الله ود عن هذى المعاني
 تشتري الموت بنقد الروح في الحرب العَوَانِ
 إذ تُقيم الموت معرا جأ إلى أعلى الجنان
 سوف نكسو الحرب ثوبا لونه أحمر قان
 فتضكون الأرض منها وردة مثل الدهان^(٢)
 قد أظلمت سماء من شواظ ودخان
 ترسل الموت عليكم في شأيب الهوان
 فيقيم الذل فيكم ملقيا كل جران^(٣)

(١) أى أن هذه القلوب لا تخفق من الخوف ، فهى تجهل معنى الحَقَّانِ ، ولا تعرفه يكون إلا في راياتها في الحرب .

(٢) وردة : أى وحراء . الدهان : الأديم الأحمر .

(٣) الجران : من البعير مقدم عنقه ، من مذبحه إلى منحره ، ومعنى كونه ملقيا كل جران : كونه ثابتا مقيا .

الشيطان والطلّيان

قالها بمناسبة دخول إيطاليا في الحرب العامة

رأيت إبليسَ عدوَّ البشرِ	يخطب في جمع له قد حضر
قد لبسَ الوشَى على قبحه	وخضبَ الشيب وقصَّ الشعرَ
وهو يهتفي حزبه قائلاً	يا مَنْ عصى الله ومن قد كفرَ
اليومَ قد طابت لنا لعمّة	جاءت من الله بحكم القدرِ
واليومَ قد هان الخلود الذي	قدّره الله لنا في سقرِ
إذ أمة الطلّيان قد أصبحت	أكبرَ مَنْ خان ومن قد غدرَ
زلّت إلى العار بها زلّة	شفعاه لا تُحمي ولا تُغفرَ
فهي التي هان بكفرانها	كفران من زاع وأبدى البطرَ
لو ألقى الصخر بمخزاتها	لأنفت من فرط الحيا وانفطرَ
ولو أصاب البحر من عارها	لغار منه ماؤه وانحسرَ

* * *

نحن الشياطين على أننا	جئنا من اللؤم بإحدى الكبرِ
عسرنا إلى جنب بني رومة	ننفرُ من نافرنا وافتخرَ
فلا نبالي اليوم من لامنا	في رفضنا آدم أو من عذرَ
إذ في بني رومة عذر لنا	يستلم السمع له والبصرَ
فهم على الله لنا حجة	في أننا أفضل هذا البشرِ
وأن يوماً تقضوا عهدهم	فيه ليوم خزيه مبتكرِ
فلنتخذ خيراً عيداً لنا	نذكر فيه فوزنا والظفرَ
ونجعلنه يومَ أفراحنا	نجني به الأنس ونقضى الوطرَ

* * *

ثم انشئ الشيخ أبو مرة
حتى إذا أكمل أشواطه
ثم دعا من بينهم واحدا
وقال يا « خنزب » باهر إلى
واذهب إلى « عمانويل » الذي
وقل له إن أبا مرة
فإن يقل أين ؟ فقل : إنه
مقعد خزي كتبوا حوله

يرقص فيما بين تلك الزمر
رنا إليهم وأحد النظر
مشوه الوجه كثير القدر
رؤمة وأدخلها قبيل السحر
دب البلي في مجده فاندثر
أخاك يدعوك إلى المستقر
في دركة سافلة من سقر
بأحرف النيران : أين المفر ؟



وتشمل بعض قصار القصائد

قصر الحمراء

قِفْ عَلَى الحمراء وَانْدُبْ مُضَرَ الحمراء فِيهِ (١)
وَاسْأَلْ الْبَنِيانَ يُتَبُّكَ بِأَنْبَاءِ ذَوِيهِ
وَيُحَدِّثُكَ حَدِيثَ الْمَجْدِ وَالْعِيشِ الرَّفِيهِ
بِكَلَامِ مُحْزَنٍ اللَّهُمَّ جَعَلْهُ يُبْكِي مِنْ يَعِيهِ
فَيَقُولُ الْقَلْبُ آهًا وَتَقُولُ الْأُذُنُ إِيهِ (٢)
صَاحٍ لَوْ كَانَ لَذَا الدَّهْرِ حَيَاةً يَقْتَنِيهِ
مَا رَمَى الْعُرْبَ أَبَا الضَّحْمِ بِالْخَطْبِ الْكَرِيهِ
لَا وَلَا جَرًّا بَغَرْنَا طَةً أَذْيَالَ سِنِيهِ
حَيْثُ هَذَا الْقَصْرُ أَمْسَى خَالِيَا مِنْ مَبْتَنِيهِ
فَازْدَرِ الدَّهْرَ وَسَفِّهِ كُلَّ مَنْ لَا يَزْدَرِيهِ
وَإِذَا كُنْتَ حَلِيمًا فَابْكِ مِنْ دَهْرِ سَفِيهِ

يا ضاربًا بالكمان

يَا ضَارِبَا بِالْكَامَنِ يَفْتَنُ كُلَّ افْتِنَانِ
سَحَرْتَ سَمْعِي وَعَقْلِي بِصَوْتِ تِلْكَ الْمَثَانِي (٣)
ضَرَبْتَ لَحْنًا بَدِيعًا حَوَى بَدِيعَ الْمَعَانِي
فَكَانَ شَيْئًا عَجِيبًا إِذْ سَرَّتْنِي وَشَجَانِي

(١) مضرة : مضاف إلى الحمراء ، والمراد بالخرء الذهب .

(٢) إيه : اسم فعل ، للاستزادة من حديث أو فعل .

(٣) المثاني : جمع مثني ، وهو الوتر الثاني في العود .

يادهر

أطلت يادهرُ نحسي متى تجود بسعدي
 فقد تضاءل صبري كما تعاظم وجدى
 إذا تعشقتُ هنداً منحتني وصل دعدى
 وإن تعشقت دعداً منحتني وصل هند
 أما تعودت إلا بأن تجود بضد
 إني أريد عدوى فهاى بعض أودى
 وجد على بوصل فقد رضيتُ بصد
 كلاً ، فإن مقالى هزل وليس بمجد
 بل أنت أحقر عندي من أن تجود وتجدى
 إني وإن كنت أشقى بأوجه منك ربد^(١)
 ربأتُ عنك بذمي كما ربأت بحمدى^(٢)
 إذ لست أنت بكفئي ونست أنت ببدي
 لو كنت يادهر حراً وجئت تخدع عندي
 لما ارتضيتك عبداً ولا خوَيْدَمَ عبد
 وكيف أرضاك عبداً وأنت أوغد^(٣) ووغد

الحقائق الملعنة

لُقِنْتُ في عصر الشباب حقائقاً في الدين تقصُر دونها الأفهام
 ثم انقضى عصر الشباب وطيشه فإذا الحقائق كلها أوهام

(١) ربد : جمع أربد وهو الذى تغير من الغضب .

(٢) ربأت : ترفعت عنك . (٣) الوغد : اللئيم الحقير الأصل

الخطوة الأولى

قدم السيد عادل جبر إلى الرضا في تصويره شمساً به صورة
ابنه الصغير ، لأول عهده بالمشي ، وطالب إليه أن يكتب عليه
شديداً من الشعر ، فكتب الآيات الآتية :

يَا عَمْرُكَ اللَّهُ مِنْ وَلِيدٍ يَسُرُّهُ اللَّعْبُ بِالنُّغَيْرِ^(١)
لَا زِلَّ فِي طَالِعٍ سَعِيدٍ فِدَى لَكَ الْبَدْرُ مِنْ قُمَيْرٍ

لَمْ تَرَهُ مُقْلَتَايَ إِلَّا أَحْسَسْتُ فِي النَّفْسِ بَانْتِعَاشٍ
فِي الْعَيْنِ أَمَ الْفَوَادِ أَحَلَّى مُرَآةً مَذْقَامٍ وَهُوَ مَا شِ

مَشَى عَلَى الْأَرْضِ بَارْتِعَاشٍ ثُمَّ حَبَا وَاضِعَ الْيَدَيْنِ
إِذْ لَمْ يَزَلْ لَيْنَ الْمَشَاشِ أَفْذِيهِ بِالرُّوحِ مِنْ غُصَيْنِ^(٢)

وَيْسَكَ دَاوُدَ مِنْ تَبِيلِ نَوَالِدٍ مُنْجِبٍ هِرَازِ^(٣)
بَدْرُكَ بِكَ انْجَابَ كُلُّ لَيْلٍ عَنْ أَبِيكَ الْعَادِلِ بْنِ جَبْرِ

وجه نعيم

أَسْبَغَ اللَّهُ نَعِيمَ الْحُسْنِ فِي وَجْهِ نَعِيمٍ
قَرُّ أَغْنَى فِي الْإِشْرَاقِ عَنْ لَيْلٍ بِهِمٍ
عَلَّمَ النَّاسَ صَحِيحَ السَّحْبِ بِالطَّرْفِ السَّقِيمِ
يَرْجِعُ السَّحَرُ بَعِينِهِ إِلَى عَهْدِ الْكَلِيمِ

(١) النغير : بصيغة التصغير : الببيل الصغير ، أو فرخ العصفور .

(٢) المشاش : جمع المشاشة ، وهي رأس العظم الين .

(٣) ويسك : كلمة ترحم وتعجب مثل ويمك . والتبيل : ولد الأسد . والهرز : الأسد .

المغربي

مما كتبه تحت صورة شمسية له أهداها إلى العالم النحرير ،
والكاتب الشهير ، الشيخ عبد القادر المغربي :

إلى المغربي الحبير أهديتُ صورتي تذكّره مني صداقةً صادقِ
وتؤذنه بالودّ وهي خيالة وربّ خيالٍ مؤذِنٌ بالحقائقِ
وإنّ لعبد القادر الفضلَ كلّهُ بما أوضحت أعلامه من دقائقِ
ففي العلم زائنه العلومُ بنورها كما زانها منه بحسن الخلائقِ

ومما كتبه تحت صورة فتوغرافية أيضا ، أهداها إلى
الأديب الكبير إسعاف النشاشيبي المقدسي ، قوله :

صفّا لك فيّ يا إسعافُ ودّ صميمٌ ما لصحتّه اعتلالُ
فخذُ تمثالَ خِلٍّ ذي ودادٍ يمثّل صدقه لك ذا المِثالُ
خيالٌ حقيقةً ولربّ شيءٍ يدلّ على حقيقته الخيالُ
ولست ممّا ذقا في الودّ خِلّ إذا مذقت مودتها الرجالُ (١)
ومثلك من تُجاد له القوافي ويُحمد في فضائله المقالُ

ومما كتبه أيضا تحت صورة شمسية أهداها إلى صديقه
الفاضل عادل جبر المقدسي ، قوله :

إليك عادل جبرٍ رسمَ ذي مِقّةٍ من أصدقاتك حيّادٍ عن القنَدِ (٢)
لو تدرك الشمسُ ما في القلب من شغفٍ

لصوّرتُ لك ودّا جلّ في خَلدي

لكنّها خلّقت عن ذاك عاجزةً فصوّرتُ لك مني ظاهر الجسدِ
فأقبله تذكّرةً في الدهر باقيةً بقدر حبّيك حتى آخر الأبدِ
فأنت أكرم من صداقته خُلُقًا وأبعد الناس عن غلٍّ وعن حسدِ

(١) مذاق : خاط .

(٢) المقة : المحبة ، والقند : الكفر بالنعمة ، والكذب .

واستعار وهو في القدس كتابا من إسعاف النشاشيبي ،
ثم أعاده وقد كتب عليه هذين البيتين :

آل النشاشيبي إن الله أسعفكم^١ على التقدّم للعليا بإسعاف
ذاك الذي أشرفت^٢ بالعلم همته على سماء المعالي أي إشراف

من هذا !

نخلص^١ منكشف إخلاصه عن رياء فيه تخفيه الأناثة^(١)
وأمين^٢ قد جرت أطماعه بسمول الغش في وادي الخيابة
لودرت كل خيانات الوري بالذي فيه تسمت بالأمانه
تركب الفجش رجوليته بعنائين : نعوظ وعنانه

من مطبخ الدستور

معربة عن التركية بتصرف ، للشاعر التركي توفيق فسكرت بك .

كلوا يأيها السادة كما تنسكرو^١ العادة
كلوا من مطبخ الدستور ر أكل الساسة القادة
كلوا بالسبعة الأمعا ء حتى تنفذوا زاده
كلوا لا تخشوا الناس فإن الناس متقاده
كلوا لا تخشوا الدهر فأم الدهر قواده

الوزارة عندنا

إن الوزارة « لا أباك » عندنا ثوب^١ يفصل في معامل آندنا
لا يرتديه سوى امرئ^٢ أضحي له طبعاً وِدَادُ الإنكليز وِدِيدُنَا^(٢)

(١) الأناثة والأناية : لفظان صاغهما المحدثون من لفظ أنا ، بمعنى الأثرة .

(٢) الدين : الطبع والعادة .

عبد اللطيف باشا المنديل

عبدُ اللطيفِ بفضلِهِ جعلَ الوري
ورثَ المكارمَ عن أبيه وجدّه
في الوجهِ منه ملامحٌ عربية
في البصرةِ الفيحاءِ مدّ لبَيْتِهِ
فطريده فيها أذلُّ مُطَرَّد
حرُّ الضميرِ مؤيَّد بقطانة
إن قال حقًّا قاله بصراحة
لم يخشَ لومة لائمٍ وعذول

إلى السباعي

وقال وهو في دمشق جواباً عن كتاب أنابه به ابن سني
السباعي الدمشقي من أبيه ، يتضمن أبيانا من الوزن والروي :

إلى الرجل انكريم إلى السباعي
فتى أحبته قبل التلاق
ونكني رأيت له سليلا
ويحسب من دمائه جباناً
فقلت وقد رأيت به إباء
فشكرا ياسليم على نظم
فأنس غربتي وأسا جروحي
وما أنا للمناء بمستحق
ولكن حسن ظنك بي دليل
فدمت بحسن معيكت للمعالي
كتاب أخ نعهد أخيه راع
وكم حبّ تولد من سماع
كريم سجيّة وطويل باع
على ما فيه من خلق الشجاع
كذلك تكون أشبال السباعي
بعثت به مغترب مضاع
ونفس كُرْبتي وشفى صداعي
وإن أعطيت ملكة انيراع
على ما فيك من كرم الطباع
قرير العين مشكور المساعي

عفو بعد نفي

أنشدنا عمر الصالح أحد أصدقائه في القدس ، وذلك
عند قدوم عمر من مكة بعد أن نفي إليها سياسة :

أحرزت يا عمرُ المفاخرَ كلها فالبسُ من العلياء ما تختارُ
أما البلادُ فقد حميتَ ذمارها لما أضاع ذمارها الأشرارُ
ولقد رعيتَ عهودها فتتوقلت في الناس عن رعياتك الأخبارُ
فإذا جرى ذكر الحمية بعد ذا أثنت عليك مواطن وديارُ
ولئن نفوك فإن نفيك لم يكن عارا عليك وأين منك العارُ
بل قد نفوك لأن أبيت هوانهم والنفي من دار الهوان فخارُ
هاجت لمنفأك الحفايظ فاعتمدت كالبحر هاج بلجه تيسارُ
شرف لعكة أن رأيت بك ما جدا بعلاه تفخر حمير ويزارُ
فالتقدس حاسدة عليك ربوعها والمسجد الأقصى عليك يغارُ
ولقد عفوا وهم الجئناة وإن عفا عنك المسيء فعموه استغفارُ
ندموا فسميت الندامة عندهم عفوا وذلك منهم استكبارُ
أهلا بمقدمك الذي بسروره سيء اللئام وسرت الأحرارُ

الترامواي في الاسطوانة

سنة ١١٩٠

مرَّ الترام فقليل أركب فقلت لهم ذل امرؤ كان مرْكوباً له الكسَلُ
أما ترى وضعاف الخيل تسحبهُ كأنه جبل في الأرض ينتقل
يَحْكِي السِّلْحَفَةُ في عَرْض الطريق وقد

أُمت بها في التَّائِي يُضْرَب المَثَلُ
تري به أوجه الركاب عابسة من فوقها ضجر من تحته مَلَلُ
في جانبيه وفي أعلاه قد كتبوا بيتاً تمثّل في إنشاده الأولُ
« قد يدرك المتأني بعض حاجته » وقد يكون مع المستعجل الزللُ

لقيتها في الطريق

لقيتها في الطريق عابرةً يَهْصِرُ من قَدِّها تَبَخُّرُها
أعجبها مَنْظري وأعجبنى بالحُسْنِ عند اللقاء مَنْظَرُها
فصار قلبي بالحبِّ يأمرني وقلبيها بالغرام يأمرها
وحين مررت والشوق يسكرني بخمرة نارةً ويسكرها
لَفْتُ جِيْدِي أرى أَتَنْظُرُنِي والتفتت لي ترى أَنظُرُها
فقلت والشوق فيَّ ملتهب إن عَذْرَتِي فسوف أعذِرُها

الدين والوطن

لا يَحْدَعُنْكَ هِتَافُ القومِ بالوطن فالقوم في السرِّ غيرُ القومِ في العلنِ
أُحْبِوْهُ الدِّينَ رَكَّتْ من تقادِمْها فاعتاض عنها الوريَّ أُحْبِوْهُ الوَطَنَ^(١)
فما لهم غير صيد المال من غرض في أيوم والغد والماضي من الزمن
لم يقصدوا الخير بل يستذرعون به رميا إلى الشر أو قصداً إلى الفتن
فإن تهاون قوم فانهظر شغباً إذ ليس هدنتهم إلى على دخن

الحياة والأداة

وَطَنُ حَيَاتِكَ للمكارهِ وارْتَقِبْ كَدَّرَ المَوَارِدِ إن صفا لك مَشْرَبْ
كل الأماكِنِ للأداةِ مِظَنَّةٌ حتى السماء تدبُّ فيها العقرب

قالها لما أفتى بكفره بعض من يدعى العلم في بغداد ، وذلك لإنشاده قصيدة
« في مسرح التمثيل » أنكر فيها تشديد القوم على النساء في الحجاب .

يأيها المفتي بكفيري نا	مهلاً فقد جئت بأمر نكير
بأى جهل فيك مستأصل	عامت يا جاهل ما في الضمير
وذاك أمر ليس تلتأشه	إلا يدُ الله العليم القدير ^(١)
لو كنت ذا مجد لأصأتك من	هجاننا الأيام نار السعير
بل أنت وغد لا تبالي الهجا	وهكذا كل لثيم حقير
وإنما تغتاز من هجوننا	يفدر ما تغتاز منه الحمير

في معرض الشكر

لقد جرّبتُ أصدق أصدقائي	فلم أرَ قطُّ أصدق من صلاح
فتىً أمّا نداهُ فصوبُ مزن	وأما خلقه فشذا الأقالبي ^(٢)
به آل البايديّ باهوا	كما باهى بهم هو في السّاح
أشدُّ من الخضمّ يدها مدّا	وأقذفُ منه بالدرر الصّحاح ^(٣)
نقى العارضين له جبين	أغر كأنه فلق الصباح ^(٤)
سديدُ الرأي طلق الفكر حرّ	طلوب للعلى سهل النجاح
كريم ما اقترحتُ عليه إلّا	وقد غلبتُ فواضله اقتراحى
أيا من شدّ في بيروت أزرى	وآنسَ غربتي وشفا جراحي
سأبلغ فيك غاية كل شكر	وإن قصرتُ نحوك بامتداحى

(١) أنشاه : جذبه واستخرجه .

(٢) الصوب : المطر . والمزن : السحاب . المطر . والشذا : شدة ذكاء الريح الطيبة .

(٣) الخضم : البحر العظيم .

(٤) العارضان : صفتنا الحمد .

عند لعبة البيلارد

وفي الألعاب لم ترَ قطَّ عيني
تجول بمسّطيل الشكل عال
فيضاً وان تندقان جرياً
ينال الضربُ إحداها فتجري
فتنبعث الثلاث مُدحرجات
يُدحرجهنَّ أغلّة ظراف
بأيديهم عصيٌ مُشرعات
فكان إذا انحنى للضرب منهم
وربةٌ ضربةٌ لما تننّى
وكانت توبةً لي عن مجون
فلستُ وقد تجدد لي غرام

كئيل اللّعب بالأكّر الثلاثِ
لطيف صنّعه حسنُ الأنثا
إلى حمراءِ بادية اللّهاثِ
لضرب الأخرين بلا لبّاث^(١)
وقد حصل اصطدام بانبعث
نسيتُ بهم مغازلة الإناث
مهيّأة لضرب واحتثاث
غلامٌ هاج شوقى وهو جاث
ليضربها تننّى بانحناث
فعادت من هواه إلى انتكاث
أبلى لوم السنة رثاث

السما الوطني

قالها لما أندى السما الوطني ببغداد :

لو جعلنا كلّ شيء وطنياً
ولعشنا اليوم في أوطاننا
ولأضحى ناهياً خاملنا
يا بني بغداد هل من يقظة
إن بغداد قضت واجبها
سينما أظهر للرائين من

لقطفنا ثمر الجّد جنياً
مستقلين بها عيشاً رخيّاً
ولأمسى كلّ ذى فقر غنياً
لأمر تكسب القوم رقيّاً
مذ أرتكم سماها الوطنياً
صور الآداب ما كان خفياً

(١) اللبّاث : بفتح اللام : اللبث والسكث .

ولقد صوّر في رُقعته غير الأيّام تصويراً جليّاً
ولقد قرّب للأُنظار من خِطط البُلدان ما كان قصيّاً
يُبهج الناظر فيه أنه يُقرأ المكتوب فيه عربيّاً
يا بني بغداد لا عذر لكم إن أتيتم بعد هذا الأجنبيّاً

عند نشر المعاهدة

نَشَرُوا المعاهدة التي في طيِّها قيدٌ يَعَضُّ بأرجلِ الآمالِ
قد أبلعونا حبة استعبادنا لكن مموّهةً بالاستقلال^(١)
والعهد بين الإنكايِز وبيننا كالعهد بين الشاة والرُّبَّال^(٢)
من ذا رأى ذئب الذئاب مصافِحاً بتودُّدٍ حملاً من الأحوال
لكنهم خافوا انفكاك قيودنا فاستوثقوا منهم بالأقوال
كتبوا لنا تلك العهود وإنما وضعوا بها قفلاً على الأعلال
شأت أكف موقَّعيها إنهم حلَّت عليهم لعنةُ الأجيال
هب أنهم أمِنوا انفكاك قيودنا أفيأمنون تَقَلِّبُ الأحوال

وزراء المعارف عندنا

وَمَحَّ المعارفِ لا يَسْتَوِزُونَ لها إلا الذين لَوَزِرِ الجهلِ قد وَزَرُوا
فأى حرمة علمٍ هم قد انتهكوا بذا وأى زمام للعلی خَفَرُوا
هَبْهم قد احتفرونا في مواطننا ميامةً فَعَلَامَ العلمِ يُحْتَقَرُ
يا قومُ ما بالكم لا تغضبون له أليس فيكم فتى للعلم ينتصر
تالله قد أنزلونا شرَّ منزلة لا الزنج ترضى بها منهم ولا النور

(١) مموّهة : مخلوطة ، أو مطلية ، أو مزينة . (٢) الرُّبَّال : الأسد ، أو الذئب .

قصير معلوف

في آل معلوف الكرام خلأني
ولم مآثر في البلاد جلية
يأبى الزمان دوال دولة مجدهم
رجل رأيت به الفضائل تغلى
وصحيت في بيروت منه ميثابا
صغرت به عندي الكرام لأنه
إني لأشكره على إفضاله
أما حليلته الفتاة فإنها
ما أحسن الحسنين إذ جمعا بها
غرَّ يضيء بها الزمان الأكدَرُ
أيدى المطاول عن علاها تقصر
ما دام فيهم ذوالسكارم قيصر
والجد ينمو والعالى تكثر
ما إن تصوّر مثله المتصور
في كل مكرمة أجل وأكبر
والحر للهدب يشكر
بدر بأفاق الجبال منور
نفس مهذبة ووجه أزهر

إلى أمين كاملة

وكتب له أمين كلمة أحد أدباء بيروت فأجاب :
حيّ الأمين الذي طابت مغاربه
مشهورة في ربّ لبنان غرته
قد جاء بالشعر يطربني فقلت له
أوسعني منك ترحيبا وتكرمة
ونك شيمة من كانت خلأته
قل للألى يقصدون اليوم تخطئي
من متّ منكم إلى قوم بنسبته
ونسبة العلم والآداب لمثها
أليس لبنان بالآداب مشتهرا
فإن نزلت بوادٍ منه منتجعا
في منبت النبع لاني دنبت العرب (١)
من آل كاملة صيابة العرب (٢)
شكرا لفضلك إذ أحسنت ظنك بي
لما خططت لديكم رحل مغترب
مصوغة من صميم المجد والحسب
مستغربين إلى لبنان مندسبي
فقد متت إلى لبنان بالأدب
أقوى لمنسب من لحمة النسب
من العلوم وقول الشعر والخطب
فقد نزلت بوادٍ ثمري خصب (٣)

(١) النبع : شجر صلب تتخذ منه السهام والقسي ، والغرب : شجر ضعيف .
(٢) صيابة العرب : خيارهم . (٣) اتجمع الرعي : ارتاده باحثا عن الكلأ . والعرب : الغصن .

إلى عبد الوهاب النائب

أنشد حضرة العلامة عبد الوهاب أفندي النائب في بعض
بجالسه ببغداد البيت الآتي ولم يكن الرصافي حاضرا :

إن فاخرت بادة يوما بشاعرها فإن شاعرنا في الشرق «معروف»
فبلاغ ذلك الرصافي ، فكتب إليه الأبيات الآتية :

قل لعبد الوهاب النائب العلاء مة الخبر مُنْجِب النجباء
إن أكن شاعرا فذلك من يد عى ببغداد أعلم العلماء
أى فضل للشعر لولا علوم قومت من قناته العوجاء
إن بين الشعر المقول وبين العلم بونا كأرضنا والسماء
ما ادعى الشعر عالم قط لكن يدعى العلم أشعر الشعراء

إلى أولى الأمر

وقال يخاطب رجال الحكومة ببغداد سنة ١٩٢٢ :

يا مُبْعِدِيَّ بظلم عن مناصبهم وقاطعين إلى ما أبتغى طرقي
علمت كل خفي من ضمائرهم وما علمت الذي ترضون من خلق
ماذا يوافقكم من شأن صاحبكم حتى يكون لديكم نائز السبق
إن كان عقل فإني عاقل فطن أو كان حق فإني أحق الحق
فجربوني تفوزوا عند تجربتي بما تريدون من طيش ومن تزق
وإن أبيتم سوى من عرضه دنس فليست معكم على شيء يمتفق
لا أبعد الله غيري عن مناصبكم إني بتدنيس عرضي غير مرتزق



العدل — يا مبعدي بظلم عن مناصبهم

المصور البارع

إن فنَّ التصوير قد صار فيه أسعدُ بارعاً بغير نظير
حمل الشمس للأنام بكفٍّ وبأخرى صناعة التصوير
وأقوى يُبدع البدائع للناس من بفتن من الرسوم خطير
لم يفته من صورة المرء حتى ما بها من علامم التفكير
فتراهم كأنها ذاتُ فكرٍ هي عنه تهم بالتعبير
وترى عند حزنها ذات حزن وترى في السرور ذات سرور
لك يا أسعدُ الفخار ولا زلت جديراً بالفخر جدَّ جدير

الآغنياء والفقراء

أرى أغنياء الناس كالقُمي لم يروا شقاء بني غبراء من كل بانس^(١)
كأن الغنى والفقير نور وحندس ولم يروا في النور من في الحنادس^(٢)

(٢) الحندس : الظلام الشديد .

(١) الغبراء : الأرض ، وبنوها : الناس .

الجهل فضاح

ما أقبح الجهل يُبْذَى عيب صاحبه للناظرين وعن عينيه يُخْفِيهِ
كذلك الثوم لم يَشْمَمَهُ آكله والناس تشتمُّ نَثْنَ الرِّيح من فيه

حمام الوزارة

ألا بلغوا عني الوزير مقالةً له بينها لو كان ينجل تَوْبِيخُ
أراك بحمام الوزارة نُورَةً وأما جناب المستشار فزَرْنِيخُ

رخص المناصب

نحن قوم من الدراويش نَغْنَى عندنا عن مدارس بَتَكِيَّةِ
رَخُصْتُ عندنا المناصبُ حتى قد شَرَوْهَا بِسُبْحَةِ وَبَلْحِيَّةِ

الناس والملوك

عجبتُ للناس في الدنيا فحالتهم مع الملوك صريحُ العقل يَحْدُهَا
إنَّ الملوك لكالأصنام مائلةً الناس تنحيتها والناس تعْبُدُهَا

منزلة المعلم في المجتمع الإنساني

إذا كان جهولُ الناسَ مدعاةَ غيِّهم	فليس سوى التعليم للرشد مُسَلِّمٌ
فلو قيل من يستنهض القوم للعلم	إذا ساءَ محيَّاهم لقلتُ للعلم
معلمُ أبناءِ البلاد طيبهم	يداوى سقامَ الجهل والجهل مُسَقِّمٌ
وما هو إلا كوكب في سمائهم	به يهتدى السَّارى إلى المجد منهم
فلا تبخسنَّ حقَّ المعلم إنه	عظيم كحقِّ الوالدين وأعظم
فإن له منك الحِجَا وهو جوهر	وللوالدين العظمُ واللحم والدم
ألا إنما تعلِّمنا الناسَ واجب	وإن على الجهَّال أن يتعلَّموا
وما أخذ الله العهود على الوري	بأن يعلِّموا حتى قضى أن يعلِّموا

أم سرى

زار الرصافي صديقه السكاكيني في القدس ، فارتجل
عنده هذين البيتين يخاطب بهما قريبته السيدة سلطنة :

أطاعك منه ما عصى الناس أجمعًا	أُم سرى أنتِ سلطنة البهّا
سوى أن كلَّ الحُسن فيه تجمعا	ولم ير نقصاً في مُحياك ناظري

الحزب الحر العراقي

لما هي بعض أعضاء الحزب الوطني وحزب النهضة ، وسدت
نواحي هذين الحزبين ، قال الرصافي مخاطب الحزب الحر الموحد :

قولوا للحزب تسمى الحرّ معتدلاً هل أنت من بعد نفى القوم معتدلاً
وهل لما حلّ بالحزبين باكية عينك أم أنت مسرور به جدلاً
تالله ما أنت حرّ في مطالبة وإنما أنت للحكام معتدلاً^(١)
وما سعت إلى حق لتذكره بل أنت للامر في مسعائك ممّثلاً^(٢)
قد احتملت من الخارج لعنته لله درك ماذا أنت تحتمل

وبلغ الرصافي أن رئيس الحزب الحر قال إذ سمع بهذه الأبيات :
« نحن لا نأى بمثل هذه الأقوال القارعة » . فقال الرصافي :

قال ذو الحزب إذ أتماه مقالى نحن لسنا بما يقال نبالي
صادق في الذي أدعاه وأنى يألّم الميّت من جروح النضال
إنما تجزع الكرام من الذمّ وتخشى الأجداد لدعّ الملكال

المسلم المصلح

قالها في صديقه الشيخ عبد القادر المغربي ، أحد أركان
الحزب الوطنى بدمشق ، وأتفقها إليه من زحلة :

للمعربى بأرض الشام منزلة ممتازة في نواحي العلم والأدب
المسلم المصلح الهادى بفكرته إلى الحقيقة أهل الشك والريب
قد غاص في لجج الأديان مجتهدا فاستخرج الدرّ لم يعياً بمخشّب^(٣)
وجال جولةً حبرٍ في منابتها فاستخلص النبع حياً داعن الغرب
لوسار كلّ بنى الإسلام سيرته لما شكوا في حياة سوء منقّاب
أوجال كلّ أولى الأديان جولته لما تكون باسم الدين من شغب
إلى لأمدحه بالحق عن ثقة والمدح بالحق غير المدح بالكذب

(٢) ممثّل : مطيع .

(١) معتدل : مصطنع .

(٣) المخشّب والمخشّب : بفتح الميم : كلمة عراقية نبطية ، وهى اسم لما يشبه الدر من حجارة البحر ،
يعمل منه خرز أبيض يشاكل اللؤلؤ ، وهو أردؤه وأقله قيمة (عن شفاء الغليل ونجاح العروس) .

نجل عبد اللطيف

كتب عبد اللطيف باشا المنديل إلى صديقه جناب المسر « منك » مضمون
التمسك في بندان ، كتابا وصف به له حادثة ابنه الصغير ، وأنه بلغ من
العمر أن صار يشرب بيده ، ويحكي كلام يكلام لا يفهم إلا هو ، فتعجب المنديل
المشار إليه إلى الرضا أن يقول على لسانه آياتنا في المعنى ، فقال :

نجل عبد اللطيف وهو نجيب	كيف لا يظهر النجابة طفلا
إن يكن غير واضح القول لفظا	فكلام النجيب يفهم عقلا
كلما قال أو أشار فمعنى	قوله أنه عا ، سمعني
إن آل المنديل قوم كرام	قد زكوا في الأنام فرعا وأصلا
نجل آل المنديل غير عجيب	أن يكون النجيب طفلا وكهلا
أيها النجل عش لتجديد مجد	قد بنته لك الأوائل قبلا

عبد الوهاب النائب

على لربنا الوهاب أتى	أواصل شكره وأديم حمده
وذاك إذا يعاملنا بلطف	فيشفي « النائب » المنفضال عبده
ليُرشدنا إلى سبيل المعالي	فنقصده في ابتغاء المجد قصده
هو الحبر الذي وجدت منهاها	بغاة مكارم الأخلاق عنده
تردى المجد من أدب وعلم	وطرز بالمعالي الغريرة (١)
يودك في الرخاء وداد حر	ولا ينسأك إن دهمتكَ شدة
أطال بقاءه الرحمن فينا	وأكثر فضله وأدام سعده

(١) تردى المجد : اتخذه رداء .

إلى أمير الكمنجة

صاح قم بي إلى أمير الكمنجة
قم بنا نستمع إلى نغمت
ولحون كالصبح إن هي فاضت
ذاك سامي الشوا الذي قد سما في
هو في فنه الرفيع إمام
كل من سار في طريق الأغاني
ما أمر الأنامل الخمس بالأو
نعمة منه تجعل القوم كالبحر
ويميلون باتجاه إليه
بطل الفن هز رمح ابتداغ
وبكأس الفخار أسقى صرفا
فلتأخر بلاد يعرب فيه
يا أميرا في الفن صار مليكا
شهد الله أن كل حياة
أصدق النابغين في الفن لهجة
تملا الأنفس انتعاشا وبهجة
تغرق الروح من سرور بلجة
فلك الفن بالغنا منه أوجه
موضح للأنام منه المحجة^(١)
يقتفي أثره وينهج نهجه
تار إلا ألقى على القوم رجة
نعمة منه يجعل القوم كالبحر
ويميلون باتجاه إليه
بطل الفن هز رمح ابتداغ
وبكأس الفخار أسقى صرفا
فلتأخر بلاد يعرب فيه
يا أميرا في الفن صار مليكا
شهد الله أن كل حياة

(١) المحجة : جادة الطريق أى وسطه .

(٢) الزجاج : الحديدة التي في أسفل الرمح ، وفي الكلام استعارة لا تحفى .

إلى محمد الرضا

إني لأشكر من محمد الرضا
 شعرا غدت على «جرير» فاخرا
 قد دبجته براعةً لمحمد
 هي في التفنن ريشةً لمصور
 لو كان في كف «الرضي» نظيرها
 وكأنما يومَ الفخار هديرها
 وكأنما يومَ الرثاء صريرها
 أما ذكاء ابن الخطيب «محمد»
 وافق جواهره على يد «جوهر»
 يأبى الرجل الذي بكتابه
 إني لأشكر منك خلافاً فضلاً
 وقريحة ما زدت في استنباطها
 ولقد نظرت إلى منك بنظرة
 شعراً ذكرت به زماناً قد مضى
 فيه ورحلت عن «الفرزدق» معرّضا
 أخذت تقيم من القريض مقوّضا
 ولدى القراع هي الحسام المنتضى^(١)
 حسد الرضي بها أخوه «المرتضى»
 صوت الرعود لها دوى في الفضا
 صوت الحمام ينوح في وادي الغضى
 فشيء برق لاح أو نجم أضأ
 وبها رأيت مذهباً ومفضّضا
 للود منى بالقريض تعرّضا
 يدنى أحبته ويقصى المبعّضا
 إلا وزادت بالقريض تقيّضا
 فيها الثناء وهكذا عين الرضا

(١) القراع : المضاربة في الحرب بالسيوف « والمنتضى : المسلول .

شهادة الرئيس ووسام الرافدين

أنشئت في الحفلة التي أقيمت في البلاط الملكي ، بمناسبة ما أنعم به
جلالة الملك على شهادة رئيس الوزراء ، من وسام الرافدين ، من
الدرجة الأولى ، وذلك يوم ٢٦ آذار ١٩٣٢ :

تَهْ يَا وَسَامَ الرَّافِدِينَ بِصَدْرٍ مِنْ هُوَ فِي الْعُلَى الرَّافِدِينَ وَسَامُ
نُورِي السَّعِيدِ أَبُو صَبَاحٍ مِنْ بِهِ سَعِيدُ الْعِرَاقِ فَتَعَرَّهْ بَسَامُ
قَدْ أَنْعَمَ الْمَلِكُ الْمُطَاعُ بِهِ لِنَكِي يَزْدَانُ فِيهِ وَزِيرُهُ الضَّرْغَامُ (١)
يَا حَبِذَا ذَاكَ الْوَزِيرُ وَحَبِذَا أَنْتَ — مَلِكُ الْمُطَاعِ وَحَبِذَا الْإِنْعَامُ
زَيْهِ الْوَسَامِ بِصَدْرِهِ فَكَأَنَّهُ تَاجُ الْمَلِكِ يُحْمِلُهُ الْإِعْظَامُ
صَدْرُهُ إِذَا الْخُطْبُ أَدْلَهُمْ تَلَالُاتُ فِيهِ السَّجَايَا الْغَرَّ وَالْأَحْلَامُ
وَإِذَا تَنَهَّدَتْ الصُّدُورُ لِحَادِثٍ بَدَتْ الشَّجَاعَةُ مِنْهُ وَالْإِقْدَامُ
لَيْسَ التَّفَاخُرُ بِالْوَسَامِ بِهِمَّةٌ وَلَوْ أَنَّه افْتَخَرَتْ بِهِ الْأَقْوَامُ
بَلْ هُمَّةٌ أَنْ تَسْتَقِلَّ حُكُومَةُ وَيَتِمَّ فِي أَمْرِ الْبِلَادِ نِظَامُ
فَعَلَى الْبِلَادِ مِنَ الرَّئِيسِ تَحِيَّةٌ وَعَلَى الرَّئِيسِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ

في بيروت

في مجمع كوكب الشرق

وَمَجْمَعُ جَامِعِ ضَاعِ الْغَنَاءِ بِهِ ضِيَاعُ شَعْرِي فِي قَوْمِي وَأَوْطَانِي
تَلَاطَى الْمَوْجُ فِيهِ وَهُوَ مِنْ لَفْظٍ فَظَلْتُ أَسْمَعُ فِيهِ بِالْعَيْنَيْنِ فِيهِ وَقَدْ
كُلَّا تَرَاهُ عَلَى عَرْفِ الْقِيَانِ غَدَا فَلَمَّ هَارِكٍ بَيْنَ الْقَوْمِ فِرْقَةٌ
كَانَ الْغَنَاءُ كَرَأْيِي حِينَ أَعْلَنَهُ وَسَامَعُوهُ كَقَوْمِي عِنْدَ إِعْلَانِي (٢)

(١) الضَّرْغَامُ : الْأَسَدُ .

نهاد قرّة الأعين

إلى حضرة الفاضل نور الدين يهيم

كان مذ قال واهب الأولاد	لهم باد	كن
فاستمرت بحمدها المزاد	تنطق	الآن
لاح بدرًا له بأفق النادى	طلعة	تخس
أولد النور منه الوفاة	بهجة	الأعين
نهر يروت منه باليلاد	فاخر	الأردن
هو فى آل بيهم الأعجاد	نيرة	الأعص
كان عيدًا لهم من الأعياد	فى مدى	الأزمن
إن تاريخه « حياة نهاد	قرّة	الأعين »

سنة ١٣٤١

ذات الشعر الأبيض

ومليحة أوصافها	تدعو القلوب إلى التصاى
بيضاء أمّا شعرها	فباون أنوار الشباب
قد لاح يصرب للبا	ض وذا من العجب العجاب
كشعاع أنوار النجو	م إذا تلاً بأضطراب
يمتد فوق جبينها	كضياء منقضى الشهاب
فكان غرة وجهها	بدر تكلّ بالسحاب
أو قرص شمس قد تجلّل	بالريق من الضباب

رقة قولى

وغرّرت رقتى فى القول قوماً فعادونى وكنت لهم صديقا
وما علموا بأنّ رقيقَ قولى يكون لدى التّماحكِ مِنْجَنِيْقاً^(١)
وما موجُّ البحار يكون إلا لكون الماء سَيّْالاً رقيقا

جو بيروت

جوّ بيروت فى الشتاء دَفِيٌّ مانع من نوازل الأسقام
فإذا ما تَوَاتَرَ الغيثُ فيه خِلْتَنِي فى مَغاسِلِ الحَمَامِ
وعلى القرب من مغانيه جوّ ثغره من ثلوجه فى ابتسام
يجعل الجسم فى ارتجاف فيُمسِي فيه نطق القصيح كالْتَمْتَامِ^(٢)
وكذا الحسن فى الأماكن بالأضداد تبدو أوصافه للأنام

على مقابر الشهداء

حيّ هذى القبور إن كنت حيّاً عاملاً بالفضيلة الغراء
إنما الميت كل من لا يُحيى باحترام مقابر الشهداء
واحترامُ الأموات حتم وإن كانوا بعادا فكيف بالقرباء
لا تقل هذه الرّجَامُ قبورٌ بل تماثيلُ نَجْدَةٍ وإباء
إنما هذه القبور تُرينا كيف حب الأوطان فى الأحياء

(١) التّماحك : النزاع فى الكلام . والمنجنيق ، بفتح الميم وكسرها : آلة ارى الحجارة على الحصون .

(٢) التّمّام : الذى لا يحسن نطق الحروف ، وخاصة التاء ، فيلجج فيها .

منيرة^(١)

هل سمعتم «منيرة» مذ أفاضت من بديع الغناء في كل فن
مذ أقرت برقصها كل عين واسترقت بصوتها كل أذن
رقصها يرقص القلوب على أن غناها عن الزامير يغنى
هي إن أقبلت بثنية عطف^(٢) أقبلت بالمهفف المظمن^(٣)
وهي إن أدبرت بهزة ردف^(٤) أدبرت بالمرجرج المرججن^(٥)
خلق الله صوتها العذب كيا يعرف الناس كيف حسن التغنى
وبراها ممشوقة القد كيا يعرف الناس كيف حسن التثني
بنت فن غنت لنا فسقتنا من أفانين لحنها بنت دن^(٦)
سمحرتني مذ أقبلت تتثنى فكأن مذ أقبلت لست منى

يطلب جلنارا

وظي جاء يطلب جلنارا يحاكي لون وجنته احمرارا^(١)
وقد ملك الخلائق ملك أسر وأوثق في قلوبهم الإسارا
بقدر أخجل السمر اعتدالا وطرف أوجل البيض اقتدارا
فقلت وما انكليم سوى فؤادي وقد آنست في خديه نارا^(٢)
فديتك كيف تطلب جلنارا وفي خديك أبصر جلنارا

(١) هي مغنية عراقية .

(٢) العطف : جانب العنق ، ويقال مرثاني عطفه : إذا أعرض عن الناس متكبها ،
والمهفف : الدقيق الحصر .

(٣) الردف : العجز . المرجرج : المتحرك المهتر . والمرججن : للمهتر أيضا .

(٤) الذن : إناء الحمر . (٥) الجلنار : زهر الرمان .

(٦) السكليم : المجروح . والسكليم أيضا موسى عليه السلام .

اسمعى لى كلاما

اسمعى لى قبل الرحيل كلاما ودعيني أموت فيك غراما
هاك صبرى خذيه تذكرة لى وامنحى جسمى الضنى والسقاما
لست ممن يرجو الحياة إذا فا رق أحبابه ويخشى الحماما^(١)
لاك ياظبية الصريمة طرف^(٢) شد ما أوسع القلوب غراما^(٢)
حب ماء الحياة منك بشعر طائر القلب حول سمطيه حاما^(٣)
شغل الكاتبين وصقبك حتى لادويا أبقوا ولا أقلاما
كلما زاد عاذلى فيك عذلا زدت فى حسنك البديع هياما
أفأخطى برورة منك تشفى صدع يلبي ولو تكون مناما
رب ليل بالوصل كان ضياء ونهار بالهجر كان ظلاما
قد شربت الشهاد فيه مداما وتخذت النجوم فيه ندأى^(٤)
ما لقلبي إذا ذكرتك يهفو ولعيني تدرى الدموع سجاما
إن شكوت الهوى تاعثت حتى خلعتني فى تكلمى تمناما

وقال فى عود انه كسر

قلبي عليك حليف الوجد ياعود كم شنت أذنى منك الأغاريد
كنت أفتديتك لو يفدى الذى حكمت فيه المقادير أن يلقاه تنكيد
فكم بدت نعمات منك مطربة هزت بها طربا حتى الجلاميد^(٥)
تعيد ياعود بالأوتار إن نطقت ميت المسرة حيا وهو ملحد
كأن أرواحنا عند استماعك من لطف لمن عن الأجساد تجريد
فكيف نالتك أيدى الدهر كاسرة وأنت فى الدهر بالآذان معبود

(١) الحمام: الموت .
(٢) الصريمة : قطعة ضخمة من الرمل تنقطع عن سائر الرمال
(٣) العقد : السمط .
(٤) نالدام : الحجر .
(٥) الجلاميد ، جمع جلمود ، وهو الصخر الشديد .

ضاق الخناق

أقول لهم وقد جدَّ الفراقُ رويدكم فقد ضاق الخناقُ
رحلتم بالبدور وما رحتم مشوقاً لا يَبُوحُ له اشتياقُ^(١)
فقلبي فوق أروسيك مُطار ودعي تحت أرجلكم مُراق
أقال الله من قودٍ لحاظاً دماء العاشقين بها نراقُ^(٢)
وأبقى أعيناً للغميدِ سوداً ولو نسيتُ بها البيض الرقاقُ^(٣)
متى يصحو الفؤاد وقد أُديرَتْ عليه من الهوى كأسٌ دهاقُ^(٤)
وليس الناس إلا من تصابٍ وإلا من يشوق ومن يُشاق
مررنا بالنازل موحشات لهوج الرامسات بها اختراقُ^(٥)
كأن لم تُصبني فيها كعاب ولم يُضرب بساحتها رواق
فعبجتُ على الطاول بها مكباً أسائلها وقد ذهب الرقاق
كأنى بين أطلال المغان أميرٌ عضَّ ساعده الوثاق
حديد بارد في اللوم قلبي فليس له إذا طُرق انطارق

وصف البدر عند الافرج

كأن البدرَ صحن من لجينٍ بدا فجلاً برؤقه الهموما
به ارتقت الملائكُ الأعلى وراحت فيه تلتقط النجوما

(١) باخ : فتر وسكن .
(٢) القود : إعطاء الدية .
(٣) البيض الرقاق : كناية عن السيوف .
(٤) كأس دهاق : ملائ .
(٥) الرياح الهوج : الشديدة . والرامسات : التي تأتي بالتراب . فتدفن الأشياء تحته .

إلى أم كلثوم

أم كلثوم في فنون الأغاني أمة وحدها بهذا الزمان
هي في الشرق وحدها ربة الفن فما أن للفن رب ثانى
ذاع من صوتهما لها اليوم صيت عم كل الأمصار والبلدان
ما تخفت إلا وقد سحرتنا بافتتان لها وأى افتتان
في الأغاني تمثل الحب تمثيلا صريحا بصوتها الفتان
يتجلى في لحنها مشهد الحب ولون الوصال والهجران
فتريك الحب عند التئاني وتريك الحب عند التذاني
وتريك الحبيب عند افتراق وتريك الحبيب عند اقتران
كل هذا في صوتهما يتجلى من خلال الأنغام والألحان
صفحات من الغرام تراها ظاهرات في صوتهما للعيان
تنشد الشعر في الغناء فتأتي بلحون مطابقات المعاني
فاذا أنشدت عن الوصل أبدت فيه لحن السرور والجدلان
وإذا أنشدت عن الهجر جاءت بلحون تدعو إلى الأحزان
كم سقتنا كأس السرور بلحن وبلحن كأسا من الأشجان
تفهم الروح منطق الحب مما تنغى به بلا ترجمان
فكأن الأنغام في الصوت منها ناطقات لنا بغير لسان
قد سمعنا غناءها فعرفنا كيف فعل الغناء في الانسان
حسن صوت يزينه حسن لحن فيه للسامعين حسن بيان
نبرات في صوتهما مشجيات تترك السامعين في هيجان
تسترق القلوب منا بصوت نعبد الحسن منه بالأذان
كل لحن إذا سمعناه منها دب فينا ديب بنت الحان

في وقار الحليم تجملنا طورا وطورا في خفة الشوان
نتفاني في الاستماع إليها ونرى لذة لنا في التفاني



أمير الشعر الرصافي مع أميرة الغناء أم كلثوم

وترانا نهتز حين تغني فكأننا في حالة الطيران
وكان الأرواح — إذ تتعالى طربا — جردت من الأبدان
هي في مرتقى الأغاريد تعلو حين تشدو ونحن في خطران
يشعر المرء حين يصغي إليها بغرام من صوتها روحاني
بنت فن غنت لنا فسقتنا من فنون الغناء بنت دنان
هكذا فلتكن يد الفن عليا هكذا فلتكن على الفنان

أيتها الكعاب

فُتِنْتَ الملائك قبلَ البَشَرِ وهامتُ بكِ الشمسُ قبلَ القمرِ
وسُرَّ بِكِ السَّمْعُ قبلَ البَصَرِ وغنَّى بِكِ الشَّعرُ قبلَ الوترِ
فأنتِ بحسَنكِ بنتُ العِبرِ
تَرِفُ لِمَرَآكِ رُوحُ الغرامِ ويَهْوِي طُلُوعُكَ بَدْرُ النِّمَامِ
ليُطْلِعَ مِثْلَكَ بِالِاحْتِشَامِ وَيَرْقُبُ خَطَرَةَ هَذَا الْقَوَامِ
لَكِمْ يَا يَهْبُ نَسِيمُ السَّحَرِ
تَمِيلُ بِقَدِّكَ خَمَرُ الدَّلَالِ فيضْحَكُ في مَيْلِهِ الِاعْتِدَالِ
وفيكِ ارتقى الحَسَنُ عَرْشَ الْجَلَالِ ومنه العقولُ غدت في عِقَالِ^(١)
وَكَمْ قَدْ نَهَاها وَكَمْ أَمَرَ
إِذَا الْوَجْهَ مِنْكَ بَدَا لِلْغِيَابِ لَهُ سَجَدَ الْعِشْقُ يَرْجُو الْأَمَانَ
وَيُخْجَلُ مِنْ نُورِهِ النَّيِّرَانِ وَيَعْنُو لَهُ جَبْرُوتُ الزَّمَانِ^(٢)
وَيَخْضَعُ حَتَّى الْقَضَا وَالْقَدَرِ
بِكِ الْحُسْنُ أَلَيْسَ ثَوْبَ الْكَمَالِ فَأَنْتِ الْحَقِيقَةُ وَهُوَ الْخِيَالِ
وَأَنْتِ مَلِيكَةُ مَلِكِ الْجَمَالِ وَنُو صُورُوكِ بِالْوُحِ الْمِثَالِ
لَكِنَّتِ مَلِيكَةَ كُلِّ الصُّورِ
يُرُوحُ الشِّتَاءُ وَتَضْحُو السَّمَاءُ وَيَأْتِي الرِّيعُ بِمَسَا تَمَنَّا^(٣)
فَيُطْلِعُ فَوْقَ السَّيْرِ أَنْجُمَا وَيَبْتَسِمُ الزَّهْرُ بَعْدَ النَّمَا
فَأَنْتِ ابْتِسَامَةُ ذَلِكَ الزَّهَرِ

(٢) يعنو : يخضع .

(١) العقال : القيد .

(٣) نغم : زخرف .

فَطَرَفَكَ بِالْفَتْرِ كَمْ قَدْ رَوَى نَشِيدَ غِرَامٍ يَهْدِي الْقَوَى ^(١)
وما أنت شاعرة في الهوى ولكننا الشعر فيك انطوى
قَايَةَ حَسَنِكَ إِحْدَى الْكُبَرِ
لِسَانِكَ بِسَحَرٍ فِي ظَرْفِهِ وَجَفْنِكَ بِقَتْنٍ فِي ضَعْفِهِ
وَقَدُّكَ بِحَظَرٍ فِي لَطْفِهِ فَيُطْبِئُ رِدْفَكَ فِي وَصْفِهِ
وَيُوجِزُهُ خَصْرُكَ الْمُخْتَصِرِ
سَقَتِكَ الْكَعَابَةُ صَفْوُ الشَّبَابِ وَغَطَّى مَحْيَاكَ مِنْهَا نِقَابِ ^(٢)
فَأَنْتِ إِذَا قَمْتَ لِلْإِنْسِيَابِ تَبَخَّرْتَ فِي خَفَرِ وَالْكَعَابِ ^(٣)
تَضِيءُ كَعَابَتِهَا بِالْخَفَرِ ^(٤)

وقال يهجو بعض المرائين من المشايخ

سَوَّدَ اللَّهُ مِنْكَ يَا شَيْخَ وَجْهًا غَشَّ حَتَّى بِاللَّحْيَةِ السُّودَاءِ
لَوْ تَنَفَّنا مِنْ شَعْرِهَا وَغَزَلْنَا لَنَسْجُنَا خَمْسِينَ ثَوْبَ رِيَاءِ

جاهل متكبر

وَشَامِخَ الْأَنْفِ مَا يَنْفَكُ مُكْتَسِبًا ثَوْبَ التَّكَبُّرِ فِي مُجْبُوحةِ النَّادِي
قَدْ لَازِمَ الصَّمْتِ عِيًّا فِي مَجَالِسِهِ كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ نُوَابِ بَغْدَادِ

الطفل الملتحي

مَعَارِفُ بَغْدَادَ قَدْ جَاءَهَا مَدِيرٌ مِنَ الطَّلِيشِ فِي مَسْرَحِ
حِمَارٍ وَلَكِنَّهُ نَاطِقٌ وَطِفْلٌ وَلَكِنَّهُ مُلْتَحِي
فَيَأْيِهَا الْعِلْمُ عَنْهَا ارْتَحِلْ وَيَأْيِهَا الْجَهْلُ فِيهَا اسْلُخْ ^(٥)

(١) الفتر : الكون والضعف . (٢) الكعابة : بروز ثدي الفتاة .
(٣) الخفر : الحياء . (٤) سلع : تغوط وتبرز .

فاسق مرء

أو جاهل يدعى العلم

- أيوسف ما إن أنت من فحل هجمة^(١) وليكن من الشؤل الطوالب للفحل^(١)
 لئن كنت تنمى للبطاء فإنه عطاء الذي تزكو الوري فيه بالبحل
 وإن كنت قد كفرتني بجهالة فبالبهت كم كفرت من مسلم قبلي^(٢)
 وإنك في تكفيرك الناس كافر تهاون بالله الذي جلّ عن مثلي
 رؤيدك قد كفرت يا وعد مؤمنا وكذبت فيما تدعى سيد الرسل
 وأنت امرؤ لم تجهل العلم وحده بل الجهل أيضاً بل وجهلك بالجهل
 وأنت من الإسلام في كل حالة بمنزلة الظلم الصريح من العدل
 نطقته ببطل القول تهذي مخرقاً ومثلك من يهذي وينطق بالبطل^(٣)
 ألسنت الذي أعطى اللثام كرامة وكشّر فيه الأصل عن أربع عصل^(٤)
 وكم قرطست فيك الرماة ووترت عليك القسي الملس يا جعبة الذبل^(٥)
 فياعلج أقصر عن هيقك إنه أضل كإضلال الخوار من العجل^(٦)
 أنزه عنك السيف في قتلك الذي تحتم لكن يا مخنث بالنعل

الأرض

- كأنى بهذي الأرض قد حان حينها قطاحت بأبعاد الفضاء شظايا^(٧)
 ونادت بأصوات الفناء فحاجها وناحت على أطودها سملايا^(٨)

(١) الهجمة : ما بين الأربعين أو السبعين إلى المئة من الإبل ، والشؤل : النوق التي رفعت أذيالها طلباً للفحل .

(٢) البهت : الكذب والافتراء .

(٣) مخرق : كذب .

(٤) العصل : الأنابيب الصلبة الموجهة .

(٥) قرطس : أصاب الهدف .

(٦) العليج : الرجل الضخم القوى من كنفار العجم .

(٧) الحين : الملائكة .

(٨) الفجاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلتين ، والأطواد : جمع طود

وهو الجبل العظيم . وسملايا : ويقال سملايا : أعلى جبال الدنيا . في الشمال من الهند .

أيها المشنوق

وقال فيمن شنق في الأسمانة من أول الثورة الربيعية ،
التي حدثت في ١٢ مارس سنة ١٩٢٥ :

يا ما كنا وهو مشنوق على عمد	لأنت أبلغ من نادى ومن خطبا
كم فيك بأيها المصلوب من عبر	للناس حيرن من أملى ومن كتبنا
إذ قتت تطلب شيئاً أنت جاهله	طوعاً لمن خان أو سمعاً لمن كذبا
طالبت بالشرع حتى قد قتلت به	كذلك من جهل الشيء الذي طلبا
ولو أجبته إلى ما أنت طالبه	لأصبح الشرع يدعو الويل والحرابا ^(١)
يا ظالم الشعب مظلوما بفعلته	عليك أم منك يبكي الشعب مفتوحا
قد قتت للشر لا للشرع منتصبا	حتى علوت به في الجو منتصبا
فاشكر علوك إذ يعلو به وطن	قد كدت توردته من فعلك العظبا
يا مفسدا قام تحت الدين مستترا	ليجعل الأمر في البلدان مضطربا
أنظر إلى ذلك المصلوب متعظاً	فإنما قتله في الشرع قد وجبا
وآية الله في التنزيل قائلة	من كان يفسد في أوطانه صلبا

بين اليأس والرجاء

ترى مُقلتي ما ليس تملكه يدي	وما زلت أسعى مُنفض الكف مُحوجا
أرى بابَ رزقي من بعيد مُفتحا	فأتيه ولا جأ فألفيه مُرتجبا
وأيأس أحيانا وأرجو فلم أكن	لأملك من شيء سوى اليأس والرجا

(١) الحرب ، بفتح الراء : الهلاك والويل .

جواب عن كتاب

قَسَمًا بِالْإِلَهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّ قَلْبِي عَنْ حُبِّكُمْ مَا تَحَنَّى
لَاوَلَا عَنْ هَوَاكَ لِي مِنْ سُلُوبٍ طَرَدْتُ مُهْجَتِي السَّوَاءَ فَوَلَّى
أَنْصُرُ الْعَاضِلِينَ ثَابِتَ حَبِي وَكُنْتُ شَاهِدًا بِدَمْعِي عَدَلًا
مَا عَسَى أَنْ يَضُرَّ إِنْكَارُ شَيْءٍ وَهُوَ كَالشَّمْسِ فِي الْعِيَانِ تَجَلَّى
عَذَلُونِي فَمَا سَمِعْتُ فَقَالُوا : أَنْتَ سَأَلِ عَنْ حُبِّهِمْ ؟ قُلْتُ : كَلَّا
كَيْفَ يَسْأَلُ عَنْ حُبِّكُمْ ذُو قُوْدٍ قَدْ تَلَّاشِي فِي حُبِّكُمْ وَاضْمَحَلَا
لَمْ يَزَلْ فِي الْوَدَادِ يَرْقُبُ قَلْبِي ذِمَّةً فِيكُمْ وَعَهْدًا وَإِلَا^(١)
أَيُّهَا الْمُنْتَظَرُ مَوْنُ الْمَعَالِي فَائِزًا مِنْ قِدَاحِهَا بِالْمَعَالِي^(٢)
نَسِمَاتٌ مِنَ الْمَسَرَّةِ هَبَّتْ وَهَلَالٌ مِنَ السَّعَادَةِ هَلَا
يَوْمَ رَافِيَ إِلَيَّ مِنْكَ كِتَابٌ فِيهِ آيَاتُ فَضْلِكَ الْجَمُّ تَتَلَّى
قِيلَ لِي : هَاكَ مَا يَزِيدُكَ شَوْقًا قُلْتُ : أَهْلًا بِمَا أَتَيْتَ وَسَهْلًا
قَالَ : نَلْتَ الْمُنَى، فَقُلْتُ : جَمِيعًا قَالَ : لَوْلَا فِرَاقُهُمْ : قُلْتُ : لَوْلَا

الغنى عنى النفس

لَا تَشْكُ النَّفْسُ يَوْمًا عُسْرَةَ الْحَالِ وَإِنْ أَدَامَتْكَ فِي هَمٍّ وَبَنَابَلٍ
وَجَانِبِ الْيَأْسِ وَأَسْلُكُ الرِّجَا طُرُقًا فَالْهَرَمُ مَا بَيْنَ إِدْبَارٍ وَإِقْبَالٍ
وَارْكَبْ عَلَى صَهَوَاتِ الْجَدِّ مَغْتَرِبًا فَمَا تَحَاوَلِ ذَا حَلٍّ وَتَرَحَّالٍ
وَاطْلُبْ عَلَى عِزِّهِ بَيِّضَ الْأَنْوَقِ وَلَا تَطْلُبْ لَعَمْرُكَ أَنْ تَحْظِيَ بِمُفْضَالٍ
لَمْ يَبْقَ غَيْرُ الَّذِي غُلَّتْ أَنْعَامُهُ إِمَّا بِأَغْلَالِ شُحٍّ أَوْ بِإِقْلَالِ

(١) الإل : العهد .

(٢) الذنون جمع منن ، وهو الظهور .

كم قد غدوت على الأيام منتدباً
أفعلهم دون أن يغري الرجاء بها
من كل هي بن بي لا ثبات له
كم بات ذو الحق خلوا في مضاجعه
هذا يميمس بأبراد مفوقة
قوماً أضعت بهم شعري وآمالى
لكن أقوالهم أقوال أقيال^(١)
جعد اليدين قول غير مفعال^(٢)
وبات ذو العقل فيها كالف البال
وذا يخيط شظايا طمره البالى^(٣)

وقال

شوقى إليك قريب لا ينائينى
ياراحلاً وفؤادى فى حقيته
تركنتى فى شجونى للورى مثلاً
أقفوا الملاح لكى أسلو هواك بهم
والصبر عنك بعيد لا يدانينى
رهنأ لديه ولكن غير مضمون
يمتني الوجد والأشواق ثمينى
فيرجع الحسنى منهم فيك يغرينى^(٤)

شكر على صنيع

شكراً لفضل ممجد أهدى إليه نظم شعري
فاق الأماجد وامتطى بالعز صهوة كل فخر
إنى اختبرت بنى الزمان جميعهم فى كل أمر
وسبرت غورهم لدى الحائنين من عسر ويسر
وبكفت تجربتى لهم قلبتهم بطنا لظهر
فوحق من أرجوه فى دفع الخطوب وكل ضر
ما إن رأيت بهم فتى حسن السريرة مثل (شكرى)
المرتقى فى المكرما ت إلى المقام المشمخر

(١) الأقيال : جمع قبل ، وهو لقب للملك الصغير دون الملك الأعظم فى بلاد اليمن .

(٢) رجل هي بن بي : أى مجهول لا يعرف هو ولا أبوه .

(٣) ماس : مسمى فى اختيال . مفوقة مقوشة بنقوش بيض . الطمر : الثوب البالى .

(٤) أقفو : أنذبح .

يرعى الذمار على كلاً الـ حائنين من سر وجهه
إذا الإخاء المستقـر وإذا الوفاء المستمر
جاء الكتاب إلى منك به شفقت غليل صدرى
فإليك يا (شكرى) على هذا الصنيع عظيم شكرى
وقال

- لَمَنِ الدِّيارُ يَبْتَغِ فِي الصَّحاحِ
عَبَثَ بِهَا أَيْدَى الْبَلَى فَتَرَ كُنْهَا
وَلَقَدْ وَقَفْتُ بِهَا الْمَطَى مُسَائِلًا
أَقْتَفَى آثَارًا لَهَا دَوَارِسًا
لَمَّا تَبَيَّنْتُ الْعَالَمَ هُمْدًا
فَسَقَاكَ مَرْتَكِزُ الْفَائِزِ صَوْبَهُ
حَيَّ الدِّيارُ وَإِنْ تَحْمِلُ أَهْلُهَا
عَهْدِي بِهَا وَالْعَيْشُ أَخْضَرُ نَاعِمٍ
مَعْنَى أَيْقَانًا لِلْحَسَنِ وَرَرْضَةً
كَمْ قَدْ لَثَمْتُ بِهَا الْمُرَاشِفَ آخِذَا
وَلَكُمْ لَهْوَةٌ مِنَ الْحَسَنِ بِغَادَةٍ
هَلْ عَائِدَةٌ زَمَنٌ أَتَيْتُ مَعَ الْمَهْأِ
قَدْ بَتَ فِيهِ ضَجِيعُ كُلِّ غَرِيرَةٍ
أَيَّامَ تَحْضُرُنِي بِمَضَارِ الصَّبَا
- (١) لَعِبَتْ بَيْنَ رَوَامِسِ الْأَرْوَاحِ
(٢) فِي الْعَيْنِ أَخْفَى مِنْ دَرِيسِ نَصَاحِ
(٣) شَجَرَاتٍ وَادِيهَا وَهْنِ ضَوَاحِ
(٤) كَانَتْ إِلَيْهَا غُدُوَّتِي وَرَوَاحِي
(٥) هَطَلَتْ مَدَامِعُ طَرْفِي السِّفَاحِ
غَدَقًا بِكُلِّ عَشِيَّةٍ وَصَبَاحِ
عَنْهَا وَأَمْسَتْ مَوْحِشَاتُ بَطَاحِ
وَالشَّمْلُ تَجْمَعُهُ يَدُ الْأَفْرَاحِ
نَبَتَتْ بِكُلِّ رَوْضَةٍ وَأَقَاحِي
بِهَضِيمِ خَصْرِ جَالٍ تَحْتَ وَشَاحِ
لَمِيَاءٍ تَرُشِفُنِي شَمُولُ الرِّاحِ
مَا شِئْتُ مِنْ لَعَبٍ بِهِ وَمَزَاحِ
رُؤْدُ الشَّبَابِ مِنَ الْخَرَادِ رَدَّاحِ
فَرَسَ الشَّبَابِ وَهِيَ ذَاتُ جِمَاحِ

(١) الصحاح : المستوى الأجرد من الأرض . والروامس . التي تأتي بالتراب فتدفن فيه ما تقابله والأرواح : الرياح .

(٢) الدريس : البالي . والنصاح : ما يخط به الثوب من خيط ونحوه .

(٣) الضواحي : البارزات للشمس . (٤) أقتاف : أتبع .

(٥) المرتكز : المقيم الثابت . والصوب : المطر . والغدق : الكثير .

(٦) اللمياء : السوداء الشفة ، وهي محببة لدى العرب . ترشفتي : تسقيني . والشمول : الباردة .

(٧) الغريرة : غير المجربة . والرؤد : الشابة الحسنة . والخراد : الأبكاء . والرداح : الثامة الخناق .

ومنها في وصف بعضهم :

رَكَضُوا بِمِيدَانِ التَّحَاسُدِ حَيْلَهُمْ وَسَبَّوْا مِنَ الْأَعْرَاضِ غَيْرَ مُبَاحٍ
لَبَسُوا النِّفَاقَ لَمْ دُرُوعًا وَاعْتَدَوْا يَتَطَاعَنُونَ مِنَ الْخَنَاءِ بِرِمَاحٍ
أَضْحَوْا كُفَاةً وَشَايَةً وَسَعَايَةً وَمِنَ انْضَغَائِنِ هُمْ شُكَاةٌ سِلَاحٍ^(١)
كَالْجَاهِلِيَّةِ غَيْرَ أَنَّ مُغَارَهُمْ فِي نَهَبِ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَجُنَاحٍ^(٢)
إِصْلَاحَهُمْ أَغْيَا الْعُقُولَ لِأَنَّهُمْ خَلَقَتْ مَفَاسِدُهُمْ أُغْيَرُ صِلَاحٍ
مَنْ كُلِّ مَرْتَكَبِ الشَّنِيعِ وَلَمْ يَكِدْ يَنْتَنِيهِ عَنْهُ إِذَا لَحَاهُ اللَّاحِي
أَهْدَى بِطَرُقِ الْمُخْزِيَّاتِ مِنَ الْقَطَا وَأَضْلُ مَنْ آمَنُوا بِسَجَاحٍ^(٣)

ليالى الأنايس

ذَكَرْتُ وَأَسْتُ فِي الذِّكْرِ بِنَاسٍ لِيَالِي بَيْتِنِ بَيْمِيَّةٍ حَاسٍ
بِنَادٍ تَزْدَهِيكَ بِهِ انْتِظَامًا مُقَابِلَةُ الْأَسْرَةِ بِالْكَرَاسِي
بِهِ اجْتَمَعَتْ غَطَارِفَةُ كِرَامٍ أَبَوَا شَيْمِ التَّخَالِفِ وَالشَّمَّاسِ^(٤)
يَطُوفُ عَلَيْهِمْ رَشَاءٌ رَخِيمٌ يُغَازِلُ مُقْلَتَيْهِ فَمُ النَّعَّاسِ^(٥)
بِرَاحٍ فِيكَ تَبْتَعُ ارْتِيَا حَاً وَتَنْسِفُ طَوْدَ هَمِّكَ وَهُوَ رَاسِي
يَسْبُ لِمَرْجَبِهَا بِالمَاءِ وَقَدْ تَكَادَتْهُمْ مِنْهُ إِلَى اقْتِبَاسٍ
تُمِيتُ هُمُومَ شَارِبِهَا سُرُورًا فَتَدْفِنُهُنَّ فِي حُفَرِ التَّنَاسِي

(١) الكفاة : جمع كفى ، وهو البطل الشجاع يلبس الدروع ، والشكاة بضم الشين : جمع شك ، أى شاكى السلاح ، وهو من الشوكة والحدة .

(٢) المفارقة : الاغارة ، والجناح : الأثم .

(٣) القطا : نوع من الطير اشتهر عند العرب بمعرفته الطريق ، وسجاح : هو من تبتثوا كذبا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٤) الغطارفة : جمع غطريف ، وهو السيد الكريم ، والشماس : المخالفة والعناد .

(٥) الرشأ : ولد الظبي ، والرقيم : الرقيق .

وصاحِ وَجَّهَ الندماءِ كَأَسَا إليه فقال : لست لها بحاس
وغالى فى الإباءِ فحَارَسُوهُ فَلَانَ أَيْبُهُ بعد الميراس
فقال وقد مشت فيه ودبَّتْ ديبَ الماءِ فى وَرَقِ الغراس^(١)
لَعَمْرُكَ إِنْ فى الصَّهْبَاءِ معْنَى دقيقاً ليس يُعرَفَ بالقياس

الشمس

كَأَنَّ الشَّمْسَ باخِرَةً تَحُورُ تُجِدُ السَّيْرَ فى بحرِ الفضاء
ستغرق بعد حين باصطدام يمزق جِرمها أو بانطفاء^(٢)

رئيس الدائنية

الشيخ محمد أبو عبيد الدائني

الدهرُ بينَ فى كتابِ شهادةٍ بالنورِ فوق جبينه مكتوبِ
إِنْ السَّاحَةِ والشَّجَاعَةِ والعُلَى جُمِعَتْ لَعَمْرَى فى أبى عبيد
شَهْمٌ تَوَاعَى بالعطاءِ بَنَانُهُ مثلُ الرياحِ تولَّعتْ بهُبوبِ
أَسَدٌ نَمَّتْهُ لآلِ قَيْسٍ فى العُلَى آباءِ مجدٍ ليس بالمكذوبِ
ورث المكارم عن أبيه ولم يزلْ يسمو بصَّارمِ عَزْمَةِ المرْهُوبِ
ما زال يُوقِدُ كلَّ يومٍ فى الورى نارَيْنِ نارِ قِرَى ونارِ حروبِ^(٣)
يَهْدِيْ جَمْعَ المُدْلِجِينَ لِسَيْبِهِ فى الليلِ ضوءَ لهيبها المشبُوبِ^(٤)
خُلِقَتْ من الحسبِ الصِّمِيمِ أَكْفُهُ لعنانِ سابقَةٍ وكشفِ كروبِ
حَدَّثَ وَقَائِعَهُ السِّیُوفُ بِكُفِّهِ والخيالُ كلُّ مُطَهَّمٍ يَعْبوبِ^(٥)

(١) الغراس : النبات مغروسا فى الأرض . (٢) الجرم : الجسم .

(٣) القرى : ما يقدم للضيف . (٤) المدج : انبأثر الليل كله أو آخره .

(٥) المطهم : التام الحسن ، اليعبوب : الفرس السريع الطويل .

إنَّ شَنَّ فوقَ ظُهورهنَّ إغارةً تركَ العدوَّ بِلَوْعَةِ المَحْزُوبِ^(١)
يَأْتِي الفِوارِسَ والسَّكِينَةَ دِرْعُهُ ويَخْوضُ نَحْرَ المَوتِ غيرَ شَيُوبِ
فَخَرُّ الكِرَامِ على المِكارِمِ والنَّدَى قامتِ دَعائِمُ بيتِه المَضْرُوبِ
لِلجُودِ مغلوباً تراه ولم يكن للجيشِ في الغزواتِ بالمَغْلُوبِ
يَتَفَقَدُ الأَضْيافَ ملءَ دياره عندَ الصِّباحِ وعندَ كلِّ غروبِ
كالعَبْدِ يَخْضَعُ للضُّيُوفِ وإِنِّه في القومِ أَكْبَرُ سَيِّدٍ مَعْصُوبِ^(٢)
عَمَّ الأَراملَ واليَتامى سَيِّبُهُ فَعَدَّتْ تَعيشَ بِمالِه المَوْهُوبِ
خُلِقَ الكَرِيمُ ابنُ الكِرَامِ مُحَمَّدٌ لِسُرورِ مَحْزُونٍ وَجَبَرِ قُلُوبِ
تَالَهُ لو كانَ الكِرَامُ بِلَاغَةِ كانَ الكَرِيمُ المُعْجَزَ الأَسْلُوبِ

راقم

وما أدراك ما راقم

أَقِمِ في الأَرْضِ صَرْحاً من ضِيَاءِ بِحَيْثُ يَمَسُّ كُرْسِيَّ السَّمَاءِ^(٣)
وَبَعْدُ فَجَسَّمِ العِرْفَانَ شَخْصاً تَرَدَّى المَجْدَ فَضْفَاضَ الرِّدَاءِ
وَفِي يُسْرَاهِ ضَعَّ لَوْحَ المَعَالِي وَفِي يُثْمِنَاهِ ضَعَّ قَلَمَ الذِّكَاةِ
وَأَجْلِسْهُ على الكُرْسِيِّ يَمْحُوْ وَبُثِّبَتْ ما يَشَاءُ مِنَ العِلامِ
وَقِفْ وارْفَعْ إِلَيْهِ الطَّرْفَ وانْظُرْ فَذَلِكَ رَاقِمٌ رَبُّ الدَّهَاءِ

أَلَا يَا كَعْبَةَ الفَضلاءِ يَا مَنْ فَضائلُهُ عَظُمْنَ بِلا انْتِهَاءِ
أَهَمُّ بَأَنٍ أَحْيَطَ بِهِنَ وَصفاً وَمَنْ لِي بِالْإِحاطَةِ بِالْفَضَاءِ
وَأَقْدَمُ أَنْ أَنِمْ عَلاكَ مَدْحاً فَيَرْجِعَنِي عَلاكَ إِلَى النُّورِ

(٢) معصوب : متوج .

(١) المحروب : المصاب بالشم .

(٣) أصرح : البناء الدالي .

وبمؤقفي الثناء عليك من
وما انتقدت ذكاء بما يداني
ولو كانت أشعتها تُحاكي
بفكرك دوحة العرفان تنمو
وأقسم لو تكون من الدارارى
ولولا الصبح يطالع كل يوم
لأنك فوق توفية الثناء
ذكاءك يا إمام الأذكاء^(١)
شعاعك ما انكسرن من الهواء
كذا الأدواح تنمو بالضياء^(٢)
لكنت الشمس في كبد السماء
لقلت الصبح أنت بلا وراء

نقش على الماء

أرى عيشنا تأبى المنون امتداده
وما زال وجه الأرض بوسع الردى
كأن انقلاب الأرض ماء كأننا
لحا الله دنيا كل يوم بأهلها
تروح سهام العيش فيها طوائشا
تمد إلى قطف المسنى وهي جمّة
ونرجو ومن سيف الردى فى رجائنا
وأجمل وجه العيش لو لم يكن به
دهانا لأرى الموت سهم مقرّص
كأننا على كيس المنون نعيش
لطاماً وهاتيك القبور خدوش
على الماء من ربح الحياة نقوش
يهد حصون أو تشل عروش
ولاموت سهم لا يكاد يطيش
من العمر كفاً لا تكاد تنوش^(٣)
جراحات يأس ما هن أروش^(٤)
حتانئك من ظفر الخطرب نخوش
تجيف بأدواء الحياة مريش^(٥)

(١) ذكاء : الشمس .

(٢) الدوحة : الشجرة العظيمة .

(٣) تنوش : تمتد .

(٤) الأروش ، جمع أروش : دية الجراحة

(٥) المقرّص : المسدد للهدف ، التجيف : السهم العريض النصل ، المريش ذو الريش .

لَعَمْرُكَ إِنْ الدَّهْرَ تَغْلِيْ خَطْوُهُ
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا لِلْخَلَائِقِ مَنْضُجٌ
كَأَنَّ جِيُوشَ الْمَوْتِ رَافِقَةٌ بِهَا
وَمَنْ نَظَرَ الدُّنْيَا بَعَيْنَ اعْتِبَارِهِ
وَإِنْ عَوِيلَ الصَّارِخِينَ نَشِيشٌ^(١)
لَهُ مِرْجَلٌ بِالْحَادِثَاتِ يَجِيشُ
فَتَزْحَفُ مِنَّا لِلْحُرُوبِ جِيُوشُ
تَسَاوَتْ مُهُودٌ عِنْدَهُ وَنُعُوشُ

هوة الموت

كَأَنَّ حَيَاتِنَا جِبْلٌ مُّتَالٍ^(٢)
مَشِينًا فَوْقَهُ نَحْمِيَا فُظِّلَتْ
كَأَنَّ فُضَاءَ هَذَا الْكَوْنِ بَحْرٌ
وَنَحْنُ لَدَى تَمَوُّجِهَا كَأَنَّا
تَبَيَّنَ تَارَةً وَتَغَيَّبَ أُخْرَى
فَشَأْنَانَا التَّفَرُّقُ وَالشَّتَاتُ
عَلَى مَهَوَّاتِهِ وَهِيَ الْمَمَاتُ^(٣)
تَهَاوَى نَحْوَ هَوَاتِهِ الْمَشَاةُ
تَمَوَّجٌ فِيهِ هَذِي الْكَائِنَاتُ
فَوَاقِعُ ظَاهِرَاتٍ خَافِيَاتُ^(٤)

وقال

رَقَّتْ بِوصْفِ جَمَالِكَ الْأَقْوَالُ
وَهَبَ إِلَهِهُ بِكَ الْجَمَالَ تَجَمُّلاً
كُلَّ الْعَيُونِ إِذَا بَرَزَتْ شَوَاحِصُ^(١)
وَإِذَا الْخَلِيَّ رَأَى عَادَ بِمُهْجَةٍ
كَمْ قَدْ سَفَرَتْ فِي الْقُلُوبِ تَوَلَّهُ
فَرَمَوْكَ بِالْأَبْصَارِ وَهِيَ كَلِيلَةٌ^(٢)
رَبَطُوا الْأَكْفَ عَلَى ضُلُوعِ تَحْتَهَا
لَوْ كُنْتُ فِي أَيَّامِ يُوسُفَ لَمْ تَكُنْ
وَرَأَيْتُكَ فَأَفْتَدَيْتُ بِكَ الْعُدَالَ
حَتَّى كَأَنَّكَ لِلْجَمَالِ جَمَالُ
كَيْفَا تَرَكَ وَغَضَّيْنِ مَحَالُ^(٣)
لَا وَجَدَ مَحْتَرَقٌ بِهَا وَجَمَالُ
لَمَّا رَأَوْكَ فِي الْعُقُولِ خَبَالُ
مِنْ نُورٍ وَجْهِكَ نُورُهُنَّ مُدَالُ^(٤)
بَيْنَ النَّوَاطِرِ وَالْقُلُوبِ جِدَالُ
بِجَمَالِ يُوسُفَ تُضْرِبُ الْأُمَثَالُ^(٥)

(١) النشيش : صوت الماء وغيره إذا غلى .

(٢) المهوى : موضع الهوى ، أى السقوط .

(٣) والفواقيع : الفقايع .

(٤) شواخص : ناظرات .

(٥) الكليّة : المنعبة ، ومذال : مهان .

وَلَقَطَعْتَ دُونَ الْأَكْفِ قُلُوبَهَا شَوْقًا إِلَيْكَ مَعَ النِّسَاءِ رِجَالُ
كَمْ قَدْ يَجُورُ عَلَى جَفُونِكَ سَقَمُهَا كَسْرًا وَتَجْهِدُ خَصْرَكَ الْأَكْفَالُ
عَجَبًا لَطَرَفِكَ وَهَوَا ضَعْفَ مَا أَرَى يَرْنُو فَتَرْهَبُ فَتُكِّهِ الْأَبْطَالُ

وقال

قَامَتْ تَمِيسُ بِأَعْطَافٍ وَأَوْرَاكِ رَقَصًا عَلَى نَعْمَاتِ الْقَوْلِ الْحَاكِ
حَوَاءُ جَاءَتْ وَكُلُّهُ فِي مَسَرَّتِهِ لَاهٍ وَرَاحَتْ وَكُلُّ طَرَفِهِ بَاكِ
شَكُوتٍ مِنْ خَصَرِهَا ضَعْفًا وَقَلْتُ لَهَا

مَلِيكَةَ الْحُسْنِ هَلْ عَطَفْتُ عَلَى الشَّاكِي
فَاسْتَضَحَكْتُ وَهِيَ تَجْنِي الْوَرْدَ قَائِلَةً

مَا أَحْسَنَ الْوَرْدَ قُلْتُ : الْوَرْدُ خَدَاكِ

وَقُلْتُ : أَهْوَى فَقَالَتْ بِالْذَّلَالِ : وَمَنْ
وَاسْتَحْلَفْتَنِي عَلَى قَلْبِي فَقُلْتُ لَهَا :
سَحَرْتُ بَعِينِيكَ يَسْتَهْوِي الْقُلُوبَ وَمَا
يَارِبَةَ الْحُسْنِ هَلَّا تَعْطِفِينَ عَلَى
مَا أَطْيَبَ الْعَيْشَ فِي الدُّنْيَا لَوِ اتَّصَلَتْ
الْحُسْنُ يَفْتَنُ وَالْأَلْحَاطُ فَاتِكَةُ
تَهْنَفُو بِقَلْبِي أَشْوَاقِي فَأَمْسِكِهِ
إِنِّي وَعِنْدِي بَكْنِهِ الْحُسْنُ مَعْرِفَةُ
أَمْسِي غَرَامُكَ يَجْرِي فِي عُرُوفِ دُمِي
تَهْوَى ؟ فَقُلْتُ لَهَا : إِيَّاكَ إِيَّاكَ
يَهْوَاكِ ، إِي وَجَلَالَ الْحُسْنِ يَهْوَاكِ
يَنْفَكُ فِي هَتَكَ عُمَادٍ وَنُسَاكِ
مِنْ بَاتِ سَهْرَانٍ مَشْغُولًا بِذِكْرَاكِ
أَسْبَابُ دُنْيَايَ مَعَ أَسْبَابِ دُنْيَاكِ
وَاحْيَرْتَنِي بَيْنَ فِتْنَانٍ وَفِتْنَاكِ
لَمَّا أَرَاكِ وَهَلْ يَشْفِيهِ إِمْسَاكِ
مَارَاقِنِي قَطُّ مِنْ شَيْءٍ كَمَرَاكِ
كَالْكَهْرْبَاءِ الَّتِي تَجْرِي بِأَسْلَاكِ

المسكتب

تَصَوَّرْ حَدَائِقَ فِي بَهْجَةٍ	تَرُوقُ فِي نَضْرَةٍ تَعْجَبُ
تَرَقَّرَقُ فِيهَا مِيَاهُ الْعُلُومِ	جَدَاوِلَ تَجْرَى وَلَا تَنْضُبُ
وَهَبَّ عَلَيْهَا نَسِيمُ الْقَمُونِ	يَرُوحُ وَيَغْدُو بِهَا يَلْعَبُ
فَأَضْحَتْ وَأَرْضُ كَمَالِهَا	بَنَيْتِ الْحَقَائِقَ تَعْشُوشِبُ ^(١)
وَأَمْسَتْ وَإِنْ ثَمَارَ الْعِلْمِ	لِأَشْجَارِ عِرْفَانِهَا تَنْسُبُ
وِطَارَ الْفَخَارُ بِأَرْجَائِهَا	بِلَابِلُ تَغْرِيدِهَا مَطْرَبُ
فَلِمَجْدُ وَجْهِ طَلِيقِهَا	وَالسَّعْدُ ثَغْرِهَا أَشْنَبُ
غَذَاهُ النُّفُوسُ وَطِبَّ الْعُقُولُ	وَحَفِظَ الْجُسُومَ بِهَا يُطْلَبُ
فَتَلِكْ إِذَا مَا تَصَوَّرَهَا	جَلِيًّا لَعَمْرِي هِيَ الْمَسْكَبُ

أقبلت في غلائل

سَيُوفُ الْحَاظِ أَمْ قَسِيٍّ حَوَاجِبِ	تَرِيشُ إِلَى قَلْبِي سِهَامَ الْمَعَاطِبِ ^(٢)
وَرُبَّ كَعَابٍ أَقْبَلَتْ فِي غَلَائِلِ	وَقَدْ لَاحَ لِي مِنْهَا حُلِيٌّ التَّرَائِبِ ^(٣)
لَهَا جِيدٌ ظَبِيٌّ وَاعْتِدَالٌ وَشِيجَةٌ	وَعَيْنٌ مَهَابَةٌ وَاتِّلَاقُ الْكَوَاكِبِ ^(٤)
وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنْ أَوْلَى الْهَوَى	يُنَادُونَهَا فِي الْحَسَنِ بِنْتَ الْعَجَائِبِ
نَضَّتْ عَنْ مُحَيَّاها النَّقَابَ عَشِيَّةً	فَأَسْفَرَ صَبْحَ الْحُسْنِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَمَذْنُورَتْ سُودَ الذَّوَائِبِ أَوْ لَجَتْ	نَهَارَ مُحَيَّاها بَلِيلِ الذَّوَائِبِ
تَنَاسَبَ فِيهَا الْحُسْنُ حَتَّى رَأَيْتُهَا	تَفُوقُ الدُّمَى فِي حَسَنِ ذَلِكَ التَّنَاسَبِ

(١) تعشوشب : يذكر فيها العشب .

(٢) ريش : ريش : عمل له ريشا . والمعاطب : المبالاك .

(٣) الترائب : وهي جم تريبة : أعلى الصدر حيث يوجد العقد .

(٤) الجيد : العنق ، والشيجة : الرمح ، والمهابة : البقرة الوحشية .

مَمْتَرَةٌ الْأَجْفَانِ تَدْمِي بِحَظْمِهَا قُلُوبَ أَسْوَدٍ مَدْمِيَاتِ الْكِتَابِ
فَلَمْ أُنْسَهَا وَاللَّهِ يَوْمَ تَعَرَّضْتُ لَنَا بَيْنَ هَاتِيكَ الظُّبَاءِ السَّوَارِبِ^(١)
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي مَا الصَّبَابَةُ قَبَائِمَا وَلَا هَمَّتْ يَوْمًا فِي الْحِسَانِ الْكَوَاعِبِ
فَأَصْبَحْتُ فِيهَا ذَا غَرَامٍ وَلَوْعَةٍ وَوَجَدْتُ وَتَهِيَامَ وَهَمٍّ مُوَاطِبِ
وَمَا الصَّبْرُ إِلَّا غَائِبٌ غَيْرُ حَاضِرٍ وَمَا الشُّوقُ إِلَّا حَاضِرٌ غَيْرُ غَائِبِ

كل امرئ وصديقه

تَحَرَّ إِذَا صَادَقْتَ مَنْ وَدَّهَ مَحْضٌ يُصَانُ لَدَيْهِ الْمَالُ وَالْدِينَ وَالْعَرِضُ
فَكُلُّ خَلِيلٍ مُنْبِيٍّ عَنْ خَلِيلِهِ كَمَا عَنْ شُتُونِ الْقَلْبِ قَدْ أَبَا النَّبِضُ
وَبِالْعَمَلِ عَامِلٌ مَنْ تُحِبُّ مِنَ الْوَرَى وَإِلَّا فَذَلِكَ الْحُبُّ آخِرُهُ بَغْضُ
وَسَامِحٌ صَدِيقًا قَدْ أَسَاءَ بِفَعْلِهِ ثَلَاثًا عَسَى عَنْ ذَلِكَ الْفَعْلِ يَنْقُضُ
وَبَعْدَ ثَلَاثٍ دَعَاهُ غَيْرُ مُسَامِحٍ فَرَقَضُ الَّذِي دَامَتْ إِسَاءَتُهُ فَرَضُ
وَقَوَّ أَسَاسَ الْوَدِّ بِالنَّدَى فَالَّذِي عَلَى جُرْفٍ هَارٍ يُؤَسِّسُ يَنْقُضُ^(٢)
وَإِنْ وَمَضَتْ لِلخَلِّ مِنْكَ سَحَابَةٌ فَلَا يَكُ مِنْهَا خُلْبًا ذَلِكَ الْوَمَضُ

النفس الأمارّة

نَهَيْتُكَ عَنْ هَوَاكَ فَمَا انْتَهَيْتِ وَلَكِنْ قَدْ فَعَلْتَ كَمَا اسْتَهَيْتِ
فَيَا نَفْسِي عَنْ الشَّهَوَاتِ كَفِي فَأَنْتِ عَلَيكِ يَا نَفْسِي جَنَيْتِ
وَمَا أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ يَوْمًا سَعَتْ فِي الْمُنْكَرَاتِ كَمَا سَعَيْتِ
إِذَا مَا حَكَبَةُ الْحَسَنَاتِ جَامَتْ رَأَيْتُكَ أَنْتِ صَاحِبَةُ السُّكَيْتِ^(٤)
فَإِنْ أَسْدَى إِلَهُ عَلَيْكَ عَفْوًا وَإِلَّا يَا فَجَارٍ فَقَدْ هَوَيْتِ

(١) السوارب : جمع سارية ، أى الناهبة ، أى المرعى .

(٢) الجرف : الجانب الذى أكله الماء من حاشية النهر ، الهارى : المنهار .

(٣) ومض البرق : لمع خفيفا ، والحلب : الخادم . (٤) السكيت : آخر خيل الحنبلة .

الأنس في غير موقعه كندر

وصاحب قد دعانا أن نُلِمَّ به
في ليلةٍ كانت فيها الحرُّ مُتَّقِداً
وكان ذلك في دار يضيق بها
كأنها مَفْحَصٌ تَأْوِي القِطَاةُ له
فما عَهِدَتْ طَرُوباً قبل زَوْرَتِهَا
ومُطَرِّبات الأغاني وهي واقعةٌ
مستأنسين بضرب العود والوتر
ترمي جَهَنَّمُ الأجسام بالشرر
صدرُ الأغار يدمن ضيقٍ ومن صغر
أو جُحْرٌ ضَبَّ بأرض صُلْبَةِ الحَجَرِ^(١)
تلقاه من نغمات العود في صَجَر
في غير موقعها ضرب من الكدر

وقال

إلى كم تَصُبُّ الدمعَ عَيْنِي وتَسْكُبُ
أَيْتٌ ولى وَجَدٌ يُشَبُّ ضِرَامُهُ
وهل لِمَشُوقٍ خانه الصبرُ عنكم
أَلَا إن يوماً جَرَّدَ البَيْنُ سَيْفَهُ
فِيالَيْتَ شِعْرِي هل أَفُوزُ بِرُؤْيِي
وعَيْنِيكَ لَا أَسْلُوكِ أَوْ يُصْبِحَ السَّهْمَا
فإني كما شاء الهوى بكِ مُغْرَمٌ
أَحِنَّ إلى رُؤْيَاكمُ كُلِّمَا سَرَى
وأذْكُرُكمُ للشمس عند طُلُوعِهَا
لقد بانَ صَبْرِي يومَ بَيْنِكِ إِذْ قَضَى
تَبَصَّرَ خَلِيلِي في الزمان فهل تَرَى
ومَنْ نَظَرَ الدُّنْيَا وَجَرَبَ أَهْلَهَا
وَحَتَّامَ نَارِ البَيْنِ في القلبِ تُلْهَبُ
ودمعٌ له في عَارِضِي تَصْلبُ
سوى دَمْعِهِ فهو الدواء الجَرَّبُ
على به يومٌ شديدٌ عَصَبُصَبُ^(٢)
مُحْيَاً له كُلُّ الحاسنِ تُنْسَبُ
وشمسُ الضحَى في ضَوْئِهِ تَمْتَحِبُ
وأنتِ كما شاءَ الجَمالِ مُحِبُّبُ
نَسِيمٌ وَأَبْكِي كُلِّمَا لَاحَ كَوَكَبُ
وَيَعْزُبُ عَنِّي الصبرُ أَيْبَانُ تَغْرُبُ
به صَرْفُ دَهْرٍ لَمْ يَزَلْ يَتَقَلَّبُ
صَفَافِيهِ مِنْ وَقَعِ الشَّوَاثِبِ مَشْرَبُ
رَأَى الغَدَرَ مِنْ أَشْدَاقِهَا يَتَحَلَّبُ^(٣)

(١) مَفْحَصُ القِطَاةِ : بَيْتُهَا ، والقِطَاةُ : نوع من الطيور يشبه الحمام .

(٢) عَصَبُصَبُ : شديد .

(٣) يَتَحَلَّبُ : يسيل .

البصرة

إِيَّاكَ وَالْبَصْرَةَ الْمُضَيَّ تَوَطَّنَهَا فَلَا تَمَرَّنْ فِيهَا غَيْرَ مُظْطَعِنٍ ^(١)
 لَا تَعْجَبَنَّكَ بِالْأَشْجَارِ خُضْرَتُهَا حُسْنًا فَمَا هِيَ إِلَّا خُضْرَةُ الدَّمَنِ ^(٢)
 مَا إِنْ أَقَامَ صَحِيحٌ فِي مَسَاكِينِهَا إِلَّا وَسَافِرٌ عَنْهُ صِحَّةَ الْبَدَنِ
 مَا زُعَايَ وَجَوْ غَاثِمٍ وَهَوَى نَبَنَ وَشِدَّةَ حَرٍّ غَيْرَ مُؤْتَمِنٍ ^(٣)
 انْظُرْ تَجِدْ كُلَّ أَهْلِيهَا كَأَنَّهُمْ

من السَّقام استحقوا الدَّرَجَ في السَّكَنِ
 صَفَرُ الْوُجُوهِ قَدْ اِمْتَصَّتْ دِمَائُهُمُ الْسَّحْمَى وَقَدْ حَرَمَتْهُمْ لَذَّةُ الْوَسَنِ ^(٤)
 وَمِنْهَا فِي هِجَاةٍ بَعْضُهُمْ :

يَلْقَى النَّزِيلَ بَوَّجَهُ قَدْ مِنْ حَجَرٍ لَوْلَا الْعُبُوسَةُ لَمْ يُفَرَّقْ مِنَ الْوَتَنِ
 وَمِنْهَا :
 أَفِيكَ يَا غَمْرُ بَلَقَى الشَّعْرُ مَأْدَلَهُ يَا خَيْبَةَ اشْعُرْ بِلِ يَاضِيَةِ اللِّسَنِ ^(٥)
 مَالِي أَرَاكَ عَلَى الْكَرْسِيِّ مُنْتَفَخًا إِنْ كَانَ فِيكَ احْتِبَاسُ الرِّيحِ فَاحْتَقِنِ

الحر في أغسطس

قَدْ كَادَ بِالْحَرِّ هَذَا الْيَوْمُ يَصْهَرُ نَا إِذْ قَدْ بَدَأَ فِيهِ لِلرَّمْضَاءِ تَسْعِيرُ
 كَأَنَّمَا الشَّمْسُ جَاعَتْ فَهِيَ مِنْ سَعَبٍ تَشْوِي الْجُسُومَ لَهَا وَالْأَرْضَ تَنْمُورُ ^(٦)

(١) المظطعن : المسافر .
 (٢) الدمن : جمع دمنة ، وهي المزيللة .
 (٣) الزعاني : الماء الغر لا يطاق شربه .
 (٤) الوسن : النوم .
 (٥) الأمل : الأمل ، واللسن الفصاحة .
 (٦) السغب : الجوع .

البرد في كانون

لله يومٌ جاء يَلْسَعُ بَرْدُهُ فكانَ ذَرَّاتِ الهَوَاءِ عَقَارِبُ
لم تَلَقْ شيئاً فيه ليس بجامدٍ إلا احتمالَ البردِ فيه فذَائِبُ

معلقة

وقد قالها ارتجالاً

انظُرْ إلى تلكِ المَعْلَقَةِ التي سترتْ ظلامَ الليلِ بالأضواءِ
قِطْعَ من البلورِ مُحْدِقَةً بها يَحْكِيَنَّ شَكْلَ أصابعِ الحسناءِ
فكانها بدرٌ تَلَأَلَا في الدُّجَى وكأنهن كواكبُ الجوزاءِ
بل قد يُمثِّلُها الخيالُ كأنها قمرٌ أُحِيطَ بهالةٍ بيضاءِ

وقال من قصيدة

قد يَطْفَحُ المؤمُّ حتى إن صاحبه يَنْسَى الحياءَ فيغدو يدعى الكرمَ
إن الجَنَّةَ إن كانت قدَى بَصْرٍ رأى الضلالَ هُدًى واستَسَمَنَ الورما
ما لِلْغَوَاةِ ارتعوا عن غَوَايَتِهِنَّ إن لم يكِ السيفُ يعلو منهنَّ القِمما
كم من أراذلٍ أَضْعَفَها سَفَاهَتُها حتى ادَّعَتْ وهي أذُنابُ لها الشِّمَا
إن عُدَّتِ الوحشُ ما كانت ولا بقرا أو عُدَّتِ الطيرُ ما كانت ولا رَخما
ومنها :

وَالنَّاسُ كَالنَّاسِ فِي خَلْقٍ وَبَيْنَهُمْ

فِي الْخُلُقِ بَوْنٌ فَذَا أَرْضٌ وَذَاكَ سَمَا
مثلُ الجديدِ وما امتازت حقيقتهُ والقَيْنِ يَطْبَعُ مِنْهُ السيفُ وَالْجَلَمُ^(١)

(١) القَيْن : الحداد . والجلم : المقص .

وقال

يهجو بعضهم بقصيدة جاء مطلعها

اللَّوْمُ دَاءٌ فِي النُّفُوسِ عِيَاءٌ لَمْ يَشْفِ مِنْهُ سِوَى الْحِمَامِ دَوَاءُ^(١)
ومنها :

لَوْ كَانَتْ فِي الدَّأْمَاءِ كُلُّ عِيُوبِهِ بَلْ بَعْضُنَ لَأَنْتَنَ الدَّأْمَاءُ^(٢)
وَلَوْ أَنَّ فِي كُرَّةِ الْهَوَاءِ طِبَاعَهُ فَسَدَتْ فَمَاتَ بِنَتْنِهَا الْأَحْيَاءُ
أَلْقَتْ عَلَيْهِ يَدَ الزَّمَانِ مَخَازِيَا مِنْهَا تَلُوحُ بِوَجْهِهِ الْفَخْشَاءُ
وَجْهٌ أَقَامَ الدَّهْرُ فِيهِ مَنْ أَلْحَنَا سِمَةٌ فَعَادَ وَلَيْسَ فِيهِ حَيَاءُ
يَا مَاشِيَا يَحْتَالُ فِي غُلُوءَاتِهِ «أَطْرُقُ كَرِيٌّ» مَا هَذِهِ الْخِلَاءُ^(٣)
هَبْ غَفْلَةَ الْجُهْلَاءِ عَنْكَ طَوِيلَةٌ أَفَلَيْسَ تَعْلَمُ خَزِيئَتَكَ الْعِقْلَاءُ

وقال في بعضهم

تَجَنَّبَ مِنْ مَقِيمِ الرَّأْيِ قُرْبَا وَلَا تَغْتَرَّ بِالْبَدَنِ الصَّحِيحِ
وَلَا تَرْضَ الصَّدِيقَ لِحُسْنِ خَلْقِ إِذَا مَا كَانَ ذَا خُلُقٍ قَبِيحِ
ومنها :

وَذِي سَفَهٍ أَكَبَّ عَلَى الْخَازِي وَمَا قَبِلَ النَّصِيحَةَ مِنْ نَصِيحِ
تَرُوجُ الْمُخْزِيَّاتُ لَدَيْهِ حَتَّى تَبَاعَ إِلَيْهِ بِالْثَمَنِ الرِّيحُ
أَطَافَ بَغْيِهِ وَأَبَاحَ شَتْمِي وَكَانَ الشَّمُّ أَجْدَرَ بِالْمُبْنِيحِ
وَأَغْرَاهُ الضَّلَالُ فَكَانَ مِنِّي كَمَا كَانَ الْيَهُودُ مِنَ الْمَسِيحِ
ومنها :

فُتِّ فِي نَارِ غَيْظِكَ مُسْتَشِيطَا فَلَسْتُ مِنَ الْمُهْجَاءِ بِمُسْتَرِيحِ
سَاضِرِمَ فَيْكَ يَا لَكْعُ الْأَهَاجِي كَيْدَرَانِ تُشَبُّ تَجَاهَ رِيحِ^(٤)
تَجَمَّعَتْ الْخَازِي فَيْكَ حَتَّى يُعَدُّ الْمُهْجُو فَيْكَ مِنَ الْمَدِيحِ

(١) داء عياء : لا يبرأ منه . والحمام : الموت . (٢) الدأماء : البحر .
(٣) الكري : مرخم الكروان . وأطرق كري : أي خفض من اختباك وكبريائك أيها الكروان
وهذا مثل يضرب لمن تسكبر وقد تواضع من هو أفضل منه . (٤) الكع : التيم .

في المسرح

بدت في مسرح رَحْبِ البَلاطِ بِقُضْبَانٍ مَشْبُوكَةٍ مُحَاطِ
 فَبَعَالَتْ مِنْ ضَفَائِرها بِنَاجِ وَمَاسَتْ غَيْرَ ضَافِيَةٍ الرِّبَاطِ ^(١)
 وَلَا أَنْسَى تَوَرُّدَ وَجَنَّتِيهَا وَقَدْ بَرَزَتْ تَمْسِيسَ عَلَى البَسَاطِ
 فَكَلَمْنَا وَهِيَ تَخْطُرُ فِي وَقَارِ مَلِكُ الحُسْنِ يَخْطُرُ فِي البَلَاطِ
 وَقَدْ سَجَدَتْ لَهَا الْأَنْظَارُ لَمَّا أَرْتَنَا الحُسْنَ يَرْفُلُ فِي القَبَائِطِ ^(٢)
 وَكَبَّرْنَا الْمُهِيمِينَ حِينَ رَاحَتْ تَصُولُ عَلَى الضِّيَاغِمِ بِالسِّيَاطِ ^(٣)
 سَقَتْ أَعْصَابُنَا خَدَرًا وَطَارَتْ مُرْفَرِفَةً بِأَجْنَحَةِ النِّشَاطِ
 مَشَتْ مَشَى الحَمَامَةِ فَوْقَ سِلْكِ تَهَوَّلَ عَلَيْهِ أَنْ تَخْطُو الْخَوَاطِ
 وَبَارَتْ فَوْقَهُ خَفَقَاتِ قَلْبِي بِحَالَتِي ارْتِفَاعِ وَانْحِطَاطِ
 فَخَلْنَاهَا وَقَدْ خَلَبَتْ نُهَانَا تَعَلَّمْنَا الْجَوَازَ عَلَى الصِّرَاطِ

شكر ووداع

أَعِزَّنِي لِسَانًا أَيُّهَا الشَّعْرُ لِلشُّكْرِ
 وَإِنْ لَمْ تَطُقْ شُكْرًا فَلَا كُنْتَ مِنْ شِعْرِ
 وَجَنَّتِي بِنُورِ الشَّمْسِ وَالبَدْرِ كِي أَرَى
 بِمَعْنَاكَ نُورَ الشَّمْسِ يُشْرِقُ وَالبَدْرِ
 وَحُمُّ حَوْلِ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ تَطْيِيبًا بِهَا مِثْلًا حَامِ الْفِرَاشِ عَلَى الزَّهْرِ
 وَقَمُّ فِي مَقَامِ الشُّكْرِ وَانْشُرْ لَوَاءَهُ بِرَأْسِ عُمُودِ خُذْهُ مِنْ غُرَّةِ الْفَجْرِ
 فَإِنْ لِي بِرُوتِ حَقُوقًا جَلِيلَةً عَلَى فَنَبِّ يَاشَعْرُ عَنِّي فِي الشُّكْرِ

(١) الرِّبَاطُ : جمع رِبْطَة ، وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسجاً واحداً .

(٢) القَبَائِطُ : جمع قَبْطِيَّة بالضم ، وهي ثياب من الكتان ، منسوبة لقبط مصر .

(٣) المِهْيَمِينَ : المِسْطَر ، والضِّيَاغِم : جمع ضَيْفِغَم ، وهو الأسد .

فإني ببيروت أقمت لياليا
وقضيت أياما إذا ما ذكرتها
لئن تك في بغداد يادهر مذبذبا
قرأت بها درس المسكارم معجبا
فكنت بهامن باذخ العز في الذرا
وداعا وداعا أيها القوم إني
لئن أرف الترحال عنكم فإن بي
أودعكم والشوق بالصبر فأنك
أحبكم قلبي اعترافا بفضلكم
ولا غرو أن أكرمتم الضيف شيمة
ألستم من العرب الألى طارصيتهم
أطاريب نهاضون في طلب العلى
سأذكركم ذكر الحب حبيبه
فلا تحرموني من رضاكم فإنني

وربك لم أحسب سواهن من عمرى
غفرت الذنوب الماضية من البهر
على ففى بيروت كم لك من عذر
بكل كبير النفس ذى خلق حر
ومن سروات القوم في أنجم زهر^(١)
مفارقكم لآعن صدود ولا هجر
إليكم لأشواقا أحبر من الجبر
كفتك الملوك المستبدين بالأمر
وأنكر في يوم النوى حكمة الصبر
توارثتهوها عن جدود لكم غر
إلى حيث يبقى تحته طائر النسر
غطاريف سباقون فى حلبة الفخر
وأشكركم شكر الجدوب إلى القطر^(٢)
إليكم إليكم ما حيت لذو فقر

إلى إيناس الوزير

إيناس إن مزاياك التى عظمت
إخال بيتي لما جئت زائر
آنستني بخصال فيك طيبة
كم أوحشتني الليالى فى تصرفها
أدامك الله يا إيناس تذكرة
قد كان بأسو جروحاً فى دامية

صارت بها تضرب الأمثال فى الناس
كأن وجهك فيه نور نبراس
بحسبها أنعشت فكري وإحساسى
فزال إحاشها عنى « يا إيناس »
لوالد فات فضلا كل مقياس
واليوم عندى جروح ما لها آس

(١) سروات القوم : ساداتهم . (٢) الجدوب : جمع جذب « أى الأرض الماخلة . والقطر : المطر

في مآدبة آل لطف الله

مما أشد ارتجالاً في المآدب التي أقيمت للوفد
العراقي بمصر سنة ١٩٣٦ :

في آل لطف الله لطفٌ ساحرٌ في الخلق والأنظار والأفواه
لله فيهم رفعة قدرهم فلذا تسموا آل لطف الله

في مآدبة عبد الرحمن عزام بحلوان

المجد والفضل منشوران في علم على بيوت بناها آل عزام
لما حللنا ضيوفاً في مراتبهم نلنا بها كل إعزاز وإكرام
فسوف نشكرهم شكراً نخط به لمجدهم سطر إجلال وإعظام

في مآدبة حافظ عفيفي باشا

إن العفيف حافظ على العلاء محافظ
لساناه وهو طلق للدر في القول لافظ
وطرقه للمعالي مدى الحياة ملاحظ
له شمائل غر بها نزول الحفائظ
بها تنال المعالي بها تطيب المواعظ

في مآدبة نظلة الحكيم

نحن ضيوف لذات مجد مؤنل خالص صميم
لها طباع مهذبات أرق من خطرة النسيم
والحسن في خلقها العلوي كالحسن في وجهها الوسيم

إلى أبي ماجد المنديل

في معرض الشكر والوداع

أبا ماجدٍ إني عهدتك مبصرًا سرائرَ دهرٍ أعجزت كل مبصرٍ
إذا خفيتَ يوماً عليك حقيقة نظرت إليها من ذكاءٍ بمجهرٍ
وإن ليلة الخطب ادلهمت كشفها بأوضح صبح من فعالك مُسفرٍ
وتلك مزايا فيك أعلمت الورى بأن بنى المنديل أكرم معشرٍ
فهل خفيتَ حالى عليك وقد بدا « على غير شكوى » أنها حال مُقترٍ
أتيتك من بغداد لم أدر ما الذى أتى بى إلا أنتى فى تحيّرٍ
وأحل فى جنبيّ نفساً غنية وإن شقيت منى بجمانٍ مُعسرٍ
ولو كنتُ فى بغداد أَرْضى بذلكِ لما جئتُ إلا ساحباً فضلٍ مئزرٍ
ولكنني قد عفت أن أرد الغنى ونفسيَ فى قيد من الذل مُفقرٍ
وما عدل السعدونُ بى عن وفائه ولكن جرى مجرى القضاء المقدّر
وإن حديثى عنك غيرُ مرجّمٍ وإن مقالى فيك غيرُ مزورٍ
ولو أنتى بعث الثناء بنائِل لما رضيت نفسى بغيرك مشترى
سأرحلُ عن ديوانك اليوم أو غدا بعزّة لا وانٍ ولا متقهقرٍ
أودع منك اليوم حراً وإنما أسافر عن مغناك غير مُحيرٍ
وسوف ترى منى لفضلك شاكراً وإن كنت أعيا عن تمام التشكر
وأكتب للتاريخ ما أنا كاتب ليجعله أحدىثة كل مخبرٍ

الكرخي ومن كذب في منعه

أَعْبُودُ إِنْكَ ذُو فَطْنَةٍ	تَعِيشُ بِهَا عِيشَ حَرِّ سَمِيدٍ
قَرِيحَةٍ شَعْرَكَ فَيَاضَةٍ	لَهَا فِي الْأَنَاشِيدِ مَرَمَى بَعِيدٍ
أَتَيْتَ مِنَ الشَّعْرِ بِالْمُضْحَكَاتِ	وَبِالْمُبْكِيَّاتِ الَّتِي لَا تَبِيدُ
فَأَعْرَبْتَ لِلنَّاسِ عَنْ قُدْرَةٍ	لَهَا قَدْ عَنَّا كُلَّ خَصْمٍ عَنِيدٍ
تَقَدَّمْتَ فِيهَا عَلَى السَّابِقِينَ	فَمَنْ ذَا زَهِيرٍ وَمَنْ ذَا بَلِيدٍ
فَكَمْ لَكَ فِي الْمَدْحِ أَنْشُودَةٌ	مَدَحَتْ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ بِحَيْدٍ
وَكَمْ لَكَ فِي الْهَجْوِ أُعْجُوبَةٌ	صَفَعَتْ بِهَا كُلَّ غَاوٍ بَلِيدٍ
يَبَاهِي بِكَ الْكَرْخُ أَهْلَاءَهُ	وَيُبْذَنِي عَلَيْكَ بَعْدَ لَا مَزِيدٍ
وَلَكِنْ حَسَادُكَ الْخَاسِرِينَ	يَكْبِتُونَ مِنْكَ بَغِيظَ شَدِيدٍ
أَشَاعُوا نَعْيَكَ مِنْ غِيظِهِمْ	يُرِيدُونَ لِلشَّعْرِ مَا لَا يُرِيدُ
وَلَا تَبِينِ إِخْفَاقَهُمْ	لَدَى النَّاسِ عَادُوا بَغِيظَ جَدِيدٍ
فَعَشَّ وَادَعَا رَغْمَ آثَافِهِمْ	بِعَمْرِ جَدِيدٍ وَعِيشِ رَغِيدٍ

من خواطر الماضي

تَعَوَّدْتُ إِشَادَى الْقَرِيضِ الْمَهْدَبَا	وَنَزَهْتُ نَفْسِي فِيهِ أَنْ أَتَكْذَّبَا
وَمَنْ أَجَلٌ حَبِيٍّ لِلْحَقِيقَةِ لَمْ أَكُنْ	مَعَ الزَّمَنِ الْغَاوِي إِذَا مَا تَقَلَّبَا
وَمَنْ أَجَلٌ جُهْدِي فِي اسْتِقَامَةِ مَنْطِقِي	أَبَيْتُ لِرَأْيِي أَنْ يَكُونَ مُذْذَبَا
وَسَافَرْتُ فِي الْبُلْدَانِ طَوْرًا مَشْرِقًا	أُرُودُ الْعُلَى فِيهَا وَطَوْرًا مَغْرِبًا
وَصَاحِبَتِ مِنْ عُرْبٍ وَعُجْبَمٍ أَفَاضِلَا	بِهِمْ كُنْتُ فِي شَتَّى الْمَوَاطِنِ مُعْجَبَا
فَلَمْ أَرِ فِي عَرَبٍ وَعَجَمٍ لَقِيَتِهِمْ	كَكَرْدٍ عَلِيٍّ فِي الرِّجَالِ مُهْدَبَا
هُوَ الْعَالَمُ الْخَبِرُ الَّذِي كُنْتُ مَغْرَمَا	بِآدَابِهِ مِنْذُ الشَّيْبَةِ وَالصَّبَا

فقد كان في مصر صريرُ براءه
وكم كنت في الآداب والعلم كاشفا
إلى أن أثار الشام بالعلم عندهما
إذا معجبات العلم عنت فلا نرى
يؤانسني بالمتع الغضُّ مطربا
بمقتبسٍ من نوره ما تحجبنا
لجمعها أمسى الرئيس المرتبنا
سواك إليها يا محمد مُعربا^(١)

صورة

زهرة قد بدت من الأكمام
وتراءت منها الحقيقة حسنا
إن تجريدها من الثوب يحكى
هي كانت قبل التجرد منه
إن قدس الأقداس بغضب من أن
وأشد الكفر الذي هو رجس
ضلة جاهلية أنكرتها

* * *

انظر الصورة التي انتزعها
تلق فيها الجمال يضحك ضحكا
وترى نفسك الكئيبة منها
أنت منها في نشوة المتحسى
منظر يترك الجـواـح منا
(ويرد الوجوه مستبشرات
(يبهج النفس إذ يحرك منها

* * *

(١) عنت : عرضت وظهرت .

خلعت ثوبها وأغضت حياءً فأرتنا خلاعة في احتشام
جلست جلسة الحبي وأبدت بالتعري بداعة في الوسام
ما احيلى اغضاءً جعلتها كغريق في لجة الأحلام
يتعامى عنها الحياء حياءً ليراها بحيلة المتعامى
لسموط الرداء عن منكبيها نهض الفن قائماً باحترام
(وغدا الحب راقصاً بابتهاج وجرى الشعر شادياً بالنسجام)

* * *

(ان هذا الجمال شيء عجيب حيرة في العقول والأفهام)
(بين ألوانه وبين قلوب النا س جذب ذو حرقة واحتدام)
(وهو في الحب صادق الأمر والنهي مطاع في النقص والإبرام)
(إن يشأ فالصغار غير صغار وعظام الرجال غير عظام)
(هو نور يضيء في أوجه الحب ويهدي إلى طريق الغرام)

عصاى الفتية

أنا شيخ وذى عصاى فتية قد أتدنى من «مظهر» لى هديه
صاغة «الصائبين» قد ألبسوها حلية ذات صانعة عبقرية
وشحوها من «مظهر» بكلام مغرب عن مودة أخوية
هى تحكى عصاه «ابن عمران» قد را فلذا صيغ رأسها رأس حيه
فسأمشى بها قوياً سويًا بعد ما كنت ماشياً كالخنية^(١)
وستبقى الذكرى بها لإخاء مؤثق بالوشائج الأدبية
ألبستنى كرامة ياخانى لكريم من أسرة خيريه

الأغظمية : شباط سنة ١٩٤٥ .

(١) الخنية : المحبة ، أى القوس المعوجة .

النشيد الوطنى

نَحْنُ خَوَاضُو غَمَارِ الْمَوْتِ كَشَافُو الْحَنِّ
مَا لَنَا غَيْرُ اكْتِسَاءِ الْعِزِّ أَوْ لُبْسِ السَّكَنِ
نَبْذِلُ الْأَرْوَاحَ نَقْدِيهَا لِأَحْيَاءِ الْوَطَنِ
هَلْ سِوَى الْأَرْوَاحِ لِلْأَوْ طَائِفٌ فِي الدُّنْيَا ثَمَنُ
يَا ضَلَالُ الْآلَى لَمْ يَكُونُوا الْفِدَى
إِنْ تَبَتَّ نَحْنُ فَلْتَحْيِ أَوْطَانُنَا

إلى عبد الستار القرغولى

هاك عبد الستار حَقَّكَ إِنْى لست من منكرين ثابت حَقَّكَ
غير أنى ذهلت عنه وصدق فى ادعائى هذا مقيس بصدقك
إن تسكن قد عشقت شعرى فإنى عاشق شعرك البليغ كعشقك

دمعة على قبر الزهاوى

أيها الفيلسوف قد عشت مضنى مثل ميت وصرت بالموت حيا
ما حياة العظيم إلا خلود بعد موت يكون للجسم طيا
سوف يبقى بين الورى لك ذكر ناطق بالبقاء لم يخش شيئا
أنت فى الفضل فرد حيا وميتا حزت فى الحاليتين ذكرا عليا
سوف أبكى عليك شجوا وإنى كنت أبكىك فى الحياة شجيا



تجميع هذه الصورة بين طائفة من أدباء الطريق في حذقة أدبية أقامها السيد محمود صبحي الدقري على أثر جنازة حريث بين الزهاوي والرماني وقد تصانح فيها الشاعران وطورا في وسط الصورة يحيط بهما بعض المدعوين من أدباء البلد وساحته .

في مدرسة الامام الأعظم

مما كتب إلى العلامة الشيخ سعيد النقشبندی
مهنئاً له بتعيينه مدرسة إلى مدرسة الامام الأعظم
أبو حنيفة .

قد ازدهى للعلم تدريس	وزال عن طلابه البوس
واتضحت معالم العلم لا	يوجد رسم منه مدرّوس
بعالم الآفاق من ربه	له على كيوان تأسيس
سعيد الذي له السعد قد	طأطأ رأساً وهو مرموس
العالم العليم من لم تزل	تحدى إليه النجب العيس
يولج أهل الفضل في قصده	ويعقب الادلاج تفليس
ويطرد الجهل به مثلاً	يطرد بسم الله إبليس
فلا تسل عد معاليه إذ	تضايقت عنها القراطيس
وقل لمن حاول تعدادها	عقلك في جهلك مطموس
يحصي الحصى عدّاً ولكنها	لها عن الاحصاء تقديس
القدم الخطريف لاشك في	رؤيته للكرب تنفيس
يبسم إن جئت وإكبه	ذو هيبة تحذرهما الشوس
وليس للقاص علماء سوى	محله الخافل ناموس
كم أذعن الخصم له طائغاً	وانقاد للايمان قسيس
ما واصل في العلم الا له	أنت له رئيس وهو مرؤس
وليس للبرهان في حاجة	ان ضياء الشمس محسوس
أنت سليمان العلا والنهى	أصف والآداب بلقيس
أنت ولا غيرك في خطه الـ	علم لداء الجهل قهريس
ونور أقمار سماء العلا	من شمس عرفانك معكوس

وإن يكن للفظ دراً فلا نعجب إذ صدرك قابوس
لو لم يكن مدحك في الشعر لا يزدان تشطير وتخميس
ومدحوى مدحك شعري له بالعقد ذى الترصيع تجنيس
قلت وفي روضة انشاده روح النهان لك مغروس
أرخ ودام لسعيد لدى أمامنا النعمان تدريس

■ ١٣١٨

شكر ومديح

وكتب الى حسين فوزى النائب بعد تناوله الكتاب
الذى استعاره منه :

أهدى إليك يا عظيم الجناح تشكراً لفضلك المستطاب
فيا حسين صح عند الورى أنك غيث نائل ذوانسكاب
قد جمع الله جميع الندى فيك بحال عنفوان الشباب
فأنت في أفق سماء العلا شمس علا ما حجبت في ضباب
واننى أشكر طول المدى شكراً لارسالك ذاك البكتاب
جردتنى عن ثوب فقرى له كما تسل مرهماً في قراب
ناب أبوك عن علوم الهدى وأنت نبت عن هموع السحاب
علامة العصر جميع الورى قد هديت بعلمه للصواب
نكممكم وكم معضلة أعجزت أباط بالفطنة عنها الحجاب
وكم جلا غامض علم لنا بفكره الثاقب مثل الشهاب
قد بهر الناس بعرفانه حيث أتاهم بالعجيب العجاب
وفاق في الآراء أهل النهى وأوتى الحكم وفصل الخطاب
لم يقطع الأمر لنا حاكماً برأيه الصائب إلا أصاب

فهو لعمري الله في قطعه كالصارم المشحوذ منه الذباب
فكيف لا أمدحك اليوم إذ أنك فرع أصل ذلك المهاب
وأنتمو أجداد هذا الوري وقد زكى العنصر منكم وطاب
وأنتم الرأس وما غيركم من شرف المختد إلا الذناب
ومنكم الفضل وأنتم له وما سواكم فيه إلا سراب
والله ذو الفضل من المجد قد ألبسكم في الناس أبهى نقاب
فاشهد الله وكل الوري إني إلى أحسابكم ذو انتساب

القدوم المبارك

وكتب للعلامة الشيخ سعيد النقشبندی عند عوده من
سامراء إلى بغداد للتدريس بمدرسة الإمام الأعظم .

ألا قد سر طائب كل علم ومن بذل النفائس في طلابه
صبيحة شرف الزورا سعيد بمقدمه المبارك من غيابه
وتدريس العلوم لطالبيها لدى النعمان عاد إلى جنباه
هو البحر الخضم بغير حد فرائد كل علم في عيابه
فقلت بمعرض التاريخ بشرى وأمر الدرس عاد إلى نصابه

١٣١٨ هـ .

إلى حسين النائب

وكتب إلى حسين فوزي النائب يستعير منه كتاباً :

رفعت أكتفي محو فضلك سائلاً سؤال الوري الوهاب يابن الأماجد
ومن قبل هذا يابن أعلم عصرنا وحقق لم أمدد لغيرك ساعدي
فقد عرضت لي يا حسين لبانة بديوان شعر بن الحسين فساعد
وجد لي به بعض الزمان إغارة فلي فيه ياذا الفضل بعض المقاصد
ولا زلت مأوى للعفاة ومرجعاً لكل بني الغبراء ياذا الحمد

إلى الدكتور زكي مبارك

إذا أطرى الأنام فتى أدبياً	فلا بن مبارك أدب غزير
وعلم لا أشبهه ببحر	فقد نصبت بجانبه البحور
لقيت به أخاً أدب وعلم	له شبيه وليس له نظير
زكى نفساً فقيلاً له زكى	وبورك فالبارك منه خير
يمج يراعه فى الطرس ليلاً	يشق دجاء صبح مستنير
أقام (بنثره الفنى) جسراً	لمن فى الفن أعجزه العبور
جلاً بذكائه سدق المعانى	كأن ذكائه للفهم نور
وخاض عباب بحر من بيان	تحوم عليه من بدع نسور
إذا قرع المنابر يوم حفل	رأيت الناس من فرح تمور
أصاخوا نحوه وقد اشرأبوا	أكفهم تصقق أو تشير
إذا افتخرت به مصر وتاهت	فكل بنى العراق به فخور

تخليد العظماء ١

قالوا نخلد ذكره بحديقة	غناء فيها تنبت الأزهار
ونضيفها فى التسميات إلى اسمه	حتى يكون له بها تذكـار
لهذا لعمر الله جهل تضحك	العقلاء منه وتهزأ الأحرار
إن الحداثق لا تخلد باسمها	من لا تخلد ذكره الآثار
مانفع تسمية الأماكن باسم من	خلت الضمائر منه والأفكار
من فاته غير المساعى فاته	بعد الممات بغيرها الانشار
إن المعالى ما لمن مآثر	مثل الليالى ما بها أقمار
هل تذكر الأشجار من بعد البلى	إلا بما انتضدت بها الأثمار

والذكرىات إذا أتت بشهودها حسن السماع وأحمد التكرار
من سار في دنياه سيرة مصلح لهجت بخالد ذكره الأمصار
من عاش في خطط البلاد مؤثرا أحيته بعد مماته الآثار

بين الرصافي والشيخ الراوى

أرسل المرحوم الشيخ إبراهيم الراوى قصيدة إلى المرحوم
الرصافي من جملتها البيت الآتى :

وأشعر أهل العصر عندى بلامرا جميل الزهاوى والرصافي المقدم
فنظم الرصافي القصيدة التالية وأرسلها إلى الشيخ الراوى :

السيد الراوى إبراهيم	فضل أضل الخافقين عينا
ومناقب لهج الرواة بذكرها	وبها استحق من الورى تعظيما
شيخ إذا جالسته فى مجلس	جالست منه مرشدا وحكما
وإذا نظرت لشخصه متأملا	أحسست فيك لشخصه تعظيما
داوى قلوب ملازميه بهديه	فاصح منها ما رآه سقيا
يا أيها الشيخ الذى قد أدرك	المجد المؤثل حادثا وقديما
أرسلت مألوفة إلى كريمة	ضمنتها الدر النضيد نظيما
أحسنت ظنك بي وحسن الظن من	تلقاء مثلك يوجب التقديما
شكرا على شعر إلى بعثته	فشفيت من قلبى الكلام كلوما
شيم الكرام ورثتها من هاشم	تركت فخار مفاخرىك هاشيما
أدنى احترامك أن تخصص بالعلى	وأقل مدحك أن تعد كريما

إلى الشيخ قاسم القيسي

إذا قاسم القيسي مر بخاطرى	تذكرت عهدا فى الصبا مر كالحلم
تذكرته إذ كنت للعلم طالبا	بفكرى ومعى مجهد النفس والجسم
فقد كنت أحيانا أزور فناءه	وانتابه للرشف من منهل العلم
وكم زرته فى جامع الفضل راجيا	شفاء لما فى مدنف الفهم من سقم
إذا زرته يوما ثلت كنانتي	فتقف منها كان ما اعوج من سهم
وعدت صحيح الفهم منه قد انجلت	ببقياه عنى غمة الغرم والغم
هو العالم الخبر الذى من يلد به	يكن فائزا بالعلم والأدب الجم
بما شاء فى التوضيح من واقد الذكا	وما شاء فى التقرير من صادق الحكم
بقية أعلام مضوا وكفى به	من العلم طودا فوق أطواحه الشم
له نظر فى غامض العلم شامل	ورأى سديد لا يحوم على الوهم
إذا ما نحا فى العلم قتل عويصة	رماها بسهم من فطائنه مصمم
نماه أبوه الشيخ أحمد للعلا	فبورك فى الآباء من والده شهم
فقد كان فردا كأبنه فى ذكائه	فجاء ابنه قرما تولد من قرم
وكان بتقسيم المساريف عالما	ينيف بها رأيا على ثاقب النجم
فيارمسه اهنا بالذى أنت رامس	سقاك السحاب الجون بالوابل السجم

تقرىض كتاب القيسي

هذا كتاب قد تبدا جامعا	حكما تبين للنحاة التابعا
كشفت فوائده وهن فرائد	عن وجه غانية المرام براقعا
أبدت بدائع براءة قاسم	من راح فى طرق المعارف بارعا
بحر تلاطم بالفنون وبدره	لا زال فى برج السعادة طالعا
هذا العمر أبى سحاب علومه	قد سح للطلاب غيثا نافعا

الرصاصي يحيى وفد مصر الشقيقة

أتى من مصر طاعتها بن حرب فاهلا بالمدلل كل صعب^(١)
وأهلا بالذى ادخرته مصر لدفع مائة ولقرع خطب

هو الرجل الذى فى مصر قامت له هم تنفس كل كرب
تعهد بالمساعى العز مصر فبدل جذب تربتها بخصب
أحب بلاده فسمعت منها له شكر الحبيبة للمحب

* * *

لقد شاهدت مبتهجا بعينى له فى مصر آثارا كبارا
فى (الكبرى) له متحركات تخلد فى البلاد له الفخارا^(٢)
معامل ما رست غزلا ونسجا فأغنت فى صناعتها الديارا
وفى الاسكندرية باخرات له فى البحر تبتسدر السفارا
وأما بنك مصر فذاك أمر به قد جل طلعت أن يبارى

* * *

إذا ما مصر فى المال استقلت فلا تخشى التأخر فى السياسة^(٣)
فان المال أكبر ما يرجى به نيل السعادة والرئاسة
إذا ما الشعب كان أسير فقر فما تجدى السياسة والحماة
أيصبح فى سياسته طليقا أسير أوجب الفقر احتياسه

* * *

(١) زار العراق سنة ١٩٣٦ وفد مصرى يرأسه المرحوم طلعت حرب زعيم مصر الاقتصادى ومؤسس بنك مصر وشركاته العديدة التى عادت على مصر بنتائج طيبة ما زالت تذكر فنشكر .

(٢) يريد بالكبرى « المحلة الكبرى » وهى مدينة مزدهرة بالمعامل ويعود الفضل فى تصميمها إلى المرحوم طلعت حرب باشا .

(٣) يشير إلى أن الاستقلال الاقتصادى هو أهم من الاستقلال السياسى

رجال النيل حيثهم رجالا	بما للعرب فيكم من سمات
بكم طرب الفرات وقال جهرا	لوادى النيل أنك من لدائى
كلانا جاريان على سهول	بابناء الع—روبة أهلات
كلانا فى الأخاء له مواضى	ضمن لنا النجاح بكل آت
وتجمعنا جوامع كبريات	وأكبرهن سيدة اللغات ^(١)
لقد زرناكم قبلا فكنا	على نشر التجارة والكرامه ^(٢)
فمن بيت يمد به سباط	ومن وجه تضىء به ابتسامه
وما هذا لعمر الحق منكم	بيدع بل لكم فيه استقامه
وما زرناكم لكبير ملك	ولكن للأخوة والشهامه
ألا فلتحى مصر فنحن نرجو	لكم فيها السعادة والسلامه

• • •

وكم فى مصر من بطل سواكم	يسير بها على خطوات سعد ^(٣)
وكم راق بها فى جو علم	فيستهدى للأجمله ويهدى
وكم ساع لها بخطى بن حرب	ليسعدنا بما يقنى ويحدى
ولكن ابن حرب فى دجاها	كبدر الأفق حل ببرج سعد
فكيف تكون مصر فى اسار	وفيها اليوم من يحصى ويفدى

(١) يريد سيدة اللغات اللغة العربية كما قال شوق :

إن الذى ملأ اللغات محاسنا جعل الجبال وسرا فى الضاد

(٢) يشير إلى زيارته مصر ممثلا العراق فى آذار سنة ١٩٣٦ وإلى الحفاوة التى نقبها وزميله الأثرى من المصريين الكرام كما أشار إلى ذلك فى قصيدته (التى حيا بها مصر هناك) .

(٣) هو زعيم مصر سعد زغلول مؤسس حزب الوفد وباعث النهضة السياسية .

١ - فهرس موضوعات القصائد

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٧٤	في المعهد العلمي	(ز)	مقدمة الطبعة الثالثة
٧٦	في منتدى التمثيل	(ل)	و الثانية
٧٨	في رحلة		
٨٠	الفنون الجميلة		١ - التكوينات
٨٢	الحياة الاجتماعية والتعاون		
٨٤	في سبيل الوطنية	٢	في مشهد الكائنات
٨٥	في المدرسة (دار التفيض)	٦	العالم شاعر
٨٧	المدارس ونهجها	١٢	تجاه الانهيار
٨٨	العلم والاجازة فيه	١٣	من أين وإلى أين
٩١	العلم	١٧	نحن على منطاد
٩٣	دار الأيتام	٢١	كلمة معتبر
٩٤	الفقر والسقام	٢٤	السكنى يا ضياء
١٠٣	تنبيه النيام	٢٧	الأرض
١٠٥	سوء المنقلب		٢ - الاجتماعيات
١١٠	العادات قاهرات		
١١٣	بعد الدستور		
١١٦	إيقاظ الرقود	٣٤	نحن والماضي
١٢٢	الصديق المضاع	٣٦	معتك الحياة
١٢٦	بعد الدين	٣٩	أم اليتيم
١٢٧	يقولون ا	٤٣	السجن في بغداد
١٣١	في سبيل الوطن	٤٩	الدهر والحقيقة
١٣٤	بين قونس وبغداد	٥٠	في سبيل حرية الفكر
١٣٦	في حفلة شوقي	٥٢	إلى أبناء المدارس
١٣٩	الأمة العربية	٥٤	المطرفة
١٤٠	في لميلاء	٥٨	اليتيم في العيد
١٤٢	تجاه الرمحاني	٦٤	سياسة لا حماسة
١٤٣	بني الأرض	٦٥	إلى الشبان
١٤٦	الحمد للعلم	٦٩	الدهر
١٤٧	عرس مصر	٧١	إلى أبناء الوطن
١٤٨	من مضجعات الدهر		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢١٠	الغروب	١٥٠	الشارع الكبير ببغداد
٢١٣	ليلة في ملهى	١٥١	على الخوان
٢١٦	في القطار	١٥٣	تحية سركيس
٢٠٨	الأرملة المُرْضعة	١٥٤	إلى البلاغ
٢١٠	عهد الصبا أو نهر الحياة	١٥٥	في حفلة الزهاوى
٢١٣	سفر في التومبيل	١٥٦	إلى صاحبة الحياة الجديدة
٢١٥	من ويلات الحرب	١٥٧	إلى المنظم
٢١٨	على جسر مود	١٥٨	اليقيم المحدث
٢١٩	على البسفور	١٦٠	بيت الأحياء وحى الأموات
٢٢٠	إلى غرة آل سعدون	١٦١	نحن في بغداد
٢٢٢	النسام ونخامة رئيس الوزراء	١٦٢	رقية الصريح
٢٢٣	نحن في يوم حادثة الرئيس	١٦٤	مشفيات شعرية
٢٢٤	في ملعب كرة القدم	١٦٧	إلى المتقاعدین
٢٢٥	الاحسان	١٦٨	دار تربية الطفل *
٢٢٧	الجرائد	١٦٩	شكواى من الدهر *
٢٢٩	وقفه في الروض	١٧١	خزانة الأوقاف *
٢٣١	ما رأيت في بك أوغلي	١٧٣	التعصب الوطنى للأدب *
٢٣٤	السد في بغداد	١٧٣	عتاب وولاء *
٢٣٧	الساعة	١٧٧	مناجاة وشكوى *
٢٣٨	ذكرى لبنان	١٧٨	في حفلة الميلاد النبوى
٢٤٢	لبنان	١٨٠	إلى العمال
٢٤٤	في مكتبة الأوقاف		
٢٤٦	آل الجبل		٣ — الفلسفيات
٢٤٧	البلبل والورد	١٨٤	خواطر شاعر
٢٤٨	أغرودة العنديل	١٨٦	وجه ابن آدم
٢٤٩	الصيف	١٨٨	ما وراء القبر
٢٥١	الشتاء	١٨٩	لو
٢٥٢	التلغراف	١٩١	حقيقى السليمة
٢٥٣	بيروت والتباريس	١٩٢	حياة الورى
٢٥٤	في المستشفى الملكي	١٩٣	حيذا النوم
٢٥٥	إلى عبد اللطيف باشا المنديل	١٩٤	بين الروح والجسد
٢٥٦	يا دار قسطنطين	١٩٦	من نواميس الحياة *
٢٥٧	فلكس فارس		
٢٥٨	مليكة غناء العرب		٤ — الوصفيات
٢٥٩	إلى جميع الغواني	١٩٨	أنا والشعر

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٣٠٨	في موقف الأسى	٢٦٠	قصر البحر
٣١٠	ذكرى الرجال من حياة الأمم . .	٢٦١	محاسن الطبيعة
٣١٢	ذكرى الشيخ الخالصي	٢٦٤	ليلة في دمشق
٣١٤	على ضريح النائب	٢٦٥	حول أنيسفور
٣١٦	دموع الصداقة	٢٦٦	تأثير التربية
٣١٨	هلم فيك	٢٦٧	ينظرة الشرق
٣١٩	دمعة على صديق	٢٦٨	إلى القزويني
٣٢٠	مينة البطل الأكبر	٢٧٠	إلى حماة الأطفال * . . .
٣٢٢	مينة البطل الأكبر (منظر الرافدين)	٢٧١	شاعر البشر *
٣٢٦	ذكرى فتي السعدون	٢٧٥	ذكرى المآثر التيمورية * . .
٣٢٨	أين جبران	٢٧٦	أبو الطيب المتنبي
٣٢٩	جبر ضومط	٢٧٩	إلى الجواهري *
٣٣٠	أبو الخلو	٢٨٢	النساء الخلد *
٣٣٢	الشيخ قاسم	٢٨٣	الرصافي يقرض كتاباً لنزهاوي
٣٣٢	غريق دجلة	٢٨٣	الأفول المشرق
٣٣٢	شهداء الطيران *	٢٨٤	وقال هذه الأبيات مترجماً . .
٣٣٥	إلى أمن نخلة *	٢٨٤	إلى طه الراوي
٣٣٦	في يوم أبي غازي *	٢٨٥	إلى البطل عبد الكريم الرقي
٣٣٩	ذكرى السكاظمي *	٢٨٥	بداعة وخلاعة
٣٤١	رثاء شوقي شاعر مصر الأكبر	٢٨٧	في دار النقيب
٧ — النسائيات		٢٨٨	الحق المنتصب
٣٤٤	المرأة في الشرق	٢٨٨	تحت تصوير النائب
٣٤٦	نساؤنا	٢٨٨	إلى عبد الكريم العلاف . . .
٣٤٧	حرية الزواج عندنا	٥ — الحرب بقيات	
٣٤٩	المرأة المسفة	٢٩٠	وقفة عند شراغان
٣٥١	التربية والأمهات	٢٩٢	أم الطفل في مشهد الحريق . .
٣٥٤	المنهجورة أو مشهد الحسن في الحزن	٢٩٥	ثلاثة الأثافي
٣٥٦	إلى الحجابيين	٦ — المرأى	
٣٥٦	هوان المرأة عندنا *	٣٠١	واصدىقه
٨ — التاريخيات		٣٠٢	في الملكوت الأعلى
٣٥٨	ضلال التاريخ	٣٠٣	واحمداه !
٣٦١	جالينوس العرب أو أبو بكر الرازي	٣٠٦	واشيخاه
٣٦٩	الحرب في البحر		

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٥٣٦	تقال	٥٠٦	من هذا ؟ من مطبخ المستور ،
٥٣٧	لإلى الأوس		الوزارة عندنا
٥٣٨	الشمس ، رئيس المأذبة	٥٠٧	عبد الحليم باشا المذنب ، إلى السبعي
٥٣٩	رائد		عفو بعد نقى
٥٤٠	نقى على ماء	٥٠٨	الترامواي في الآستانة
٥٤١	هوى الموت	٥٠٩	القيمتا في الحريق ، الدين ولومان ،
٥٤٢	وقال		الحياة والأذلة
٥٤٣	المكتتب ، أثبات في غلائل	٥١٠	أيها الفتى ، في معرض الشكر
٥٤٤	كل امرئ وسدقة ، النفس الأمازة	٥١١	عند لعبة البيارد ، السينا الوطني
٥٤٥	الأوس في غير موقعة كدر	٥١٢	عند فسر المعاهدة ، وزراء المعارف عندنا
٥٤٦	البصرة ، الحر في أغسطس	٥١٣	قيصر معلوف ، إلى أمين كاملة
٥٤٧	البرد في كانون ، معلقة ، وقال	٥١٤	إلى عبد الوهاب النائب ، إلى أول الأمر
٥٤٨	هجو ، وقال في بعضهم	٥١٥	المصور البارح ، الأعيان والقراء ،
٥٤٩	في المسرح ، شكر ورداع	٥١٦	الجهن فضاخ ، حمام الوزارة ، رخص
٥٥٠	إلى إلياس الوزير *		المناسب ، الناس والموك
٥٥١	في مادية آل نطف الله * في مادية	٥١٧	معرفة العلم في المجتمع ، الأناسي ، أم سري
٥٥٢	عبد الرحمن عزام * في مادية حافظ	٥١٨	الحزب لحر العرائق ، السيم المساج
٥٥٣	عقبي باشا * في مادية نظمة الحكيم *	٥١٩	نجل عبد الحليم ، عبد الوهاب النائب
٥٥٤	إلى أبي ماجد المنديل *	٥٢٠	إلى أمير الكعبة
٥٥٥	النكرخي ومن كذب في مناهشة	٥٢١	إلى محمد الرضا
٥٥٦	من خواطر الماضي *	٥٢٢	نظامه الرئيس ووسام إبراهيم في بيروت
٥٥٧	سورة *	٥٢٣	نهاد قرة العين ، ذات الشعر الأبيض
٥٥٨	عصاي الفتية *	٥٢٤	رقعة قولى ، جو بيروت ، على مقابر
٥٥٩	النشيد الوطني ، إلى عبد الستار		الشهداء
٥٦٠	الفرغولى ، دمه على ثوب الزهاري	٥٢٥	منيرة ، يطالب جناراً
٥٦١	في مدرسة الامام الاعظم	٥٢٦	اسمى الى كلاما ، في عود انكسر
٥٦٢	شكر ومديح	٥٢٧	ضاق الخناق ، وصف البدر عند الافرخ
٥٦٣	المقدم المبارك ، إلى حسين النائب	٥٢٨	إلى أم كلثوم
٥٦٤	إلى الدكتور زكي مبارك ، تحليه العظام	٥٢٩	أيها السكباب
٥٦٥	بين الرصافي والشيخ الراوى	٥٣٠	هجو بعض الرائيين من الشايخ ، جاهل
٥٦٦	إلى الشيخ قسم القيسى	٥٣١	متكبر ، العاقل الماذجي
٥٦٧	الرصافي يحيى واند مصر الشقيقة	٥٣٢	فلسفى مرآة ، للأرض
٥٦٨	فهرس موضوعات القصائد	٥٣٣	أيها المشوق ، بين الرأس والرجاء
٥٦٩	الذواقي	٥٣٤	جواب عن كتاب ، النقى عن النفس
		٥٣٥	في المشوق شكر على صديق

٢ - فهرس القوافي

المطلع	القافية	صفحة	المطلع	القافية	صفحة
حرف الهمزة					
ليس في غاية الحياة البقاء ...	الرجاء	٣٣٩	لعمرك إن قصر البحر قصر	الغريب	٢٦٠
قضوا شهداء ليس لهم بواء	البقاء	٣٣٣	شاع كالبرق في العراقيين يوما	كأبه	٢٢٣
أى قدس يضم هذا البناء	البناء	١٦٨	تمودت في شادي القريض المنهدبا	أتكذبا	٥٥٢
اللوم داء في النفوس عياء	دواء	٥٤٧	عهد الصبا سقيا لأيام الصبا	الربا	٢١٠
جاء المصيف نجفت الأنداء	الأشياء	٢٤٩	حر النفس أغشى في رضاها المعاطبا	فاضبا	٢٤٢
قل لعبد الوهاب النائب العلامة	النجباء	٥١٤	ياسا كتنا وهو مشنوق على عمد	خطبا	٥٣٢
أعبد المحسن السعدون إني	الرجاء	٢٢٠	تذكرت في أوطاني الأهل	سكبا	٢٠٦
سود الله منك يا شيخ وجها	السوداء	٥٣٠	أصبحت أوسمهم لوما وتثريا	مركوبا	٤٠٤
حي هذي القبور إن كنت حيا	الغراء	٥٢٤	ظهورك أيتها الفساة بجملهم	بأشيا	٣٤٥
كأن الشمس باخرة مخور	الفضاء	٥٢٧	طرب الشعر أن يكون أسيدا	الطربيا	٢٠٣
ألا ما لأهل الشرق في برحاء	شقاء	٣٤٢	سر في حيتك سير نابه ...	تجابه	٧١
أقم في الأرض صرحا من ضياء	السماء	٥٣٨	من جور مصر عن العروبة أنها	آدابها	١٧٣
من أين من أين يا ابتدائي	انتهائي	١٣	ومليحة أوصافها ...	التصابي	٥٢٣
أنظر إلى تلك العلفة التي	بالأضواء	٥٤٦	أى معنى يمدد باكتئاب	التعاب	٩٤
أحب صراحتي قولا وفعللا	الرياء	١٩١	ألا انقض وثمر أيها الشرق	السكتب	٤٨٠
حرف الباء					
حيا كم الله أيها العرب ...	عجب	٤٩٤	إن فلانكس بن فارس رجل	أدبه	٢٥٧
نصور حداثق في بهجة ...	تعجب	٥٤٢	المغربي بأرض الشام منزلة	الأدب	٥١٨
هل الدهر إلا أعجمي أخاطبه	أجاذبه	٦٩	حي الأمين الذي طابت مغارسه	العرب	٥١٣
لله يوم جاء يوسع برده ...	عقارب	٥٤٦	سيوف لحاظ أم قسي حواجب	المعاطب	٥٤٢
وطن حياتك المكاره وارقب	مشرب	٥٠٩	هو الدهر لم يرحم إذا شد	بالخطب	٣٧٢
يا دار قسطنطين أنت فريدة	الزقاب	٢٥٦	لمن تركت فتون الهم والأدب	العطب	٣٠٨
إلى كم نصب الدمع عيني وتسكب	تأهب	٥٤٤	إنيك ما شاهدت عيني ..	التعب	٢٦٦
بدت كالشمس يحضنها الغروب	الشجوب	٥٤	لا يبلغ المرء منتهى أربه ...	طلبه	٩١
جمالك يا وجه الفضاء عجيب	رحيب	٢	الدهر بين في كتابه شهادة	مكتوب	٥٣٧
لهذا اليوم في التاريخ ذكر	طيب	١٤٢	وفدقد قائم الأعمام متسع	المكتاتيب	٢١٣
			سمعت شعرا ناعندليب ...	الطرب	٢٤٨
			دع زعج اللوم واخل العتاب	العجاب	٤٥١
			وقفت عليك كن قلبي الذي ...	السحاب	٢٥٩
			سلم إلى ذوق طعم الأدب	الأدب	٢٥٨
			لقد جمع الشيخ هذي السكتب	المعطب	٢٤٤

الطالع	القافية	صفحة	الطالع	القافية	صفحة
حرف التاء			حرف الخاء		
بغداد حسبك رقدة وسبات	النكبات	١٠٥	ألا بلنوا عني الوزير مقاة	توبيخ	٥١٦
كأن حياتنا جيب مطل ...	المات	٥٤٠	حرف الدال		
أيا سائلنا عينا ببغداد إنا ...	النبت	١٦١			
كل شيء من عالم الفرات	كالنبات	١٩٦	عجبت للناس في الدنيا خالهم	يجتهدا	٥١٦
كل ابن آدم مقهور بعادات	الارادات	١١٠	لعمرك لو كانت حديدنا جسومنا	مبارد	٣١٠
هي الأخلاق تنبت كالنبات	المكرمات	٣٤٩	عقل وتجربة وجد زائد ...	التقاعد	١٦٧
يا موطنا ما اتضيتها مهتدة	إهائنه	٤٨٩	سل الإنكليزي الذي لم يزل له	مفعد	٤٧١
نهيتك عن هواك فإنتهيت	اشتبهت	٥٤٣	لعمرك إن الحر لا يتقيد ...	المفند	٧٤
حرف الشاء			أما أن أن يغشى البلاد سعودها	هجودها	١٠٣
وفي الأنعام لم تر قط عيني	الثلاث	٥١١	أيكفينا من الدولات أنا ...	البنود	٤٦٢
لقد جمع الدهر المكابد كلها	الحبث	٤٦٩	قاي عليك حليف الوجد يا عود	الأغاريد	٥٢٦
خليلى هل من منصت فأبشه	البث	٤٥٧	كلوا يأبها الساده ...	المعاده	٥٠٦
حرف الجيم			تريد لي الأيام أن أتقيما ...	المجددا	٧٦
صاح قم بي إلى أمير الكنجة	طججه	٥٢٠	على لوبنا الوهاب أنى ...	حمده	٥١٩
ترى مقلتي ليس تملك بدى	محوجا	٥٣٢	حق للمدم أن يكون نشيدا	رشيدا	٣٣٥
أيها الانجليز لن نقتاسى ...	انفلوجه	٤٦٨	عهدك شاعر العرب للمجيدا	النشيدا	٣٤
سمى المصطفى لا زلت تملو ...	أوج	٤٤٠	هلم يا قوم نسعى ...	سعيده	١٥٦
حرف الحاء			أتوسر إن في بغداد قوما	بالوداد	١٣٤
هي عيني ودمعها نضاح ...	يتاح	٤٢٠	نحن من أرضنا على منطاد	الأبهاد	١٧
قعدت بإقارعة الطريق تنوح	يصيح	٢٩٥	قوض الدهر بالحرب عمادى	بالأنكاد	٣٨٢
قل لنجلا نجيلا أبى الدم لى	الوضاح	١٩٢	وشامخ الأنف ما ينفك مكتسيا	الزادى	٤٣٠
لقد جربت أصدق أصدقائى	صلاح	٥١٠	أرى بعد نوم طالى فى انشرق نقطة	المجد	٢٣٦
لمن الديار يلحن فى الصحصاح	الأرواح	٥٣٥	لقدبت مطروف النواظر بالسهد	الوجد	٣٠٢
معارف بغداد قد جاءها ...	مسرح	٥٢٩	إذا شئت أنت تسرى ...	الرواعد	٢٢٧
تجنّب من سقيم الرأى قريبا	الصحيح	٥٤٧	أطلت يا دهر نحسى ...	يسعدى	٥٠٣
مرت تقول ألا يارب خذروحي	تباريحى	٢١٥	سكنا ولم يسكن حراك التبدد	غد	٤٢
			تقظ فإ أنت بالخالد ...	بالرائد	١٦٠
			ألا بلنوا عني رسالة منشد	مجد	٢٨٢
			إليك عادل جبر رسم ذى مقاة	الفند	٥٠٥
			من كان فى المجد المؤئل راغبا	البارودى	٨٤
			إلى كم أنت تهتف بالنشيد ...	الرفود	١١٦

الطالع	القافية	الطالع	القافية	الطالع	القافية
أيها القوم ما لكم في جود	تغنيدي	٤٣٤	أيا ماجد إني عهدتك مبصراً	مبصر	٢٥٥
جئت إلى الدير ضحى يوم الأحد	قصده	٤٦٢	أيا ماجد إني عهدتك مبصراً	مبصر	٥٥١
أعبود إليك ذو فطنة ...	سميد	٥٥٢	أعزني لساناً أيها الشعر لشكر	شعر	٥٤٨
حرف الراء					
أخترت يا عمر المفلخر كلها	تختار	٥٠٨	قرأت وما غير الطبيعة من سفر	الشعر	٦
بكي الفضل لما أن قضى نفيه جبر	جبر	٣٢٩	شكراً لفضل محمد ...	شعري	٥٣٤
لقيتها في الطريق عابرة ...	تبعثرها	٥٠٩	وبضاء أغناها عن الحلى ثغرها	النفر	٣٥٢
في آل معلوف الكرام خلائق	الأكدر	٥١٣	الشعر مفتقر مني لمبتكر ...	بمفتقر	٦٤
وربح المعارف لا يستوزرون لها	وزروا	٥١٢	خطاب يهودا قد دعانا إلى الفكر	ذكر	٤٣١
لعمرك ما كل انكسار له جبر	الجمهر	١٨٤	خبر في الأرض أوحته السما	الفكر	٢٧
ناح الحمام وغرد الشجرور	مسرور	٢٢٩	تفكرت في كنه الحياة فلم أكن	تفكرى	٣٠١
قد كاد بالحر هذا اليوم يصيرنا	تسير	٥٤٥	من كاث يأرق بالهموم ...	السرور	٢٦٤
نكسب الشارع الكبير ببغداد	اضطرابا	١٥١	إن فن التصوير قد صار فيه	فطير	٥١٥
وطنى جاء يطلب جنانا ...	أحرارا	٥٢٥	يا عمرك الله من وليد ...	بالتغير	٨٠٤
دار ذا الدهر مداره ...	ازوراره	٤٦٦	للبرق أسلاك تؤدى الأخبار	الأوتار	٢٥٢
نعمت الدار للتفيض دارا ...	منارا	٨٥	رأيت لميليس عدو البشر	حضر	٤٩٩
هو النصر معقود برايقنا الجمرا	الكبرى	٤٨٤	حيهل يا ألخا مضر ...	مذكر	٢٧١
شب الأنس في قلوب الشعب	انتحرا	٣٢٢	فلمت الملائك قبل البشر	القمير	٥٢٩
تبلى أفق الشرق ...	مفترا	٤١٧	بأيها المفتي بتكفيريا ...	نكير	٥١٠
حرف الزاء					
أبمد الدهر في القضاء مكره	بالجرحه	١٢	إن من حاز في العلوم إجازة		
بك الشعر لاني أصبح اليوم	شاعرا	٢٧٩	إذا انقضى مارث ما كسر خلفه		
أمارس دهرنا من جديدي داهرا	ساعرا	١٣٦	قل للحكومات في البلقان		
كتبت لنفسى عهد تحريرها	الدهر	٥٠	أبو غازى قضى فأقيم غازى		
كفى بالعلم في الظلمات نورا	الأمورا	٥٢	حرف السين		
وليل به قد بت أختلس الكرى	يتفورا	١٤٦	أرى الحسن في لبنان أيتع غرسه		
خليلى قوما بنى لنشهد للربا	أسرور	٢٦٥	زفت لآلينا العروس ...		
هو الدهر لم يترك مشن غواره	نهاره	٣٦	أدهق الدهر بالمنية كاسه		
حياة الورى جسر مديد وإنما	عابر	١٩٢	إني عهدتك لا تكون يتوسا		
أقول لرب الشعر مهدى الجواهرى	السواحر	١٧٧	سعروها في البحر حراضروسا		
وصاحب قد دعانا أن نلم به	الوتر	٥٤٤	إت لبيروت بعمرانها ...		
أشر فعل البرايا فعلى منتجر	مفتخر	١٦٤	كم ناضل أكبرته قبل الملقا		
حببت العلى منذ العياحب شاعر	قادر	٧٨	كرت ولست في الذكرى بناس		
مضى عبد وهاب الهبات لربه	حر	٣٦٩	إيناس إن مزيك التى عظمت		
مضى تطلق الأيام حربة الفسكر	الأسر	١٨٨			

الصفحة	القافية	المطلع	الصفحة	القافية	المطلع
٥١٧	أجما	أأم سرى أنت سلطنة البها	٥١٥	بائس	أرى أغنياء الناس كالعبي لم يروا
٥٠٧	راع	إلى الربيل الكريم إلى السباعي	٤٧٢	بالجنس	بني وطني ماذا أقول بعدما
٨٢	انتفاع	يمش الناس في حال اجتماع			حرف الشين
٣٤٤	الطبع	ألا خلياتي في الكلام من السجع			تأري عيشنا تأبي المنون امتداده
		حرف الغين	٥٣٩	نيدش	
١٥٤	البلاغ	أباقر لم تدع للقوم عذرا ...			حرف الصاد
		حرف الفاء	٢١٦	منقاص	وقفت على اليسفور والريح عاصف
٤٦٣	أعنف	أنا بالحكومة والسياسة أعرف			حرف الضاد
٤٥٦	السخافة	أرى الأتراك في دار الخلافه			تجر إذا صادقت من وده محض
٤١١	مطافا	متى نرجو لغمتنا انكشافاً	٥٤٣	العرض	قد صبح عزيمك والزمان مريض
١١٣	عزفا	سقتنا المعالي من سلاقتها صرفا	٤٢٢	نثيض	إني لأشكر من محمد الرضا
٢٥٤	بمستشفى	أطلت أيا سعدون مكثك ههنا	٥٢١	مضى	
٣١٨	متصفا	هلم نيك النهى والعلم والشرفا			حرف الطاء
٥٠٦	باسعاف	آل انشاشيب إن الله أسعفكم			خائن الدجى وظلام الليل مختلط
١٧١	الأوقاف	للمسلمين على نزوة وفرهم	٤٠٧	مختلط	بدت في مسرح رحب البلاط
٦٥	الشرف	أدب العلم وعلم الأدب ...	٥٤٨	مخاط	
		حرف القاف			حرف الظاء
٥٢٧	الحناق	أقول لهم وقد جد الفراق			إن العفيفي حافظ ...
٤١٥	الطرق	أرى الحق لم يغش البلاد وإنما	٥٤٠	محافظة	
٣٥٨	أولق	أقول وطرفي في المحال محقق			حرف العين
٤٨٧	الموتقا	أدرنة مهلا فان الطي ...			أطل صباح العيد في الشرق
٢٣١	الخلقا	ذهبت لحي في فروق تراحت	٥٨	ترجع	قد كانت الأغصان مخضرة
٣٣٢	حريقا	يا من قضى بين المياه غريقا	٢٥١	تسجع	ياسين إنك بالقلوب مشيع
٥٢٤	صديقا	وغرت رقتي في القول قوما	٤٦١	مودع	أقوى مصيف القوم والمريح
٨٠	طريقا	إن رمت عيشا ناعما ورقيقا	٢١	بلقع	ما أهون الأنثى على ذكرانا
٥٠٥	صادق	إلى المغربى الجبر أهديت صورتي	٣٥٥	خضوعها	لقد طوحنتي في البلاد مضاعا
٥١٤	طرق	يا مبعدي بظلم عن مناصبهم	١٢٦	تباعا	عبد الحفيد قضى فوا أسفا
٢٣٤	الفرق	نجيت بالسد بغداداً من الفرق	٣١٦	جزعا	
٤٧	يفاسق	أرى الدهر لا يألو بستر الحقائق			

الطالع	الفافية	صفحة	المطالع	الفافية	صفحة
أرى الدهر لا يلبس بستر الخفافى	بخاسق	١٦٩	فار السلام تفاخرت برجال	الأطفال	٢٣٠
شكابة قلب بالأسى نابض العرق	الحق	١٦٩	نشرورا المعاهدة التي في طيه	الأميل	٥١٢
قالوا نحا شقة قصوى وما علموا	الشقيق	٢١٦	إن التمسر لا يجب سؤالي	خوالى	٣٨٧
حرف الكاف			يا عدل طال الانتظار فعجل	فأقبل	١٦٢
يا شرق بشراك ...	الحاكم	٣٩٢	أيوسف ما إن أنت من فعل	الفعل	٥٣١
قامت تيس بأعطاف وأوزارك	الحاكي	٥٤١	إن بلبلا من نسيم السحر	المحمل	٢٤٧
سأبدى الدهرى ناجدا لنضحك	مهاكي	١٤٨	إن العراق بعرضه وبطوله	نخبه	٤٢٥
بد وجه العروبة في حلوك	المؤك	٣٣٠	عبد الطيف بفعله جعل الورى	التنديل	٥٠٧
حرف اللام			حرف الميم		
هكذا يدرك في الدنيا الكمالي	الرجال	٣٢٠	قصدوا الرياضة لاعبين وبينهم	الأجسام	٢٢٤
ما للديار تراءى وهي أطال	ترحال	٢٩٢	نهيا وسام الرافدين بصدور من	وسام	٢٢٢
رفت بوصف جمالك الأقوال	اعتدال	٥٤٠	أطربتهم بلحنها الأنغام ...	الآلام	١٤٧
صفائك في يا إسعاف ود	اعتلال	٥٠٥	لقت في عصر الشباب حقائقها	الأفهام	٥٠٣
روبدك غورو أبهذا الجبريات	أقوال	٤٣٣	أكب على الإخوان وكان خفا	القبام	١٥١
قولوا لحزب اسمي الحر مقتدا	معتدل	٥١٨	لله سر في الأنام مطاسم	الأحجم	١٨٦
مر الترام فليل اركب فقلت لهم	السكسل	٥٠٨	يا قوم لا تتكلموا ...	محرم	٤٥٠
لأحمد تيمور ما أثر لم تزل	الأنامل	٢٧٥	على فاسم شيخ الطارقة قد بكت	فاسم	٣٣٢
هو المليل يغربه الأسى فيطول	سدول	٣٩٦	بذ كان جهل الناس مدعاة غيهم	سلم	٥١٧
هي دنيا بقاءها مستحيل	التأميل	٣١٤	عليه يعززه من دولة علم ...	الأمم	٤٤٧
لاتبك أربهم رلا الأطالالا	خبالا	٢١٨	لواعج الهم في جنبي تضطرم	الهمم	٤٤٥
قضت المطامع أن طيل جدالا	مخال	٣٧٨	أرى للروح بالبدن اتصالا	رسوم	١٩٤
أزمت عنا إلى مولاك ترحالا	أرحالا	٣٠٦	فضى والليل معسكر بهم	حيم	١٥٨
هم يعدون بالثابت ذكورا	مشاله	٤١٠	فدار شدر في القدس فضل	اليتامى	٩٣
ابنو المدارس واستقصوا	زحلا	٨٧	اسمعي لي قبل الوحيل كلاما	غراما	٥٢٦
إليك زعيم الهند أورد هينا	تفضلا	٤٥٣	قال فولا به استحق احتراما	ملاسا	٤٣٥
نجل عبد اللطيف وعو نجيب	طافلا	٥٢٠	قد يفتح الأوم حتى إن صاحبه	السكروما	٥٤٥
قسما بالاله عز وجل ...	تخلى	٥٣٢	لم أر بين الناس ذا مظهله	مسلمه	٣٤٧
زلت تجر إلى انروب ذبولا	متبولا	٢٠٠	كأن البدر صحن من لبن	الهموما	٥٢٧
لا تشك الناس بوماعسة الحال	بالال	٥٣٢	أى خطاب دهم ربوع الشام	دام	٣٠٥
قال ذو الحزب إذ أنام مغالى	نيسالى	٥١٦	المجد والفضل منشوران في علم	رام	٥٤٩
ألا لفته منا إلى الزمن الحالى	مفضال	٣٦١	جو يروت في الشداء دق	الأسقام	٥٢٤
			هي انى كنهفور الفيد نبتيم	الحذم	٤٠١
			يقولون في الاسلام ظلمنا بأنه	التقدم	١٢٨

الطالع	القافية	صفحة	الطالع	القافية	صفحة
زمت مسمعى ليلا بأنة مؤلم	ضعفم	٣٩	هل سمعتم منيرة قد أفاضت	فن	٥٣٥
بنى الأرض هل من سامع فأبته	عالم	١٤٣	أرى النمر أحيانا يجيش بخاطري	مصوثة	١٩٨
أخس في العلم إن أردت كمالا	الآثم	١٥٧	قل للحججايين كيف ترواكم	مبين	٣٥٤
أسبغ الله نعيم الحسن ...	نعم	٤٠٥	آل الجليل سرور كل حزين	المسكين	٢٤٦
نحن ضيوف ذات مجد ...	صميم	٥٥٠	مى المواطن أدنيها وتقصى	تيلنى	٤٢٨
زهرة قد بدت ...	السامى	٥٥٣	شوقى إليك قريب لا يثاينى	يدانينى	٥٣٤
البحر رهو والسما صاحبة	السديم	٢٦١	أطالوا الحرب طاحنة زبونا	السندنا	٤٧٣
حرف النون			يا حبب الشرق أهلا ...	كرابن	٤٣٨
أما أن أن تنسى من المقوم أضعان	بنيان	١٣١	كان مذ قال واهب الأولاد	كن	٥٢٣
بكت في ظلام الليل تندب أهلها	يلين	٤٥٤	نحن خواضو غمار الموت	الحن	٥٥٤
أصبحت أعذل نوابا وأعيانا	شراغنا	٢٩٠	حرف الهاء		
مخلص منكشف إخلاصه ...	الأناثة	٥٠٦	وخر سام لم ينطق بحرف لسانها	بحشاها	٢٣٧
إن الوزارة لا أبالك عندنا	لندنا	٥٠١	لنيتنى ليتنى ما كنت ألقاها	ممشاها	٢٠٨
لو كنت أعبد فانما في ذى الدفا	الحسنا	٢٢٥	في آل لطفا لله اطف ساجر	الأفواء	٥٥٠
لذا ما الفتى في دهره أحسن انظنا	المعنى	٢٢٦	قف على الحمراء وانذب ...	فيه	٥٠٢
يا قوم إن المداقدها جوا الوطن	السكنا	٤٩١	ما أذبح الجبل ببدى عيب صاحبه	يخفيه	٢١٦
أجذك يا كواكب لا تريننا	اليقيننا	٢٤	حرف الواو		
لقد سمعوا من الوطن الأئينا	حنيننا	٣٨٤	أرى بغداد من بعد اغبرار	الزهاوى	١٥٥
برزت تميس كخطرة النشوان	البان	٢٣٨	حرف الياء		
لو أسكر الانسان باطل أمره	سكران	١٨٩	كأني بهذى الأرض قد حان حبها	شظايا	٥٣١
همم الرجال مقيسة بزمانها	عمرانها	١٣٩	علام حرمنا منذ حين تلاقيا	لاهايا	١٢٢
ويجمع جامع ضام الغناء به	أوطاني	٥٢٢	أنا شيخ وذى عصا فتية	هدية	٥٥٤
نحن للحرب انومان ...	الأمانى	٤٩٦	أرى الأيام ظامئة وليست	زبا	١٤٠
من سامع قصة لي كنت شاهدا	لينان	٣٢٨	نحن قوم من الدراويش نفى	بتكية	٥١٦
يا ضاربا بالسكان ...	افتنان	٥٠٢	لو جعلنا كل شيء وطنيا	جنيا	٥١١
أشربت حب بلاد ما نشأت بها	عدوان	١٧٣	قف بالديار الدارسات وحيها	حيها	٢٦٨
صاح إن الخطوب في غليان	الموان	٤٧٦			
حسن الوسام بصدر عبدالحسن	سوسن	٢٢٢			
لما بك والبصرة المضى توطنها	مظاطن	٥٤٥			
لا تغد عنك هتاف القوم بالوطن	العلن	٥٠٩			